



# عَبَقِيُّ اللُّغَوِيَّيْنِ أَبُو لَفْطَحٍ عَثْمَانُ بْنُ حَسَنِ

٣٩٢/٣٢١ هـ

المجلد الثاني

الأستاذ الدكتور  
عبد الفارح حامد محمد هلال

الطبعة الأولى

١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٦ م

ملتزم الطبع والنشر  
دار الفكر العربي

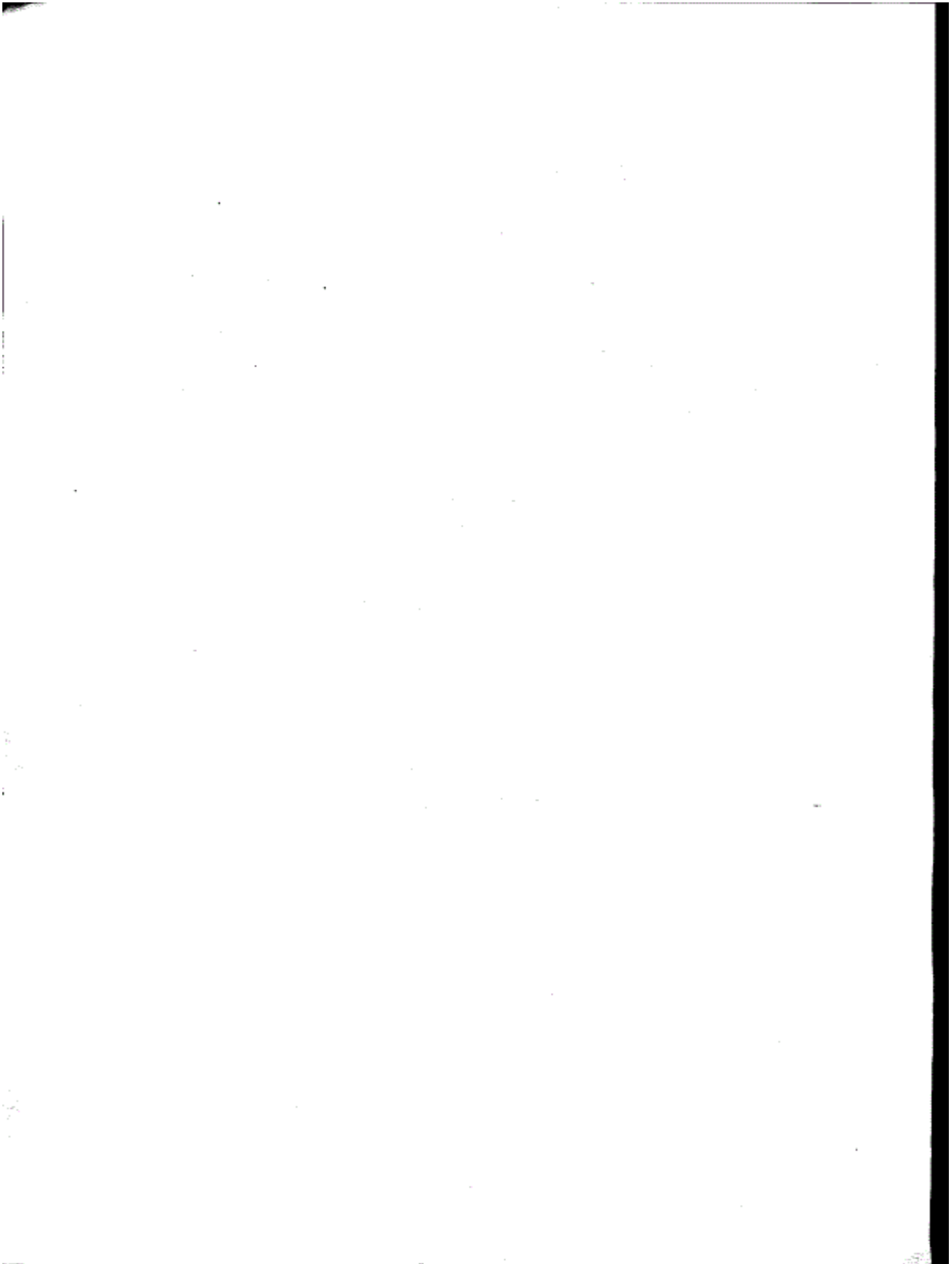
٩٤ شارع عباس العقاد - مدينة نصر - القاهرة

ت: ٢٧٥٢٩٨٤ - فاكس: ٢٧٥٢٧٣٥

٦ شارع جواد حسني - ت: ٣٩٣٠١٦٧

[www.darelfikrelarabi.com](http://www.darelfikrelarabi.com)

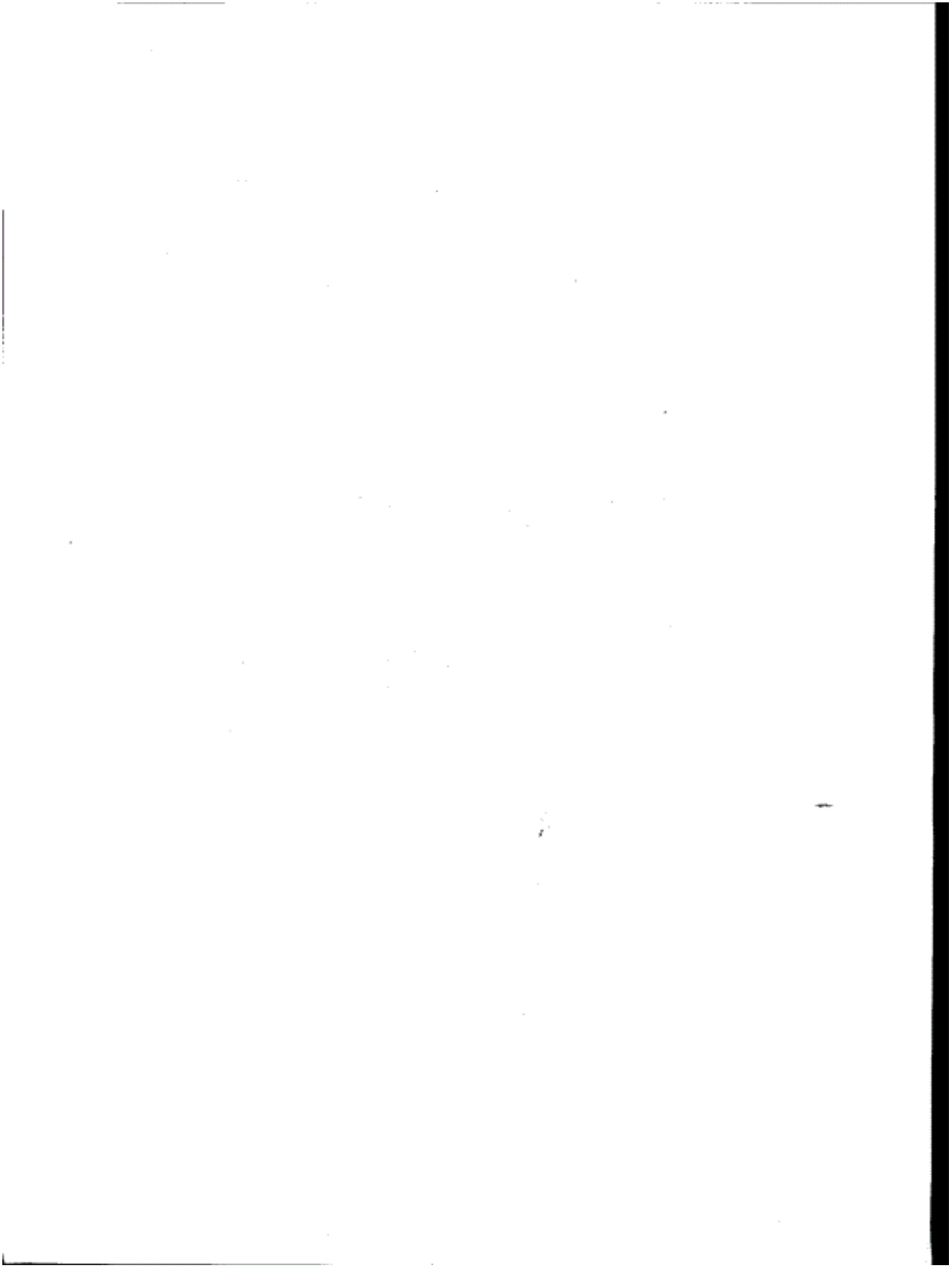
[INFO@darelfikrelarabi.com](mailto:INFO@darelfikrelarabi.com)



الباب الثامن

الأصوات وتبدلها





## الأصوات

كان العرب من أوائل من عنوا- منذ القديم- بالدراسات المختلفة للغة، وذلك لأنها ميزتهم التي اختصهم الله بها، فهم أرباب البيان يفخرون به على غيرهم، كما اختصت لغتهم بميزات عديدة لم تتوافر لسواها من اللغات الإنسانية عامة. وقد كان ظهور الدين الإسلامي من العوامل الهامة التي ساعدت على نهوض هذه الدراسة وتقدمها، إذ حفزهم الشعور الديني إلى الحفاظ على لغة القرآن خوف التحريف والتغيير، واستغلاق المعاني على الإفهام فوصفوا لنا مخارج الحروف وصفاً دقيقاً أثار دهشة المستشرقين وإعجابهم<sup>(١)</sup> وتحدثوا عن صفات الحروف وأصواتها بما يدل على إرهاب الحس العربي وشفافيته، وقد أطلقوا على هذه الدراسة تجويد القرآن الكريم<sup>(٢)</sup>.

وفي المجال المعيارى وضع علماء العرب القواعد الدقيقة والمقاييس العلمية التي قامت على أساس الدراسة الوصفية الواقعية، فبرزت قواعد النحو والصرف والعروض وغيرها من العلوم اللسانية بصورة لا تزال مناط إعجاب المشتغلين بعلوم اللغات حتى الآن، والدراسة الصوتية هي أهم هذه الدراسة إذ لا يمكن الأخذ في دراسة لغة ما أو لهجة ما دراسة علمية ما لم تكن هذه الدراسة مبنية على وصف أصواتها وأنظمتها الصوتية<sup>(٣)</sup> ولذلك "يجب على دارس الأصوات اللغوية أو عالم اللغة بوجه عام أن تتوافر له القدرة على وصف جميع الأصوات الكلامية الخاصة بأي لغة من اللغات"<sup>(٤)</sup>، ومن هنا زاد العرب من اهتمامهم بهذه الدراسة الصوتية

(١) الأصوات اللغوية ٦ .

(٢) التجويد والأصوات ٧ .

(٣) علم اللغة د. السمران ١٣٣ .

(٤) نفسه ١٥٤ وانظر في أهمية الدراسة الصوتية المصدر المذكور ١٣٥ ، ١٣٦ ومناهج البحث في اللغة ٢٥٢-٢٥٨ وأصوات اللغة ٢٤ ، ٢٥ .

بما جعلهم من أسبق الأمم شرقاً وغرباً في هذا المضمار، ولم يشارك العرب في هذا السبق سوى الهنود، وقد اعترف بذلك المستشرق "برجستراسر" يقول: ولم يسبق الغربيين في هذا العلم إلا قومان من أقوام الشرق وهما أهل الهند (يعنى البراهمة) والعرب<sup>(١)</sup>، وقد درس اليونان والرومان الأصوات أيضاً إلا أن دراستهم تقوم في جملتها على ملاحظة الآثار السمعية التى تتركها الأصوات فى الأذن، وهى بهذا تختلف عن الآراء الصوتية لقدماء الهنود الذين أدركوا الأسس (الفسولوجية) فى تكوين الأصوات<sup>(٢)</sup> ولم يفتن اليونان إلى تقسيم أصوات لغتهم إلى القسمين الرئيسيين وهما الأصوات المهموسة والأصوات المجهورة كما فطن إلى ذلك الهنود والعرب تبعاً للأوتار الصوتية<sup>(٣)</sup>.

فالعرب هم من السابقين فى هذا الميدان لأنهم ساروا بلغتهم على نمط خاص من ابتكار العلماء العرب وباستقلال عن الهند.

ولذلك يقول أستاذنا الدكتور نجما: إن الترتيب للحروف ليس متفقاً تمام الاتفاق بين اللغتين<sup>(٤)</sup>، ويقول سيادته "والأدلة القوية تؤازر تلك الوجهة فليس هذا من باب التعصب الممقوت، ولكنه الواقع الذى يجدر أن نبرزه للملأ، ليعرف الأحفاد أن آباءهم لم يقصروا فى واجبه، ولم يفتروا عن أداء رسالتهم، وخير مرشد لذلك ما نقدمه للباحثين من أن الرئيس ابن سينا قد أسهم بجهده المعروف فى تلك الناحية كما أسهم فى غيرها، وله رسالة عنوانها "أسباب حدوث الحروف"<sup>(٥)</sup>. وكذلك اهتم بتلك الدراسة العالم اللغوى أبو الفتح عثمان بن جنى فى كتابه المعروف بسر الصناعة وهو يعد من خيرة الكتب العربية التى اهتمت بهذه الدراسة<sup>(٦)</sup>.

وأنا مع أستاذنا الدكتور نجما فى التأكد من هذا السبق.

وقد درس العرب الأصوات فى علم التجويد - كما ذكرنا - وفى أثناء بحوثهم الكثيرة فى الصرف والمعاجم، فهم يعللون لبعض الصيغ بما يدخل فى

(١) التطور النحوى، ص ٥.

(٢) علم اللغة للدكتور السمران ص ٩٢.

(٣) المعاجم اللغوية ص ٢٠.

(٤) طبعت بمصر سنة ١٣٣٢ - بمطبعة المويد.

(٥) التجويد والأصوات ص ٧.

نطاق الأصوات كإبدال تاء الافتعال طاء أو دالا كما فى اضطرب وادعى وادكر إلخ. ومثل هذا كثير.

وفى المعاجم كثير من ذلك أيضاً بالإضافة إلى أن كل معجم قد تناول جانباً من الدراسات الصوتية العربية<sup>(١)</sup>.

وفى علم البلاغة بحوث تتعلق بالأصوات، كحديثهم عن فصاحة الكلمة، وشرطهم خلوها من تنافر الحروف ونحو ذلك.، والتنافر هو ما يعرف فى علم الأصوات بالدراسة التنظيمية وهى طريق تأليف الحروف بعضها مع بعض.

ويرجع الفضل فى الدراسات الصوتية إلى الخليل بن أحمد الفراهيدى الذى وضع أسس هذا العلم، وتابعه على ذلك تلميذه سيبويه، فقد تحدث الخليل عن الجهاز الصوتى من الحلق والقم إلى الشفتين، وبين مواطن إخراج الحروف منه، من حلقية وشجرية وأسلية ونطعية وذلقية وشفوية وبين مخرج كل حرف على وجه التحديد الدقيق<sup>(٢)</sup>.

وقد رسم الخليل الطريقة التى يمكن بها معرفة مخرج الحرف الحقيقى، وكان فى ذلك موفقاً كل التوفيق، إلى حد أن علم الأصوات الحديث يعترف بكثير من آرائه ومقاييسه الصحيحة.

وقد تابعه فى رسم هذا الطريق تلميذه سيبويه فى «الكتاب» فتناول الجهاز الصوتى، وبين مخارج الحروف فى كل موطن منه، كالحلق وأقصى اللسان ووسطه وطرفه، كما تناول الحديث عن صفات الحروف، من جهر وهمس وشدة ورخاوة إلى غير ذلك<sup>(٣)</sup>، مما سنوضحه عند حديثنا عن مخارج الحروف وصفاتها، وما قال به الخليل أن الحركات أبعاض حروف المد، وهو ما يقره علماء الأصوات المحدثون.

(١) فقد نقلت المعاجم كلام اللغويين ومنهم ابن جنى فيما يتعلق بالإعلال والإبدال والإدغام والحذف والزيادة. ويذكر لسان العرب اسم ابن جنى فى كل مناسبة تصريفية أو صوتية.

(٢) كتاب العين للخليل بن أحمد ٤/٥٧، ٥٨، ٦٤، ٦٥.

(٣) الكتاب ٢/٤٠٥ - ٤٠٦.

وأيًا ما كان الأمر فإن التصنيف المنسوب إلى الخليل لا يبلغ من الدقة والشمول ما يتسم به تصنيف سيبويه للأصوات العربية بحسب المخارج<sup>(١)</sup>، وذلك لأن سيبويه كان دقيقًا في تحليله وتفصيلاته، وعلى كل فإن الفضل يعود إلى صاحبه الذى ابتدأ الطريق الشاق.

ولقد ظلت أفكار الخليل وتعليقاته وابتكاراته نبراسًا وهديًا لعلماء اللغة والنحو والصرف والعروض والعلوم اللسانية بصفة عامة<sup>(٢)</sup>.

وإذا كان للعلماء العرب فضل مهّد للباحثين فى الأصوات فذلك راجع إلى من أثار كوامن المادة، وكشف جوانبها، وأوضح معالمها، وأضاف إليها من ابتكارات عقله الراجح، ذلكم هو عالمنا اللغوى أبو الفتح عثمان بن جنى، فقد بحث ما ورثه عن أسلافه الأفاضل بفكر اللغوى المتعمق والفيلسوف الذى يعرف للأمور أوزانها ومقاديرها.

وبدلاً من أن يتناول الموضوع تناولاً عابراً - كغيره من سابقيه - أفرغ جهداً كبيراً يضمنى على البحوث الصوتية لونا من القوة، ويبين أنها دراسة لغوية هامة يجب على عالم اللغة أن يضعها فى مجال البحث، ولذلك أفرد لها كتاباً خاصاً سماه «سر صناعة الإعراب» ومعظم الآراء التى ساقها ابن جنى فى كتابه هذا نالت إعجاب المستشرقين وعلماء اللغة الأوربيين، ففى ثنايا بحوثه نحس بمبلغ القوة العلمية والدقة الفائقة، حتى ليشير إعجابنا وصفه للجهاز الصوتى وصف الفيلسوف الحكيم، والعالم التجريبي الذى كشف عن الأسرار الصوتية، وأنها تحتاج إلى دراسة آلية كما يقول علماء اللغة المحدثون فقد شبه الخلق بالنأى "المزمار" وشبه مدارج الحروف ومخارجها بفتحاته التى توضع عليها الأصابع، فإذا وضع الزامر أنامله على خروق النأى المنسوقة، وراوح بين أنامله، اختلفت الأصوات، وسمع لكل خرق منها صوت لا يشبه صاحبه، فكذلك إذا قطع الصوت فى الخلق والفم باعتماد على جهات مختلفة كان سبب استماعنا هذه الأصوات المختلفة<sup>(٣)</sup>.

(١) علم اللغة للدكتور السمران ص ٩٩.

(٢) من كلام محقق كتاب (العين) فى المقدمة ص ٥.

(٣) سر الصناعة ٩/١.

ويربط ابن جنى بين علم الأصوات وعلم الموسيقى، ويقول: إن علم الأصوات والحروف له تعلق ومشاركة للموسيقى لما فيه من صنعة الأصوات والنغم<sup>(١)</sup>، ونظرة ابن جنى هذه نظرة علمية صائبة تشير إلى حاجة الدراسة الصوتية إلى مجال العمل التطبيقي المعتمد على الآلات، كما نرى ذلك متبعاً في العصر الحديث الذى أجريت فيه التجارب الصوتية المعتمدة على الآلات والأجهزة العلمية الدقيقة، وكتاب ابن جنى السابق عنوان واضح على تفوقه فى دراسة الأصوات، فقد تكلم فيه عن الصوت وعده مادة علمية لها مفهومها المحدد، وتناول الأصوات العربية من معظم جهاتها وائتلاف الحروف بعضها مع بعض لتكون الكلمات والتعبيرات اللغوية.

ويمكن تلخيص مادة الكتاب فى النقاط التالية:

- ١- حديثه عن الصوت والحرف والفرق بينهما واشتقاق كل منهما.
- ٢- عدد الحروف الهجائية العربية وترتيبها وذوقها.
- ٣- وصف مخارج الحروف وهى الأصوات وصفاً تشريحياً دقيقاً.
- ٤- بيان الصفات العامة للحروف وتقسيمها إلى أقسام مختلفة.
- ٥- ما يعرض للصوت فى بنية الكلمة من تغير يؤدى إلى الإعلال أو الإبدال أو الإدغام أو النقل أو الحذف.
- ٦- نظرية الفصاحة فى اللفظ المفرد وأنها راجعة إلى تأليفه من أصوات متباعدة المخارج<sup>(٢)</sup>.

ويعد حديث ابن جنى عن الأصوات أعظم حديث عربى صوتى، وقد أفاد منه المحدثون من الغربيين أيما إفادة، بل إن ابن جنى قال منذ ألف سنة ما لم يتوصل إليه علماء الأصوات إلا فى عصرنا هذا<sup>(٣)</sup>. وإذا كان كتابنا يهدف إلى بيان

(١) نفسه ص ١٠.

(٢) مقدمة سر الصناعة المطبوع ج ١ ص ١٤ والكتاب يحتوى على مباحث أخرى تتصل بجوانب أخرى من دراسة اللغة كحديثه عن الحروف الزائدة وغير الزائدة، والجاردة وغير الجاردة، وبيان معاني الحروف، وغير ذلك مما هو بعيد عن الدراسة الصوتية.

(٣) من مقدمة الإبدال لأبى الطيب اللغوى ص ١٧ والمقتطف ص ١٥٨.



آرائه والموقف العلمى منها فلإننا نسير معه الآن فى مجال الأصوات لنعرف رأيه على وجه الدقة، ونقف على ابتكاراته الرائعة فى هذا الميدان، محددين موقف علم الأصوات الحديث منها، وندلى دلونا فى الموضوع بما يكشف الصواب، ويعطى لهذا العالم اللغوى العربى مكانته المرموقة فى مصاف الباحثين الافذاذ فى علم الأصوات اللغوى، وقد تناولنا فى حديثنا عن فلسفة البناء اللغوى وتتناول فى حديثنا عن الإبدال ما يعرض للصوت فى بنية الكلمة من تغير يؤدى إلى الإعلال أو الإبدال أو الإدغام، ونظرية الفصاحة فى اللفظ المفرد ورجوعها إلى تأليفه من أصوات متباعدة المخارج، فلتسبق لنا النقاط الأربع الأولى من محتوى سر الصناعة التى ذكرناها آنفاً لنعرض رأيه فيها بما يكشف سبقه فى ميدان الأصوات.

### الصوت والحرف والفرق بينهما

#### اشتقاق الصوت والحرف:

الصوت كما يقول ابن جنى: مصدر صات الشيء يصوت صوتاً فهو صائت وصوتٌ تصويئاً فهو مصوِّتٌ، وهو عام غير مختص، يقال: سمعت صوت الرجل وصوت الحمار، قال الله تعالى ﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [لقمان]، ويقال: رجل صات أى شديد الصوت، وحمار صات، فأما قولهم: لفلان صيت إذا انتشر ذكره فى الناس، فمن هذا اللفظ، وكأنهم بنوه على فعلٍ للفرق بين الصوت المسموع وبين الذكر المتعالم، على أنهم قد قالوا أيضاً: قد انتشر صوته فى الناس: يعنون به الصيت الذى هو الذكر، والصيت فى هذا المعنى أعم وأكثر استعمالاً من الصوت، ولا يستعمل الصيت إلا فى الجميل من الذكر دون القبيح، والصوت مذكر لأنه مصدر بمنزلة الضرب والقتل والغدر والفقر، فأما قول رويشد بن كثير الطائى:

يَا أَيُّهَا الرَّاكِبُ الْمَرْجِي مَطْطِيئُهُ      سَائِلُ بَنِي أَسَدٍ مَا هَذِهِ الصَّوْتُ

فلأنما أنه لأنه أراد الاستغناء، وهذا من قبيح الضرورة، أعنى تأنيث المذكر، لأنه خروج عن أصل إلى فرع، وإنما المستجاز من ذلك رد التأنيث إلى التذكير،

لأن التذكير هو الأصل، بدلالة أن "الشيء" مذكر، وهو يقع على المذكر والمؤنث، ومثله ما حكاه الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء أنه سمع بعض العرب يقول وذكر إنساناً فقال "فلان لغوب جاءته كتابي فاحتقرها فقلت له: أتقول جاءته كتابي؟ فقال: نعم أليس بصحيفة؟ ومثل ذلك كثير<sup>(١)</sup>.

وصات وأصات وصوت كله نادى، ويقال: صات يصوت صوتاً فهو صانت معناه: صائح<sup>(٢)</sup>.

فأما الحرف فالقول فيه وفيما كان من لفظه أن (ح ر ف) أينما وقعت في الكلام يراد بها حد الشيء وحدته، من ذلك حرف الشيء إنما هو حده وناحيته، وطعام حريف يراد حدته، ورجل محارف أى محدود عن الكسب والخير، ومنه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَغْبُدُ اللَّهُ عَلَى حَرْفٍ...﴾ [الحج]، أى على غير ثبات ولا طمأنينة، ولا استحكام بصيرة، فكأنه معتمد على حرف دينه غير واسط فيه كالذى هو على حرف الجبل ونحوه، ومن هذا سميت حروف المعجم حروفاً، وذلك أن الحرف حد منقطع الصوت وغايته وطرفه كحرف الجبل ونحوه، ويجوز أن تكون سميت حروفاً لأنها جهات للكلم ونواح كحروف الشيء وجهاته المحدقة به، وكل اشتقاق المادة يدل على هذا المعنى وإنما يحذف حقيقتها من كان سبباً<sup>(٣)</sup> مرتاضاً<sup>(٤)</sup> لا كزاً<sup>(٥)</sup> ريضاً<sup>(٦)</sup>.

#### الصوت والحرف في اصطلاح علماء الأصوات:

عرف ابن جنى الصوت بأنه عرض يخرج مع النفس مستطيلاً متصلاً حتى يعرض له فى الحلق والقم والشففتين مقاطع تنبيه عن امتداده واستطالته فيسمى

(١) ينظر سر الصناعة ١١/١ - ١٥ ولسان العرب ٣٦١/٢.

(٢) لسان العرب ٣٦٢/٢. (٣) هو السمع الكريم والمراد سعة العلم.

(٤) تمت رياضته. (٥) الكز: اليايس المتقبض وهو كناية عن قلة العلم وضعف الفهم.

(٦) الريض: البادئ فى الرياضة. ينظر: سر الصناعة ١٥/١ - ١٩ والتعليق، ولسان العرب ٣٨٥/١٠

وسر الفصاحة ص ٥، ٦ وقد نقل ابن سنان مع اشتقاق الصوت والحرف بيان المراد منهما كما

تحدث ابن جنى تماماً حتى يكاد يأخذ الفاظه. انظر المصدر السابق ص ١٥، ١٦.



المقطع أينما عرض له حرفاً، والضمير فى (له) راجع إلى الصوت وفى (عرض) راجع إلى المقطع، ومن هنا نفهم أن ابن جنى سعى المقطع هنا حرفاً، والمعروف أن المقطع هو مخرج الحرف - لا الحرف - فكلامه لا يستقيم إلا على ضرب من المجاز هو تسمية المحل باسم الحال كقولك انصرف الديوان والمراد من فيه، والتجاوز غير مستساغ فى التعاريف<sup>(١)</sup> وبالأستعانة بما ذكر فى تعريف الحرف اللغوى السابق وهو أنه حد منقطع الصوت وغايته وطرفه<sup>(٢)</sup> نستطيع أن نتيين الفرق الذى تصوره ابن جنى بين الصوت والحرف فالصوت: نشاط عضوى حركى تنشأ عنه قيم صوتية، والحرف: هو تلك الوحدة اللغوية المعينة كالنون أو الباء مثلاً التى توجد عند موقع معين يقف عنده الصوت يطلق عليه اسم المخرج، وقد أوضح ابن جنى صلاحية الجهاز الصوتى لإنتاج عدد كبير من الأصوات تبعاً لهذه المخرج المتعددة فى الحلق والفم والشفيتين قال: وتختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها<sup>(٣)</sup>... ألا ترى أنك تبدئ الصوت من أقصى حلقك ثم تبلغ به أى المقاطع شئت فتجد له جرساً ما، فإن انتقلت عنه راجعاً منه أو متجاوزاً له ثم قطعت أحسست عند ذلك صدى غير الصدى الأول، وذلك نحو الكاف فإنك إذا قطعت بها سمعت هنا صدى ما، فإن رجعت إلى القاف سمعت غيره، وإن جرت إلى الجيم سمعت غير ذينك الأولين<sup>(٤)</sup>، وبهذا يفرق ابن جنى بين الحرف باعتداده وحدة لغوية وبين الأصوات التى يمكن أن تصدر من مخرجه تبعاً للضغط الواقع عليه، وقد أجرى ابن جنى تجارب آلية تبرهن على كيفية حدوث تلك الأصوات المختلفة النغم من الجهاز الصوتى الإنسانى، فحكى أن بعضهم شبه الحلق بالنأى، فإن الصوت يخرج فيه مستطيلاً أملس ساذجاً كما يجرى الصوت فى الألف غفلاً بغير صنعة، فإذا وضع الزامر أنامله على خروق النأى المنسوقة، وراوح بين أنامله، اختلفت الأصوات، وسمع لكل خرق منها صوت لا يشبه صاحبه، فكذلك إذا قطع الصوت فى الحلق والفم باعتماد على جهات مختلفة كان سبب استماعنا هذه الأصوات المختلفة<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر التعليق فى سر الصناعة ص ٦. (٢) سر الصناعة ١٦/١.

(٣) أى مخارجها. (٤) سر الصناعة ٦/١.

(٥) نفسه ٩/١ وانظر ما نقله ابن سنان عنه فى سر الفصاحة ١٨.

ويبدو لى أن ابن جنى كان يعرف الفروق الدقيقة بين الصوت فى حقيقته التى هى العملية الحركية ذات الاثر السمعى، وبين الحرف باعتدائه وحدة تجريدية - قد تكون ذات صوت واحد أو عدة أصوات- وأعتقد أن ما وصلت إليه الدراسات الحديثة مبنى على أساس هذا التفريق الذى حدده عالمنا، فقد أوضح الدكتور تمام حسان الصوت والحرف والفرق بينهما فى علم اللغة الحديث؛ فالصوت هو العملية الحركية ذات الاثر السمعى، وهو من أداء المتكلم فى نشاطه اللغوى العادى اليومى، فكلنا ينطق فى كلامه أصواتاً لغوية مسموعة، وأما الحرف فهو وحدة تصنيفية يقول بها دارس اللغة حين يقسم العدد الأكثر من الأصوات إلى العدد الأقل من الحروف، إذ قد يشتمل الحرف الواحد على أكثر من صوت واحد، كما يشتمل حرف الميم على أصوات مختلفة منها ذو الإظهار وذو الإخفاء وذو الانقلاب، وكما يشتمل حرف النون على عدد من الأصوات يأتى كل منها فى بيئة صوتية خاصة، حتى إن بعض أصوات النون كالذى فى ينظر ينطق بإخراج اللسان كما إخراجة فى الظاء<sup>(١)</sup> وهذا يطلق عليه بعض الباحثين اسم (الفونيم) فالفونيم فى أحد معانيه يقصد به الحرف<sup>(٢)</sup>.

وتعريف ابن جنى للصوت اللغوى تعريف لا يقل شأنًا عن تعريفات المحدثين له وإن كانوا قد ربطوا بين الصوت الإنسانى باعتداده ظاهرة لغوية وبين الصوت الطبيعى مع بعض تفصيلات أوجدتها الأجهزة العلمية الحديثة التى استخدموها فى دراسة الأصوات، يقول الأستاذ فندريس: "إن ما يسمى صوتًا هو الاثر الواقع على الأذن من بعض حركات ذبذبية للهواء، والذبذبات فى اللغة يحدثها الجهاز الصوتى للمتكلم"<sup>(٣)</sup>، فالصوت ليس مادة ولكن طاقة أو نشاط خارجى تقوم به أجسام مادية، ويؤثر فى الأذن تأثيراً يحدث السماع<sup>(٤)</sup>، وقد حلل

(١) مجلة الأزهر شوال سنة ١٣٨٠هـ - مارس ١٩٦١م ص ١٠٧٨ وانظر مناهج البحث فى اللغة ١١٤-١٢٧.

(٢) مناهج البحث فى اللغة ١٢٦. (٣) اللغة ص ٤٣.

(٤) أصوات اللغة. د. أيوب ص ٢١.

أستاذنا الدكتور نجما الصوت تحليلاً يتصل بمصدره الأساسى سواء فى ذلك الصوت الطبيعى أو الصوت الإنسانى، فقد عرف سيادته الصوت بأنه: ظاهرة طبيعية تدرك بحاسة السمع، وقال: إنه يحدث من احتكاك جسم بآخر لينجم عن ذلك الاحتكاك اهتزازات صوتية تنتقل فى الأوساط المحيطة بهذا المصدر حتى تصل إلى آذان السامعين، وذكر سيادته ما يثبت ذلك من أدلة علمية<sup>(١)</sup>. والصوت الإنسانى لا يخرج عن هذا النطاق، فهو يحدث نتيجة اصطدام الهواء الخارج من الرئتين فى عملية التنفس المعروفة بالزفير بالآوتار الصوتية فى الحنجرة، فيحدث الرنين الذى أطلق عليه العلماء اسم الصوت، ويظل على صورته التى حدثت من الاصطدام ماراً بباقي أعضاء النطق من الحلق واللسان والشفة إلى أن يصل إلى الهواء فتتمدد ذراته حتى تصل إلى آذان السامعين<sup>(٢)</sup>، وهذا البيان الواضح يكشف عن الأسس التى يجب أن تراعى فى البحوث الصوتية وهى دراسة أعضاء النطق وأعضاء السمع والوسط الذى ينتقل فيه الصوت وهو الهواء من الناحيتين التشريحية والطبيعية.

وكل هذه الدراسات للصوت لا تخرج عما ذكره ابن جنى فى تعريف الصوت، إذ جعله عرضاً يخرج مع النفس الذى هو الهواء الخارج من الرئتين ويستمر فى ذبذباته حتى يصل إلى آذن السامع، وقد أشار إلى أهمية أعضاء النطق وبخاصة الفراغات التى فى الحلق والفم، وأوضح أنها تستخدم كالصناديق المجوفة التى تضخم الأصوات فى الكمان والعود وغيرهما من الآلات الموسيقية، ومرور الصوت الإنسانى خلال تلك الفراغات يكسبه لوناً خاصاً يساعدنا على تمييز الأصوات الصادرة من شخص وآخر، وقد قال ابن جنى منذ ألف سنة: إن الصوت الذى يؤديه الوتر غفلاً غير محصور تجده بالإضافة إلى ما أداه وهو مضغوط محصور أملس مهتزاً، ويختلف ذلك بقدر قوة الوتر وصلابته وضعفه ورخاوته، فالوتر فى هذا التمثيل كالحلق والخفقة بالمضارب عليه كأول الصوت من

(١) التجويد والأصوات ٥، ٦.

(٢) نفسه ص ١٦، وانظر: أسباب حدوث الحروف لابن سينا ط ١٩٧٨م ص ٨ وما بعدها.

أقصى الحلق، وجريان الصوت فيه غفلا غير محصور كجريان الصوت فى الألف الساكنة، وما يعترضه من الضغط والحصر بالأصابع كالذى يعرض للصوت فى مخارج الحروف من المقاطع، واختلاف الأصوات هناك كاختلافها هنا<sup>(١)</sup>، وقد شبه قبل ذلك الحلق والقسم بالناى (المزمارة)<sup>(٢)</sup>، وهذا يؤكد أهمية هذه الأعضاء فى دراسة الأصوات، وقد لاحظ القدماء - ومنهم عالمنا ابن جنى فى أثناء عرضهم لمخارج الحروف وصفاتها - أهمية اللسان والشفيتين والحنجرة والأتار الصوتية فيها لدراسة الأصوات وبهذا يكون علماءنا القدامى قد وضعوا الأسس، وفتحوا الطريق أمام المحدثين من علماء اللغة لتحقيق النتائج العملية فى دراسة الصوت اللغوى.

فقد اعتمد الخليل فى وصفه للأصوات على ما يحسه بنفسه من اختلاف فى أوضاع أعضاء النطق معها، وعلى العملية العضلية التى يقوم بها المرء لدى صدور كل صوت، وعلى وقع هذا الصوت فى أذن السامع دون أن يكون لديه شىء من الإمكانيات الحديثة من آلات التسجيل والتصوير أو معرفة بنظريات التشريح<sup>(٣)</sup>، وقد أحس سيبويه مع المجهور والمهموس ومع الشديد والرخو بما يحس به الدارسون للأصوات من المحدثين دون أن يكون على علم بالناحية التشريحية من وجود وترين صوتيين بالحنجرة يقومان بوظيفة معينة مع بعض الأصوات<sup>(٤)</sup>، وبهذا أمكن إدراك قيمة أعضاء النطق المعروفة، فتناولها علماء اللغة من الناحية التشريحية والصوتية، وزاد المحدثون تبعاً لكشف علم اللغة الحديث تفصيلات دقيقة عن الصوت ولا سيما اللغوى منه، فقد تحدثوا عن الذبذبة الصوتية، والموجه الصوتية بنوعيهما البسيط والمركب، وفرقوا بين شدة الصوت ودرجته ونوعه، وقد أوضح أستاذنا الدكتور نجا هذه المعانى<sup>(٥)</sup>.

(١) سر صناعة الإعراب ص ١٠ . (٢) نفسه ص ٩ .

(٣) الأصوات اللغوية ٧٥ ، ٧٦ . (٤) نفسه ٩٤ .

(٥) التجويد والأصوات ٨ - ٢٠ والأصوات اللغوية ٨ - ٢٠ وفقه اللغة للإسكندرى ٧ ، ٨ واللغة لغندريس ٤٣ ، ٤٤ وغيرها .

## عدد الحروف في الأبجدية العربية وترتيبها<sup>(١)</sup>

### عدد الحروف:

قرر ابن جنى - تبعاً للخليل وسيبويه وغيرهما - من قدامى اللغويين \* أن حروف المعجم تسعة وعشرون حرفاً أولها الألف وآخرها الياء \* على المشهور من ترتيب حروف المعجم، وهناك حروف تفرعت عن التسعة والعشرين بعضها مستحسن وبعضها مستقيح لا يكون إلا في لغة ضعيفة وسنذكر ذلك تباعاً<sup>(٢)</sup>.

وقد ذكر ابن جنى أن أبا العباس المبرد \* يعدها ثمانية وعشرين حرفاً، ويجعل أولها الباء ويدع الألف من أولها، ويقول هي همزة، ولا تثبت على صورة واحدة، وليست لها صورة مستقرة، فلا يعتد بها مع الحروف التي أشكلها محفوظة معروفة<sup>(٣)</sup> وإخراج أبى العباس الهمزة من بين الحروف أمر يستحق المناقشة، وبيان الصواب في ذلك، وقد رد عليه ابن جنى بأن لكل من الهمزة والألف وجوداً في اللغة، تبعاً للفظ والنطق لا الكتابة، وعدم الثبات على صورة واحدة؛ فالهمزة تعد من الحروف الهجائية لأن جميع هذه الحروف إنما وجب إثباتها واعتدادها لما كانت موجودة في اللفظ الذي هو قبل الخط، والهمزة أيضاً موجودة في اللفظ كالهاء والقاف وغيرهما، فسيبيلها أن تعتد حرفاً كغيرها، فأما انقلابها في بعض أحوالها لعارض يعرض لها من تخفيف أو بدل فلا يخرجها من كونها حرفاً، وانقلابها أول دليل على كونها حرفاً، ألا ترى أن الألف والواو والياء والتاء والهاء والنون وغيرهن قد يقلبن في بعض الأحوال، ولا يخرجهن ذلك من أن يعتدن حروفاً وهذا أمر واضح غير مشكل<sup>(٤)</sup>، وأما ثبوت الألف فإنه واضح من الوضع الهجائي

(١) تسمى أيضاً حروف المعجم، ومادة عجم - كما قال ابن جنى - تفيد الإيهام والإخفاء، وضد البيان والإفصاح، ولكنها قد تأتي للسلب والنفي مثل: أشكيت: أزلت شكواه، فاعجمته - على هذا - : أزلت عجمته وخفاه، وحروف المعجم من ذلك، فينقط الكثير منها يزول إعجامها وخفاؤها. سر الصناعة ٣٨/١ - ٤٥،

(٢) العين ٦٤/١، والكتاب ٤٣١/٤، بتحقيق الأستاذ عبد السلام هارون، وسر الصناعة ٤٦/١

(٣) سر الصناعة ٤٦/١، والمفصل ١٢٦/١٠.

(٤) نفسه ٤٨/٨ ويذكر الدكتور العزاري أن الهمزة لو لم تكن حرفاً لحكمتنا على مثل أحد- أجل بأنها من الكلمات الثنائية، ولم نسمع عن أحد أنه قال بذلك. فقه اللغة العربية ١٥٧.



النطقى، إذ هو صوت ساكن، وقد حاول واضعو الحروف الهجائية تمثله للناطقين "فواضع حروف الهجاء لما لم يمكنه أن ينطق بالالف التى هى مدة ساكنة، لأن الساكن لا يمكن الابتداء به، دعمها باللام قبلها متحركة، ليتمكن الابتداء بها، فقال: "هـ و لا ي" فابتدأ باللام، ثم جاء بالالف بعدها ساكنة، ليصح لك النطق بها، كما صح النطق بسائر الحروف غيرها وهذا واضح<sup>(١)</sup>، ولذلك يحذرنا ابن جنى من أن نقول "لام ألف" كما يقول المعلمون بل يجب أن نقول "لا" فقط<sup>(٢)</sup>، وهذا الرد من ابن جنى على أبى العباس مقبول من الناحية اللغوية، إلا أن كلام ابن جنى عن الالف والهمزة يستدعى الاهتمام والوقوف طويلا لمعرفة حقيقة الأمر فى هذين الصوتين، وتصور القدماء لهما، وموقف الدراسات الصوتية الحديثة من هذا التصور، لقد ذكر ابن جنى أن الالف هى صورة الهمزة ودلل على ذلك بأمرين:

١- الهمزة إذا أريد تحقيقها البتة وجب أن تكتب ألفاً على كل حال، وذلك إذا وقعت موقعاً لا يمكن فيه تخفيفها، ولا تكون فيه إلا محققة، وذلك إذا وقعت أولاً نحو أَخَذَ وَأَخَذَ وإِسْرَاهِيمَ... وعلى هذا وجدتُ فى بعض المصاحف «يُسْتَهْزِءُونَ...» (٥) [الأنعام] (يستهزأون) بالالف قبل الواو ووجد فيها أيضاً «وَأَنْ مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ...» (٦) [الإسراء]: (شياً) بالالف بعد الباء وإنما ذلك لتوكيد التحقيق.

وهذه العلة لم يدع ابن جنى أنه انفرد بها بل صرح بأنها وردت فى بعض كلام أبى بكر محمد بن السرى رحمه الله، ورآها ابن جنى أيضاً فى بعض كلام الفراء وكل ذلك من قبيل توارد الأفكار، وقد قال ابن جنى: "فلا أدرى أصاب أبا بكر مع الفراء ما أصابنى أنا من الموارد له أم هو شئ سمعته فحكاه واعتقده؟".

٢- كل حرف سميته ففى أول حروف تسميته لفظه بعينه ألا ترى أنك إذا قلت "جيم" فأول حروف الحرف "جيم"، وإذا قلت "دال" فأول حروف الحرف

(٢) نفسه ٤٩/١، ومخطوطة دار الكتب، ص ٢٢٢.

(١) سر الصناعة ٤٨/١، ٤٩.

"دال" وإذا قلت "حاء" فأول ما لفظت به "حاء"، وكذلك إذا قلت "الف" فأول الحروف التي نطقت بها همزة، فهذه دلالة أخرى غريبة على كون صورة الهمزة مع التحقيق ألفاً<sup>(١)</sup>.

وفى الواقع أن هذا التصور عن العلاقة بين الهمزة والألف، وعدم التمييز بينهما تمييزاً كاملاً ناشئ عن أصل نطق الهمزة، وصورتها فى الكتابة، منذ الوضع اللغوى القديم، فلم يكن اسم الهمزة معروفاً فى ذلك الوقت، وإنما كان يعبر عن صوتها المعروف الآن وهو الصوت الاحتباسى الحنجرى occlusive كان يعبر عن هذا الصوت قديماً بالألف، سواء فى العربية أو فى غيرها من الساميات، فهو فى العبرية "ألف" بإمالة حركة اللام، وفى الآرامية "ألف" وفى الحبشية "ألف" بسكون اللام، غير أنه أخذ يضعف فى الآرامية حتى فقد تقريباً كل قيمته الصوتية كساكن sa valeur consonantique بل لقد مالت كل اللهجات السامية إلى التخلص منه فى النطق، إلا أن العربية الفصحى قد احتفظت بهذا الصوت الاحتباسى الحنجرى<sup>(٢)</sup>، ولما بدأ العرب يكتبون لغتهم استعملوا الخط الآرامى فى بداية القرن الثالث الميلادى، وعندما أرادوا كتابة هذا الصوت الاحتباسى الحنجرى لم يجدوا مقابلاً له، لأن صوت (ألف) قد اختص بالحركة الطويلة (الفتحة a) فأطلقوا على صوت الاحتباس الحنجرى اسماً جديداً خاصاً به هو اسم "الهمزة" فتسمية هذا الصوت باسم الهمزة حديث نسبياً على ما قرره كانتينو<sup>(٣)</sup>، ويؤيد ذلك أن الهمز فى اللغة العربية لم يكن يعنى الصوت الحنجرى الاحتباسى المعروف، وإنما هو وصف لكيفية نطقية لا تختص فى ذاتها بصوت معين، وتذكر المعاجم العربية أن الهمز مثل الغمز والضغط، ومنه الهمز فى الكلام لأنه يضغط، وقد همزت الحرف فانهمز، وهذا الضغط تقابله كلمة عربية أخرى هى النبر التى يقابلها

(١) نفسه ٤٦/١، ٤٧ ويقول ابن يعيش: الهمزة يقال لها الألف وإنما سموها «الف» لأنها تصور بصورة الألف، فلفظها مختلف، وصورتها وصورة الألف اللينة واحدة كالباء والتاء والهاء والجيم والحاء والخاء لفظها كلها مختلف وصورتها واحدة. المفضل ١٠/١٢٦.

(٢) القراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديثة ١٧، ١٨. (٣) نفسه ١٨.

بالإنجليزية كلمة Stress وبالفرنسية كلمة Accent ومعنى ذلك أن الهمز = الضغط = النبر<sup>(١)</sup> وعلى هذا عرف الهمز بالمعنى اللغوى العام بأنه: كيفية فى أداء الكلام، وبعبارة أدق: كيفية فى نطق الحروف أو الاصوات اللغوية حين يخصها الناطق بمزيد من التحقيق والضغط لا يستأثر بذلك حرف دون آخر، فإذا ضغط على مقطع الذال كانت مهموزة وكذلك إذا ضغط على مقطع الألف فى بدايته كانت الألف مهموزة<sup>(٢)</sup>.

وهذا اللون من الضغط قد سماه القدماء أيضاً همزة كحديث ابن جنى عما سماه همزة التذكّر- وليس فى الكلام همزة بالمعنى الاصطلاحي المعروف بل لا يعدو الأمر أن يكون مطلاً لإحدى الحركات فى آخر الكلمة فهو يقول- مثلاً- وهمزة التذكّر نحو أليّ وقديّ فإذا وصلت سقطت نحو الخليل، وقد قام ومن قرأ ﴿اشْتَرَوْا الضَّلَالَةَ...﴾ [البقرة] قال فى التذكّر اشتروا ومن قرأ اشتروا الضلالة قال فى التذكّر: اشتروى، ومن قال اشتروا الضلالة قال فى التذكّر اشتروا... فهذه طريقة هذه الحركات فى الكلام<sup>(٣)</sup>.

ولكون الألف أكثر تعرضاً للضغط أطلقوا عليها تلك الصفة وهى الهمزة، وتسمى فى الدراسات الحديثة الاحتباس الحنجريّ أو الحبسة الحنجرية<sup>(٤)</sup>، ويؤيد عدم معرفة العربى بالهمز بمعنى الصوت الحنجريّ المعروف ما روى من أن أحد اللغويين سأل رجلاً من قریش: "أتهمز الفأرة؟" فلم يفهم الرجل وأجاب ساخراً: "إنما يهمزها القط" فاللغوى كان يقصد المعنى الاصطلاحيّ الذى هو ضد التسهيل، ولكن القرشى لم يكن يعرفه، فجرى على طبيعته اللغوية، وهو أن الهمز هو الغمز والضغط والنخس والدفع والضرب والعص<sup>(٥)</sup>.

(١) نفسه ٢١، ٢٢ واللسان ٢٩٣/٧.

(٢) الخصائص ٣٣٧/٢، وحذفت ألف (اشتروا) فى حالة النصب للدلالة على حذفها فى النطق. انظر التعليق فى الصحيفة السابقة.

(٣) القراءات القرآنية ٢٣.

(٤) الاصوات اللغوية ٨٤، ٨٥ واللسان ٢٩٢/٧ - ٢٩٤.



ونخلص من ذلك إلى أن اسم الهمزة، وإطلاقه على هذا الصوت المعروف قد برز في زمن متأخر، بعد أن أصبحت الألف خاصة بالفتحة الطويلة، ولكن الأمر ظل مختلطاً على اللغويين العرب فظلوا يربطون بين الألف والهمزة، وإن كانوا قد فرقوا بينهما مخرجاً، فنحن نرى ابن جنى - على الرغم من قوله: إن الألف هي صورة الهمزة - قد فرق بين الهمزة كصوت احتباسي وبين ألف المد، فقال: «فأما المدة التي في نحو ققام وسار وكتاب وحمار فصورتها أيضاً صورة الهمزة المحققة التي في أحمد وإبراهيم وأترجة إلا أن هذه الألف لا تكون إلا ساكنة، فصورتها وصورة الهمزة المتحركة واحدة وإن اختلف مخرجاها»<sup>(١)</sup>، وقد ترتب على هذا الخلط عدهم الألف والوار والياء أصواتاً ساكنة مع أنهم قالوا: إن الحركات أبعاض حروف المد<sup>(٢)</sup>، ومن نتائج هذا الخلط ما نراه في كتب القدماء من ذكرهم الألف بين حروف الخلق، فسيبويه يقول: وللحروف العريية ستة عشر مخرجاً، قللخلق منها ثلاثة، فأقصاها مخرجاً الهمزة والهاء والألف، فيعد الألف من حروف الخلق<sup>(٣)</sup> وكذلك ابن جنى يقول: "ثلاثة منها في الخلق، فأولها من أسفله وأقصاه مخرج الهمزة والألف والهاء هكذا يقول سيبويه<sup>(٤)</sup>، ويمكن تخريج كلام هذين العالمين الجليلين على أنهما ذكرا الألف في حروف الخلق لا لأن مخرجها منه بل تفسيراً للمقصود من كلمة الهمزة التي - فيما يبدو - كانت مصطلحاً صوتياً غير مألوف في تلك الأيام، أو حديث العهد بين الدارسين فاقتضى توضيح صوت الهمزة ذكر مرادف له أكثر شهرة وألفة وهو كلمة «الألف»<sup>(٥)</sup>.

(١) سر الصناعة ٤٨/١.

(٢) القراءات القرآنية ٢٣.

(٣) الكتاب ٤٠٥/٢.

(٤) سر الصناعة ٥٢/١.

(٥) ولذلك نرى أن المتأخرين لما وضحت لديهم هذه الحقيقة رجعوا عن هذا الخلط، إذ لا نجد إشارة للألف بين أصوات الخلق في كتبهم، ككتاب النشر فإنه ينص على حروف الخلق الستة (هـ - ع ح - غ خ) ولا يذكر بينها الألف. انظر النشر ١٩٦/١ والأصوات اللغوية ٨٤.

ويستأنس لذلك بتفريق القدماء بين الهمزة والألف الساكنة التي سماها ابن جني (المدة)، وذكرت نصه في ذلك آنفاً، وقد أكد أن حرف المد ثابت بين حروف الهجاء.

ويخامرنا الشك في هذا التفسير، لأنهما لو أراداه لقالا: الهمزة هي الألف أو الهمزة التي هي الألف ونحو ذلك، ولكن إثبات العذر لهم أولى، على أن هذا الخلط أيضاً تبدو له صورة أخرى حين قال ابن جني: "لما لم يمكن النطق بالألف التي هي مدة ساكنة قدم واضع حروف الهجاء قبل الألف لأمّا توصلا إلى النطق بالألف الساكنة، فقال: (لا)، كما توصلوا إلى النطق بلام التعريف بأن قدموا قبلها ألفاً نحو الغلام والجارية، لما لم يمكن الابتداء باللام الساكنة أيضاً"<sup>(١)</sup>، فقد وازن بين همزة الوصل والألف في (لا) وهما مختلفان نطقاً، يقول ابن سنان الخفاجي، إن التي مع اللام - في الرجل والجارية - هي الهمزة وليست الألف الساكنة - التي جاءت اللام معها في - لا - فكيف تجعل العلة ورود اللام هنا مع الألف وورود الهمزة هناك مع اللام وليس بين الموضعين تناسب ولا معارضة كما ذكرت؟ وهل يصح أن يقال إن الألف الساكنة - التي لا يمكن أن يستند بها في النطق بل يحتاج إلى حرف قبلها - يتوصل بها إلى النطق بلام التعريف التي هي ساكنة مثلها وكل من الحرفين يحتاج إلى ما يحتاج إليه الآخر؟<sup>(٢)</sup>، وبهذا صرح الصبان حين قال إنه "يرد عليه أن اللام في نحو الغلام مع الهمزة لا مع الألف اللينة، وقد أجاب على هذا الاعتراض بما يفيد أن الألف شاملة للثنتين في نظر القدماء وهذا هو معنى الخلط وعدم التمييز يقول: وقد يجاب بأنه يكفي في ذلك أن كلا من الهمزة والألف اللينة يسمى ألفاً"<sup>(٣)</sup>، وعلى كل حال فللعلماء العرب

(١) سر الصناعة ٤٩/١، ٥٠.

(٢) سر الفصاحة ص ٢٠ وقد ذكر أن واضع الخط أتى باللام للتوصل إلى النطق بألف المد الساكنة لغير علة كما خص بعض الحروف بشكل دون بعض لغير سبب، وأمثال هذا الذي لا يعمل كثيرة لا تحصى (نفسه ٢١).

(٣) الأشمونى بحاشية الصبان ٢٨٧/٤.

عذر واضح ناشئ عن حداثة التسمية بالهمزة لهذا الصوت، وقد كانت الألف هي الرمز الحقيقي لذلك الصوت، ولذلك قال الفتازاني في حاشية الكشف: الألف اسم للمدة التي هي أوسط حروف جاء، والهمزة التي هي آخرها، بدليل قولهم: الألف واللام للتعريف، وألف الوصل تسقط في الدرج، وقولهم الألف على ضريين لينة ومتحركة؛ فاللينة تسمى ألفاً، والمتحركة تسمى همزة، والهمزة اسم مستحدث لا أصلي، وإنما يذكر في حروف التهجي اسم الألف لا الهمزة<sup>(١)</sup>، ومن هنا يرى القراء ترادف الهمزة والألف، فيقول: الهمزة هي الأصل والألف الساكنة هي الهمزة ترك همزها<sup>(٢)</sup>، وأيا ما كان الأمر فالهمزة والألف كلاهما من حروف المعجم التي تبلغ - كما يقول ابن جنى وغيره من القدماء - تسعة وعشرين حرفاً، وقد ذكر ابن جنى فروغاً لهذه الحروف التسعة والعشرين وقسمها إلى نوعين مستحسنة ومستقبحة ونفصلها - كما ذكره ابن جنى وغيره.

#### فالحروف المستحسنة هي:

١- الهمزة المخففة وهي التي تسمى همزة بين بين، ومعنى ذلك أنها تكون بين الهمزة وبين الحرف الذي منه حركتها، إن كانت مفتوحة فهي بين الهمزة والألف، وإن كانت مكسورة فهي بين الهمزة والياء، وإن كانت مضمومة فهي بين الهمزة والواو. فالفتوحة نحو قولك في سأل: سأل والمكسورة نحو قولك في سئم: سيم والمضمومة نحو قولك في لوم: لوم<sup>(٣)</sup>، وليس لهذه الهمزة تمكن المحققة مع أنها بزنتها، فهي وإن قربت من الساكن فإنها في الحقيقة متحركة، ويدلك على ذلك أنك تعتدها في وزن العروض حرفاً متحركاً، وذلك نحو قول كثير:

أَنْ زُمْ أَجْمَالٌ وَفَارَقَ جِيرَةٌ      وَصَاحَ غُرَابُ الْبَيْنِ أَنْتَ حَزِينٌ

ألا ترى أن وزن قولك «أَنْ زُمْ» فعولن، فالهمزة إذاً مقابلة لعين «فعولن» وهي متحركة كما ترى<sup>(٣)</sup>.

(١) نفسه ٢٨٧/٤. (٢) نفسه ٢٨٦/٤. (٣) سر الصناعة ٥٣/١، ٥٤.

ومعنى قول سيبويه: بين بين أى هى ضعيفة ليس لها تمكن المحققة، ولا خلوص الحرف الذى منه حركتها<sup>(١)</sup>.

٢- الجيم التى تقرب من الزاى كما فى أجدر<sup>(٢)</sup>.

٣- الشين التى كالجيم وهى التى يقل تفشيها واستطالتها، وتراجع قليلاً متصعدة نحو الجيم<sup>(٣)</sup> كقولك فى أشدق: أجدق<sup>(٤)</sup>.

٤- الشين التى تقرب من الزاى كما فى أشدق، فتضارع بها الزاى، والبيان أكثر وأعرف<sup>(٥)</sup> وهذا عربى كثير<sup>(٦)</sup>.

٥- الصاد التى كالزاى وهى التى يقل همسها، ويحدث فيها ضرب من الجهر لمضارعتها الزاى، وذلك قولك فى يصلو: يصدر، وفى قصد: قصد<sup>(٧)</sup> ومن العرب من يخلصها زايا فيقول: يزدر وقزْد، وقالوا فى مثل لهم: \*لم يُحَرِّم من قُزْدَ له<sup>(٨)</sup>.

وإنما تقلب الصاد زايا أو تشم رائحتها قبل الدال، فإن وقعت قبل غيرها لم يجر ذلك فيها<sup>(٩)</sup>.

٦- النون الخفيفة ويقال لها الخفية، وهى الساكنة، ومخرجها من الأنف والخيائيم كالنون فى منك وعنك<sup>(١٠)</sup>، وأما المتحركة فمن حروف الفم إلا أن فيها بعض الغنة من الأنف<sup>(١١)</sup>.

٧- ألف الإمالة وهى التى تجدها بين الألف والياء نحو قولك فى عالم وخاتم: عالم وخاتم<sup>(١٢)</sup>.

(١) نفسه ٥٥/١. (٢) الكتاب ٤٢٧/٢. (٣) سر الصناعة ٥٦/١.

(٤) الفصل ١٢٧/١٠. (٥) يريد نطقها شيئاً خالصة.

(٦) يقصد المضارعة التى تحدث عنها، وانظر الكتاب ٤٢٧/٢ وفقه اللغة، د. المعزى ١٥٨.

(٧) يلاحظ القارئ أن النطق بالصاد هنا هو بين الصاد والزاى.

(٨) سر الصناعة ٥٦/١. (٩) نفسه ٥٧/١.

(١٠) وتكون مع خمسة عشر حرفاً: هـ، ت، ث، ج، د، ذ، ز، س، ش، ص، ض، ط، ظ.

ف- ق- ك، الفصل ١٢٦/١٠.

(١١) سر الصناعة ٥٣/١. (١٢) نفسه ٥٥/١.

٨- ألف التفخيم وهي التي تجدها بين الالف وبين الواو نحو قولهم: سلام عليك وقُام زيد، وعلى هذا كتبوا الصلوة والزكوة والحياة بالواو، لأن الالف مالت نحو الواو، كما كتبوا إحداهما وسواهن بالياء لمكان إمالة الفتحة قبل الالف إلى الكسرة، ومن هذا يتبين أن الإمالة كما تكون من الفتح إلى الكسر تكون أيضاً من الفتح إلى الضم، ولكن القراء عتوا بالإمالة الأولى فقط وقد فصلنا ذلك في حديثنا عن الإمالة في اللهجات.

فهذه أحوال الحروف التي هي فروع مستحسنة، وبهذا تصبح حروف الهجاء سبعة وثلاثين حرفاً، وهذه الثمانية حسنة يؤخذ بها في القرآن وفصيح الكلام<sup>(١)</sup>.

وأما المستقبحة فقد ذكرها ابن جنى مجملة ونفصلها على الوجه التالي:

١- الباء التي كالفاء في نحو أصبهان وبلغ، وهي على ضربين: أحدهما لفظ يكون الباء أغلب عليه<sup>(٢)</sup> من الفاء كحرف (P) والآخر لفظ يكون الفاء أغلب عليه، وهما حرفان من حروف العجم سوى الباء والفاء المخلصين.

٢- الباء التي كالجيم ذكرها ابن جنى من بين الحروف المستقبحة<sup>(٣)</sup> وهي في بعض لهجات مازن - كما يقول الأستاذ العقاد - ويبدو أنه يقصد قولهم: باسمك في ما اسمك<sup>(٤)</sup>.

٣- الجيم التي كالشين وينطق بها كذلك إن كانت ساكنة وبعدها تاء أو دال مثل: اجتمعوا وأجدر يقال فيهما: اشتمعوا وأشدر، والفرق بين هذا الحرف وبين الشين التي كالجيم حتى جعل الأول من الحروف المستقبحة والثاني من الحروف المستحسنة أن الأول كره فيه الجمع بين الشين والدال لما بينهما من التباين، فالشين مهموس رخو والدال مجهور شديد، وأما إذا كانت الجيم مقدمة فليس بينهما من التنافي والتباعد ما بين الشين والدال<sup>(٥)</sup>.

(١) سر الصناعة ٥١/١ والمفصل ١٢٦/٢، ١٢٧.

(٢) الكتاب ٤٠٤/٢ والجمهرة ١٨٥ والصاحبي ٥٣ والمفصل ١٢٧/١٠، ١٢٨ وتاريخ آداب العرب ١١٢.

(٣) سر الصناعة ٥١/٢. (٤) مجلة الأزهر، عدد جمادى الآخرة سنة ١٣٨٢ - ص ٣٩٣.

(٥) المفصل ١٢٧/١٠.

٤- الجيم التى كالكاف وكانت شائعة فى اليمن، وهى الآن موجودة بكثرة عند أهل البحرين مثل رجل وجمل يقولون فيهما: ركل وكمل<sup>(١)</sup>.

٥- الصاد التى كالسين مثل قولهم فى صالح: صالح وهى من لغة بنى العنبر، وليس فى حسن إبدال الصاد من السين لأن الصاد أصفى فى السمع من السين وأصغر فى الفم<sup>(٢)</sup>.

٦- الضاد الضعيفة وقد حدد سيبويه موطن خروجها بأنها تتكلف من الجانب الأيمن، وإن شئت تكلفتها من الجانب الأيسر، وهو أخف، لأنها من حافة اللسان مطبقة، وقال الفارسي: كما إذا قلت: (ضرب) ولم تشيع مخرجها أى الضاد ولا اعتمدت عليه، ولكن تخفف وتختلس، فيضعف إطباقها، ويذكر ابن يعيش أنها من لغة قوم اعتاصت عليهم فرجاً أخرجوها ظاء؛ وذلك أنهم يخرجونها من طرف اللسان وأطراف الثنايا، وربما راموا إخراجها من مخرجها فلم يثأت لهم فخرجت بين الضاد والظاء<sup>(٣)</sup>.

٧- الظاء التى كالتاء وهى لكنة أعجمية عند أهل المشرق، لأنهم لا يستطيعون نطق الظاء فيتكلمون هذا النطق فيقولون فى سلطان: سلتان وفى طالب: تالب بتفخيم قليل<sup>(٣)</sup>.

٨- الظاء التى كالتاء وينشأ هذا الحرف من المبالغة فى إفشاء الظاء، فتخرج كأنها تاء مفخمة مثل قولهم فى ظلم: ثلم<sup>(٣)</sup>.

٩- الكاف التى بين الجيم والكاف وهو مثل الجيم المصرية فى النطق مثل جافر فى نطق كافر وهو من لغات اليمن وبغداد<sup>(٣)</sup>.

(١) الجمهرة ٥/١ والصاحب ٥٣ و ٥٤ والمفصل ١٢٧/١٠.

(٢) المفصل ١٢٨/١٠.

(٣) سر الصناعة ٥١/١ والكتاب ٤٠٤/٢ و ٤٠٥ و شرحه للسيرافى والمفصل ١٢٧/١٠، ١٢٨ وتاريخ آداب العرب ١١٠، ١١١.



١٠- حرف بين الكاف والقاف وقد ذكره ابن دريد وابن فارس قالا: "فأما بنو تميم فإنهم يلحقون القاف بالكاف فيغلظ جدًا فيقولون: الكوم يريدون القوم فتكون القاف بين الكاف والقاف وهذه لغة معروفة فيهم، قال الشاعر:

ولا أَكُولُ لَكَدَرُ الكَومِ قد نَضَجَتْ      ولا أَكُولُ لِبَابِ الدَّارِ مَكْفُولُ

يريد في كل ذلك القاف<sup>(١)</sup>.

١١- الواو التي كالياء في نحو مررت بمذعور وهذا ابن بور، نحوت بضمة العين والياء نحو كسرة الراء فأشتممتها شيئًا من الكسرة، وكما أن هذه الحركة قبل هذه الواو ليست ضمة محضة، ولا كسرة مرسلة، فكذلك الواو أيضًا بعدها هي مشوبة بروائح الياء، وهذا مذهب سيبويه وهو الصواب<sup>(٢)</sup>، وبهذا يكون نطقها مثل حرف (U) وهي في لغة كثير من قيس وأكثر بني أسد كففقفس وديير.

١٢- الياء التي كالواو في نحو: قيل وبيع بالإشمام، فكما أن الحركة قبل هذه الياء مشوبة بالضمة فالياء بعدها مشوبة بروائح الواو وهي لغة عند بعض العرب يشمون الياء صوت الواو فتخرج كحرفي (EU)<sup>(٣)</sup>.

وربما دخلت هذه الحروف في العربية على لسان بعض القبائل التي أخذتها من لغات أخرى كالعبرانية والسريانية ولغة الفرس والروم والحبيشة وغيرهم ممن خالطوهم في أقدم أزمانهم<sup>(٤)</sup>، ولكن - مع ذلك - لا نمنع وجود بعض هذه الحروف عند القبائل العربية البدوية قبل عصر تهذيب اللغة.

(١) الجمهرة ٥/١ والصاحبي ٥٣، ٥٤.

(٢) سر الصناعة ٥٩/١، ٦٠، ٦٣، وانظر في الحروف أصولها وفروعها: باب الإدغام من الكتاب ٤٠٤/٢، وما بعدها. وسر الفصاحة وقد نقل ابن سنان كلام ابن جني كله ٢٢ - ٢٤ وفقه اللغة د. المزاري ١٥٨، ١٥٩.

(٣) تاريخ آداب العرب ١١٢.

(٤) الفصل ١٢٨/١٠ وتاريخ آداب العرب ١١٢.

وهذه الحروف المستقبحة لا يؤخذ بها فى القرآن ولا فى الشعر، ولا تكاد توجد إلا فى لغة ضعيفة مردولة غير متقبلة، ولا يصح أمر هذه الحروف اللاحقة للتسعة والعشرين إلا بالسمع والمشافهة<sup>(١)</sup> وبعبارة أخرى لابد فى أداء (أى حرف منها) وتصحيحه للسمع من مشافهة توضحه، ونكشف عن خاص سره<sup>(٢)</sup>، فهذه عدة الحروف وما لحق بها من الفروع بأحوط ما يمكن فى معناه<sup>(٣)</sup>، وهذه الحروف كانت منتشرة فى قبائل متعددة أيام كانت العربية موزعة على تلك الألسنة، وكانت فى هذه القبيلة أو تلك أصواتاً مضطربة بين مخارج النطق، تتحرى مواضعها القويمة من حروفها الخالصة إلى أن استقرت على حروف لا التباس بها، ومخارج وافية من النطق الإنسانى لا يهمل بعضها، ولا تتداخل الحروف على اختلاط واشتباء فى بعضها الآخر<sup>(٤)</sup>، وقد استقر أمر الهجاء العربى على عدد محدود من حروف المعجم واضح كل الوضوح، بحيث يعرف كل حرف طريق خروجه، وتكوينه فى أعضاء النطق التى استطاع العربى أن يستخدمها أحسن استخدام، وبذلك أصبحت العربية لغة الفصاحة، فاللغة الفصيحة هى اللغة التى تم فيها جهاز النطق الإنسانى، فلم تهمل أداة من أدواته، وهى التى امتنع فيها اللبس بين حروف اللفظ، ومخارج الصوت، فلم يلتبس فيها حرفان فى مخرج واحد، ولم يلتبس فيها مخرجان فى حرف واحد، بل جاء كل حرف من حروفها فصيحاً من مخرجه الذى يؤديه غير ملتبس بسائر الحروف، ولو كانت مقارنة له فى الأداء<sup>(٥)</sup>، وإذا فقد تم للعربية انتخاب حروفها التسعة والعشرين على ما هى عليه من حسن فى النطق وروعة فى الأداء ودقة فى الأصوات.

(١) سر الصناعة ٥١/١. (٢) نفسه ٦٠/١. (٣) نفسه ٦٨/١.

(٤) مجلة الأزهر عدد جمادى الآخرة سنة ١٣٨٢ - من مقال للأستاذ العقاد بعنوان الأبجدية العربية أكمل الأبجديات ص ٣٩٣.

(٥) الأبجدية العربية تعتمد على موسيقى لم تتوافر لغيرها من اللغات، ثم هى تختار بحروف الحلق، واستقلال مخارجها، وعدم وقوع الالتباس بينها لعوامل تطورية خضعت لها العربية فى رقيها، وقد أشار إلى ذلك الأستاذ العقاد. اللغة الشاعرة ٨-١٢ ومجلة الأزهر عدد رجب ١٣٨٢ من مقال للأستاذ العقاد بعنوان أسباب الفصاحة العربية ص ٤٣٢ - ٤٣٤.



## ترتيب حروف المعجم

يرجع الفضل إلى الساميين في اختراع الأبجدية للغات العالم كله، فمن الراجح أن الفينيقيين<sup>(١)</sup> هم أول من اخترع الرسم السامي واستخدمه لنشاطهم التجاري، وقد انتشرت حروف الهجاء الفينيقية في معظم أنحاء العالم القديم، واستخدمها كثير من شعوبه، ومنها تفرعت بشكل مباشر أو غير مباشر جميع حروف الهجاء التي استخدمت فيما بعد في مختلف اللغات الإنسانية<sup>(٢)</sup>، ومن المسلّم به أن جميع الخطوط السامية - ومنها العربية - أخذت من الكنعاني (الفينيقي)<sup>(٣)</sup> بيد أن العربية أخذت بواسطة الأقاليم النبطية والتدمرية<sup>(٤)</sup> وأقدم الخطوط العربية هو خط المسند اليمنى فقد اشتق من الكنعاني<sup>(٥)</sup> عن الطريق السابق<sup>(٤)</sup>.

(١) هم الكنعانيون والذي أطلق اسم الفينيقيين عليهم هم اليونان، وقد هاجروا من الجزيرة قبل القرن السابع عشر ق م واستقروا ببلاد فلسطين وسورية وبعض جزر البحر الأبيض، وأنشأوا لهم مملكة زاهرة الحضارة وامتد استعمارهم إلى سواحل أوروبا الجنوبية، ومن مستعمراتهم القوية قرطاجنة التي تازعت روما السلطان حيناً من الدهر، ونشبت بينها حروف استغرقت نحو مائة وعشرين عاماً (٢٦٤-١٤٦ ق م) تاريخ اللغات السامية ولفنسون ٥٦ وفقه اللغة د. وافي ٣٠.

(٢) فقه اللغة د. وافي ٣١ وعلم اللغة، ط ١٩٣٨ م، ٢٥٠، ٢٥١ وتاريخ اللغات السامية ٥٢، ٩٩، ١٠٠، ٢٤٤.

(٣) تاريخ اللغات السامية ٩٩.

(٤) نفسه ١٦٠، ١٩٩، ٢٠١، ٢٠٢ وكان النبط من عناصر آرامية وعناصر عربية وظهرت دولتهم في شبه جزيرة طور سيناء، ثم بعد استقرارهم كثرت العناصر العربية إلى أن تغلبت على العناصر الآرامية، ومحتها محوياً تماماً، وبقيت لغة الحضارة هي اللغة الآرامية التي كانت في تلك العصور لغة العمران عند جميع أمم الشرق الأدنى، ثم سقطت على يد الرومان سنة ١٠٦ ق وسموا نبطاً لاستنباطهم ما يخرج من الأرض، وقد كانوا قوماً ذوى حضارة زراعية وغيرها. وتدمر مملكة كانت في واحة بصحراء سورية في الناحية الشرقية الشمالية من مدينة دمشق، وقد بلغت أوج مجدها في المدة من ١٣٠-٢٧٣ بعد الميلاد. انظر تاريخ اللغات السامية ١٣٤، ١٣٥، ١٣٧.

(٥) تاريخ اللغات السامية ١٩٧، ٢٤٢.

والتاريخ العربى يدل على أن كثيراً من التغيرات التى حدثت فى شمال الجزيرة كان مصدره حدوث هجرات من الجنوب فكل المؤرخين المسلمين الذين جاءوا بأخبار عن قبائل غسان ولحيان والأوس والخزرج وبنى أسد وكنب ومعين وثمود يصرحون بأن جميع هذه البطون نزحت من الجنوب وانتشرت فى أرجاء الشمال<sup>(١)</sup>؛ لأن بلاد اليمن كانت مصدر الحضارة العربية قديماً، والينبوع الذى ارتوت منه جميع أقاليم العرب فاشتقت جميع الخطوط العربية القديمة من الخط المسند اليمنى<sup>(٢)</sup>، وبهذا رأى صرح ابن جنى، فقد قال: واعلم أن العرب قد سمت هذا الخط المؤلف من هذه الحروف (الجزم)، قال أبو حاتم: إنما سمي جزماً لأنه جزم من المسند أى أخذ منه، قال: والمسند خط حمير فى أيام ملكهم وهو فى أيديهم إلى اليوم باليمن، فمعنى جزم أى قطع منه وولد عنه<sup>(٣)</sup>.

ومعظم الأقاليم السامية استخدمت طريقة أبجد هوز حتى كلمن سعنفس، فالفينيقية التى هى الأصل اتبعت ذلك<sup>(٤)</sup>، ومثلها الآرامية<sup>(٥)</sup> والبابلية<sup>(٦)</sup> والعبرية<sup>(٧)</sup> والعربية<sup>(٨)</sup> ومن هنا عرف للأبجدية العربية ترتيب على النمط السامى القديم، وهو أبجد هوز إلخ، وقد استمرت حال الأبجدية العربية كذلك حتى عهد عبد الملك بن مروان حين فسدت السلاط، واحتيج إلى نقط الحروف، وضبطها بالحركات، فأمر الحجاج بن يوسف الثقفى والى العراق حيثن نصر بن عاصم الليثى، ويحسى بن يعمر العدوانى بإصلاح الخط، وتمييز الحروف والحركات، فرتب الحروف بحسب صورها، وعلى هذا برز النظام الترتيبى الذى نعرفه اليوم أ. ب. ت. ث. . إلخ. وكان لأبى الأسود الدؤلى أستاذهما فضل

(١) نفسه ٢٤١ . (٢) نفسه ٢٠٥ .

(٣) سر الصناعة ٤٥/١ ويذكر (ولفسون) أن علماء المسلمين تنبهوا إلى شكل هذه الكتابات وأطلقوا عليها لفظ المسند، لأن حروفها ترسم على هيئة خطوط مستندة إلى أعمدة، تبعاً لحضارة عرب الجنوب فى عمارة القصور والمعابد والأسوار والسدود وأبواب المدن - تاريخ اللغات السامية ٢٤٤ .

(٤) نفسه ٦٢، ٩٩، ١٠٠ . (٥) نفسه ١١٩، ١٥٠ . (٦) نفسه ٣٨ .

(٧) نفسه ١٠٦ . (٨) نفسه ٢٤١، ٢٤٢ وتاريخ آداب العرب ١٠١ .

سابق عليهما في ذلك<sup>(١)</sup> وقد رتبها الخليل بن أحمد صاحب أول معجم عربي ترتيباً صوتياً بحسب مخارج الحروف من أقصى الحلق إلى الشفتين، وهذا هو ترتيبه لها:

ع، ح، هـ، خ، غ- ق ك- ج، ش، ض- ص، س، ز- ط، د، ت- ظ، ث، ذ- ر، ل، ن- ف، ب، م- و اى- همزة<sup>(٢)</sup>.

وقد أورد صاحب لسان العرب هذا الترتيب رواية عن الخليل مع تغيير طفيف، فقد قدم الذال على الثاء في نفس المخرج، وجعل الواو بجوار الياء قبل الألف مع تقدم الياء (ى و ا)<sup>(٣)</sup> في نفس المخرج أيضاً، وقد أوضح أستاذنا الدكتور نجما أن الخليل اختار هذا الطريق لأنه أراد جمع ألفاظ اللغة بطريقة استقصائية، ففكر في استعمال الأبجدية، إلا أنه أوضح في مقدمة العين أن ذلك لم يتيسر له، لأن الألف لا استقرار لها، فلم يبدأ بها، فلما لم يتمكن من البدء بالحرف الأول وهو الألف كره البدء بالحرف الثانى وهو الباء، ولذلك اتجه ذهنه إلى جمع الألفاظ بحسب مخارج الحروف، وتبين له أن هذه طريقة موصلة لغرضه، ويبدو أن تفوقه في الموسيقى والنغم كان هادياً له لسلوك هذا السبيل<sup>(٤)</sup>، وقد سار على هذا المنوال صاحب الكتاب فقد رتبها كما يلي:

ء ا هـ ع ح غ خ ك ق ض ج ش ي ل ر ن ط د ت ص  
ر س ظ ذ ث ف ب م و<sup>(٥)</sup>.

وهذا الترتيب يختلف كثيراً عن ترتيب صاحب العين كما هو واضح من المقارنة بينهما، وقد ذكر ابن جنى هذا الترتيب الذى اتبعه سيويه فى كتابه سر الصناعة تحت عنوان (ذكر الحروف على مراتبها فى الاطراد) وهى الهمزة والألف

(١) تاريخ آداب العرب ١٠١، ١٠٣. (٢) العين للخليل ص ٥٣.

(٣) لسان العرب ١٧/١ وانظر آداب العرب للرافعى ١٠٢.

(٤) المعاجم اللغوية ص ١٧، والعين ٥٨/١، والمزهر، ط الأولى ٤٥/١، ٤٦.

(٥) الكتاب ٤٠٤/٢ وانظر اللسان ٨/١.

والهاء والعين والحاء والغين والخاء والقاف والكاف والجيم والشين والياء والضاد واللام والراء والنون والطاء والذال والتاء والصاد والزاي والسين والظاء والذال والتاء والفاء والباء والميم والواو<sup>(١)</sup> وهو بذلك الترتيب - كما فى سر الصناعة - يختلف عن الترتيب المذكور فى كتاب سيبويه فى مجموعة الحروف (القاف والكاف والجيم والشين والياء والضاد) فقدم وأخر بعض الحروف على بعض بما يخالف ترتيب سيبويه لها على ما يتضح من المقارنة، ولكنه اختلاف طفيف لا يمس مخارج الحروف، وربما كان للكتاب واختلاف النسخ أثر فى هذا التغيير، وقد وصف ابن جنى هذا الترتيب بأنه هو الصحيح، وانتقد ترتيب صاحب العين فقال: فهذا هو ترتيب الحروف على مذاقها، وتصعدها، وهو الصحيح، فأما ترتيبها فى كتاب العين ففيه خلل واضطراب ومخالفة لما قدمناه آنفاً مما رتبته سيبويه، وتلاه أصحابه عليه وهو الصواب الذى يشهد التأمل له بصحته<sup>(٢)</sup>.

ونحن نرى أن ترتيب الخليل لا مساس عليه، ولا وجه للطعن فيه، وذلك لأنه كما يرى قد وضع كل حرف فى مخرجه المناسب له، ومع المجموعة التى تشترك معه فى هذا المخرج، اللهم إلا الملاحظة العابرة التى يمكن أن يقال بأنه لم يذكر الياء التى ليست مدّاً فى مكانها المناسب لها، وعد الهمة آخر الحروف، لأنها فى نظره ليس لها حيز تنسب إليه<sup>(٣)</sup>، ولعل وصف ابن جنى له على النحو السابق ناشئ عن رأيه فى كتاب العين نفسه، وأن مادته العلمية ليست منسوبة للخليل، وإنما الفكرة فقط فكرة الخليل، والترتيب والأسلوب من عمل الليث بن المظفر، وقد حكى أستاذنا الدكتور نجما هذا رأى فى كتابه المعاجم اللغوية، وأيده بنص من كلام ابن جنى نفسه، قال ابن جنى: أما كتاب العين ففيه من التخليط

(١) سر الصناعة ١/ ٥٠، ٥١ وقد نقل ذلك الترتيب أستاذنا الدكتور العزازى فى كتابه فقه اللغة العربية ١٥٨، وهنا أصر ابن جنى النون عن الراء، ولكنه فى بيان مخارج الحروف قدمها على الراء، والاول أدق لأن وصفها يقتضى أن تكون بعد الراء لا قبلها كما هو نص ابن جنى، علم اللغة العام، د. بشر، ص ١١٥.

(٢) العين ص ٦٥.

والفساد ما لا يجوز أن يحمل على أصغر أتباع الخليل فضلاً عن نفسه، ولا محالة أن هذا التخليط لحق هذا الكتاب من قبل غيره، فإن كان للخليل فيه عمل فلعله أوماً إلى هذا الكتاب إيماء، ولم يله بنفسه، ولا قرره ولا حرره، ويدل على أنه كان نحاً نحوه أنى أجد فيه معانى غامضة، ونزوات للفكر لطيفة، وصنعة فى بعض الأحوال مستحكمة، وذاكرت به يوماً أبا على - رحمه الله - فرأيت منكرًا له، فقلت له: إن تصنيفه منساق متوجه، وليس فيه التعسف الذى فى كتاب الجمهرة، فقال: الآن: إذا صنف إنسان لغة بالتركية تصنيفًا جيدًا يؤخذ به فى العربية أو كلامًا هذا نحوه<sup>(١)</sup> وقد ناقش أستاذنا الدكتور نجما هذا الرأى وغيره من الآراء التى تنفى نسبة كتاب العين للخليل، وفندها بأدلة واقعية تستحق الاعتداد بها ثم خرج من ذلك كله بنتيجة حاسمة وهى أن الكتاب للخليل بن أحمد، وقد ارتضى هذه الوجهة كثير من أصحاب العقول الراجحة<sup>(٢)</sup>، ثم قال سيادته بعد ذلك: إن الانحراف عن ذلك بعد تكشف الصبح لذى عينين إنما يكون عن الهوى الجامع، والعبث الذى ليس بعده عبث<sup>(٣)</sup>، وهذا الترتيب الصوتى الذى اختاره ابن جنى لم يتبعه فى عرض مادة كتابه «سر الصناعة» والذى كان هدفه منه الدراسة الصوتية، بل اكتفى بالإشارة إليه بلا فائدة ونتيجة، وسار على النظام الهجائى الثانى المبني على أساس الإعجام، وقال: فلماذا كنا قد أجمعنا إيراد حروف المعجم على ما فى أيدي الناس من التأليف المشهور، أعنى على غير ترتيب المخارج، وذكرها حرفًا حرفًا فليس ذلك بمانع لنا سوقها على ترتيب المخارج، فإنه أوضح فى البيان، ثم نعود فيما بعد إلى استقرارها على تأليف أ ب ت ث إلى أن نأتى بإذن الله على جميعها<sup>(٤)</sup>، وهدف ابن جنى - من اتباع هذا الترتيب - يتجلى من كلامه وكأنه أراد التيسير على الدارسين من الأحداث والأعاجم البعيدين عن أغوار العربية وأسرارها، ويؤيد هذا عبارة وردت فى أصل الكتاب ونبه المحققون للجزء

(١) الخصائص ٢٨٨/٣ وانظر سر الصناعة مخطوطة دار الكتب ٢٩٣.

(٢) المعاجم اللغوية ٢٨ وانظر للموضوع بأسره من ص ٢٠ - ٢٩ من المصدر السابق.

(٣) نفسه ٢٩. (٤) سر الصناعة ٥٠/١.



الأول على أنها ربما تكون زيادة من بعض أصحابه أو القراء، وهي: «وإنما اختار - أدام الله له حسن النظر والتسديد وأمده بالتوفيق والتأييد - هذا الترتيب لأنه أسهل مأخذاً، وأقرب متناولاً، لأن أكثر الناس لا يقف على ترتيب الحروف من مخارجها الأصلية إلا بعد التوقيف، فبدأ بالهمزة ثم يتبعها الحروف»<sup>(١)</sup>، وهذه ناحية تعليمية لا يليق بآبن جنى أن تصرفه عن الغاية الأسمى، وهي الدراسة الصوتية العميقة التي هي الهدف المنشود من الكتاب، ولذلك كان ينبغي أن يسلك السبيل التي سلكها الخليل وسيبويه وهو الترتيب الصوتي، إذ الكتاب الذي يضم هذه المعاني الدقيقة من علم الصوتيات لم يؤلفه لعامة الناس، بل لخواص الباحثين من أرباب اللغة وفرسانها<sup>(٢)</sup>.

وعلى الرغم من ذلك فآبن جنى قد اتبع الطريق الذي ارتآه لنفسه، وبنى عليه كتابه «سر الصناعة» فبدأ بالهمزة، وختم بالياء على الترتيب المألوف، وقبل أن يشرع في تفصيل المعاني اللغوية التي تتعلق بكل حرف من ناحية أصالته وزيادته وإبداله تحدث عن مخارج الحروف وأقسامها، وهذا هو ما يعنينا الآن لأنه ناحية صوتية لها أهميتها اللغوية.

## أصوات اللين

### رأى القدماء

درج القدماء على تسمية الواو والياء والالف بأسماء مختلفة تبعاً لأوضاع مختلفة كذلك، فيسمونها حروف علة إذا قابلت حرفاً أصلياً، لا فرق بين أن تكون متحركة أو ساكنة، أما إن سكنت مع عدم مجانسة الحركة السابقة عليها لها فهي حروف لين، كسبع وقول، وإن سكنت مع مجانسة الحركة السابقة عليها لها فهي حروف مد مثل «وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ...» (٥١) [سبا]، وسور ونور وقال وباع، والالف حرف مد دائماً لأنها لا تقع إلا بعد فتحة وهي الحركة المجانسة لها، وإلا غيرت إلى حرف آخر، واو إن سبقت بضمة، وياء إن سبقت

(١) نفسه ٧٧/١ .

(٢) مقدمة سر الصناعة ٢٠/١ .

بكسرة مثل ضارب وضُوب ومصباح ومُصَيِّح في التصغير<sup>(١)</sup> تلك وجهة الأقدمين، ومعنى هذا أنهم فرقوا بين تلك الحروف الثلاثة وبين غيرها من سائر الحروف الهجائية، وقد فرق المحدثون أيضاً بين تلك الأصوات وغيرها، فاهتدوا بعد تجارب علمية إلى تقسيم الأصوات إلى قسمين رئيسيين سمو الأول منهما Consonants والثاني Vowels ويمكن تسمية القسم الأول بالأصوات الساكنة، والثاني بأصوات اللين<sup>(٢)</sup>، وقد سمي المحدثون هذه الحروف باسم أصوات اللين إذا انطلقت مع الهواء المندفَع من الرئتين دون عائق يحجز الهواء في أية منطقة من مناطق النطق، وهذا يوافق ما سماه الأقدمون باسم حروف المد<sup>(٣)</sup>، وقبل أن نعرض لرأى المحدثين في تلك الحروف يلزمنا أن نسوق رأى ابن جنى وغيره من علماء العربية الأقدمين لنرى - بعد ذلك - أن المحدثين قد استفادوا نظرياتهم الحديثة من تلك الآراء القديمة، إلا أنهم أوضحوها، وفصلوا أمرها، بناء على ما وصل إليه العلم الحديث من تجارب، وما جد فيه من آلات ووسائل ساعدتهم على ذلك بمساعدة فعالة، ويعترف المحدثين أنفسهم نرى أن وصف القدماء لهذه الأصوات يشبه إلى حد كبير علاج المحدثين<sup>(٤)</sup> وتقسيم القدماء للأصوات لا يفرق عن تقسيم المحدثين إلا في التسمية والاصطلاحات فقط، وهي التعبير بالمجهور بمعنى صوتى عند المحدثين وبالمهموس بمعنى غير صوتى، وشديد بمعنى أنى ورخو بمعنى متماد<sup>(٥)</sup>، وعلى رأس علماء العربية الذين أرسوا دعائم الدراسات الصوتية وعالجوا هذا الموضوع بدقة فائقة عالمنا ابن جنى، فقد عرض لأصوات اللين عرضاً مفصلاً وفق فيه - على ما أرى - إلى حد كبير، فوصف حروف اللين الثلاثة باتساع المخارج، فقال: والحروف التي اتسعت مخارجها ثلاثة: الألف ثم الياء ثم الواو وأوسعها وألينها الألف<sup>(٦)</sup> ومعنى ذلك أنه يعرف لهذه الأصوات ما لمح فيها

(١) التجويد والأصوات ٢٧. (٢) الأصوات اللغوية ٢٧.

(٣) التجويد والأصوات ٢٧ والأصوات اللغوية ٢٧.

(٤) الأصوات اللغوية ٨٦. (٥) التطور النحوى ٨.

(٦) سر الصناعة ٨/١ ووجهة ابن جنى في أنها تنطلق مع الهواء دون عائق تنفق مع وصف الخليل لهذه الأصوات الثلاثة فقد جعلها من الجوف وسماها حروفاً هوائية. انظر ص ٥٧٣ من كتابنا.

المحدثون، فهي تنطلق مع الهواء دون عائق في أية منطقة من مناطق النطق، سواء في الحلق أو الفم إلى الشفتين، وقد فرق عالمنا ابن جنى بين الحروف الثلاثة من حيث كيفية النطق بها، ومواقعها من الحلق واللسان والشفتين، وتلك نظرة دقيقة نلمحها عند عرضنا لأصوات اللين المعيارية، ومقاييس أصوات اللين التي اتفق عليها المحدثون من علماء الأصوات، واهتم بها دانيال جونز العالم اللغوى الإنجليزى، فقد قال ابن جنى: إن الصوت الذى يجرى فى الألف مخالف للصوت الذى يجرى فى الياء والواو، والصوت الذى يجرى فى الياء مخالف للصوت الذى يجرى فى الألف والواو، والعلة فى ذلك أنك تجد الفم والحلق فى ثلاث الأحوال مختلف الأشكال، أما الألف فتجد الحلق والفم معها مفتحين غير معترضين على الصوت بضغط أو حصر، وأما الياء فتجد معها الاضراس سفلا وعلواً قد اكتنفت جنبتي اللسان، وضغطته وتفاج الحنك عن ظهر اللسان، فجرى الصوت متصعداً هناك، فلأجل تلك الفجوة ما استطال، وأما الواو فتضم لها معظم الشفتين، وتدع بينهما بعض الانفراج ليخرج فيه النفس ويتصل الصوت، فلما اختلفت أشكال الحلق والفم والشفتين مع هذه الأحرف الثلاثة اختلف الصدى المنبعث من الصدر وذلك قولك فى الألف أ ا وفى الياء إى وفى الواو أو<sup>(١)</sup>.

وفى اعتقادى أن هذا الوصف دقيق، يدل على إرهاب حس، وسلامة طبع، بحيث حدد الشكل العام لمخارج تلك الحروف، من اللسان والحلق والشفة، وأوضاع تلك الأعضاء حال النطق بهذه الأصوات، بما فتحت الطرق أمام المحدثين ليحددوا مخارجها بالآلات الحديثة، بارتفاع أو انخفاض مقدم اللسان أو مؤخره فى الفم، وتقسيمهم لها إلى أصوات لين ضيقة ومتسعة، وأمامية وخلفية، على ما يتبين فى حديثنا عن آرائهم، وكما تحدث ابن جنى عن أصوات اللين الطويلة (وهى ما عرف عند القدماء بحروف المد) تحدث أيضاً عن أصوات اللين القصيرة وهى الحركات، فقد أوضح فى كتابه «سر الصناعة» أن الحركات أبعاض حروف المد واللين، وهى الألف والياء والواو، فكما أن هذه الحروف ثلاثة فكذلك

(١) سر الصناعة ٨/١، ٩.



الحركات ثلاث، وهى: الفتحة والكسرة والضمة، فالفتحة بعض الالف، والكسرة بعض الياء، والضمة بعض الواو<sup>(١)</sup>، وقد استأنس ابن جنى لرأيه ذلك بأن متقدمى النحاة كانوا يسمون الفتحة الالف الصغيرة، والكسرة الياء الصغيرة والضمة الواو الصغيرة، ثم قال: وقد كانوا فى ذلك على طريق مستقيمة<sup>(٢)</sup>، وقد ساق ابن جنى أدلة كثيرة يؤيد بها وجهة نظره فى أن الحركات أبعاض حروف المد وهى:

١- أنك متى أشبعت واحدة منهن حدث بعدها الحرف الذى هى بعضه، وذلك نحو فتحة عين (عَمَرَ) فإنك إن أشبعتها حدثت بعدها ألف، فقلت عامر، وكذلك كسرة عين (عَنَب) إن أشبعتها نشأت بعدها ياء ساكنة وذلك قولك عينب، وكذلك ضمة عين (عَمَرَ) لو أشبعتها لانشأت بعدها واو ساكنة، وذلك قولك عُوَمَر، فلولا أن الحركات أبعاض لهذه الحروف، وأوائل لها لما تنشأت عنها، ولا كانت تابعة لها<sup>(٣)</sup>، ويؤكد ذلك عندك أيضاً أن العرب ربما احتاجت فى إقامة الوزن إلى حرف مجتلب ليس من لفظ البيت، فتشبع الفتحة فيتولد من بعدها ألف، وتشبع الكسرة فيتولد من بعدها ياء وتشبع الضمة فتتولد من بعدها واو، أنشدنا أبو على لابن هرمة يرثى ابنه:

وَأَنْتَ مِنَ الْغَوَائِلِ حِينَ تُرْمَى وَمِنْ ذَمِّ الرُّجَالِ بِمُتَزَّاحٍ

أراد: بمتزح فأشبع فتحة الزاى، فحدثت بعدها ألف، ومثله قول الفرزدق:

تَنْفِي يَدَاهَا الْحَصَى فِي كُلِّ هَاجِرَةٍ نَفَى الدَّرَاهِيمِ تَنْقَادُ الصَّيَارِفِ

أراد: الصيارف، فأشبع الكسرة فتولد عنها ياء، فأما الدراهم فلا حجة

فيه، لأنه يجوز أن يكون جمع درهام، وأنشدنى أيضاً:

وَأَنْنَى حَيْثُمَا يُشْرِى الْهَوَى بَصْرِى مِنْ حَيْثُمَا سَلَكُوا أَدْنُو فَأَنْظُرُ<sup>(٣)</sup>

(١) نفسه ١٩/١، وانظر الكتاب ٣١٥/٢. (٢) سر الصناعة ٢٠/١.

(٣) له روايات متعددة: حيثما - حوثما - يسرى - يشرى - أدنو - أننى، ويسرى: يلقى من سرى الثوب عنى: ألقيته، ويشرى - بضم الياء: يُميل أو يحرك. سر الصناعة ٣٠/١، والخصائص ٤٢/١، ٣١٥/٢، ٣١٦، واللسان ١٥٩/١٩.

١ يريد أنظر فأشبع ضمة الظاء فنشأت عنها واو.

ومن هنا سميت تلك الأصوات الناقصة حركات، لأنها تخلق الحرف الذى تقترب به، وتجذب به نحو الحروف التى هى أبعاضها، فالفتحة تجذب الحرف نحو الالف، والكسرة تجذب نحو الياء، والضمة تجذب نحو الواو، ولا يبلغ الناطق بها مدى الحروف التى هى أبعاضها، فإن بلغ بها مداها تكملت له الحركات حروفًا أعنى ألفًا وياء وواو<sup>(١)</sup>.

٢- أنك لو تكلفت الكسرة قبل الواو الساكنة المفردة، أو الضمة قبل الياء الساكنة المفردة لتجشمت فيه مشقة وكلفة لا تجدها مع الحروف الصحاح، وذلك نحو فعل من القول والطول وأصله أن تقول قول وطول ثم تستقل ذلك فتقلب الواو إلى الكسرة قبلها ياء، فتقول: قيل وطيل، وقد قالتها العرب مقلوبين هكذا، ونحوهما ميزان وميعاد وميقات، كل هذه من الواو فى وزن ووقت ووعد، وكذلك موسر وموقن وأصلهما ميسر وميقن فكرهوا الياء بعد الضمة فأبدلوا واوًا، وكذلك إن انكسر ما قبل الالف أو انضم قلبت للكسرة ياء وللضمة واوًا، وذلك الياء فى قراطيس وإنما هى بدل من ألف قرطاس والواو فى ضويرب إنما هى بدل من الالف فى ضارب، وإنما قلبت هذه الحروف بعد هذه الحركات لأنك إذا بدأت بالكسرة فقد جئت ببعض الياء وأذنت بتمامها، فإذا تراجعت عنها إلى الواو فقد نقصت أول قولك بآخره، وخالفت بين طرفيه، وكذلك إذا بدأت بالضمة ثم جئت بعدها بالياء فقد جئت بأمر غير المتوقع، لأنك لما جئت بالضمة توقعت الواو فإذا عدلت إلى الياء فقد ناقضت بآخر لفظك أوله<sup>(٢)</sup>.

٣- وإذا كانت الحروف الساكنة تطول بالتشديد، ويمتد نطقها مثل شبّ ودبّ، وكذلك المدغمة فيما بعدها مثل النون الساكنة مع الحروف التى تخفى معها كان هذا أولى بحروف المد، فإنك تقول مع الإدغام: شابة ودابة وبطيّب بكر

(١) سر الصناعة ٢٧/١، ٢٨، ٢٩، ٣٠ وانظر الخصائص ٢/٢١٥، ٣١٦.

(٢) سر الصناعة ٢١/١، ٢٢.

ويسير رأشد وتُمَوَّد والثوب وقد قُوصَّ زيد بما عليه، وكذلك إذا وقعت بعدهن الهمزة ازددن طولاً وامتداداً وذلك نحو يشاء ويداء<sup>(١)</sup> ويسوء ويهوء<sup>(٢)</sup> ويجيء ويفيء... أفلا ترى إلى زيادة المد فيهن بوقوع الهمزة والمدغم بعدهن، وهن في كلا موضعيهن يسمين حروفاً كوامل، فإذا جار ذلك فليست تسمية الحركات حروفاً صغاراً بأبعد في القياس منه<sup>(٣)</sup>، وإطالة صوت اللين في هذه الحالة محافظة عليه، لثلاً يتأثر بمجاورة الهمزة أو الإدغام، لأن الجمع بين صوت اللين والهمزة كالجمع بين متناقضين، إذ الأول يستلزم أن يكون مجرى الهواء معه حراً طليقاً، وأن تكون فتحة الزمار حين النطق به منبسطة منفرجة، في حين أن النطق بالهمزة يستلزم انطباق فتحة الزمار انطباقاً محكماً، يليه انفراجها فجأة، وإطالة صوت اللين مع الهمزة يعطى المتكلم فرصة ليتمكن من الاستعداد للنطق بالهمزة التي تحتاج إلى مجهود عضلي كبير، وإلى عملية صوتية تباين كل اللياقة الوضع الصوتي التي تتطلبه أصوات اللين، وكذلك حين يلي صوت اللين صوت مدغم، فطبيعة اللغة العربية تستلزم قصر أصوات اللين الطويلة حين يليها صوتان ساكنان فبولغ في طوله لثلاً تصيبه تلك الظاهرة التي شاعت في اللهجات العربية قديمها وحديثها، وهذا التأثير بالأصوات المتجاورة يلاحظ في بعض اللغات الأجنبية كما هو في العربية، فقد لاحظ المحدثون أن صوت اللين يزداد طولاً إذا وليه صوت مجهور، فصوت اللين (i) في الكلمة الإنجليزية (bid) أطول منه في الكلمة (bit) وكذلك لاحظوا أن الصوت الساكن يكون أطول إذا سبقه صوت لين قصير والعكس بالعكس، فالنون في (pin) أطول منها في (men) والنون في (man) أقصر من الاثنين لأن صوت اللين (a) أطول من (e) وهذه أطول من (i)<sup>(٤)</sup>.

وما حكاه ابن جنى هو ما يسميه القراء بالمد المتصل، وهو ما وقع فيه الهمز مع المد في كلمة واحدة والمد اللازم الضروري، وهو ما وقع فيه بعد حرف المد

(١) داء الرجل يداء بوزن شاء يشاء: إذا صار في جوفه الداء.

(٢) هاء بنفسه إلى المعالي يهوء هوءاً: رفعها وسما بها.

(٣) سر الصناعة ١٩/١، ٢٠.

(٤) الأصوات اللغوية ١٠٨، ١٠٩، bid: يأمر - bit: يقض - pin: دبوس - men: رجال -

man: رجل.

ساكن أصيل، والمد العارض للسكون وهو ما جاء فيه بعد حرف المد سكون عارض، كما أوضح ذلك أستاذنا الدكتور نجما<sup>(١)</sup>.

٤- صوت اللين كما يطول - فى بعض الأحيان - يقصر أيضاً فى أحيان أخرى، وهذا يدل على أن الحركة وحرف اللين متشابهان إلى حد كبير، فقد حذفوا هذه الحروف للجزم، فقالوا: لم يخش ولم يسع ولم يرم ولم يغز، وقد عد ابن جنى ذلك الحذف نظيراً لحذف الحركات فى نحو لم يقم ولم يقعد<sup>(٢)</sup> فقد أجروا - إذا - الحرف مجرى الحركة.

٥- وكذلك أجرى العرب الحركة مجرى الحرف، فأجازوا صرف هند اسم امرأة معرفة، فإذا تحرك الأوسط منعوه الصرف معرفة البتة، وذلك نحو قدم فصارت الحركة فى منع الصرف بمنزلة الياء فى زينب والالف فى عناق ونحوهما فى منع الصرف<sup>(٣)</sup>.

٦- ومن مشابهة الحركة للحرف أنك تفصل بها، ولا تصل إلى الإدغام معها، كما تفصل بالحرف ولا تصل إلى الإدغام معه، وذلك قولك: وتد ويظد فحجزت الحركة بين المتقاربين كما يحجز الحرف بينهما نحو شمليل وحبربر<sup>(٤)</sup>.

٧- ومن ذلك عندى (عند ابن جنى) أن حرفى العلة الياء والواو قد صحا فى بعض المواضع للحركة بعدهما، كما يصحان لوقوع حرف اللين ساكناً بعدهما، وذلك نحو القود والحوكة والخوكة والغيب والصيد وحول وروع وإن بيوتنا عورة... ﴿٣٤﴾ [الأحزاب] فيمن قرأ كذلك بكسر واو عورة، فجرت الياء والواو هنا فى الصحة لوقوع الحركة بعدهما مجراهما فيها، لوقوع حرف اللين ساكناً بعدهما، نحو القواد والخواكة والخوكة والغياب والصياد وحويل ورويع وإن بيوتنا عورة، وكذلك ما صح من نحو قولهم هيئ الرجل من الهيئة هو جار

(١) التجويد والأصوات ص ٩٦ وإتحاف فضلاء البشر ط ١٣٥٩ هـ ص ٣٧-٤٤ والقول المفيد ١٣٢-١٣٤.

(٢) سر الصناعة ٣٠ / ١ والخصائص ٣١٦ / ٢، ٣١٩.

(٣) ناقة شمليل: سريعة - الحبربر: الجمل الصغير. انظر الخصائص ٣٢٠ / ٢.

مجرى صحة هيّوء لو قيل، فاعرف ذلك مذهباً في صحة ما صح من هذا النحو لطيفاً غريباً<sup>(١)</sup>.

٨- ومن ذلك أنك إذا أضفت الرباعي المقصور أجزت إقرار الالف، وقلها واولاً نحو الإضافة إلى حبلَى إن شئت قلت: حبلَى وهو الوجه، وإن شئت حبلوَى، فإذا صرت إلى الخمسة حذفت الالف البتة أصلاً كانت أو رائدة، وذلك نحو قولك في حُبَارَى: حُبَارَى، وفي مصطفى: مصطفى، وكذلك إن تحرك الثاني من الرباعي حذفت ألفه البتة، وذلك قولك في جَمَزَى: جمزَى، وفي بَشَكَى: بَشَكَى، ألا ترى إلى الحركة كيف أوجبت الحذف كما أوجب الحذف الزائد على الأربعة، فصارت حركة عين جَمَزَى في إيجابها الحذف بمنزلة ألف حُبَارَى وياه خيزلى<sup>(٢)</sup>.

٩- ومن مضارعة الحرف للحركة أن الأحرف الثلاثة الالف والياء والواو إذا أشبعن ومطلن أدين إلى حرف آخر غيرهن، إلا أنه شبيه بهن، وهو الهمزة، ألا تراك إذا مطلت الالف أدتك إلى الهمزة، فقلت: آء وكذلك الياء في قولك إِيء وكذلك الواو في قولك أُوء فهذا كالحركة (إذا مطلتها) أدتك إلى صورة أخرى غير صورتها، وهي الالف والياء والواو في متزاح، والصياريف، وأنظور، وهذا غريب في موضعه<sup>(٣)</sup>.

١٠- ومن ذلك أن أقعد الثلاثة في المد لا يسوغ تحريكه وهو الالف، فجرت لذلك مجرى الحركة، ألا ترى أن الحركة لا يمكن تحريكها، فهذا وجه أيضاً من المضارعة فيها<sup>(٤)</sup>.

١١- ومن ذلك أن تاء التانيث في الواحد لا يكون ما قبلها إلا مفتوحاً نحو حمزة وطلحة وقائمة، ولا يكون ساكناً، فإن كانت الالف وحدها من بين سائر الحروف جارت؛ وذلك نحو قطاة وحصاة وأرطاة وحبنطاة، أفلا ترى إلى

(١) نفه ٣٢١/٢ .

(٢) نفه ٣١٩/٢ .

(٣) نفه ٣١٨/٢ .

(٤) نفه ٣١٩/٢ .



مساواتهم بين الفتحة والالف حتى كأنها هي هي، وهذا يدل على أن أضعف الأحرف الثلاثة الالف دون أختيها، لأنها قد خصت هنا بمساواة الحركة دونها.

١٢- حذفت تلك الحروف تخفيفاً كما تحذف الحركات لذلك، وذلك قوله:

فَأَلْحَقْتُ أَخْرَاهُمْ طَرِيقَ الْأَهْمُ      كَمَا قِيلَ نَجْمٌ قَدْ خَوَى مُتَّبَعٌ

يريد: (أولاهم) وقال رؤية:

وَصَانِي الْعَجَّاجِ فِيمَا وَصَّنِي

يريد: فيمَا وَصَّنِي،

وقال الله عز اسمه: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۖ﴾ [الفجر]، ونظيره من حذف

الحركات قوله:

وَقَدْ بَدَأَ هَتَكَ مِنَ الْمُتَزَّرِ

فَالْيَوْمَ أَشْرَبَ غَيْرَ مُسْتَحَقِّبِ

وَمَنْ يَتَّقِ فَإِنَّ اللَّهَ مَعَهُ

وغير ذلك كثير. (١)

١٣- أجريت الالف والياء والواو مجرى الحركات في الإعراب بها في الأسماء الستة وفي التثنية والجمع على حد المثنى (٢).

وقد قال ابن جنى: فقد ثبت بما وصفناه من حال هذه الأحرف أنها توابع للحركات ومتشعبة عنها، وأن الحركات أوائل لها وأجزاء منها، وأن الالف فتحة مشبعة والياء كسرة مشبعة والواو ضمة مشبعة (٣).

وهذه الأدلة التي ساقها ابن جنى بما فيها من فلسفة لغوية ونحوية خرجت بها عن الدقة أحياناً تدل على عمق الباحث، وسعة المادة اللغوية والتمكن منها، ولا غرو فابن جنى حائز قصب السبق في هذا المضمار.

(١) نفسه ٣١٦/٢، ٣١٧، خوت النجوم وأخوت وخوت: أمحلت أو سقطت، ولم تمطر في نوتها. اللسان ١٨/٢٧٠.

(٢) نفسه ٣١٦/٢. (٣) سر الصناعة ٢٦/١، ٢٧.



والذى نأخذه من كلامه هذا أن أصوات اللين قصيرة وطويلة هى الفتحة والضمة والكسرة، وألف المد هى فى الحقيقة فتحة طويلة وواو المد ضمة طويلة وياء المد كسرة طويلة أيضاً، وهى دون مد حركات قصيرة، والفرق بينها فرق فى الكمية فقط، وفى الوقت الذى يستغرقه النطق بكل منها، وهذه نظرة دقيقة وعلمية صائبة أخذها المحدثون من عالمنا اللغوى الكبير، ولم ينتبه إلى هذه النظرية العلمية - بعض القدماء - حين قالوا بوجود حركات قصيرة قبل حروف المد، ففى كلمة عالم يفترضون وجود فتحة قصيرة على العين وبعدها ألف وفى سعيد وجود كسرة تحت العين أيضاً وبعدها ياء وفى عمود وجود ضمة على الميم وبعدها واو، لانه لا وجود للحركات القصيرة فى هذه المواقع، بل الموجود حركات طويلة هى فى الأول فتحة طويلة، وفى الثانى كسرة طويلة، وفى الثالث ضمة طويلة، ولكن الذى أدى إلى ذلك هو الخط الكتابى، وطريقة الإعجام والشكل التى بمقتضاها وضعت فتحة قبل الألف فى الكلمة الأولى، وكسرة قبل الياء فى الثانية، وضمة قبل الواو فى الثالثة. فعالم مكونة من عين مفتوحة + ألف + ل مكسورة + م، وسعيد مكونة من س مفتوحة + ع مكسورة + ياء + دال. وعمود مكونة من ع مفتوحة + م مضمومة + واو + دال. والواقع أنها مكونة كما يلى:

عالم تتكون من ع + فتحة طويلة + ل + كسرة قصيرة + م

سعيد تتكون من س + فتحة قصيرة + ع + كسرة طويلة + د

عمود تتكون من ع + فتحة قصيرة + م + ضمة طويلة + د

ومما جره الخط عليهم من مأخذ فى هذا المجال أنهم رأوا أنه فى بعض الأحيان لا يكتب شيء السبته بين الحروف الصامتة نحو فعل وأحياناً يكتب بينها حرف من حروف المد نحو فاعل فلم ينظروا إلى أن ما ينطق بعد الفاء حركة فى كليهما إلا أنها قصيرة فى الأولى وطويلة فى الثانية، بل ظنوا أنه وإن كانت الفاء

متحركة فى كلتا الحالتين أضيف إلى الحركة فى الحالة الثانية شىء غيرها هو الألف، وهذا الافتراض أدى إلى مشكلات كثيرة<sup>(١)</sup>.

وتبعاً لأن ابن جنى أكد كون الحركات أبعاد حروف المد وتلك نظرية سديدة لنجده يخوض فى نقطة لها علاقة بالبحث فإذا كان الأمر على ما قرره من أن الحركات أبعاد لحروف المد فإنه لابد إذاً من ترجيح القول السائد بأن الحركة تكون بعد الحرف، ولذلك قال فى الخصائص:

«وقد كنا قلنا فيه قديماً قولاً آخر مستقيماً وهو أن الحركة قد ثبت أنها بعض حرف فالفتحة بعض الألف والكسرة بعض الياء والضممة بعض الواو، فكما أن الحرف لا يجمع حرفاً آخر فينشأ معاً فى وقت واحد، فكذلك بعض الحرف لا يجوز أن ينشأ مع حرف آخر فى وقت واحد، لأن حكم البعض فى هذا جار مجرى حكم الكل... فهذا يفسد قول من قال إن الحركة تحدث مع حرفها المتحرك بها أو قبله أيضاً، ألا ترى أن الحرف الناشئ عن الحركة لو ظهر لم يظهر إلا بعد الحرف المحرك بتلك الحركة، وإلا فلو كانت قبله لكانت الألف فى نحو ضارب ليست تابعة للفتحة لاعتراض الضاد بينهما، والحس يمنعك، ويحظر عليك أن تنسب إليه قبوله اعتراض معترض بين الفتحة والألف التابعة لها فى نحو ضارب وقائم ونحو ذلك، وكذلك القول فى الكسرة والياء والضممة والواو إذا تبعتهما، وهذا تناء فى البيان والبروز إلى حكم العيان<sup>(٢)</sup>. وقد عرض ابن جنى للآراء الثلاثة فى محل الحركة من الحرف هل هى قبله أو معه أو بعده، وساق أدلة كل رأى، ثم رجح كونها بعده بأدلة اعتمد عليها ورضى بها، ونحن هنا نذكر تلك الآراء وموقفنا منها.

ذهب سيبويه إلى أن الحركة تحدث بعد الحرف<sup>(٣)</sup> وقال غيره معه، وذهب غيرهما إلى أنها تحدث قبله.

(١) التطور النحوى ٣٣، ٣٤. (٢) الخصائص ٢/٣٢٧.

(٣) نسب الفاكهى لسيبويه القول بمقارنة الحركة للحرف، بمعنى أنها تحدث معه. انظر: مجيب الندا بشرح قطر الندى، ١/٣٠.

### دليل القائلين بأن الحركة تحدث قبل الحرف: كما حكاه ابن جنى

هو إجماع النحويين على قولهم: إن الواو فى يعد ويزن ونحو ذلك إنما حذفت لوقوعها بين ياء وكسرة، يعنون فى يوعد ويوزن ونحوه (لو خرج على أصله) فقولهم بين ياء وكسرة يدل على أن الحركة عندهم قبل حرفها المحرك بها، ألا ترى أنه لو كانت الحركة بعد الحرف كانت الواو فى يوعد بين فتحة وعين وفى يوزن بين فتحة وزاى، فقولهم: بين ياء وكسرة يدل على أن الواو فى نحو يوعد عندهم بين الياء التى هى أدنى إليها من فتحتها، وكسرة العين التى هى أدنى إليها من العين بعدها فتأمل ذلك<sup>(١)</sup>.

### دليل القائلين بأن الحركة تحدث مع الحرف- كما حكاه ابن جنى أيضاً

قال أبو على: يقوى قول من قال: إن الحركة تحدث مع الحرف أن النون الساكنة مخرجها مع حروف الفم من الأنف، والمتحركة مخرجها من الفم، فلو كانت حركة الحرف تحدث من بعده لوجب أن تكون النون المتحركة أيضاً من الأنف، وذلك أن الحركة إنما تحدث بعدها، فكان ينبغى ألا تغنى عنها شيئاً لسبقها فى لحركتها<sup>(٢)</sup>، وروى ابن جنى فى سر الصناعة عن أبى على أيضاً أنه قال مثل ذلك فى الألف، فهى إذا تحركت انقلبت همزة<sup>(٣)</sup>، ثم عقب على ذلك كله- هناك- بقوله: وهو لعمري استدلال قوى<sup>(٤)</sup>.

### أدلة القائلين بأن الحركة تحدث بعد الحرف- كما حكاه ابن جنى

١- الحركة تأتى فاصلة بين المثليين أو المتقاربين مانعة من إدغام الأول فى الآخر فالمثلان نحو: المثلل والضفّف والمشش كما تفصل الألف بعدها بينهما نحو: الملال والضفاف والمشاش<sup>(٤)</sup>، ونحو ذلك قولك: قصص ومضض وطلل وسرر وحضض ومرر وقدد فلولا أن حركة الحرف الأول فى هذين المثليين بعده لما فصلت

(١) الخصائص ٣٢٥/٢ وانظر مجيب الندا بشرح قطر الندى ١/ ٣٠.

(٢) الخصائص ٣٢٤/٢ وسر الصناعة ١/ ٣٧.

(٣) سر الصناعة ٣٧/١ والأشباه والنظائر ١/ ١٥٦.

(٤) الخصائص ٣٢٢/٢.

بينه وبين الذى هو مثله بعده ولو لم تفصل لوجب الإدغام، لانه لا حاجز بين المثلين، فإن ظهر هذان المشلان، ولم يدغم الأول منهما فى الآخر منهما، فظهورهما دلالة على فاصل واقع بينهما، وليس ههنا فاصل البتة غير الحركة المتأخرة عن الحرف الأول<sup>(١)</sup>، وكذلك شددت ومددت، فلن تخلو حركة الأول من أن تكون قبله أو معه أو بعده فلو كانت فى الرتبة قبله لما حجزت عن الإدغام، ألا ترى أن الحرف المحرك بها كان يكون على ذلك بعدها حاجزاً بينها وبين ما بعده من الحرف الآخر<sup>(٢)</sup>، فهذا أمر كما تراه واضح فى المثلين<sup>(٣)</sup>، وأما المتقاربان فنحو قولك فى وتد إذا سكنت التاء لإرادة الإدغام: ود فكانت الحركة فى التاء قبل إسكانها فاصلة بينها وبين الدال، فوجب لذلك الإظهار، فلما سَلَّبت التاء كسرتها وزالت التاء أن تكون حائزاً بينهما بعدها وسكنت، واجتمع المتقاربان أبدلت التاء دالا وأدغمتها فى التاء بعدها كما تقول فى انعت داود: انعداود، فظهور التاء فى وتد ما دامت مكسورة وإدغامها إذا سكنت دلالة على أن الحركة قد كانت بينهما، وإذا كانت بينهما فهى بعد التاء لا محالة فهذه دلالة من القوة على ما ترى<sup>(٤)</sup>.

٢- قولهم: ميزان وميعاد، فقلب الواو ياء يدل على أن الكسرة لم تحدث قبل الميم، لأنها لو كانت حادثة قبلها لم تل الواو فكان يجب أن يقال: موزان وموعاد وذلك أنك إنما تقلب الواو ياء للكسرة التى تجاورها من قبلها فإذا كان بينها وبينها حرف حاجز لم تلها، وإذا لم تلها لم يجب أن تقلبها للحرف الحاجز بينهما<sup>(٥)</sup>.

٣- ودلالة أخرى تدل على أن حركة الحرف بعده، وهى أنك إذا أشبعت الحركة تميمتها حرف مد، كما تقدم من قولنا فى نحو ضَرْب وقَتْل إذا أشبعت حركة الضاد والقاف قلت: ضارب وقاتل وضَرْب وقَتْل إذا أشبعت قلت: ضورب وقوتل وكذلك ضِرَاب وقِتَال إذا أشبعت قلت: ضيراب وقيتال، فكما أن الألف والواو والياء بعد الضاد والقاف فكذلك الفتحة والضممة والكسرة فى الرتبة بعد

(١) سر الصناعة ٣٣/١. (٢) الخصائص ٣٢٢/٢.

(٣) سر الصناعة ٣٤/١ وانظر الاشياء والنظائر ١٥٦/١ ومجيب النداء ٣٠/١.

(٤) الخصائص ٣٢٢/٢.

الضاد والقاف، لأن الحركة إذا كانت بعضها للحرف فالحرف كلُّ لها، وحكم البعض في هذا تابع لحكم الكل، فكما أن الحروف التي نشأت عن إشباع الحركات بعد الحروف المتحركة بها فكذلك الحركات التي هي أبعاضها وأوائل لها وأجزاء منها في الرتبة بعد الحروف المتحركة، وهذا واضح مفهوم لتأمله<sup>(١)</sup>.

### رد ابن جنى على القائلين بأن الحركة تحدث قبل الحرف أو معه

أولاً، تفنيده لأدلة المذهبين،

١- رد على دليل المذهب الأول السابق<sup>(٢)</sup> بأنه ليس معتقداً للنحويين من

موضعين:

(١) أنهم قد أطلقوا جميعاً القول بأن الواو حذفت من يعد ونحوه لوقوعها بين ياء وكسرة، فلو كانوا يريدون المعنى الذى بنى عليه هذا الدليل لكانوا مناقضين وموافقين لمخالفهم وهم لا يعلمون، وهذا أمر مثله لا ينسب إليهم، ولا يظن بهم، فإذا كان كذلك علمت أن غرض القوم فيه ليس ما قدرته ولا ما تصورته، وإنما هو أن قبلها ياء وبعدها كسرة وهما مستثقلتان، فأما أن تماس الواو وتباشرها على ما فرضته وادعيتها فلا، وهذا كثير فى الكلام والاستعمال، ألا ترى أنك تقول: خرجت فسرنا فلما حصلنا بين بغداد والبصرة كان كذا، فهذا كما تراه قول صحيح معتاد، إلا أنه قد يقوله من حصل بدير العاقول، فهو- لعمري- بين بغداد والبصرة، وإن كان أيضاً بين جرجرايا والمدائن، وهما أقرب إليه من بغداد والبصرة، وكذلك الواو فى يوعدهى- لعمري- بين ياء وكسرة، وإن كان أقرب إليها منهما فتحة الياء والعين، وكذلك يقال أيضاً: هو من عمره ما بين الخمسين إلى الستين، فيقال ذلك فيمن له خمس وخمسون سنة فهي- لعمري- بين الخمسين والستين، إلا أن الأدنى إليها الأربع والخمسون والست والخمسون<sup>(٣)</sup>، وهذا الدليل يفهم منه أنهم اعتدوا بوجود الياء بصرف النظر عن الاعتداد بالحركة

(١) سر الصناعة ١/ ٣٤، ٣٥ والخصائص ٢/ ٣٢٧ وقد ذكرنا كلامه فى الخصائص وانظر الاشياء والنظائر ١/ ٥٦.

(٢) انظر ص ٥٥٢. (٣) الخصائص ٢/ ٣٢٥، ٣٢٦.



بعدها واعتدوا بوجود الكسرة بصرف النظر عن الاعتداد بالحرف المحرك بها، فتحقق وجود الواو بينهما دون فاصل وهذا كاف لتحقيق شرط الحذف.

(ب) هذا موضع إنما يستحكم فيه إلى النفس والحس، ولا يرجع فيه إلى إجماع ولا سابق سنة ولا قديم ملة، ألا ترى أن إجماع النحويين في هذا ونحوه لا يكون حجة، لأن كل واحد منهم إنما يردك ويرجع بك فيه إلى التأمل والطبع لا إلى التبعية والشرع<sup>(١)</sup>.

٢- رد على دليل المذهب الثاني - الذى قال به أستاذه أبو على<sup>(٢)</sup> ووصفه بأنه ساقط - عن رأى سيبويه - وهو أن الحركة تحدث بعد الحرف - وغير لازم له، ورد على ذلك بأنه لا ينكر أن يؤثر الشيء فيما قبله من قبل وجوده لأنه قد علم أن سيرد فيما بعد وذلك كثير، فمنه أن النون الساكنة إذا وقعت بعدها الباء قلبت النون ميماً فى اللفظ، وذلك نحو عمير وشعباء فى عنبر وشنباء فكما لا يشك فى أن الباء فى ذلك بعد النون وقد قلبت النون قبلها فكذلك لا ينكر أن تكون حركة النون الحادثة بعدها تزيلها عن الأنف إلى الفم.

بل إذا كانت الباء أبعد من النون قبلها من حركة النون فيها وقد أثرت على بعدها ما أثرته كانت حركة النون التى هى أقرب إليها وأشد التباساً بها أولى بأن تجذبها وتنقلها عن الأنف إلى الفم، وهذا كما تراه واضح<sup>(٣)</sup>. ومما غير مستقدا لتوقع ما يرد من بعده متأخراً ضمهم همزة الوصل لتوقعهم الضمة بعدها نحو أقتل، أدخل، أستضعف أخرج، أستخرج<sup>(٤)</sup>.

ثانياً، أدلة أخرى على فساد الرايين:

١- ومما يفند المذهب الأول "أن الحركة لو كانت قبل الحرف لما جاز الإدغام فى الكلام أصلاً<sup>(٥)</sup>: لأن حركة الثانى كانت تكون قبله حاجزة بين المثلين<sup>(٥)</sup>، ألا

(٢) نفسه ٣٢٤/٢، وانظر ص ٥٥٢ من كتابنا.

(٤) سر الصناعة ٣٢/١.

(١) نفسه ٣٢٦/٢.

(٣) نفسه ٣٢٤/٢، ٣٢٥.

(٥) الخصائص ٣٢٢/٢.



ترى أنك تقول: قطع فتدغم الطاء الأولى فى الثانية، ولو كانت حركة الطاء الثانية فى الرتبة قبلها لكانت حاجزة بين الطاء الأولى وبين الطاء الثانية، ولو كان الأمر كذلك لما جاز إدغام الأولى فى الثانية، لأن الحركة على هذه المقدمة مرتبتها أن تكون قبل الطاء الثانية بينها وبين الأولى وإذا حَجَزَ بين الحرفين حركة بطل الإدغام، فجواز الإدغام فى الكلام دلالة على أن الحركة ليست قبل الحرف المتحرك بها<sup>(١)</sup>.

٢- ومما يفند المذهبين معاً: أننا لو أمرنا مذكراً من الطى ثم أتبعناه أمراً آخر له من الوجل من غير حرف عطف لقلنا: اطوايجل، والأصل فيه: اطواوجل، فلولا أن كسرة واو (اطو) فى الرتبة بعدها لما قلبت واو (اوجل): ياء، وذلك أن الكسرة إنما تقلب الواو لمخالفتها إياها فى جنس الصوت فتجذبها إلى ما هى بعضه، ومن جنسه وهو الياء، ولو كانت الكسرة فى باب (اطو) قبل الواو لكانت الواو الأولى حاجزة بينها وبين الثانية، كما كانت ميم ميزان تكون أيضاً حاجزة بينهما على ما قدمنا، ولا يسجور أن تكون الكسرة مع الواو المتحركة بها، فإن الكسرة على هذا الاعتداد ليست أدنى إلى الواو الثانية من الواو الأولى، وهنا لا تقلب الواو الثانية ياء، لأن الكسرة إذا كانت تريد قلب الواو الثانية فلن الواو الأولى تتطلب بقاءها وليست إحداها أولى من الأخرى فى تنفيذ ما تقتضيه\* فإذا تأدى الأمر فى المعادلة إلى هنا ترافعت الواو والكسرة أحكامهما، فكان لا كسرة قبلها ولا واو، وإذا كان كذلك لم نجد أمراً تقلب له الواو الثانية ياء... فكان يجب على هذا أن تخرج الواو الثانية من اطواوجل صحيحة غير معتلة لترافع ما قبلها من الواو والكسرة أحكامهما وتكافؤهما فيما ذكرناه<sup>(٢)</sup>.

وإذا فقد دل قلب الواو الثانية من (اطواوجل) ياء حتى صارت (اطوايجل) على أن الكسرة أدنى إليها من الواو قبلها، وإذا كانت أدنى إليها كانت بعد الواو المحركة بها لا محالة، فهذا إسقاط قول من ذهب إلى أنها تحدث مع الحرف،

(١) سر الصناعة ٣٢/١. (٢) الخصائص ٣٢٢/٢ - ٣٢٤.

وقول من ذهب إلى أنها تحدث قبله، فإذا بطل هذان ثبت قول صاحب الكتاب وسقطت عنه فصول المقال<sup>(١)</sup>.

وقد رد أبو البقاء - كما نقل السيوطي - الدليل الأول والثالث من أدلة ابن جنى لتقوية رأى سيبويه في أن الحركة تحدث بعد الحرف، قال: الجواب عن الأول: أن الإدغام امتنع لتحصل الأول لتحركه لا لحاجز بينهما كما يتحصن بحركته عن القلب نحو عوض، وعن الثالث من وجهين: أحدهما أن حدوث الحرف عن الحركة كان لأنها تجانس الحرف الحادث، فهي شرط لحدوثه، وليست بعضاً له، ولهذا إذا حذفت الحرف بقيت الحركة بحالها، ولو كان الحادث تماماً للحركة لم تبق الحركة، ومن سمي الحركة بعض الحرف أو حرفاً صغيراً فقد تجوز، ولهذا لا يصح النطق بالحركة وحدها، والثاني: لو قدرنا أن الحركة بعض الحرف الحادث لم يمتنع أن تقارن الحرف الأول كما أنه ينطق بالحرف المشدد حرفاً واحداً، وإن كانا حرفين في التحقيق إلا أن الأول لما ضعف عن الثاني أمكن أن يصاحبه، والحركة أضعف من الحرف الساكن فلم يمتنع أن يصاحب الحرف الحرف<sup>(٢)</sup>.

### تعقيب ورأى

ومن استعراضنا لتلك الآراء، وموقف ابن جنى منها نرى أن عالماً اللغوى قد أصاب فيما ذهب إليه، من وقوع الحركة تالية للحرف، فكلمة كتب مكونة من ثلاثة مقاطع مفتوحة هي ك- ت- ب- يتكون كل منها في رأى المحدثين من: ساكن+ لين قصير، وكلمة فتح مكونة من مقطعين مغلقين هما- فت- حن، وكل منهما متكون من: ساكن+ لين قصير+ ساكن<sup>(٣)</sup> والحركة في ذلك لا تفترق عن صوت المد إذ هو في عرف المحدثين لين طويل فالمقطع الأول من باع وهو (با) مفتوح يتكون من: ساكن+ لين طويل<sup>(٣)</sup> وعالم تتكون من مقطعين: الأول مفتوح

(١) نفسه ٣٢٢-٣٢٤ . (٢) الأشباه والنظائر ١/ ١٥٦ .

(٣) التجويد والاصوات ط الجديدة ٢٨ .

هو (عا) ساكن + لين طويل<sup>(١)</sup> كما أن أدلته التي ساقها تقوم على ذوق لغوى دقيق، وإن الباحث ليدعش كيف يأتى بتلك النتائج الباهرة دون أن تتوافر لديه وسائل الدرس المعاصر فى علم الأصوات، والنقود الموجهة إلى هذا الرأى تتصادم مع حقائق الأشياء، ومع ما أثبتته العلم الحديث بالتجربة والأجهزة الدقيقة، وقد أوضح المستشرق الأستاذ برجستراسر سبب المآخذ على بعض الأقدمين لعدم تصورهم ذلك<sup>(٢)</sup>، وعد ابن جنى أن الحركة بعد الحرف نابع من نظريته الصوتية أن الحركات أبعاض حروف المد التي تعد فى نظر المحدثين أصوات لين قصيرة وطويلة كما أنها عند ابن جنى صغيرة وكبيرة، وبهذا قال الخليل وسيبويه من قبله، والرأى القائل بأن حركة الحرف تحدث قبله غير سديد، وذلك بالرجوع إلى الطبع والتأمل فى النطق، وإخراج الأصوات، فلا يمكن تصور ظهور الحركة قبل وجود حرف تعتمد عليه، فمثلاً إذا تعرضنا بالنطق الصوتى لمثل ب-ت-ج-ق-ل-م- ونحو ذلك فى ابتداء كلامنا لأحسنا ظهور الحرف بصفته الساكنة قبل تصور ورود أى حركة قبله، وعلماء الأصوات تصوروا هذه الحقيقة واضحة عندما أرادوا ذوق الحرف، ومعرفة همسه أو جهره تبعاً لهزه الأوتار الصوتية وعدم هزه لها، فقالوا: إنه يؤتى بالحرف ساكناً مثل (ب) ويوضع الإصبع فوق تفاحة آدم أو فى الأذن أو توضع الكف فوق الجبهة، وهنا يمكن الإحساس باهتزاز الأوتار وعدمه، ف يأخذ الحرف حكمه من الجهر أو الهمس<sup>(٣)</sup>، فكيان الصوت يظهر دون وجود الحركة، بل إن هذا الكيان هو الأساس الذى تعتمد عليه الحركة وتظهر بظهوره، فالخرف كالمحل للحركة وهى كالعرض فيه فهى لذلك محتاجة إليه ولا يجوز وجودها قبل وجوده<sup>(٤)</sup>، ومن هنا قال النحويون إن الحركة تحمل الحرف<sup>(٥)</sup>.

وحقاً وبالرجوع إلى الطبع، واستعمال أجهزة النطق، يتبين لنا عدم إمكان ظهور الحركة ظهوراً صوتياً قبل إحداث الحرف الذى سيتحرك بها، وقد كان رد

(١) التطور النحوى ٣٣، ٣٤. (٢) انظر ص ٥٥٠، ٥٥١ من كتابنا.

(٣) التجويد والأصوات ٦٠ والأصوات اللغوية ٢١.

(٤) سر الصناعة ٣٢/١. (٥) نفسه ٣٦/١.

ابن جنى على دليل من قال بأن الحركة تحدث قبل الحرف ردًا قويًا إلا أنني أعتقد أن الذى دعاهم إلى حذف الواو فى مثل يعد ويزن هو المجاورة الصوتية الطبيعية للياء والكسرة، فالياء مجاورة لها مباشرة، والفتحة لا تمنعها من هذه المجاورة، وكذلك الحرف الذى بعدها، وهو العين مثلاً ظهر صوتيًا مع الكسرة بعد الواو مباشرة فأدى إلى صعوبة حالت دون تمكن جهاز النطق من تأدية هذه الحروف متجاورة.

والرأى القائل بأن الحركة تحدث مع الحرف غير دقيق، مع أنه يقارب الحقيقة، وسبب هذا الخلاف لطف الأمر وغموض الحال<sup>(١)</sup> على المتقدمين وقد أوضحته تجارب العلم الحديث، والذى يمكننا أن نقول به هو: أن الحركة تحدث متصلة بالحرف اتصالاً مباشراً بحيث لا يمكن فصلها عنه، إذ هى التى تؤكد وجود الحرف وتبرزه، وتجعله واضحاً سهل النطق، وهى مع ذلك تحتل به إلى الحرف التى هى بعضه من واو أو ياء أو ألف، وبذلك يزداد تمكن الحرف ووضوحه، وهذه الحركة ما هى إلا صوت لين قصير أو طويل به يتضح المقطع الصوتى ويتم، ومع ذلك لا يمكن الفصل بين الصوت الساكن وصوت اللين فصلاً زمنياً بحيث يصدر هذا بعد ذلك، وهذا ما قرره أستاذنا الدكتور نجما حين قال: ينبغي أن يعلم أن المقطع الصوتى يضم اللوين (أصوات اللين والأصوات الساكنة) حال النطق به كما أنه لا يمكن تجزئته<sup>(٢)</sup>، فالحركة متصلة بالحرف، وتابعة له، لأنها هى التى تنفث فيه الحياة والوجود الصوتى، ولذلك قال الصبان: المراد "تبعيتها له تبعية العارض للمعروض لا تبعيتها له فى الوجود اللفظى، فالتبعية رتبة لا زمانية"<sup>(٣)</sup> وقال ابن جنى - على الرغم من رأيه السابق - "لما كان الحرف أقوى من الحركة، وكان الحرف قد يوجد ولا حركة معه، وكانت الحركة لا توجد إلا عند وجود الحرف، صارت كأنها قد حلت، وصار هو كأنه قد تضمنها"<sup>(٤)</sup>، وبهذا يكون ابن جنى قد أرسى الدعائم القوية للمحدثين ليحددوا أصوات اللين ووظائفها فى اللغات الإنسانية.

(١) الخصائص ٢/ ٣٢١.

(٢) التجويد والأصوات ٢٣.

(٣) الأشمونى مع الصبان ٢/ ٢٣٧.

(٤) سر الصناعة ١/ ٣٦، ٣٧.

## رأى المحدثين

إن نظرات ابن جنى إلى حروف اللين نظرات دقيقة، وبيانه لها اعتمد على إرهاف الحس، وعمق الفكر، وقد كان بيانه هذا ومعه متقدمو اللغويين العرب باعثًا للمحدثين على استنباط ما وصلوا إليه من حقائق علمية خاصة بأصوات اللين، فقد أبان ابن جنى أن هذه الأصوات (حروف المد) لا تصادفها حوائل أو موانع، وتتسع مخارجها، وهذا هو ما سماه الأوربيون vowels وتحدث عن الاتساع بدرجاته، وأوضاع الفم واللسان والشفيتين بما يمكن أن ينسب إلى تقسيم المحدثين لها إلى أصوات لين ضيقة ومتسعة وأمامية وخلفية، وقد كان حديثه أيضًا عن الحركات صائبًا حين اكتشف أنها أصوات لين قصيرة<sup>(١)</sup>، وإذا كان ابن جنى قد اهتم بدراسة أصوات اللين بما لم يعن به السابقون من علماء اللغة فإننا نفخر بهذا الاهتمام، ونشيد به، وذلك لما تبين لنا من أهمية دراسة تلك الأصوات، فقد أثبت المحدثون أهمية هذه الدراسة، وذلك لصعوبة نطق أصوات اللين فى اللغات على اختلافها وتعددتها، بحيث لا يستطيع الإنجليزي أن يقلد النطق الفرنسى أو الألماني ويحدث مثل ذلك لمن يحاول من الفرنسيين أو الألمان محاكاة النطق الإنجليزي لتلك الأصوات، وقد أثبتت التجارب الصوتية أن من السهولة محاكاة نطق الأصوات الساكنة فى اللغات المختلفة، لأن طبيعتها لا تختلف كثيرًا من لغة لأخرى، ولهذا فليست من الأهمية بحيث تضطربنا إلى وضع مقاييس مضبوطة لها فى كل لغة، بل يكفى لدراستها فى كل لغة وصف مخارجها وصفًا دقيقًا<sup>(٢)</sup>، ولكن أصوات اللين يختلف نطقها، وطبيعته باختلاف اللغات بحيث لا تتفق لغتان فى ذلك، ومن هنا صعب تعلم تلك الأصوات وهذه الصعوبة لها أسباب متعددة منها:

١- أن الفرق بين أصوات اللين كبير جدًا بحيث لا تتفق لغتان على نطق صوت منها، فالألف (a) والياء (i) والواو (u) تختلف بين الإنجليزية والفرنسية

(١) انظر ما سبق بيانه من هذا رأى من ص ٥٤١ - ٥٥١ من كتابنا.

(٢) الأصوات اللغوية ٣٢.



والألمانية وغيرها، بل إن لهجات اللغة الواحدة يختلف فيها نطق هذه الأصوات، بحيث لا يمكن تحديد اتجاه واحد لها على الرغم من تفرعها من أصل واحد.

٢- شيوخ أصوات اللين في الكلام، وهذا يترتب عليه وضوح الخطأ الصوتي لمن لا يعرف نطقها الصحيح.

٣- تمتاز هذه الأصوات بالوضوح التام بخلاف الأصوات الساكنة وهذا مما يسبب الخطأ في نطقها<sup>(١)</sup>.

ومن أجل ذلك كانت عناية المحدثين بأصوات اللين، وبوضع مقاييس لها من عدة لغات مشهورة، وذلك ليتمكن بمعرفتها الوقوف على أصوات اللين في أية لغة، وبذلك يسهل تعلمها، وقد كان على رأس المهتمين بذلك دانيال جونز الأستاذ بجامعة لندن، فقد أجرى تجارب صوتية استنتج منها مقاييس عامة لتلك الأصوات، وسجلها فوق أسطوانات يمكن الحصول عليها لمن يشاء من المشتغلين بالدراسات الصوتية وتعلم اللغات. . . وقد نظر الأستاذ (دانيال جونز) في تحديد تلك المقاييس إلى وضع اللسان من مقدمه ومؤخره في صعوده وهبوطه، بالنسبة للحنك الأعلى (سقف الحنك الصلب) كما نظر إلى الشفتين من حيث انفراجهما، وضمهما واتخاذهما وضعاً محايداً، وقد ربط بين اللسان والشفيتين بلا انفصال حال النطق:

١- إذا ارتفع أول اللسان إلى الحنك الأعلى، واتخذ أقصى ما يمكن من الارتفاع بحيث يكون بين اللسان والحنك الأعلى فراغ يسمح للهواء بالمرور دون إحداث حفيف، والشفتان في حالة انفراج تام، يبرز أول مقياس لأصوات اللين عند المحدثين، وهو ما يشبه في اللغات الأجنبية حرف (i) ويقابل في العربية الكسرة المرفقة حين يكون قصيراً<sup>(٢)</sup> وياء المد حين يكون طويلاً، وعدّ المحدثون هذا

(١) التجويد والأصوات ٢٧، ٢٨ والأصوات اللغوية ٣٠، ٣١.

(٢) هي التي تكون غير متأثرة بأصوات النفخيم (ص ض ط ظ، خ غ ق) كما نسمعها من قراء (مصر) حين يلتزمون قراءة حفص.



الصوت أول أصوات اللين، لأن أول اللسان لو ارتفع أكثر من هذا نحو الحنك الأعلى لسمع حفيف يظهر معه صوت ساكن هو الذى نسميه بالياء ومن هنا يبدأ تحديد موضع الحروف الساكنة.

٢- وإذا هبط أول اللسان إلى أقصى ما يمكن أن يصل إليه فى الفم، بحيث يستوى فى قاعه مع انحراف قليل فى أقصى اللسان نحو أقصى الحنك، والشفتان أيضاً فى حالة انفراج تام، يبرز المقياس الثانى، ويرمز إليه فى اللغات الأجنبية بالحرف (a) ويقابل فى العربية الفتحة المقخمة حين يكون قصيراً<sup>(١)</sup> وآلف المد المقخمة حين يكون طويلاً<sup>(٢)</sup>.

وبين أقصى ما يصل إليه اللسان فى صعوده وهبوطه مرحلتان صوتيتان يتكون عند كل منهما صوت لين خاص، فاللسان فى هبوطه من وضع (i) إلى وضع (a) ينتج صوتين رمز لهما بالتدرج (e, é)<sup>(٣)</sup>.

٣- فإذا ارتفع أقصى اللسان إلى آخر حد ممكن نحو الحنك الأعلى، بحيث يترك من الفراغ ما يسمح بمرور الهواء دون حفيف، حدث صوت اللين الذى يرمز له فى اللغات الأجنبية بالرمز (u)، وهنا تكون الشفتان فى كامل استدارتهما، ويقابل هذا الصوت فى العربية الضمة المرققة حين يكون قصيراً وواو المد حين يكون طويلاً، فإذا ارتفع أقصى اللسان إلى وضع يضيق معه مجرى الهواء بحيث يسمع له حفيف أدى ذلك إلى إنتاج صوت الواو التى ليست مدّاً فى مثل نوم وصوم.

٤- وإذا انخفض أقصى اللسان إلى الحالة الطبيعية فى الفم نجم لنا صوت (a) فى الإنجليزية.

(١) تفخم مع أصوات التفخيم السابقة.

(٢) هى ما سبقت بحرف مطبق مثل صام وطار.

(٣) تقرأ من اليمين إلى اليسار، ويمثل الصوت الأول فى العربية الألف المعالة إمالة خفيفة، ويمثل الثانى الألف المعالة إمالة شديدة، والكسرة المقخمة (مع أصوات الإطباق).

وبين المرحلتين السابقتين من صعود أقصى اللسان وهبوطه يلاحظ تكون صوتي لين يرمز لهما بـ (o, d) على الترتيب، وبهذا تكونت ثمانية مقاييس لأصوات اللين، تبدأ بالصوت (i) وتنتهى بالصوت (u) وقد سميت بالمعيارية لاحتدائها في جميع اللغات، ولذلك استخدم المحدثون في إيضاحها عدة كلمات من لغات مختلفة، فالأصوات (a - â - ê - è - i) تتمثل في الكلمات الفرنسية الآتية على الترتيب Pas-La-Mêm-the-si والصوت (d) يتمثل في الكلمة الألمانية Sonne والصوت (o) في الكلمة الفرنسية rose والصوت (u) في الكلمة الألمانية gut<sup>(١)</sup>، وهذه الأصوات مسجلة على أسطوانات من أشهرها B.804 في أكسفورد ولندن، ويمكن للباحث بواسطتها التعرف على أصوات اللين في اللغة التي يريد دراستها بسهولة.

### أقسام أصوات اللين

تنقسم أصوات اللين بحسب الجزء المرتفع من اللسان، ونسبة صعوده ووضع الشفتين إلى أقسام مختلفة، فبالنظر إلى جزء اللسان الذي يصعد أو يهبط ينقسم إلى:

- (١) أصوات لين أمامية: وهي i و a وما بينهما، لأنها تخرج من أول اللسان في صعوده نحو الحنك الأعلى، وهبوطه إلى قاع الفم.
- (٢) أصوات لين خلفية: وهي u و a وما بينهما، وذلك لأن أقصى اللسان هو الذي يتسبب في ظهور هذه الأصوات، بصعوده إلى الحنك الأعلى، وهبوطه إلى درجة الاستواء في الفم.
- (٣) أصوات لين وسطى: وهي التي تنتج من وسط اللسان، وهي (d) في مثل كلمة about.

وبالنظر إلى نسبة صعود مقدم اللسان أو مؤخره تنقسم إلى:

(١) معانى الكلمات على الترتيب: إذا - شأى - نفس الشيء - أداة تعريف المثلث - جزء أداة النفى بمعنى لا يوجد - الشمس - ورد - طيب.

(١) أصوات لين ضيقة: وهي i و u وفيها يصل الجزء المرتفع من اللسان إلى أقصى درجة في الارتفاع.

(٢) أصوات لين متسعة: وهي a و a وذلك حين يهبط اللسان إلى وضعه الطبيعي، وبذلك يكون الفراغ بين اللسان والحنك الأعلى في غاية الاتساع... وقد فصل أستاذنا الدكتور نجما ذلك على مستوى أدق من الناحية الصوتية واللغوية وأضاف قسمين آخرين على الوضع التالي.

(٣) أصوات لين نصف ضيقة: وهي التي يكون اللسان حال نطقها في ثلث المسافة بين الضيقة والمتسعة ويمثله (o و e).

(٤) أصوات لين نصف متسعة: وهي التي يصل اللسان بها حال نطقها إلى ثلثي المسافة بين الضيقة والمتسعة وتمثل في (d و ê).

كما أوضح سيادته تقسيم أصوات اللين بالنظر إلى وضع الشفتين على الوجه التالي:

(١) أصوات لين منفرجة: وتنفرج معها الشفتان تمامًا وهي i.

(٢) أصوات لين مضمومة ضمًا شديدًا: وهي التي تنضم معها الشفتان وتكمل استدارتهما وتمثل في u.

(٣) أصوات لين مضمومة ضمًا خفيفًا: تبعًا لانضمام الشفتين ضمًا خفيفًا وتمثل في o.

(٤) أصوات لين محايدة: وهي التي تكون الشفتان حال نطقها في وضع محايد ويمثلها الصوت (d)<sup>(١)</sup>.

وبوجه عام نلاحظ أن الشفتين تنفرجان مع الأصوات (a - ê - é - i) دون استدارة أو بروز، وأما في حالة الأصوات (u - o - d - a) فتبدأ الشفتان في الاستدارة حتى تصل إلى أقصى ما تصل إليه من كمال في الاستدارة مع الصوت (u)<sup>(٢)</sup>.

(١) التجويد والأصوات ٣٢، ٣٣ وانظر العربية ولهجاتها د. أيوب ص ١٩، ٢٠.

(٢) الأصوات اللغوية ٣٦.

### تطبيق نظرية دانيال جونز على أصوات اللين في العربية

إن نطق أصوات اللين - كما رواها ابن جني وغيره من علماء اللغة العرب - لا يمكن التعرف عليها، نظراً لبعده الزمن وانقراض النطق الفصيح، ولكننا يمكن أن نستفيد من ترتيل القرآن الكريم على لسان القراء في عصرنا الحاضر بحسب القراءات المتواترة<sup>(١)</sup> لتيسر تسجيل هذه الأصوات، والحكم عليها بالحكم الصادق، بناء على السماع والتسجيل<sup>(٢)</sup> كما يقول أستاذنا الدكتور نجما<sup>(٣)</sup>، فالكسرة - بحسب ما ينطقه القراء في قراءة حفص - تشبه الرمز الاجنبي (i) إلا أنه يلحظ أن ارتفاع اللسان مع الكسرة أقل من ارتفاعه مع الحرف (i) فتكون الكسرة حركة ضيقة، كذلك يلحظ أن أعلى نقطة في مقدمة اللسان حين النطق بالكسرة العربية لا تكون متحدة مع أعلى نقطة في المعيارية الأصلية، ولكنها تكون خلفها، فهي وإن كانت حركة أمامية ليست منطبقة مع المعيارية الأصلية في هذا الوصف<sup>(٤)</sup>. فإذا تأثرت الكسرة بأصوات التفخيم (الصاد، الضاد، الطاء، الظاء) وربما أيضاً (الخاء، الغين، القاف) نلاحظ ميل هذا الصوت قليلاً نحو ذلك المقياس الذي يرمز إليه بالرمز (e) وبخاصة مع حروف الإطباق التي تتطلب اتخاذ اللسان شكلاً مقعراً<sup>(٥)</sup>، والفتحة في العربية قريبة من المقياس الذي يرمز إليه بالرمز (a)، ولكنها لا تشبهه تماماً، فاللسان مع الحركة العربية يكاد يكون مستوياً في قاع الفم مع ارتفاع طفيف في وسطه، بخلاف المعيارية التي تشبه الفتحة، فالذي يرتفع هو مؤخر اللسان بصورة تختلف عن الفتحة العربية<sup>(٦)</sup> وإذا تأثرت بأصوات التفخيم فإنها تتجه قليلاً إلى الرمز (a)<sup>(٧)</sup> واللسان كذلك مع اللين الثالث (u) يختلف وضعه بين المعيارية والعربية فليس على نسق متحد كما يقول الدكتور نجما<sup>(٨)</sup> ولكن الدكتور أنيس يرى أنهما منطبقان تمام الانطباق إذ لم تتأثر الضمة العربية بالأصوات المستعلية<sup>(٩)</sup>.

(١) التجويد والأصوات ٣٤.

(٢) نفسه ٣٥.

(٣) الأصوات اللغوية ٤١، ٤٢.

(٤) الأصوات اللغوية ٤٢.

(٥) التجويد والأصوات ٣٥.

(٦) الأصوات اللغوية ٤٢.

(٧) التجويد والأصوات، ص ٣٥.

ولكن الواضح أن أصوات العربية اللينة لها اتجاه خاص شأنها في ذلك شأن أصوات اللين في اللغات الأخرى، لا تتفق مع غيرها، وإنما تتقارب فقط، فالأحق بالقبول هو ما ذكره أستاذنا الدكتور نجا من أن بينهما تشابهاً على وجه التقارب، والحقيقة أن وضع اللسان يختلف بينهما "لأن اللسان حال النطق بالضم يكون ارتفاع مؤخره أقل من ارتفاعه حال النطق بمشابهه المعيارى الذى سبق ذكره"<sup>(١)</sup>، هذا بالنسبة للحركات الأصلية.

وأما بالنسبة للحركات الفرعية فلا يمكن وصفها، ومقارنتها بالمعيارية على الوضع الذى رواه ابن جنى وذكرناه فيما سبق؛ لأن هذا يتطلب الرجوع إلى اللهجات العربية القديمة والبحث فيها للوقوف على طبيعة هذه الأصوات، وذلك من الأمور الشاقة العسيرة، ولكننا نكتفى بما شاع بين القراء، وهو الفتحة الممالة نحو الكسرة، فإذا كانت الإمالة شديدة كانت قرية الشبه بالمقياس (ع) كما فى إمالة كلمة (موسى) إمالة شديدة، أما فى الإمالة الخفيفة فتشبه الفتحة المقياس (ع) مثل إمالة الكلمة السابقة إمالة خفيفة.

والفتحة بأنواعها- كما يقول أستاذنا الدكتور نجا - من الحركات المتسعة إلا إذا كانت فى حالة إمالة شديدة، أما الضمة والكسرة فهما من أصوات اللين الضيقة<sup>(١)</sup>.

### أشباه أصوات اللين

عد المحدثون الياء والواو الليتين اللتين ليستا مدّاً وهما الساكتان ولم تجانسهما الحركة السابقة عليهما مثل يوم وبيت عدوهما صوتين شبيهين بأصوات اللين، وذلك لقربهما فى مخرجيهما من أصوات اللين، واختلافهما عنها بعض الاختلاف، فإن اللسان إذا ارتفع مقدمه إلى أقصى حد ممكن بحيث كان الفراغ بين اللسان ووسط الحنك الأعلى أضيق منه فى حالة النطق بصوت اللين (i) فيؤدى

(١) التجويد والأصوات ٣٥، ٣٦، وانظر للموضوع بأسره. التجويد والأصوات من ص ٢٧ - ٣٨ والأصوات اللغوية ٢٧ - ٤٤.



إلى سماع نوع خفيف من الخفيف فتكون حيشد الياء، وكذلك الواو تتكون من صعود مؤخر اللسان إلى أقصى الحنك بحيث يسمع لمرور الهواء خفيف ضعيف.

ومن هنا يمكن أن ندرك أن مخرجيهما يكون بعد مخرجى الصوتين (i)، (u) مباشرة وهو بدء ظهور الاصوات الساكنة، ولذلك عد كل منهما صوتاً ساكناً، وفي الواقع أن كلا من هذين الصوتين قابل للتحويل إلى أصوات لين خالصة، ومن هنا وصفا بأنهما صوتان انتقاليان، فالياء تتكون من موضع اللين (i) ثم تنتقل بسرعة إلى موضع آخر من أصوات اللين، والواو يبدأ تكونها من موضع صوت اللين (u) ثم ينتقل اللسان بسرعة إلى موضع صوت لين آخر<sup>(١)</sup>.

وللملاحظة أن أشباه حروف اللين حين نطقها يختلف وضع الشفتين معها فتخرجان مع الياء وتستديران مع الواو، وقد أصاب الأقدمون في وصف مخرج الياء، وأنه من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى كما يقول ابن جنى<sup>(٢)</sup> وهذا التحديد يتفق مع وجهة نظر المحدثين التي أشرنا إليها، أما تحديدهم لمخرج الواو فلم يوفقوا فيه، فقد جعلوها مما بين الشفتين كما يقول ابن جنى<sup>(٣)</sup> والحقيقة هي ما قاله المحدثون من أنها من أقصى اللسان حين يقترب من أقصى الحنك<sup>(٤)</sup>، وربما أوقعهم في هذا المأخذ أن الشفتين تستديران حال نطقهما، وقد دعا ذلك القراء أيضاً إلى الدلالة على الضمة بحركة الشفتين فيما عرف عندهم بالإشمام مثل ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (٧٥) [الحج]، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (٥) [الفاتحة]، فيشير القارئ باستدارة الشفتين إلى ضمة الراء والنون، وهذا أمر يختص بأن يكون السامع مبصراً، وكذلك القارئ حتى يستطيع تعلمه وبذلك صرح ابن جنى في أكثر من موضع، قال: فأما الإشمام فإنه للعين دون الأذن لكن روم الحركة يكاد الحرف يكون به متحركاً (على معنى أنه يتبعه صوت)<sup>(٥)</sup> وقال عن الروم: وأخفى

(١) الاصوات اللغوية ٤٣. (٢) سر الصناعة ٥٣/١. (٣) نفسه ٥٣/١.

(٤) التجويد والاصوات ٣٧ والاصوات اللغوية ٤٤.

(٥) الخصائص ٣٢٨/٢، الروم: هو الإتيان ببعض الحركة وقفاً، فلذا ضعف صوتها لقصر زمنها ويسمى القريب المصغى، وهو عند القراء غير الاختلاس وغير الإخفاء، والاختلاس =



منه الإشمام لأنه للعين لا للأذن<sup>(١)</sup>. وبهذا يتبين لنا أن وصف ابن جنى لتلك الأصوات كان قريباً جداً مما قال به علماء اللغات في العصر الحديث وكان هذا باعثاً لهم على خوض غمار هذا البحث الدقيق فوصلوا فيه إلى نتائج علمية صائبة.

### الأصوات الساكنة

إن الأصوات الساكنة لا تحتاج إلى كبير عناء في دراستها في اللغات المختلفة، وذلك لأنها تتشابه في تلك اللغات، ولا تختلف كثيراً فالإنجليزي مثلاً يمكنه النطق بالتاء العربية بسهولة ويسر، لأنها مشابهة للحرف (t) في الإنجليزية، وكذلك بالنسبة لحرف آخر كالباء (b) وهكذا في الفرنسية وغيرها من اللغات المختلفة.

وهذا على خلاف أصوات اللين التي تحتاج إلى دقة وعناية، لاختلاف طبيعتها، وأماكن خروجها من أعضاء النطق من لغة لأخرى، ولذا وضع لها علماء اللغة المحدثون المقاييس المعيارية لضبطها وتسهيلها للدارسين والمشتغلين بالبحث العلمي، أما الأصوات الساكنة فنظرًا لتقاربها في اللغات - على ما ذكرنا - لم تحتج إلى وضع مثل تلك المقاييس ومن هنا يمكن الاكتفاء بوصفها في كل لغة على حدة، ويكفي في ذلك تحديد مخارجها وصفاتها بما يفيد الدارس والباحث؛ ولذلك رأينا علماء اللغة المحدثين يكتفون بذلك في ميدان البحث الصوتي الحديث، وهذه الأصوات قد عني القدماء بدراستها، ووصف مخارجها،

= والإخفاء عندهم واحد، ولذلك عبروا بكل منهما عن الآخر، والروم يشاركون الاختلاس في تبعيض الحركة، ويخالفه في أنه لا يكون في فتح ولا نصب، ويكون في الوقف فقط، والثابت فيه من الحركة أقل من الذاهب، والاختلاس يكون في كل الحركات والثابت من الحركة فيه أكثر من الذاهب (حوالي ثلثي الحركة) ولا يضبطه إلا المشافهة، والإشمام: حذف حركة المتحرك في الوقف، فضم الشفتين بلا صوت إشارة إلى الحركة والفاء في (فضم) للتعقيب، فلو تراخى فأسكان مجرد لا إشمام ولا يدركه إلا البصير، بخلاف الروم فيدركه الأعمى. . إنحاف فضلاء البشر، ص ١٠١.

(١) نفسه ١٤٥/٢.

وصفاتها، بما يتفق كثيراً مع نظرات علم الأصوات المعتمد على التجارب والآلات والتسجيل الصوتي في عصرنا الحاضر، وعلماءنا القدامى - على الرغم من عدم توافر تلك الأدوات لديهم - استطاعوا بإرهاق حسهم، وخبرتهم الأصلية، ومنطقهم المستقيم أن يكشفوا عن قوانين تلك الأصوات، ويبرهنوا عليها، بما بهر العلماء العصريين، وأثبت نبوغ المتقدمين.

وقد قال أحد الباحثين المحدثين: «إن دراسة علمائنا للأصوات العربية لا يضاهيها في العمق والدقة والاستقصاء جميع الدراسات التي يقوم بها اللغويون الآن فيما يسمونه "علم الأصوات اللغوية"»<sup>(١)</sup> ولذلك "كانوا أول الرواد لعلم الأصوات اللغوية، وعلى كثير من ملاحظاتهم بنيت المباحث الحديثة في مخارج الحروف وصفاتها"<sup>(٢)</sup>، وتقسيمات القدامى من علمائنا لمخارج الحروف وصفاتها مستمدة من طبيعة العربية ومنهجها الأصل، وعلى أساسه يمكن إدراك الأسرار اللغوية في أخص مميزات، إذ على هذا الأساس المنهجي تفهم أسرار الاشتقاق الكبير، وملايساته، وظروفه اللغوية، وكذلك القيمة التعبيرية للحرف ومناسبتها للأحداث المعبر به عنها، بما جعل للعربية منزلة سامية في الربط بين الألفاظ ودلالاتها"<sup>(٣)</sup>، والاتجاه الذي سار عليه القدامى يكشف تلك الأسرار ويبرزها للعيان.

وإذا كنا بصدد الحديث عن الأصوات الساكنة فإنه يجدر بنا أن نشير إلى طريقة القدامى وآرائهم في المخارج والصفات، والباحث في تلك الآراء يرى أنهم قد اختلفوا في تحديد عدد مخارج الحروف، فعدها علماء التجويد سبعة عشر وهو رأى الخليل<sup>(٤)</sup> وهو المختار، وذهب سيبويه إلى أنها ستة عشر مخرجاً<sup>(٥)</sup>. وهذا بناء على أنه أسقط مخرج الجوف الذي قال به الخليل بالنسبة للآلف والواو والياء<sup>(٤)</sup> وقد تخلص سيبويه من ذلك بأن فرقها على المخارج الأخرى، وقد وافقه

(١) دراسات في فقه اللغة ٣١٨. (٢) نفسه ٣١٩ ومناهج البحث في اللغة، ٦٤.

(٣) دراسات في فقه اللغة ٣٢٠. (٤) العين ٦٤ وما بعدها.

(٥) الكتاب ٢/ ٤٠٥.

على ذلك ابن جنى فقال: اعلم أن مخارج الحروف ستة عشر<sup>(١)</sup> إلخ، وكذلك سار عليه غيره كالشاطبي، وذهب قطرب والجزمى والفراء وغيرهم إلى أنها أربعة عشر مخرجاً فأسقطوا مخرج الجوف أيضاً، وجعلوا مخارج اللسان ثمانية، لأنهم جعلوا اللام والنون والراء من مخرج واحد كلّى ذى مخارج جزئية<sup>(٢)</sup>.

وهنا نعرض للمخارج كما وصفها ابن جنى، ثم نقارنها بما وصل إليه البحث التجريبي. جعل ابن جنى مخارج الحروف ستة عشر ثلاثة منها فى الحلق:

- ١- فأولها من أسفله وأقصاه مخرج الهمزة والالف والهاء.
- ٢- ومن وسط الحلق مخرج العين والحاء.
- ٣- ومما فوق ذلك مع أول الفم مخرج الغين والحاء.
- ٤- ومما فوق ذلك من أقصى اللسان مخرج القاف<sup>(٣)</sup>.
- ٥- ومن أسفل من ذلك وأدنى إلى مقدم الفم مخرج الكاف<sup>(٣)</sup>.
- ٦- ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم والشين والياء.
- ٧- ومن أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد، إلا أنك إن شئت تكلفتها من الجانب الأيمن، وإن شئت من الجانب الأيسر<sup>(٤)</sup>.
- ٨- ومن حافة اللسان، من أدناها إلى منتهى طرف اللسان، من بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى، مما فويق الضاحك والنايب والرباعية والثنية مخرج اللام<sup>(٥)</sup>.

- ٩- ومن طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا مخرج النون<sup>(٦)</sup>.

(١) سر الصناعة ٥٢/١.

(٢) انظر تفصيل الخلاف فى نهاية القول المفيد فى علم التجويد ص ٣١.

(٣) يمكن - بذلك - عدّها من أصوات أقصى الحنك.

(٤) تعد - إذا - قريبة من وسط الحنك، أو لثوية حنكية.

(٥) هذا يوافق ما يمكن أن يطلق عليه «صوت لثوى - حنكى، أو لثوى فقط».

(٦) هو - إذا - صوت أسنانى لثوى أو لثوى فقط.

- ١٠- ومن مخرج النون، غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلاً لانحرافه إلى اللام مخرج الراء.
- ١١- ومما بين طرف اللسان وأصول الثنايا مخرج الطاء والذال والطاء.
- ١٢- ومما بين الثنايا وطرف اللسان مخرج الصاد والزاي والسين<sup>(١)</sup>.
- ١٣- ومما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا مخرج الظاء والذال والطاء.
- ١٤- ومن باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العلوى مخرج الفاء.
- ١٥- ومما بين الشفتين مخرج الباء والميم والواو.
- ١٦- ومن الخياشيم مخرج النون الخفية ويقال: الخفيفة أى الساكنة. فذلك ستة عشر مخرجاً<sup>(٦)</sup>.

ويكاد هذا الوصف الذى ذكره ابن جنى يكون ترديداً حرفياً لكلام سيبويه فى الباب الذى عقده لبيان "عدد الحروف العربية ومخارجها ومهموسها ومجهورها"<sup>(٣)</sup>، وقد نقله عنهما ابن الجزرى<sup>(٤)</sup>، وهذا تقسيم دقيق للأصوات إذا استثنينا وصفه للآلف. ويقول الدكتور تمام حسان معقّباً على وصف سيبويه- الذى هو بعينه ما سار عليه ابن جنى - وبخاصة بالنسبة لحروف الحلق: إن سيبويه قد أطلق اصطلاح الحلق على كل ما يلى وسط اللسان إلى الخلف، فيشمل به مخارج الحنجرة glottis والحلق pharynx واللهاة uvula والطبق velum وكل ما نطق من الأصوات فى هذه الأماكن فهو حلقى فى نظره<sup>(٥)</sup>، غير أنه يفرق بين أقصى الحلق وأوسطه وأدناه تفريقاً فرعياً يستخدمه عند إرادة البسط، ثم يقول: أعجب له كيف استطاع أن يصل إلى ما وصل إليه من درجات الدقة على الرغم مما أحاط به من الظروف<sup>(٦)</sup>.

(١) نظرة ابن جنى هذه تقتضى أن تكون هذه الأصوات سنية.

(٢) سر الصناعة ٥٢/١، ٥٣، باقى الأصوات يوافق وصف ابن جنى لها الرأى الحديث.

(٣) الكتاب ٤٠٤/٢ - ٤٠٦ وفقه اللغة د. العزاي ١٦٠، ١٦١.

(٤) النشر ١٩٨/١ - ٢٠١.

(٥) لست مع الدكتور تمام فى هذا التفسير. وانظر التعليق (١) ص ٥٧٧ من كتابنا.

(٦) مجلة الأزهر شوال ١٣٨٠هـ من مقال د. تمام بعنوان مصطلحات سيبويه فى أصوات العربية، ص ٧٩.

وسيبيويه - ويتبعه ابن جنى - قد أدركا جيداً أن الصوت اللغوى يتكون من التقاء عضوين من أعضاء النطق التقاء محكمًا، لا يترك فراغًا كما يحدث فى الأصوات الشديدة، أو التقاء غير محكم بحيث يسمح للهواء بالمرور، وذلك بالنسبة للأصوات الرخوة والمتوسطة، فمن الأول قوله عن مخرج القاف: إنه من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى<sup>(١)</sup> وقول ابن جنى: ومما فوق ذلك من أقصى اللسان مخرج القاف<sup>(٢)</sup>، ومنه ومن الثانى يقول ابن جنى عن مخرج الجيم والياء والشين: ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم والشين والياء، وكذلك نص عبارة سيبويه<sup>(٣)</sup>، وهذا التحديد الدقيق لا يقل من الناحية العلمية عن نظرة المحدثين إلى مخارج الحروف وصفاتها، بل إن الدقة لتجلى فى تحديدهما اتصال طرف اللسان بالثنايا والحنك الأعلى، فبنظام دقيق نجد فى تعبيرهما تحديد هذا الاتصال على الوجه التالى:

- ١- أصوات تتكون بالتقاء طرف اللسان بالثنايا من الداخل.
- ٢- أصوات تتكون بالتقاء طرف اللسان بالثنايا أو أصولها، أى اللحم المتفرزة فيه من الداخل أيضًا.
- ٣- أصوات تتكون بالتقاء طرف اللسان وأوله بالحنك الأعلى<sup>(٤)</sup>.

وتظهر الدقة فى أجلى صورها عندما ننظر إلى التحديد الذى ذكره سيبويه -وتبعه ابن جنى- لمخرج اللام بالوصف السابق على حين اكتفى المحدثون بوصفهم له بأنه يتكون باتصال طرف اللسان بأصول الثنايا<sup>(٥)</sup>، والذى يمكن ملاحظته على هذا الوصف هو أن سيبويه وابن جنى قد ذكرا الألف فى مخرج حروف الحلق بلا مسوغ وقد انتقد سيبويه فى ذلك الدكتور تمام حسان، وقال إننا نعدّها نتيجة لهيئة حجرة الرنين الفموية لا لإقفال ولا تضيق فى مخرج بعينه، شأنها فى ذلك شأن العلل والحركات<sup>(٥)</sup>، وهذا النقد يلقى قبولاً من الناحية

(٢) سر الصناعة ٥٢/١.

(١) الكتاب ٤٠٥/٢.

(٤) الأصوات اللغوية ٨٧.

(٣) الكتاب ٤٠٥/٢ وسر الصناعة ٥٢/١.

(٥) مجلة الأزهر العدد السابق ١٠٧.

العلمية وقد أشرنا إلى ذلك فيما مضى<sup>(١)</sup>، وإن هذا التقسيم للأصوات كان نبهراً للمتاخرين من العلماء ولا سيما المحدثين فقد استمدوا منه تقسيمهم للأصوات إلى مجموعات متشابهة لا تكاد تخرج عما ذكره ابن جني وسيبويه<sup>(٢)</sup>.

وهناك تقسيم آخر للقدماء بنوه على أساس القاب الحروف، وهو مستمد مما ذكره الخليل في كتاب العين، فقد لاحظ القراء أن المخارج السبعة عشر تجمعها عشرة القاب، فذكروها بحسبها كالآتي:

١- الأحرف الجوفية أو الهوائية: وهي أحرف المد الثلاثة التي تسمى أيضاً أحرف اللين، وهي الألف ولا تكون إلا ساكنة، ولا يكون ما قبلها إلا مفتوحاً<sup>(٣)</sup> والواو الساكنة المضموم ما قبلها، والياء الساكنة المكسور ما قبلها، ويراد بالجوف الذي تنسب إليه فراغ الحلق والفم حيث ينقطع مخرجها<sup>(٤)</sup> وسميت هوائية لأنها تنتهي بانقطاع هواء الفم، وقال الخليل: والياء والواو والألف والهمزة هوائية في حيز واحد لأنها لا يتعلق بها شيء وقال أيضاً سميت هوائية لأنها تخرج من الجوف، فلا تقع في مدرجة من مدارج اللسان، ولا من مدارج الحلق، ولا من مدارج اللهاة، إنما هي هاوية في الهواء، فلم يكن لها حيز تنسب إليه إلا الجوف، وكان يقول كثيراً: الألف اللينة والواو والياء هوائية أي أنها في الهواء<sup>(٥)</sup>.

٢- الأحرف الحلقية: وهي الهمزة والهاء والعين والحاء والغين والخاء، وللحلق ثلاثة مخارج على ما سبق<sup>(٦)</sup>. قال الخليل: فأقصى الحروف كلها العين ثم

(١) انظر ص ٥٢٨ - ٥٣٠ من كتابنا.

(٢) انظر المفضل ١٢٤/١، ١٢٥ والنشر ١٩٨/١ - ٢٠١ وانظر تفصيلاً دقيقاً وشاملاً لذلك في كتاب التجويد والأصوات د. نجما ص ٣٨ - ٥٨ وفقه اللغة د. المزاري ١٦٠، ١٦١ ومناهج البحث في اللغة ٨٥ وغيرها والأصوات اللغوية ٤٥ - ٧٤ وغيرها.

(٣) القول المفيد ٣٢ ط ١٣٤٩ هـ.

(٤) النشر في القراءات العشر ١٩٩/١ بتصرف، والقول المفيد ٣٢.

(٥) العين ١/٦٤، ٦٥. (٦) مقدمة الجوهرة ٨ والقول المفيد ٣٢، ٣٣.



الحاء، ولولا بحة في الحاء لأشبهت العين لقرب مخرجها من العين، ثم الهاء ولولا هتة في الهاء وقال مرة: (ههة) لأشبهت الحاء، لقرب مخرج الهاء من الحاء فهذه ثلاثة أحرف في حيز واحد بعضها أرفع من بعض، ثم الخاء والغين في حيز واحد كلهن حلقية<sup>(١)</sup> وقال أيضًا: وأما مخرج العين والحاء والهاء والحاء والغين فالخلق، وأما الهمزة فمخرجها من أقصى الخلق مهتوتة مضغوظة<sup>(٢)</sup>.

٣- الأحرف اللهوية: وهي حرفان القاف والكاف، ومع نسبتها إلى اللهاء بين الفم والخلق يختلف مخرج كل منهما عن الآخر، فالقاف من أقصى اللسان مما يلي الخلق وما يحاذيه من الحنك الأعلى من منبت اللهاء، والكاف من أقصى اللسان بعد مخرج القاف<sup>(٣)</sup> وقال الخليل: إن مبدأهما من اللهاء<sup>(٤)</sup>.

٤- الأحرف الشجرية: وهي ثلاثة الجيم والشين والياء غير المدية، ومخارجها متقاربة، وقد أضاف إليها الخليل أيضًا الضاد فجعلها شجرية، وسميت تلك الحروف بذلك لأن مبدأها كما قال الخليل من شجر الفم أى مفرج الفم<sup>(٥)</sup> وهو ما بين وسط اللسان وما يقابله من الحنك الأعلى<sup>(٥)</sup>.

٥- الأحرف الأسلية: وهي الصاد والسين والزاي<sup>(٤)</sup> ومخارجها متقاربة ما بين رأس اللسان وبين صفحتي الشنيتين العلين، والصاد أدخلها في هذا المخرج والسين أوسطها والزاي أبعداها<sup>(٦)</sup>، وسميت أسلية لأن مبدأها من أسلة اللسان وهي مستدق طرف اللسان<sup>(٤)</sup>، كما يقول الخليل.

(١) العين ٦٤، ٦٥.

(٢) ذكر الهمزة في الحروف الهوائية لأنها على حد تعبيره إذا رقه عنها لانت إلى الياء والواو والالف من غير طريقة الحروف الصحاح، وقد ذكرها في حروف الخلق لأنه مخرجها الطبيعي، وهذا الترتيب يختلف عن ترتيب سيويه لحروف الخلق والذي اتبعه ابن جنى. انظر العين ٥٨/١.

(٣) القول المفيد ٣٤ ط ١٣٤٩. (٤) العين ٦٥/١.

(٥) النشر ١/ ٢٠٠ بتصرف والقول المفيد ٣٤.

(٦) النشر ١/ ٢٠١ والقول المفيد ٣٦.

٦- الأحرف النطعية: وهى الطاء والتاء والذال وهى متقاربة المخارج وسميت بذلك لأن مبدأها من نطق الغار الأعلى<sup>(١)</sup> وهو سقف الحنك الأعلى<sup>(٢)</sup>.

٧- الأحرف اللثوية: وهى الظاء والذال والتاء وهى متقاربة المخارج، ما بين ظهر اللسان مما يلى رأسه وبين رأس الثنيتين العلين، وسميت بذلك لأن مبدأها من اللثة<sup>(٣)</sup> أو لخروجها من قرب اللثة<sup>(٤)</sup>.

٨- الأحرف الذلقية: وهى الراء واللام والنون المظهرة، واللام أوسع الحروف مخرجاً، إذ يمكن إخراجها من كلتا حافتي اللسان وما يحاذيهما من لثة الضاحكتين والنايين والرباعيتين، والنون المظهرة من طرف اللسان بينه وبين ما فوق الثنايا<sup>(٥)</sup> أما اللام فهى أدخل فى ظهر اللسان<sup>(٦)</sup> ما بين رأسه وما يحاذيه من لثة الثنيتين العلين، وسميت بذلك لأن مبدأها من ذلق اللسان وهو طرفه<sup>(٧)</sup>.

٩- الأحرف الشفهية أو الشفوية: وهى الفاء والباء والميم والواو غير المدية، وسميت بذلك لأن مبدأها من الشفة<sup>(٨)</sup> غير أن الفاء مما بين باطن الشفة السفلى ورأس الثنيتين، والثلاث الباقية مما بين الشفتين معاً<sup>(٩)</sup>.

١٠- الأحرف الخيشومية: وهى النون الساكنة أو التنوين والميم الساكنة حين إدغامها بغنة أو إخفائها والنون والميم المشددتان<sup>(١٠)</sup>، فإن مخرج هذين الحرفين يتحول فى هذه الحالة عن مخرجهما الأسمى على القول الصحيح، فهما حيثئذ من الأنف والخياشيم على حين كانت لهما فى غير ذلك مخارج أخرى<sup>(١١)</sup>.

وهذا التقسيم لا يناقض الأول، بل يعضده ويؤازره، ويكشف عن نظرات أخرى لمواقع الحروف، وقد تبعه بعض المحدثين من المشتغلين بالدراسات الصوتية

(١) العين ٦٥/١. (٢) النشر ٢٠١/١ والقول المفيد ٣٦.

(٣) القول المفيد ٣٧. (٤) سر الصناعة ٥٢/١.

(٥) القول المفيد ٣٧ والعين ٦٥/١. (٦) سر الصناعة ٥٣/١ ومقدمة الجمهرة ٧.

(٧) النشر ٢٠١/١ وسر الصناعة ٥٣/١ والقول المفيد ٣٧، ٣٨.

كالدكتور صبحي الصالح<sup>(١)</sup> والدكتور محمد المبارك<sup>(٢)</sup>، وليست هذه الملاحظات الدقيقة لعلماء اللغة القدامى مشوبة بالخلط أو الغلط كما يدعى الدكتور تمام حسان، فقد ذهب إلى أن النحاة العرب خلطوا خلطاً كبيراً في تحديد هذه المخارج، وقال: حسبك أن ترى ابن الجزرى يفاضل بين الآراء المختلفة في تحديد عدد منها، حتى إذا عدّ سبعة عشر مخرجاً وجدناه يسمى النون مثلاً مرة ذلقية، لأنها تخرج من ذلق اللسان، ومرة أخرى خيشومية، لأنها تنطق في تجويف الفم وهو الخيشوم، ومرة ثالثة يقول: إنها من طرف اللسان بينه وبين ما فوق الشنايا، فهو بهذا يعطى النون مخرجاً خاصاً حيناً، ويجمعها مع الراء واللام حيناً، ويضمها إلى الميم في مخرج حيناً آخر، ثم يغلط في تحديد مخارج أصوات الخاء والغين والكاف والطاء والذال والتاء فيقول: إن صوتى الخاء والغين من أدنى الحلق إلى الفم وراء مخرج القاف مع أنهما من مؤخر اللسان مع الطبق، أمام مخرج القاف، وهو يجعل الكاف خلف القاف والعكس أصح، فصوت الكاف من نفس مخرج صوت الخاء والغين، ثم هو يقول: إن الأصوات الثلاثة الأخيرة نطعية، ويقصد أنها من نطق الغار والصحيح أنها أسنانية لثوية<sup>(٣)</sup>، ولست أؤيد هذا الاتجاه الذى ذهب إليه الدكتور، فالواضح أن هذه الأوصاف المتعددة للحرف الواحد جاءت من طريق الاستقرار الواعى لمخرج الحرف، والملاحظة الدقيقة لكيفية تكوينه، وليس فيها ما يدل على خلط أو تعارض، فوصف النون مثلاً بالأوصاف السابقة يزيدها وضوحاً وجلاءً للناطقين والدارسين على السواء، على أن الدكتور صبحي الصالح يعزو هذا التعدد إلى شدة أمانة النحاة، وحرصهم على أن ينقلوا الآراء جميعاً<sup>(٤)</sup> وإلى أن مخارج الحروف وصفاتها تخضع للملاحظة المباشرة، وكلما تجددت هذه الملاحظة ولدت مصطلحات جديدة وتسميات مستحدثة<sup>(٥)</sup>، وأما أنهم أخطأوا في تحديد المخارج فهذا ما لا أتصوره، لأنهم كما رأينا سابقاً يميلون إلى الدقة في وصف الحرف وبيان مخرجه، بل يتوجه هذا النقد إلى

(١) دراسات فى فقه اللغة ٣٢٢-٣٣٤. (٢) فقه اللغة ٣٢، ٣٣.

(٣) مناهج البحث فى اللغة ٨٥، ٨٦. (٤) دراسات فى فقه اللغة ٣٣٠. (٥) دراسات فى فقه اللغة ٣٣٠.

الدكتور نفسه حين عدّ الغين والحاء من نفس مخرج الكاف لا من الحلق، ولا أوافقه ولا من تابعه على ذلك<sup>(١)</sup>، فالدراسات الصوتية الحديثة تؤكد حقيقتهما وتبرهن عليهما، وأما جعل الكاف خلف القاف فهذا عمل فردى لابن الجزرى لا يصح إطلاقه إطلاقاً شاملاً لجميع علماء اللغة من المتقدمين، فابن جنى مثلاً قد صرح بأن مخرج القاف متقدم على مخرج الكاف<sup>(٢)</sup> وكذلك قال الخليل الكاف أرفع<sup>(٣)</sup>، وبذلك صرح سيبويه حين قال: ومن أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى مخرج القاف، ومن أسفل من موضع القاف من اللسان قليلاً، ومما يليه من الحنك الأعلى مخرج الكاف<sup>(٤)</sup>، وذوق الصوتين يؤكد ما قالوه «فلنك إذا وقفت على الكاف والقاف نحو: إك. إق تجد القاف أقرب إلى الحلق والكاف أبعد منه»<sup>(٥)</sup>، وإذا كان سيبويه قد ذكر القاف بعد الكاف فى أول الفصل فقد وضعها فى الموضع المناسب لها بعد ذلك<sup>(٦)</sup>، ولا ضير فى الجمع بينهما على أية حال، لأنهما متقاربان مخرجاً، فهما من حروف أقصى اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى كما يقول أستاذنا الدكتور إبراهيم نجا<sup>(٧)</sup>. ويقوى ما قلناه أن صوت القاف العربى لم يصل إلينا تحديده بصفة قاطعة حتى إن بعض الباحثين يقول: إنه كان ينطق بين القاف والكاف ويرجع آخرون أنه كان مشابهاً للجيم القاهرية لدى القبائل الحجازية أيام النبى ﷺ<sup>(٨)</sup>، وفى كل هذا ما يكفى لتسوية ذكره بعد الكاف عند بعض المتقدمين لاختلاط الأمر واشتباهاه.

(١) خص الدكتور كمال بشر الحلق بصوتى العين والحاء، وجعل الهمزة والهاء من الحنجرة - وهى جزء سابق للحلق - وجعل الغين والحاء من أقصى الحنك - وهو يلى الحلق من الامام - وقال: ربما كان العرب يطلقون الحلق على منطقة أوسع من تلك المنطقة التى تسمى اليوم بالحلق فكان هذا الاصطلاح يشمل عندهم (الحنجرة والحلق وأقصى الحنك). علم اللغة العام ١١٨، ١٣٨-١٤٢، ١٥٥، ١٥٧-١٥٩، ولست معه فيما ذهب إليه كذلك. وانظر التعليق (٥) ص ٥٧١ من كتابنا.

(٢) سر الصناعة ١/ ٥٢. (٣) العين ١/ ٦٤. (٤) الكتاب ٢/ ٤٠٥. (٥) القول المفيد، ٣٤. (٦) الكتاب ٢/ ٤٠٥. (٧) التجويد والاصوات ٥١. (٨) الاصوات اللغوية ٦٨.

ووصف الطاء والتاء والذال بأنها حروف نطعية له ما يسوغه حتى على القول بأن التجارب الحديثة تدل على أن طرف اللسان مع هذه الأصوات يتصل بأصول الثنايا بل ومعظم الثنايا من الداخل، وهذا لأن النطق كما هو معروف فى المعاجم أقرب جزء من الحنك الأعلى إلى أصول الثنايا، وهذا القرب من أصول الثنايا يكفى لتصور العلاقة بين تلك الأصوات والنطق بمعناه المذكور، فلا غرابة إذا فى إطلاق هذا الوصف عليها، وهذا مثل وصفهم للذال والتاء والطاء بالثوية على الرغم من أن اللثة لا تقوم معها بأى دور بل هى مما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا<sup>(١)</sup>، ومع هذا ومع تسليمنا بأنه كان الأولى أن يوضع المصطلح السابق للام والراء والنون، وأنه كان الأقرب إلى الصواب مع ذلك لا يمكن وصف الاتجاه الأول بأنه من قبيل الغلط، وكفيهم فخراً أنهم وصلوا إلى هذا التحديد دون أن تسعفهم الآلات أو التجارب.

هذا . . . وقد نفى الدكتور أنيس نسبة أى لقب مما بنى على أساسه التقسيم السابق إلى الخليل بن أحمد، وادعى أن الخليل لم يذكر شيئاً من ذلك، بل هذه الألقاب التى جرت على الحروف، من أمثال لثوية وذلقية وأسلية ونطعية وشجرية ولهوية قد ظهرت فى أوائل القرن الرابع الهجرى، ويقول الدكتور أنيس: إن هذه المصطلحات قد نشأت دفعة واحدة ويستدل على ذلك بأننا لا نجد منها فى كلام ابن جنى سوى ما يسميه بحروف الذلاقة، وقد كنا نتوقع أيضاً أن نجد نفس المصطلحات فى كلام سيويه تلميذ الخليل ووارث الكثير من علمه وآرائه، ولكن كتاب سيويه قد خلا منها<sup>(٢)</sup>، ثم يقول: المسئول إذاً عن نشأة هذه المصطلحات هو كتاب العين الذى شاع شأنه فى القرن الرابع الهجرى أياً كان مؤلفه، ولكن الذى

(١) اللسان ٢٣٥/١٠. ولأصوات اللغوية ٧٨، ٧٩ ولكن أطلق وصف اللثوية عليها لقرب مخرجها من اللثة كما ذكرنا فيما سبق وأيده د. الصالح. دراسات فى فقه اللغة ٣٢٤.

(٢) الأصوات اللغوية ٧٧. وفى كتابه «دلالة الألفاظ» تحدث عنه، وعرض للآراء فيه، ولم يدل برأى قاطع فى نسبه له، بل يحترس عن ذكر اسم الخليل على أنه هو المؤلف، مما يوحى بالشك أو الإنكار. انظر: الطبعة الثالثة من كتابه المذكور، سنة ١٩٦٣م، ص ٢٣٢-٢٣٥.



لا يحتمل النزاع أو الشك أن نسبة هذه المصطلحات للخليل نسبة غير صحيحة، وإلا فقد كنا نتوقع أن نجد لها صدًى فى كلام سيبويه<sup>(١)</sup>.

والذى حمل الدكتور أنيساً على القول بهذا رأى أنه لا يعترف- فيما يبدو- بنسبة كتاب العين للخليل، بل يتخذ من عدم ورود هذه المصطلحات فى كتاب سيبويه دليلاً يعضد به نفى نسبة العين للخليل فيقول: "ليس من التجنى أو المغالاة إذاً أن نتخذ من هذه الظاهرة دليلاً جديداً على عدم صحة رأى القائل بنسبة كتاب العين للخليل، على الأقل على الصورة التى انحدرت إلينا"<sup>(٢)</sup>.

والذى يعرفه تاريخ اللغة أن علماء القرن الرابع قد اختلفوا فيما بينهم حول نسبة كتاب العين إلى الخليل، فمنهم من أنكر نسبة الكتاب إليه كابن جنى<sup>(٣)</sup> ومنهم من اعترف بتلك النسبة كصاحب الجمهرة فقال: "وقد ألف أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفرهودى رضوان الله عليه كتاب العين فأتعب من تصدى لغايته وعنى من سما إلى نهايته، فالمنصف له بالغلب معترف، والمعاند متكلف، وكل من بعده له تبع أقر بذلك أم جحد"<sup>(٤)</sup>.

وقد أوضح أستاذنا الدكتور نجا الآراء حول كتاب العين، وناقشها مناقشة علمية صائبة، وأبان فى نهايتها أن الكتاب- بناء على أدلة منهجية- من عمل الخليل بن أحمد، وقال سيادته: إن هذه الوجهة قد ارتضاها كثير من أصحاب العقول الراجحة<sup>(٥)</sup>، ومن المعقول إذاً أن يأخذ المؤيدون لنسبة الكتاب للخليل- كابن دريد- بما ورد فيه من نصوص، ونواح علمية، وينسبونها لصاحبها، وهو الخليل فى الوقت الذى ينصرف المنكرون كابن جنى عن تلك الأفكار العلمية، ماداموا لم يتأكدوا من معرفة قائلها على وجه التحديد، وإذا كان الخليل هو الأستاذ العبرى لسيبويه أورثه ما أورثه من العلم والمعرفة فليس معنى هذا أن يكون سيبويه قد أخذ كل ثقافة أستاذة الخليل، بحيث لم يترك منها شيئاً، فتاريخ

(١) نفسه ٨٠. (٢) الأصوات اللغوية ٧٧.

(٣) سبق نص كلامه انظر ص ٥٣٩، ٥٤٠ من كتابنا.

(٤) الجمهرة ٣/١ ط ١٣٤٤هـ. (٥) انظر ص ٥٤٠ من كتابنا.



التعليم يؤكد أن الأستاذ- وبخاصة إذا كان بحرًا كالخليل- تبقى عنده مواد كثيرة من العلم لا تستوعبها أذهان تلامذته، وهذا هو المنطق المقبول، كما أنه ليس معنى التأليف أن يودع المؤلف كل أفكاره، ويروى كل ما أخذه عن غيره في مؤلفه الذي ينشره بين الناس، فقد تبقى مواد علمية كثيرة في ذهن المؤلف يذكرها في مناسبات، أو مؤلفات أخرى، وبخاصة إذا عرفنا أن سيبويه مات صغير السن جدًا بحيث لم يستطع أن يخرج إلى الناس كل علمه، على ما نعرفه فيه من تعمق في اللغة وما يتصل بها، وإذا فليس معنى عدم ورود تلك المصطلحات في كتاب سيبويه أنها لا تتسبب إلى الخليل، وأن ورودها في كتاب العين منسوبة إلى الخليل غير صحيح، لجواز أن تكون تلك المصطلحات من الأمور العلمية التي لم تصل إلى سيبويه، أو وصلت إليه ولكنه لم يدونها في كتابه، شأنها في ذلك شأن مسائل علمية أخرى كثيرة من المحتمل أنه لم يضيفها إلى هذا الكتاب.

ونرى أن هذه المصطلحات قد وردت في جمهرة اللغة لابن دريد<sup>(١)</sup>، وشرح الكتاب للسيرافي<sup>(٢)</sup>، - وهو معاصر لابن جني- وغيرهما من العلماء الأفاضل، وهؤلاء العلماء - فيما أرى - كانوا على درجة كبيرة من الورع تمنعهم من التورط في الكذب بنسبة الشيء إلى غير صاحبه، فالحق الذي يجب اتباعه أن هذه المصطلحات من وضع الخليل وابتكاره، وقد أوردها أستاذنا الدكتور نجما منسوبة إليه حين تكلم عن المبادئ التي سار عليها الخليل في كتابه، وشرح مبدأ الدلالة في الحروف كما ورد في كتاب العين<sup>(٣)</sup>.

هذه هي نظرية القدماء بالنسبة لمخارج الحروف، أما بالنسبة لصفاتها فقد كان حديثهم- أيضًا كحديثهم عن المخارج- دقيقًا للغاية، بحيث يقرب من حديث علماء اللغة في العصر الحاضر على الرغم من عدم توافر الآلات لديهم، وقد كان اعتمادهم في ذلك على حسهم المرهف- كما ذكرنا.

(١) ٩ - ٦/١ -

(٢) انظر شرح كتاب سيبويه للسيرافي مخطوطة دار الكتب رقم ١٣٦ نحو الجزء الثالث باب الإدغام.

(٣) المعاجم اللغوية ١٩.

## حديث ابن جنى عن صفات الحروف

قسم ابن جنى الحروف من حيث الصفات على النحو التالى:

١- المجهور والمهموس: عرف ابن جنى المجهور بأنه: حرف أشبع الاعتماد من موضعه، ومنع النفس أن يجرى معه، حتى ينقضى الاعتماد، ويجرى الصوت، وحروفه تسعة عشر حرفاً، وهى ما عدا حروف الهمس (سكت فحشه شخص)، وعرف المهموس بأنه: حرف أضعف الاعتماد من موضعه حتى جرى معه النفس، وحروفه (سكت فحشه شخص) على ما سبق بيانه، وقد أوضح ابن جنى كغيره من علماء اللغة القدامى أن كلا من الجهر والهمس يمكن معرفته، والحكم على الحرف به، عن طريق تكرير الحرف وتحريكه، فإما أن ينطلق النفس، وإما أن ينحبس، فيقول: وأنت تعتبر ذلك (أى الهمس) بأنه قد يمكنك تكرير الحرف مع جرى الصوت نحو سَسَسَ كَكَكَ هَهَهَه ولو تكلفت ذلك فى المجهور لما أمكنك<sup>(١)</sup>.

٢- الشديد والرخو والمتوسط: عرف الشديد بأنه: الحرف الذى يمنع الصوت من أن يجرى فيه، فلو قلت: الحَقَّ والشَطَّ ثم رمت مد صوتك فى القاف والطاء لكان ذلك ممتمناً، وحروفه - عنده - ثمانية يجمعها قولك أَجَدْتُ طَبَّقْتُ وأجَدْتُ طَبَّقْتُ، وعرف الرخو بأنه: هو الذى يجرى فيه الصوت، وذلك كقولك المسَّ والرشَّ والشحَّ ونحو ذلك فتد الصوت جاريًا مع السين والشين والحاء<sup>(٢)</sup> وحروفه ما عدا الشديدة، والحروف المتوسطة بين الشدة والرخاوة والتى عدها ثمانية أيضاً يجمعها قولك لم يُرَوْعْنَا أو لم يُرَعَرْنَا<sup>(٣)</sup>.

٣- المطبق والمنفتح: قال ابن جنى الإطباق هو أن ترفع لسانك إلى الحنك الأعلى مطبقاً له، والحروف المطبقة أربعة هى: الضاد والطاء والصاد والظاء وما سوى ذلك فمفتوح غير مطبق<sup>(٤)</sup>، ثم قال: إنه لولا الإطباق لصارت الطاء دالا

(١) سر الصناعة ٦٩/١ . (٢) نفسه ٧٠/١ .

(٣) نفسه ٦٩/١ ، ٧٠ . (٤) نفسه ٧٠/١ .

والضاد سينا والظاء ذالا ولخرجت الضاد من الكلام لأنه ليس من موضعها شيء غيرها فتزول الضاد إذا عُدَّت الإطباق ألبته<sup>(١)</sup>.

٤- المستعلى والمنخفض: قال: إن معنى الاستعلاء أن تتصعد الحروف في الحنك الأعلى، والحروف المستعالية سبعة يجمعها قولك: خص ضغط قظ فأربعة منها فيها مع استعلائها إطباق وقد ذكرناها، وأما الخاء والغين والقاف فلا إطباق فيها مع استعلائها<sup>(٢)</sup>.

٥- المنحرف: هو ما ينحرف فيه الصوت، وتتجافى ناحيتا مستدق اللسان عدا اعتراضها على الصوت فيخرج الصوت من تينك الناحيتين ومما فوقهما وهو اللام<sup>(٣)</sup>.

٦- المكرر: وهو الراء وذلك أنك إذا وقفت عليه رأيت طرف اللسان يتعثر بما فيه من التكرير، ولذلك احتسب في الإمالة بحرفين.

٧- المشرب: وهو الحروف التي تحفز في الوقف وتضغط من مواضعها، وهي حروف القلقة (قطب جد)، لأنك لا تستطيع الوقوف عليها إلا بصوت لشدة الحفز والضغط، وذلك نحو الحق واذهب واخلط وبعض العرب أشد تصويتاً، ومن المشربة حروف يخرج معها عند الوقف عليها نحو التثخن إلا أنها لم تضغط ضغط الأول وهي الزاي والظاء والذال والضاد وبعض العرب أشد تصويتاً<sup>(٤)</sup>.

٨- المهتوت: وهو الهاء لما فيها من الضعف والخفاء<sup>(٥)</sup>.

(١) نفسه ٧٠/١، ٧١، الضمير في إليه يعود إلى شيء أو إلى الحنك الأعلى، وعلى الأول يكون معنى العبارة: تنتقل الضاد عند عدم الإطباق إلى شيء غيرها، أي: إلى حروف أخرى غيرها ولا يكون للضاد وجود في النطق وعلى الثاني يكون معناها: تزول الضاد - فلا يكون لها وجود، بل الوجود حيثل لحروف أخرى - إذا عدم الإطباق إلى الحنك الأعلى، أي: إذا لم يرتفع اللسان إلى الحنك الأعلى حتى يصير كالطبق له.

(٢) نفسه ٧٠/١، ٧١. (٣) نفسه ٧٢/١. (٤) نفسه ٧٢/١، ٧٣.

(٥) يجعل ابن الجزري الهاء من الحروف الخفية ومعها حروف المد لأنها تخفى في اللفظ إذا اتدرجت بعد حرف قبلها، ولخفاء الهاء قويت الصلة وقويت حروف المد بالمد عند الهمزة. النشر ٤/١ - ٢. ويجعل صاحب المفصل (الزمخشري) المهتوت هو التاء ١٣١/١.

٩- المذلق والمصمت: المذلقة هي التي يعتمد عليها بذلق اللسان وهو صدره وطرفه، وهي ستة (مربنفل). والمصمته هي ما صمت عنها أن تبنى منها كلمة رباعية أو خماسية معرفة من حروف الذلاقة، وقد أوضح ابن جنى أنه لا بد في كل كلمة رباعية أو خماسية مجردة من وجود حرف أو أكثر من هذه الحروف الستة المذلقة، وذلك أنك متى رأيت اسما رباعيا أو خماسيا غير ذى زوائد، فلا بد فيه من حرف من هذه الستة أو حرفين وربما كان فيه ثلاثة، وذلك نحو جعفر ففيه الفاء والراء، وقعضب<sup>(١)</sup> فيه الباء وسلهب<sup>(٢)</sup> فيه اللام والباء وسفرجل فيه الفاء والراء واللام، وفرزدق فيه الفاء والراء، وهمرجل<sup>(٣)</sup> فيه الميم والراء واللام. . . . وهكذا، ومتى وجدت كلمة رباعية أو خماسية معرفة من بعض هذه الأحرف الستة فاقض بأنه دخيل في كلام العرب وقد يجيء شيء من ذلك بالنص عليه وهو قليل جدا منه العسجد والعسطوس<sup>(٤)</sup> والدهدقة<sup>(٥)</sup> والزهزقة<sup>(٦)</sup> على أن العين والقاف قد حسنتا الحال لنساعة العين ولذاذة مستمعها، وقوة القاف وصحة جرسها، ولا سيما وهناك الدال والسين، وذلك أن الدال لانت عن صلابه الطاء، وارتفعت عن خفوت التاء، والسين أيضا لانت عن استعلاء الصاد ورقت عن جهر الزاي فعذبت وانسلت<sup>(٧)</sup>.

(١) الضخم الشديد الجرى. (٢) الطويل.

(٣) الفرزدق: قطع العجين الواحدة منه فرزدقة. والهمرجل: الجواد السريع والناقة السريعة، وكل خفيف عجل.

(٤) يفتح العين والسين وضم الطاء وفيه لغة بتشديد السين الأولى هو الخيزران وقيل: شجر لين الأغصان ولا شوك له ينبت بالجزيرة.

(٥) مصدر دهدق الشيء: إذا كسره واللحم: إذا قطعه وكسر عظامه.

(٦) شدة الضحك وترقيص الأم الصبي، وقد اقتصر ابن جنى على ما جاء من ذوات الأربعة، يقول: وربما جاء بعض ذوات الأربعة معرى من بعض هذه الستة، وهو قليل جدا، ومنه العسجد والعسطوس. سر الصناعة ٧٥/١.

(٧) سر الصناعة ٧٤/١، ٧٥ والجمهرة ٧/١، بتصرف.

١٠- حروف المد والاستطالة: وهى الالف والياء والواو السلواتى هن حروف المد والاستطالة، إلا أن الالف أشد امتداداً وأوسع مخرجاً وهو الحرف الهاوى<sup>(١)</sup>.

١١- حروف الغنة: وهى خروج صوت الحرف من الخيشوم، وحروفه الميم والنون لأنه قد يعتمد لهما فى الفم والخيائيم فتصير فيهما غنة<sup>(٢)</sup>.

١٢- المفخم والمرقق: التفخيم: تعظيم الحرف فى النطق حتى يمتلئ الفم بصداه، وحروفه هى حروف الإطباق خص ضغط فقط مضافاً إليها من حروف الاستفال الراء واللام والالف فى مواضع معينة، فالالف تفخم فى مثل الصلاة والزكاة والحياة، ولهذا ينحى بها نحو الواو، ولهذا أيضاً كتبت فى المصحف واوا، والراء تفخم إذا كانت مفتوحة غير مسبقة بياء أو كسرة لازمة ولم يقع بعدها الكسر أو تكون مضمومة ولم تسبق بكسرة، أما المكسورة فترقق دائماً مثل: رزق - رجس، واللام تفخم فى لفظ الجلالة إن سبقت بفتح أو ضم مثل: ﴿كَتَبَ اللَّهُ...﴾ (٢١) [المجادلة] - ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ...﴾ (٢٢) [الفتح]، وبعض العرب يفخميها متى سبقت بحرف من حروف الإطباق مثل: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ...﴾ (١٠٢) [النساء] - ﴿مَطْلَعٌ...﴾ (٥) [القدر] - ﴿ظُلٌّ وَجْهُهُ...﴾ (٥٨) [النحل] - ﴿وَاللَّهُ فَضْلٌ بَعْضُكُمْ...﴾ (٧١) [النحل]<sup>(٣)</sup>. ولم يذكر ابن جنى ذلك فى أقسام الحروف، وإن كان قد أشار إلى الفم التفخيم من قبل.

وهذه الصفات التى ذكرها ابن جنى قد تحدث سيبويه عن بعضها فى الكتاب، حتى إن ابن جنى يكاد يكون ناقلاً لعبارة سيبويه بالنص فى حديثه عن الجهر والهمس والشدة والرخاوة والتوسط والانحراف والتكرير والغنة واللين<sup>(٤)</sup>، وأما باقى الصفات فقد استقل بها ابن جنى عن سيبويه<sup>(٥)</sup> وحديثه عن حروف

(١) سرعة الصناعة ٧١/١ والجمهرة ٨/١. (٢) نفه ٦٩.

(٣) التجويد والاصوات ٦٢، ٦٣ واللهجات العربية ٧٨، ٧٩ والقول المفيد ٩٣-١٠٣، وإنحاف فضلاء البشر ٩٢-١٠٠، وانظر كتابنا: تجويد القرآن الكريم من منظور علم الاصوات الحديث.

(٤) انظر الكتاب ٢/٤٠٥، ٤٠٦.

(٥) انظر فى جميع مخارج الحروف وصفاتها السابقة الفصل ١٠/١٢٤-١٣١ وانظر كثيراً من الصفات التى ذكرها ابن جنى فى النشر ١/٢٠١-٢٠٥ وقد عدّ ابن الجزرى الضاد من حروف الاستطالة، وجعل المد نوعاً خاصاً بحروف المد والاستطالة نوعاً آخر خاصاً بالضاد، قال: لانه =



الذلاقة يشبه إلى حد كبير ما ورد عن الخليل في كتابه العين، وقد أفاض الخليل في شرحها على النحو الوارد عن ابن جنى، ثم قال: فلما ذلقت الحروف الستة ومذل بهن اللسان، وسهلت عليه في النطق كثرت في أبنية الكلام، فليس شيء من بناء الخماسى التام - ومثله الرباعى - يعرى منها أو من بعضها، كما أورد كلمات ليس فيها أحد هذه الحروف مثل الكشعج والخضعج والكشعطج وقال: إنها مولدات لا تجوز في كلام العرب، لأنه ليس فيهن شيء من حروف الذلق والشفوية<sup>(١)</sup> وهذه الصفات منها القوى والضعيف، فصفت القوة هي الجهر والشدة والاستعلاء والإطباق والإصمات والصفير والقلقلة والانحراف والتكرير والتفشى والاستطالة والغنة، وبعض هذه الصفات أقوى من بعض، وصفات الضعف هي الهمس والرخاوة والاستفال والانفتاح والذلاقة واللين والخفاء، والصفات المتضادة منها هي الخمس الأولى من النوعين، ولا بد أن يتصف كل حرف بخمس متقابلة، وأما غير المتقابلة فتارة يتصف بصفة أو صفتين منها، وتارة لا يتصف بشيء، ثم إن الحرف إذا كثرت فيه صفات القوة كان قوياً، وإذا كثرت فيه صفات الضعف كان ضعيفاً، فإذا استوى فيه الأمران كان متوسطاً<sup>(٢)</sup>.

### موقف المحدثين من هذه الآراء عن المخارج والصفات

حديث ابن جنى والقدماء عن مخارج الحروف يتفق كثيراً مع وجهة نظر المحدثين من علماء الأصوات، بل كان ابن جنى كغيره من سابقه دقيقاً في وصف المخارج إلى حد بهر المشتغلين بالدراسات الصوتية، ففي مخرج كل حرف يؤكد القدماء - ومنهم ابن جنى - أن هناك عضوين من أعضاء النطق يتصل بعضهما

= استطال عن الفهم عند النطق به حتى اتصل بمخرج اللام، لما فيه من القوة بالجهر والإطباق والاستعلاء. النشر ٢٠٥/١.

(١) العين ٥٧ - ٥٩ ولم أجد الكلمات في لسان العرب (ج ٣) باب الجيم مما يدل على أنها مولدة حقاً.

(٢) القول المفيد ص ٦٢ - ٦٤.



ببعض حال إخراج الصوت<sup>(١)</sup>، وكان تقسيمهم للمخارج نبراساً للمحدثين فى تقسيمهم للحروف إلى مجموعات متشابهة لا تخرج عما ذكره القدامى<sup>(٢)</sup>، والذي يؤخذ على هذا التقسيم هو جعل الألف من حروف الحلق كما ورد فى عبارة سيبويه وابن جنى وقد أجبنا عنه آنفاً<sup>(٣)</sup>، وقد خالف المحدثون من علماء اللغة القدامى فى مخارج بعض الحروف، لا خطأ الأقدمين فى هذا الوصف والتحديد، بل لأن تلك الحروف قد عراها من التطور ما أبعداها عن أصل النطق العربى الصحيح الذى كان يستعمله العرب فى شباب اللغة، وإبان استوائها على سوقها، وهذا كما فى نطق الجيم والضاد والطاء والقاف وستحدث عنها بعد بيان رأى المحدثين فى صفات الحروف، لأن لذلك صلة بتلك الحروف المتطورة أيضاً، كما خالف المحدثون القدامى فى مخرج الهمزة، فابن جنى والقدماء يعدون الهمزة من حروف أقصى الحلق، ولكن المحدثين قالوا بأن الهمزة المحققة تخرج من نفس المزمار، لأن فتحة المزمار تنطبق انطباقاً تاماً عند النطق بها، فلا يتسرب شئ من الهواء إلى الحلق، ثم تنفجر فتحة المزمار فجأة، فيسمع صوت انفجارى هو ما يعبر عنه بالهمزة، ومن هنا اختلف وصفهم لها على ما سيأتى<sup>(٤)</sup>، وفيما عدا ذلك لا يزيد حديث المحدثين شيئاً عما ذكره علماءنا الامجاد عن مخارج الحروف، وأما حديث القدامى عن صفات الحروف فيتفق أيضاً ووجهة نظر المحدثين، وبخاصة فى حديثهم عن المجهور والمهموس والشديد والرخو والمتوسط مع اختلاف يسير، فقد لاحظ المحدثون أن الجهر والهمس ينشآن عن تأثير الوترين الصوتيين بالهواء الخارج من الرئتين، وعدم تأثيرهما بالاهتزاز، وأن هذا التأثير مرتبط بفتحة المزمار فى انقباضها وانبساطها، فإذا انقبضت هذه الفتحة ضاق مجرى الهواء، واقترب الوتران الصوتيان أحدهما من الآخر فيؤثر الهواء فيهما بالاهتزاز، وهذا يحدث مع الحرف المجهور، وإذا انبسطت فتحة المزمار اتسع مجرى الهواء، وابتعد الوتران الصوتيان بعضهما عن بعض بحيث لا يؤثر فيهما الهواء الخارج من الرئتين

(١) ص ٥٧٢ من كتابنا. (٢) ص ٥٢٨-٥٣٠ من كتابنا.

(٣) التجويد والاصوات ٥٧ والاصوات اللغوية ٧٢.

بالاهتزاز، وهذا يحدث عندما يكون الحرف مهموساً<sup>(١)</sup> وبناء على تلك النظرية عرف المحدثون المجهور والمهموس على النحو التالي:

**المجهور:** هو الذى يهتز معه الوتران الصوتيان، نتيجة انقباض فتحة المزمار وضيق مجرى الهواء، واقترب الوترين الصوتيين اقتراباً يسمح للهواء بالتأثير فيهما بالاهتزاز كحرف الباء والجيم والداال.

**والمهموس:** هو الصوت الذى لا يهتز معه الوتران الصوتيان، نتيجة انبساط فتحة المزمار، واتساع مجرى الهواء، وابتعاد الوترين الصوتيين، بحيث لا يؤثر الهواء فيهما بالاهتزاز، كالتاء والحاء والخاء والسين والشين من الحروف المهموسة<sup>(٢)</sup>، وقد أجرى العلماء تجارب نفق بها على المجهور والمهموس من الأصوات ومنها:

١- وضع الإصبع على تفاحة آدم والتي يقصد بها البروز الخنجري، ثم النطق بالحرف فإذا اهتز الوتران الصوتيان شعرنا بالاهتزاز، وهذا بالنسبة للأصوات المجهورة، كالنطق بحرف الدال مثلاً، وإذا لم يهتز لم نشعر بشيء وهذا عند النطق بالأصوات المهموسة، وقد أوضح ابن جنى أنه يمكن ذوق الحرف واعتبار صده بأن تأتى به ساكنًا لا متحركًا، ثم تدخل عليه همزة الوصل مكسورة من قبله، لأن الساكن لا يمكن الابتداء به فتقول إك، إق، إج وكذلك سائر الحروف<sup>(٣)</sup> وقد وافق ابن جنى على ذلك بعض الباحثين المحدثين كالدكتور وافي، فقد صرح بأن الوسيلة السريعة لمعرفة مخرج أى صوت هى أن تأتى بهمزة قبله ثم تأتى به ساكنًا أو مشدداً، فحيث ينقطع الصوت يكون مخرج الحرف<sup>(٤)</sup>، وكذلك الدكتور صبحى الصالح حين قال: إن أفضل وسيلة لمعرفة مخرج الحرف أن تسكنه أو تشدده وتدخل عليه همزة الوصل بأى حركة وتسمعه، فحيث انقطع الصوت كان مخرجه المحقق، وحيث يمكن انقطاع الصوت فى الجملة كان مخرجه

(١) التجويد والأصوات ص ٥٩، ٦٠ والأصوات اللغوية ٢٠، ٢١.

(٢) التجويد والأصوات ٦٠ والأصوات اللغوية ٢١.

(٣) سر الصناعة ٧/١. (٤) فقه اللغة د. وافي ١٦٠.

المقدر<sup>(١)</sup>، وواضح من هذا أنهما قد استمدا رأيهما من قول ابن جني في سر الصناعة، ولكن الدكتور أنيس يرى أنه لا يتأتى هذا إلا بأن تشكل الصوت موضع التجربة بذلك الرمز الذي يسمى السكون مثل "بْ" ويجب الاحتراز من الإتيان قبله بالـف وصل كما كان يفعل القدماء من علماء الأصوات، لأن الصوت حيثئذ لا يتحقق فيه الاستقلال الذي هو أساس التجربة الصحيحة<sup>(٢)</sup>.

ولكننا نرى أن اللغة العربية لا تبتدئ بالسكن، بل تأتى بهمة وصل عند عدم إمكان النطق، لهذا نعتقد بأن رأى ابن جني ومن تابعه من المحدثين أسد وأقوى، وعلى كل حال فلإن وضع الإصبع فوق تفاحة آدم يجعلك تشعر باهتزاز الأوتار أو عدم اهتزازها فتعرف بذلك المهموس والمجهور.

٢- وضع الإصبع فى الأذن ثم النطق بالحرف فتحس برنين الصوت فى الرأس إذا كان الصوت مجهوراً وهذا نتيجة لاهتزاز الأوتار الصوتية، ولا تشعر بمثل ذلك عند النطق بالمهموس.

٣- وضع الكف فوق الجبهة فى أثناء النطق بالصوت، فتجد الرنين السابق وتحس به الكف، وهذا الرنين ناشئ عن اهتزاز الوترين الصوتيين مع الحرف المجهور كالباء مثلاً ولا يحدث مثل ذلك مع المهموس.

وقد أوضح كل هذه التجارب أستاذنا الدكتور نجا وغيره من علماء اللغة المحدثين<sup>(٣)</sup>، ويستخدم المحدثون الآن أجهزة علمية دقيقة لبيان مخرج الحرف وصفته ذكرها الدكتور وافي فى كتابه علم اللغة.

(١) دراسات فى فقه اللغة ٣٢١.

(٢) الأصوات اللغوية ٢١ وينظر مجلة الأزهر عدد شوال ١٣٨٠ هـ فى مقال عن مصطلحات سيويه فى أصوات العربية د. تمام حسان ص ١٠٨٠ قال: وإذا أردت أن تختبر صوتاً ما لترى ما إذا كان مجهوراً أو مهموساً فانطقه مشكلاً بالسكون، وضع أطراف أصابعك على الحنجرة تحت الذقن وفيها الأوتار الصوتية، فإن أحسست باهتزاز وارتعاش تحت أطراف أصابعك فهذا الصوت مجهور وإلا فهو مهموس.

(٣) التجويد والأصوات ٦٠ والأصوات اللغوية ٢١.

أما موقف المحدثين من صفات الشدة والرخاوة والتوسط فقد لاحظوا أن مخرج الحرف يكون عند التقاء عضوين من أعضاء النطق يتصلان ببعضهما ببعض اتصالاً محكمًا في بعض الأحيان، وفي بعض الأحيان الأخرى اتصالاً غير محكم، فإذا التقيا التقاء محكمًا فإن الهواء المندفِع من الرتتين ينحبس عندهما لحظة من الزمن ينفصلان بعدها انفصالاً فجائيًا ينشأ عنه سماع صوت انفجاري هو ما اصطلح القدماء على تسميته بالصوت الشديد، ويسميه المحدثون انفجاريًا. وإذا التقى عضوا النطق التقاء غير محكم لم ينحبس الهواء المندفِع من الرتتين بل يكون بين العضوين فراغ يسمح للهواء بالمرور، فيحدث نوع من الخفيف، نتيجة احتكاك الهواء بعضوى النطق حينئذ، ويسمى المحدثون الأصوات التي يحدث معها ذلك بالأصوات الاحتكاكية، ويسمونها الأقدمون بالأصوات الرخوة، وقد يسمح التقاء العضوين للهواء بالمرور دون إحداث أى خفيف أو صفير نتيجة لاتساع مجرى الهواء، وهذا يحدث مع بعض الأصوات التي سماها المحدثون بالأصوات المائعة والقدماء بالأصوات المتوسطة ومعنى ذلك أنها ليست بالشديدة ولا بالرخوة<sup>(١)</sup>، وبهذا يفهم أن الأصوات فى نظر المحدثين ثلاثة أنواع هى: الانفجاري، والاحتكاكى، والمائع:

١- الانفجاري: هو الذى يحدث عند التقاء عضوى النطق ببعضهما ببعض التقاء محكمًا يمنع الهواء من المرور، ثم يفصل العضوان بسرعة ينشأ عنها صوت قوى له دوى وانفجار كالمدال أو التاء.

٢- الاحتكاكى: هو الصوت، الذى يحدث عند التقاء عضوى النطق أحدهما بالآخر التقاء غير محكم بحيث يسمح للهواء المندفِع من الرتتين بالمرور مع إحداث نوع من الخفيف لاحتكاكه بعضوى النطق كالسين والصاد.

٣- المائع: هو الصوت الذى يحدث نتيجة التقاء عضوى النطق ببعضهما ببعض التقاء غير محكم، بحيث يتسع مجرى الهواء، فلا يصدر أى نوع من الخفيف لعدم احتكاك الهواء بأعضاء النطق مثل اللام والتون والراء والميم.

(١) التجويد والأصوات ٦١ والأصوات اللغوية ٢٤، ٢٥.

هذه وجهة نظر المحدثين بالنسبة لتعريف المجهور والمهموس والشديد والرخو والمتوسط وعلى أساس ذلك خالفوا القدامى، نظراً لتجاربهم الحديثة، ولتطور بعض الأصوات، خالفوهم فى صفات بعض الحروف، فالمحدثون يعدون الطاء والقاف من المهموسات<sup>(١)</sup> وهما عند الأقدمين ومنهم ابن جنى من المجهورات، ويظهر أن للتطور الصوتى الزمنى أثراً فى هذا الاختلاف كما سنبينه بعد، كما عد المحدثون الضاد من الحروف الشديدة مخالفين بذلك القدماء فى عددها من الأصوات الرخوة<sup>(٢)</sup>، وقد حصر المحدثون الأصوات المتوسطة والتي يسمونها المائعة فى أربعة أحرف هى اللام والنون والميم والراء<sup>(٣)</sup>، أما صوت العين فلم يتضح لهم أمرها ولذلك تركوها لتبرهن عليها تجارب المستقبل<sup>(٤)</sup> واكتفاؤهم بالأحرف الأربعة هنا يخالف رأى القدماء فى عد العين منها<sup>(٥)</sup>، ويخالف ابن جنى الذى عد الأصوات المتوسطة أكثر من ذلك<sup>(٦)</sup> وسنبين سر هذا الاختلاف بعد أن نوازن بين اصطلاحات الأقدمين والمحدثين فى الجهر والهمس والشدة والرخاوة والمتوسط.

### بين القديم والحديث

لقد سبق علماؤنا الأقدمون بدراساتهم الصوتية وتفوقوا فيها، بل لا نكون مغالين إذا قلنا إن رأيهم فى المهموس والمجهور والشديد والرخو والمتوسط من الحروف يضاهى تماماً ما قاله المحدثون، واستنتجوه من التجارب والخبرات الصوتية، اعتماداً على الآلات المبتكرة لقياس الأصوات اللغوية، ومعرفة حقائقها الدقيقة، ولو قارنا بين ما قال به أسلافنا من عباقرة اللغويين أمثال سيبويه وعالمنا ابن جنى وما قال به المحدثون بالنسبة لصفات الحروف السابقة لوجدنا أن ذوق علمائنا وإحساسهم المرفف كان لا يقل دقة عن الآلات التى استخدمها المحدثون

(١) التجويد والأصوات ٦١ والأصوات اللغوية ٢٢.

(٢) التجويد والأصوات ٤٣ والأصوات اللغوية ٢٤.

(٣) التجويد والأصوات ٦١ والأصوات اللغوية ٢٥، ٢٦.

(٤) سر الصناعة ٦٩/١، ٧٠.



من علماء اللغة، فلو تأملنا تعريف المجهور والمهموس<sup>١</sup> عند سيبويه وتابعه ابن جنى الذى نقل كلامه لوجدنا أن هذا التعريف لا يختلف كثيراً عن رأى المحدثين، فكل من سيبويه وابن جنى يعرف المجهور - كما سبق - بأنه حرف أشبع الاعتماد من موضعه ومنع النفس أن يجرى معه حتى ينقضى الاعتماد ويجرى الصوت<sup>(١)</sup>.

وعند المقارنة يلزم تفسير هذا التعريف وبيان غامضه، فما معنى إشباع الاعتماد؟ ولماذا قال أشبع الاعتماد من موضعه؟ وما معنى قوله: منع النفس أن يجرى معه حتى ينقضى الاعتماد ويجرى الصوت؟

أما إشباع الاعتماد فيبدو أن المقصود به قوة تأثير الهواء المندفع من الرئتين على أعضاء النطق، فى أثناء مروره فى مجراه من الحنجرة حتى مخرج الصوت، وهذا يؤكد أن الحرف المجهور حرف واضح لما يصحبه من عملية صوتية قوية، والحرف المهموس بالعكس، يصحبه هواء ضعيف الضغط، لا يؤثر تأثيراً قوياً، فى أثناء سيره فى مجراه، منذ خروجه من الرئتين، وهذا ما رآه أيضاً الدكتور أنيس وأكدته الدكتور تمام حسان، يقول الدكتور أنيس عن إشباع الاعتماد: "إنه يصف المجهور: بأنه صوت متمكن مشبع فيه وضوح وفيه قوة، وتلك هى الصفة التى يشير إليها الأوربيون بقولهم Sonority فالمجهور أوضح فى السمع من نظيره المهموس، لا نزاع فى هذا، وليس للاعتماد معنى فى كلام سيبويه سوى عملية إصدار الصوت، تلك العملية التى تلازم النفس منذ خروجه من الرئتين إلى انطلاقه إلى الهواء الخارجى، ويدل على أن الاعتماد معناه العملية العضلية المطلوبة فى إصدار الصوت أن سيبويه أحس أن فى المهموس اعتماداً أيضاً، ولكنه اعتماد ضعيف لأنه يقول: فأما المهموس فحرف أضعف الاعتماد فى موضعه<sup>(٢)</sup>.

ويقول الدكتور تمام إجابة على سؤال هو "ما الذى يقصده سيبويه بالاعتماد فى الموضع؟ قال: "الذى يبدو أن سيبويه كان يرى الجهر والهمس حادثين من تفاوت كمية الجهد الذى يحس به فى صدره فى أثناء النطق، والمعروف أن حركة

(١) الكتاب ٢/ ٤٠٥ وسر الصناعة ١/ ٦٩. (٢) الأصوات اللغوية ٩٢.



الحجاب الحاجز - وهي مظهر هذا الجهد - أوضح في الجهر منها في الهمس كما يتضح من نطق السين والزاي مشكلتين بالسكون في نفس واحد على التعاقب<sup>(١)</sup>، وأما إشباع الاعتماد من موضعه فمعناه أن تلك القوة الناشئة عن ضغط الهواء المندفِع من الرئتين تستمر خلال أعضاء النطق، وفراغات الحلق والفم، حتى تصل إلى مخرج الحرف، عند التقاء عضوي النطق بعضهما ببعض فيضغط هذا الهواء بقوة على مكان خروج الحرف، وهذا ما اعترف به الدكتور أنيس والدكتور تمام أيضاً.

يقول الدكتور أنيس: ولأمر ما عبر سيبويه بقوله أشيع الاعتماد في موضعه ولم يقل في مخرجه، لأنه كان يشعر بهذا الإشباع في كل مجرى الصوت منذ صدره من الرئتين إلى انطلاقه إلى الخارج، فكلمة الموضع هنا هي ما عبرنا عنه في هذا الكتاب بالمجرى<sup>(٢)</sup>، وقال الدكتور تمام: «ظن سيبويه» على احتمال أن الجهر والهمس مع ارتباطهما بتفاوت كمية الجهد في الصدر إنما يحدثان في المخرج، فهذا المخرج يحدث فيه الجهر عند زيادة كمية الجهد الصدى على حد تعبيره عند إشباع الاعتماد كما يحدث فيه الهمس عند إضعاف الاعتماد، وكلام الدكتور تمام يتفق مع كلام الدكتور أنيس - وإن كان يختلف معه في تفسير الموضع بالمخرج - إذ إن الهواء الخارج من الرئتين يستمر في الضغط في أثناء سيره في مجراه، فإذا وصل إلى عضوي النطق زاد ضغطه وقوى، فيؤثر في المخرج تأثيراً كبيراً مما ينجم عنه الإحساس بالجهر، وقد ربط الدكتور تمام بين هذا المعنى لإشباع الاعتماد في الموضع وبين عمل الأوتار الصوتية كما يراها المحدثون، فقال: إن مرجع ذلك من الناحية العضوية إلى أن الأوتار الصوتية كما ذكرنا تتلاصق بخفة عند الجهر فتعوق هواء الرئة عن الخروج بعض الشيء ولكنها تتقارب دون التصاق في حالة الهمس فيكون تسرب الهواء منها أيسر وتكون حركة الحجاب الحاجز من

(١) مجلة الأزهر عدد شوال ١٣٨٠ مارس ١٩٦١ من مقال بعنوان مصطلحات سيبويه في أصوات العربية ص ١٠٨٢.

(٢) الأصوات اللغوية ٩٢.

ثمَّ أقلَّ عنقاً<sup>(١)</sup>، ويؤكد هذا الكلام فهمنا للعبارة الأخيرة في التعريف، وهى منع النفس أن يجرى معه حتى ينقضى الاعتماد ويجرى الصوت، فكأن الأوتار الصوتية حين يتقارب بعضها من بعض تكاد تمنع الهواء من المرور، وهذا يجعل الهواء يؤثر عليها بالاهتزاز المستمر حتى ينتهى الصوت إلى مخرجه، ويبرز إلى الوجود، وأما المهموس فإن ابن جنى وسيبويه قد صرحا بأنه حرف أضعف الاعتماد من موضعه حتى جرى معه النفس<sup>(٢)</sup>، وجرى النفس مع الصوت معناه: أن الهواء وجد الطريق متسعاً لخروجه، وهذا فيما يبدو نتيجة ابتعاد الوترين الصوتيين أحدهما عن الآخر فلا يؤثر الهواء فيهما بالاهتزاز، ومن ثم تضعف قوة بروز الحرف عما يجعله مهموساً، وهذا يوافق رأى الدكتور أنيس إذ يقول تفسيراً للعبارتين السابقتين: "منع النفس - وجرى النفس":

ومعنى هذا فى رأى أن الحس الرفيف لسيبويه جعله يشعر مع المجهور باقتراب الوترين الصوتيين أحدهما من الآخر، حتى ليكادان يسدان طريق التنفس، وتلك هى الصفة التى وضحها لنا المحدثون حين وصفوا ما يجرى فى الحنجرة مع المجهورات، وهذا يضطر هواء النفس إلى الاندفاع من بينهما فى قوة تحرك الوترين الصوتيين، وتجعلهما يتذبذبان، ويظلان يتذبذبان حتى ينقضى الاعتماد، أى حتى تنتهى العملية العضلية المطلوبة فى إصدار الصوت، أما فى حالة المهموس فنجد طريق التنفس معه مفتوحاً بحيث يسمح بانسيابه حرّاً طليقاً، وتلك هى الحال التى عبر عنها المحدثون بقولهم: "إن الوترين الصوتيين مع المهموس يبتعد أحدهما عن الآخر، فينطلق النفس من بينهما دون حاجة إلى تحريكهما وإحداث ذبذبات بهما<sup>(٣)</sup> ومن هذا يتضح أن سيبويه ومع ابن جنى وغيرهما من علماء الأصوات العرب كانوا يفهمون سير الصوت اللغوى بطريقة دقيقة، ويدركون هذا الجهد الذى ينشأ عنه اهتزاز الأوتار وعدم اهتزازها، ويؤكد أنه لا يفترق بذلك عن رأى

(١) العدد السابق من مجلة الأزهر ١٠٨٠.

(٢) سر الصناعة ٦٩/١ والكتاب ٢/٤٠٥.

(٣) الأصوات اللغوية ٩٣.

المحدثين، ويوضح ذلك أن سيبويه جعل فى بعض عباراته الصوت المجهور يخرج من الصدر، والمهموس من الفم، يقول فيما نقله عنه السيرافى عن أبى الحسن الأخفش قال: قال أبو الحسن الأخفش: سألت سيبويه عن الفصل بين المهموس والمجهور فقال: المهموس إذا أخفيته، ثم كررته أمكنك ذلك فيه، وأما المجهور فلا يمكنك ذلك فيه، ثم كرر سيبويه (التاء) بلسانه وأخفى فقال: ألا ترى كيف يمكن، وكرر (الطاء والذال) وهما من مخرج التاء فلم يمكن، وأحسبه ذكر ذلك عن الخليل، قال سيبويه: وإنما فرق بين المجهور والمهموس أنك لا تصل إلى تبين المجهور إلا أن تدخله الصوت الذى يخرج من الصدر، فالمجهورة كلها هكذا يخرج صوتهن من الحلق ويجرى فى الحلق، غير أن الميم والنون يخرج أصواتهما من الصدر، ويجرى فى الحلق والخيشوم فيصير ما جرى فى الخيشوم غنة تخالط ما جرى فى الحلق، والدليل على ذلك أنك لو أمسكت أنفك ثم تكلمت بهما، رأيت ذلك قد أخل بهما، وأما المهموسة فتخرج أصواتها من مخرجها، وذلك مما يزجى الصوت ولم يعتمد عليه فيها كاعتمادهم فى المجهور، فأخرج الصوت من الفم ضعيفاً، والدليل على ذلك أنك إذا أخفيت همست بهذه الحروف، ولا تصل إلى ذلك فى المجهور، فإذا قلت (شخص) فإن الذى أزعج هذه الحروف صوت الفم، ولكنك تتبع صوت الصدر هذه الحروف بعد ما يخرجها صوت الفم ليبلغ ويفهم الصوت، فالصوت الذى يكون من الصدر ههنا نظير ذلك الصوت الذى ترفعه بعد ما تزجى صوت الصدر<sup>(١)</sup> فالمراد بصوت الصدر كما يقول الدكتور أنيس هو صدى الذبذبات التى تحدث فى الوترين الصوتيين بالحنجرة، وهذا الصدى نحس به ولا شك فى الصدر كما نحس به حين نسد الأذنين بالأصابع أو حين نضع الكف على الجبهة، فهو الرنين الذى نشعر به مع المجهورات، وسببه تلك الذبذبات التى فى الحنجرة، وفى العبارة فوق هذا أمر آخر أشد عجباً إذ إن سيبويه -على الرغم من أنه لم يكن يعرف الموجات والذبذبات- قد أحس بمفهومها، فموجات الهواء التى تخرج من الصدر على حد تعبيره تضخمها الفراغات الرنانة

(١) شرح السيرافى للكتاب الجزء الثالث ص ١٥، ١٦ من فصل الإدغام.

فى الخلق والفم، فتسمعها الأذن، إلا أن الفرق بين المجهور والمهموس أن مصدر الذبذبات مع المجهورات هو الخنجرة، على حين أن مصدرها مع المهموسات هو الخلق والفم، وتضخمها الفراغات الرنانة، ولكنها ذبذبات ضعيفة ليس لها أثر قوى فى السمع، وهذا هو معنى قوله: إن المجهورة يزجىها صوت الصدر أما المهموسة مثل شخص فإن الذى يزجىها صوت الفم<sup>(١)</sup>.

وإننى أرى أن ذلك حقاً هو ما أحس به سيبويه، وضمنه تلك العبارات العلمية المعتمدة على المنهج السديد، فى التعبير بصوت الصدر، وصوت الفم، فمع المجهور تتأثر الأوتار الصوتية بتلك القوة النابعة من أول خروج الهواء، فتتهتز اهتزازاً يضخم الصوت ويجعله يرن فى الأعماق، ويسير بنفس القوة حتى يصل إلى الفراغات الأخرى فى الخلق والفم فتزيده تضخماً وعمقاً، وهذا ما عبر عنه بصوت الصدر، أما مع المهموس فإن الأوتار الصوتية تظل على حالها من الابتعاد، وبهذا لا تتأثر بالهواء، فلا يبقى أثر لتضخم الصوت فى الخنجرة، ويقتصر التضخم على فراغات الخلق والفم، وهذا ما عبر عنه بصوت الفم، ويؤكد ذلك أنه قال عن كلمة شخص فى العبارة السابقة "إنك تتبع صوت الصدر هذه الحروف بعد ما يزجىها صوت الفم ليبلغ ويفهم الصوت".

ويبدو أنه يعنى بصوت الصدر "الصوت الذى فى حركات الكلمة "شخص" والحركات كما نعرف مجهزة، وهكذا يكون سيبويه قد أرشدنا إلى أن الحركات فى الكلمات المشتعلة على حروف مهموسة فقط تساعد على وضوح مثل هذه الكلمات فى السمع<sup>(٢)</sup>.

ويوافق أيضاً تعريف سيبويه وابن جنى للشديد والرخو والمتوسط ما قال به المحدثون فى هذا الشأن، فقد قالوا فى تعريف الشديد: "إنه هو الذى يمنع الصوت أن يجرى فيه"<sup>(٣)</sup>، فمنع الصوت ناشئ عن الانحباس المؤقت الذى نحس به فى

(١) الأصوات اللغوية ٩٠، ٩١.

(٢) الأصوات اللغوية ٩١.

(٣) الكتاب ٤٠٦/٢ وصر الصناعة ١/٧٠.

مخرج الحرف لحظة قصيرة جداً بسبب التقاء العضوين التقاءً محكمًا، فإذا انفرجا فجأة سمعنا ما يشبه بالصوت الشديد، وما يسميه الأوربيون بالصوت الانفجاري<sup>(١)</sup> فالشدة ناشئة عن إقفال مجرى الهواء عند مخرج الصوت، ويفهم من كلام سيبويه أن تلك الصفة تتحقق بإقفال المجرى الفموى وإن كان مجرى الأنف مفتوحًا، والدليل على ذلك كما يقول الدكتور تمام حسان\* أنه يصف اللام والراء بالشدة، فهو يصف اللام بقوله: ومنها المنحرف وهو حرف شديد جرى فيه الصوت لانحراف اللسان مع الصوت، ولم يعترض على الصوت كاعتراض الحروف الشديدة وهو اللام<sup>(٢)</sup>، فاللام شديدة في رأيه لأن اتصال طرف اللسان في نطقها بما فوق الثنايا كان يمكن أن يمنع جرى الصوت فيها لولا أن انحراف اللسان ترك للصوت فرصة الجريان من جانبه<sup>(٣)</sup>.

وليس كالرخوة لأن طرف اللسان لا يتجافى عن موضعه وليس يخرج الصوت من موضع اللام ولكن من ناحيتي مستدق اللسان فوق ذلك<sup>(٤)</sup>، وقال نحوًا من ذلك عن حرفي الراء والميم<sup>(٥)</sup>، أما ابن جنى فلا يوافق سيبويه في عدّ هذه الحروف من الحروف الشديدة بل يعدها من الحروف المتوسطة، وهو ما يتفق تمامًا مع وجهة المحدثين<sup>(٦)</sup>، مع أنه سمى اللام بالحرف المنحرف كما ورد عند سيبويه وذكر مخرجه كما قال سيبويه نصًا<sup>(٧)</sup>.

والرخاوة في نظر سيبويه: جريان الصوت في نطق الحرف لضيق المخرج دون إقفاله، وهذا يوافق وجهة المحدثين الذين قالوا إن عضوى النطق لا يلتقيان التقاءً محكمًا عند النطق بالمهموس، بل يكون بينهما فراغ يسمح للهواء بالمرور، وهو ما عبر عنه سيبويه بجريان الصوت، وفي أثناء هذا المرور يحتك الهواء بعضوى النطق مما جعل المحدثين يطلقون عليه اسم الاحتكاكى، وواضح من هذا أن سيبويه يفرق بين منع النفس ومنع الصوت، فمنع النفس يكون مع المجهور من

(٢) الكتاب ٤٠٦/٢.

(١) الأصوات اللغوية ٩٣.

(٣) مجلة الأزهر العدد السابق ١٠٨٣. (٤) سر الصناعة ٦٩/١، ٧٠.

(٥) نفسه ٧٢.



الاصوات، ومكانه الخنجرة، حيث يؤدي إلىذبذبة الاوتار الصوتية، أما منع الصوت فيكون فى مخرج الحرف وذلك فى المهموسات وابن جنى تابع لسيبويه فيما ذهب إليه.

ونعتقد بعد هذا البيان أن حديث القدامى عن الجهر والهمس والشدة والرخاوة والتوسط يتفق مع وجهة نظر المحدثين، وكل ما يمكن ملاحظته من اختلاف فى الاصطلاحات كتسمية المحدثين للشديد بالانفجارى، والرخو بالاحتكاكى، والمتوسط بالمائع، ناشئ عن ملاحظة الأقدمين أنفسهم وهو أن الهواء ينحبس فى الأول ثم ينطلق بقوة ويحدث دويًا يسوغ تسميته بالانفجارى، وفى الثانى يحرك الهواء بعضوى النطق فى أثناء مروره لعدم إحكام الاتصال بينهما فلذلك سمي بالاحتكاكى، والثالث متردد بين منع الهواء والسماح له بالمرور بلا حفيف فسمى بالمائع.

فالمسألة اختلاف ألفاظ ومصطلحات فقط، كما قال الأستاذ برجستراسر<sup>(١)</sup>.

### ما اختلف فيه الأقدمون والمحدثون وسبب الخلاف

لقد اختلف الأقدمون والمحدثون فى تحديد مخارج بعض الحروف وصفاتها، وهذا الاختلاف - فى أغلب الظروف - ناشئ عن تطور أصوات تلك الحروف على المدى الطويل الذى مرت به اللغة العربية بين الأجيال المتعددة.

### الهمزة

اختلف الأقدمون والمحدثون فى مخرج الهمزة، فيرى الأقدمون - ومنهم ابن جنى - أنها من حروف أقصى الحلق<sup>(٢)</sup> وهذا هو رأى المعتمد عندهم فلا نظر لرأى الخليل الذى يعد الهمزة فى الهواء وليس لها حيز تنسب إليه، وأنها تخرج من الجوف<sup>(٣)</sup>، ويرى المحدثون: أن الهمزة المحققة تخرج من نفس المزمار، لأن فتحة المزمار تنطبق انطباقًا تامًا عند النطق بها فلا يتسرب شيء من الهواء إلى

(١) التطور النحوى ٨ وانظر ص ٥٤٢ من كتابنا، وفقه اللغة للمبارك ٣٦.

(٢) سر الصناعة ٥٢/١ والكتاب ٤٠٥/٢. (٣) العين ٦٤، ٦٥.



الحلق، ثم تنفرج فتحة المزمار فجأة، فيسمع صوت انفجارى هو ما يعبر عنه بالهمزة<sup>(١)</sup> ويعد ابن جنى وغيره من القدماء الهمزة من الحروف المجهورة، فقد جمع المهموسة فى قوله (ستشحك خصفة) وجمعها غيره فى قوله: (سكت فحته شخص) وليست الهمزة منها، وهو يصرح بأن باقى الحروف - وهى تسعة عشر حرفاً - مجهورة<sup>(٢)</sup>، وأكثر من ذلك وضوحاً لرأى ابن جنى أنه يقول فى باب الهمزة: اعلم أن الهمزة حرف مجهور<sup>(٣)</sup>، وعدداً سيويه فى المجهورات التسعة عشر - أ - ع - غ - ق - ج - ي - ص - ل - ن - ر - ط - د - ر - ظ - ذ - ب - م - و<sup>(٤)</sup>.

وهذا يؤكد لنا أن القدماء قد عدوها مجهورة ومبنى مذهبهم هو تعريف المجهور عندهم، فقد عرفوه: بأنه ما يمنع النفس من الجريان معه حتى ينقضى الاعتماد على ما سبق بيانه<sup>(٥)</sup>، والهمزة من الأصوات التى تمنع النفس عند مروره بالحنجرة، أما المحدثون فقالوا: إنها غير مجهورة ولكنهم اختلفوا فيما بينهم فى وصفها، فذهب بعضهم إلى أنها مهموسة، ومن هؤلاء الدكتور تمام حسان<sup>(٦)</sup> والدكتور عبد الرحمن أيوب<sup>(٧)</sup>، وذهب بعضهم الآخر إلى أنها صوت لا هو بالمجهور ولا هو بالمهموس، ومن هؤلاء دانيال جونز وتابعه على ذلك الدكتور أنيس.

ولكل واحد من الرايين السابقين أساس بنى عليه، فالقائلون بالهمس بنوا رأيهم على ما ذهب إليه هقنر من أن للحنجرة وظيفتين ذبذبة الأوتار الصوتية وهى صفة الجهر وعدم ذبذبتها وهى صفة الهمس ويدخل فى حالة عدم الذبذبة حالة

(١) التجويد والأصوات ٥٧ والأصوات اللغوية ٧٢.

(٢) سر الصناعة ٦٩/١. (٣) نفسه ٧٨.

(٤) الكتاب ٤٠٥/٢. وانظر فقه اللغة. د. العزائى ١٦١.

(٥) سر الصناعة ٦٩/١ والكتاب ٤٠٥/٢.

(٦) مجلة الأهر العدد السابق ١٠٨١.

(٧) أصوات اللغة ١٨٣.

الاحتباس فى الحنجرة وذلك فى الهمزة<sup>(١)</sup>، ويقول الدكتور أيوب فى ذلك: يجب أن يلاحظ أنه عندما يكون الانحباس فى منطقة الحنجرة وهنا يكون الساكن الناتج من هذا الانحباس همزة لا يمكن أن تظل الأوتار الصوتية على ذبذبتها ضرورة أن الانحباس فى هذه الحالة يتم بانطباق الأوتار الصوتية انطباقاً تاماً، وهو أمر يناقض التذبذب، ومن أجل هذا نقول بأن الهمزة مهموسة لأن الهمس يعنى عدم التذبذب<sup>(٢)</sup>.

أما القائلون بأنها صوت لا هو بالمجهور، ولا هو بالمهموس، فقد بنوا مذهبيهم على ما ذكره دانيال جونز من أن للحنجرة ثلاث وظائف:

- ١- الاحتباس<sup>(٣)</sup> وذلك فى الهمزة وحدها.
- ٢- الانفتاح<sup>(٤)</sup> دون ذبذبة وذلك فى المهموسات.
- ٣- الانفتاح<sup>(٤)</sup> مع الذبذبة وذلك فى المجهورات<sup>(٢)</sup>.

ويبدو أن هذا الرأى شديد، لأن أحوال الهواء مختلفة، فهو إذا انطلق إما أن يؤثر فى الأوتار الصوتية فيحدث الجهر، أولاً يؤثر فيها فيحدث الهمس، واحتباس الهواء فى الحنجرة شىء جديد وحال أخرى مغايرة لسابقتها، فالأولى ملاحظتها فى صوت الهمزة، وبخاصة أننا فى مجال البحث العلمى الدقيق، ومع هذا فقد تبع بعض المحدثين القدماء فى خروج الهمزة من أقصى الحلق<sup>(٥)</sup> وفى وصفها بالجهر<sup>(٦)</sup> كاللكتور صبحى الصالح<sup>(٧)</sup>.

### القاف

من الأصوات التى اختلف وصفها بين الأقدمين والمحدثين القاف على الرغم من اتفاقهم على مخرجها، وهو أقصى اللسان مع ما يحاذيه من الحنك

(١) القراءات القرآنية ٢٤، وهفتر عالم لغوى أمريكى.

(٢) أصوات اللغة دكتور أيوب ١٨٣. (٣) يعنى احتباس الهواء فيها.

(٤) يعنى انطلاق الهواء. (٥) دراسات فى فقه اللغة ٣٢٢.

(٦) نفسه ٣٢٥. (٧) نفسه ٣٢٠.

الأعلى<sup>(١)</sup> وتسمى صوتاً لهوياً نظراً لأنه حال النطق بها ينحبس الهواء باتصال أدنى الحلق (بما فى ذلك اللهاة) بأقصى اللسان ثم ينفصل العضوان انفصالاً مفاجئاً ولذلك يمكن أن تسمى القاف صوتاً لهوياً نسبة إلى اللهاة<sup>(٢)</sup>، وقد وصفها بذلك الدكتور محمود السمران، فقد قال: القاف صامت مهموس لهوى انفجارى<sup>(٣)</sup>، وقد وصفها الأقدمون ومنهم ابن جنى بالشدة، ولكن تبين للمحدثين أنها مهموسة بحسب نطق مجيدى القراءات فى مصر الآن<sup>(٤)</sup>، وقد لاحظ علماء اللغة المحدثون أن السودانيين العرب، وبعض القبائل فى جنوب العراق ينطقون قافاً مجهورة قريبة من الغين<sup>(٥)</sup>، وقد لاحظوا أيضاً أن معظم البدو الآن ينطقون القاف نطقاً يشبه الجيم القاهرية، ولكنها أعمق منها فى أقصى الفم وأكثر استعلاء<sup>(٦)</sup>، وهم بذلك يميلون إلى تصور أن القاف العربية القديمة كانت تشبه ذلك الصوت المجهور، إما بطريقته السودانية أو بطريقته البدوية، ثم همس على توالى الأيام<sup>(٧)</sup>.

وكل هذا لا يمكن فى رأينا رده أو قبوله، لأن العرب الفصحاء قد انقرضوا، ولم نعد نستطيع الوقوف على الطريقة التى كانوا يتبعونها فى نطق هذا الصوت، ولكن وصف علماء اللغة له بالجهري يؤكد أنه لم يكن كالقاف التى ننطق بها الآن، بل عراه بعض التطور حتى أصبح كما نحسه ونلهج به.

والتطور سنة الحياة، وطريق طبيعى سارت فيه كل اللغات وأصواتها، بل إننا نشاهد القاف التى ينطقها القراء اليوم والتى وصفت بالهمس لدى المحدثين قد تطورت إلى صور أخرى فى اللهجات الدارجة، ففى مصر والشام تنطق الآن همزة، وفى بعض جهات الوجه القبلى بمصر، وبين كثير من قبائل البدو فى الصحراء تنطق كالجيم القاهرية، وتطورها إلى الهمزة أو الجيم القاهرية يتمشى مع قانون التطورات الصوتية إذ إنها تشترك مع الهمزة فى صفة الشدة التى تتحقق لغير

(١) التجويد والأصوات ٥١.

(٢) الأصوات اللغوية ٦٩. (٣) علم اللغة د. السمران ١٧٠.

(٤) الأصوات اللغوية ٦٧ ومجلة الأزهر العدد السابق. د. تمام حسان ١٠٨١ والتطور النحوى ٩.

(٥) الأصوات اللغوية ٦٨. (٦) الأصوات اللغوية ٦٧، ٦٨.

الهمزة من أصوات الحلق، وبينها وبين الجيم القاهرية تقارب في المخرج، فهما معاً من أقصى اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى كما سبق بيانه، وصفة الجهر كذلك تجمع بينهما بالنظر إلى أصل القاف العربى المجهور.

### الجيم

يتفق الأقدمون- ومنهم ابن جنى- والمحدثون فى تحديد مخرج هذا الصوت، وأنه من وسط اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى<sup>(١)</sup>، ولكنهم يصفونه بالشدة، والمحدثين بأنه قليل الشدة؛ وذلك لأنه حال نطقه يلتقى وسط اللسان بوسط الحنك الأعلى التقاء يكاد ينحبس معه مجرى الهواء، فلذا انفصل العضوان انفصالاً بطيئاً سمع صوت يكاد يكون انفجارياً هو الجيم العربية الفصيحة، فانفصال العضوين هنا أبطأ قليلاً منه فى حالة الأصوات الشديدة الأخرى، ولذلك يمكن أن تسمى الجيم العربية الفصيحة صوتاً قليل الشدة<sup>(٢)</sup>، وقد وصفه الدكتور تمام حسان بأنه غارى مركب مجهور مرقق، يتم النطق به بأن يرتفع مقدم اللسان فى اتجاه الغار حتى يتصل به محتجزاً وراءه الهواء الخارج من الرتتين، ثم بدل أن يتفصل عنه فجأة كما فى نطق الأصوات الشديدة يتم هذا الانفصال ببطء، فيعطى الفرصة لهواء الرتتين بعد الانفجار أن يحتك بالعضوين المتباعدين احتكاكاً شبيهاً بما يسمع من صوت الجيم الشامية، وينطق مثلها فى الصعيد والسودان<sup>(٣)</sup>، ومعنى ذلك أن هذا الصوت العربى يجمع بين عنصر الشدة وعنصر الرخاوة، فهو مركب منهما، ولهذا سميناه صوتاً مركباً<sup>(٤)</sup>، وهذا رأى بناء الدكتور أنيس والدكتور تمام على نطق القراء، لأن هذا النطق أقرب إلى الجيم الأصلية إن لم تكن هى نفسها، ولكن ذلك غير مؤكد، وهذا ما يعترف به الدكتور أنيس نفسه حين يقول: ليس لدينا دليل يوضح لنا كيف كان ينطق بالجيم بين فصحاء العرب، لأنها تطورت تطوراً كبيراً فى اللهجات العربية الحديثة<sup>(٥)</sup> والقراء

(١) سر الصناعة ٥٢/١ والتجويد والأصوات ٤٩ والأصوات اللغوية ٦٥.

(٢) الأصوات اللغوية ٦٥، ٦٦. (٣) مناهج البحث فى اللغة ١٠٣، ١٠٤.

(٤) نفسه ٨٧. (٥) الأصوات اللغوية ٦٥.

ليسوا المقياس المعتمد دائماً للنطق العربى القديم، فمن المؤكد كما يقول الدكتور تمام أن الضاد العربية التى كانت اللغة تمتاز وتتسمى بها قد تغيرت فى قراءة القرآن المعاصرة، وأصبحت الضاد فى قراءة القرآن اليوم دالا مفخمة شديدة، ويخرج الهواء عند نطقها على خط الوسط فى الفم، ولم تعد رخوة ولا يخرج الهواء فى نطقها من جانب اللسان<sup>(١)</sup>.

ويعجبني فى ذلك ثبات رأى أستاذنا الدكتور نجما فى عد الجيم صوتاً شديداً كما يقول الأقدمون لا قليل الشدة على ما يراه بعض الباحثين المحدثين، ومثله الأستاذ برجستراسر فقد قال: إن الجيم عند أكثر العرب معطشة مركبة من لفظى الدال والزاي أى الـ (ge) الفرنسية وهى كانت بسيطة مجهورة شديدة مثل نطقها الحالى عند المصريين لكنها لم تكن مثل الجيم المصرية بعينها، لأن مخرج الجيم المصرية هو مخرج الكاف، ومخرج الجيم العتيقة هو مخرج الشين والياء، فالرأى الأقرب إلى الصواب أن الجيم العتيقة كانت مثل الكاف التركىة فى مثل كلمة كاه أى أنها كانت مشجرة<sup>(٢)</sup>.

وقد تطورت الجيم فى اللهجات الحديثة فینطقها القاهريون خالية من التعطيش، وبسالىخ السورىون فى تعطيشها، وينطقها بعض أهالى الصعيد عندنا دالا، ويجعلها بعض البدو مرحلة وسطى فيها شىء من شدة الدال، وشىء من التعطيش، وهذا التطور الذى اعترى الجيم العربية يسير وفق القوانين الصوتية - كما يقول المحدثون - لأنها فى حالة تطورها إلى الجيم القاهرية لم تزد على أن تدرجت بمخرجها إلى الورا قليلًا فقربت من أقصى الحنك، وبهذا زادت شدة وانقطع ما يسمى عادة بالتعطيش، أما فى تطورها إلى الدال فقد اقتربت بمخرجها إلى الأمام، وبذلك زادت شدة أيضاً وانقطع تعطيشها<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر مجلة الأهر العدد السابق ص ١٠٨٧.

(٢) انظر التطور النحوى ٩.

(٣) الأصوات اللغوية ٦٦.



## الطاء

اتفق الاقدمون والمحدثون على السواء فى مخرجها، فهى من طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا<sup>(١)</sup>، ولكن الاقدمين - ومنهم ابن جنى - وصفوها بالجهر والمحدثين بالهمس، وليس معنى ذلك أن أحد الفريقين تجاوز الصواب فى رايه، بل كل منهما مبنى على أساس النطق الذى وصل إليه، ويتضح من وصف القدامى لها بالجهر أن هذا الصوت كان نطقه شبيهاً بنطق الضاد المعروفة اليوم فى مصر إذ إن هذه الضاد ليست هى الضاد العربية الفصحى، فإن تلك كانت تنطق من جانب اللسان أو من كلا الجانبين على نحو يصعب التفوه به بحيث عد صوتاً تنفرد به العربية وتلقب به، فيقال لها: لغة الضاد، أما الضاد الحديثة فبعيدة كل البعد عن تلك الضاد العربية الفصحى، ويظهر أن الطاء التى نطق بها العرب كانت قريبة الشبه من تلك الضاد الحديثة التى ينطق بها الآن، ويدل لذلك قول ابن الجزرى: إن المصريين ينطقون بالضاد المعجمة طاء مهملة<sup>(٢)</sup>، ويدل له أيضاً قول ابن جنى نقلاً عن سيبويه: لولا الإطباق لصارت الطاء دالا (الصاد سينا والطاء ذالا) ولخرجت الضاد من الكلام لأنه ليس شئ من موضعها غيرها<sup>(٣)</sup>، وقد قارن ابن جنى بين الدال والطاء على أنها هى النظير اللين للطاء والطاء هى النظير الصلب لها<sup>(٤)</sup>، فالطاء المطبقة بنطقنا لا نناظرها الدال وإنما نناظرها التاء أما الدال فنظيرها المطبق هو الضاد التى ننطق بها الآن، مما يدل على أن نطق الطاء الفصحى كان هو نطق الضاد الآن، وإلا لقال: لولا الإطباق لصارت الطاء تاء، وقوله: ولخرجت الضاد من الكلام بين أنه يقصد ضاداً أخرى غير التى ننطق بها الآن؛ لأن التى ننطق بها الآن إذا جردت من الإطباق أصبحت دالا فكيف يقول: ولخرجت الضاد من الكلام؟

(١) سر الصناعة ١/ ٥٣، والتجويد والأصوات ٤٠.

(٢) التجويد والأصوات ٤٢ والأصوات اللغوية ٥١ والقول المفيد ٧٥.

(٣) سر الصناعة ١/ ٧٠، ٧١ والكتاب ٢/ ٤٠٦.

(٤) انظر ص ٥٨٣ من كتابنا.



هذا يدل صراحة على أن نطق الضاد العربية ليس هو النطق الذي نعرفه اليوم للضاد، بل هو نطق آخر أشرنا إليه سابقاً، ويدل لذلك أيضاً، أنني سمعتُ إبان سفرى إلى اليمن وعملى فى جامعة صنعاء مدة عامين فى السبعينيات من القرن الماضى، من نطق أهل اليمن للطاء فى كلمة مثل مطر وأمطار "كأثما هى مضر وأمضار، وكذلك سمعتُ من بعض البدو، فالطاء القديمة المجهورة لا تزال نسمعها فى بعض اللهجات الحديثة" (١).

وعلى هذا تكون تخطيطة الدكتور تمام حسان لسيبويه فى عدّ الطاء مجهورة بناء على عدم وجود أثر النطق العربى غير مقبولة، فهو يقول: «وأما عدّ الطاء مجهورة فلست أظن سيبويه فيه إلا مخطئاً، فكل طاء ينطقها العرب فى أيامنا هذه مهموسة، ولو كان لجيل سيبويه من العرب طاء مخالفة لبقيت ولو فى لهجة عربية منعزلة غير هامة، وإذ لا نجد طاء مجهورة فى كلام العرب المعاصرين ولا على السنة القراء فلا بد أن نميل إلى اعتبار سيبويه مخطئاً فى وصف الطاء بالجهر» (٢)، فلا مسوغ لتخطيطة سيبويه وغيره من القدماء الذين تابعوه، ثم إن الأصوات - كما قلنا - قد خضعت للتطور والتغير (٣)، وكما يقول أستاذنا الدكتور نجما إنه من غير المحتمل أن يكون القراء قد جانبهم الصواب فى وصف هذا الحرف بالجهر، وذلك مما يحملنا على القول بتطور نطق هذا الصوت حتى صار على الوضع الذى نسمعه والذى لا يؤثر فى الأوتار بالاهتزاز، مما حمل بعض الباحثين المحدثين على الحكم عليه بالهمس لتحقيق وصف الهمس فيه (٤).

### الضاد

الضاد العربية - كما وصفها القدماء تكون - من أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس إلا أنك إن شئت تكلفتها من الجانب الأيمن، وإن شئت من الجانب الأيسر، أو من كلا الجانبين، كما يفهم من كلام سيبويه (٥)، والضاد بهذا الوصف

(١) الأصوات اللغوية ٥٢. (٢) مجلة الأزهر العدد السابق ١٠٨١.

(٣) التطور النحوى ٩، وانظر كتابنا: أصوات اللغة العربية، ط ٣، ص ١٥٧، ففيه تفصيلات كثيرة.

(٤) التجويد والأصوات ٤٢.

(٥) الكتاب بتحقيق الأستاذ هارون ٤/٤٣٢، ٤٣٣، وسر الصناعة ١/٥٢.

كانت إحدى خصائص لهجة قريش، ولم يكن في إمكان سكان البلاد المفتوحة أن ينطقوا بها، بل استعصت على السنة بعض القبائل العربية نفسها، وهي بهذا الوصف- كما يقول الأستاذ برجستراسر- حرف غريب جداً غير موجود بحسب ما يعرف في لغة من اللغات إلا العربية، ولذلك كانوا يكونون عن العرب بالناطقين بالضاد\* ويسمون لغتهم لغة الضاد<sup>(١)</sup>، ويقول الأستاذ براجستراسر أيضاً: إن الضاد العربية- بهذا الوصف- كانت تشبه في مخرجها مخرج اللام الذي هو أيضاً من حافة اللسان، ويدل لذلك أن الزمخشري ذكر في كتاب المفصل أن بعض العرب كانت تقول الطجع بدل اضطجع<sup>(٢)</sup> وأهل حضرموت ينطقونها كاللام المنطبعة، ويظهر أن الأندلسيين كانوا ينطقون بالضاد مثل ذلك، ولذلك استبدل بها الأسباب (Ld) في الكلمات العربية المستعارة في لغتهم، مثال ذلك أن كلمة القاضي صارت في الأسبانية Alcalde<sup>(٣)</sup> والمعهود نطقها قريبة من الظاء\* وكثيراً ما تطابقتا ونبادلتا في تاريخ اللغة العربية، وأقدم مثل لذلك مأخوذ من القرآن الكريم، وهو (بضين) في قوله تعالى ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينَ﴾ [التكوير] فقد قرأها بعض القراء (بظنين) بالظاء مكان الضاد التي رسمت بها في كل المصاحف<sup>(٤)</sup>، ولا يزال العراقيون حتى الآن وبعض البدو ينطقون بنوع من الضاد يشبه إلى حد ما الظاء كما يشبه إلى حد كبير ذلك الوصف الذي روى لنا عن الضاد القديمة<sup>(٥)</sup>، وهذا يعني اختلاف مخرجها وبعض صفاتها عن الضاد الحديثة التي تنطق بها الآن في مصر، فمخرج القديمة- كما عرفت- ويعدها القدماء قليلة الشدة أو من الأصوات الرخوة، أما الضاد الحديثة فمخرجها من طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا كما يقول أستاذنا الدكتور نجما، وهي صوت شديد لاتصال عضوى النطق - طرف اللسان وأصول الثنايا - اتصالاً محكماً يحول دون تسرب الهواء، فإذا انفصلا خرج صوت انفجاري هو الضاد المصرية<sup>(٥)</sup> - وهي بهذا الوصف تختلف عن الضاد العربية كثيراً- كما وصفناها- وكما يقول أستاذنا الدكتور نجما، يبدو أن تلك

(١) التطور النحوى ١ (٢) المفصل ٤٥/١ .

(٣) التطور النحوى ١١، وفي قراءة (بظنين) - بالظاء - انظر إنحاف فضلاء البشر، ص ٤٣٤ .

(٤) الأصوات اللغوية ٥٠ . (٥) التجويد والأصوات ٤٣، ٤٤ .

الضاد القديمة قد نالها التطور الذى عبر مجرى مرورها من الجانب أو الجانبين إلى أن وصلت إلى الصورة السابقة من خروجها من طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا<sup>(١)</sup> كما تسبب فى اختلاف صفة الشدة فيها، ونطق الضاد كالظاء نشأ من نطقها العتيق بتغيير مخرجها من حافة اللسان إلى طرفه، ونطقها الحديث نشأ من هذا النطق البدوى باعتماد طرف اللسان على الفك الأعلى بدل تقريبه منه فقط، فصار الحرف بذلك فى نطقه شديداً<sup>(٢)</sup>.

### "ل-ن-م-ر-ع-ا-و-ي"

لم تتفق كلمة العلماء فى وصف هذه الحروف حتى إننا نشاهد الأقدمين وقد انقسموا واختلفوا فى آرائهم

اتفق جميع العلماء قدامى ومحدثين - عدا سيويه - على أن الحروف ل - ن - م - ر من الأصوات المتوسطة بين الشدة والرخاوة، لأنها تسمح للهواء بالمرور الخفيف حال النطق بها، وقد وصف المحدثون الأحرف الثلاثة (ل - ن - ر) بالأصوات الواضحة، لأن نسبة وضوحها فى السمع أكثر من غيرها من الأصوات الساكنة الأخرى، ولذلك عقدوا شبهة بينها وبين أصوات اللين، إذ هى ليست بالشديدة التى يسمع لها دوى وانفجار، وليست بالرخوة التى تسمح للهواء بالمرور المطلق، وهذا مستمد من وصف القدماء لها بالتوسط بين الشدة والرخاوة<sup>(٢)</sup>، فهى إذاً أصوات خفيفة يلجأ إليها عند الاستكراه، كما يلجأ إلى أصوات اللين، فنحن نلاحظ أن كثيراً من الكلمات التى تشتمل على صوتين متماثلين كل المماثلة يتغير فيها أحد الصوتين إلى صوت لين طويل - وهو الغالب - أو إلى أحد هذه الحروف الثلاثة لشبهها بها ولا سيما اللام والتون<sup>(٣)</sup> ومن أمثلة ذلك:

١- عسّ: طاف بالليل، والعوس: الطوفان بالليل، رحّ: نحّاه عن موضعه..  
راح يزريح: بعد وذهب، وأرحته، قصّيت أظفارى: قصصت.

(١) التجويد والأصوات ٤٣، ٤٤. (٢) الأصوات اللغوية ٥٢، ٥٣.

(٣) نفسه ١٥٣، ١٥٤.

٢- الرّس: دفن الميت، والرمس: الدفن أيضاً - العنباس: الاسد، والعنبس: الاسد أيضاً<sup>(١)</sup>.

فهذا يوضح الاستعاضة عن أحد المثلين بصوت لين أو بأحد تلك الحروف الثلاثة الشبيهة بأصوات اللين لوضوحها وخفتها، وهى من الحروف التى وصفها القدماء بخروف الذلاقة التى هى الخفة والانطلاق، إذ هى من ذلق اللسان وهو طرفه، وقد عد سيبويه وابن جنى وغيرهما من القدماء العين من الحروف المتوسطة ولكن المحدثين لم يتيبنوا أمرها فلم يعدوها منها كما ذكرنا ذلك سابقاً<sup>(٢)</sup> والعجيب أن سيبويه يعد الحروف الأربعة من الأصوات الشديدة ولم يوافق على ذلك أحد من العلماء، وقد بنى رأيه هذا على أساس تعريف الشديد عنده وهو الذى يمنع الصوت أن يجرى فيه، وكما يبدو من وصفه لتلك الحروف الأربعة فقد خص الشدة بإقفال المجرى الفموى وإن كان مجرى الأنف مفتوحاً<sup>(٣)</sup> وعلى ذلك عدّ تلك الحروف شديدة لأن اللسان يبقى فى مكانه لا يتحرك، فيمنع الهواء من اجتياز مجرى الفم، ويتوجه إلى طريق الأنف، فبقاء اللسان فى موضعه حاجزاً يحول الهواء من اجتياز مجرى الفم كاف - عند سيبويه - فى إثبات معنى الشدة للصوت، ولكن سواء من القدماء، وكذلك المحدثين لاحظوا أن الهواء يخرج ولا ينحبس فعدها متوسطة، لأنها فى أثناء خروجها تصدر نوعاً من الخفيف الخفيف، ولم ينظروا إلى كون الخروج عن طريق الفم أو الأنف، وهذا فى نظرنا أولى من وجهة سيبويه.

وأما الثلاثة الأخيرة 'أ' و 'ي' فقد عدها ابن جنى من الأصوات المتوسطة بين الشدة والرخاوة، ووافق على ذلك صاحب الفصل<sup>(٤)</sup>، وربما كان لهما وجه بالنسبة للواو والياء إذا كانتا غير مد، وذلك لأن الفراغ بين الجزء المرتفع من اللسان

(١) نفسه، نفس الصحائف.

(٢) يجزم الدكتور تمام حسان بأن العين صوت رخو لأنه اتضح بصورة الأشعة ولم يقل ذلك غيره. مناهج البحث فى اللغة ١٠٢ والتجويد والأصوات ٦١ والأصوات اللغوية ٢٦ وانظر ص ٥٨٩ من كتابنا.

(٣) انظر ص ٥٩٦ من كتابنا.

(٤) الفصل ١٢٩/١٠ ونقل ابن الجزرى أن بعض العلماء أضاف للمتوسطة الياء والواو ولكنه اكتفى بحصرها فى لن عمر. انظر النشر ٢٠٢/١ والقول المفيد ٤٧.

والحنك الأعلى يضيق إلى حد يجعل مرور الهواء يحدث نوعاً ضعيفاً من الحفيف الذى يسمع<sup>(١)</sup> فيمكن عدهما من الأصوات المتوسطة لذلك، فأما الألف فليس لهما ما يسوّغ عدها من الأصوات المتوسطة، بل هى من الأصوات الانطلاقية المتسعة المخرج، والتي يمر معها الهواء دون عائق على ما صرح به ابن جنى نفسه، فالأولى أن تسلك بين أصوات اللين، إذ لها وضع لغوى خاص ذكرناه فيما سبق تفصيلاً.

وكذلك شأن الواو والياء مدتين، فكان الأولى بابن جنى ألا يذكر هذه الأحرف الثلاثة هنا لأنها من أصوات اللين ولها حكم خاص بها<sup>(٢)</sup> ولذلك وجدنا سيبويه وصاحب النشر<sup>(٣)</sup> لا يذكرانها فى هذا الموضع وتابعهما على ذلك المحدثون الذين اكتفوا بوصف الأربعة الأولى فقط بالتوسط وهو الصواب الذى لا محيد عنه.

### خاتمة

بعد هذا العرض والتحليل نرى أن ابن جنى قد عالج الموضوع من معظم جوانبه، وتحدث فى الأصوات حديث العالم المدرك لحقيقة الأمور اللغوية، وقد تحدث كغيره من سابقه عن مخارج الحروف وصفاتها بما يقترب - إن لم نقل يماثل تماماً - ما وصل إليه المحدثون من نظريات مبتكرة اعتماداً على الآلات والتجارب، وتعد نظريات المحدثين عن طول الصوت اللغوى، والدراسة الوصفية والتنظيمية للحروف وغيرها مبنية على دراسة القدماء، ومستمدة من أفكارهم، فلنا أن نفخر بعلم أسلافنا وجهودهم فى ميدان الدراسة والبحث الصوتى، وعلينا أن نتابعهم ونقفو أثرهم حتى نصل بالدراسة الصوتية إلى ما نرجوه للغتنا العربية من تفوق على غيرها، وحتى تظل - كما قدر لها العزيز الحكيم - سيدة لغات العالم قديماً وحديثاً.

(١) الأصوات اللغوية ٤٣ والتجويد والأصوات ٣٦.

(٢) على أنها إن كان لابد من عدها فهى من الأصوات الرخوة على ما ذكره د. الصالح. انظر دراسات فى فقه اللغة ٣٢٦.

(٣) الفصل ١٢٩/١٠ ونقل ابن الجزرى أن بعض العلماء أضاف للمتوسطة الياء والواو ولكنه اكتفى بحصرها فى لن عمر. انظر النشر ٢٠٢/١ والقول المفيد ٤٧.



## الإبدال

تعريفه: فى اللغة مصدر أبدلت كذا من كذا إذا أقمته مقامه<sup>(١)</sup> والاصل فيه: جعل شيء - مكان شئ آخر<sup>(٢)</sup>، وفى الاصطلاح: جعل حرف مكان آخر مع الإبقاء على سائر أحرف الكلمة<sup>(٣)</sup> وقد لحظ أستاذنا الدكتور نجما أن لفظ الإبدال عام يحتاج إلى تحديد فقال: "إذا تأملنا فيما يدل عليه لفظ الإبدال رأيناه صالحاً لشمول كل تغيير غير الحروف والحركات ولكننا نقف إزاء التغيير الذى يلحق الحروف والحركات لأنها النظرة التى نظرها اللغويون، وعلى هذا فنعرف الإبدال بأنه: جعل حرف مكان آخر أو حركة مكان أخرى<sup>(٤)</sup> وقد قسم سيادته الإبدال إلى قسمين:

- ١- مطرد عند جميع العرب وهذا إذا استوفى شرطه وجب تنفيذه، وهو الخاص بحروف (هدأت موطياً) وقد تكفل الصرف بدراسته.
- ٢- الإبدال غير المطرد وهو الذى لا يخضع لشرائط خاصة بحيث إذا لم يتفد عد مخالفه مرتكباً سبيل الشذوذ، وهذا لا يكون عند العرب جميعاً، ولكن يتنوع

(١) القواعد والتطبيقات ص ١ وشرح التصريح ٣١٦/٢ ولسان العرب ٥٢/١٣.

(٢) اللسان ٥٥/٩.

(٣) فى كتب التصريف تفريق بين الإبدال والتعويض والقلب، وبيان للنسبة بينها، فهى تعرف الإبدال بأنه: جعل حرف مكان آخر مطلقاً، والتعويض بأنه: جعل حرف خلفاً عن حرف آخر أو أكثر سواء كان المعوض فى غير مكان المعوض منه مثل عدة وابن أو فى مكانه نحو اصطبر ومخيريج فى تصغير مستخرج، فكل إبدال تعويض ولا عكس. والقلب هو جعل حرف من حروف العلة والهمزة مكان حرف منها مثل قام وقائم فكل قلب إبدال ولا عكس، وقد خرج التعويض من تعريف الإبدال بقيد المكان وخرج القلب بقيد الإطلاق إذ هو يختص بكون المبدل فى مكان المبدل منه ولا يختص بحروف العلة، ومن راعى الاختصاص جعل بينها التباين. ولابن جنى حديث فى ذلك. انظر الأشمونى مع الصبان ٢٧٩/٤، ٢٨٠ والتصريح ٣٦٦/٢ والقواعد والتطبيقات ٨/١ والخصائص ٢٦٥/١، ٢٦٦ والأشياء والنظائر ١٢٣/١ - ١٢٥ ومقدمة الإبدال لأبى الطيب اللغوى ٩/١.

(٤) فقه اللغة ٢٦، ٢٧ واللهجات العربية ٥٥.



بين القبائل؟ فقبيلة تقول مدح وأخرى مده وهذا هو المقصود لنا في دراستنا<sup>(١)</sup>  
وقد أجرى أستاذنا الدكتور الإبدال في الحروف والحركات تبعاً للتعريف السابق  
إلا أننا سنخصص الإبدال بالحروف لأن حديث ابن جني يتعلق به.

### أهمية الإبدال

للإبدال اللغوي أهمية كبيرة نذكر بعضها فيما يلي:

١- تنوع المعاني واتساع دائرتها \* فأنت ترى أن الوشوشة تنصرف إلى صوت لا تنصرف إليه الوسوسة أو الوصوصة، وأن الهديل غير الهدير وأن فلج غير فرج أو فلح<sup>(٢)</sup>، وهذه القيمة التعبيرية للحرف كانت لابن جني اليد الطولى في إثباتها والبرهنة عليها من واقع اللغة، ففي باب (إساس الالفاظ أشباه المعاني) ساق أمثلة متعددة تفيد تنوع المعنى تبعاً لاختلاف الحروف، وبنى كلامه على المناسبة بين المعاني والأصوات الطبيعية المعبرة عنها، يقول: "فأما مقابلة الالفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم واسع ونهج متلثب<sup>(٣)</sup> عند عارفيه مأموم؛ وذلك أنهم كثيراً ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر بها عنها فيعدلونها بها، ويحتذونها عليها وذلك أكثر مما نقدره وأضعاف ما نستشعره<sup>(٤)</sup> ومن ذلك قولهم: النضح للماء ونحوه والنضج أقوى من النضح قال سبحانه: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَضَافَتَانِ﴾ [الرحمن]، فجعلوا الحاء لرقتها للماء الضعيف، والخاء لغلظها لما هو أقوى منه<sup>(٥)</sup> وهناك أمثلة كثيرة توحى بمعان هامة ستزيدها بياناً في حديثنا عن الاشتقاق إن شاء الله تعالى.

٢- معرفة الإبدال تؤدي إلى وقوف الإنسان على المعاني الحقيقية للالفاظ، وتفسيرها بالمعنى المناسب في التراكيب التي تقع فيها، وهذا يفيد في فهم النصوص

(١) نفسه، نفس الصحائف.

(٢) التطور اللغوي التاريخي ١١٥ وفقه اللغة للمبارك ص ٥٠.

(٣) متلثب: مستقيم، يقال: اتلاب الأمر: استقام. القاموس ٤١/١.

(٤) الخصائص ١٥٧/٢. (٥) نفسه ١٥٨.

الأدبية، فلإن أدنى زيغ في الكشف عن معنى الألفاظ أو الصور الأدبية يؤدي إلى البعد عن أهداف النص ومراد صاحبه، وقد بعد أحدهم عن الصواب حينما حاول أن يفسر الشطر الثاني من فائية ابن زيدون وهو:

سُرِّيَ الْإَيْنِ مِنْ آثَارِهِ فِيهِ مَزْحَفٌ

فقد فسر الأين بالتعب والإعياء، والمعروف أن المزحف هو موضع زحف الحية ولا ترابط بين الأين بهذا المعنى الذي فسره به وبين المزحف<sup>(١)</sup>.

٣- قد ينتفع بالإبدال في المصطلحات العلمية لتخصيص اللفظين المتعاقبين لسمين متشابهين بينهما علاقة معنوية فالأرثة والأرقة<sup>(٢)</sup> يمكن وضع الكلمة الأولى- كما قال الأستاذ التنوخي- لكلمة borne (أى المنار) بين الأرضين المتجاورين دفعا لنزاع الجارين، والكلمة الثانية للحد بين الأرضين، وللأمير مصطفى الشهابي معجم زراعى اتخذه مرجعا له فى تحقيق ما ورد فى كتاب أبى الطيب من ألفاظ النبات، وقال: إنه يجعل فى معجمه التأريث مقابل Abornage بالفرنسية والتأريف مقابل Codastre<sup>(٣)</sup>.

٤- دفع التصحيف، قال أبو حيان: سمعت أبا عمرو الشيبانى يقول: ما ذقت عدوقا ولا عدوفة، قال: وكنت عند يزيد بن مزيد الشيبانى، فأنشدته بيت قيس بن زهير:

وَمُجَنَّبَاتٌ مَا يَذُقْنَ عَدُوفَةً      يَقْذِفْنَ بِالْمَهَرَاتِ وَالْأَمْهَارِ

بالدال، فقال لى يزيد: صحفت يا أبا عمرو إنما هى عدوفة بالدال، قال فقلت له: لم أصحف أنا ولا أنت، تقول ربعة هذا الحرف بالدال وسائر العرب بالدال<sup>(٤)</sup>.

(١) مقدمة كتاب الإبدال لأبى الطيب اللغوى ص ٤٠ والمزهر ٢٢٢/١ واللسان ٢٩/١١.

(٢) الأرث والأرف: الحد بين الأرضين. لسان العرب ٤١٦/٢، ٣٤٥/١٠، ٣٤٦.

(٣) مقدمة كتاب الإبدال، ص ٤١.

(٤) نفسه، ص ٤٠، المجنّبات الخيل البعيدات ما بين الرجلين، وهو مدح لها، والعدف: الأكل وما يذقن عدوفة أى شيئا. اللسان ٢٧٠/١، ١٣٩/١١، ١٤٠.

٥- الربط بين الالفاظ المتشابهة فى اللغات السامية<sup>(١)</sup> فالعربية والسريانية والعبرية وغيرها من أخواتها ترجع إلى لغة واحدة هى السامية الأم، إلا أنها اختلفت لاختلاف البيئات والأحوال، وأحياناً يكون هذا الإبدال قياسياً، فالثاء فى العربية تقابلها الشين فى العبرية والثاء فى السريانية، فـ (يشب) العربية يقابلها (Yashav) العبرية، و (Yateb) السريانية، وأمثلة هذا التبادل كثيرة فى الأخوات الساميات<sup>(٢)</sup>.

لهذا وغيره من المزايا كانت تلك الظاهرة مشار البحث بين علماء اللغة وسنعرض لأرائهم، وفى مقدمتها رأى عالمنا الكبير ابن جنى الذى أولاها عناية فائقة.

### رأى ابن جنى فى الإبدال وموقف العلماء منه

نناقش فى هذا الفصل وجهة نظر ابن جنى فى هذه الظاهرة اللغوية، والادلة التى ساقها لتسويغ هذه الوجهة، وأهم آراء الموافقين والمخالفين له، وبعد هذا كله نبدى ما نعتقد صواباً على ضوء هذه النظرات، وسيتضح أن هذه المشكلة اللغوية التى شغلت الباحثين تمت تحت ظروف متعددة، طبيعية، واجتماعية، ونفسية، وثقافية، ولغوية، ومن تتبعها نستطيع الحكم الصحيح.

### رأى ابن جنى

إن ابن جنى قد عرض للإبدال وعده ظاهرة لغوية لها أهميتها، فخصص لها قدراً كبيراً من مؤلفاته- كما ذكرنا- ويكفيها دلالة على هذا الاهتمام قوله فى اعتزاه أن يشرح كتاب يعقوب بن السكيت فى «القلب والإبدال»: ونحن نعتقد إن أصبنا فسحة أن نشرح كتاب يعقوب بن السكيت فى القلب والإبدال، فإن معرفة هذه الحال فيه أمثل من معرفة عشرة أمثال لغته، وذلك أن مسألة واحدة من القياس أنبل وأنبه من كتاب لغة عند عيون الناس<sup>(٣)</sup>.

(١) فقه اللغة للمبارك ٥٠.

(٢) الفلسفة اللغوية ٣٦، ٣٧ وفيه أمثلة للإبدال فى العبرية والآشورية.

(٣) الخصائص ٨٨/٢ وانظر ص ٢٦٣، ٢٦٤ من كتابنا.

ورأى ابن جنى يتلخص فى أنه نظر إلى كل كلمتين اتحدتا فى جميع الحروف إلا حرفاً واحداً، واتحدتا فى المعنى، على أنهما تارة يكونان من الإبدال، وأخرى من اختلاف اللغات (اللهجات)، وقد وضع مقياساً للحكم على الكلمتين متى تكونان من قبيل الإبدال؟ ومتى تكونان من اختلاف اللهجات؟

«فمتى أمكن أن يكون الحرفان جميعاً أصليين، كل واحد منهما قائم برأسه، لم يسغ العدول عن الحكم بذلك، فلما دل دال، أودعت ضرورة إلى القول بإبدال أحدهما من صاحبه عمل بموجب الدلالة وصير إلى مقتضى الصنعة<sup>(١)</sup>، وقد تبين من كلامه العديد فى سر الصناعة والخصائص أن مقياسه هو: أن اللفظين إذا تساوى فى الاستعمال والتصرف «فلست بأن تجعل أحدهما أصلاً لصاحبه أولى منك بحمله على ضده»<sup>(٢)</sup> وعلى هذا فكل لفظ لغة لقوم بأعيانهم، يقول فى سر الصناعة: «عَلَّتْ الطعامَ، وَغَلَّتْهُ والنَّشُوعَ والنَّشُوعَ لغات كلها لاستوائها فى الاطراد والاستعمال»<sup>(٣)</sup> ويقول فى الخصائص: «هتلت السماء وهتنت هما أصلان ألا تراهما متساويين فى التصرف، يقولون: هتنت السماء تهتنت تهتأتا وهتلت تهتلت تهتأتا وهى سحائب هتنت وهتلت<sup>(٤)</sup>» ويقول فى موضع آخر: فأما قولهم: إناء قرنان وكربان، إذا دنا أن يمتلى، فينبغى أن يكونا أصليين، لأنك تجد لكل واحدة منهما متصرفاً أى قارب أن يمتلى وكرب أن يمتلى<sup>(٥)</sup>. فمن النصوص السابقة نفهم وجهة نظره فيما إذا تساوت الكلمتان فى التصرف والاستعمال وهى أن تكون كل منهما لغة (لهجة)، أما إذا لم تتساو الكلمتان تصرفاً واستعمالاً، بأن كانت إحداهما أكثر تصرفاً أو أدور استعمالاً، فإنهما حينئذ من قبيل الإبدال، وتكون الكلمة الكثيرة التصرف أو الاستعمال هى الأصل<sup>(٦)</sup> والقليلة هى الفرع<sup>(٧)</sup>، وهذا يتضح لنا أيضاً من كلام ابن جنى نفسه يقول فى الخصائص: «رجل خامل وخامن النون فيه بدل من اللام» ألا ترى أنه أكثر، وأن الفعل عليه تصرف وذلك قولهم: خمل يخمل

(١) الخصائص ٨٢/٢. (٢) ٢٤٧/١، ٢٤٨.

(٣) ٨٢/٢. (٤) المبدل منه. (٥) المبدل.

خمولاً، وكذلك قولهم: قام زيد فم عمرو، الفاء بدل من الثاء فى ثم، ألا ترى أنه أكثر استعمالاً<sup>(١)</sup>. ويقول فى سر الصناعة: "وأما قولهم فى الدرع نثرة ونثلة فينبغى أن يكون الراء بدلاً من اللام، لقولهم نثل عليه درعه ولم يقولوا نثرها، فاللام أعم تصرفاً فهى الأصل"<sup>(٢)</sup>، ويقول فى موضع آخر: "يقال تركته وقبذا ووقيظاً، والوجه عندى والقياس أن تكون الظاء بدلاً من الذال لقوله عز اسمه ﴿وَالْمَوْقُودَةُ...﴾ [المائدة] بالذال، ولقولهم: وقذه يقذه ولم أسمع وقظه ولا موقوطة، فالذال إذا أعم تصرفاً، فلذلك قضينا بأنها هى الأصل"<sup>(٣)</sup>.

ويمكن بعد هذا أن نقول: إن رأى ابن جنى هو: الكلمتان المتحدتان فى جميع الحروف ما عدا حرفاً واحداً يكونان:

١- من الإبدال: إذا أمكن الحكم بأصالة إحدى الكلمتين، وفرعية الأخرى، وذلك - كما نقلنا عنه - إذا كانت إحدى الكلمتين أكثر تصرفاً أو استعمالاً من صاحبتهما، وهذا يمكن حدوثه عند قبيلة واحدة أو عند العرب جميعاً.

٢- من اختلاف اللهجات: إذا لم يمكن الحكم بأصالة إحدى الكلمتين وفرعية الأخرى، وذلك بأن تتساوى الكلمتان تصرفاً واستعمالاً، ويكون عند قبائل متعددة.

وهذا الحكم المبني على الشيوخ وكثرة التصرف قد تعرض لنقد علماء اللغة، فوجهته غير صالحة لأن تكون مقياساً مطرداً، وقد ناقش هذه الفكرة أستاذنا الدكتور نجا، وحدد سيادته وجوه ضعفها فى نقاط نجملها فيما يلى:

١ - مقياس التصرف لا ينبغى أن يعول عليه، لجوار الاستغناء عن تصرفات الكلمة القليلة التصرف بتصرفات كلمة أخرى، أو أن الكلمة متصرفة ولم يصل إليها الرواة. ويعقب أستاذنا على ذلك بقوله: "وعلى هذا فعدم الاشتقاق فى الظاهر لا يصح أن يكون مقياساً معولاً عليه فى الحكم بالفرعية لما سبق".

(٣) ٢٣٣/١.

(٢) ٢٠٦/١.

(١) ٨٤/٢.



ب- كثرة الاستعمال الذى يعده أصحاب هذا الرأى مقياساً للأصالة والفرعية لا يسير وفق أمر مطرد حتى نتخذه مقياساً لهذا الأمر، فالكلمة قد تنتشر فى عصر وتهمل فى غيره مما يجعل الكلمة معرضة للأصالة والفرعية، وهذا ما يجعل ذلك الأساس غير مستساغ<sup>(١)</sup>.

على أننا نلاحظ أن ابن جنى نفسه قد أحس بضعف هذا المقياس فى قرارة نفسه، وظهر فى تطبيقه له بما يؤكد لنا تشككه فى انضباطه، يقول فى سر الصناعة: «وقالوا خطر بيده يخطر وخطر يخطر فالغين كأنها بدل من الحاء لكثرة الحاء وقلة الغين، وقد يجوز أن يكونا أصليين إلا أن أحدهما أقل استعمالاً من صاحبه»<sup>(٢)</sup>، ويقول فى الخصائص: «فأما قولهم: ما قام زيد بل عمرو وبين عمرو قالون بدل من اللام ألا ترى إلى كثرة استعمال (بل) وقلة استعمال (بين) والحكم على الأكثر لا على الأقل، هذا هو الظاهر من أمره، ولست مع هذا أدفع أن يكون (بن) لغة قائمة برأسها»<sup>(٣)</sup>، ففى النصين السابقين دليل واضح على عدم اعتداد ابن جنى بهذا المبدأ وتشككه فيه.

وقد أوضح أستاذنا الدكتور نجما أن ابن جنى ومن تابعه قد تخلوا عن التزام هذا المقياس فيما ورد عنهم مما يجعلنا لا نوقن بالتزامه، وحكى عن ابن جنى قوله فى سر الصناعة: «وقد قلبت تاء افتعل دالا مع الجيم فى بعض اللغات فقد قالوا: اجدمعوا فى اجتمعوا واجدل فى اجتز ومنه قول الشاعر:

فَقُلْتُ لِمَصَاحِبِي لَا تَحْبِسَانَا  
بِنَزْعِ أَصُولِهِ وَاجْدَزْ شَيْحَا

«وهذا يعطينا صورة صادقة عن ضعفه» على حد تعبير أستاذنا<sup>(٤)</sup> ولكننا عندما ننظر فيما كتبه ابن جنى عن الإبدال نجده يستعمل مقياسه فى بيان الأصل والفرع ويطبق نظريته على كثير من الألفاظ التى تصدق عليها.

(١) اللهجات العربية ٥٧ وفقه اللغة ٢٩/٤.

(٢) سر الصناعة ٢٤٧/١. (٣) الخصائص ٨٤/٢.

(٤) اللهجات العربية ٥٨ وفقه اللغة العربية ٢٩ وسر الصناعة (باب الدال) ٢٠٢/١.



ويشترط ابن جنى لتطبيق رأيه السابق تطبيقاً صحيحاً أن يكون الحرفان المختلفان فى الكلمتين متقاربى المخارج، ويقوى ذلك بالتماثل أو التقارب فى بعض الصفات أيضاً.

ويمكن إدراك هذه الحقيقة فى مواضع كثيرة من أهم مؤلفاته التى أشرنا إليها، ومن ذلك قوله: "القلب فى الحروف إنما هو فيما تقارب منها، وذلك الدال والطاء والتاء والذال والظاء والثاء والهاء والهمزة والميم والنون وغير ذلك مما تدانت مخارجه"<sup>(١)</sup> وقوله فى موضع آخر: "ونحو من هذا التقريب فى الصوت قولهم فى سبقت: صبقت وفى سقت: صقت وفى سملق: صملق وفى سويق: صويق، وذلك أن القاف حرف مستعل والسين غير مستعل، إلا أنها أخت الصاد المستعلية فقربوا السين من القاف بأن قلبوها إلى أقرب الحروف إلى القاف من مخرج السين وهو الصاد"<sup>(٢)</sup>، وكثيراً ما عبر ابن جنى فى الإبدال بأن هذا الحرف، أخ لهذا الحرف فالراء أخت اللام والباء أخت الميم، والزاي أخت الصاد وهكذا"<sup>(٣)</sup>، وهذا الشرط أساسى لتحقيق الإبدال، ولذلك رأيناه لا يذكر فى كتبه شيئاً مما لم يتحقق فيه هذا الشرط مما تباعدت مخارجه مثل خلج وجلع: ذهب حياؤه"<sup>(٤)</sup> والزحاليق"<sup>(٥)</sup> وفى صدره على حسيقة وحسيكة"<sup>(٦)</sup> ولم يتنازل ابن جنى عن هذا الشرط فى أى مثال من أمثله على هذه الظاهرة اللغوية"<sup>(٧)</sup>، وربما أضاف إليها مقوياً لها اشتراكها فى بعض الصفات كما قال عن إبدال التاء من السين فى النات وأكيات يريد: الناس وأكياس: «فأبدلت السين تاء لموافقتها إياها فى الهمس

(١) سر الصناعة ١/١٩٧. (٢) نفسه ٢٠١.

(٣) الخصائص من ص ١٤٧ إلى ص ١٥٢ ج ٢.

(٤) اللسان ٩/٤٠٢، ٤٠٣، ٤٣٠.

(٥) نفسه ٣١/١١، والزحاليق أو الزحاليق آثار تزليج الصبيان من أعلى إلى أسفل.

(٦) نفسه ١٠/٣٩٢ والمراد بالحسيقة والحسيكة: الغيظ والعداوة.

(٧) لم يلتزم ذلك كثير من روى ألفاظ هذه الظاهرة من القدماء كابى الطيب اللغوى. انظر كتابه

الإبدال ج ١ صحائف ٢٠٥-٢٥٢ ومقدمة محققه ص ١٠، ١١.

والزيادة وتجاوز المخارج<sup>(١)</sup>، ويقول فى موضع آخر معللاً لقلب التاء تاء فى افتعل من الشريد: "وإنما قلبت تاء لأن التاء أخت التاء فى الهمس، فلما تجاوزتا فى المخارج أرادوا أن يكون العمل من وجه واحد، فقلبوها تاء، وأدغموها فى التاء بعدها ليكون الصوت نوعاً واحداً<sup>(٢)</sup> ويبدو من ذلك أن ابن جنى يقصد بتقارب المخارج اتحادها أو تجاوزها.

ويتصل بتمام رأى ابن جنى فى هذا الموضوع أن تكون الكلمتان متحدتى المعنى والاشتقاق، وإلا فإذا كان المعنى مختلفاً أو كان الاشتقاق مختلفاً ولكنه أدى إلى تركيب اشتبه فيه ظاهر اللفظين فلا يعد هذا من الإبدال كما صرح ابن جنى فى مواضع كثيرة، فمن الأول ما ذكره عن كلمتى (ثوم وفوم) قال: "وذهب بعض أهل التفسير فى قوله عز اسمه ﴿فَوُمِّهَا...﴾ [البقرة] إلى أنه أراد الثوم، فالفاء على هذا بدل عنده من التاء، والصواب عندنا أن الفوم: الحنطة وما يختبز من الحبوب، يقال: فومت الخبز أى خبزته، وليست الفاء على هذا بدلا من التاء<sup>(٣)</sup>، ومن الثانى ما ذكره عن كلمتى (حشثوا وحثوا) فى التعليق على قول الشاعر:

كَأَنَّمَا حَثَّحُوا حُصَا قَوَادِمُهُ      أَوْ أَمْ خَشَفَ بِذِي شَثٍ وَطَبَّاقٍ

قال: "فأما الحاء فبعيدة من التاء، وبينهما تفاوت يمنع من قلب إحداهما إلى أختها، وينقل عن أبى على أستاذه قوله: وإنما حشحث أصل رباعى، وحثَّ أصل ثلاثى، وليس واحد منهما من لفظ صاحبه، إلا أن حشحث من مضاعف الأربعة وحثَّ من مضاعف الثلاثة، فلما تضارعا بالتضعيف الذى فيهما اشتبه على بعض الناس أمرهما، ثم يقول: وهذا هو حقيقة مذهبنا، وإذا قامت الدلالة على أن حشحث ليس من لفظ حثَّ فالقول فى هذا، وفى جميع ما جاء منه واحد، وذلك نحو تململ وتملَّل وقرق وقرَّق وصرصر وصرَّر<sup>(٤)</sup>.

(١) سر الصناعة ١/ ١٧٢. (٢) نفسه ١٨٩.

(٣) نفسه ١/ ٢٥٢. (٤) نفسه ١/ ١٩٧، ١٩٨.

### موقف العلماء من هذا الرأي

ونحن إذا استعرضنا آراء العلماء، من قدامى ومحدثين، في حل هذه المشكلة اللغوية، فإننا نجد من سار على درب ابن جنى، كما نجد في الوقت نفسه من خالفه، وربما كانت الموافقة له أو المخالفة في جانب من الموضوع، وهذا يقتضينا أن نناقش أهم هذه الآراء، لنقف على مدى الموافقة أو المخالفة، فقد وافق ابن جنى في رأيه السابق بجوانبه المختلفة ابن سيده وابن يعيش<sup>(١)</sup> وإن كان يبدو لنا من حديث ابن سيده عن الإبدال نوع من عدم الدقة، وما يؤيد وجهة نظر ابن جنى قول ابن سيده: "وأذكر الآن شيئاً من المعاقبة وأرى كيف تدخل الياء على الواو، والواو على الياء من غير علة (عند القبيلة الواحدة من العرب) وإما لافتراق القبيلتين في اللغتين، فأما ما دخلت فيه الواو على الياء، والياء على الواو لعله فلا حاجة إلى ذكره في هذا الكتاب، لأنه قانون من قوانين التصريف"<sup>(٢)</sup> ويشترط ابن سيده وجود التقارب بين الحروف حتى يصح الإبدال، فهو يقول: فأما ما لم يتقارب مخرجاً البتة فقل على حرفين غير متقاربين فلا يسمى بدلاً<sup>(٣)</sup>.

وابن سيده كابن جنى يرى أنه لا بد من اتحاد المعنى في اللفظين حتى يمكن عدهما من باب الإبدال، ولا بد أن يكون المعنى حقيقياً لا تجوز فيه، فبعض العرب يقول: جَمَسَ الودكَ وجَمَدَ الماء، ولا يقال: جَمَسَ الماء ولا جَمَدَ الودك، وكان الاصمعي يُخطئُ ذا الرمة في قوله:

وَنَقْرَى سَدِيفَ الشَّحْمِ وَالْمَاءُ جَامِسٌ<sup>(٤)</sup>

وعلى هذا فإذا قال بعضهم: جَمَسَ الودكَ وجَمَدَ فليس هذا بدلاً، إذ مع تباعد مخرج السين والذال في اللفظين لا يمكن الجمع بين معنييهما إلا على ضرب

(١) اللهجات العربية ص ٥٦، د. لحا وفقه اللغة العربية ٢٧/٤.

(٢) المخصص ١٩/١٤. (٣) نفسه ٢٧٤/١٣.

(٤) السديف: السام المقطع وقيل شحمه. الودك: الدسم، وجمس وجمد بمعنى واحد، وقيل الجموس للودك والجمود للماء، والجامس من الثبات: ما ذهب غرضته ورطوبته والودك: =

من المجاز<sup>(١)</sup>، وفكرة الأصالة والفرعية غير واضحة عنده، ولهذا رأيناه يعقد في الفصل الواحد أبواباً مختلفة، فمئة البدل ومنه ما يجرى مجرى البدل، وباب الحرف الذى يضارع به حرف من موضعه والحرف الذى يضارع به ذلك الحرف وليس من موضعه، وباب ما يجيء مقولاً بحرفين وليس بدلاً، وباب المحول من المضاعف<sup>(٢)</sup> وابن يعيش ينقل في شرح المفصل كلام ابن جنى وأمثله وبنه على تقارب المخارج والصفات بين المتبادلين ويحكم بالأصالة والفرعية تبعاً لكثرة التصرف والاستعمال بحسب ما عرفناه عن ابن جنى<sup>(٣)</sup> ومن ذلك ما قاله في إبدال الطاء من التاء في نحو اصطبر وفحصط برجل، قال: فأبدلوا من التاء طاء لأنهما من مخرج واحد<sup>(٤)</sup> وقال عن إبدال الهاء من الهمزة: إنهم أبدلوها منها إبدالا صالحاً على سبيل التخفيف، إذ الهمزة حرف شديد مستفل، والهاء حرف مهموس خفيف، فمخرجاها مستقاربان، إلا أن الهمزة أدخل منها في الحلق، قالوا هرقت الماء: أى أرقته... إلخ<sup>(٥)</sup> وقال: "قالوا: ما رلت رائحة على هذا الأمر أى راتياً حكى ذلك عن أبى عمرو بن العلاء، فالميم بدل من الباء لكثرة الباء وتصرفها ألا تراك تقول رتب يرتب فهو راتب أى ثابت، ولا تقول: رتم يرتم فى هذا المعنى، فكانت الباء هى الأصل، وقالوا: رأيت من كثم وكثب أى من قرب، حكى ذلك يعقوب، فالباء ينبغى أن تكون أصلاً والميم بدلاً منها لعموم تصرف الكثب وأنه يقال قد أكثب لك الأمر، ورماء من كثب أى من قرب<sup>(٦)</sup>."

وكثير من المحدثين لم يزدوا على ما قاله ابن جنى شيئاً وإن اختلفوا معه عرضاً وأسلوباً، فيرى بعضهم - كما يرى ابن جنى - تقسيم الألفاظ التى تحمل اسم هذه الظاهرة إلى قسمين:

= الدسم كالسمن ونحوه. اللسان ٣٤١/٧، ٣٤٢، ٤٧/١١، ٤٨، ٤٠٠/١٢، ٤٠١، والقاموس ٢١٢/٢، ٣٣٣/٣، ١١٣/٤.

(١) المخصص ٢٨٧/١٣. (٢) نفسه ٢٦٧/١٣ - ٢٩٠.

(٣) انظر شرح المفصل ٧/١٠ وما بعدها. (٤) نفسه ٤٦، ٤٧.

(٥) نفسه ٤٢. (٦) نفسه ٣٥/١٠.

١ - فبعضها من الإبدال: إذا كانت هناك علاقة صوتية .

٢ - وبعضها من غيره إذا لم توجد هذه العلاقة " وأغلب الظن حيثئذ أن الصورتين تنتميان إلى منبعين مختلفين، وأن كلا منهما أصيل في ذاته وليس مثل هذه الكلمات إلا مثل كل المترادفات<sup>(١)</sup> .

يقول الدكتور أنيس: " حين نستعرض تلك الكلمات التي فسرت على أنها من الإبدال حيناً، أو من تباين اللهجات حيناً آخر لا نشك لحظة في أنها جميعاً نتيجة التطور الصوتي، أى إن الكلمة ذات المعنى الواحد حين تروى لها المعاجم صورتين أو نطقين، ويكون الاختلاف بين الصورتين لا يجاوز حرفاً من حروفها، نستطيع أن نفسرها على أن إحدى الصورتين هي الأصل والأخرى فرع لها أو تطور عنها، غير أنه في كل حالة يشترط أن نلاحظ العلاقة الصوتية بين الحرفين المبدل والمبدل منه<sup>(٢)</sup>، والعلاقة الصوتية التي أرادها الدكتور أنيس هي القرب في المخرج أو الصفة إذ إنه " شرط أساسى فى كل تطور صوتى"<sup>(٣)</sup>، ويقول الدكتور الصالح عقب نقله كلام الدكتور أنيس السابق: " ورأى المحدثين -على جرائته- أسلم اتجاهها وأصح نتيجة من رأى تلك الطائفة من المتقدمين الذين ذهبوا إلى إكثار العرب من الإبدال، كأنه سنة أو عادة، وكأن النطقين المختلفين عندهم متساويان، يوضع أحدهما مكان الآخر، وكأنهم يعتمدون هذا الإبدال إعجاباً به وتفنتاً فيه"<sup>(٤)</sup>، ولكن الدكتور الصالح يعتمد في العلاقة الصوتية المخرج لا الصفة، فهو يقول: " فقد لوحظ فيها الأمر الأهم وهو اتفاق المخرج، أما اختلاف الصفة فليس بذى بال؛ لأن المعول في معرفة نوع الصوت ودرجة إيقاعه على العضو الذى خرج منه من بين أعضاء جهاز النطق، وليس على الطريقة أو الكيفية التى تم بها انطلاق هذا الصوت، فالبدال والتاء حرفان نطعيمان كلاهما يخرج من سقف غار الحنك الأعلى المسمى بـ "النطع" فهما إذاً متجانسان، وعلى هذا المعول، فلا ضير بعد هذا أن توصف الطاء بالإطباق والاستعلاء وهما صفتان قويتان على حين توصف

(١) من أسرار اللغة ط ٣ ص ٥٩ . (٢) دراسات في فقه اللغة ٢٣٩ .



الدال بالصفتين المضادتين الضعيفتين الانفتاح والاستفال<sup>(١)</sup> وقد صرح الدكتور شاهين بأنه (لا يكون الإبدال إبدالاً حقيقياً إلا إذا كان بين البديل والمبدل منه علاقة صوتية كقرب المخرج أو الاشتراك في بعض الصفات الصوتية كالجهر والهمس والشدة والرخاوة)<sup>(٢)</sup>.

وقد قسم الدكتور أنيس الكلمات التي توجد بينها علاقة صوتية إلى أقسام ثلاثة:

١- كلمات روى كل منها بنطقين ونسب كل نطق إلى بيئة معينة: فمضى أمكن معرفة الأصل والفرع حكمنا بذلك، وبحثنا عن سر التطور الصوتي<sup>(٣)</sup>، وإذا لم يمكن "نستعين بالقوانين الصوتية وتطورها للحكم على أى الصورتين هو الأصل وأيها هو الفرع ويكون حكمنا حينئذ مرجحاً لا مؤكداً"<sup>(٤)</sup>.

٢- كلمات روى لكل منها نطقان، ونسب أحد النطقين لبيئة معينة، ولم ينسب النطق الآخر: نعتمد لمعرفة الأصل والفرع منها على كثرة التصرف والاستعمال، وورود النص القديم مشتملاً على الصورة الشائعة يؤكد لنا الأصالة بين النطقين، أما حين نفتقد النص فالأصالة عن طريق الشيوخ مرجحة رجحاناً كبيراً ولا يصح الرجوع عن هذا إلا إذا أبت قوانين تطور الأصوات مثل هذا الاعتبار<sup>(٥)</sup>.

٣- كلمات روت المعاجم لكن منها نطقين متساويين في الفصاحة والشيوع ولا ينسب أحد النطقين لبيئة معينة: إذا أمكن معرفة الأصل من الفرع حكمنا بذلك وإلا اعتمد الكثير التصرف والاستعمال أصلاً لصاحبه "فإذا ورد لأحد النطقين نص قديم اعتبرناه الأصل... أما حين يرد كل من النطقين في نصوص قديمة فكثرة الشواهد الخاصة بأحد النطقين ترجح في الغالب أصالته"<sup>(٦)</sup>.

(١) نفسه ٢٤٥.

(٢) القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث ٧٣.

(٣) من أسرار اللغة ط ٣ ص ٦٥. (٤) نفسه ٦١.

(٥) من أسرار اللغة ط ٣ ص ٦٢. (٦) نفسه ٦٣.

فالدكتور أنيس يضع لمعرفة الأصل والفرع - بعد تحقق العلاقة الصوتية - مقياساً له جانبان:

(١) معرفة المتقدم في وجوده على الآخر، فإذا وجد ما يدل على سبق أحدهما رمزاً كان هو الأصل والثاني هو الفرع.

(٢) إذا لم يعرف المتقدم من المتأخر فيحدد الأصل بكثرة شيوعه وتصرفه، والفرع بضد ذلك.

وهذا لم يزد على رأى ابن جنى شيئاً، فقد جعل - مثله - معرفة الأصل من الفرع مرهونة بورود الدليل الذى يبين أسبقهما<sup>(١)</sup> معتمداً على الشيوع وكثرة التصرف.

وقد تابعه أيضاً فى اعتماد المقياس السابق الدكتور الصالح، فهو يقول: "ومقياسنا فيما ورد بوجهين لتمييز الأصل من الفرع هو كثرة الشواهد المتعلقة بأحد الوجهين، فما أكثر الأمثلة على كسب والأقطار واللثام وما أقلها فى كنم والأقتار واللفام"<sup>(٢)</sup>.

فهذا كله يؤكد أن رأى الحديث لا يختلف عن القديم إلا أسلوباً فقط وهو يروى الحقيقة التالية:

اللفظان على الصورة المعروفة يكونان:

١- من الإبدال: إذا وجد مسوغه، وهو التقارب الصوتى، وهذا عند قبيلة واحدة أو عند العرب جميعاً، أو أحد اللفظين فى قبيلة والآخر فى غيرها.

٢- من اختلاف اللهجات: إذا لم يتحقق هذا التقارب، وشأنها شأن كل المترادفات، على أن الحكم الفيصل - كما قرروا - لمعرفة الأصل من الفرع هو الشيوع وكثرة التصرف.

واعتقد بعد هذا الإفصاح التام- أن ذلك هو رأى ابن جنى نفسه مع اختلاف طفيف.

(١) سر الصناعة ٢٢١/١. (٢) دراسات فى فقه اللغة ص ٢٧١.

وكان الدكتور أنيساً قد أحس بذلك حين قال معبراً عن رأى ابن جنى:  
\*وأخيراً تعرض ابن جنى فى الفصل الرابع<sup>(١)</sup> إلى أن بعض الكلمات قد  
تختلف بنيتها وذلك بأن يستعمل أحد الحرفين المتقاربين مكان صاحبه، ثم ضرب  
أمثلة لذلك مثل: طبرزن وطبرزل ودهمج ودهنج وخامل وخامن وبنات مخر  
وبنات بخر، ومثل هذه الكلمات يمكن أن تنتمى إلى لهجات متعددة، أو إلى  
لهجة واحدة ولكن فى جيلين مختلفين من أبنائها، على أن ابن جنى لم يحدثنا  
فى هذا الفصل عن معنى تقارب الصوتين، ووجه الشبه بينهما من الناحية  
الصوتية<sup>(٢)</sup>.

ونقد الدكتور أنيس ابن جنى بأنه لم يوضح معنى تقارب الصوتين فى  
الفصل الذى ذكره غير مسلم، فقد أوضح أنه هو تقارب المخارج والصفات فى  
مواضع كثيرة ذكرت بعضها عند بيان رأيه وتفصيلاته<sup>(٣)</sup>، وليس إلا أن يعترف  
الدكتور أنيس بأنه أخذ رأيه منه، وعلى من تابعه فقال: «ورأى المحدثين على  
جرائته - أسلم اتجاهًا وأصح نتيجة» أن يقول: «ورأى ابن جنى - على جرائته -  
أسلم اتجاهًا، وأصح نتيجة».

ويرى فريق آخر من العلماء قدامى ومحدثين أن ألفاظ هذه الظاهرة نشأت  
من اختلاف اللهجات.

وعلى رأس القدماء الذين قالوا بذلك أبو الطيب اللغوى، فقد قال. ليس  
المراد بالإبدال أن العرب تعتمد تعويض حرف من حرف، وإنما هى لغات مختلفة  
لمعان متفقة، تتقارب اللفظتان فى لغتين والمعنى واحد، حتى لا يختلفا إلا فى  
حرف واحد، قال: والدليل على ذلك أن قبيلة واحدة لا تتكلم بكلمة طوراً  
مهموزة، وطوراً غير مهموزة، ولا بالصاد مرة وبالسین أخرى، وكذلك إبدال لام  
التعريف ميمًا، والهمزة المصدرة عينًا، كقولهم فى نحو أن: عن لا تشترك العرب  
فى شيء من ذلك، إنما يقول هذا قوم، وذلك آخرون<sup>(٤)</sup>.

(١) يقصد بالفصل الرابع (باب فى الحرفين المتقاربين يستعمل أحدهما مكان صاحبه). الخصائص  
٨٨-٨٢/٢.

(٢) فى اللهجات العربية ط ٢ ص ١٥٥.

(٣) انظر ص ٦١٦، ٦١٧ من كتابنا.

(٤) المزهر، ط. الأولى ٢٢/١.

وقد أوضح لنا هذا الرأي أستاذنا الدكتور نجما في كتابيه اللهجات العربية وفقه اللغة، وقال سيادته بعد عرضه لرأى أبى الطيب ومناصريه: وهذا الرأي يفهمنا أن الإبدال لا يكون إلا من قبائل متعددة<sup>(١)</sup>.

ويوافق أبى الطيب فى هذا الرأي من القدماء ابن السكيت، وأبو محمد البطليوسى، وابن خالويه، وأبو على القالى: فقد نقل السيوطى عن هؤلاء ما يؤكد ميلهم إلى هذا الرأي، وأخذهم به.

فنقل من كتاب ابن السكيت أمثلة من بينها ما اتضح فيها رأيه، وهو أن الإبدال ينشأ من اختلاف اللهجات، يقول فى إبدال الهمزة من العين: والأسن: قديد اللحم<sup>(٢)</sup> وبعضهم يقول: العسن ويقول بعد ذلك بقليل: وذأى البقل يذأى بلغة أهل الحجار ولغة نجد ذوى يذوى<sup>(٣)</sup> وكذلك قوله: الاثافى ولغة بنى تميم الاثافى<sup>(٤)</sup> ونقل عنه السيوطى فى خاتمة هذا الباب (الإبدال): وقال ابن السكيت: حضرنى أعرابيان من بنى كلاب، فقال أحدهما: إنفحة وقال الآخر منفحة، ثم افترقا على أن يسألا جماعة أشياخ من بنى كلاب، فاتفق جماعة على قول ذا وجماعة على قول ذا، وهما لغتان<sup>(٥)</sup>.

وأما أبو محمد البطليوسى فيقول فى شرح الفصيح: ليس الألف فى الأرقان ونحوه مبدلة من الياء ولكنهما لغتان، ومما يدل على أن هذه الأحرف لغات ما رواه اللحيانى قال: قلت لأعرابى أنقول: مثل حنك الغراب أو مثل حلكه فقال: لا أقول مثل حلكه<sup>(٦)</sup>، وقال أبو بكر بن دريد: قال أبو حاتم: قلت لأم الهيثم: كيف تقولين أشد سوادا من ماذا؟ قالت: من حلك الغراب. قلت: أفقولينها من حنك الغراب؟ فقالت: لا أقولها أبدا<sup>(٦)</sup>، وقد ذكر ابن خالويه فى

(١) اللهجات العربية ٥٦ وفقه اللغة العربية ٢٧.

(٢) المزهر، ط. الأولى ٢٢٢/١ وعبارة القاموس الأسن بقية الشحم، والأسن والعسن - بضمين وبالكسر وبضمين مع تشديد اللام. القاموس ١٩٨/٤.

(٣) نفسه ٢٢٣/١. (٤) نفسه ٢٢٤/١. (٥) نفسه ٢٢٩/١.

(٦) نفسه ٢٢٩/١، والأرقان محركة وبالكسر واليرقان محركة: شجر أحمر والحناء والزعفران، ويتغير منه لون الیدن، القاموس ٢١٥/٣، ٢١٦ وحلك الغراب وحنكه: سواده. القاموس ٣٠٩/٣.

شرح الفصيح ما يقرب من هذا، قال: أخبرنا ابن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعي قال: اختلف رجلان في الصقر، فقال أحدهما بالسين وقال الآخر بالصاد، فتحاكما إلى أعرابي ثالث، فقال: أما أنا فأقول: الزقر بالزاي، قال ابن خالويه: فدل على أنها ثلاث لغات<sup>(١)</sup>.

ويؤكد لنا رأى القالى قوله فى أماليه: يقال: هرت الثوب وهرده وهرطه ثلاث لغات<sup>(١)</sup>، وقد أيد هذا الرأى من المحدثين فريق من العلماء على رأسهم أستاذنا الدكتور إبراهيم نجا فهو يقول - بعد أن أفصح لنا عن آراء العلماء فى هذا الشأن وناقشها مناقشة علمية دقيقة - «فالحق أحق أن يتبع وهو أن الإبدال ينشأ من اختلاف اللغات كما ذهب إلى ذلك أبو الطيب اللغوى»<sup>(٢)</sup>، وعن ذهب إلى هذا الرأى من المحدثين الدكتور السامرائى، يقول - بعد أن عرض آراء العلماء فى الإبدال - : وأريد أن أخلص من هذا العرض لأقوال الأقدمين والمحدثين فى هذه المشكلة إلى أن العربية قد اشتملت على لغات عدة هى لغات القبائل المختلفة، وطبعى أن يحصل الخلاف بين هذه اللغات لاختلاف البيئة، وعلى هذا فإن كثيراً مما حمل على الإبدال داخل ضمن هذه اللغات، وعلى هذا فليس هناك إبدال بل هناك اختلاف بين المعربين، فالذى يقول: (صراط) لا يقولها بالسين سراط والعكس حاصل أيضاً<sup>(٣)</sup>.

ويقول قبل ذلك بقليل: أريد أن أقول إن اللغة فطرة وبهاقة فالذى يقول مدحه لا يمكن أن ينسرح لسانه فيقول مدده، والعكس صحيح أيضاً<sup>(٤)</sup>، وهذا يشرح رأيه بوضوح، وهو أن الإبدال ينشأ من اختلاف اللهجات، ويحد هذه النظرة هى النظرة الصحيحة فيقول: وعلى هذا فلم نعدم أن نجد بين الأقدمين من نظر إلى هذه المشكلة النظر الصحيح، فقد قال أبو الطيب اللغوى الحلبي: ليس المراد من الإبدال أن العرب تتعمد تعويض حرف من حرف وإنما هى لغات مختلفة<sup>(٤)</sup>.

(١) نفسه ٢٢٩/١، هرت الثوب: مزقه وخرقه. القاموس ١/١٦٦، ٣٦١، ٤٠٧/٤.

(٢) اللهجات العربية ٥٨ وفقه اللغة العربية ٤/٣٠.

(٣) التطور اللغوى التاريخى ص ١١١. (٤) نفسه ص ١٠٨.



إلخ. ويضيف الدكتور السامرائي إلى رأيه العلاقة الصوتية فلا بد من التقارب بين الحروف المختلفة في لهجات الناطقين من قبائل متعددة، وإن لم تكن على طريق الإبدال، فقد نقل قول ابن السيد البطليوسي - مع شرحه - «إن الحرف الأضعف يقلب إلى الأقوى ولا يقلب الأقوى إلى الأضعف».

ثم عقب عليه بقوله: وما ذكره ابن السيد صحيح في كون تقارب المخرج هو الذي يؤدي إلى هذه المعاقبة<sup>(١)</sup>.

ويرى هذا الرأي أيضاً الدكتور على عبد الواحد وافي، ويشترط أن يتقارب الصوتان في المخرج أو يتحدا في جميع الصفات ما عدا الإطباق، مثل أسود حالك وحنالك، وخامل الذكر وخامن الذكر<sup>(٢)</sup> "ويذكر من أمثلة الاتفاق في الصفات ما عدا الإطباق تناوب الصاد والسين بمثل ساطع وصاطع والسرائط والسرائط<sup>(٣)</sup>، ثم يقول: "ويرجع السبب في كثير من ظواهر هذا التناوب إلى اختلاف القبائل في النطق بأصوات الكلمة، فمادة كشط مثلاً كانت تنطقها قريش بالكاف على حين أن أسدًا وتميمًا كانت تنطقها بالقاف<sup>(٤)</sup> "وقد وافقه أستاذنا الدكتور العزاري في كل ما ذهب إليه<sup>(٥)</sup> إلا أنه أفرد له باباً خاصاً عنونه بالإبدال أو الاشتقاق الأكبر، ولعل ذلك جمع بين موقفين، وهناك غير هؤلاء كثير لا يتسع المقام للإشارة إلى أقوالهم<sup>(٦)</sup>.

ويلاحظ أن هذا الرأي على الرغم من أنه يجعل ألفاظ هذه الظاهرة من اختلاف اللهجات لا ينسب أن التقارب بين الحروف ملحوظ فيها، وهذا يشير إلى تطور صوتي وإن كان بين لهجات متعددة.

وبعد استعراضنا لكل هذه الآراء، ومناقشتنا لها، نحس أنه لا بد لنا من نظرة واعية وعميقة، ومن تحليل علمي دقيق تتبّع به الظواهر المختلفة، والدواعي

(١) نفسه ص ١١٣ . (٢) فقه اللغة د. وافي ص ١٧٨ .

(٣) نفسه ص ١٧٩ . (٤) نفسه ص ١٧٩ .

(٥) فقه اللغة، د. العزاري ١٨٩، ١٩٠ .

(٦) انظر مثلاً فقه اللغة للمبارك ص ٥٠ وغيره.

الكثيرة التي أحاطت وتحيط باللغة، ونشأة مفرداتها، والظروف التي عاشت فيها، ومرت بها في مراحلها التاريخية المتعددة، حتى نصل إلى الحقيقة «ونستنج القانون الذي ينظم حوادثها إن كان لها قانون مطرد، وهذا يعتبر المفتاح لعلم الاشتقاق الذي يكشف الصلة بين كلمات تباعدت أصولها»<sup>(١)</sup>.

### أسباب الإبدال

هناك عوامل متعددة ساعدت على وجود هذه الظاهرة، وقد أشار العلماء إلى كثير منها، وإن مال كل منهم إلى واحد أو أكثر، وسنحاول تتبع معظمها حتى نستطيع تفسير ما ورد من ألفاظ هذه الظاهرة، فربما رجع اللفظان إلى واحد أو أكثر من تلك العوامل، ولا مانع من ذلك، إذ هذه الأسباب غير متعارضة، والذي جعلنا - كغيرنا من الباحثين - نفكر في هذا التفسير هو وجود تلك الألفاظ في لغتنا العربية غير منسوبة إلى قائلها، بل تضطرب في نسبتها، فهي أحياناً من لسان قريش، وأخرى من لسان تميم، وثالثة من لسان غيرهم من قبائل العرب<sup>(٢)</sup>.

وبعد عرضنا للأسباب وتحليلها تحليلًا علميًا دقيقًا نحاول تطبيقها على الكلمات التي اختارها عالمنا ابن جني شواهد للإبدال اللغوي، وفي ذلك نوضح وجهة نظره، وإلى أي مدى كان بحثه سديدًا من الناحية العلمية واللغوية.

### أولاً: اختلاف اللهجات

المعروف أن العرب سكنوا الجزيرة العربية، وتفرقوا في أنحائها، وبيئاتها الطبيعية والاجتماعية مختلفة بين بداءة وحضارة، ولذلك - بلا ريب - أثر كبير في تعدد اللهجات، واللغة عادة اجتماعية، وخروج الفرد عليها يلقي مقاومة من المجتمع تأخذه بعقاب<sup>(٣)</sup> ومن هنا صرح العلماء "بأن الذي يقول: مدحه لا يمكن

(١) نفسه ص ٣٩.

(٢) القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث ص ٤٠١ وانظر ما يقرب من هذا في الأصوات اللغوية ص ١٥١.

(٣) اللغة والمجتمع د. وافي ص ٤٢٣.

أن ينسرح لسانه فيقول مدهه والعكس صحيح أيضاً<sup>(١)</sup> وقد مر بنا من الروايات اللغوية ما يؤكد تمسك الجماعات الإنسانية بالنطق المتعارف بينها، كرواية أبي حاتم عن أم الهيثم من حلك الغراب أو حنكه، فقالت لا أقول من حنكه أبداً<sup>(٢)</sup> وكذلك رواية أبي حاتم عن الأصمعي: اختلف رجلان في الصقر... إلخ، واختلاف اللهجات في الواقع يعد عاملاً مهماً في تفسير هذه الظاهرة، فالقبائل البدوية مثلاً تميل إلى الأصوات الشديدة في نطقها، وهو أمر طبيعي يلتزم مع ما عرف عن البدوي من غلظة وجفاء في الطبع، وبهذا يتميز نطقهم بسلسلة من الأصوات القوية السريعة \* التي تطرق الأذان كأنها هي فرقعات متعددة في حين أن أهل المدن المتحضرة يميلون إلى رخاوة تلك الأصوات الشديدة بوجه عام... فالباء والتاء والذال والكاف وغيرها من الأصوات الشديدة قد تستعمل في أفواه المتحضرين على الترتيب فاء. سينا. رايا. شينا<sup>(٣)</sup> ويمكن - بناء على ذلك - تفسير عدد غير قليل من الألفاظ التي عدت من الإبدال، ولو أن اللغويين نسبوا كل لفظ إلى قائله لقلل ذلك من خطر تلك الظاهرة ووجودها.

### ثانياً: التطور الصوتي

يرجع كثير من علماء اللغة - ومنهم ابن جني - قدرًا كبيرًا من أمثلة الإبدال إلى التغييرات الصوتية، وذلك لعلاقة بين الحروف المتبادلة في المخرج أو الصفات، وإن اختلفوا في تحديد هذه العلاقة، فكلمات اللغة تتألف من أصوات ينسجم بعضها مع بعض يقول الأستاذ فندريس: \* في كل لغة ترتبط الأصوات بعضها ببعض ارتباطًا وثيقًا، فهي تكون نظامًا متجانسًا مغلقًا، تنجسم أجزاءها كلها فيما بينها، هذه هي أول قاعدة من قواعد الصوتيات، وهي ذات أهمية قصوى، لأنها تثبت أن اللغة لا تتكون من أصوات منعزلة، بل من نظام من الأصوات<sup>(٤)</sup> وإن

(١) التطور اللغوي التاريخي ١٠٨.

(٢) المزهر ٢٢٩/١ وانظر ص ٦٢٤، ٦٢٥ من كتابنا.

(٣) في اللهجات العربية ط ٣ ص ١٠٠، ومن أمثلة ذلك: عكوب الطير وعكوف الطير، والنات والناس، والدغدغة والزغزغة وعليك وعليش. انظر المصدر المذكور، ص ١٠١، ١٠٥، ١٨٦.

(٤) اللغة ٦٢.

الانسجام والتآلف يقتضى بعض التبدلات الصوتية باختلاف الناطقين وبيئاتهم، وتبعاً لنواح (طبيعية فسيولوجية ونفسية معاً)<sup>(١)</sup>، بل إن هذا الاختلاف فى النظام الصوتى "يتغير إن قليلاً وإن كثيراً من سن إلى أخرى"<sup>(٢)</sup> وقد أكد لنا المحدثون أنه ليس بين أبناء اللغة الواحدة اثنان ينطقان نطقاً متماثلاً فى كل الصفات<sup>(٣)</sup>، وهذا التطور يؤدى إلى وجود صيغ جديدة، وفى البيئة الواحدة قد تستعمل هذه الصيغ بجانب القديمة فى مدة معينة ثم بعدها تبقى الجديدة وحدها فى عالم الاستعمال، وقد توجد صيغتان فى بيئة واحدة إذا استعملت الأخرى غير الشائعة على طريق المحاكاة أو اتجاهًا إلى اللغة المثالية، أما فى البيئات المتعددة فلا مانع من وجود كل فى موضعه. ولهذا التطور الصوتى عوامل كثيرة ساعدت عليه نتحدث عنها بالتفصيل فيما يلى:

١ - أعضاء النطق: إن جهاز أعضاء النطق هو الذى يختص بإخراج عدد لا يحصى من الأصوات<sup>(٤)</sup>، وقد حاول بعض العلماء أن يعزوا التبدلات الصوتية إلى هذا الجهاز من نواح متعددة وسنقف منها جميعاً الموقف العلمى الصحيح.

١- اختلاف أعضاء النطق باختلاف الشعوب: ينسب بعض العلماء التطور الصوتى إلى اختلاف أعضاء النطق، فهى تختلف فى تكوينها واستعدادها ومنهج تطورها، تبعاً لاختلاف الشعوب، وتنوع الخواص الطبيعية المزود بها كل شعب، والتى تنتقل عن طريق الوراثة من السلف إلى الخلف<sup>(٥)</sup>. وهذا يعنى أن لكل شعب جهازاً مكوناً على نمط خاص، يجعله قادراً على إصدار الأصوات بطريقة معينة تختلف عن الشعوب الأخرى، ولكن هذه النظرية لم يثبتها علم التشريح، بل لقد برهن معظم علماء التشريح على أن أعضاء النطق عند الإنسان تتحد فى جميع تفاصيلها من وجهة نظر علم التشريح<sup>(٦)</sup>، وعجز بعض الشعوب عن نطق

(١) نفسه ٩١ .

(٢) نفسه ٦٦ واللغة بين الفرد والمجتمع (جبرسن) ٣٥، ٣٦ .

(٣) الأصوات اللغوية ١٧٠ . (٤) التجويد والأصوات ص ٨ .

(٥) علم اللغة، د. وافى، ط ١٩٣٨م، ص ٢٧٤ . (٦) الأصوات اللغوية ١٧٢ .

بعض الحروف ليس دليلاً على اختلاف أعضاء النطق، فمعجز الإنجليزى عن نطق العين أو الضاد أو القاف لا يعنى أن جهاز النطق عندهم قد خلق على طبيعة لا تمكنه من النطق بهذه الحروف، بل إن العادات الصوتية التى نشأ عليها، والبيئة الاجتماعية من حوله هى التى جعلته لا ينطق بها، فالجهاز الصوتى مستعد لإصدار جميع الأصوات بلا استثناء، وكل ما هنالك أنه يحتاج إلى المران عليها. فلو أن طفلاً إنجليزياً نشأ فى بيئة عربية لنطق بهذه الأصوات كاملة المخارج والصفات كما ينطقها العربى تماماً. وقد ثبت بالتجربة أن مدرس (الفوناتيک) يستطيع أن يعلم تلاميذه أى صوت من الأصوات فى أى لغة من لغات العالم مع شىء من المران والشرح العلمى، دون أن يصحب عضلات نطق التلاميذ أى تغير فى تكوينها التشريحي<sup>(١)</sup>، وعلى كل حال فلا بد أن يكون هناك تأثير ما - وإن لم يوجد اختلاف واضح - لأننا قررنا أن النطق يختلف من إنسان لآخر، والطفل يختلف عن أبويه اللذين يقلدهما تقليدًا ناقصًا كما يقول الدكتور المبارك، وقد وصف الأستاذ (فندريس) هذا التغير بأنه «خطير النتائج لأنه لا يشير بشىء أقل من انقطاع التوازن فى النظام الصوتى»<sup>(٢)</sup>، وإذا كان هذا فى بيئة واحدة وشعب واحد فلا ريب أن الخلاف بين الشعوب يكون أكثر وضوحًا، لما يحيط بالفرد من مؤثرات واستعداد لأعضاء الجهاز الصوتى.

٢- تطور أعضاء النطق: حاول بعض العلماء أن يطبق على الجهاز الصوتى نظرية النشوء والارتقاء، فلا بد أن يتطور كما يتطور كل ما فى الكون، ولذلك تأثيره فى الأصوات وقد ذكرنا أن النظام الصوتى يتغير من سن إلى أخرى<sup>(٣)</sup> ويقول الدكتور وافي: إن هذا أمر مقرر، فسائر أعضاء نطقنا تختلف عما كانت عليه عند آبائنا الأولين إن لم يكن فى تكوينها الطبيعى فعلى الأقل فى استعداداتها، وذلك تبعه تطور فى أصوات الكلمات، وقد كشف ذلك جماعة من العلماء على رأسهم هرمان بول وروسلو الذى تجرى حقائقه بالوسائل القديمة

(١) نفسه، نفس الصحيفة. (٢) اللغة ٦٥. (٣) نفسه ٦٦.



وبوسيلة الأجهزة الحديثة<sup>(١)</sup>، ولكن الدكتور المبارك ينقض ذلك بقوله: "إن ما ادعاه بعضهم من تطور الجهاز الصوتي تطوراً مطرداً مردود إذ لا برهان له عليه"<sup>(٢)</sup> ويبدو لنا أن التغير الذي يعترى كل ما في الكون يشمل أعضاء النطق أيضاً، وإن كان هذا التغير بنسبة غير ملحوظة إلا أنها تترك أثراً ما.

٣- عيوب أعضاء النطق: قد يولد الإنسان مصاباً بعلة تمنع أعضاء الكلام عن تأدية وظيفتها، وقد يعرض للإنسان في أثناء حياته مرض يتسبب في إحداث عيب في أعضاء النطق، وهذا يؤثر في حديثه، والمعروف أن الرواة كانوا يتحرون جمع اللغة عن القبائل الفصيحة، ولم يكن لهم اتجاه إلى النظر في أعضاء النطق للتحقق من سلامتها، وكانوا يكتفون بالأخذ عن العربي الواحد، كما قرر ابن جني<sup>(٣)</sup>. وربما كان هذا العربي الذي شهد له بالفصاحة مصاباً بلكنة تسببت في تغير بعض الأصوات، وربما انتقلت الكلمة على هذا النحو إلى التراث اللغوي، فاللغة اللسانية تتسبب - ولا ريب - في إبدال بعض الحروف، فالراء تتحول عند الألف إلى غين أو همزة أو لام فكلمة يا ربي قد تنطق يا غبي ويا أبي ويا لبي<sup>(٤)</sup>، وقد عزا الأستاذ جورجى زيدان إلى عيب أعضاء النطق معظم ما عرف من الفاظ هذه الظاهرة، وقال: "وهي في الغالب نتيجة علة طبيعية في أعضاء النطق"<sup>(٥)</sup> وجعل ذلك عاماً في جميع الأمم، ولكننا نرى في هذا القول مبالغة، وإن كنا نوافقه موافقة عامة على أن لهذه العلل أثراً ما قد يتسبب في إبدال بعض الكلمات، على أن الأستاذ فندريس يقول: إن التغير الذي ينظر إليه اللغوي هو التغير الذي يظهر في كلام مجموعة من الأفراد، ثم يقول: ولكن لا بد من التفرقة بين التغيرات الفردية والتغيرات المشتركة بين جميع الأطفال في نفس الجيل، فقد يحدث أن أحد الأطفال لا يستطيع النطق ببعض الأصوات، نتيجة لاستعداد خيبي

(١) الفونيتيك التجريبي. علم اللغة د. وافي، ط ١٩٣٨م، ص ٢٧٠، ٢٧١ وفقه اللغة له ١٣٠.

(٢) فقه اللغة ٤٠. (٣) الخصائص ٢١/٢.

(٤) ومن أنواع اللغات الرثة والبابأة والتمتة والفاقة. المزهري ٢٦٥/١ وتاريخ آداب العرب ١٥٤/١.

(٥) الفلسفة اللغوية ٣٩، ٤٠.

موروث، أى أن يكون عنده بعبارة أخرى نقص فى النطق، هذه الحالات من النقص الفردى فى غالب الأحيان لا تعنى غير الطبيب، وغاية ما يعنى العالم اللغوى من أمرها أنه قد يستدل بها على اتجاهات اللغة<sup>(١)</sup>.

ب- **المكان والزمان:** تؤثر الطبيعة التى تحيط بالإنسان فى سماته الخلقية، وسائر تصرفاته ومنها اللغة، إذ هى لون من التصرف، ولا ريب أن اللغة فى بلد زراعية تختلف فى اتجاهها عنها فى بلد صناعية أو صحراوية أو جبلية أو ساحلية، ويمكن أن نرى ذلك واضحاً فى البيئة العربية، إذ كان البدو يعيشون حياة لا تعرف الاستقرار على حين كانت طائفة منهم تسكن المدن التى تتصل بما يجاورها عن طريق التجارة والثقافة، فاختلقت فى اتجاهها اللغوى على ما رأينا فى حديثنا عن اختلاف اللهجات، كما أن انتقال اللغة من جيل إلى آخر يصاحبه شيء من التغير فى النظام الصوتى، فالطفل منذ نشأته يحاول أن يقلد أباه أو يتعلم منه \* وأغلب الظن أن استعدادات الطفل الموروثة تلعب دورها فى هذا التعلم، ولكن يمكننا أن نقدر دون عناء العوارض التى يمكن أن تعرض لسلامة النطق فى كل جيل<sup>(٢)</sup> وعلى مر الزمن فإن تقليد الأبناء للأباء يحدث تبدلات فى الحروف مهما يبالغ السلف فى تلقينهم وتعليمهم، وهذا لا تسلم منه لغة فى العالم، ولكن هناك عوامل أخرى قد تقلل من هذا التأثير كالكتابة والتلقين فى المدارس<sup>(٣)</sup> وقد حظيت اللغة العربية الفصحى بما لم تحظ به لغة على الإطلاق، فقد بذل أهلها وعلماءها جهداً كبيراً فى الحفاظ عليها، ووصف أصواتها وصفاً دقيقاً، وكان ذلك اهتماماً بالقرآن الكريم الذى نقل إلينا أصوات العربية حتى فيما قبل القرآن من أماد بعيدة<sup>(٤)</sup> أما اتجاه المحادثة الدارجة فقد سار على النمط العام التطورى، وبهذا ندرك أن البيئة الطبيعية، ومرور الزمن يؤثران على الجماعة البشرية، بما يحدث بعض التغيرات فى لغتها، ومن بينها تبدلات تعترى الأصوات، مما يسبب ظهور ألفاظ تحمل اسم ظاهرة الإبدال.

(١) اللغة ٦٩، ٧٠ . (٢) نفسه ٦٤ .

(٣) فقه اللغة للمبارك ٤٠ . (٤) نفسه ٤٩ .

## ج- الحياة الاجتماعية،

١- العزلة والاختلاط الاجتماعي: تتأثر اللغة - كغيرها من وسائل الحياة - بلقاء الإنسان بالآخر وانعزاله عنه، فإذا قدر لطائفة من بنى البشر أن تعيش فى مكان لا صلة له بالآخرين- لأن طبيعة البيئة الجغرافية كالجبال والأكام أو صعوبة المواصلات والبعد عن العمران أو غير ذلك قد عزلتهم عن غيرهم- فإن هذا يؤثر على سلوك هذه الطائفة، ومنه الاتجاه اللغوى الذى يأخذ شكلا يخالف الاتجاهات الأخرى عند بقية الشعوب، وربما عزل فريق من أهل اللغة الواحدة عن بقية بنى جلدتهم، فتحدث بعض اختلافات وتطورات صوتية بينهم، وبين إخوانهم من أبناء لغتهم<sup>(١)</sup> وقد يكون لذلك أثر فى الإبدال.

كما أن الاختلاط - بصوره التى تحدثنا عنها فى اللهجات - تؤثر فى اختلاف الأداء الصوتى، وانقسام اللغة إلى لهجات، وعن طريق هذا الاتصال بين الشعوب وأبناء اللغة الواحدة، \*كانت الانقلابات السريعة فى تطور بعض اللغات، لأن الشعب الذى يتخذ لغة جديدة يطبق عليها - أحياناً - عوائد النطق فى اللغة التى تركها<sup>(٢)</sup> فيمكن قراءة صفحة من الفرنسية وقد بدا عليها طابع النطق الإنجليزى أو الألمانى<sup>(٣)</sup>، وإذا تكلم الإنسان لهجة أجنبية تعرض للأخطاء، بسبب التردد فى صيغة الكلمات<sup>(٤)</sup> وهذا حدث للعربية فى تفرعها إلى لهجات، وتأثرها باللغات التى اتصلت بها وبخاصة بعد الفتوحات الواسعة، وإن التأثير الواقع من تلك اللغات واللهجات بعضه - ولا شك - صوتى، وإن الحروف التى تكون بين الحروف العربية لخير شاهد على ذلك.

٢- الثقافة والحضارة: هذا العامل له اتصال بسابقه، إذ ينشأ عن قطيعة شعب لجيرانه ألا يعرف تطور الحياة، ونوازعها الجديدة، وثقافتها المتعددة التى تنشأ بين الحين والآخر، كما أن اتصال الشعوب، وتبادل الثقافات، عن طريق

(١) فى اللهجات العربية ط ٢ ص ١٨ .

(٢) اللغة ٨١، ٨٢ . (٣) نفسه ٦٣ . (٤) نفسه ٨١ .

المعاملات الودية، أو الغزو، يؤدي إلى تغير الحياة والتأثير فيها وهذا - بنوعيه - له أثر فعال في النواحي اللغوية، وبعضه يتصل بالأصوات وتبدلات الحروف، وقد ذكرنا ذلك في حديثنا عن اللهجات<sup>(١)</sup>.

٣- الحالة النفسية: إن الجو النفسى للفرد والمجتمع تظهر بعض آثاره على النطق، فقد يكون اللفظ رقيقاً ضعيفاً وقد يكون قوياً ذا جرس، وبقدر سرور الإنسان أو حزنه، واستقراره وعدمه، تكون ألفاظه معبرة؛ فمن وضوح أو غموض، ومن تفخيم أو ترقيق إلى غير ذلك من وسائل التعبير اللغوى ومظاهره، ويعزو بعض العلماء تطور الأصوات من شدة إلى رخاوة أو العكس إلى الحالة النفسية التى يكون عليها الشعب "فالشعب حين يميل إلى الدعة والاستقرار تميل أصوات لغته إلى الانتقال من الشدة إلى الرخاوة، فإذا اعتز الشعب بقوته وجبروته مال إلى العكس"<sup>(٢)</sup> وكما يحدث ذلك للجماعة يحدث للأفراد فيختلف نطقهم عن ذويهم من أبناء لغتهم، وهذا ذو أثر أيضاً فى ظاهرة الإبدال.

٤- عوامل اجتماعية أخرى: وهى كثيرة قومية ودينية وعصبية وغيرها، وقد يتسبب ذلك أو بعضه فى إحياء صوت مهجور، وإماتة صوت مولد، أو هجر صوت قديم وتوليد آخر، وهذا يترك أثراً على ما يعيش من أصوات اللغة "فالرغبة فى العودة إلى الفصحى فى البلاد العربية فى العصر الحاضر هى التى عادت ببعض الحروف من الشكل الذى آلت إليه كالهزمة بدل القاف فى كثير من المدن العربية والثاء والذال والظاء فى لفظها العامى إلى نطقها القديم الفصيح"<sup>(٣)</sup> وقد كان القرآن الكريم عاملاً دينياً دعا إلى الحفاظ على اللغة العربية، وأصواتها بطابعها القديم - كما ذكرنا - وقد تعصبت القبائل العربية للهجاتها المتعددة، ونحن نعرف الصراع الطويل الذى حدث بينها حتى استطاعت القرشية التغلب عليها، بعد أن أثرت فيها اللهجات الأخرى<sup>(٤)</sup> وكم تصارعت أيضاً مع اللغات التى اتصلت بها بعد الفتوح الإسلامية، ولا شك أن هذا وغيره له آثار يتعلق بعضها بظاهرة الإبدال.

(١) انظر ص ٣٥٤، ٣٥٥ من كتابنا.

(٢) الأصوات اللغوية ١٧٤.

(٣) فقه اللغة للمبارك ٤١.

(٤) اللهجات العربية د. نجما ص ٥١، ٥٢.

### ثالثاً: دواع لغوية

هناك عوامل لغوية متعددة ذات أثر في الإبدال نتحدث عن أهمها:

١- تفاعل الأصوات هو تأثير الصوت اللغوي بما يجاوره قبله أو بعده من الحروف، وهذا يشمل ما يسمى بالمماثلة والمخالفة والتناوب بين الأصوات، وهما

بيها

(١) المماثلة: حروف الهجاء منها ما يأتلف، ومنها ما يختلف، ولا بد من تحقيق التآلف بين الحروف عند تركيب الكلام، حتى يتحقق الانسجام الصوتي، فتمكن أعضاء النطق من التفوه به، فإذا تجاور حرفان متنافران غير أحدهما ليقترب من الآخر أو يتحد معه محرّجاً أو صفة\* وهذه ظاهرة شائعة في كل اللغات بصفة عامة، غير أن اللغات تختلف في نسبة التأثير وفي نوعه<sup>(١)</sup> وهذا التأثير واقع في اللغة العربية فديمها وحديثها كما يقول أستاذنا الدكتور نجما<sup>(٢)</sup> كانقلاب البحر الساكنة ميماً إذا وليها باء، وتحول تاء الافتعال طاء مما أوله صوت مطبق كما في عمير وشماء، واصطبر واطلع واطظلم ونحو ذلك مما أدنى فيه الصوتان أحدهما من الآخر<sup>(٣)</sup>، وهذا التأثير متفاوت الدرجة فقد لا يعدو أن يكون مجرد انقلاب الصوت من الجهر إلى الهمس أو العكس، وأقصى ما يصل إليه الصوت في تأثيره مما يجاوره أن يفنى في الصوت المجاور فلا يترك له أثراً<sup>(٤)</sup>، وقد قسم علماء اللغة المحدثون هذا التأثير إلى رجعي وتقدمي، وذلك بحسب الصوت المتأثر بالآخر وقد أشرنا إليهما في اللهجات<sup>(٥)</sup>.

(ب) المخالفة: الأحوال اللغوية مختلفة، فقد يكون الصوتان مقبولين في موضع غير مقبولين في موضع آخر لاعتبارات خاصة، ومن ذلك الحرفان المتماثلان، قد تبقى صورتاهما في اللفظ إذا كان ذلك لا يحتاج إلى مجهود عضلي كبير، وقد يقلب أحدهما إلى حرف آخر إذا احتاجا إلى هذا المجهود توفيراً

(١) الأصوات اللغوية ١٢٦ (٢) التجويد والأصوات ٢٩.

(٣) الخصائص ٢/ ١٤٠، ١٤٥، ٢٢٧ - ٢٣٠ وغيرها.

(٤) الأصوات اللغوية ١٣ (٥) انظر ص ٣٨٣ من كتابنا.



للجهد وتحقيقاً للسهولة، فالأول مثل قطع وعلم والثاني مثل أملى وتظنى، فالأول مقبول لأن إدغام الحرف في الحرف أحف عليهم من إظهار الحرفين، ألا ترى أن اللسان ينبو عنهما معاً بقوة واحدة<sup>(١)</sup>، والمثلان -في غير الإدغام- ثقلان لما في النطق بهما من تحرك اللسان ورجوعه إلى مكانه الأول، فهو شبيه بمشى المقيد، كلما تحرك خطوة رجع أخرى<sup>(٢)</sup> فلا إنكار للتخفيف بإبدال أحد المتماثلين ياء<sup>(٣)</sup> ولأن الصوت مع نقيضه أظهر منه مع قرينه ولصيقه، ولذلك كانت الكتابة بالسواد في السواد خفية، وكذلك سائر الألوان<sup>(٤)</sup>، وإذا كان ذلك في المثلين فالثلاثة أولى، وهذا هو معنى المخالفة التي أوضحها المحدثون، وقد أشار إليها سيبويه في (باب ماشد فأبدل مكان اللام ياء لكرامية التضعيف وليس بمطرد) ومثل لها بقولهم: تسريت وتظنيت وتقصيت... وأصلها تسررت وتظننت وتقصصت<sup>(٥)</sup>، ونبه ابن جنى أيضاً على استثقالهم المثلين حتى قلبوا أحدهما في نحو أملت -وأصلها أملت- وقولهم لا وربك لا أفعل يريدون لا وربك لا أفعل<sup>(٦)</sup>، ويرى الدكتور أنيس أن هذه الظاهرة قد شاعت في كثير من اللغات السامية وليست إلا تطوراً تاريخياً للأصوات<sup>(٧)</sup> ويذكر أن كثيراً من الكلمات التي تشتمل على صوتين متماثلين كل المائلة يتغير فيها أحد الصوتين إلى صوت لين طويل -وهو الغالب- أو إلى أحد الأصوات الشبيهة بأصوات اللين في بعض الأحيان ولاسيما اللام والنون<sup>(٨)</sup> وهو يرى -كذلك- أن المخالفة لا تكاد تتم إلا حين يتجاور صوتان متماثلان من أصوات الإطباق أو الأصوات الرخوة، لأنها أشق الأصوات، على أن المخالفة قد تكون في النادر من الأحيان بين الأصوات الشديدة مثل (إجار) التي روى فيها (إنجار) وكذلك (إجاص) روى فيها -أيضاً- (إنجاص)<sup>(٩)</sup> فالمخالفة تجري

(١) الخصائص ٢/ ٢٢٧. (٢) فقه اللغة د. العزاي ١٦٦-١٧١.

(٣) الخصائص ٢/ ٢٣٢. (٤) الكتاب ٢/ ٤٠١.

(٥) الخصائص ٢/ ٢٣١ وانظر ص ٣٩٧-٣٩٩ من كتابنا.

(٦) الأصوات اللغوية ١٥٢.

(٧) نفسه ١٥٣، ١٥٤ وانظر أمثلة لذلك ص ٦٦، ٦٧ من كتابنا.

(٨) الأصوات اللغوية ١٥٥، الإجار والإنجار: السطح والحصن ج أجاجير، وأناجير، والإجاص:

نمر معروف القاموس ١/ ٣٧٦، ٢/ ١٤٤، ٣٠٦.

بين الحروف التى تحتاج إلى جهد عضلى، وفى غير ذلك يبقى المشلان دون تغيير كاللامين والنونين فلا تتناولهما عملية المخالفة إلا فى النادر من الأحيان<sup>(١)</sup>.

ج) التناوب بين الأصوات: تبين من ملاحظة ظواهر التطور فى مختلف اللغات الإنسانية أن الأصوات المتحددة النوع القريبة المخرج تميل بطبيعتها إلى التناوب، وحلول بعضها محل بعض، فكل صوت لين عرضة بطبعه لأن ينحرف إلى صوت لين آخر، وكل صوت ساكن عرضة بطبعه لأن ينحرف إلى صوت ساكن متحد معه فى مخرجه أو قريب منه<sup>(٢)</sup>، ففى العربية تناوبت أصوات اللين القصيرة (الفتحة- الكسرة- الضمة) مثل (يعوم- يسمع- يلطم- يضرب- محمد- تعبان) تغيرت حركاتها الفصحى بأخرى فى العامية المصرية، وحدث كذلك تناسخ فى أصوات اللين الطويلة نفسها، وبخاصة فى الألف اللينة إذا أمليت فى لغات بعض القبائل العربية القديمة (ومنها قريش) وتمال الآن فى لهجات القبائل العربية النازحة إلى مصر، وفى بعض اللهجات فى بلاد الشرقية والأصوات الساكنة كذلك ففى عاميتنا حلت الدال فى (دبور) محل الزاى فى (زنبور) الفصحى، والسين فى (يسدا) محل الصاد فى (يصدق) الفصحى، وهكذا ومثل ذلك حدث فى اللغات الأوربية<sup>(٣)</sup>.

٢- الاشتقاق: قد تتفق كلمتان فى ظاهر أمرهما فى جميع الحروف إلا حرفاً واحداً، وأصلهما - فى الحقيقة - مختلف لأخذ كل منهما من أصل معين، وقد ضرب ابن جنى لذلك أمثلة متعددة ذكرنا بعضها فيما مضى<sup>(٤)</sup> كما فى حثثوا وحثثوا وأديته وأعديته، فإذا أدركنا أصول الألفاظ على هذا النحو أمكننا تفسير ألفاظ كثيرة ظُن أنها من الإبدال.

٣- تغير المعنى: تتغير معانى الألفاظ من آن لآخر، تبعاً للظروف التى تمر بها اللغة، ويتطور المعنى بإحدى الصور الثلاث التى لا رابع لها (توسيع المعنى -

(١) نفسه، نفس الصحائف.

(٢) فقه اللغة، د. وافي ١٣٦.

(٣) علم اللغة، ط ١٩٣٨م، ص ٢٩٠-٢٩٣.

(٤) انظر ص ٦١٧ من كتابنا.

تضييقه - انتقاله<sup>(١)</sup>، \* وينحرف الناس - عادة - باللفظ من مجاله المؤلف إلى آخر غير مؤلف، حين تعورهم الحاجة في التعبير، وتزاحم المعاني في أذهانهم أو التجارب في حياتهم، ثم لا يسعفهم ما ادخروه من الألفاظ وما تعلموه من الكلمات<sup>(٢)</sup>. ثم يشيع ذلك المجاز حتى يصبح مألوفاً، ويعد حينئذ من الحقيقة، وتظل تلك الدلالة القديمة ملازمة للفظ في حدود ضيقة، ويكون للفظ دلالتان أو استعمالان - وكلاهما من الحقيقة - غير أن إحدى الدالتين تكون أكثر شيوعاً من الأخرى، بل قد يصل الأمر إلى أن تصبح الدلالة القديمة من الندرة وقلة الاستعمال بحيث تستدعى الانتباه، وتكاد تعد من المجاز حين تقارن بالدلالة الجديدة الشائعة المؤلف<sup>(٣)</sup>، وفي هذه اللغة الشاعرة توجد كلمات كثيرة بقي معناها الحقيقي مع شيوع معناها المجازي على الألسنة، حتى يقع اللبس في أيهما السابق وأيها اللاحق في الاستعمال<sup>(٤)</sup>، فالعزة يوصف بها المكان المنيع، والرجل المنيع فالعزير في الحاليين غير السهل المباح<sup>(٥)</sup>، وكلمة رأس التي تطلق على رأس الإنسان ورأس الجبل ورأس النخلة ثم أخيراً رأس الحكمة<sup>(٦)</sup>، وهكذا نرى أن المعاني تتجدد وتتطور، وبخاصة في لغتنا المبنية على المجاز، وهذا التطور المعنوي قد يتسبب في مساواة لفظ بآخر، فيتفق معه في المعنى، وقد يتصادف أن تتفق - حينئذ - الكلمتان في جميع الحروف إلا حرفاً واحداً وقد يكون أحد المعنيين مجازاً، إلا أنه عرف واشتهر فكأنه حقيقة بكثرة الاستعمال على ما سبق، وقد يكون من ذلك ما جزم به ابن جني من اختلاف المعنى بين كلمتي ثوم وفوم وأن الفاء ليست بدلاً من الثاء لاختلاف المعنى، وتؤيده المعاجم فيما ذهب إليه<sup>(٧)</sup> ولو أن اللغويين حاولوا الفصل بين المعاني وبيان حقيقتها ومجازيها، وصلة هذه المعاني ببعضها ببعض لآدى ذلك إلى تفسير قدر كبير من الألفاظ التي تدخل في ظاهرة الإبدال.

(١) دور الكلمة في اللغة ١٦٥.

(٢) دلالة الألفاظ د. أنيس ص ١٢٦ واللغة والمجتمع د. وافي ١٧، ١٨.

(٣) اللغة الشاعرة ٣٩. (٤) نفسه ٤١. (٥) في اللهجات العربية، ط ٣، ص ١٩٣.

(٦) سر الصناعة ٣٥٢/١ والقاموس، ط. بولاق، ١٠١/٤، ١٨٧.

٤- التصحيف والتحريف: هذا العامل يرجع إلى عصر تدوين اللغة وكتابتها<sup>(١)</sup> فإن الحروف العربية تنقسم إلى مجموعات متشابهة، والتصحيف خاص بنقط الحروف المتشابهة في الشكل مثل (ب ت ث- ج ح خ- د ذ- ر ز- س ش- ص ض- ط ظ- ع غ- ف ق)<sup>(٢)</sup> فإن صور تلك الحروف واحدة، ولا يفرق بعضها عن بعض في الكتابة الحديثة إلا النقط ومقدارها، والتحريف خاص برسم الحروف المتشابهة وشكلها مثل (در- دل- ذر- زن) في الحروف المتقاربة الصورة (ول ع- م ق) في الحروف المتباعدة الصورة<sup>(٣)</sup>.

والتصحيف قسمان: تصحيف الخط وتصحيف السمع، فالأول ينشأ عن اختلاط نقط الحروف المتشابهة -كما سبق- ومن صور الإبدال التي يمكن فيها ذلك "رجل صلب وصلت" والدبر والدثر والكرب ورغاث ورغاب وجاص وجاض والنافجة والنافحة<sup>(٤)</sup> وقد وقع أصحاب المعاجم في كثير من هذا اللون من التصحيف<sup>(٥)</sup>، والثاني ينشأ من نطق الأحرف المتقاربة مخرجاً أو صفة وهي- غالباً- لا تتشابه رسماً عند إهمال نطقها مثل (هـ- ب م- ت ط- ث س ف- ج ش- د ض- ذ ز ظ- س ص- ق ك) ومن صور الإبدال التي يتوهم فيها ذلك أتمال واتمهول ومن كشب ومن كشم والأقتار والأقطار والوطث والوطس واللثام

(١) التصحيف والتحريف (للعسكري) ص ٩.

(٢) المزهر ٢٥٥/١ - ٢٦٧ واللغة العربية كائن حتى ص ٥٧، الدبر والدثر: المال الكثير، والكرب: مثل الكرب، وأرض رغاث ورغاب: لا تسيل إلا من مطر كثير، وجاص عن الشيء: حاد عنه ومال، والنافجة: لها معان منها كل ريح تبدأ بشدة، والإبل التي يرثها الرجل فتكثر بها إبله، والنافحة: ما كان من الريح سموماً وقيل: النفع لكل بارد، ونفحت الريح: هبت، والطيب: فاح. اللسان ٢٠٤/٣، ٢٠٥، ٤٦١-٤٦٣.

(٣) تحقيق النصوص ونشرها ٥٠-٥٢.

(٤) مما يمثل ظاهرة الإبدال في المعاجم ويحتل فيه التصحيف ما ورد في باب الهمزة من القاموس مثل (جفاء وحفاء: صرعه، خفاء: اقتلعه فضر به الأرض، جلا بالرجل: صرعه ويثوبه: رماء، حلاء بالأرض: صرعه وبالسيف: ضربه، ساءاً وشأشأ: دعا الحمار ليشرب، وأرات الظباء: بصبت بأذنانها، أارا الظليم: مشى مسرعاً رافعاً رأسه وذنبه إلخ..

واللفام والوقيذ والوقيظ<sup>(١)</sup> وقد وقع التصحيف والتحريف من علماء ورواة أفذاذ أمثال الخليل والأصمعي وأبي عمرو بن العلاء وأبي زيد وأبي عبيد وغيرهم كثير<sup>(٢)</sup>، وصرح ابن جني بوقوع التصحيف والتحريف في بعض أمثلة الإبدال في فصل التحريف<sup>(٣)</sup> ومن كلامه فيه "قالوا لابل ولابن، وقالوا: قام زيد فم عمرو كقولك ثم عمرو، وهذا وإن كان بدلاً فإنه ضرب من التحريف<sup>(٤)</sup>، واعترف المحدثون بأن بعض ما وقع فيه الإبدال من ذلك كالدكتور الصالح<sup>(٥)</sup> والاستاذ جورجى زيدان<sup>(٦)</sup> والدكتور أنيس<sup>(٧)</sup> فليس من التجنى إذاً أن نرجح أن بعض تلك الكلمات التى قيلت لنا إن بينها إبدالاً لا تمت للإبدال بأية صلة بل هى وليدة التصحيف<sup>(٧)</sup> والتحريف.

٥- صنع الالفاظ واختلاقتها: لقد حدث هذا الخلق والابتداع فى اللغة ولا سيما تراثها الأدبى وعلى رأسه الشعر، فقد كانت قبائل العرب ذات عصبية كثيرة، ومفاخر وأمجاد، فحاولت كل منها أن تظهر بشرف ومجد أعظم من الأخرى، ولذلك اخترع بعضها القصائد، ونسبتها إلى أجدادها الأوائل، تحقيقاً لما يهدفون إليه. يقول ابن سلام: "لما راجعت العرب فى الإسلام رواية الشعر، بعد أن اشتغلت بالجهاد والغزو واستقل بعض العشائر شعر شعرائهم، وما ذهب من ذكر وقائهم، وكان قوم قد قلت وقائهم وأشعارهم فأرادوا أن يلحقوا بمن له الوقائع والأشعار، فقالوا على السن شعرائهم، ثم كانت الرواية بعد فزادوا فى الأشعار التى قيلت، وليس يشكل على أهل العلم زيادة ذلك ولا ما وضعوا ولا ما وضع المولدون، وإنما عضل بهم أن يقول الرجل من ولد الشعراء أو الرجل ليس من ولدهم فيشكل ذلك بعض الإشكال<sup>(٨)</sup> ويفهم من نص ابن سلام السابق

(١) انظر المخصص باب البذل ٢٦٧/١٣ وما بعدها.

(٢) المزه ١٨١/٢ وما بعدها، ط. الأولى. (٣) الخصائص ٤٣٦/٢.

(٤) نفسه ٤٤٠/٢. (٥) دراسات فى فقه اللغة ٢٦٨-٢٧١.

(٦) اللغة العربية كائن حتى ٥٦، ٥٧. (٧) من أسرار اللغة ٥٣-٧٠، ط. ٣.

(٨) طبقات فحول الشعراء ٣٩-٤١ والمزه ٨٦/١، ٨٧ ويقول ابن سلام -أيضاً-: وفى الشعر السموع مفتعل موضوع كثير لا خير فيه. الطبقات ٥، ٦ والمزه ٨٥/١، ط. الأولى.



أن الرواة زادوا في الآثار الأدبية واتهم بذلك خلف الأحمر وحماد الراوية<sup>(١)</sup>، ولا ريب أن اللغة بألفاظها تعتمد على التراث الأدبي، وبخاصة الشعر الذي كان يحتل الصدارة في البيئة العربية، ويسرى على الألسنة في جميع الأصقاع، فتنتشر لذلك الألفاظ ولو كانت في أبيات مصنوعة، وقد قال الخليل: "إن النحارير ربما أدخلوا على الناس ما ليس من كلام العرب إرادة اللبس والتعنية"<sup>(٢)</sup> وقد أورد السيوطي أمثلة كثيرة لكلمات مصنوعة في أبواب متعددة من مزهره<sup>(٣)</sup> ومن ذلك عنشج: ثقيل وخم، وضَّهيد: الرجل الصلب، والالظ: نبت<sup>(٤)</sup> وغير ذلك كثير

وقد ذكر الأستاذ السامرائي أن السعة التي أضيفت للمعجم العربي بطريقة الإبدال قد توسع فيها، وربما دخلها شيء من التجوز والتوسع والكذب، وذلك أنك تجد الكثير مما عرض له الإبدال كما نص عليه الأقدمون يفتقر إلى الشاهد الصحيح<sup>(٥)</sup> وضرب لذلك أمثلة - من المعاجم - منها بغير ميلند - ومكلند: إذا كان شديداً، وقد ابلندى بيلندى ابلندادا واكلندى يكلندى اكلنداء إذا اشتد<sup>(٦)</sup>، ثم قال: وما أظن أن العربية تفيد من هذه السعة غير المقتضاه<sup>(٥)</sup> ويبدو لنا أن هذا حكم مطلق يجب تخصيصه بما روى عن من ليس من أهل الضبط والإتقان<sup>(٧)</sup> وبعد هذا نقول: لا يبعد أن يكون بعض الألفاظ المخترعة قد أضيفت إلى اللغة، وكان لها أثرها في ظاهرة الإبدال

(١) طبقات فحول الشعراء ٣٩-٤١.

(٢) العين ٥٩/١ والمزهر. ط. الأولى ٨٥/١.

(٣) انظر مثلاً ٥٢/١ - ٥٦، ٦٣ - ٦٧، ٨٥ - ٩١، ١٠٦ - ١١١، ١٢٠ - ١٢٤.

(٤) المزهر. ط. الأولى، ٩٠/١، والجمهرة ٣/٣٢٥، واللسان، ط. بيروت، ٣٢٦/٢، ٢٦٦/٣.

(٥) التطور اللغوي التاريخي ١١٥.

(٦) لسان العرب ٤/٦٥، ٣٨٥.

(٧) المزهر، ط. الأولى، ١/٦٣ - ٦٧، ١٢٠، ١٢٤ والمعجم اللغوي ٦٨.

### نظرات حول دراسة ابن جنى التطبيقية لظاهرة الإبدال

بيننا فيما سبق رأى ابن جنى الصريح فى الإبدال، وموقف العلماء منه، وشرحنا الأسباب الكثيرة التى يمكن أن يكون واحد أو أكثر منها مسوغاً للتبادل، وقد عرضنا لأهم الآراء التى دارت حول هذا الموضوع قديمها وحديثها، وأشرنا إلى أن ابن جنى كان هو النبع الذى استمدت منه آراء المحدثين التى صبغها أصحابها بألوان من الأساليب لا تبعدها كثيراً عن مصدرها الأصيل، وقد أعرينا عن رأينا فى الموضوع، وهو أن التحليل العلمى الدقيق يقتضى منا مزيداً من البحث والدراسة المستفيضة والعميقة، لنلمس الأسباب الحقيقية التى دعت إلى وجود هذا اللون من الألفاظ التى تتفق فى جميع الحروف إلا حرفاً، ولا يكفى أن ننظر نظرة واحدة فنعد هذه الألفاظ من قبيل التطور الصوتى كلها، أو من قبيل اختلاف اللهجات كلها كذلك، ولكن نظرات دقيقة إلى جوانب الموضوع وأسبابه كلها ترجع كل لفظ إلى سببه الحقيقى، وبذلك تظهر تلك الألفاظ فى مجموعات تنتمى كل منها إلى جانب معين وسبب محدد، فبعضها من اختلاف اللهجات، وبعضها من التطور الصوتى، وبعض ثالث بسبب مواقع الحروف، ورابع لسبب اجتماعى أو ثقافى أو عيب خلقى وهكذا.

وبهذا يمكن معرفة الألفاظ التى يصدق عليها اسم الإبدال مميزة عما هو من قبيل آخر، ولو أن العلماء سلكوا هذا السبيل لتمكن تفسير تلك الألفاظ تفسيراً علمياً واقعياً ودقيقاً، وستعرض - على هذا الأساس - الألفاظ التى طبق عليها ابن جنى رأيه الذى اعتد به، وكيف نظر إلى كل كلمتين من هذا النوع الذى صادفناه فى بحثه للموضوع، وسنلقى نظرات فاحصة على رأيه الخاص فى ذلك وبراهينه التى أكد بها وجهته، ثم بعد تقرير ما رآه نعرض اللفظين على الأسباب السالفة الذكر ونطبق الأسس العلمية الدقيقة عليهما لنضعهما فى مكانهما اللائق بهما ولا ضير علينا إن كان رأى ابن جنى موافقاً للنهج العلمى الذى رأيناه أو يكون معنا على غير وفاق، ولكننا سنين مدى موافقته أو مخالفته للسلوك العلمى الذى كان ينبغى أن يحتذيه ويسير على هده.

وستتناول - فيما يلي - الالفاظ التي قال فيها برأيه - وأغلبها في كتابه سر صناعة الإعراب - فقد رتبته على أبواب الحروف الهجائية من الهمزة حتى الياء، وفي كل باب منها يذكر ما يتبادل مع الحرف الذي يبحث عنه ويتخذ موضوع حديثه؛ ففي مطلع باب الهمزة - مثلاً - يقول: اعلم أن الهمزة حرف مجهور، وهو في الكلام على ثلاثة أضرب: أصل وبدل وزائد<sup>(١)</sup>، وبعد أربع صحائف من الجزء المطبوع يقول: وأما البدل فقد أبدلت الهمزة من خمسة أحرف، وهي الألف والياء والواو والهاء والعين<sup>(٢)</sup> ثم يأخذ في الحديث عنها بالتفصيل<sup>(٣)</sup> وكذلك في كل باب إلى آخر الكتاب.

وأما الخصائص فقد ذكر فيه أمثلة عدة في فصل خاص بعنوان: «باب في الحرفين المتقاربين يستعمل أحدهما مكان صاحبه»<sup>(٤)</sup> وأورد أمثلة أيضاً في «باب في تصاقب الالفاظ لتصاقب المعاني» و«باب في إمساس الالفاظ أشباه المعاني»<sup>(٥)</sup> مما يدخل في باب الاشتقاق الأكبر وفي مواضع أخرى متفرقة من الكتاب نبه عليها في حينها.

وسنذكر الالفاظ التي أوردها ابن جنى في سر الصناعة، لأنه المصدر الذي شرح وجهة نظره في الإبدال بطريقة عملية وتطبيقية واسعة، ثم نذكر ما ورد في الخصائص كلما اقتضت الدراسة ذلك، وسنسير في عرض الكلمات - كما وردت - في كتابه الأول وتبعاً له في ترتيبها، فما يذكره في باب الهمزة نذكره نحن كذلك ثم نناقشها مناقشة علمية وافية، وما يذكره في باب الباء كذلك، وهكذا حتى آخر الأمثلة والأبواب التي قررها.

ولن نتحدث هنا عن مخارج الحروف وصفاتها لأنها قد مرت في حديثنا عن الأصوات العربية ووجهة عالمنا ابن جنى فيها، حتى لا يؤدي ذكرها هنا مرة أخرى إلى التكرار، وسنكتفي هنا - في الإبدال - بالإشارة إلى العلاقة الصوتية بين

(١) سر صناعة الإعراب ٧٨/١.

(٢) نفسه ٨٢/١.

(٣) نفسه ٨٢/١-١٢١.

(٤) الخصائص ٨٨-٨٢/٢.

(٥) نفسه ١٤٥/٢-١٦٨.

المبدل والمبدل منه من قرب المخارج أو الصفات من قَبَل أنها المسوغ للإبدال، ثم نتطرق إلى معانى اللفظين، ومدى التقارب أو التباعد بينهما، ونذكر كذلك ما يمكن اتصاله باللفظين علماً ودراسة، ثم نحكم على اللفظين أحدهما من الإبدال أم من غيره كما رآه ابن جنى وغيره من العلماء، وكما نراه نحن حقيقة بالقبول والاعتداد به.

### باب الهمزة

ذكر ابن جنى أن الهمزة تبدل من خمسة أحرف هي العين والهاء والواو والالف والياء<sup>(١)</sup>.

#### ١- (ع-ع)

لم يذكر ابن جنى أمثلة لإبدال الهمزة من العين على الرغم من أنه عدها بين الحروف التي تبدل منها الهمزة، ومع وجود مسوغ التبادل من قرب المخرج والصفات، ولكنه ذكر مثالا واحداً خرجته على أن الهمزة أصلية وليست بدلا من العين قال: فأما ما أنشده الأصمعي من قول الراجز:

أَبَابَ بَحْرٍ ضَاكٍ هَزُوقٍ

فليست الهمزة فيه بدلا من عين عباب وإن كان بمعناه وإنما هو فُعَالٌ من أَبٍ إذا تهيأ. قال الأعشى:

أَخٌ قَدْ طَوَى كَشْحًا وَأَبٌ لِيَذْهَبَا

وذلك أن البحر يتهيأ لما يزخر به، فلهذا كانت الهمزة أصلا غير بدل من العين وإن قلت إنها بدل منها فهو وجه وليس بالقوى<sup>(٢)</sup>.

وقد بنى ابن جنى رأيه في هذا المثال على اختلاف الاشتقاق القائم بين اللفظين، إذ العباب من عَبَّ البحر: إذا زخر بكثرة مياهه، وأما أَبَابَ فممن مادة أخرى وهي أَبٌ: إذا تهيأ، وهذا المعنى يتصل بالمعنى الأول عن طريق المجاز، لأن

(١) سر الصناعة ٨٢/١.

(٢) نفسه ١٢١/١.

البحر تتجمع فيه المياه وذلك يعد كالتهيؤ لأن يزخر بها، فدلالة الأول على المعنى حقيقى والثانى مجازى من قبيل الاتفاق، والشرط كما يقول اللغويون للإبدال اتحاد المعنيين على سبيل الحقيقة لا المجاز، ولذلك جعل ابن جنى الإبدال بناء على الصلة المعنوية هنا رأياً ضعيفاً، إذ كل منهما من مادة مستقلة لها معانيها الخاصة، ومن الجائز - على الوجه الضعيف - أن تكون (أباب) هى كلمة عُبَاب بإبدال العين همزة<sup>(١)</sup>، والواقع أن الإبدال يكون من الهمزة إلى العين كثيراً كما فى الأُسُن والعُسُن وكثاً اللبن وكثع وموت زُؤاف وزُؤاف وغير ذلك من الأمثلة الكثيرة، وذلك لأن العين أسهل من الهمزة، والإبدال - عادة - يتجه نحو السهولة لا العكس.

وبهذا صرح ابن جنى نفسه فى باب العين - بعد أن ذكر أن العين تبدل من الهمزة فى عن، وغيرها من الأمثلة الكثيرة التى نذكرها فى باب العين - قال ابن جنى - فى إبدال أدبته وأعديته -: على أن فى هذا الوجه عندى بعض الضعف، وإن كان أبو على قد أجازه (أى إبدال الهمزة من العين فى المثال السابق) لأننا لم نرهم فى غير هذا أبدلوا الهمزة من العين، وإنما رأيناهم لعمري أبدلوا العين من الهمزة، فنحن نتبعهم فى الإبدال ولا نقيسه، إلا أن يضطر أمر إلى الدخول تحت القياس والقول به<sup>(٢)</sup> وأما الأمثلة التى ذكروها على أنها من إبدال الهمزة من العين مثل دأنى فى دعنى فيمكن تفسيرها بما يوافق رأى ابن جنى فمادة (ودأ) تستعمل فيما يأتى: ودأه: سواه وبهم: غشيه بالإساءة - الودأ: الهلاك، تودأت عنه الأخبار: انقطعت كودثت، وعليه الأرض: استوت أو تهدمت أو

(١) ذكر الأشمونى قول الراجز السابق وفيه (هروق) بالراء لا بالزاي على ما ذكره ابن جنى، وحكى رأى ابن جنى هناك بنصه غير أنه لم ينسبه إليه بل قال: وقال بعضهم: ليست الهمزة فيه بدلاً من العين إلخ ومن معانى العباب الموج وضحك السحاب: برق والقرد: صوت، وانظر الأشمونى مع الصبان ٢٩٧/٤، وهزوق: مرتفع، والمقصود امتلاء البحر وارتفاع مائه وموجه. اللسان ٣٤٦/١٢ - ٣٤٨ (ضحك).

(٢) سر الصناعة ٢٤٦/١.



اشتملت أو انكسرت، وزيد على ماله: أخذه وأحرزه والموداة كمعظمة: المهلكة والمفارة<sup>(١)</sup>.

فهى بهذا تفيد الستر والإخفاء وما يتبعه من الترك والنسيان، ومادة ودع لا تفيد هذا المعنى إلا من طريق المجاز فهى تفيد استقرار الشيء وهدوءه حقيقة وتدل على الإخفاء وما يتبعه مجازاً<sup>(٢)</sup> فمادة ودأ فى رأينا هى الأصل فالعين بدل من الهمزة لا العكس، وهكذا يمكن تخريج أمثلة كثيرة على أنها من إبدال الهمزة عينا، وربما أبدلت الهمزة من العين فى بعض اللهجات مثل: يا أبد الله فى يا عبد الله فى لهجة أهل مكة<sup>(٣)</sup> وفى العامية ما يؤيد ذلك مثل وأهد الله فى وعهد الله، إلا أن ذلك قليل - وقد يستعمل العربى ما غيره أخف منه<sup>(٤)</sup> فابن جنى بذلك قد جرى على منطلق الإبدال الصحيح، وإذا كانت اللغات تختلف فى إحساسها بالثقل والخفيف فلكل قوم ولكل لغة ظروف واستعمالات تناسبها، وتميل إليها، فربما خفت الهمزة على الإنجليزى وثقلت العين، فأبدل الهمزة من العين حال نطقه، كما يظهر من سقوط العين من الهجائية الإنجليزية واستبداله بها الهمزة عندما يلفظ ببعض الكلمات العربية التى تضم بين حروفها عينا مثل عمر ينطقها Omar وعلى ينطقها Aly ونحو ذلك، إلا أننا نقول: إن خفة الهمزة على الإنجليزى وثقل العين عليه لا يعطى قانوناً عاماً للحروف ثقلها وخفيفها، بل إن ذلك يرجع إلى طبيعة الناطق وإحساسه بالخفة وتعوده على ذلك، تبعاً لاختلاف البيئات والشعوب، فلا مانع أن تكون العين ثقيلة على الإنجليزى خفيفة على

(١) القاموس (ودأ)، ط. الحسينية ٣٢/١، ولسان العرب ١٨٦/١، ١٨٧ والمزهر، ط. الأولى، ٢٢٢/١ والمخصص ٢٧٣/١٣ كذا اللين: إذا علا دسه وخثورته رأسه.

(٢) لسان العرب ١٠/٢٦٠-٢٦٨.

(٣) شرح شواهد الشافية للبغدادى، ط. حجازى، ص ٤٢٥.

(٤) فى الخصائص ينقل ابن جنى عن سيويه قوله: واعلم أنه قد يقل الشيء فى كلامهم وغيره أثقل منه كل ذلك لثلاث يكثر فى كلامهم ما يستقلون ٦٨/١، ٦٩ وعبارة سيويه فى الكتاب ٤٠٤/٢ مع اختلاف طفيف. وهى: «وقد يقل ما هو أخف مما يستعملون كراهية ذلك - أيضا - أى كراهية أن يكثر فى كلامهم ما يستقلون».

العربى، وفى الهمزة بالعكس، مما يؤثر على الوجود اللغوى للحرفين فى لغة كل من الشعبين ولا عجب أن يؤثر ذلك فى الإبدال اللغوى على ما رأينا.

## ٢- (٤-٥)

يصح التبادل بينهما لقرب المخرج والاتفاق فى بعض الصفات، وهى:  
الهمس- عند من يعد الهمزة مهموسة- والاستفال والانفتاح والإصمات، وقد  
أورد ابن جنى لهذا التبادل الامثلة الآتية: آل فعلت ومعناه هل فعلت؟- آل- ماء  
وأمواء- رجل تُدرأ وتُدْرَه: للمدافع عن قومه.

التوجيه: قرر ابن جنى أن الهمزة قد أبدلت من الهاء فى الامثلة الثلاثة  
الاولى: فروى عن قطرب عن أبى عبيدة أنهم يقولون: آل فعلت؟ ومعناه: هل  
فعلت<sup>(١)</sup> فالهمزة بدل من الهاء، والعلاقة الصوتية مسوغة للتبادل، ومن ذلك  
قولهم آل كقولنا آل الله وآل رسوله إنما أصلها أهل، ثم أبدلت الهاء همزة،  
فصارت فى التقدير آل فلما توالى الهمزتان أبدلوا الثانية ألفاً كما قالوا آدم وآخر  
وفى الفعل آمن وآزر<sup>(٢)</sup>، وقال: والذي يدل على أن أصل آل أهل قولهم فى  
التحقيق: أهيل ولو كان من الواو ل قيل: أويل كما يقال فى الآل الذى هو  
الشخص: أويل، ولو كان أيضاً من الياء ل قيل: أيل<sup>(٣)</sup> ومن هذا يبدو أن ابن جنى  
اعتمد فى بيان الأصالة والفرعية على مبدئه وهو كثرة التصرف بوجود التصغير فى  
(أهيل) وهذا المقياس غير دقيق فقد روى الفراء عن الكسائى أنه يقال فيه: أويل  
أيضاً حتى قال أبو العباس: إن الآل والأهل أصلان لمعنيين<sup>(٤)</sup>.

وقد حاول ابن جنى أن يؤكد وقوع الإبدال بين الهمزة والهاء فى هذا اللفظ  
لا بين الهاء والألف بمعنى أن الهاء أبدلت همزة ثم قلبت الهمزة ألفاً، وساق لتأييد  
رأيه ما يأتى:

(١) سر الصناعة ١/ ١٢٠، ١٢١.

(٢) نفسه ١/ ١١٤.

(٣) نفسه ١/ ١٢٠.

(٤) اللسان ١٣/ ٣٩.

١- الألف لو كانت منقلبة عن الهاء فى أول أحوالها دون أن تكون منقلبة عن الهمزة المنقلبة عن الهاء- على ما قدمنا- لجار أن يستعمل آل فى كل موضع يستعمل فيه أهل<sup>(١)</sup> فيقال انصرف إلى آلك كما يقال انصرف إلى أهلك، ولقيل آلك والليل كما يقال: أهلك والليل وغير ذلك مما يطول ذكره، فلما كانوا يختصون بالآل الأشرف الأخص دون الشائع الأعم حتى لا يقال إلا فى نحو قولهم: القراء آل الله، واللهم صل على محمد وعلى آل محمد... ولا يقال: آل الخياط كما يقال: أهل الخياط ولا آل الإسكاف كما يقال: أهل الإسكاف دل ذلك على أن الألف فيه ليست بدلا من الأصل، وإنما هى بدل من بدل من الأصل<sup>(٢)</sup>.

٢- وقد شبه آل فى اختصاصها بالأشرف، وكون الألف فيها بدلا من بدل من الأصل بالتاء فى القسم، فقد اقتصت بالأشرف من الأسماء، وهو اسم الجلالة، لأنها أيضا بدل من بدل، فيقول: فجرى ذلك مجرى التاء فى القسم، لأنها بدل من الواو فيه والواو فيه بدل من الباء، فلما كانت التاء بدلا من بدل وكانت فرع الفرع اقتصت بأشرف الأسماء وأشهرها وهو اسم الله، فلذلك لم يقل: تزيد ولا تاليت كما لم يقل: آل الإسكاف ولا آل الخياط<sup>(٣)</sup> ثم يقول: فهذا كله يؤكد عندك أن امتناعهم من استعمال آل فى جميع مواقع أهل إنما هو لأن الألف فيه بدل من بدل، كما كانت التاء فى القسم بدلا من بدل فاعرفه فإن أصحابنا لم يشيعوا القول فيه على ما أورده الآن، وإن كنا بحمد الله بهم نفتدى وعلى أمثلتهم نحتذى<sup>(٤)</sup>.

والمعاني- كما يجدها الباحث فى لسان العرب وغيره من المعاجم- تؤكد أن اللفظين يستعملان بمعنى أهل الرجل وعباله<sup>(٥)</sup> وربما بدا لى أن لفظ (الأهل) يستعمل فى الأشرف فالله تعالى يقول مخاطباً نبيه نوحاً عليه السلام فى شأن ولده

(١) نفسه ١١٤/١. (٢) سر الصناعة ١١٥/١، ١١٦.

(٣) نفسه ١١٦/١. (٤) نفسه ١٢٠/١.

(٥) اللسان ٣٩/١٣.

﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ...﴾ (٤٦) [هود]، ثم خصص الال بالاشرف، وعلى هذا فقد اتحد معناهما الأصلي بما يؤكد التبادل بين الهمزة والهاء فيهما، ولعل الذي دعا ابن جنى إلى تكلف هذا الدفاع أن العلاقة واضحة بين الهمزة والهاء ولا علاقة بينهما وبين الالف حتى يصح التبادل بينهما.

ومن إبدال الهمزة من الهاء قولهم: ماء وأصله موه لقولهم أمواه فقلبت الواو ألفاً وقلبت الهاء همزة فصار ماء كما ترى، وقد قالوا أيضاً في الجمع: أمواه فهذه الهمزة أيضاً بدل من هاء أمواه<sup>(١)</sup> للتقارب بينهما في المخرج والصفات كما ذكرنا، ونحن نوافق على هذا الإبدال لأن ضروب التصاريف والمعاني تدل على ذلك كما يقول صاحب اللسان والقاموس، فجمعه أمواه ومياه وتصغيره مويه وكذلك يقال في الفعل أماء فلان ركبته وقد ماهت الركبة وهذه مؤببة عذبة<sup>(٢)</sup> وموء الموضع تمويهاً: صار ذا ماء والقدر أكثر ماءها، والموهة الحسن وترقرق الماء في وجه الجميلة ومهته بالكسر وبالضم: سقيته<sup>(٣)</sup> وهمزة أمواه بدل من هاء أمواه- كما قال ابن جنى- بتقدير أنها أبدلت منها مباشرة، ومن الجائز أن تكون همزة المفرد انتقلت إلى الجمع، فالإبدال إنما هو في المفرد فقط<sup>(٤)</sup> وقد جعل ابن جنى (تدراً وتدره) مما لا إبدال فيه بل هما أصلان يقال: درأ ودره<sup>(٥)</sup> وقال ابن سيده: الهاء فيه مبدلة من الهمزة<sup>(٥)</sup>.

ونلاحظ قلة إبدال الهمزة من الهاء نظراً لسهولة نطق الهاء عن الهمزة، ولذلك يجرى أغلبه في الجوامد والأدوات كما رأينا<sup>(٦)</sup>. وقد ورد في اللغة إبدال الهاء من الهمزة كثيراً مثل هرحت الدابة وهنرت الثوب وهردت الشيء وهياك

(١) سر الصناعة ١/ ١١٣.

(٢) اللسان ١٧/ ٤٤٠. (٣) القاموس ١/ ٣٤٠.

(٤) سر الصناعة ١/ ١٢٠، ١٢١ واللسان ١/ ٦٤-٦٩، ١٧/ ٣٨٠، ٣٨١.

(٥) المخصص ١٣/ ٢٧٤.

(٦) جعل الأشمونى إبدال الهمزة من الهاء قليلاً وذكر (ماء) وآل فعلت وآلا فعلت بمعنى هل وهلا فعلت ٤/ ٢٩٦، ٢٩٧.

وهير واتمهل السنام<sup>(١)</sup> وبلغ من شيوخ ذلك أن سرى في القراءات القرآنية مثل  
أهعجمي، هاندرتهم، في «أعجمي...» [فصلت]، و«أنذرتهُم...» [٦]  
[البقرة]، مما يشير إلى أن الهمزة هي الأصل وأن الهاء بدل منها.

### ٣- (هـ-واي)

وحديث ابن جني عن إبدال الهمزة من الألف والياء والواو لم يخرج عن  
حديث الأقدمين في هذا الموضوع، والذي يبدو أن هذا الإبدال لا تسوغه علاقة  
صوتية، وقد أوضح بعض المحدثين المفارقات بين الثلاثة المذكورة وبين الهمزة من  
عدة وجوه كما يلي:

١- الألف صوت انطلاقي مجهور أي حركة أو مصوت بالإطلاق الحديث على  
نقيض الهمزة تماماً<sup>(٢)</sup>.

٢- الهمزة من الخنجرة والواو من أقصى اللسان والياء من وسط اللسان مع ما  
يحاذي الموضعين من الحنك الأعلى.

٣- الهمزة صوت انفجاري شديد وهما انطلاقيان (لينان).

٤- الهمزة صوت ذو وجود صوتي وسياقي (فونوتيكي وفونولوجي) أما هما  
فوجودهما انتقالي سياقي (فونولوجي) فحسب مهما تكن ظروف وجودهما  
في المادة اللغوية.

٥- الهمزة صوت مهموس أو لا هو بالمهموس ولا بالمجهور، وهما مجهوران إلا  
في حالة خاصة وهي حالة الوقف على مثل العفو والسعي، حيث يمكن أن  
يتعرضا للهمس في هذا الموقع، وهو ما يقع أحياناً لحركات أواخر الكلمات  
في حالة ما سماه القدماء بالروم وهي حالة من حالات الوقف<sup>(٣)</sup>.

وتبعاً لهذه الفروق كان للمحدثين من العلماء نظرات أخرى إلى حوادث  
الإبدال بين الهمزة والواو والياء والألف، ومن هؤلاء هنري فليش والدكتور عبد  
الصبور شاهين.

(١) المخصص ٢٧٤/١٣. (٢) القراءات القرآنية ٢٥.

(٣) نفسه ٤٨ والأصوات اللغوية ٤٣.



أما هنرى فليش فيرى أن هذا الإبدال الذى وثق بين الهمزة وبين الحروف الثلاثة مبنى على أساس بعض الأحداث الصوتية التى تلتزم بها اللغة العربية، فقد ذكر فليش أن العربية الفصحى محكومة ببعض الأحداث الصوتية الكبيرة التى تفسر جانباً هاماً من علم الصرف، وقد قدم المبادئ الأساسية لهذه الأحداث الكبيرة تلك المبادئ التى تعد سلوكاً صوتياً عاماً، وهى تتعلق بالمقطع وعدم التوافق بين الفونيمات وبطبيعة الصوامت.

ونحن بصدد بيان وجهة نظره فى إبدال الهمزة من تلك الحروف يفيدنا بعض تلك المبادئ التى ذكرها وهى:

(أ) من ناحية المقطع: كراهة الاحتفاظ بصوت طويل أو مزدوج فى المقطع المقفل.

(ب) من ناحية عدم التوافق بين الفونيمات: كراهة النطق بالصوامت الضعيفة مع مُصَوِّت من جنسها أو بعض ما يغيرها<sup>(١)</sup>، والصوامت الضعيفة مع مُصَوِّت من جنسها تتمثل فى الواو مع الضمة والياء مع الكسرة ومع بعض ما يغيرها كالواو مع الكسرة<sup>(٢)</sup>.

(ج) من ناحية طبيعة الأصوات الساكنة: ضعف الواو والياء بين المصوتات.

وقد طبق فليش قاعدته على حالات الإبدال، وتتلخص هذه الحالات فى إبدال الهمزة من الألف وإبدالها من الواو والياء، وقد فسر إبدال الهمزة من الألف فى مثل أحْمَارٌ وقراءة (ولا الضالين) فى قوله تعالى: ﴿وَالْضَّالِّينَ ۖ﴾ [الفاتحة]، بأنه راجع إلى كراهة الاحتفاظ بصوت طويل أو مزدوج فى المقطع المقفل فهما فى الأصل أحْمَارٌ ولا الضالين، ومن المسلّم أن بعض ما يستيفه الشر لا يمكن أن يقبله الشعر، والشاعر العربى كان يتجنب استخدام كلمات تحتوى على هذه المقاطع المديدة وإن جاء على سبيل الشذوذ فى قوله:

(١) القراءات القرآنية ص ٥٥، ٥٦.

(٢) نفسه ص ٥٩.

فذاك القصاصُ وكان التقاصُ فرضاً وحنماً على المسلمينا<sup>(١)</sup>

ولذلك قسموا الصوت الطويل إلى مصوتين قصيرين مفصولين بهمزة فقالوا  
احمار- ولا الضالين<sup>(٢)</sup>.

وأما إبدال الهمزة من الواو والياء فقد فسره فليش بأنه راجع إلى كراهة  
النطق بالصوامت الضعيفة مع مصوت من جنسها، وهذا يصدق - في نظره -  
على حالات وقوع الواو والياء في الكلمة، بمعنى أنها تنطبق على وجود الواو أو  
الياء في أول الكلمة أو في وسطها أو في آخرها، وهو يشمل كل حالات الإبدال  
الواجب وغيره، وقد اشترط فليش عدم تشديد الواو لأن الصامت الضعيف يصبح  
صامتاً قوياً بهذا التشديد<sup>(٣)</sup>، وبالكتاب الصوتية يتبين لنا الحالات المكروهة وغيرها  
كالآتي:

فالواو مع الضمة تكون التركيب أو awu والياء مع الكسرة تكون التركيب  
آى aye والواو مع الكسرة تكون التركيب أو awi.

وقد أحدثت هذه التراكيب الصوتية ثقلاً على اللسان ألجأ الناطق  
العربي إلى أن يبدل الواو والياء في هذه الحالات همزة، وهناك حالات أخرى  
لالتقاء الصوامت الضعيفة مع المصوتات، فالواو مع الفتحة تكون التركيب أو  
awa والياء مع الفتحة تكون التركيب آى aya والياء مع الضمة تكون التركيب آى  
ayu.

وهذه حالات خفيفة إلا أن فليش قد حملها على سابقتها على قاعدة  
القياس الموحد، وذلك لتوحيد النموذج اللغوي، فإذا كانت الواو والياء في آخر  
الكلمة بعد ألف رائدة في مثل كساء وبناء تمثلت فيها الحالات الآتية من التقاء  
الصوامت الضعيفة بالمصوتات في أحوال الإعراب المختلفة من رفع ونصب وجر،

(١) وقد يتخلصون من هذه الكراهية بتخفيف التضعيف كما في قراءة الزهري (ولا الضالين) بتخفيف  
اللام. القراءات القرآنية ص ٥٦، ٥٧.

(٢) وقد مثل له القدماء بنحو التعمؤد والتحوك.

ففى حالة الرفع نجد التركيب أو awu آى ayu وفى حالة النصب نجد التركيب أو awa آى aya وفى حالة الجر نجد التركيب أو awi آى ayi .

فالصورة الاولى (أو) والخامسة (آو) والسادسة (آي) مكروهة لثقلها، فقلبت الواو والياء فيها همزة، أما بقية الصور فليس فيها ثقل كما سبق، ولكنها قلبت للقياس الموحد كما قال فليش .

وفى حالة وقوع الواو والياء فى وسط الكلمة، كما إذا وقعتا عينا لاسم فاعل فعل أعلت فيه أو فى جموع التكسير كما فى قاول وبائع وعجاور وحوايض<sup>(١)</sup> تاتى الحالات المكروهة أيضاً فيتكوّن التركيب أو awi آى ayi وهذا كان داعياً إلى التخفيف بالهمزة ومثلها القلب فى غايى ورايى ووسادة ووشاح .

وأما إذا وقعتا فى أول الكلمة مثل أجوه أو فى وسطها مثل أدور ونحوهما من صور الإبدال الجائز<sup>(٢)</sup>، وأصلهما وجوه وأدور فقد قال بما قال به الأقدمون من حدوث مكروه هو تكون التركيب (و) wu وفى مثل وواصل وواول ونحوهما بما فيه القلب واجب فقد تكوّن فى أول كل كلمة التركيب و wa وهو تركيب خفيف فى نظر فليش إلا أنه قلب توحيداً للنموذج اللغوى<sup>(٣)</sup> .

(١) ويلاحظ هنا أن الداعى للإبدال قد تمثل فى السبين فسقطت الواو والياء (وهما صامتان ضعيفتان) بين مصوتات فزاد ضعفهما كما أن كلا منهما قد تلاها مصوت مكروه من جنسها أو مغاير لها- انظر فى ذلك كله القراءات القرآنية من ص ٥٩- ٦٦ .

(٢) غايى ورايى - فى النسب إلى غاية وراية - يجوز فى الياء الاولى التصحيح وانقلب همزة فيقال: غايى ورايى، وفى بقية الامثلة. (وشاح ووسادة ووجوه وأدور)، يجوز تصحيح الواو وقلبها همزة. الاشمونى ٢٩٦/٤ .

(٣) انظر: العربية الفصحى للآب هنرى فليش اليسوعى، تعريب وتحقيق د. عبد الصبور شاهين. المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٦٦م، ص ٤١-٤٨ . وفى الصوامت الضعيفة مع المصوتات أصل التراكيب عند فليش كالأتى (wi - yi - wu) مكروهة، (yu - ya - wa) خفيفة، فالألف فى مثل awu تعد زائدة من الكلمة التى وقع فيها التركيب ولذلك فليست موجودة فى كتاب العربية الفصحى للدكتور فليش .

### نظراتنا حول رأى فليش،

- ١- لم يفرق فليش بمقياسه السابق بين أنواع الإبدال الواجب والجائز والشاذ ولم يفصح عن سبب الوجوب وغيره.
- ٢- لم يناقش فليش الإبدال فى حمراء ونحوها مع أن الهمزة فيها منقلبة عن ألف التانيث لوقوعها بعد ألف رائدة<sup>(١)</sup>.
- ٣- لم يستطع فليش تفسير إبدال الهمزة تفسيراً وافياً، فهناك أمثلة كثيرة مثل وُوعِدَ، ووُوفى والسظى والدلو ونأى وآى (جمع آية) توجد فيها التراكيب المكروهة التى ذكرها وهى wi، yi، wu ومع ذلك لم تقلب همزة.
- ٤- قد عدّ فليش ما سوى التراكيب الصوتية ayi, awi, awu يقاس عليها وفى ذلك يدخل التركيبان aya, awa وهما تركيبان خفيفان غير مكروهين، لولا أن القياس قد وحد النموذج اللغوى، وقد نص القدماء على كراهة العرب للنطق بمثل هذه التراكيب أيضاً، وصرح بذلك عالمنا ابن جنى قال: (وإنما كان الأصل فى قام قوم وفى خاف خوف وفى طال طول وفى باع بيع وفى هاب هيب فلما اجتمعت ثلاثة أشياء متجانسة وهى الفتحة والواو أو الياء وحركة الواو والياء كره اجتماع ثلاثة أشياء متقاربة، فهربوا من الواو والياء إلى لفظ تؤمن فيه الحركة وهو الألف، وسوغها افتتاح ما قبلها)<sup>(٢)</sup>، وفى الأمثلة التى ذكرها ابن جنى يوجد التركيبان aya, awa وقد عدّهما مكروهين ولم يقل بالقياس على النموذج اللغوى وبذلك تقل الحاجة إلى منهج فليش بالقياس الموحد كما قال الدكتور عبد الصبور شاهين<sup>(٣)</sup>.

وكان ممن خرج على الأقدمين وثار على رأيهم من المحدثين الدكتور شاهين فقد قال: القدماء أخطأوا فى تصور الإبدال فيما سبق لسبب بسيط هو عدم وجود

---

(١) فى حمراء ونحوها يدافع عنه الدكتور شاهين بأنه لا يسلم بأن فيها إبدالا، ولعله يرى أن الألف الممدودة لاحقة للتانيث كالألف المقصورة، القراءات القرآنية، ص ٦٧.

(٢) سر الصناعة ٢٥/١. (٣) القراءات القرآنية ٦٧-٦٩.

العلاقة الصوتية المشروطة لحدوث الإبدال<sup>(١)</sup>، وعلى أساس هذه التخطئة حاول أن يفسر المسألة برأى جديد يقول: "وإننا لنقرر ابتداءً أن أساس الحل في رأينا لن يتأتى إلا من طريق التحليل الصوتي للعناصر المركبة، أعنى تحليل المزدوج أولاً إلى عناصره البسيطة، ومن طريق هذا التحليل نستطيع التعرف على ما تبقى من العناصر الصوتية وما حذف منها، كما نستطيع تحديد وظيفة الهمزة في السياق الصوتي<sup>(٢)</sup>، وقد أقام نظرية جديدة لتفسير إبدال الهمزة على أساس النبر، وأوضح عدة مبادئ تتعلق بالمشكلة، وهي خصائص نطقية تكونت للسان العربى من أهمها ما يأتى:

١- الأصل والأغلب في الوقف السكون ولكنهم لم يطبقوا ذلك منهجياً بل عدوا حروف العلة وأشباهاها سواكن لا حركات، ولئن جاز ذلك بالنسبة لأشياء حروف العلة فإنه لا يجوز بالنسبة لحروف العلة نفسها إلا لضرورة نحوية أو دلالية.

٢- قالوا: لا يستأد سواكن بل بمتحرك، ولكنهم لم يعتدوا بالحركة إلا إذا كانت تابعة لحرف، وبدهى أنهم أخرجوا حروف العلة وأشباهاها من جملة الحركات مع أننا نرى أن حروف العلة تكبير للحركات.

٣- العرب كانوا يكرهون النطق بمقاطع مفتوحة متوالية، وبذلك نفس كراهيتهم لتوالى الحركات الذى يضعف النظام المقطعى<sup>(٣)</sup>.

وعلى هذا يتضح رأيه في أن الهمز كان لدى العرب ذا وظيفتين: الهروب من تتابع الحركات، والمبالغة في النبر فيتحول بذلك نبر الطول إلى نبر توتر<sup>(٤)</sup> وعلى هذا الأساس قرر نظريته، ولتقريرها نقول:

الهمزة إما بدل من واو أو ياء أو ألف، فإذا كانت الواو أو الياء في كلمة فإما أن تكون في أولها أو وسطها أو آخرها كما قررنا، فإذا كانت في آخرها مثل كساء وبناء يقول الدكتور شاهين: إنه لا إبدال في هذا بل إن العربى يكره

(١) نفسه ٧٧.

(٢) نفسه ٧٨، ٧٩.

(٣) نفسه ٧٨.

(٤) نفسه ٨٠.



الوقف على مقطع مفتوح ويريد إقفاله، فأحل الهمزة محل صوت اللين لا على سبيل الإبدال بل من أجل تصحيح نهاية الكلمة<sup>(١)</sup>، ويقرر أنه لا توجد واو ولا ياء وإنما هو ضمة أو كسرة، فبالتحليل الصوتي لكلمة كساء نرى  $kisaw \leftarrow kisau \leftarrow kisa$ ، ويتأكد ذلك بالنطق، فنحن نقول: كساو فننطق ضمة بعد الالف وينأى فننطق كسرة بعد الالف فالمقطع مفتوح وإن بدا شكلياً أن الواو والياء ساكتتان، والحقيقة أن الملتقى فتحة طويلة + ضمة أو كسرة وليست هناك واو أو ياء فالمقطع مفتوح، فلما أريد إقفاله للوقف حولت الحركة إلى همزة، وقد فسر ألف التانيث الممدودة بذلك فقال: إنها تحولت إلى همزة لكراهية العرب الوقف على مقطع مفتوح<sup>(٢)</sup>، وقد جعل الدكتور شاهين الوقف بالهمزة مثل حبلاً ورأيت رجلاً وهو يضربها والوقف بهاء السكت مثل قَهْ وارِمَهْ وغلَامِهْوَهْ وغلَامِكِهْ وواجعُفَرَاهْ هرباً من المقطع المفتوح، فالمقطع قد أقبل بصوت لا وظيفة له سوى الإقفال، وهما متشابهان (الهمزة والياء) إذ هما من الأصوات الحنجرية، ويود الدكتور شاهين لو أطلق على الهمزة اسم السكت مثل الهاء<sup>(٣)</sup>، وإذا كانت الواو أو الياء في وسط الكلمة مثل قاول وبائع وقلايد وعجاور ونياف وسياد فإنه يفسر الإبدال في ذلك بأنه أتى بالهمزة هرباً من تتابع الحركات فقاول بالكتابة الصوتية qawil وبائع bayi ثم أصبحتا baii', qauil فيتبين من ذلك التقاء ثلاث حركات متتابة، ففي الأول (قاول) الفتحة الطويلة والضمّة القصيرة والكسرة القصيرة وفي الثاني (بائع) الفتحة الطويلة والكسرتان القصيرتان، ولذلك نبر المقطع الثاني بالهمز فصار qa'il قائل، ba'i بائع<sup>(٤)</sup> ويفسر الدكتور توالى الحركات أيضاً بأنواع أخرى من النبر.

- ١- قول وبيع ليس فيهما موقع نبر.
- ٢- قول وبيع مزدوج اكتسب مناعة بالتشديد وهو توتر نبرى.
- ٣- خطأيا تغير النبر إلى طول الحركة وهذا عند من لا ينبرون<sup>(٤)</sup>.

(١) نفسه ٨٢.

(٢) نفسه ٨٨، ٨٩.

(٣) نفسه ٨٥، ٨٦.

٤- وقد وصف نوعاً من النبر لا تحول معه الواو أو الياء وسط الكلمة همزة وإنما يفصل بين عنصري المزدوج بالهمز بعد أن كانا متصلين، وهذا من خصائص الناطق البدوي، وقد لجأ إلى ذلك نتيجة شعوره بأن الانزلاق بين العنصر الأول من عنصري المزدوج إلى العنصر الثاني لا يحقق صورة النبر كما تعودها، فكان الهمز وسيلة إلى ذلك دون أن يسقط من المزدوج شيئاً، وهذا يتأتى في مثل الكلمات الآتية ونوضحها بالكتابة الصوتية هكذا:

xutuàt ← xutuàt	خطوات ← خطوات
tafa'ut ← tafàut	تفاوت ← تفاؤت
turi'anni ← turanni	إما ترينى ← ترثنى
ma'itun ← maitun	إنهم مايتون ← ماتتون
durri'un ← durriun	درى ← درئ
ta'ammamu ← ta-i-ammamu	تيمموا ← تأممو

وسقط في المثال الأخير من الحركة الثلاثية عنصرها الثانى (i) من (aia) وهذا من أجل النبر<sup>(١)</sup>، أما إذا وقعت الواو فى أول الكلمة مثل واصل ووعاء ووُفئت ووجوه فقد فسرهُ على أنه قد نبر إلى الهمز لعدم إمكان النطق بحركة فى بدء الكلمة، ولو كتبنا الكلمة الأولى واصل كتابة صوتية نجد أنها تبدأ بحركات يصعب نطقها وهى waw'asil وتكتب عند التحليل إلى wa-wa-sil فنبر المقطع الأول فصارت كتابتها a-wasil<sup>(٢)</sup> ومن هنا رد سبب الهمز فيما سبق ونحوه إلى الاتجاه العام السابق وهو كراهة أن تبدأ الكلمة فى العربية بحركة<sup>(٣)</sup>.

أما إبدالها من الألف فى مثل ولا الضالين وشابة ودابة ونحوها مما وقعت فيه حركة طويلة بعدها صوتان ساكنان فقد فسرهُ على أساس النبر فيقول: ونفسرها نحن بما سبق أن قررناه من أن النبر فى لسان قبائل البادية يأخذ صورة التوتر على

(١) نفسه ١٣٠، ١٣١. (٢) نفسه ٩١. (٣) نفسه ١٢٩.

حين يأخذ صورة الطول في لسان غيرهم من الحضريين<sup>(١)</sup>، وفي مثل ساق وبار ويوقنون ونحوها مما وقعت فيه حركة طويلة بعد صوت ساكن أو لين مزدوج عند همزها يقرر أيضاً نفس المبدأ فيقول: لا يمكن تفسيره بغير النبر الذي تعودته السنة بعض بنى أسد<sup>(٢)</sup>، هذا هو اتجاهه العام وإن كان قد تعرض إلى أن ما نحن بصدده من أمثلة الهمزة هو من الأحداث الصوتية اللهجية فذكر أن مثل ولا الضالين لغة كما قال أبو حيان وأبو الفتح<sup>(٣)</sup> ونسب بعض الهمز السابق إلى بنى أسد وهم من قبائل وسط الجزيرة وشرقيها<sup>(٤)</sup>.

#### نظراتنا حول رأى الدكتور شاهين،

لقد تناول الدكتور شاهين الموضوع وفسره على أنه لا إبدال فيه، ولكن النبر هو الذى تسبب فى هذا التغيير، ولكن مقاييسه لم تف بالمطلوب من التفسيرات والتوجيهات:

##### ١ - وفيه ثلاث نقاط:

أ ( تحدث الدكتور شاهين عن الواو والياء فى آخر الكلمة، وقال: إن السبب فى إحلال الهمزة محلها فى هذه الحال هو أن العربى يكره الوقف على مقطع مفتوح ويريد إقفاله، والواقع أن الكلمات لم توضع فى الأصل لتستعمل مفردة بل لتستعمل فى تراكيب تؤدي معنى مقصوداً، وعلى هذا فالوصل هو طريق استعمال الفاظ اللغة لا الوقف، فإذا قيل كساو الصيف خفيف وبنى البيت ثابت الدعائم مثلاً فليس هنا وقف على مقطع مفتوح، وكذلك لو نطقا كساو وبنى (بالتنوين) لم يوجد المقطع المفتوح أيضاً.

(١) نفسه ١٢٨.

(٢) نفسه ١٢٦، ١٢٧ وقراءة اشترؤا الضلالة، فى قوله تعالى: «اشترؤا الضلالة» [البقرة: ١٦] لغة عند الكسائى وهى عند البصريين لحن، فالظاهرة لهجية وإن لم تقلبها قواعد البصريين، ويزيد أمرها وضوحاً نسبتها إلى قبيلة غنى من قبائل وسط الجزيرة (يهمزون ما لا يهمز) كما يقرره صاحب اللسان ١٧/١ ورثاث روجى - لبأت بالحج إلخ.

(٣) نفسه ١٢٨.

ب) ثم لماذا لم تقلب كل من الواو والياء همزة في مثل (غاي وراى وطاو وراو) مع تحقق ما قال فيها لو فرضنا حالة الوقف؟ ولماذا لم يحدث ذلك في مثل (التراخى والفيافى والتسامى) مع وقوع الياء طرفاً ووجود المقطع المفتوح في حال الوقف أيضاً؟

ج) على مقياس الدكتور شاهين لا نجد تفسيراً لاختلاف حالات التشنية والجمع المتعددة من وجوب بقاء الهمزة في مثل قراء وقلبها واوا في مثل صحراء وترجيح أحدهما في مثل كساء وبناء وعلباء، ولو سلمنا له بأنه يعمل للألفاظ المفردة فإنه قد علل لنحو حمراء بأنها نبرت لإقفال المقطع وكان يمكن أن يقفل بطريق آخر مثل حُبالاً فيقال حمراً مثلاً؟ فلم يختص كل بطريق؟ على أنه قد تبع بروكلمان في أن علامة التأنيث تطورت على النحو التالى à - a - ah - at ومعنى ذلك أن العربى كان ينطق بها حممرت - ثم حمرة - ثم حمرى - ثم حمراء، وهذا التطور لا دليل عليه، ومع ذلك فلو تصورنا صحته لأمكن أن يقفل المقطع فيقال حممرت - أو حمرة بالرجوع إلى أصل سابق، وبهذا يتبين عدم دقة رأيه المذكور.

٢- وقد تحدث أيضاً عن الواو والياء في وسط الكلمة وسبب تغييرهما إلى همزة بأنه لتتابع الحركات، ورأيه ذلك ينطبق على نحو قاوول وبائع فعلى أمر وهما مثل قائل وبائع اسمى فاعل فلماذا فرق بينهما؟ كذلك يماثل عجائز ونيائف جداول وقساوور ومعاوول ومقاوول فما الفرق الذى سبب القلب أولاً ومنعه ثانياً، مع تحقق قانونه فيه وهو تتابع الحركات مما يستدعى الهرب منه إلى النبر بالهمزة ولم يحدث؟.

٣- على أنه لم يفرق بين ما يجب وما يجوز وما يمتنع من الهمز في الألفاظ التى وجدت فيها واو أو ياء أولاً فبعضها يجب همزه مثل وواصل - وواق - وولى وبعضها يجوز مثل وسادة - وشاح - وجوه وبعضها يمتنع مثل واصل - يواقيت - وورى.

ولست مع المحدثين في عدّ الواو والياء غير المدتين حركتين<sup>(١)</sup>، فإن التقسيم المقطعي يؤكد عدّهما صوتين ساكنين مثل يقع ويذر ووزن ووعد فكل من الكلمات السابقة مكونة من ثلاثة مقاطع كل منها مكون من صوت ساكن + لين قصير وفي مثل وجوه لا يمكن الاعتراف بأن الواو مجرد حركة لأنه إذا كانت كذلك فقد قلبت الضمة (u) على هذا الفرض همزة في أجوه ومن أين أتت ضمة الهمزة بعد القلب المذكور؟.

وبذلك نتأكد أن طريقة الأقدمين أشمل وأضبط، وفضلاً عن ذلك فالأقدمون على وفاق مع المحدثين في سبب التغيير المذكور، فالدكتور شاهين يقول: ولسنا نشك لحظة في أن ما تعودده اللسان العربي في معاملته للواو والياء وللهمزة ناشئ عن بعض الكراهات التي لم يألّفها، غير أن أسباب هذه الكراهات تحتاج في الحقيقة إلى شيء من التحليل يكشف عن مدى ما تحتوى من ثقل أو تنافر يلجأ الناطق حياله إلى المخالفة أو التصرف بصورة ما هرباً من هذا الذي يكرهه<sup>(٢)</sup> وتخفيف حروف العلة بالقلب همزة هو ما رآه الأقدمون وقالوا به - ومنهم عالمنا ابن جنى - وذلك متحقق أيضاً في تخفيف الهمزة وتحويلها إلى واو أو ياء أو ألف، ونلمح في كلام ابن جنى نفسه ما يؤكد ثقل حروف العلة فتقلب إلى همزة يقول: وعلى هذا ما أنشدناه أبو علي:

أحبُّ المؤقدين إلى موسى<sup>(٣)</sup>

بهمز الواو في المؤقدين وموسى، وروى قنبل عن ابن كثير (بالسُّوق) في قوله تعالى: ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ...﴾ (٣٢) [ص] مهموز الواو، ووجه ذلك أن الواو وإن كانت ساكنة فإنها قد جاورت ضمة الميم فصارت الضمة كأنها فيها، فمن حيث همزت الواو في نحو أقتت وأجوه وأعد لانضمامها كذلك جاز همز الواو في المؤقدين وموسى على ما قدمناه من أن الساكن إذا جاور المتحرك صارت

(١) انظر كلام الدكتور شاهين عن بدء الكلمة العربية بحركة كتابه السابق ص ٤٩٨.

(٢) القراءات القرآنية ٧٨.

(٣) من قصيدة لجرير يمدح بها هشام بن عبد الملك وعجزه (وجملة إذ أضاءهما الوقود) وموسى ابنه وجملة ابتته. انظر ديوانه، ط. الصاوي، ١٤٧.



حركته كأنها فيه<sup>(١)</sup>، وقال أيضاً في همز مثل بار ولا الضالين كلاماً يشبه ما سبق في كتابه الخصائص (باب في شواذ الهمز)<sup>(٢)</sup> وأعاد الحديث عن نحو مؤقدين - موسى - أجوه على النحو السابق<sup>(٣)</sup>.

وذكر ابن سيده أن شيوخ إبدال الهمزة \* لشبهها بحروف العلة من جهات الحذف وجعلها بين بين وقلبها على حركة ما قبلها، ومن أجل أنها من أقصى الحلق فإذا أبدلت أولاً جرى اللسان إلى جهة القدام فهذا يطرد عليه الإبدال فلاجتماع الشيتين من مناسبة حروف العلة وأنها من أقصى الحلق يستمر بها اللسان لإخراج الحرف جاز أن تبدل من غيرها<sup>(٤)</sup> وقال أيضاً: إن حروف العلة تقلب لطلب الخفة والكثرة والمناسبة<sup>(٥)</sup>، وقد تحدث علماء الصرف عن هذا الثقل حتى إنهم قالوا في تعريف الإعلال: تغيير حرف العلة بالقلب أو التسكين أو الحذف للتخفيف<sup>(٦)</sup> وعدوا الهمزة من حروف الإعلال وقالوا إنها حرف شديد مستقل يخرج من أقصى الحلق فلذلك الاستثقال شاع فيها التخفيف لنوع من الاستحسان<sup>(٧)</sup>، ومن هنا منع وقوع الهمزة في كلمة فاء وعينا معاً أو عينا ولأما معاً، وعلل ذلك ابن جنى بشغل الهمزة فكيف بالهمزتين معاً؟ قال في سر الصناعة: وإنما لم تجتمع الفاء والعين ولا العين واللام همزتين لشغل الهمزة الواحدة، لأنها حرف سفلى في الحلق وبعد عن الحروف، وحصل طرفاً فكان النطق به تكلفاً، فإذا كرهت الهمزة الواحدة فهم باستكراه الثنتين ورفضهما - لا سيما إذا كانتا مصطحبتي غير متفرقتين فاء وعينا أو عينا ولأما - أخرى، فلهذا لم تأت في الكلام لفظة توات فيها همزتان أصلاً البيتة<sup>(٨)</sup>.

فلهذا كان الإبدال بين الهمزة وتلك الحروف الثلاثة، ولأجله أيضاً خففت الهمزة بتسهيلها وجعلها بين بين، وكل ذلك من ضروب التخفيف وألوانه، وعلى

(١) سر الصناعة ٩٠ / ١. (٢) الخصائص ١٤٧ / ٣.

(٣) نفسه ١٤٩ / ٣. (٤) المخصص ١٦٨ / ١٣. (٥) نفسه ٢٦٧ / ١٣، ٢٦٨.

(٦) القواعد والتطبيقات ٦، ٧، وشرح الشافية للحسيني، ط. العامرية، ١٣١١ هـ، ص ١٨٥.

(٧) شرح الشافية للعصام ١٥٠. (٨) سر الصناعة ٨١ / ١.

كل حال فإن المحدثين قد بذلوا من الجهد ما نشكره لهم ونود للدراسات اللغوية الحديثة مزيداً منه لكشف قوانين العربية وخصائصها.

وسنعرض هنا أمثلة ابن جني التي أوردتها للتبادل بين الهمزة وتلك الحروف، ونحاول تفسيرها تفسيراً علمياً حيث لا توجد علاقة بين الهمزة وهذه الحروف:

١- أمثلة تبدل فيها الهمزة وجوباً: حمراء، صفراء، صحراء- علاء، كساء، فضاء، بناء- عباءة- عطاءة- علباء، حرباء- أولى.

٢- أمثلة تبدل فيها الهمزة جوازاً: أقتت ووقتت- أجوه ووجوه- إشاح ووشاح- إعاء ووعاء- إسادة ووسادة- أناة ووناة- أسماء ووسماء- ألل ويلل- رثبال وريبال- أده ويده.

٣- أمثلة تبدل فيها الهمزة شذوذاً: الضالين، في قوله تعالى: ﴿وَالضَّالِّينَ﴾ (٧) [الفاتحة] - جان، في قوله سبحانه: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ﴾ (٣٩) [الرحمن] - شابة - دابة - اشعال - ادهامت - ايباض - المشتق - أحب المؤقدين إلى موسى - العالم - الخاتم - نار - قوقات الدجاجة - حللات السوق - رثات المرأة زوجها - لبأ الرجل بالحج<sup>(١)</sup>.

٤- أمثلة لا تحقق فيها الهمزة: المر، في قوله تعالى: ﴿بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ...﴾ (١٠٦) [البقرة]<sup>(٢)</sup> - لرووف بلا همز، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَّءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (١٤٢) [البقرة]<sup>(٣)</sup> متكا من غير همزة، في قوله سبحانه: ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكاً...﴾ (٣١) [يوسف]<sup>(٤)</sup> جبرائيل بلا همز، في قوله تعالى: ﴿وَجِبْرِيلَ...﴾ (٩٨) [البقرة]<sup>(٥)</sup> والفواد، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ...﴾ (٣٦) [الإسراء]<sup>(٦)</sup> - قريرت وتوضيت<sup>(٧)</sup> واجى بلا همز<sup>(٨)</sup> - لا هناك

(١) ينظر في هذه الأمثلة سر الصناعة ٨٢/١ - ١١٥ والخصائص ١٤٢/٣ - ١٤٩ والمحاسب ٤٦/٢، ٤٧، ٣٣١ ومواضع أخرى متفرقة فيه والمفصل ٩/١٠ وما بعدها.

(٢) المحاسب ١٠١/١، ٢٧٦. (٣) نفسه ١١٤/١. (٤) نفسه ٣٣٩/١.

(٥) نفسه ٩٧/١. (٦) نفسه ٢١/٢.

(٧) نفسه ٦٧/١ والخصائص ١٥٢/٣. (٨) الخصائص ١٥٢/٣.

المرتفع<sup>(١)</sup> - سواتهما، في قوله تعالى: ﴿مِنْ سَوَاءٍ مِّنْهُمَا...﴾ [الاعراف]،<sup>(٢)</sup> أفي السوتنتنة<sup>(٣)</sup> رياء<sup>(٣)</sup>.

التوجيه: لا توجد علاقة صوتية تسوغ التبادل بين الهمزة وهذه الثلاثة - كما ذكرنا - بيد أن ابن جني يحاول أن يوجه هذا الانقلاب، والملاحظ أنه يسلك طريقى الصرفيين واللغويين معاً في تعليله للهمز وعدمه، فيقسم الهمز إلى واجب وجائز موافق للقياس فهو لذلك مطرد، وإلى مخالف له فلا يطرد، فهو يقول: وقد اطرد عنهم قلب ألف التانيث همزة وذلك نحو حمراء وصفراء... إلخ<sup>(٤)</sup> ثم يدل على ذلك من القياس، ويقول في نهاية إبدالها ألفاً: فهذا جملة من القول على همزة التانيث وصحة الدلالة على كونها منقلبة عن الألف "ثم يتكلم على إبدالها من الواو والياء فيقول: "وأما إبدال الهمزة عن الواو والياء فعلى ضربين ويأخذ في شرح ذلك<sup>(٥)</sup> ويقول في النهاية: فهذا إبدال الهمزة عن الياء والواو أصلين وزائدتين<sup>(٦)</sup> ثم يناقش ما خرج عن القياس، ويجمله في موضعين: أحدهما: أن تقرر الهمزة الواجب تغييرها فلا تغيرها، والآخر: أن ترتجل همزاً لا أصل له ولا قياس يعضده، فمن أمثلة الأول: خطائى ومنه قولهم: غفر الله له خطائته، ودريته ودرائى<sup>(٧)</sup>، ومن الثانى أمثلة كثيرة مذكورة هنا كالعالم والساسم والحاتم إلخ ويقول: إن كليهما غير مقيس<sup>(٧)</sup> ويقول أيضاً "وهذا كله شاذ غير مطرد فى القياس"<sup>(٨)</sup> ويقول عن مثل شابة ودابة والضالين: "قال أبو العباس: قلت لأبى عثمان: أتقيس ذلك قال لا ولا أقبله"<sup>(٩)</sup> ويقول عن التسهيل فى مثل قرئت وتوضيت: إنه إبدال على غير قياس<sup>(١٠)</sup>.

والواقع أن ما وصفه ابن جني بالجواز والشذوذ يعد من اختلاف اللهجات،

(١) نفسه، نفس الصفحة.

(٢) المحتسب ٧٢/١.

(٣) نفسه ٤٤/٢.

(٤) سر الصناعة ٩٤/١.

(٥) نفسه ١٠٤/١.

(٦) نفسه ١١٣/١.

(٧) الخصائص ١٤٢/٣ وما بعدها.

(٨) سر الصناعة ١٠٢/١.

(٩) نفسه ٨٣/١.

(١٠) الخصائص ١٥٢/٣.

ولم يكن هذا بعيداً عن فهم ابن جنى، بل قد عناه ونبه عليه بعبارات واضحة تفيد أن هذا التعبير أو ذاك لهجة عربية، فيقول معقّباً على قراءة (جان) فى قوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ﴾ (٢٩) [الرحمن]، بالهمز: حكى أبو العباس عن أبى عثمان عن أبى زيد قال: سمعت عمرو بن عبيد يقرأ ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ﴾ (٢٩) بالهمز، فظننته قد لحن، حتى سمعت العرب تقول: شابة ودابة، ويؤكد ذلك بشعر سمع عن العرب من مثل قوله.

وَيَعُدُّ ائْتِهَاضِ الشَّيْبِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ عَلَى لَمْتَى حَتَّى اشْعَالَ بَهِيمُهَا<sup>(١)</sup>

وهذا ليثبت وروده بأدلة واقعية تفيد أنه لهجة عربية يتكلم بها، ويقول عن مثل العالم والخاتم إنه "قد حكى عنهم" فإلى من يعود الضمير؟ إنه لاشك عائد إلى العرب الذين يدأب على ذكر اسمهم فى هذا الموضوع، كأن يقول " - فيما سبق هذا - فإن قيل: فلم قلبت العرب لام فعلى - إذا كانت اسماً وكان لامها ياء - واوًا إلخ وقوله "فالجواب: أنهم إنما فعلوا ذلك إلخ"<sup>(٢)</sup>، ويقول كذلك: حدثنا أبو على قال: لقي أبو زيد سيبويه فقال له: سمعت العرب تقول: قريت وتوضيت<sup>(٣)</sup> وهذا كلام يفصح عن مراده فى أن هذا التحقيق للهمز وعدمه لهجتان عربيتان مسموعتان عن فريقين، لكل منهما اتجاه فى النطق، غير أن ابن جنى لا يكاد يفصح عن اسمى الفريقين، اعتماداً منه على أن قارئ كتبه على معرفة بلهجات العرب، فهو لم يؤلف كتبه إلا لذوى العلم، والباحثين ذوى القدم الراسخة لا للمبتدئين منهم.

والهمزة لأنها صوت حنجرى انفجارى شديد مما يناسب البيئة البدوية، وهى قبائل وسط الجزيرة وشرقيها، فهى - أساساً - من لهجات تميم وقيس وبنى أسد ومن جاورهم، والتسهيل - فى أصله - لهجة البيئة المتحضرة، وهم أهل الحجاز وبخاصة قريش فى مكة والأوس والخزرج فى المدينة، ولم يكن الحجازيون جميعاً

(١) سر الصناعة ٨٣/١ والمحتسب ٤٧/١.

(٢) سر الصناعة ٩٩/١، ١٠٠. (٣) الخصائص ١٥٤/٣ والمحتسب ٦٧/١.

بعيدين عن تحقيق الهمز إلى تسهيله، بل منهم من استهواه تحقيقه، وهم من سماهم سيويه (أهل التحقيق) فكانوا ينطقون بالهمز كماخوانهم من القبائل المحققة له، يقول سيويه: "وقد بلغنا أن قومًا من أهل الحجاز من أهل التحقيق يحققون نبيء وبرينة وذلك قليل ردى"<sup>(١)</sup> ويذهب الدكتور الراجحي إلى أنه "من المرجح أن القبائل الحجازية التي كانت تنجح إلى تحقيق الهمزة هي تلك القبائل التي كانت تسكن أطراف الحجاز مجاورة لأهل البادية من وسط شبه الجزيرة وشرقيها"<sup>(٢)</sup> ولعل من هؤلاء المجاورين للبدو قبيلة عكل التي نسب إليها ابن جني همز بعض الكلمات، فقد قال عن كلمة (ترقوة) إنها لغة لبعض عكل، ووجه القول عليها- عندي- أن تكون مما همز من غير المهمور بمنزلة استلأمت الحجر واستنشأت الرائحة"<sup>(٣)</sup> وعكل من طابخة"<sup>(٤)</sup> وطابخة من خندف"<sup>(٥)</sup> التي سكنت الحجاز "فلعل عكل كانت تسكن أطراف الحجاز مجاورة للقبائل البادية في وسط شبه الجزيرة وشرقيها"<sup>(٦)</sup> وقد نبه عالمنا ابن جني على ثقل الهمزة في النطق، بما يجعلها مناسبة لطبيعة البدوي دون الحضري"<sup>(٧)</sup> وفي مثل شابة ودابة كره اجتماع الساكنين الألف والحرف الأول من المضعف بعدها فحركات الألف لالتقاءهما فانقلبت همزة، لأن الألف حرف ضعيف واسع المخرج لا يحتمل الحركة كما قدمنا من وصفه، فإذا اضطروا إلى تحريكه قلبوه إلى أقرب الحروف منه وهو الهمزة"<sup>(٨)</sup>، وهو يرى "أن بعض من تقوى لغته ويتعالى تمكينه وجهارته دون أن يطفى به طبعه ويتخطى به اعتماده ووطؤه يبدل من الألف همزة فيحملها الحركة التي كان كلفا

(١) الكتاب ٢/ ١٧٠ واللسان ١/ ١٤ . (٢) اللهجات العربية ١٠٦ .

(٣) الخصائص ٣/ ٢٠٧ .

(٤) وهم بنو عوف بن وائل بن قيس بن عوف عبد مناة، نهاية الأرب ٣٦٧، ٣٦٨ .

(٥) من مضر من العدنانية، وهم بنو طابخة، واسمه عمرو بن إلياس بن مضر، ولتسميته بطابخة قصة. انظر نهاية الأرب ٣٢٢ .

(٦) اللهجات العربية في القراءات القرآنية ١٠٧ .

(٧) سر الصناعة ١/ ٨١ وانظر ص ٦٦١ من كتابنا .

(٨) سر الصناعة ١/ ٨٢ .



بها ومصانعا بطول المدة عنها، فيقول: شأبة ودأبة<sup>(١)</sup>، ورأى المحدثين فى هذا التفسير قريب من رأى ابن جنى، فهم يفسرونه - كما يذهب هنرى فليش - بأنه كراهة الاحتفاظ بصوت طويل أو مزدوج فى المقطع المقفل، فقسم الصوت الطويل إلى مصوتين قصيرين مفصولين بهمزة، وبعضهم - وهو الدكتور شاهين - يفسره على أساس النبر بأنه اتجاه لهجى يأخذ صورة التوتر فى لسان قبائل البادية على حين يأخذ صورة الطول فى لسان غيرهم من الحضريين<sup>(٢)</sup>.

وفى كثير مما علل به ابن جنى لحالات الهمز - فى غير ذلك - كان صرفياً كسابقيه، وقد اتخذت اللغة المثالية الهمز من مبادئها، بحيث ينطق به المتكلم الفصيح فى مجال استخدام اللغة المشتركة، فى الشعر والنثر بدوياً كان أو حضرياً.

### باب الباء

ذكر ابن جنى أنها تبدل من الميم، كما تبدل منها الواو فى القسم، وابن جنى يكتفى بذلك جرياً على ما هو معروف عنه من اشتراط التقارب فى المخارج والصفات، والذى يراجع الأمثلة التى ذكرها غيره للإبدال فى الزهر والمخصص يحس بعدم العلاقة مثل: مروا يدبون ديبياً ويدجون دجيجاً<sup>(٣)</sup> وطاروا عبايد وعبايد<sup>(٤)</sup> فبين الباء والجيم مخارج حروف كثيرة: ش - ي (ض) ل - ر - ن - ط - د - ت - ص - ر - ظ - ذ - ث - ف<sup>(٥)</sup> هذا على ترتيب ابن جنى للحروف.

وبين الباء والدادل مخارج حروف تمتد من ت - ف على الترتيب السابق، ولكن ابن جنى كان مقدراً للعلاقة الصوتية التى تسوغ التبادل والتى قال بها علماء اللغة المحدثون.

(١) الخصائص ١٢٦/٣ وسمعا بعضهم من بنى كلب. اللسان ١٤/١.

(٢) القراءات القرآنية ١٢٨.

(٣) يمشون مشياً ضعيفاً.

(٤) أى متفرقين. الزهر ٢٢٧/١.

(٥) سر الصناعة ٥٠/١ رويت أمثلة متعددة للتبادل بين الباء والحروف ت - ث - ج - د - ف - ن -

ي. انظر الزهر، ط. الأولى ١٩٤/١ - ٢٢٩ والمخصص ٢٦٧/١٣ - ٢٩١.

## ١ - (ب-م)

العلاقة الصوتية تجعل التبادل بينهما أمراً مقبولا من الوجهة اللغوية، إذ هما حرفان شفويان من حيث المخرج - وهو المعول عليه في الإبدال - ويتفقان أيضاً من حيث الصفات في الجهر والاستفال والانفتاح والذلاقة.  
الأمثلة: باسمك؟ - بعكوك.

التوجيه: صرح ابن جنى بوقوع الإبدال بين الباء والميم، والميم هي الأصل أو العكس وهنا يوضح لنا الأول، وفي باب الميم سيوضح الثانى وسنذكره هناك إن شاء الله تعالى.

يقول هنا فى باب الباء: أخبرنا أبو على بإسناده إلى الأصمعى قال: كان أبو سوار الغنوى يقول: باسمك؟ يريد ما اسمك؟ فهذه الباء بدل من الميم، وقالوا: بعكوك، وأصلها معكوك، فالباء بدل من الميم لأنها من الشدة وهي المعك<sup>(١)</sup>.

ولنا ملاحظة على المثال الثانى فإن ابن جنى أكد أن الباء بدل من الميم فتكون الميم هي الأصل، ولم يبين - بوضوح - السبب فى هذا الحكم الذى قضى به، وإن كان قد أشار إلى أنها من الشدة، والمعك أصل فيها - على ما أرى - ولعل ذلك لأن الشدة هنا فى مادة (معك) بيّنة.

فبمراجعة المادتين فى المعاجم نرى ما يأتى:

مادة (معك): معكه فى التراب كمنعه: ذلك وبالقتال والخصومة: لواه ودينه وبه: مطله به فهو معك ككتف ومنبر، ومماك، وككتف الالد والأحمق، معك ككرم وتملك: تمرغ، ومعكتها تمعكا وإبل معكى كسكرى: كثيرة، ووقعوا فى معكوكاء، ويضم: فى غبار وجلبة وشر ومعكوك الماء بالضم: كثرته<sup>(٢)</sup>.

مادة (بعك): بعكوك الناس بالضم: مجتمعهم، وبعكه بالسيف: ضرب أطرافه، والبعك محركة: الغلظ والكزاة فى الجسم، والباعك الأحمق،

(١) سر الصناعة ١/ ١٢٥.

(٢) القاموس المحيط، ط. بولاق ٣/ ٣٦٨ ولسان العرب ١٢/ ٢٨٢.

والبعكوكاء: الشر والجلبة، ومعكوكة القوم وقد يفتح، ومعكوكتهم آثارهم حيث نزلوا أو خاصتهم أو جماعتهم، وكذا من الإبل، ووسط الشيء وكثرة المال وغباره وازدحامه، وبعكوكة الصيف والشتاء: اجتماع حره وبرده، والبعكوكة: الحر<sup>(١)</sup>.

والناظر يرى أن كل مادة لها تصرف واتساع معنوي، وفي كل منهما معنى الشدة. وعلى هذا فلا مانع من أن تكون الباء هي الأصل والميم هي الفرع وقد صرح بذلك صاحب اللسان حين قال: "حكاه يعقوب في البدل كأن ميم معكوكاء بدل من باء بعكوكاء أو بضد ذلك"<sup>(٢)</sup>.

ولا ريب أنه يمكن تفسير الباء على أنها من نطق البادية، أما الميم فممن نطق الحاضرة، فالباء صوت شديد يناسب البدوي على حين أن الميم صوت متوسط بين الشدة والرخاوة مما يناسب الحضري.

وقد رويت أمثلة كثيرة في كتب اللغة للتبادل بين الباء والميم، من ذلك: الظأب والظأم: سلف الرجل - قحبة وقحمة: للعجوز المسنة - الساسب والساسم: شجر<sup>(٣)</sup> والعلاقة بينهما تسوغ التبادل.

## ٢- (ب-و)

ذكر ابن جنى في باب الباء التبادل بين الباء والواو، وكان - على ما تعود - ينبغى أن يؤخر ذلك إلى باب الواو لأنه حكم بأن الباء هي الأصل والواو بدل منها.

وقد أورد مثلاً واحداً لهذا التبادل وهو الواقع بين باء القسم وواؤه. مثل: بالله - والله... إلخ.

التوجيه: اعترف ابن جنى بالتبادل بين الباء والواو، ودافع عن ذلك بقوله: وإنما أبدلت الواو من الباء لأمرين: أحدهما: مضارعتها إياها لفظاً والآخر:

(١) القاموس المحيط، ط. بولاق ٣/ ٢٤٠. (٢) لسان العرب ١٢/ ٣٨٠.

(٣) انظر أمثلة أخرى كثيرة غير ذلك في المزمع، ط. الأولى ١/ ٢٢٣ والمخصص ١٣/ ٢٨٤ وسر الصناعة باب الميم.

مضارعتها إياها معنى . أما اللفظ فلأن الباء من الشفة كما أن الواو كذلك، وأما المعنى فلأن الباء للإلصاق والواو للاجتماع، والشئ إذا لاصق الشئ فقد اجتمع معه<sup>(١)</sup>.

وقد برهن على أن الباء هي الأصل والواو بدل منها بدليلين: أحدهما: أنها موصلة للقسم إلى المقسم به في قوله: أحلف بالله كما توصل الباء المرور إلى المرور به في قولك: مررت بزيد، فالباء من حروف الجر بمنزلة من وعن.

والآخر: أن الباء تدخل على المضمر كما تدخل على المظهر، تقول: بالله لأقومنَّ وبه لأقعدنَّ، والواو لا تدخل على المضمر البتة، تقول: والله لأضربنك ولا تقول: وه لأضربنك، فرجوعك مع الإضمار إلى الباء يدل على أنها هي الأصل<sup>(٢)</sup>.

وابن جنى في رأيه السابق متأثر بموقف القدماء من مخرج الواو، إذ يجعلونها من مخرج الباء، يقول: ومما بين الشفتين مخرج الباء والميم والواو<sup>(٣)</sup> وهو متأثر في ذلك برأى سيبويه. وهذا يصدق على الواو غير المدية التي يتحدثون عنها، أما الواو التي هي حرف مد فهي من ذوات المخرج المتسع - على حد تعبير ابن جنى نفسه<sup>(٤)</sup>.

والدراسة الصوتية الحديثة تؤكد أن نظرة القدماء إلى الواو غير المدية لم تكن دقيقة في تحديد مخرجها، فهي في الحقيقة من أقصى اللسان حين يقترب من أقصى الحنك غير أن الشفتين حين النطق بها تستديران أو بعبارة أدق تكمل استدارتهما . . . ولعل وضوح استدارة الشفتين مع الواو الذي جعل القدماء ينسبون مخرج الواو إلى الشفتين<sup>(٥)</sup>.

فمخرج الباء إذاً مختلف عن مخرج الواو إذ الأولى من الشفة والثانية من أقصى الحنك كما تثبت الدراسات الصوتية الحديثة، ويختلفان كذلك في صفات

(١) سر الصناعة ١/ ١٦٠ . (٢) سر الصناعة ١/ ١٥٩ .

(٣) نفسه ١/ ٥٣ . (٤) نفسه ١/ ٨ . (٥) الأصوات اللغوية ٤٤ .

كثيرة؛ فالباء صوت مجهور شديد مستفل منفتح ذلق مقلقل، والواو تنفق معها فى الجهر والاستفال والانفتاح فقط وتخالفها فيما عدا ذلك، وهذا كله يمنع حدوث التبادل بينهما، وكل ما يمكن قوله أن كلا منهما حرف يستعمل فى القسم - كما يستعمل فى غيره - إذ للباء خمسة عشر معنى ذكرها النحاة من بينها القسم<sup>(١)</sup> والواو لها معان كثيرة كالعطف والاستئناف ومن بينها استعمالها فى القسم<sup>(٢)</sup>. وكما يقول النحاة: يمكن جعل هذا الاستعمال من قبيل التعويض لا الإبدال، ولا يلزم فى المعوض أن يكون من جنس المعوض عنه، أو أن يكون هناك علاقة صوتية بينهما، إذ التعويض جعل حرف خلفاً عن حرف آخر أو أكثر<sup>(٣)</sup> ولا يشترط فيه التقارب.

وهنا استعمل اللغوى العربى القسم متخذاً وسيلة من وسائله وهى الواو كما يصح أن يتخذ أدواته الأخرى الأصلية فيه وهى الباء، وقد صرح بذلك الصبان حين قال - معللاً اختصاص الواو بالظاهر فى الجهر - : لأن بعضها عوض عن باء القسم لا أصل فيه<sup>(٤)</sup>، ويقول: "إن الواو عوض من الباء، والتاء عوض من الواو"<sup>(٥)</sup>، والأدلة التى علل بها ابن جنى لإبدال الواو من الباء - وذكرتها سابقاً - تشير إلى أن الباء أصلية فى استخدامهما فى معنى القسم، ولكنها لا تدل بحال على أن الواو بدل منها بالمعنى اللغوى، بل على معنى أنه قد تقوم الواو فى الاستعمال فى القسم مقام الباء على سبيل التعويض لا الإبدال، والذى جعلنا نذهب هذا المذهب عدم وجود العلاقة الصوتية المسوغة للتبادل كما اتضح من الدراسات الصوتية الحديثة، وأما اتفاقهما فى بعض المعانى فليس من مسوغات الإبدال، إذ المعول عليه إنما هو المخرج والصفات على ما عرفنا، وكما أكده ابن جنى نفسه.

(١) الأشمونى ٢٢٢-٢١٩/٢. (٢) نفسه ٢٥٧/٢ والتصريح ١٧/٢.

(٣) القواعد والتطبيقات ٤. (٤) الأشمونى مع الصبان ٢٠٧/٢.

(٥) نفسه ٢٠٥/٢ وحديثهم عن إبدالها كان للاتفاق فى المخرج كما تصوروا.



## باب التاء

تردد ابن جنى فى إبدالها من الباء، وجزم بأنها أبدلت من ستة أحرف هى الدال والسين والصاد والطاء والواو والياء<sup>(١)</sup>.

### ١- (ت-ب)

ذعالت فى ذعالب<sup>(٢)</sup>.

التوجيه: لم يحزم ابن جنى برأى هل ذلك من الإبدال أو من اختلاف اللهجات؟ فيقول: فأما قول الأعرابى من بنى عوف بن سعد:

صفقة ذى ذعالت سَمول      بيع امرئٍ ليس بِمُسْتَقِيل<sup>(٣)</sup>

وهو يريد الذعالب، فينبغى أن يكونا لغتين، وغير بعيد أن تبدل أيضاً التاء من الباء، إذ قد أبدلت من الواو وهى شريكة الباء فى الشفة، والوجه أن تكون التاء بدلا من الباء، لأن الباء أكثر استعمالا، ولما ذكرناه أيضاً من إبدالهم التاء من الواو<sup>(٤)</sup>.

ويبدو من تردد ابن جنى هذا أنه كان يحس ببعد المادتين من ناحية المعنى، والتقائهما على طريق المجاز أو ببعد فى العلاقة الصوتية، ولعل الأول كان مترجحا عنده، إذ هو يعتقد القرابة بين التاء والواو فى مخرجيهما، وإن كان الأمر على خلاف معتقده، والذي يظهر لنا أن المخارج متباعدة - كما تثبت الدراسات الصوتية الحديثة - فالواو من أقصى اللسان، والتاء من طرفه مع أصول الثنايا، وشتان بين المخرجين، ولا يتفقان فى الصفات إلا فى الاستفال والانفتاح والإصمات، والباء من الشفة فهى بعيدة من التاء، وفى الصفات لا يشتركان إلا فى الشدة والاستفال والانفتاح والترقيق، وهذا كله لا أثر له فى الإبدال ما دامت المخارج متباعدة، وبمراجعة المعانى فى المعاجم نحس بأن التقاءهما لم يكن على

(١) سر الصناعة ١/ ١٦١.

(٢) الذعالب جمع ذعلبة - بكسرتين بينهما سكون - أو ذعلوب وهو طرف الثوب أو ما تقطع منه، اللسان (ذعلب) ١/ ٣٧٣، ٣٧٤.

(٣) هذه بيعة رجل يبيع ثيابا بالية، فهو لا يطلب فسخ البيع. التعليق فى سر الصناعة ١/ ١٧٣.

(٤) سر الصناعة ١/ ١٧٣، ١٧٤.

سبيل الحقيقة - حتى يتأتى الإبدال بين اللفظين - فمادة (ذعت) تدل على ما يأتى: ذعته: خنته أشد الخنق ومعكه فى التراب ودفعه عنيقاً<sup>(١)</sup>، وفى ذلك معنى الإضعاف والإنهاك، فيتفق بذلك مع معنى الذعالب التى هى أخلاق الثياب، وإن كانت مادة (ذعلت) باللام غير معروفة فى معاجم اللغة، فعلى هذا يلتقى معنى الذعالت بالتاء مع الذعالب بالباء من طريق المجاز الذى يمكن فهمه من الذعالت فيكون جمعاً بين حقيقة ومجاز، وليس ذلك إلا نقضاً للشرط الأساسى للإبدال الذى هو اتحاد المعنى على سبيل الحقيقة، فلا إبدال إذن بل ترادف حدث من تطور المعنى، ولم ترد أمثلة أخرى للإبدال بين التاء والباء، اللهم إلا مثال واحد هو صُلب وصَلَّت<sup>(٢)</sup> مع إمكان تأويله أيضاً باتفاقهما المعنوى، فالصلب: هو الرجل الشديد على سبيل التشبيه، والصلَّت هو الرجل الماضى فى الحوائج، ويفهم منه الشدة على طريق المجاز، ومن الممكن أن نقول بعدم الإبدال فى هذا اللفظ من طريق آخر، وهو عدم اتحاد الكلمتين فى البنية فالضبط مختلف فيهما<sup>(٣)</sup> بما يؤكد عدم الإبدال، ويمكن أن تكون هذه الألفاظ قد نشأت نتيجة التصحيف، ولعل تصريح ابن جنى بأن الباء أكثر استعمالاً يدلنا على أن الكلمة بالباء فى أصل الاستعمال والتاء تصحيف، وبخاصة أن مادة (ذعلت) باللام غير موجودة فى المعاجم، وكذلك الصلت مصحف عن الصلب، فالأصل كلمة واحدة، ونشأت الثانية عنها عن طريق التصحيف الذى يمكن حدوثه بين الحرفين من طريق الخط.

## ٢- (ت-د)

ناقة تربوت وأصلها تربوت.

التوجيه: يتضح رأى ابن جنى من قوله: وقالوا ناقة تَرْبُوت وأصلها دَرْبُوت وهى فَعَلُوت من الدربة أى هى مذللة، فالتاء بدل من الدال<sup>(٤)</sup> ولا شك أن العلاقة

(١) القاموس المحيط (ذعت)، ط الحسينية ١/١٤٨، واللسان ٢/٣٣٧.

(٢) المزهر فصل التصحيف وانظر اللغة العربية كائن حتى ص ٥٦، ٥٧ واللسان ٢/١٥، ٣٥٨.

(٣) فالصاد فى صلب مضمومة وفى صلت مفتوحة. انظر اللسان فى الموضع السابق.

(٤) سر الصناعة ١/١٧٤.

الصوتية مسوغة للتبادل، فهما من طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا، ويتفقان في صفات كثيرة هي الشدة والاستفال والانفتاح والإصمات، والباحث في المعاجم يحس بهذا الإبدال، فمادة (درب) تدور حول المران على الشيء مثل دربه به وعليه: ضراء والمدرّب كمعظم المنجذ المجرب والمصاب بالبلايا ومن الإبل المخرّج المؤدّب قد ألف الركوب وعود المشى في الدروب، وقد درّبه تدريبا، وجمل وناقة دروب ودربوت محرّكة ذلول أو هي التي إذا أخذت بمشفرها ونهزت عينها تبعثك، والداربة العاقلة والحاذقة بصناعتها، والتدريب الصبر في الحرب وقت الفرار<sup>(١)</sup>.

أما مادة (ترب) فكلها تتعلق بمعنى التراب المعروف، والفقر من لوازمه كما في أترّب: لزق بالتراب أو قلّ ماله وكثر ضد، وقد ذكر صاحب القاموس فيها تربوت وهي الناقة الذلول<sup>(٢)</sup> ولا علاقة له فيما أرى بهذه المادة بل هو متصل بمادة (درب) مع إبدال الدال تاء، والعلاقة المسوغة موجودة، والتاء مما يناسب الحضر والدال للبدو، وقد ذكرت لهما أمثلة كثيرة في المخصص والمزهر<sup>(٣)</sup>.

### ٣- (ت-س)

الأمثلة: ست- النات- أكيات- طست- ختيت في معنى خسيس<sup>(٤)</sup>.

التوجيه: أوضح ابن جنى رأيه في أن السين قلبت تاء فيما ذكر، ففي المثال الأول قلبوها لتقرب من الدال التي قبلها، وهي مع ذلك حرف مهموس كما أن السين مهموسة، فصار التقدير سدت، فلما اجتمعت الدال والتاء وتقاربتا في المخرج أبدلوا الدال تاء لتوافقها في الهمس، ثم أدغمت التاء في التاء فصارت ست كما ترى<sup>(٥)</sup> وكذلك تحدث عن البواقي<sup>(٥)</sup> ففي الناس وأكياس أبدلت السين تاء لموافقتهما إياها في الهمس والزيادة وتجاوز المخرج<sup>(٥)</sup>، وفي ختيت أبدلوا السين تاء<sup>(٥)</sup>، وقد أكد الدكتور أنيس هذا التقارب الصوتي وقال: إنهما يكادان يكونان

(٢) نفسه ٤٦/١.

(١) القاموس المحيط ٧٨/١.

(٣) المخصص ٢٨٠/١٣ والمزهر ٢٢٤/١. (٤) سر الصناعة ١٧١/١ - ١٧٣.

(٥) سر الصناعة ١٧١/١ - ١٧٣، إذ أصلها: سئس لأنها من التسديس، كما أن خمسة من التخمين.

متماثلين في المخرج، كما أن كلا منهما صوت مهموس ولم يبق إذاً إلا أن يلتقى طرف اللسان بأصول الثنايا العليا التقاء محكمًا<sup>(١)</sup> فإذا افترقا سمعنا التاء، وإذا لم يكن الالتقاء محكمًا فهي السين.

وهذا بناءً على ما قرره الدكتور أنيس من نطق السين الآن تبعاً للكثرة الغالبة منا، فهي - على لساننا - من أول اللسان (مشاركاً معه طرفه في بعض الأحيان) حين يلتقى بأصول الثنايا العليا، أما وصف القدماء لها فإنه ينص على أنها من طرف اللسان فوق الثنايا السفلى (أي مع أطراف الثنايا السفلى).

ونحن نلمح بعداً بين الحرفين، فبينهما في المخرج الصاد والزاي وتختلف التاء والسين في الشدة والصفير ولكن اشتراكهما في طرف اللسان ربما كان سبباً لهذا التقارب، وإذا رجعنا إلى ما قاله علماء اللغة نجد أن هذا من قبيل اللغات المختلفة؛ فالدكتور إبراهيم نجما يجعل ذلك الذي هو إبدال السين تاء لهجة تسمى بالوتم وتنسب إلى أهل اليمن<sup>(٢)</sup> ونسبها الدكتور (أنيس) إلى خثعم وزبيد من قبائل اليمن البدوية<sup>(٣)</sup>، وهذا يؤكد أن ما ورد من هذه الأمثلة من اختلاف الناطقين، إذ ليست العلاقة بين التاء والسين قوية لتسوغ التبادل.

وبالرجوع إلى المعاجم في كلمتي ختيت وخسيس نجد أنهما من مادتين مختلفتين - اشتقاقاً ومعنى - ففي مادة (خت) الخت: الطعن مداركاً وموضع، والختت محركة: الفتور في البدن، والختيت: الخسيس والناقص، وأخت: استحيا: وفلاتنا أخس حفظه<sup>(٤)</sup>، وفي مادة (خس) وخس نصيبه: جعله خسيساً دنيئاً حقيراً، وخسست بالكسر خسة وخساسة: إذا كان في نفسه خسيساً، والخساسة بالضم علالة الفرس والقليل من المال وتخاسوه: تداولوه أو تبادروه<sup>(٥)</sup>، فدلالة المادة الثانية على النقص والدناءة والحقارة واضحة، ودلالة المادة الأولى على النقص ولا شك أن بينهما بعداً في المعنى، واختلافاً، والتقاؤهما يكون من باب

(١) في اللهجات العربية ١٠٥.

(٢) اللهجات العربية ٦٤. (٣) في اللهجات العربية (ط) ١٠٥.

(٤) القاموس المحيط ط الحسينية ١٤٧/١. (٥) نفسه ٢/ ٢١٠.

التوسع المعنوي، ونظراً لاختلاف المعاني كما ترى لم يكن هناك إبدال، وإنما هو اتفاق معنى تطوري.

وقد ورد في لسان العرب أن الطس والطسة والطسة لغة في الطست وقال: ومن العرب من يثقل الطسة فيثقل ويظهر الهاء، وأورد صاحبه رأياً ثالثاً نقله عن أبي عبيد فقال: قال أبو عبيد ومما دخل في كلام العرب الطست والثور والطاجن وهي فارسية كلها<sup>(١)</sup> وعلى هذا فالواضح أن كلمة الطست كلمة أجنبية معربة هذبت على هذا الوضع، ونطقها قوم طس، وآخرون طست، فلا إبدال في الحقيقة بل اختلاف في طريقة التعريب.

#### ٤- (ت-ص)

لصت- لصوت.

التوجيه: المخرج متقارب - على ما يرى القدماء - مع اختلاف في موضع طرف اللسان، فهو مع التاء يتصل بأصول الثنايا العليا، ومع الصاد يتصل بأطراف الثنايا السفلى، ولكن الوارد مثال واحد قال فيه ابن جني بالإبدال<sup>(٢)</sup>، ويعمل ذلك الدكتور أنيس بأن التاء أخف من الطاء التي تناظر الصاد الرخوة فإذا نطق بعضهم الصاد شديدة فهي الطاء، وإذا رقت فهي التاء، فكان التطور هكذا ص- ط- ت ولكن لماذا كان الوارد مثلاً واحداً ما دام التقارب الصوتي موجوداً؟ ألا كثرت أمثلة للتبادل؟ ربما كان من تلاعب بعضهم في الاستعمال، وقد جعله صاحب المخصص من قبيل اختلاف اللغات، قال: أبو عبيد: اللصت: اللص في لغة طيء، وجمعه لصوت، وهم يقولون: طست وغيرهم: طس<sup>(٣)</sup>، ولعل رأى الأستاذ برجستراسر بتعريب الكلمة مما يؤكد أن العرب لم يبدلوا التاء من الصاد في شيء من الكلمات، وقد اشتبه على اللغويين أمر هذه الكلمة "فكلمة لص معربة من

(١) لسان العرب ٤٢٨/٧، ٤٢٩. (٢) سر الصناعة ١٧٣/١.

(٣) المخصص ٢٨٠/١٣، واللسان ٣٨٩/٢، ٣٥٦/٨، وانظر عكس هذه النسبة في المخصص

٢٨١/١٣، ط. بيروت، فقد جعل السين والصاد لطيء، والتاء لغيرهم.



اليونانية بواسطة الآرامية أى السريانية وهى فى اليونانية Lestes وفى السريانية Lesta, Lastes فالصاد بعد التعريب مبدلة من التاء لا العكس، وهى كلمة أجنبية عن العربية<sup>(١)</sup>.

#### ٥- (ت-ط)

فستاط فى فسطاط - استاع يستيع.

التوجيه: قال ابن جنى: وأما قولهم فى فسطاط: فستاط فالتاء فيه بدل من الطاء، لقولهم فى الجمع فساطيط ولم يقولوا: فساتيط، فالتاء إذن أعم تصرفاً<sup>(٢)</sup>، وفى الخصائص أورد فيها ست لغات هى: فسطاط وفستاط وفساط وبكسر الفاء أيضاً، وقد حاول أن يرجح إبدال التاء فى فستاط من سين فساط على إبدالها من طاء فسطاط بأن قال: إنك إذا حكمت بأنها بدل من سين فساط ففيه شيثان جيدان: أحدهما: تغيير للثانى من المثلىن، وهو أقيس من تغيير الأول من المثلىن لأن الاستكراه فى الثانى يكون لا فى الأول والآخر أن السينين فى فساط ملتقيتان والطاءين فى فسطاط منفصلتان بالالف بينهما واستثقال المثلىن ملتقين أخرى من استثقالهما مفترقين، وأيضاً فإن السين والتاء جميعاً مهموستان والطاء مجهورة<sup>(٣)</sup> وقرب المخرج بين هذه الحروف مسوغ للتبادل، ولو فرض أن التاء أبدلت من سين فساط فإنها إما أن تكون أبدلت من الطاء أيضاً أو أبدلت منها الطاء، لأن اللسان إذا ارتفع مع التاء كانت طاء.

والحروف الثلاثة (ت-د-ط) لها علاقة صوتية تجعلها وحدة متماسكة مما يسوغ التبادل بينها، على أن كل حرف منها له موقعه الخاص المناسب للحدث الذى يلائمه، وقد فسر ذلك ابن جنى فى مثل قتر- قدر- قطر<sup>(٤)</sup> وبنى على ذلك رأيه فى الاشتقاق الأكبر الذى سماه «إمساس الالفاظ أشباه المعانى»<sup>(٥)</sup> وقالوا: استاع يستيع، أى أطاع يطيع، فالتاء بدل من الطاء لا محالة<sup>(٦)</sup>. وقال صاحب اللسان إنه قلب الطاء تاء ليشاكل بها السين، لأنها أختها فى الهمس<sup>(٦)</sup> ولا ريب

(١) التطور النحوى ٣٣. (٢) سر الصناعة ١/ ١٧٤. (٣) الخصائص ٨٧/٢.

(٤) نفسه ١٦٢/٢. (٥) نفسه ١٥٢/٢. (٦) اللسان ١١٤/١٠.

أن الطاء من خصائص البدو، والتاء من خصائص الحض، ر الحاجة البدو إلى تفخيم الحروف، والحضر إلى الترفيق.

## ٦- (ت-و)

- (١) تُرَاث - تَقِيَّةٌ فَعِيلَةٌ من وقيت - تقوى - تورا - تَوَلَّج - تُخَمَّة - نُكَاة - تَيَقُّور - تَلِيد - تِلَاد - تَتْرَى: فعلى من المواترة - اتعد - اتَّلَج.  
(٢) أُخت - بنت - هُنْتُ - كِلْتَا<sup>(١)</sup>.

التوجيه: صرح ابن جنى بإبدال التاء من الواو فى الأمثلة الأولى فقال: وقد أبدلت التاء من الواو فاء إبدالا صالحاً<sup>(٢)</sup>، وذكر الأمثلة السابقة، وعلل ذلك بأصل الاشتقاق فى كل منها، فتراث فُعال من ورث، وتقية فَعِيلَةٌ من وقيت، وتورا فَوَعَلَةٌ من ورى الزند وأصلها وورية فأبدلت الواو الأولى تاء<sup>(٣)</sup> إلخ، وقال: إن التاء قريبة المخرج من الواو لأنها من أصول الثنايا والواو من الشفة فأبدلوها تاء<sup>(٤)</sup> وقد جعل ابن جنى هذا الإبدال غير قياسى إلا فى افتعل وما تصرف منه، فقال: وهذه الالفاظ التى جمعتها وإن كانت كثيرة فإنه لا يجوز القياس عليها لقلتها بالإضافة إلى ما تقلب واوه تاء... فأما ما تقيس عليه لكثرتة فافتعل وما تصرف منه إذا كانت فاؤه واوا فلإن واوه تقلب تاء وتدغم فى تاء افتعل التى بعدها<sup>(٥)</sup> رعلل لاطراد هذا الإبدال فى افتعل وما تصرف منه بأنهم لو لم يقلبوها تاء لوجب أن يقلبوها إذا انكسر ما قبلها ياء وإذا انضم ما قبلها واوا وإذا انفتح ما قبلها ألفاً فيقولوا: ابتعد - موتعد - يا تعد، فلما كانوا لو لم يقلبوها ياء صائرين من قلبها مرة ياء ومرة ألفاً ومرة واوا، إلى ما أريناه أرادوا أن يقلبوها حرفاً جلدًا تتغير أحوال ما قبله وهو باق بحاله<sup>(٦)</sup>. وهذا ما عبر عنه أستاذنا الدكتور نجى فى كتابه اللهجات العربية بقوله: أكثر العرب على إبدال الواو والياء تاء إذا وقعت فاء لافتعل حتى لا تكون عرضة لتلاعب الحركات، فيقولون اتقى واتسر فى اوتقى وايتسر<sup>(٧)</sup>، وقد

(١) سر الصناعة ١/ ١٦١ - ١٦٩ وقد ذكر سيبويه هذه الالفاظ ومعها (ذيت). الكتاب ٢/ ٨٢،

(٢) نفسه ١/ ١٦١.

٨٣

(٥) ٦٧.

(٤) نفسه ١/ ١٦٣.

(٣) نفسه ١/ ١٦٤.

حكى ابن جنى الاتجاه العربى الثانى الذى لا يعبا بتلاعب الحركات، فيقول:  
يتعد- موتعد- ياتعد-<sup>(١)</sup> إلخ ونسب اللغة الاولى لاهل الحجاز، فقال: واللغة  
الاولى أكثر وأقيس وهى لغة أهل الحجاز وبها نزل القرآن<sup>(٢)</sup>.

وأما عن الأمثلة الثانية فقد أوضح أن أصل هذا كله أَخَوَ وَبَنَوُ وَهَنَوُ وَكَلُوا  
فَنَقَلُوا أَخَوَ وَبَنَوُ وَوَزَنَهُمَا قَعَلَ إِلَى فَعَلَ وَفَعَلَ وَالْحَقْوَهُمَا بِالتاء المبدلة من لامها بوزن  
قُعْلَ وَحَلَسَ فَقَالُوا: أخت وبنت وليست التاء فيهما بعلامة التأنيث كما يظن من لا  
خبرة له بهذا الشأن لسكون ما قبلها، هكذا مذهب سيبويه وهو الصحيح<sup>(٣)</sup>.

وأما هُنْتُ فيدل على أن التاء فيها بدل من واو قولهم فى الجمع هنوات<sup>(٤)</sup>  
وأما كلتا فذهب سيبويه إلى أنها فعلى بمنزلة الذكرى والحفري وأصلها كلوا  
فأبدلت الواو تاء كما أبدلت فى أخت وبنت<sup>(٥)</sup>، وذهب أبو عمر الجرمى إلى أنها

(١) سر الصناعة ١٦٥/١ والدقة تقتضى نسبة الاولى إلى أكثر العرب والثانية إلى بعض الحجازيين.  
المفصل ٣٧/١٠ والأشمونى ٤/٣٣٠ والمهجيات العربية ٦٨.

(٢) سر الصناعة ١٦٥/١ وقال الليث: تاء الأخت أصلها هاء التأنيث كما قال الخليل، ولكن ذلك  
ليس مقبولا، وقد نقل صاحب اللسان رأى ابن جنى دون أن ينسب إليه. اللسان ٢٢/١٨، وقال  
الاستاذ برجستراسر: إن الأخ والابن من الاسماء القديمة جداً التى مادتها مركبة من حرفين فقط  
لا ثلاثة أحرف وإن التاء وإن لم تسبقها فتحة هى تاء التأنيث، فهى فى غير اللغة العربية  
وخصوصاً فى الاكدية والعبرية كثيراً مالا فتحة قبلها مثال ذلك أن الخمسة فى الاكدية hamistu  
وفى العبرية hmeset أصلها hamist كلها بشين ساكنة وعلى هذا قرر عدم وجود إبدال للتاء من  
الواو (التطور النحوى ٣٣) ولكن المقارنة غير سليمة لأنها بين لغات قديمة جداً وبين اللغة العربية  
التي بلغت نهاية تطورها بعد آماد طويلة على أن الحرف الثالث فى كلمة أب وأخ وحم وهى فى  
حال الأفراد ثابت فى بعض اللغات السامية الاخرى فـ (أب) فى الاشورية والبابلية (أبو) وفى  
الآرامية (أبا) وأخ فى الاشورية والبابلية (أخو) وفى الحبشية ولغات جنوب الجزيرة (أخو) وحـم  
فى الاشورية والبابلية (حمو) وفى الآرامية (حما). تاريخ اللغات السامية ٢٨٣، ٢٨٦ والواو قد  
زالت لوجود التنوين وعند ذهابه تعود الواو مثل أبوك وأخوك وحموك. مدرسة الكوفة ١٩٠  
فراى القدماء أقرب إلى طبيعة اللغة العربية.

(٣) سر الصناعة ١٦٧/١.

(٤) نفسه ١٦٧/١، ١٦٨، والحفري: قيل: شجر ينبت فى الرمل، وقيل: ذات ورق وشوك صغير  
وذرر أبيض، ولا تنبت إلا فى الأرض الغليظة، الواحدة: حفرة.

فَعَتَلْ وَأَنْ التَاءَ فِيهَا عِلْمُ تَأْنِيثِهَا، وَلَكِنْ ابْنُ جَنَى رَدَّ عَلَيْهِ بِأَنْ تَاءَ التَّائِيثِ يَكُونُ مَا قَبْلَهَا مَفْتُوحًا أَوْ تَكُونُ قَبْلَهَا أَلِفٌ مِثْلُ طَلْحَةٍ وَحَمْزَةٍ وَسَعْلَةٍ وَعِزْهَاءَةٍ، وَكَلَّتَا مِثْنَى بِإِجْمَاعٍ مِنَ الْبَصْرِيِّينَ، وَعَلَامَةُ التَّائِيثِ لَا تَكُونُ وَسْطًا<sup>(١)</sup>، وَهَذَا الرَّدُّ سَدِيدٌ إِلَّا أَنْ الْقَوْلَ بِالْإِبْدَالِ بَيْنَ التَّاءِ وَالْوَاوِ - إِذَا كَانَ لَهُ مَسْوُغٌ لَدَى الْقَدَمَاءِ لِقَرَبٍ مَخْرَجِيهِمَا كَمَا قَالَ ابْنُ جَنَى<sup>(٢)</sup> - فَقَدْ أُثْبِتَتِ الدِّرَاسَاتُ الصَّوْتِيَّةُ بَعْدَهُ؛ فَالْوَاوُ مِنْ أَقْصَى اللِّسَانِ كَمَا ذَكَرْنَا، وَالتَّاءُ مِنْ طَرَفِ اللِّسَانِ مَعَ أَصُولِ الثَّنَائِيَا الْعَلِيَا كَمَا يَقُولُ أَسْتَاذُنَا الدَّكْتُورُ نَجْمًا، وَلَا اتِّفَاقٌ بَيْنَهُمَا فِي الصِّفَاتِ أَكْثَرَ مِنَ الْاسْتِفْهَالِ وَالْانْفِتَاحِ وَالْإِصْصَامَاتِ، وَهَذَا لَا يَصِحُّ بِهِ إِبْدَالٌ، وَيُمْكِنُ أَنْ نَفْسِرَ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ عَلَى أَنَّهَا اسْتَعْمَلَتْ بِهَذَا الْوَضْعِ فِي لَهْجَاتٍ خَاصَّةٍ وَعَلَى سَبِيلِ التَّعْوِيضِ، وَقَدْ صَرَحَ ابْنُ جَنَى نَفْسَهُ بِأَنْ هَذَا لَيْسَ أَمْرًا مَطْرُودًا، فَلَا تَقُولُ قِيَاسًا عَلَى تَقِيَّةٍ فِي وَقِيَّةٍ: تَزِيرُ فِي وَزِيرٍ وَلَا تَقُولُ فِي وَجِيهَةٍ: تَجِيهَةٌ وَلَا فِي وَلَهْيٍ تَلَهَّى قِيَاسًا عَلَى تَتَرَى<sup>(٣)</sup>، وَعَلَى الرِّغْمِ مِنْ اطِّرَادِ الْإِبْدَالِ فِي افْتَعَلَ مِمَّا فَاءُوهَ وَاءُ فَمِنْ بَعْضِ الْعَرَبِ - كَمَا قَالَ ابْنُ جَنَى - تَنْطَلِقُ الصِّيغَةُ عَلَى الْأَصْلِ بَلَا إِبْدَالٍ فَيَقُولُونَ فِي اتَّعَدَ: اوتَّعَدَ - مَوْتَعَدَ - يَاتَعَدُ<sup>(٤)</sup>، فَلَيْسَ هَذَا إِذَا مِنْ قَبِيلِ الْإِبْدَالِ، وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ قَبِيلِ اخْتِلَافِ اللَّهْجَاتِ، وَفِي اخْتِ وَاشْتَبَاهَا التَّاءَ عَوِضَ مِنَ الْوَاوِ لَا يَدُلُّ مِنْهَا عَلَى مَا قَدَمْنَا.

## ٧- (ت-ي)

اتَّسَرَ - اتَّيَسَرَ مِنَ الْيُسْرِ وَالْيُسْرِ - ثِنْتَانِ - كَيْتٌ وَذَيْتٌ.

التَّوْجِيه: ذَكَرَ ابْنُ جَنَى أَنَّ الْإِبْدَالَ بَيْنَ التَّاءِ وَالْيَاءِ مَقْيَسٌ فِي افْتَعَلَ مِمَّا فَاءُوهَ يَاءً<sup>(٥)</sup> وَأَمَّا ثِنْتَانِ فَقَالَ عَنْهَا: وَيَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ مِنَ الْيَاءِ أَنَّهُ مِنْ ثِنْتٍ لِأَنَّ الْاِثْنَيْنِ قَدْ ثَنَى أَحَدَهُمَا عَنْ صَاحِبِهِ وَأَصْلُهُ ثَنَى، يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ جَمْعُهُمْ إِيَّاهُ عَلَى أَثْنَاءٍ بِمَنْزِلَةِ أَبْنَاءٍ وَأَخَوَاءٍ فَتَقْلُوهُ مِنْ فَعَلَ إِلَى فَعَلٍ كَمَا فَعَلُوا ذَلِكَ فِي بَنَتِ<sup>(٦)</sup> وَالمَثَالَانِ الْآخِيرَانِ

(١) نفسه ١/١٦٨. (٢) نفسه ١/١٦٤. (٣) نفسه ١/١٦٣.

(٤) نفسه ١/١٦٥. (٥) نفسه ١/١٦٤، ١٦٥. (٦) نفسه ١/١٦٩.

أصلهما كية وذية ثم إنهم حذفوا الهاء وأبدلوا من الياء التى هى لام تاء كما فعلوا ذلك فى (ثتان) والصيغة فيها علم التأنيث كما كانت الصيغة فى (ثتان) كذلك علم التأنيث، وليست التاء فيه منقلبة عن واو وأن أصلهما كيو وذيو لأنه يودى إلى مثال ليس فى كلام العرب "لأنه ليس فى كلامهم لفظة عين فعلها ياء ولام فعلها واو" إلا إذا كان علماً مثل رجاء بن حيوة لأنه يحتمل فيها ما لا يحتمل فى غيرها<sup>(١)</sup> ويمكن أن نطبق على هذه الأمثلة ما ذكرناه فيما سبق، وبخاصة أن الأشمونى يقول عن إعراب (ثتان): ومثل اثنتين ثتان فى لغة تميم<sup>(٢)</sup> وقال قبل ذلك: إنهما اسمان من أسماء الثنية وليسا بمثنيين حقيقة، فليس لرأى ابن جنى مجال من جعلها ثنية (ثنى) وأنها من ثنية<sup>(٣)</sup>، ولا داعى للتفريق بينها وبين اثنتان على ما تصور ابن جنى، وكل ذلك يمكن عده لهجات متعددة لا من قبيل الإبدال، لعدم العلاقة الصوتية ولا مسوغ للإبدال أو الاعتذار عن ابن جنى بعد أن استقر لدى القدماء مخرج الياء، ووافقهم عليه المحدثون وهو وسط اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى، والتاء على ما سبق من طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا، وبينهما من الحروف - على رأى ابن جنى نفسه - ض - ل - ر - ن - ط - د، فالتفسير الصحيح لذلك أنه من اختلاف الناطقين، فبعضهم يقول: أتر والآخرين أيتسر، وبعضهم يقول: اثتان وآخرون: ثتان، وبعض يقول: كية وذية، وبعض آخر: كيت وذيت وهكذا.

### باب التاء

لم يصرح ابن جنى - على عادته فى أول كل فصل - بأن التاء تبدل من غيرها من الحروف، فهو فى كل باب يقول هذا الحرف يقع أصلاً وبدلاً وراثداً إذا كان مما يمكن فيه ذلك، مثل قوله فى باب التاء<sup>(٤)</sup> وغيرها، وينبه على ما لا يمكن

(١) سر الصناعة ١/١٦٩، ١٧٠، ١٧١.

(٢) الأشمونى ١/٧٨. (٣) سر الصناعة ١/١٦٩.

(٤) يقول: التاء حرف مهموس تستعمل فى الكلام على ثلاثة أضرب أصلاً وبدلاً وراثداً. سر الصناعة ١/١٦١.



فيه ذلك مثل قوله فى باب الذال: الذال حرف مجهول يكون أصلاً لا بدلاً ولا رائداً<sup>(١)</sup>، وفى باب الخاء يقول: الخاء حرف مهموس يكون أصلاً لا غير<sup>(٢)</sup> وهكذا ينبه فى أول الأبواب على أحوال الحرف من حيث الأصالة والإبدال والزيادة، وهو فى باب الثاء يقول: ولا تكون إلا أصلاً<sup>(٣)</sup> ومعنى هذا أنه لا يبدل من غيره.

ولكنه بعد ذلك ذكر كلمات يقع فيها الإبدال بين الثاء والفاء بحيث تكون الثاء هى البدل مثل فروغ الدلو وثروغها<sup>(٤)</sup> وغير ذلك على ما سنوضحه، ويبدو أن ابن جنى كان متردداً فى ثبوت هذا الإبدال اللغوى فلم يجزم به فى أول حديثه.

#### الأمثلة:

١- ائرد وائرد- ائار وائار- ائنى وائنى.

٢- ئروغ الدلو، وئروغها- ائاث وائاث<sup>(٥)</sup>.

التوجيه: فى الأمثلة الأولى تحدث ابن جنى عن قلب الثاء تاء مرة، وقلب التاء ثاء مرة أخرى بحسب اختلاف الناطقين، يقول: واعلم أن الثاء إذا وقعت فاء فى افتعل وما تصرف منه قلبت تاء، وأدغمت فى تاء افتعل بعدها، وذلك قولهم فى افتعل من الثريد ائرد وهو متئرد، وإنما قلبت تاء لأن التاء أخت التاء فى الهمس، فلما تجاورتا فى المخارج أرادوا أن يكون العمل من وجه واحد، فقلبوها تاء وأدغموها فى التاء بعدها ليكون الصوت نوعاً واحداً<sup>(٦)</sup> ثم قال: هذا هو المشهور فى الاستعمال، وهو أيضاً القوى فى القياس، ومنهم من يقلب تاء افتعل ثاء فيجعلها من لفظ الفاء فيقول: ائرد وائار وائنى كما قال بعضهم فى اذكر اذكر وفى اصطلحوا اصطلحوا<sup>(٧)</sup>.

ونحن نرى أن إبدال التاء من الثاء والعكس أمر مستقيم، وذلك لقرب مخرجيهما، إذ التاء من طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا، والثاء من طرف

(١) سر الصناعة ٢٠٣/١. (٢) نفسه ١٩٩/١. (٣) نفسه ١٨٩.

(٤) نفسه ١٩١/١. (٥) نفسه ١٨٩/١، ١٩٠.

(٦) نفسه ١٨٩/١. (٧) نفسه ١٩٠/١.

اللسان إلا أنه يحتك ويتصل بأطراف الثنايا العليا نفسها، فالفرق طفيف جداً، وإذا كان بينهما، من الحروف في التركيب: ص- ز- س- ظ- ذ- فإن ذلك لا يعنى فارقاً كبيراً بينهما، لأن الخلاف غير كبير بين التاء وما قبلها من الحروف الفاصلة، والتاء- مع قرب مخرجها من التاء- تتفق معها في صفات كثيرة، وهى الهمس والاستفال والانفتاح والإصمات، والتاء حرف يحتاج إلى مجهود عضلى فى نطقه، مما دعا إلى تسهيله، ولا يمكن هذا التسهيل، للسرعة فى النطق بتحويل التاء إلى الذال إذ هى مثلها فى احتياجها إلى مجهود، وكذلك الظاء لأنها مطبقة والسين والزاي والصاد من حروف الصفير، فما يناسبها فقط هو التاء. والنطق بالتاء سهل سريع مما جعله يتناسب مع أهل البادية كما يقول الدكتور أنيس، وبخاصة أن البدو يميلون إلى الأصوات الشديدة على حين يميل الحضرة إلى الأصوات الرخوة<sup>(١)</sup>، وقد تحولت التاء إلى تاء فى كثير من الكلمات العامة للتخفيف والسهولة، مثل التار- تمر- تلب- تعبان... إلخ، وقد تحول بعضها القليل إلى سين مثل ثابت فإنها تنطق سابت كما صرح أستاذنا الدكتور نجما بوقوع ذلك فى اللهجة القاهرية<sup>(٢)</sup>.

ويمكن للباحث أن يتصور وقوع التصحيف بين التاء والتاء، ويحتمل أن تنشأ بعض ألفاظ هذه الظاهرة عنه، ومن ذلك بعض الأمثلة التى جمعها العلماء مثل: مرثاء- وفى لسانه رثة والصواب بالتاء- لث السوق وهى تاء - الثيثل: الرعل المسن والصواب بالتاء- السرثم نبت والصواب بالتاء- يحيى بن أكتم وهى بالتاء<sup>(٣)</sup>، فعلى الباحث أن يكون على وعى كبير ليميز بين ما كان من الإبدال وما حدث من وقوع التصحيف، وقد ذكر ابن جنى أن بعض العرب يقلب التاء تاء وبعضهم يعكس ذلك فهذا صريح فى أن منشأ اختلاف اللهجات.

وقلب التاء تاء- على المشهور- يدل على أن التطور الصوتى قد فعل فعله عند من احتاج إلى السرعة والتخفيف فى النطق، وأن ذلك حدث فى تاريخ اللغة الطويل فى لهجة واحدة أو فى اللهجات المتعددة.

(١) فى اللهجات العربية، ط ٣، من ١٠٠-١٠٧.

(٢) اللهجات العربية ٩٣.

(٣) تنقيف اللسان ٤٨- ٥٣ من باب التصحيف الذى يمتد إلى ص ٧٣.

وهدف ابن جنى من الأمثلة الثانية أن يوضح وفوع الإبدال بين الشاء والفاء، بحيث تكون الشاء هي البدل، وفي المثال (ثروغ) كان واضح الرأي إذ يقول: وقرأت على أبى على بإسناده إلى يعقوب قال: يقال: هي فروغ الدلو وثروغها، فالثاء إذا بدل من الفاء لأنه من التفريع<sup>(١)</sup> وأما فى المثال (أثا وأثاف) فلم يجزم بالإبدال على أساس الاحتمال الذى بدا له فى الكلمتين، فإذا كانت الكلمتان من مادة واحدة فلا مناص من القول بالإبدال، وإذا اختلفت المادتان فليس الإبدال أمراً محققاً. قال ابن جنى: "فأما قولهم فى أثاف: أثا بالثاء فمن كانت عنده (أثفية) أفعولة وأخذها من ثفاء يشفوه فالثاء الثانية فى أثا بدل من الفاء فى يشفوه، ومن كانت عنده فُعْلِيَّة فجائز أن تكون الثاء بدلاً من الفاء لقول النابغة: "وإن ثأثفك الأعداء بالرفد" وجائز أن تكون من أث يثث: إذا ثبت واطمأن، لأنهم يصفون الأثافي بالخلود والركود، والسووجه أن تكون الثاء بدلاً من الفاء أيضاً لانا لم نسمعهم قالوا أثية<sup>(٢)</sup>.

ونحن نرى أن الفاء والشاء قريباً المخرج، بل إن الفاء تلى الشاء فى ترتيب مخارج الحروف، ويشاركان فى جميع الصفات ماعدا الذلاقة للفاء والإصمات للثاء، وهذا مما يسوغ التبادل بينهما، واللغويون يجعلون الفاء للحجازيين والشاء للتميميين<sup>(٣)</sup>، وهو فى فروغ وثروغ كان موفقاً، إذ مادة فرغ هى الأصل والشاء بدل منها<sup>(٤)</sup>، وبالبحت عن اشتقاق أثفية وجد أنها كما يقول ابن جنى: يمكن أن تكون من ثفاء يشفوه ويشفيه: تبعه أو جاء فى إثره، فتكون الفاء عين الكلمة ووزنها أفعولة، ويمكن أن تكون من أثف القدر فهى مؤثفة على حد قول النابغة السابق، وهو من قولك أثفت الرجل آثفه: إذا تبعته، والآثف التابع، ويقال تأثف الرجل المكان: إذا لم يبرحه، فتكون الهمزة فاء الكلمة والفاء لامها، ووزن أثفية على هذا (فُعْلِيَّة) وأصلها فُعْلُوِيَّة كما يقول الليث<sup>(٥)</sup>، وعلى أساس هذا الاشتقاق تتصل (أثاف) بـ (أثا) أو تبتعد عنها، فعلى الاشتقاق الأول تكون أصول كلمة (أثاف) هى الشاء والفاء والياء (ثفى) حذفت السلام منها وهى الياء، وأما (أثا) فإن العين

(١) سر الصناعة ١٩١/١. (٢) المزهر، ط الأولى، ٢٢٤/٢ والمخصص ٢٨٦/١٣.

(٣) لسان العرب ٣٠٤/١٠. (٤) نفسه ١٢٢/١٨ - ١٢٤.

(هى الثاء الاخيرة) وبهذا قد وضع إبدالها من الفاء التى هى أصل العين، وأما على الاشتقاق الثانى (أثف) فالهمزة هى الفاء والطاء هى العين والفاء الاخيرة هى اللام، وعلى هذا الاشتقاق أيضاً يتحقق الإبدال بين الثاء والفاء فى موضع لام الكلمة، على أننا عند التأمل يمكن أن نتصور أن كلمة (أثاف) ليست مشتركة مع أثاف بل هى من مادة أخرى وهى أث يثث ويؤثث: إذا كثر والتف، والمؤثث: الموطأ المؤثر<sup>(١)</sup> وفى هذا معنى ثبات الشيء فى موضعه واستقراره فى مكانه، مما يتناسب مع الاثاثى التى هى الحجارة التى تنصب وتجعل القدر عليها<sup>(٢)</sup> وفى ذلك معنى اطمئنان القدر الموضوعة على الحجارة وثباتها، وبهذا تختلف المادتان معنى واشتقاقاً فلا إبدال بين الكلمتين، وربما أفاد هذا أن كلا منهما لهجة لطائفة من العرب فالأولى بالفاء حجازية والثانية بالطاء تميمية، ولكن ابن جنى على الرغم من ذلك يثبت جوار الإبدال أيضاً بل يرجحه، ولو مع بعد الاشتقاق لأن المفرد معروف للأثافى وهو أثفية- ولم يرد أية عن العرب، ونقول له: إن ذلك ليس حجة لجوار أن تكون الكلمة التى تصور فقدانها موجودة فى الجزيرة العربية ولم يصل إليها الرواة<sup>(٣)</sup>.

ومن كل هذا نستطيع أن نقول: إنه إذا كانا من مادة واحدة فالإبدال مستساغ لقرب الحرفين، وأما إذا اختلفت مادة الاشتقاق فلا إبدال، لأن الاتفاق حدث من التشابه بين الكلمتين فى الصورة مع اختلاف المعنى الأصلى للمادتين، ومن الأمثلة التى أوردها ابن جنى وغيرها نؤكد وقوع الإبدال بين الحرفين، والشاء هى البدل، لأن المادة اللغوية عرفت فى كليهما بالفاء لا بالطاء أو تكون كل منهما أصلاً معروفاً فى إحدى اللهجات العربية فالفاء للحجاز والطاء لتميم.

### باب الجيم

أوضح ابن جنى أن الإبدال يقع بين الجيم والياء فقط على أن تكون الجيم هى الأصل، والمقصود بالياء هنا غير المدية، وقد أورد لذلك أمثلة منها:

(١) القاموس، ط. الحسينية ١/ ١٦١. (٢) لسان العرب ١٨/ ١٢٢.

(٣) اللهجات العربية د. نجا ٥٧.

- ١- عُمَى عُوَيْف وَأَبُو عَلَجٍ      الْمُطْعَمَانِ اللَّحْمَ بِالْعَشِجِ  
 ٢- كَانَ فِي أَذْنَابِهِنَّ الشُّوْلُ      مِنْ عَبَسَ الصَّيْفَ قُرُونًا الْأَجَلِ  
 ٣- لَاهُمَ إِنْ كُنْتَ قَبِلْتَ حَجَنَجَ      فَلَا يَزَالُ شَاحِجٌ بِأَتِيكَ بِسَجِ  
 ٤- يُطِيرُ عَنْهَا الْوَبَرَ الصَّهَابِجَا  
 ٥- حَتَّى إِذَا مَا أَمْسَجَتْ وَأَمْسَجَا<sup>(١)</sup>

التوجيه: اعترف ابن جنى بوقوع الإبدال بين الحرفين السابقين، فقال: وإذا كانت- يعنى الجيم- بدلا فمن الياء لا غير، وقد أوضح أن ذلك من اختلاف اللهجات، فقال: قرأت على أبي على عن أبي بكر عن بعض أصحاب يعقوب بن السكيت عن يعقوب قال: قال الأصمعي: حدثني خلف قال: أنشدني رجل من أهل البادية وقرأتها عليه في الكتاب: عُمَى عُوَيْف... إلخ<sup>(٢)</sup>، وقال أبو عمرو بن العلاء: قلت لرجل من بني حنظلة: ممن أنت؟ فقال: قُفْمِجْ، قال: قلت: من أيهم؟ قال: مُرْج، يريد: قُفْمِي وَمُرَى<sup>(٣)</sup>، وقال يعقوب: بعض العرب إذا شدد الياء جعلها جيمًا<sup>(٤)</sup>.

واعتقادنا أن إبدال الجيم من الياء مستساغ، وذلك لانهما من وسط اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى، وهما متفقان في الصفات ماعدا القلقلة الخاصة بالجيم، وكل ذلك يُسَوِّغُ الإبدال بينهما، وهذا مما اصطلاح على تسميته عجمجة قضاعة وهي إبدال الياء المشددة جيمًا في الوقف، وقد جاء إبدالها وهي غير مشددة حملا عليها وجاء أيضًا في غير الوقف<sup>(٥)</sup>، وقد ذكر ابن جنى أمثلة له، ويعد ذلك القدامى من الإبدال النادر أو القليل<sup>(٦)</sup> أو الشائع<sup>(٧)</sup>، وبهذا يتضح أن هذا الإبدال من خصائص بعض اللهجات البدوية.

(١) سر الصناعة ١/ ١٩٢ - ١٩٤ يريد بالعشى - الأيل (الذكر من الأوعال) - حجتى - بى - الصهايب (من الشعر والوبر الذى فيه شقرة) - أمست وأمسى.

(٢) سر الصناعة ١/ ١٩٢. (٣) نفسه ١/ ١٩٣ والمفصل ١٠/ ٥٠.

(٤) ينظر القواعد والتطبيقات ٢، ٣ والتصريح ٢/ ٣٦٧ والأشمونى ٤/ ٢٨١.

(٥) الأشمونى ٤/ ٢٨٢ والقواعد والتطبيقات ص ٢ وقد ذكر الدكتور الصالح أن إبدالها من المخففة اشتهر كالمشددة في لغة فقيم. دراسات في فقه اللغة ٦١، ٦٢.



### باب الحاء

قال ابن جنى: إن الحاء لا تكون بدلا أبداً إلا فيما شذ عنهم<sup>(١)</sup> مثل إبدالها من الحاء. أنشد ابن الأعرابي:

ينفخن منه لهباً منفوحاً لمعا يرى لا ذاكياً مقدوحاً

قال: أراد منفوحاً فأبدل الحاء حاء قال: ومثله قول رؤبة:

غَمَرُ الأَجَارَى كَرِيمِ السَّنَحِ أبلجُ لم يُولدْ بنجمِ الشَّحِ

قال: يريد السنخ<sup>(٢)</sup>.

وقد بنى ابن جنى رأيه على عدم ورود أمثلة من هذا الإبدال، ويقول العلماء: إن ذلك لم يرد إلا فى الشعر - شاذاً - ليوافق الشاعر بين روى أبيات القصيدة إذا كانت حائية، فقد أراد الشاعر الأول ينفخن ومنفوحاً بالحاء المعجمة فيهما، فقالهما بالحاء المهملة، ليوافق روى الرجز كله لأنه حائى، وأنا أرجح أن الإبدال غير واقع هنا - على الرغم من قرب المخارج والصفات - لأن الضبط مختلف، فينفخ بضم الفاء وينفخ بفتحها، فالأول من نفخ والثانى من نفخ، والنفخ يناسب النار أيضاً، إذ منه يشتد اللهب ويقوى اشتعاله، ففى القاموس: نفخ الطيب كمنع فاح والريح هبت، وهذا مما يناسب النار، ويقال نفخ بضمه: أخرج منه الريح فعلى هذا كل منهما مادة مستقلة، وليست الحاء بدلا من الحاء على سبيل الشذوذ أو الضرورة<sup>(٣)</sup>، على أن الحاء تبدل من الحاء لتناسب المعانى كما فى النضح والتنضج<sup>(٤)</sup>، ولا مانع من الناحية اللغوية لهذا الإبدال حيث توجد المسوغات، ولكن الذى جعل ذلك شاذاً - فى نظر العلماء - هو عدم استعمال كلمات من هذا النوع، إلا أن الشعراء ربما اضطروا إلى هذا الإبدال كما حدث فى المثال الثانى على وجه التأكيد "فقد أبدل الحاء من الحاء لكان الشح وبعضهم يرويه بالحاء وجمع بينها وبين الحاء لأنهما جميعاً حرفاً حلقاً"<sup>(٥)</sup>.

(١) سر الصناعة ١٩٦/١. (٢) نفسه ١٩٦/١، ١٩٧ وسنخ كل شئ أصله.

(٣) ولكل من المادتين معان أخرى. القاموس ٢٩٩١، ٣٢٠.

(٤) انظر ص ٦١٠ من كتابنا.

(٥) اللسان ٥٠٤/٣، وفى قول العلماء انظر شرح شافية ابن الحاجب للرضى ٢٠٠/٣.

وقد نفى ابن جنى أن يقع الإبدال بين الثاء والحاء "فأما قول من قال فى قول تأبط شراً:

كَأَنَّمَا حَتَّحُوا حُصَا قَوَادِمُهُ      أَوْ أَمْ خَشَفَ بِذِي شَتِّ وَطْبَاقِ

إنه أراد (حشوا) فأبدل من الثاء الوسطى حاء فقد دفعه، وقال: إنه مردود عندنا، والعلة فى فساده أن أصل القلب فى الحروف إنما هو فيما تقارب منها، فأما الحاء فبعيدة من الثاء وبينهما تفاوت يمنع من قلب إحداهما إلى أختها، و(حشث) أصل رباعى و(حشث) أصل ثلاثى وليس واحد منهما من لفظ صاحبه إلا أن حشث من مضاعف الأربعة، وحشث من مضاعف الثلاثة، فلما تضارعا بالتضعيف الذى فيهما اشتبه على بعض الناس أمرهما، وهذا هو حقيقة مذهبنا<sup>(١)</sup> وقد مر ذلك<sup>(٢)</sup>، وفى هذا تطبيق لمبدأ تقارب المخارج فقط، وأنه هو المعتمد لا تقارب الصفات، فالملاحظ أن الثاء والحاء متفقان فى الصفات التى هى الهمس والرخاوة والاستفال والانفتاح والإصمات ولكن ذلك لم يعتمد ابن جنى لبعده المخارج، وقد فر المثال السابق بأن مادة اللفظين مستقلة فى اشتقاقها عن الأخرى، فلا صلة بينهما إلا عند من لا فطنة له بالاشتقاق وأصوله، وهذا يتضح بالرجوع إلى المعاجم اللفغوية<sup>(٣)</sup>، ونحن مع عالمنا فيما ذهب إليه، إذ لا بد أن تكون المخارج متقاربة للحكم بالإبدال ولا بد أيضاً أن تكون الكلمتان متحدتين معنى واشتقاقاً.

### باب الخاء

قال ابن جنى: إن الخاء لا تقع بدلاً، ونفى أن تكون الخاء فى خَمَص الجرح بدلاً من الخاء فى حَمَص قال: فأما ما قرأته على أبى على عن أبى بكر عن بعض أصحاب يعقوب عن يعقوب من أن أبا زيد قال: خَمَص الجرح يَخْمَصُ خُمُوصاً، وَخَمَص يَحْمَصُ حُمُوصاً، وانخمص انخماصاً، قال أبو على: وانحمص انحماصاً، ذكره أبو زيد فى مصادره: إذا ذهب ورمه، فلا يكون الخاء فيه بدلاً من

(١) سر الصناعة ١/ ١٩٧، ١٩٨.

(٢) انظر ص ٦١٧ من كتابنا.

(٣) القاموس، ط الحسينية ١/ ١٦٤.

الخاء، ولا الخاء بدلا من الخاء ألا ترى أن كل واحد من المثالين يتصرف فى الكلام تصرف صاحبه، فليست لأحدهما مزية من التصرف، والعموم فى الاستعمال، يكون بها أصلا ليست لصاحبه<sup>(١)</sup>، وقد طبق ابن جنى قاعدته التى قال بها فى الإبدال هنا، وهى الاعتماد فى معرفة الأصل والفرع على كثرة التصرف، وشيوع الاستعمال، فلتساوى اللفظين عدهما من اختلاف اللهجات، ويؤيد ذلك اختلاف المعنى، فالباحث فى المعاجم يرى لكل مادة منهما معانى مستقلة عن الأخرى فى بعض جوانبها، فمادة حَمَصَ: هى حَمَصَ الجرح: سكن ورمه حمصاً وحموصاً والأرجوحة سكنت فورتها والقذاة أخرجها من عينه برفق، والحمص: أن يترجح الغلام على الأرجوحة من غير أن يرجح، وذهاب الماء عن الدابة، والأحمص: اللص يسرق الحمائم جمع حميصة وهى الشاة المسروقة، وحمَصَ تحميصاً: اصطاد الظباء نصف النهار، وانحمص: انقبض وتضاءل<sup>(٢)</sup>، فكل المعانى التى ذكرها- غير سكون الورم للجرح والانقباض والتضاءل- لا تمت لمعنى التضاؤل بصلة إلا على سبيل التشبيه والمجاز، وهى كثيرة، بل منها ما لا يمكن أن يمت بأية صلة لذلك، مثل ترجح الغلام، واصطياد الظباء نصف النهار، ومادة (خمص) تدل كلها على معنى التضاؤل، وأغلبها على سبيل الحقيقة لا المجاز، وهذه المعانى هى: خمص الجرح وانخمص: سكن ورمه، والخمصة: الجوع وبطن من الأرض صغير لين الموطئ والخمصة المجاعة، وقد خمصه الجوع خمصاً ومخمصة، وخمص البطن مثله الميم: خلا وخميص الحشا: ضامر البطن وتخامص عنه: تجافى والليل: رقت ظلمته عند السحر، والأخمص من باطن القدم: ما لم يصب الأرض<sup>(٣)</sup>.

فإذا كان لكل منهما معان مستقلة على هذا النحو فلا ريب أن كلا منهما لغة مستقلة فلا إبدال بينهما، واتفاقهما من قبيل التوسع المعنوى، إذ معانى التضاؤل والضمور واضح فى مادة (خمص) على سبيل الحقيقة، أما معانى مادة (حمص)

(١) سر الصناعة ١٩٩/١ ولسان العرب ٢٩٧/٨.

(٢) القاموس، ط. الحسينية ٢/٢٩٩. (٣) نفسه ٢/٣٠١.

من صيد الحمائض وسرقتها، والتأرجح وغير ذلك، فلا يمكن اتصالها بمعنى التضاؤل والضمور<sup>(١)</sup> إلا من طريق بعيد، وإذا اختلف معنى المادتين فأولى بهما ألا يكون للإبدال إليهما سبيل، إذ الشرط التقاء المعاني على سبيل الحقيقة، وعلى فرض التسليم بوجود المادتين - بالمعاني المتفقة والتي نص عليها ابن جنى - يمكن أيضاً أن يكون التصحيف سرى إليهما، فنشأت إحدى المادتين عن الأخرى.

### باب الدال

ذكر ابن جنى أنها تبدل من التاء، وأورد الأمثلة الآتية:

١- ازدجر - ازدار - ازدهى - ازدلف... إلخ<sup>(٢)</sup>.

٢- دولج - اجدمعوا.

فَقُلْتُ لِصَاحِبِي لَا تَحْسَبَنَّاهُ بِنَزْعِ أَصُولِهِ وَاجْدَزْ شَيْعًا<sup>(٣)</sup>

التوجيه: في الأمثلة الأولى يقول ابن جنى: إن (الزاي لما كانت مجهورة وكانت التاء مهموسة، وكانت الدال أخت التاء في المخرج وأخت الزاي في الجهر، قربوا بعض الصوت من بعض، فأبدلوا التاء أشبه الحروف من موضعها بالزاي، وهى الدال، فقالوا: ازدجر وازدار)<sup>(٢)</sup>، وفي الأمثلة الثانية يقول: "وقد أبدلوا الدال من تاء تولج فقالوا دولج"<sup>(٤)</sup> وهذا ما قال به سيبويه، فالدال بدل من بدل إذ التاء بدل من الواو، والدال بدل من التاء<sup>(٥)</sup>، وقد قلبت تاء افتعل دالا مع الجيم في بعض اللغات<sup>(٣)</sup>.

(١) ومع أخذ ابن جنى له من الشيء الخميض الضامر في الأول والخمصة لأنها صغيرة مجتمعة في الثاني فلاننا نشاهد أن الاشتقاق الأول على سبيل الحقيقة، لأن ضمور البطن قد يكون بعد التضخم، أما الخمصة فإنها باقية على حال الضمور منذ بدء وجودها. سر الصناعة ١/ ١٩٩.

(٢) نفسه ١/ ٢٠٠.

(٣) في اجدمعوا واجدز أبدلت التاء المهموسة دالا مجهورة لتقرب من الجيم للمجهورة، ومن نفس مخرج التاء، إذ الدال والتاء من مخرج واحد. سر الصناعة ١/ ٢٠٠، ٢٠١.

(٤) نفسه ١/ ٢٠٢. (٥) لسان العرب ٣/ ٢٢٤.

واتحاد المخرج بين الحرفين، والاتفاق فى صفات كثيرة مثل الشدة والاستفال والانفتاح والإصمات ييسج التبادل بين الحرفين، والخلاف بينهما فى الجهر والهمس، فإذا جهرت التاء صارت دالا، وإذا همست الدال صارت تاء، ولا ريب أن الجهر من خصائص البدو، والهمس من خصائص الحضرة، فلا مانع من أن يكون التطور الصوتى فى مثل: اجتمعوا إلى اجدمعوا وتولج إلى دولج من خصائص بعض القبائل البدوية، والصيغ التى بالتاء من خصائص بعض الحضرة، وابن جنى صرح بأن ذلك من اختلاف اللهجات، وهو رأى سوى.

### باب الدال

جذوت وجثوت - قرأ فما تلعم وتلعم - قرب حذحا وحثحات.

التوجيه: جعل ابن جنى كلا من الكلمتين فيما سبق من الأمثلة أصلا مستقلا بنفسه، وليس بدلا من صاحبه، وهذا على ما بدا له من تصرف كل منهما تصرف الآخر (بالنسبة للمثالين الأولين) وعلى ذلك فهما لغتان، يقول ابن جنى: "وأما قولهم جذوت وجثوت: إذا قمت على أطراف أصابعك، وقرأت على أبى على:

إِذَا شِئْتُ غَثَّيْتُ دُهَاقِينَ قَرْيَةً وَصَنَاجَةً تَجْدُو عَلَى كُلِّ مَنْسِمٍ<sup>(١)</sup>

فليس أحد الحرفين بدلا من صاحبه، بل هما لغتان، وكذلك قولهم أيضا قرأ فما تلعم وما تلعم، وقولهم قَرَبَ حَذْحَاذٌ وَحَثَحَاتٌ: إذا كان سريعا وهو طلب الماء، ليس أحدهما بدلا من صاحبه، لأن حثحاتا من قول تأبط شرًا (كأنما حَثَحُوا حَصًا قَوَادِمُهُ... إلخ) أى أسرعوا به، وحَذْحَاذٌ من معنى الشيء الأحَدُ، ويقال صريمة حَدَاءً: إذا كانت ماضية، وحذحاذ وإن لم تكن من لفظ الأحَدُ فإنها قريبة منه<sup>(٢)</sup>.

ونحن نرى أنه لا مانع من التبادل، لأن مخرجهما واحد وصفاتهما متحدة إلا فى الجهر والهمس، ولكن لنا ملاحظة على المثال الأول، فقد ادعى ابن جنى

(١) دُهَاقِينَ: بائع الخمر - صَنَاجَةً: من تلعب بالصنج - مَنْسِمٍ: أطراف الأصابع.

(٢) سر الصناعة ٢٠٣/١، ٢٠٤.



أن الجشو والجذو بمعنى واحد، وهو القيام على أطراف الأصابع، وليس ذلك مسلماً له، ولا لمن تابعه، بل إن الجشو يكون على الركب، والجذو يكون على أطراف الأصابع، وبذلك اختلف معنى كل من اللفظين، فلا إبدال بينهما، والباحث في المعاجم يرى أن معنى جذا أعم من معنى جثا، ففي مادة (جذو) يقول الفيروزبادي: "جذا جذواً بالفتح وكسَمَوْ: ثبت قائماً كأجذى أو جثا أو قام على أطراف أصابعه"<sup>(١)</sup> فالتشابه حدث من قبيل الاتفاق في بعض المعاني، وبهذا يعد كل منهما أصلاً مستقلاً، لأن شرط الإبدال اتحاد المعنيين، ونحن مع ابن جني في المثال الثالث، فقد اختلف المصدر الذي اشتق منه كل من اللفظين، فالاتفاق بينهما حدث -بعد مراحل الاشتقاق- من قبيل المشاكلة اللفظية، مع اختلاف أصل كل منهما، ويؤيد ذلك وجود كل من المادتين بمعان مستقلة في قواميس اللغة.

مادة حَثَّ: حَثَّ عليه واستحثَّ وأحثه واحثه وحثه وحثته: حَضَه فاحتثَّ لازم متعد، والحُثُّوْتُ: الكثير، والسريع والمنكِّرة من المعزى والحُثُّوْتُ: السريع أيضاً وحثحث: حرك والبرق: اضطرب في السحاب<sup>(٢)</sup>.

مادة (حذ): الحذُّ: القطع المستأصل حَذَّ: قطعه قطعاً سريعاً مستأصلاً، والحذذ: السرعة والخفة، وقيل للقطاة حذاءً لقصر ذنبها مع خفتها، وسمى سقوط الوتد في الكامل حذذاً، لأنه قطع سريع مستأصل وبهذا قال ابن جني: لما قطع آخر الجزء قل وأسرع انقضاؤه وفناؤه، واليمين الحذاء: السريعة يقطع بها الحق<sup>(٣)</sup> والاحذ: الخفيف اليد والضامر، والأمر الشديد المنكر<sup>(٤)</sup>، ففي كل من المادتين نرى اتجاهاً مختلفاً عن الآخر، فالأولى يدور معناها حول التحاض والسرعة، والثانية حول القطع الذي قد يتسبب عنه الإسراع والخفة، فكل منهما أصل برأسه، وقد أصاب ابن جني حين قال: إن الأولى مأخوذة من حثحث والثانية من معنى الشيء الاحذ. فاختلف الاشتقاق ولكنهما التقتا بمشاكلة لفظية على ما ترى.

(١) القاموس المحيط، ط. بولاق ٤/ ٣٦١، ٣٦٢. (٢) نفسه، ط. الحسينية ١/ ٢٦٤.

(٣) اللسان ١٥/ ٥. (٤) القاموس ط الحسينية ١/ ٣٥٢.

## باب الرءاء

قال ابن جنى إن الرءاء لا تكون بدلاً<sup>(١)</sup> ولكنه أتى بأمثلة يشتبه فى تصور الإبدال فيها بين الرءاء واللام، وخرجها - بحسب ما رأى - وأتى ببعض الأمثلة الأخرى يوضح بها مبدأ الاشتقاق الأكبر - ومبناه على الإبدال كما نعلم - بين الرءاء واللام أيضاً وها هى ذى:

(١) جَرَبَانَةٌ وَجَلْبَانَةٌ وقال: قرأت على أبى على الحميد بن ثور:

جَلْبَانَةٌ وَرَهَاءٌ تُخْصِي حِمَارَهَا      بَقِي مَن بَقِيَ خَيْرًا إِلَيْهَا الْجَلَامِدُ<sup>(٢)</sup>

(٢) نثرة ونثلة: الدرع عامة أو الواسعة منها<sup>(٣)</sup>.

(٣) قَرْمَةٌ. قَلَمْتُ أَظْفَارِي<sup>(٤)</sup> - بيضة عرماء وقطيع أعرم - العلم والعلامة<sup>(٥)</sup> (جبر) - (جبل)<sup>(٥)</sup>.

التوجيه: قال ابن جنى: إنه لا إبدال فى المثال الأول، بل كل من الكلمتين أصل "فأما قولهم امرأة جربانة وجلبانة إذا كانت صخابة فليس أحد الحرفين فيه بدلاً من صاحبه<sup>(٦)</sup>. ويدل على أن جلبانة وجربانة أصلان غير مبطل أحدهما من صاحبه وجودك لكل واحد منهما أصلاً متصرفاً، واشتقاقاً صحيحاً، فأما جلبانة فمن الجَلْبَةِ والصياح لأنها الصخابة، وأما جربانة فمن جَرَبِ الأمور وتصرف فيها... والتجريب والدربة وفق الصخب لأنه ضد الحياء والخفر<sup>(٦)</sup>. ولكن هذا الكلام من ابن جنى غير دقيق، فالباحث يرى أن الكلمة الأولى (جربانة) أبدلت فيها الرءاء من اللام فى الكلمة الثانية (جلبانة) وذلك لوضوح الاشتقاق والمعنى الحقيقى فيها، فجلبانة من مادة (جلب) التى تدور حول معنى إحداث ما يزعج، مثل "جلبه يجلبه جلباً واجتلبه: ساقه من موضع إلى آخر، فجلب هو، وانجلب، والجلب محركة ما جلب من خيل أو غيرها، واختلاط الصوت كالجلبة، وجلب لاهله: طلب واحتال كأجلب، وعلى الفرس: رجره ورعد مجلب: مصوت،

(١) سر الصناعة ٢٠٥/١. (٢) نفسه نفس الصحيفة. (٣) نفسه ٢٠٦/١.

(٤) الخصائص ١٤٧/٢. (٥) نفسه ١٤٩/٢. (٦) سر الصناعة ٢٠٥/١، ٢٠٦.

وجلب الدم: ييس، وتوعد بشر، ومن معنى الجلبة: شدة الزمان والجوع، والجلب: الجناية... إلخ<sup>(١)</sup> وهذا كله يتناسب حقيقة مع معنى الصخب الذى يدل عليه لفظ جلبانة.

وأما مادة "جرب" فلها معان كثيرة ليس بينها معنى الصخب المشار إليه، ومنها: الجرب معروف والجرية بالكسر: المزرعة والقَرَّاح من الأرض والجربياء ككيمياة الشمال أو بردها، والريح بين الجنوب والصباء، والرجل الضعيف وجربان القميص بالكسر والضم: جيبه وجربان السيف: حده أو شيء يجعل فيه، وجربه تجربة اختبره إلخ<sup>(٢)</sup>.

فمن هذا يبدو أن اللام هى الأصل، والراء بدل منها، لوضوح المعنى الحقيقى للفظين، وأن المادة الأولى هى أصل الاشتقاق، والدرية والمران التى ادعى ابن جنى موافقتها للصخب غير مناسبة لسوء الخلق والصياح والجلبة<sup>(٣)</sup>، وأما عن المثال الثانى فقد قال: "ينبغي أن يكون الراء بدلا من اللام لقولهم نثل عليه درعه ولم يقولوا نثرها فاللام أعم تصرفاً. فهى الأصل<sup>(٤)</sup>."

ويدل على جواز التبادل بينهما فى هذا المثال تقارب المعنى، فالذى يرجع إلى مادتي (نثر- ونثل) يرى أن المعانى متقاربة فى كليتهما فهى تدور حول التفريق ونقل الشيء من مكان إلى غيره، فمادة (نثر) معروفة فى التفريق، ومادة نثل أيضاً يقال: نثل الركبة ينثلها نثلاً: أخرج ترابها، واسم التراب الثقيلة والثالة، ونثل كنانته نثلاً: استخرج ما فيها من النبل، وكذلك إذا انفضت ما فى الجراب من الزاد، ونثل الفرس راث. ونثل اللحم فى القدر: وضعه فيه مقطعاً<sup>(٥)</sup> إلخ... ويقال قد نثل درعه ينثلها: صبها، ونثلها: ألقاها عنه، ولم يقولوا: نثرها، فلا

(١) القاموس المحيط، ط. بولاق ١/٥٥. (٢) نفسه ١/٥٣.

(٣) ووصف صاحب اللسان (جلبانة) بقوله: مصونة صخابة كثيرة الكلام سيئة الخلق صاحبة جلبية ومكالة ١/٤٦٠، ٤٦١ وكما ينقل ابن جنى نفسه عن ابن الاعرابى أنه يقال جاءك خاصى العير إذا وصف بقلة الحياء. سر الصناعة ١/٢٠٥.

(٤) سر الصناعة ١/٢٠٦. (٥) اللسان ١٤/١٦٨، ١٦٩.

مانع أن تكون اللام هي الأصل ولا مانع أن تكون الراء هي الأصل - أيضاً - واللام بدل منها، وربما نشأت الكلمة باللام للشغة في اللسان، أو نقول: إن كل كلمة أصل برأسها لأنها مشتقة من مادة تؤيد معنى الدرع ولبسها وخلعها عن بدن الإنسان فتكون من اختلاف اللهجات.

وأما الأمثلة الأخيرة ففيها مناسبة بين الحروف والمعاني فالقَرَمَة هي الفقرة تحز على أنف البعير، وقريب منه قَلَمَت أظفاري، لأن هذا انتقاص للظفر وذلك انتقاص للجلد والراء أخت اللام.

وقالوا بيضة عرماء وقطيع أعرم إذا كان فبهما سواد وبياض، وإذا وقع ذلك بان أحد اللونين من صاحبه فكان كل واحد منهما علماً لصاحبه<sup>(١)</sup> "واستعملوا تركيب (جير) و(جبل) لتقاربهما في موضع واحد وهو الالتصام والتماسك، منه الجبل لشدته وقوته، ومنه جبرت العظم ونحوه: أى قوته<sup>(٢)</sup>. وعلى كل فالتبادل صحيح بين اللام والراء لاتحادهما مخرجاً وصفة".

### باب الزاي

أوضح ابن جنى أن الزاي تبدل من السين ومن الصاد.

الأمثلة: شزب وشسف وشسب بمعنى أى ضَمَر<sup>(٣)</sup> - رقر فى سقر - رقعاء فى صقعاء - ازدقى فى اصدقى - مزدر فى مصدر<sup>(٤)</sup>.

التوجيه: واضح من عرض ابن جنى لاتحاد معنى الكلمات الثلاث الأولى وأنها بمعنى ضممر أنه يوافق على أن الزاي فيها تبدل من السين، ولكننا نرى أنه حكى أيضاً أن الأصمعى فصل، فقال: الشارب الذى فيه ضمور وإن لم يكن مهزولاً، والشارب والشاسف الذى به يس، وقد حكم بأن إحداهما ليست بدلاً من الأخرى، ليس على تقدير الخلاف فى المعنى ولكن على تقدير تصرف الفعلين

(٢) نفسه ١٤٨/٢.

(١) الخصائص ١٤٧/٢.

(٤) نفسه ٢٠٨/١.

(٣) سر الصناعة ٢٠٧/١، وضممر كنصر وكرم.

جميعاً<sup>(١)</sup> - ونحن نرى أن خلاف المعنى - إن صح - هو الذى يحسم النزاع، ويجعل كلا من الكلمتين ذاتى الزاى والسين أصلاً برأسه، إلا أن أصحاب المعاجم يخلطون بين المعنيين، كقول صاحب اللسان فى شزب: الشارب الضامر اليابس من الناس وغيرهم<sup>(٢)</sup> وقول الفيروزابادى: الشارب الخشن والضامر اليابس<sup>(٣)</sup> وفرق بين ما هو يابس من أصله فى الوجود وبين ما كان غرضاً سميئاً ثم هزل وضمّر، وأما الأمثلة الأخيرة وأشباهها فقد أبنا عن توجيهها فى حديثنا عن اللهجات<sup>(٤)</sup>.

### باب السين

لم يصرح ابن جنى فى أول الباب بأنها تبدل من غيرها - كما هى عادته فى ذلك - بل اكتفى بقوله: يكون أصلاً وزائداً، ولكنه أورد أمثلة وجدت فيها الكلمة بالتاء والسين أو السين والشين وناقشها - على ما رأى - ونحن نورد رأيه ونناقشه فيه.

الأمثلة: استَخَذَ فلان أرضاً بمعنى اتَّخَذَ<sup>(٥)</sup>. السده والشده ورجل مسدوه فى معنى مشدوه<sup>(٦)</sup>.

فَلَوْ كُنْتُ وَرَدًا لَوْنُهُ لَعَسَقْتَنِي وَلَكِنْ رُبِّي سَانَتِي بِسَوَادِيَا<sup>(٧)</sup>

التوجيه: لاشك أن مخرجى التاء والسين مختلفان، فالتاء من طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا، والسين من طرفه أيضاً، إلا أنه مع أصول الثنايا السفلى،

(١) نفسه ٢٠٧/١. (٢) اللسان ٤٧٦/١. (٣) القاموس ١٠٣/١.

(٤) الخصائص ١٤٤/٢ يقول ابن جنى: «ومنه تقريب الحرف من الحرف نحو قولهم فى نحو مصدر مزدور وفى التصدير التزدير وعليه قول العرب فى الثل لم يحرم من فزد له أصله فصد له ثم أسكنت العين فلما سكنت الصاد فضعفت به وجاورت الصاد وهى مهموسة الدال وهى مجهورة قُرِيت منها بأن أُشِمَّت شيئاً من لفظ الزاى المقاربة للدال بالجهر». وانظر ص ٣٩٤-٣٩٧ من كتابنا.

(٥) سر الصناعة ٢٠٩/١. (٦) نفسه ٢١٠/١.

(٧) نفسه ٢١٤/١.



ويختلفان في الشدة والرخاوة والصفير، وقد أجاز الدكتور أنيس وقوع الإبدال بينهما إلا أننا قلنا فيما سبق إن بينهما من الحروف (ص - ز) مما يجعل المخارج متباعدة وهو المعتمد في الإبدال، وابن جنى قد فسر المثال الأول على وجهين فقال: وفي ذلك عندنا قولان: أحدهما: أنه يجوز أن يكون أصله اتخذ ووزنه افتعل من قوله عز وجل ﴿لَوْ شِئْتَ لَتُخَذَتْ عَلَيْهِ جُزْأً ۖ﴾ [الكهف] ثم إنهم أبدلوا من التاء الأولى التي هي فاء افتعل شيئاً كما أبدلوا التاء من السين في ست لأن أصلها سدس فلما كانت التاء والسين مهموستين جاز إبدال كل واحدة منهما من أختها، والقول الآخر: أنه يجوز أن يكون أراد استخذ أى استفعل فحذفت التاء الثانية التي هي فاء الفعل كما حذفت التاء الأولى من قولهم تَقَى يَتَقَى وأصله اتَقَى يتَقَى فحذفت التاء الأولى التي هي فاء الفعل<sup>(١)</sup>.

ورأينا أن الإبدال غير مستساغ، فلما أن تكونا لغتين، وتكون السين من خصائص قبائل البادية، وتلحق بما يسمى بالوتم، أو نرجع القول الثاني لابن جنى، وأما السده والشده فقد قال ابن جنى: ينبغي أن يكون السين فيه بدلاً من الشين، لأن الشين أعم تصرفاً<sup>(٢)</sup>، ولسنا معه في وقوع الإبدال على هذا النحو، وذلك لتباعد المخارج فالسين من طرف اللسان مع أطراف الثنايا السفلى، والشين من وسط اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى، والمعول عليه في التقارب والتباعد هو المخارج على ما مضى من حديث ابن جنى نفسه، ويمكن أن نفسر ذلك بأنه ليس لغة بل لثغة تلتحق بالنطق العربي عندما يتكلم بذلك شخص أجنبي، وهذا ما صرح به ابن جنى في المثال الثالث قال: بعد إنشاده البيت السابق: إنما قلب<sup>(٣)</sup> الشين شيئاً لسواده، وضعف عبارته عن الشين، وليس ذلك بلغة وإنما هو كاللثغ<sup>(٤)</sup> ويؤكد ذلك عدم وجود (سده) ولا (عسق) ولا (سان) في قواميس اللغة<sup>(٥)</sup>، ومما يظن كذلك أن يكون للتصحيف أثر فيه.

(١) انظر التاء والسين ص ٦٧٣، ٦٧٤ من كتابنا.

(٢) لم يقل ابن جنى بالإبدال بين الحروف المتباعدة المخارج، ولذلك لم يقطع برأى في إبدال السين من الشين هنا. انظر ص ٦١٦، ٦١٧ من كتابنا.

(٣) أى الشاعر وهو سحيم عبد بنى الحساس. (٤) نفسه ٢١٤/١.

(٥) انظر أبواب القاف والنون والهاء في القاموس ولسان العرب.

## باب الشين

لم ينبه ابن جنى فى أول الباب على أن الشين تبدل من غيرها من الحروف، بل اكتفى بقوله: يكون أصلاً لا غير<sup>(١)</sup>. وقد تحدث فى أثناء الباب عن إبدالها من الجيم والسين والكاف وهذه هى أمثله:

إِذْ ذَاكَ إِذْ حَبِلُ الْوَصَالِ مُدْمَشِ<sup>(١)</sup>

جُعْشُوشٌ وَجُعْسُوسٌ - تَسَمَّتْ مِنْهُ عِلْمًا وَتَشَمَّتْ<sup>(١)</sup> - عِلِيشٌ - مَنْشٌ.

فَعَيْنَاشَ عَيْنَاهَا وَجِيدُشَ جِيدُهَا سَوَى أَنْ عَظَمَ السَّاقِ مَنْشٍ دَقِيقٌ<sup>(٢)</sup>

التوجيه: صرح ابن جنى بأن أصل مُدْمَش (مُدمج) فالشين بدل من الجيم<sup>(١)</sup>، واتحاد المخرج بينهما والاتفاق فى بعض الصفات - إذ هما من وسط اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى ومتفقان فى الاستفال والانفتاح والإصمات - يبيح التبادل بينهما، ولكنهم قالوا إنه لم يوجد مثال آخر لذلك، وقال ابن عصفور: إنه أبدل الجيم شينًا لتتفق القوافى ولا يحفظ غيره<sup>(٣)</sup> ولم ينبه ابن جنى على ذلك، وأما جُعْشُوشٌ وَجُعْسُوسٌ فقد جعل ابن جنى "الشين بدلا من السين ألا ترى أن السين أعم تصرفًا من الشين لوجودك إياها فى الواحد والجمع جميعًا" وقال فى خصائصه: "قال الأصمعى يقال: جُعْشُوشٌ وَجُعْسُوسٌ وكل ذلك إلى قَمَاءَ وَقَلَّةَ وصغر<sup>(٤)</sup>" ويقال هم من جعاسيس الناس ولا يقال بالشين فى هذا، فضيق الشين مع سعة السين يؤذن بأن الشين بدل من السين، نعم والاشتقاق يَعُضُّدُ كون السين غير معجمة هى الأصل، وكأنه اشتق من الجَعَسِ صيغة على فُعْلُولٍ وذلك أنه شبه الساقط المهيمن من الرجال بالخُرَّةِ لذلّه ونَتْنَه<sup>(٥)</sup>، ولكن مقياس كثرة التصرف لا يعتمد عليه هنا لجواز أن تكون مادة (جعش) موجودة إلا أن الرواة لم يصلوا إليها، ومن الجائز أن تكون الشين هى الأصل،

(١) سر الصناعة ٢١٥/١ . (٢) نفسه ٢١٦/١ .

(٣) الأشمونى مع العينى ٣٣٥/٤ .

(٤) فى سر الصناعة إلى قماء وصغر وقلة ٢١٥/١ .

(٥) ٨٧ ، ٨٦/٢ .

وقد نشأت السين عنها بطريق التصحيف، أو أنهما لغتان لقييلتين مختلفتين، والذي دعانا إلى القول بذلك أن السين والشين وإن اتفقا في كثير من الصفات كالهمس والرخاوة والاستفال والانفتاح والإصمات فهما متباعدان مخرجا؛ فالأول من طرف اللسان مع أطراف الثنايا السفلى والثاني من وسطه مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى، وبينهما في ترتيب المخرج حروف كثيرة هي - على ما رأى ابن جنى وسيبويه<sup>(١)</sup> (ي - ض - ل - ر - ن - ط - د - ت - ص - ز) وقد صرح ابن جنى نفسه بأن اشتقاق جعسوس (من الجعس) إنما هو على التشبيه لا على سبيل الحقيقة وذلك مطلوب في الحكم بالإبدال.

وأما تنسمت وتنشمت فقد كان ابن جنى الحكم الفاصل فيهما برأى شديد، فقد قال: "فأما قولهم تنسمت منه علما وتنشمت فليس واحد من الحرفين بدلا من صاحبه لأن لكل واحد منهما وجهًا قائمًا. أما تنسمت فكأنه من النسيم كقولك: استروحت منه خبرًا فمعناه: أنه تلطف في التماس العلم منه شيئًا فشيئًا كهبوب النسيم. وأما قولهم: تنشمت فمن قولهم: تنشمت في الأمر أي ابتدأته، ولم أوغل فيه وكذلك تنشمت منه: أي ابتدأت بطرف من العلم من عنده ولم أتمكن فيه"<sup>(٢)</sup> فهذا أوضح اختلاف الاشتقاق فلا إبدال بينهما، وأما عlish ومنش ونحوهما فهو مما عرف بالكشكشة عند ربيعة ومضر<sup>(٣)</sup> ومخرج الحرفين متباعدا، فالكاف من أقصى اللسان، والشين من وسطه، واتفاقهما في بعض الصفات كالهمس والاستفال والانفتاح والإصمات لا يسوغ الإبدال، لأن المعول عليه هو المخرج فهما - ونحوهما - من قبيل اختلاف اللهجات كما ذكر أستاذنا الدكتور نجا، وصرح ابن جنى نفسه بأن ذلك مما ينسب إلى بعض العرب وقفا، ومنهم من يجرى الوصل مجرى الوقف<sup>(٤)</sup> وذكر اسم اللهجة ونسبها إلى ربيعة<sup>(٥)</sup>.

(١) على خلافهما في تقدم الضاد وتأخرها عن الشين.

(٢) سر الصناعة ٢١٥/١ و ٢١٦.

(٣) اللهجات العربية د. نجا ٦٤ واللغة الشاعرة ٦٠.

(٤) سر الصناعة ٢١٦/١. (٥) الخصائص ١١/٢.

## باب الصاد

ذكر ابن جنى أنها تبدل من غيرها<sup>(١)</sup> وقد ناقش أمثلة وردت بالزاي والصاد والسين والصاد هي:

١- صمصمة وزمزمة<sup>(٢)</sup> - صلهب وسلهب<sup>(٣)</sup>.

٢- كأنما يساقون ويصاقون في قوله تعالى: ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ...﴾ [الأنفال] - مس سقر وصقر في قوله تعالى: ﴿ذُوقُوا مِنْ سَقَرٍ﴾ [٤٨] ﴿القمر] - سخر، صخر - وأسبغ عليكم نعمه وأصبغ في قوله تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً...﴾ [٢٥] [لقمان] - سراط وصراط - سقت وصقت - صويق وصويق<sup>(٣)</sup>.

التوجيه: لا مانع من التبادل بين الزاي والسين والصاد لأنها من مخرج واحد من طرف اللسان مع أطراف الثنايا السفلى، وتشترك فيما بينها في الرخاوة والصفير والإصمات، بجانب اشتراك السين والزاي في الاستفال والانفتاح، واشتراك السين والصاد في الهمس، وقد عد ابن جنى كلا من صمصمة وزمزمة أصلاً قائماً برأسه وقال: "ليس أحد الحرفين بدلاً من صاحبه، لأن الأصمعى قد أثبتهما معاً، ولم يجعل لأحدهما مزية على صاحبه"<sup>(٢)</sup> ويؤيد رأى ابن جنى ما ورد في معاجم اللغة فكل من اللفظين من مادة مستقلة لها معانيها الخاصة، فصمصمة مشتق من مادة (ص م م) التي تدور معانيها حول القوة والصلابة والمناعة، ومن ذلك: حجر أصم وصخرة صماء: صلب مصمت، والصماء: الناقة السمينه واللاقح والأرض الغليظة والداهية الشديدة، والأصم: الرجل لا يطمع فيه ولا يرد عن هواه والحية لا تقبل الرقى، والصمة بالكسر: الشجاع والأسد، وصمم في الأمر والسير تصميمًا: مضى كصمصم، والسيف: أصاب

(١) سر الصناعة ٢١٨/١.

(٢) نفسه ٢١٩/١ وانظر في الأمثلة المزهرة، ط. الأولى، ٢٢٥/١، ٢٢٦.

(٣) سر الصناعة ٢٢٠/١ وانظر الخصائص ١٤٢/٢، ١٤٣.

المفصل، والصمصام: السيف لا يثنى، وكزبرج: الغليظ القصير والجريء الماضي، وبهاء: وسط القوم ويفتح، والجماعة واشتعال الصماء وهي كساء<sup>(١)</sup> وزمزمة مشتقة من مادة (زمم) التي تدور معانيها حول إصدار الأصوات واختلاطها، ومن ذلك زم القربة: ملأها فزمت زمومًا: امتلات والبعر: خطمه وتقدم في السير وتكلم، والزمزمة: الصوت البعيد له دوى، وتتابع صوت الرعد وهو أحسنه صوتًا وأثبته مطرًا، وتراطن العلوج على أكلهم وهم صموت لا يستعملون لسانًا ولا شفة، لكنه صوت تديره في خياشيمها وحلقها فيفهم بعضها عن بعض، وصوت الأسد، وبالكسر: الجماعة أو خمسون من الإبل والناس، وقطعة من الجن أو من السباع، وجماعة الإبل ما فيها صغار... إلخ<sup>(٢)</sup>.

ولا شك أن المعنيين قد التقيا على سبيل المجاز، فضلًا عن أن كلا من اللفظين قد انفرد عن الآخر ببعض المعاني الواضحة في النص السابق، كاستعمال الصمصمة في اشتعال الصماء وهي كساء، وفي وسط القوم واستعمالها في الاكمة الغليظة التي كادت حجارتها أن تكون متصبية<sup>(٣)</sup>، والزمزمة بالقطعة من الجن، وبتحديد العدد بخمسين، على أنه عند فتح الحرفين المكسورين تبقى الصمصمة بمعناها، وتنصرف الزمزمة إلى الصوت البعيد الذي له دوى، وبهذا نرى أن اللفظتين لم تتفقا من جميع الوجوه، سواء المعنى أو الضبط، والمطلوب تحقيقه في الإبدال.

وأما صلهب وسلهب فقد تردد ابن جنى في رأيه فيهما، وقال: "يجوز أن تكون الصاد فيه لغة ويجوز أن تكون بدلًا من سين سلهب، لأنه أكثر تصرفًا من صلهب"<sup>(٤)</sup>، ومع كثرة التصرف فإننا لاحظنا اتجاه المعاجم اللغوية إلى التسوية بينهما في الاستعمال؛ فصاحب اللسان يقول "الصلهب من الرجال الطويل وكذلك السلهب"<sup>(٥)</sup> وصاحب القاموس يروى تصرفًا للمادتين فيقول "الصلهب الرجل الطويل كالصلهب البيت الكبير والشديد من الإبل، واصلهب الأشياء:

(١) القاموس، ط. بولاق، ١٦٣/٤.

(٢) نفسه ١٤٧/٤. (٣) لسان العرب ٢٤١/١٥.

(٤) سر الصناعة ٢١٨/١. (٥) اللسان ٥٣١/١.



امتدت على جهتها<sup>(١)</sup>، "والسلب الطويل أو من الرجال ج: سلاهة، ومن الخيل ما عظم وطال عظامه كالسَلْهَة وهي الجسيمة والسَّلهابة: الجريرة كالسَّلهاب بكسرهما<sup>(٢)</sup>، والذي يبدو أن الكلمة بالسين لهجة وبالصاد لهجة أخرى، والصاد في لغة البدو لتلائم التفخيم الذي يلجأ إليه سكان الصحراء والسين عند الحضرة.

وصرح ابن جنى بأن الصاد تبدل من السين فقال: "إذا كان بعد السين غين أو خاء أو قاف أو طاء جار قلبها صادًا"<sup>(٣)</sup>، وهذا ينطبق على الأمثلة الأخيرة وقد أوضحنا ذلك في حديثنا عن اللهجات<sup>(٤)</sup>.

وقد أجرى ابن جنى لوئًا من إمساس الألفاظ أشباه المعانى على ألفاظ وردت بالزاي والصاد مثل علّوز وعلّوص وبالسّين والصاد مثل سعد وصعد وسد وصُدّ وقسم وقصم والوسيلة والوصيلة فالكلمة بالزاي أو السين تناسب معنى، وبالصاد تناسب معنى آخر<sup>(٥)</sup> وسنذكر ذلك في حديثنا عن الاشتقاق الأكبر.

### باب الضاد

ذكر ابن جنى أنها لا تكون بدلا<sup>(٦)</sup> وناقش أمثلة وردت بالضاد والصاد وبالبضاد والظاء.

١- نضض لسانه ونصنصه: حركه، وتضوك في خرثه وتضوك<sup>(٦)</sup>.

٢- إلی اللّٰه أشکو من خلیلٍ أودّه ثلاث خصالٍ كلّها لی غائضٌ أراد: غائظ.

التوجيه: ناقش ابن جنى المثال الأول والثاني على أن كلا منهما لا إبدال فيه، بل كل من اللفظين أصل إذ "ليست الصاد أخت الضاد فتبدل منها".

(١) القاموس ط بولاق ١/ ١١٠، ١١١. (٢) نفسه ١/ ٩٩.

(٣) سر الصناعة ١/ ٢٢٠. (٤) انظر ص ٣٩٤ - ٣٩٧ من كتابنا.

(٥) الحصائص ٢/ ١٤٨ و ١٦٠ و ١٦١.

(٦) سر الصناعة ١/ ٢٢١ وبين الصاد والضاد بعد في المخرج فالصاد من طرف اللسان مع أطراف الثنايا السفلى والضاد من جانب اللسان أو من كلا الجانبين وبينهما ل- ر- ن- ط- د- ت إلا أنهما يشتركان في بعض الصفات كالإطباق والإصمات وذلك لا يصح به التبادل.

والباحث في المعاجم يرى أن مادتي نصنص ونضنض متقاربتان معنى، فالأولى تدور حول الحركة والانتقال والحث، والثانية تدور حول الحركة والانتقال والحث والقلة، ومن الأولى: نصَّ ناقته: استخرج أقصى ما عندها من السير، والشئ: حرَّكه، ونَصَّصَ غريمه: استقصى عليه ونصنصه: حرَّكه وقلقله، ونص المتاع جعل بعضه فوق بعض<sup>(١)</sup> إلخ، ومن الثانية: نصَّ الماء: سال قليلا قليلا أو خرج رشحا ونُضَاضة الماء وغيره بالضم: بقيته وأنصَّ الحاجة: أنجزها ونضنض فلانا أقلقه وتنضنضته استحثته<sup>(٢)</sup>، فكل منهما على هذا مشتق من مادة مستقلة، فهما لغتان، ولا يستبعد أن يكون التصحيف قد تطرق إلى اللفظين، وأصل المادة بالضاد أو الصاد، وكذلك تَضَوَّك في خمرته وتضوَّك رواهما صاحب اللسان بمعنى واحد، وتضوَّك في عذرتة تضوَّكنا وبالضاد كذلك تلتطخ، رواها اللحياني عن أبي زياد بالضاد المعجمة، وعن الأصمعي بالصاد المهملة<sup>(٣)</sup>، وهذا مما اعتقد تصحيف التصحيف إليه، أما المثال الأخير فمخرج الضاد والظاء أيضا مختلف، فالضاد العربية من جانب اللسان أو من كلا الجانبين، والظاء من طرف اللسان مع أطراف الشنبا، وبينهما في المخرج حروف كثيرة: ل - ر - ن - ط - د - ت - ص - ز - س - ء ويزيد على ذلك عند سيبويه - ج - ش - ي، وهما وإن تقاربا في بعض الصفات كالجهر والاستعلاء والإطباق والإصمات فإن المعول عليه هو المخرج، وقد خرج ابن جنى هذا المثال على أحد وجهين: إبدال الضاد من الظاء أو "أن يكون غائض غير بدل ولكنه من غاضه أي نقصه فيكون معناه أنه ينقصني ويتهضمني"<sup>(٤)</sup>، ومعنى البيت يحتمل التخريج الأول والثاني فرما يكون الشاعر من قوم يفضلون الضاد على الظاء وهم التميميون، يقولون: فاضت نفسه، على حين يقول الحجازيون: فاظت بالظاء، فتكون الكلمة بالضاد في لهجة وبالظاء في لهجة أخرى. فالضاد بما فيها من الشدة يفضلها التميميون، والظاء الرخوة يفضلها الحجازيون، قال ابن سيده - في حديثه عن ضروري: حكى عن أبي عمرو اطروري بالظاء، ورواية أبي زيد اطروري، وأبو عمرو ثقة وأبو زيد أوثق منه،

(١) القاموس، ط. الحسينية ٣١٩/٢، ٣٢٠. (٢) نفسه ٣٤٥/٢، ٣٤٦.

(٣) اللسان ٣٤٥/١٢ و٣٤٩. (٤) سر الصناعة ١/٢٢٢.

وقد سألت عنه بعض فصحاء الحجاز فوافقوا أبا زيد<sup>(١)</sup>، وعلى التخريج الثانى يمكن تفسير البيت بأن خصال الصديق تضر بالشاعر وتقضى على بعض حقوقه وتكون الكلمة من غاضه أى نقصه وتهضمه حقه<sup>(٢)</sup> وحيثذ فلا إبدال.

### باب الطاء

تحدث ابن جنى عن إبدال الطاء من تاء افتعل فقال: "وأما البديل فإن تاء افتعل إذا كانت فاؤه صادًا أو ضادًا أو طاءً أو ظاءً يقلب طاءً ألبته... وذلك قولك من الصبر: اضطبر ومن الضرب: اضطرب ومن الطرد: اطرده ومن الظهر: اظطهر بحاجتى... وأصل هذا كله: اصتبر واضترب واطترده واطتهر، ولكنهم لما رأوا التاء بعد هذه الأحرف، والتاء مهموسة، وهذه الأحرف مطبقة، والتاء مخففة قربوها من لفظ الصاد والضاد والطاء، بأن قلبوها إلى أقرب الحروف منهن وهو الطاء، لأن الطاء أخت التاء فى المخرج، وأخت هؤلاء الأحرف فى الإطباق، والاستعلاء وقلبوها مع الطاء طاءً أيضاً لتوافقها فى الجهر والاستعلاء وليكون الصوت متفقاً<sup>(٣)</sup> وهذا التبديل نتيجة تأثر الأصوات ببعضها ببعض، إذ لا يمكن النطق بالتاء المهموسة المستقلة بعد الحروف المطبقة، فدعا ذلك إلى نوع من التماثل والانسجام، فحولت التاء إلى طاء، لتماثل الصاد وأخواتها فى الإطباق والاستعلاء، وهذا ما أوضحه أستاذنا الدكتور نجما حين قال: "إذا رجعنا إلى كتب التصريف عند عرضها لصيغة افتعل وبنائها من كلمة مبدوءة بحرف مطبق وجدنا أن السياق والانسجام يدعو إلى تحويل التاء وهى صوت مستفل إلى الطاء ليحصل التماثل ويتم الانسجام"<sup>(٤)</sup> وهو بهذه الصورة التى تحدث عنها ابن جنى يدعى فى

(١) المخصص ٨٠/٥، ضرى - كرضى ورمى -: سال، والضرى: الماء، وعرق ضرى: لا يكاد يتقطع دمه، واطرورى: أتخّم - بالطعام - وانتفخ بطنه، وقيل فيها: اطرورى - بالطاء. واطرورى - بالضاد. القاموس ٣٥٧/٤، ٣٥٨.

(٢) اللسان ٦٥/٩ وقد نسب ابن منظور رأى ابن جنى إلى ابن سيدة وليس صحيحاً لأن ابن جنى هو صاحب رأى إذ هو المتقدم.

(٣) سر الصناعة ٢٢٣/١. (٤) الأصوات والتجويد ٧٩.

الاصطلاح الحديث باسم المماثلة، وقد تحدثنا عن نوعيها التقدمي والرجعي فيما سبق، وقلب تاء افتعل على الصورة السابقة من النوع التقدمي الذي يتأثر فيه الصوت الثاني بالاول<sup>(١)</sup> وقد يقلبون التاء من جنس الحرف الاول مثل اصْبَر واضْرَب، واظْهَر ومظْهَر<sup>(٢)</sup> وهذا من النوع التقدمي الذي يتأثر فيه الصوت الثاني بالاول أيضاً، ويروى في اظطلم أربعة أوجه، الاول هو السابق وهو تأثر تقدمي ويقال فيه: اظْلَم وهو تقدمي كسابقه، ويقال اظْلَم بالطاء فتبدل الظاء طاء وتدغم الطاء في الطاء وذلك لما بين الظاء والطاء من المقاربة في الإطباق والاستعلاء<sup>(٣)</sup> وهذا التأثير رجعي تأثر فيه الصوت الاول بالثاني<sup>(٤)</sup> إلى حد أنه فنى فيه<sup>(٥)</sup> ويقال: انظلم<sup>(٦)</sup> وهو انفعّل ويعرف في علم الأصوات الحديث باسم المخالفة وهي أن الكلمة قد تشتمل على صوتين متماثلين كل المماثلة فيقلب أحدهما إلى صوت آخر لتتم المخالفة بين الصوتين المتماثلين<sup>(٧)</sup> فلا يعدو الأمر أنه قد لجئ إلى عملية المخالفة ليخالف بين الظاءين المتجاورتين بأن أبدلت إحداها نوياً ليزيد النطق تيسيراً<sup>(٨)</sup> وقد سبق بيان ذلك في حديثنا عن أسباب الإبدال<sup>(٩)</sup>، وهذا النوع الذي أطلق عليه علماء الأصوات المحدثون اسم المماثلة قد طبقه اللغويون العرب على تاء فعلت تشبيها لها بتاء افتعل فيقلبونها طاء حين يقع قبلها حرف من حروف الإطباق أيضاً مثل فحْصَطُ برجلي، إذ أصلها فحْصَتُ، وقول الشاعر:

وَفِي كُلِّ حَيٍّ قَدْ خَبَطَ بِنَعْمَةٍ      فَحَقُّ لَشَاسٍ مِنْ نَدَاكَ ذَنْوبٌ<sup>(١٠)</sup>

(١) نفسه ٨٠ . (٢) سر الصناعة ٢٢٤/١ . (٣) الأصوات اللغوية ١٢٩ .  
(٤) سر الصناعة ٢٢٥/١١، شبه الشاعر إصابة الممدوح الناس بالنعم بخبط الراعى ورق الشجر، والشاعر علقمة بن عبدة التميمي الملقب بالفحل يشفع عند الحارث بن أبي شعر الغساني في أسارى بني تميم، وفيهم أخوه شاس. انظر: الشعر والشعراء لابن قتيبة، وتاريخ ابن الأثير - الكامل.

(٥) الأصوات اللغوية ١٥٢ وانظر في ذلك الخصائص ١٤١/٢ .

(٦) الأصوات اللغوية ٥٥ .

(٧) انظر ص ٦٣٥، ٦٣٦ من كتابنا.

وهي لغة تميم كما يقول صاحب المخصص، قالوا: فَحَصَّطَ بِرَجْلِكَ، يريدون: فَحَصَّتْ وَحَصَّطَ يريدون حَصَّتْ<sup>(١)</sup>، فالتميمون يفضلون الحرف الشديد وهو الظاء المفخمة المستعلية المطبقة على حين يفضل الحجازيون التاء المهموسة المرققة المستفلة المنفتحة، وقد تحدث ابن جنى عن مبدأ المماثلة المذكور ودعاه بأنه تقريب الصوت من الصوت وسلكه في باب الإدغام<sup>(٢)</sup>.

### باب الظاء

لم يدق ابن جنى قبل أن يختار الرأى الذى يراه، فقد ذكر أن الظاء لا تكون بدلا<sup>(٣)</sup> ولكنه عاد فقال: إن 'القياس أن تكون الظاء بدلا من الذال فى وقيد ووقيظ'<sup>(٤)</sup> وقد ناقش مثالين أحدهما بين الظاء والذال والثانى بين الظاء والطاء:  
(١) تركته وقيدًا ووقيظًا<sup>(٥)</sup>.

(٢) البرطلة (ابن الظل) - ناطور ونواطير، ومُسْتَنْطِر<sup>(٦)</sup>.

التوجيه: تحدث ابن جنى عن إبدال الظاء من الذال، وحكمه بالتبادل صحيح، لاتفاقهما فى المخرج والصفات ماعدا الاستعلاء والإطباق فى الأول، والاستفال والانفتاح فى الثانى، إلا أنه جعل الذال أصلا لأنها أعم تصرفا لقوله عز اسمه: ﴿وَالْمَوْقُوذَةُ...﴾ [المائدة] بالذال، ولقولهم: وَقَذَهُ يَقْذُهُ ولم يسمع وقْظُهُ ولا موقوْظُهُ<sup>(٥)</sup> وهذا معروف عنه من الحكم بالأصالة والفرعية تبعا للشيوخ وعدمه ولكنه غير دقيق فقد ذكر الفيروزابادى: وَقْظُهُ كوعده: وقْظُهُ وعلى الأمر: دام ووقِظَ به فى رأسه بالضم كَوَقِظَ بالطاء والوقيظ: المثبت الذى لا يقدر على النهوض<sup>(٧)</sup> فالمادة الثانية متصرفة أيضا، واللائق بالأمر أن تكون الظاء فى بيئة

(١) المخصص ١٣/ ٢٧٠. (٢) الخصائص ١٣٩/ ٢ - ١٤٥.

(٣) سر الصناعة ١/ ٢٣٢ واللسان ٧/ ٧١ و ٧٢.

(٤) سر الصناعة ١/ ٢٣٣، وقْظُهُ: الوقْظُ: شدة الضرب، ووقْظُهُ: صرعه، وتركه عليلا وغلبه.

القاموس ٢/ ٣٧٤. (٥) سر الصناعة ١/ ٢٣٢.

(٦) نفسه ١/ ٢٣٢. (٧) القاموس، ط. الحسينية ٢/ ٤٠٠.



بدوية تميل إلى التفخيم والأصوات المستعلية المطبقة وأن تكون الذال من خصائص  
بيثة حضرية تميل إلى الترقيق والأصوات المستفلة المفتحة.

وقال ابن جنى: إن الظاء لا توجد فى كلام النبط، وإذا وقعت فيه قلبوها  
طاء وقد ذكرت المعاجم اللغوية أن تلك الكلمات التى استشهد بها ابن جنى غير  
عربية حقيقة فلا توجد مادة (ن ط ر) فى اللغة العربية، وإنما هى ما يقابل مادة (ن  
ظ ر) وقد فسر ابن جنى البرطلة بقوله: (ابن الظل) وذلك لأن الأصمعى يقول:  
بر: ابن والنبط يجعلون الظاء طاء فكأنهم أرادوا ابن الظل، والبرطلة: المظلة  
الصفية نبطية، وقد استعملت فى لفظ العربية<sup>(١)</sup> والناظر والناطور من كلام أهل  
السواد: حافظ الزرع والتمر والكرم قال بعضهم: وليست بعربية محضة<sup>(٢)</sup> وقال  
الفيروزبادى: والناطور حافظ الكرم والنخل أعجمى<sup>(٣)</sup> والإبدال لا يتأتى بين الطاء  
والظاء لاختلاف مخرجيهما، إذ بينهما من الحروف: د-ت-ص-ز-س،  
وبينهما اختلاف فى بعض الصفات، فالكلمتان إذا مستعملتان فى لغتين مختلفتين  
عربية ونبطية، ولا إبدال بينهما كما ذكر ابن جنى، ولذلك أتى اللفظ على أصله  
بالظاء المعجمة فى قول الشاعر: (أنشده ابن الأعرابي)

وشفَّ فؤادى أن للعذبِ ناظرًا حماءُ وأنّى لا أعيجُ بمالحٍ<sup>(٤)</sup>

### باب العين

ذكر ابن جنى أن العين تكون بدلا<sup>(٥)</sup> من الهمزة ومن الحاء فيما يعرف لغويًا  
باصطلاحى العننة والفحفة كما تبدل من الغين، ومن أمثلة ذلك:

- (١) أعن ترسمت من خرقاء منزلة ماء الصبابة من عينيك مسجوم<sup>(٥)</sup>  
تعرضت لى بمكان حيل تعرضاً لم تال عن قتلا لى<sup>(٦)</sup>  
رجل عنزهو وإنزهو.

(١) اللسان ٥٤/١٣ . (٢) نفسه ٧١/٧ . (٣) القاموس ط. الحسينية ١٤٤/٢ .

(٤) للماء العذب من يحميه من النظار، ولا أعيج بمالح: لا أرتوى بالماء ذى الملوحة.

(٥) سر الصناعة ٢٣٤/١ . (٦) نفسه ٢٣٥/١ .

فَنَحْنُ مِنْعًا يَوْمَ حَرْسٍ نَسَاءَكُمْ      غَدَاةَ دَعَانَا عَامِرٌ غَيْرُ مُعْتَلَى<sup>(١)</sup>  
أَرِنِي جَوَادًا مَاتَ هَزَلًا لَا تُنْسَى      أَرَى مَا تَرَيْنَ أَوْ بِخَيْلًا مُخَلَّدًا<sup>(٢)</sup>  
أَدَيْتُهُ وَأَعْدَيْتُهُ عَلَى كَذَا وَكَذَا: أَي قُوَّتُهُ وَاعْتَتَهُ<sup>(٣)</sup>.

(٢) قَرَأَ بَعْضُهُمْ: "عَتَى حِينَ" يَرِيدُ «حَتَّى حِينَ» [يُوسُف] (٣٥).

(٣) خَضَعَ مَضِيعَ ضَافٍ رَتَعَ (فِي صِفَةِ الْكَلَا) (٣).

التوجيه: نسب ابن جنى العننة لبني تميم فإنهم يقولون في موضع أن: عن ويقولون: ظننت عن عبد الله قائم<sup>(٤)</sup> وقال: إن مجيء النون في العننة يدل على أن إبدالهم إياها إنما هو في همزة (أن) دون غيرها<sup>(٥)</sup>، إلا أن عالمنا ذكر أنهم أبدلوا الهمزة في غير (عن)<sup>(٦)</sup> فيما ورد من الأمثلة سواء كانت أولا أو وسطا ووافقه على ذلك الدكتور أنيس وسماء بالعننة، بل حكى عن الأصمعي صورا أخرى في آخر الكلمة للعننة مثل: كشا اللين = كنع، والتسمى لونه والتنع<sup>(٧)</sup> ويقول: إن استقراء اللغويين لظاهرة العننة استقراء ناقص<sup>(٧)</sup> والظاهر أن العننة كانت خاصة بإبدال همزة (أن) ثم امتد الاصطلاح إلى غيرها، فقد الملح ابن جنى إلى ذلك في كلمته السابقة، إلا أن الأظهر في إطلاق اللقب المذكور أن تكون الهمزة مصدرة كما ذكر أستاذنا الدكتور نجما، ليتحقق الشبه كاملا بهمزة أن<sup>(٨)</sup> ولذلك احتس ابن جنى من إطلاق اسم العننة على نحو معتلى وعزّهو، وقد عرفنا مبلغ عناية القدماء بالدراسة فلا يمكن وصفهم بالقصور فيما اصطلاحوا عليه، وعلى أي وجه يكون القصور؟

(١) نفسه ٢٤٠/١، حرس: أحد جبلين يسميان حرسين وقيل: أحد مائين أو واد بنجد، وغير

معتلى: أي غير مقصر، يقال: ألا الرجل وإلى وائللى: قصر وأبطأ. اللسان ٣٤٨/٧، ٣٤٩،

٤١/١٨. (٢) نفسه ٢٤١/١. (٣) نفسه ٢٤٦/١.

(٤) نفسه ٢٣٤/١، وفي اللسان (١٦٨/١٧) نسبتها لبني تميم وقيس وأسد ومن جاورهم.

(٥) نفسه ٢٣٧/١. (٦) نفسه ٢٤٠/١.

(٧) في اللهجات العربية ط ٣ ص ١١١ وانظر المخصص ٢٧٤/١٣. (٨) اللهجات العربية ٦٣.

والعين والهمزة من حروف الحلق، ومتفقان في بعض الصفات مما يسوغ التبادل بينهما، والانتقال من الهمزة إلى العين هو انتقال من الصعب إلى السهل ويتفق وقانون الإبدال.

وفي المثال (عن قتلا لى) أوضح ابن جنى أنه يجوز أن يكون أراد (أن قتلا لى) فأبدل الهمزة عيناً فهذا أيضاً من عننة نعيم<sup>(١)</sup>، ويجوز أن يكون أراد الحكاية كأنه حكى النصب الذى كان معتاداً من قولها فى بابها أى كانت تقول: قتلا قتلا، ثم حكى ما كانت تلفظ به<sup>(٢)</sup>، وفى (عزوه) جائز أن تكون العين بدلا من الهمزة وجائز أن تكونا أصليين<sup>(٣)</sup> وقد صرح ابن جنى فى موضع آخر بعكس ذلك، وهو أن تكون الهمزة بدلا من العين فقال: "ويجوز عندى فى إنزوه غير هذا، وهو أن تكون همزته بدلا من عين فيكون أصله عزوه: فتعلو من العزاة: وهو الذى لا يقرب النساء، والتقاؤهما أن فيه انقباضاً وإعراضاً، وذلك طرف من أطراف الزهو، قال:

إِذَا كُنْتَ عِرْهَاءَ عَنِ اللّٰهُوِ وَالصَّبَا فَكُنْ حَجَرًا مِنْ يَابِسِ الصَّخْرِ جَلَمَدًا<sup>(٣)</sup>

والواضح فى كلا الاشتقاقين أنه أخذه من الزهو، والأقرب أن تكون العين مبدلة من الهمزة للتخفيف لا العكس إذ إن ابن جنى نفسه صرح بأن إبدال الهمزة من العين لم تستعمله العرب إلا قليلا، ومن الجائز أن يكونا لهجتين لفريقين من العرب ما دام اشتقاق الكلمة من الزهو، فنطقه بعضهم بالهمزة وآخرون بالعين، وفى معتلى كذلك أبدل العين من الهمزة، ولعل ولال لهجتان، وأما أديته وأعديته فليست الهمزة بدلا من العين أو العكس لاختلاف الاشتقاق، أما أعدى فمن الإعداء ومنه العدو والعداوة لأنها لا تكون إلا مع القوة والشدّة، وأديته أفعلته من الأداة، لأن الأداة يتقوى بها الصانع على عمله، ويجوز أن يكون أديته على كذا أفعلته من الأذى أى كنت له يداً عليه وظهيراً معه، فيكون كقول النبی ﷺ

(١) سر الصناعة ٢٣٦/١ و٢٣٧ واللسان ١٧٨/١٦ . (٢) سر الصناعة ٢٤١/١ .

(٣) الحصائص ٢٢٩/١ وعلى هذا يصبح ملحقاً بباب قندأو وسندأو وحفظأو، وعلى أن الهمزة هى الأصل يلحق بباب جرّحل (انفعل). انظر الحصائص الموضع السابق.

(المسلمون تنكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم) فبعضهم يقوى بعضا... على أنا نعتقد فيه أنه إنما بنى أفعلة من لفظ الأدى بعد أن قلبت همزته عن يدى وإلا فالياء هي الأصل<sup>(١)</sup>.

وقد جوز فيه ابن جنى إبدال الهمزة من العين فقال: وفيه وجه آخر غامض وأيضاً وهو أن يكون أراد أعديته فأبدل العين همزة فصارت أديته ثم أبدل الهمزة ألفا لسكونها وانفتاح ما قبلها واجتماعها مع الهمزة التي قبلها فصارت أديته.

ولكنه ضعف هذا الرأي فقال: على أن في هذا الوجه عندى بعض الضعف وإن كان أبو على قد أجازه، لأننا لم نرهم في غير هذا أبدلوا الهمزة من العين<sup>(٢)</sup>، وتفسير ابن جنى هذا دقيق غاية الدقة.

وأما إبدال العين من الحاء فهو ما يسمى بالفحفة<sup>(٣)</sup> والحاء والعين من حروف الحلق، ويتفقان في صفات الاستفال والانفتاح والإصمات، وهذا كله يسوغ التبادل بينهما، ولذلك قال ابن جنى: لولا بحة في الحاء لكانت عينا. وقد نسب العلماء هذه الظاهرة لهذيل، وأما إبدال العين من الغين فهو مستساغ أيضاً، لأنهما حلقيان ويتفقان في الجهر والانفتاح والإصمات، حكى ابن جنى لأبى فقعس في صفة الكلا (خضع مضع) أراد: أن الإبل تخضع فيه وتمضغه فأبدل الغين عينا<sup>(٤)</sup> للسجع فقبله خضع وبعده رتع، وربما كان للتصحيف دخل في نشأة مثل هذين اللفظين بحيث تفرع أحدهما عن الآخر أو أن ذلك من باب الإتياع.

### باب الغين

ذكر ابن جنى أن الغين لا تكون بدلا<sup>(٥)</sup> وقد ناقش أمثلة وردت في اللغة بالحاء والغين ولم يجزم بالإبدال في شيء منها وها هي ذى:

(١) سر الصناعة ٢/٢٤٢-٢٤٥ وانظر لسان العرب ٢٧/١٨، ٢٦٦/١٩ والقاموس المحيط، ط. بولاق، ٤/٣٤٦، ٤١٨.

(٢) سر الصناعة ١/٢٤٥، ٢٤٦، ولسان العرب ٩/٤٢٧، ١٠/٣٣٤.

(٣) نفسه ١/٢٤٦. (٤) نفسه ١/٢٤٧.

خَطَرَ بيده يَخْطِرُ وَغَطَرَ يَغْطِرُ - لَعْنَى وَلَغْنَى وَرَغْنَى - اَرْمَعْلُ وَارْمَعْلُ - عَلَتْ  
الطعام وَغَلَتْه - النَّشُوعُ وَالنَّشُوعُ.

قَبَّحْتَ مِنْ سَالِفَةٍ وَمِنْ صُدُغٍ كَأَنَّهَا كُشِيَةُ ضَبٍّ فِي صُقْعٍ<sup>(١)</sup>  
حَتَّى إِذَا مَا هَوَتْ كَفَّ الْعِلَامُ لَهَا طَارَتْ وَفِي كَفِّهِ مِنْ رِيَشِهَا بَتَكٌ<sup>(٢)</sup>

التوجيه: تردد ابن جنى فى إثبات الإبدال فى بعض هذه الأمثلة، وعبارته  
تنم عن هذا التردد، فتارة يأتى بلفظ (كَانَ) وتارة أخرى بكلمة (ينبغى) وثالثة  
ينسب القول بالإبدال إلى غيره فيأتى بكلمة (أراد) أى فلان غيره وهكذا.

ففى خطَرَ وَغَطَرَ . . . تردد بين أن تكون الغين بدلا من الخاء، أو تكون كل  
منهما أصلا فى إحدى اللهجات، قال: وقالوا: خطَرَ بيده يَخْطِرُ وَغَطَرَ يَغْطِرُ  
فالغين كأنها بدل من الخاء، لكثرة الخاء وقلة الغين وقد يجوز أن يكونا أصليين إلا  
أن أحدهما أقل استعمالا من صاحبه<sup>(٣)</sup> وفى (لغنى . . . إلخ) قال: ينبغى أن  
يكون الغين فيه بدلا من العين لسعة العين فى الكلام، وكثرتها فى هذا المعنى وقلة  
الغين<sup>(٣)</sup> وفى (ارمعلٌ وارمغلٌ وعَلَتْ الطعام وَغَلَتْه وَالنَّشُوعُ وَالنَّشُوعُ قال: إنها  
لغات كلها لاستوائها فى الاطوار والاستعمال<sup>(٤)</sup> وفى صقغ حكى القول بالإبدال  
عن أبى بكر محمد بن الحسن بن مقسم أحد شيوخه فقال: أراد صقغ بالعين  
فأبدلها غينا<sup>(٤)</sup> وفى المثال الأخير أوضح ابن جنى أن الغلام بالغين معروف والعلام  
بالعين الصقر وعلى هذا فلا إبدال لاختلاف المعنى على كل<sup>(٤)</sup>.

ونحن نلمح عدم جزمه بالإبدال فى المثالين الأولين وإخلاله بمقياسه - كثرة  
الشيوع والاستعمال - فى المثال الأول لحكمه بأن كلا من اللفظين لغة على الرغم  
من أن أحدهما أقل استعمالا من صاحبه<sup>(٣)</sup>، وظاهر أن العلاقة الصوتية بين الخاء

(١) السالفة: صفحة العنق أو أعلاه، والصدغ: ما بين العين والأذن، وكشية الضب: أصل ذئبه،

أراد الشاعر: قَبَّحْتَ يا سَالِفَةً من سَالِفَةٍ، وَقَبَّحْتَ يا صَدُغٍ من صَدُغٍ فَحَذَفَ لَعْلَمَ الْمُخَاطَبِ  
وَنَحْرِيكَ (صَدُغٌ وَصُقْعٌ) لِلشَّعْرِ أَوْ لُغَةً كَمَا قَالَ ابْنُ سَيِّدِهِ. اللسان ٣٢٢/١٠، ٦٠/١١،

(٢) سر الصناعة ٢٤٧/١، ٢٤٨، ولسان العرب ٣١٥/١٥.

٨٩/٢٠.

(٣) نفسه ٢٤٧/١.

(٤) نفسه ٢٤٧/١.



والغين والعين والغين تسوغ التبادل فكلها حروف حلقيّة، وتتفق الخاء والغين فى الرخاوة والاستعلاء، وتتفق العين والغين فى الجهر والانفتاح والإصمات.

ويبدو أن خطرَ وخطرَ ولعنى ولغنى ورغنى لهجات لقبائل عربية، فالغين للبدو لميلهم إلى الحروف المجهورة والمستعلية، والحاء والعين للحضر وهو المشهور فى كتب اللغة، وارمعلّ وارمغلّ قد وردا فى القواميس العربية متساويى الاستعمال بالفاظهما ومعانيهما، يقال: ارمعلّ الثوبُ: ابتل، وقيل: كل ما ابتل فقد ارمعلّ، وارمعلّ الدمع وارمعنّ: سال فهو مُرمِعِلٌ ومُرمِعِنٌ، وارمعلّ الشئ: تتابع، وقيل: سال فتتابع، وارمغلّ مثله تماماً فى التصرف السابق<sup>(١)</sup>.

وكذلك علّث وغلّث - يقال: علّث الشئ يعلّثه علثاً وأعلّثه: خلّطه، وطعام عليث وغلِيث<sup>(٢)</sup>، ومادة (غلث) على نحو من هذا<sup>(٣)</sup> ولعل إحداهما ناشئة عن الأخرى بطريق التصحيف، والمثالثان - بعد ذلك - عرفت مادة كل منهما بالعين فى القواميس دون الغين، فالنشع: انتزاعك الشئ بعنف إلخ... وورد النشوع والنشوغ بمعنى السعوط والوجور الذى يوجره المريض أو الصبى، والسعوط فى الأنف والوجور فى الفم، ويقال: نشع الطيب: شمّه<sup>(٤)</sup> ولم يعرف نشغ، ومادة صقع معروفة، صقعه كمنعه: ضربه، وصقع الديك: صاح، وبه الأرض: صرعه، والصاقعة: الصاعقة<sup>(٥)</sup> والصقغ: ناحية الأرض والبيت<sup>(٥)</sup> ولم تعرف صقغ بالغين.

فالظاهر أن المادتين بالغين فيهما ناشتتان بطريق التصحيف، ولذلك تردد ابن سيده فى المثال الثانى (صقغ) فقال: فلا أدري أهو هرب من الإكفاء أم الغين فى (صقغ) وضع<sup>(٦)</sup> (أى وضع لغوى مسموع) وقد رواها كذلك أبو عمرو، قال ابن جنى: فإذا كان الأمر على ما رواه أبو عمرو فالحال ناطقة بأن فى صقع لغتين: العين والغين جميعاً وأن يكون إبدال الحرف للحرف<sup>(٦)</sup>.

(١) لسان العرب ٣١٧/١٣ والقاموس المحيط، ط. بولاق ٤٤٦/٣.

(٢) اللسان ٤٧٤/٢، ٤٧٨.

(٣) اللسان ٢٣٢/١٠. (٤) القاموس المحيط، ط. الحسينية ٥٠/٣.

(٥) اللسان ٧٠/١٠. (٦) نفسه ٧٠/١٠، ٧١، ٣٢٢.

وهذا تردد من ابن جنى فى قبول (صُقغ) بالغين إلا أنه أذعن للقبول لأن راوى بيت الشعر الذى فيه صقغ أبو عمرو، وهو من الشقات، ولعله من التصحيف، ولا يجرح ذلك ثقة العلماء من أمثال أبى عمرو، لأن التصحيف نشأ بعد تدوين اللغة، وربما لم يروه أبو عمرو إلا بوجه واحد عرض للتصحيف فيما بعد، ومن الجائز أيضاً أن تكون رواية الغين صحيحة، وقد حوّل الشاعر العين غيناً لإصلاح الشعر، وأما النشوغ فالتصحيف ظاهر فيه، ويدل على عجيب أمر التصحيف وتسريه فى مثل ذلك ما رواه ابن جنى فى كلمة العلام فى بيت الشعر السابق إذ إن الكلمة بالعين لا غير لأن البيت فى وصف قطاة يطاردها صقر، وما قبله وما بعده من الأبيات فى وصف الصقر الذى يطارد القطاة<sup>(١)</sup> وإذا فلا معنى لأن تكون الكلمة هنا بالغين إلا أن التصحيف تطرق إليها.

ومن هنا تعجب ابن جنى كيف ترد مثل هذه الكلمة بالغين فى هذا البيت من الشعر: وقال: وهذا من طريف الرواية وغريب اللغة<sup>(٢)</sup> وليس بين مادتي علم وغلم أية مناسبة أو قرب<sup>(٣)</sup>.

### باب الفاء

قال ابن جنى إنها تأتى بدلاً<sup>(٤)</sup> من الشاء، وذكر الأمثلة الآتية:

قام زيد فم عمرو وثم عمرو - جدف وجدث - فناء الدار وثناؤها - عافور وعائور - نَفَى وَثَنَى لما نفاه الرشاء من الماء عند الاستقاء - فوم وثوم.

التوجيه: جعل ابن جنى الفاء بدلاً من الشاء فى المثالين الأولين، وقال عن الأول منهما: الفاء بدل من الشاء فى (ثم) ألا ترى أنه أكثر استعمالاً<sup>(٥)</sup> وقال عن

(١) البيت لزهير بن أبى سلمى، وانظر ما ذكرناه عنه فى ديوانه بشرح الأعلام الشتمرى، ط ١٣٢٣هـ، ص ٤٣-٤٦، وبشرح ثعلب. ط. دار الكتب، ١٣٦٣هـ-١٩٤٤م، ص ١٦٩-١٧٨.

(٢) سر الصناعة ١/٢٤٨.

(٣) القاموس المحيط، ط. بولاق، ١٧٨/٤، ١٨٢.

(٤) سر الصناعة ١/٢٤٩. (٥) الخصائص ٢/٨٤.

الثاني: والوجه أن تكون الفاء بدلا من الثاء، لأنهم قد أجمعوا في الجمع على أجدات ولم يقولوا: أجداف<sup>(١)</sup> وأما فناء الدار وثناؤها فقد جعلهما أصليين لاختلاف الاشتقاق، فقال: وأما فثاؤها فمن فثى يفتى، لأنها هناك تفتى، لأنك إذا تناهيت إلى أقصى حدودها فثيت، وأما ثناؤها فمن ثنى يثنى، لأنها هناك أيضا تنثنى عن الانبساط لمجىء آخرها وانقضاء حدودها<sup>(٢)</sup> وبذلك وجدنا لثاء من الاشتقاق ما وجدناه لفناء ألا ترى أن الفعل يتصرف منهما جميعا<sup>(٣)</sup> وهذا تفسير صحيح، لأن المعنيين حيث قد التقيا بطريق الاتفاق والمجاز، وأما عافور وعاثور فقد جوز - كما ذهب يعقوب بن السكيت - أن تكون الفاء بدلا من الثاء وجوز أن يكون قولهم: وقعوا في عافور فاعولا من العفر، لأن العفر من الشدة أيضا، ولذلك قالوا: عفريت لشدته، ويشهد لهذا قولهم: وقعنا في عُفْرَة: أى اختلاط وشدة<sup>(٤)</sup> وبذلك يكون كل منهما أصلا لاختلاف الاشتقاق، وجوز في نقي ونثى الوجهين أيضا، فقال: أما قولهم لما نفاه الرشاء من الماء عند الاستقاء نقي ونثى فأصلان أيضا لانا نجد لكل واحد منهما أصلا نرده إليه واشتقاقا نحمله عليه، فأما النقي ففعل من نقيت لأن الرشاء ينفيه ولا مة ياء بمنزلة رمى وعصى وأما النثى ففعل من ثا الشيء يثو: إذا أذاعه وفرقه لأن الرشاء يفرقه وينشره، ولأم الفعل واو، لأنها لام نشوت وهو بمنزلة سري وقصى وقد يجوز أن يكون الثاء بدلا من الفاء<sup>(٥)</sup>، ويؤنسك بجوار كون الثاء بدلا من الفاء إجماعهم في بيت امرئ القيس:

ومرَّ على القنان من نقيانه      فأنزل منه العصم من كل منزل

على الفاء ولم نسمعهم قالوا نثوانه<sup>(٦)</sup>.

والذي نراه أنه لا مانع من التبادل بين الفاء والثاء، للعلاقة الصوتية بينهما، فهما متجاوران مخرجا، لأن الفاء شفوية أسنانية، والثاء من طرف اللسان مع

(١) سر الصناعة ٢٥٠ / ١ . (٢) نفسه ٢٥١ / ١ .

(٣) نفسه ٢٥٢ / ١، القنان: اسم جبل، ونفيان السحاب: ما نفاه من مائه فأساله، أو هو ما ينفى رشا أو بردا في أول المطر، والعصم: جمع أعصم، وهو الوعل، والعصمة: بياض في رجله. ومعنى البيت: إن المطر عم الجبل حتى أنزل ساكنيه من الأوعال. اللسان ٢٩٩ / ١٥، ٢٢٩ / ١٧، ٢١١ / ٢٠.

أطراف الثنايا العليا، وليس بينهما حروف فاصلة في الترتيب الصوتي وهما - كذلك - متفقان في جميع الصفات ماعدا الذلاقة للفاء والإصمات للثاء، والمعروف أن الحجازيين يميلون إلى الفاء على حين يميل التميميون إلى الثاء.

وتجوز ابن جنى للإبدال والأصالة في المثالين السابقين أمر مقبول له ما يسوغه من الناحية اللغوية، أما حكمه بأن الثاء أو الفاء هي الأصل لأنها أكثر تصرفاً فهذا مالا نسلمه له بل يجوز أن تكون كل منهما هي الأصل أو أن كل لفظة منهما نشأت في بيئة لغوية خاصة الفاء للحجاز والثناء لتميم.

وأما القوم والثوم فليست الفاء عنده بدلا من الثاء فقد قال: والصواب عندنا أن القوم: الحنطة وما يختبئ من الحبوب، يقال قومٌ الخبز أى خبزته، وليست الفاء على هذا بدلا من الثاء<sup>(١)</sup>.

وكل ما ذكره ابن جنى عن هذه الأمثلة نقلته المعاجم العربية نصاً وتوسع في ذلك لسان العرب<sup>(٢)</sup>، وقد روى ابن منظور عن الفراء أن القوم مما يذكرون لغة قديمة وهي الحنطة والخبز معاً قال وهي في قراءة عبد الله (وثومها) بالثاء في قوله تعالى: ﴿وَقَوْمَهَا...﴾ [البقرة]، قال: وكأنها أشبه المعنيين بالصواب، لأنه على ما يشاكله من العدس والبصل، والعرب تبدل الفاء ثاء فيقولون: جدف وجدت للقبر، ووقعوا في عافور شر وعائور شر<sup>(٣)</sup> ولكن اختلاف معنى اللفظين يؤكد عدم الإبدال كما ذهب إليه ابن جنى، ووجد في معاجم اللغة ففيها: القوم الزرع أو الحنطة. وأزد السراة يسمون السنبل قومًا، وقال بعضهم: القوم الحمص لغة شامية، والقوم الخبز أيضاً، يقال: قوموا لنا أى اختبزوا<sup>(٤)</sup>.

(١) نفسه، نفس الصفحات.

(٢) انظر لسان العرب ٤٣٣/٣، ٢١٣/٦، ٣٤٨/١٤، ٣٤٩، ٣٥٨/١٥، ١٣٤/١٨، ٢٤/٢٠، والقاموس، ط. الحسينية، ٨٥/٢، ٩٢، ١٢٢/٣، ط. بولاق، ١٠١/٤، ١٨٧، ٤٣٦/٤، ٤٥٨، ٤٥٦/٤، ٤٦٠.

(٣) لسان العرب ٣٥٨/١٥.

(٤) نفسه ٣٥٨/١٥ والقاموس، ط. بولاق، ١٨٧/٤ والاستاذ برجستراسر يوافق الفراء في إبدال =

## باب القاف

رأى ابن جنى أن القاف لا تكون بدلاً<sup>(١)</sup> وناقش ورود كلمات بالقاف والكاف هي:

كُشِطَتْ وَقُشِطَتْ ففى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ [التكوير] - امتكَّ الفصيل ما فى ضرع أمه وامتقَّ.

التوجيه: عد ابن جنى المثال الأول من اختلاف اللهجات ورجح الإبدال فى الثانى، يقول عن الأول: وأخبرنى أبو على قراءةً عليه عن أبى بكر عن بعض أصحاب يعقوب عنه قال: قال الفراء: قرئش تقول كُشِطَتْ وقيس وتميم تقول قُشِطَتْ بالقاف، وليست القاف فى هذا بدلاً من الكاف لأنهما لغتان لأقوام مختلفين<sup>(٢)</sup>، ويقول عن الثانى: الأظهر فيه أن تكون القاف بدلاً من الكاف، لما ذهب إليه أبو على لأنه قال: من هذا أخذ اسم مكة لأنها كَأَلْمَجْرَى للماء فهو ينجذب إليها... فقولُ الجميع: مكة ولم يقولوا: مَقَّةٌ يَقْوَى أن الكاف هي الأصل<sup>(٣)</sup>، والناظر فى العلاقة الصوتية بين الحرفين يراها قوية فكلاهما من أقصى اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى، ويتفقان فى الانفتاح والإصمات والهمس - على رأى المحدثين فى القاف بأنها مهموسة - فلا مانع من التبادل بينهما، وقد فضلت تميم القاف لاختيارها للأصوات المستعلية القوية، وفضلت الحجار الكاف لاستفالتها ورقتها.

أما تقدير ابن جنى بأن الكاف أصل فى (امتكَّ) اعتماداً على كثرة تصرفها واشتقاق مكة منها بالمعنى الذى نقله عن أستاذه وبذلك تكون مادتها أكثر تصرفاً من مادة (مقَّ) فغير مسلّم له من نواح:

= الفاء من الثاء فى فوم وثوم لأن الثوم بالعبرية sum وبالأرامية To-ma بالشين والفاء الناشئين

عن الثاء - التطور النحوى ٢٣، ٢٤.

(١) سر الصناعة ٢٧٨/١ واللسان ٢٥٥/٩.

(٢) سر الصناعة ٢٧٨/١، ٢٧٩.



١- أن ما نقله عن استاذہ ليس إلا وجها واحداً من وجوه كثيرة قيلت في التعليل لتسمية مدينة البيت الحرام بهذا الاسم (مكة)، فقد قيل: سميت بذلك لقلة مائها، وذلك أنهم كانوا يتمكنون الماء فيها أى يستخرجونه، وقيل: سميت مكة لأنها كانت تمك من ظلم فيها والحد أى تهلكه<sup>(١)</sup> ولا صلة للتسمية الثانية المعلن بها بمعنى امتك الفصيل ضرع أمه فلا تفضل بذلك (مق) لأن مق لها معان أخرى غير المعنى المشترك بينهما وهو الامتصاص.

٢- فكما أن مك تستخدم في غير معنى الامتصاص كالإهلاك والازدحام كذلك استعملت (مق) في معان أخرى مثل مققت الشيء أمقه: فتحته، مقق الرجل على عياله إذا ضيق عليهم فقراً أو بخلاً<sup>(٢)</sup>.  
وبهذا لا نجد فرقاً في الاستعمال بين المادتين فلا مانع إذا أن تكون الكاف مبدلة من القاف أو العكس.

على أننا لو قدرنا أن القاف هي الأصل لكان أقرب إلى تسهيل النطق، إذ من العادة أن الإبدال يكون للتخفيف والسهولة، والكاف أسهل نطقاً من القاف بل إن القاف عندما تنحدر إلى مقدم الفم من مخرجها تنقلب كافاً.  
وأيما ما كان الأمر فإن التبادل بينهما ظاهرة لهجية.

### باب الكاف

ذكر ابن جنى أن الكاف لا تكون بدلاً<sup>(٣)</sup> ولكنه ناقش هذا القول حين ذكر أنها تبدل من التاء وقال: أنشدنا أبو على:

يَا ابْنَ الزُّبَيْرِ طَالَمَا عَصَيْكََا      وَطَالَمَا عَنَيْتَنَا إِلَيْكََا

(١) اللسان ١٢ / ٣٨٠.

(٢) نفسه ١٢ / ٢٢٣ وإذا كانت هذه المعاني لا تتصل بالمعنى الأول (الامتصاص) فإن معنى الإهلاك وتفسير مكة عليه (وربما كان هو المقبول) لا صلة له أيضاً بالمعنى الأول وإذا كانت له صلة مجازية فإن صلة المعنى الذى رويته من تضيق الرجل على عياله مجازية مثل تلك الصلة في مك فلا فرق إذا بين المادتين. انظر سر الصناعة ١ / ٢٧٩ ولسان العرب في الموضعين السابقين.

(٣) سر الصناعة ١ / ٢٨٠.

أبدل الكاف من التاء، لأنها أختها في الهمس، وكان سُحيم إذا أنشد شعراً جيداً قال: أَحْسَنْكَ واللّه، يريد: أَحْسَنْتَ<sup>(١)</sup>، والواقع أن التاء والكاف متباعدان مخرجاً، فالكاف من أقصى اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى، والتاء من طرفه مع أصول الثنايا العليا إلا أنهما - على الرغم من ذلك - متفقتان في جميع الصفات وربما كان لذلك أثر في تبادلهما.

ويفسر المحدثون إبدال الكاف من التاء بأن الصوت قد انتقل من مخرجه إلى مخرج آخر، فقد انتقلت التاء من مخرجها متجهة نحو أقصى الحنك<sup>(٢)</sup> ونحن نعرف أن سُحيماً الذي يقول: أَحْسَنْكَ في أَحْسَنْتَ كان ضعيف اللسان فعنده شيء من اللّغ كما قال ابن جنى سابقاً<sup>(٣)</sup> وطريقة الاطفال تجري عكس هذا النمط مثل تَسْب في كَسْب وتله في كله ونحو ذلك لعدم تمكن جهازهم الصوتي من إخراج الكاف التي تصعب عليهم فيبدلون منها التاء<sup>(٤)</sup> وعلى كل فالكاف أصعب من التاء ويبدو أن الناطقين بالكاف في مثل ذلك كانوا من البداية، وقد وصف الأشموني هذه الظاهرة بالاطراد<sup>(٥)</sup> ولعله يقصد بذلك اطرادها في لهجة من اللهجات العربية لا الاطراد العام في كل اللهجات.

### باب اللام

ذكر ابن جنى أن اللام يكون بدلاً<sup>(٦)</sup> من الضاد ومن النون، مثال الأول قول منظور بن حبة الأسدي:

لما رأى ألا دَعَه ولا شَبَعَ      مَالٍ إِلَى أَرْطَاةٍ حَقْفٍ فَالطَّبَجِ

(١) نفسه ٢٨١/١.

(٢) التجويد والاصوات ٨٢ والاصوات اللغوية ١٣٣.

(٣) سر الصناعة ٢١٤/١.

(٤) وقد أورد الدكتور أنيس أمثلة من لغتنا العامية لقلب الكاف تاء مثل (استنجرية) في إسكندرية فانتقل مخرج الكاف متجهاً نحو أصول الثنايا فاستبدل بها التاء. الاصوات اللغوية ١٣٣.

(٥) الأشموني ٢٨٢/٤، ٢٨٣.

(٦) سر الصناعة مخطوطة الأزهر الوجه الثاني من الورقة ٦١.

ومثال الثاني قول النابغة الذبياني:

وقفتُ فيها أصيلاً لا أسألُها      أعيتُ جواباً وما بالرَّبعِ من أحدٍ<sup>(١)</sup>

التوجيه: جعل ابن جنى الضاد من أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس واللام من حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان، وهما متجاوران في ترتيب الحروف عنده<sup>(٢)</sup> وهما بالاصطلاح الحديث من طرف اللسان إلا أن الضاد مع أصول الثنايا العليا واللام مع اللثة العليا، ويتفقان كذلك في الجهر، واللام تنفرد بالانفتاح والاستفال والذلاقة والضاد بالإطباق والاستعلاء والإصمات، ويبدو أن الضاد العريية وإن تقارب مكان خروجها من مكان اللام فإن لها صعوبة في النطق تجعل التبادل بينهما غير مستساغ، وبخاصة لامتيار الضاد بالإطباق، وقد وصف الصرفيون هذا الإبدال بالشذوذ<sup>(٣)</sup> أو التدور<sup>(٤)</sup>، وأما النون فهي من مخرج اللام وهو طرف اللسان مع اللثة العليا، وبينهما الرء في ترتيب الحروف إلا أنها من مخرجهما<sup>(٥)</sup> واللام والنون متفقان في جميع الصفات وهذا يسوغ التبادل بينهما ولكن الصرفيين جعلوا إبدالهما في المثال السابق شاذاً أو نادراً ولا وجه للشذوذ فيه إذ إنه متفق مع قوانين الإبدال الصوتية، وربما كان للمخالفة التي تدعو إلى تغيير أحد المثليين أثر في ذلك التبادل وبخاصة أن الحاجز بينهما غير حصين وهو الألف.

### باب الميم

ذكر ابن جنى أن الميم تكون بدلا من الباء واللام والنون والواو وهذه هي

الأمثلة:

(١) نفسه، نفس الصحيفة.

(٢) سر الصناعة ٥٠ / ١، ٥٢.

(٣) الأشمونى ٢٨٠ / ٤ والقواعد والتطبيقات ص ٤. (٤) التصريح ٣٦٧ / ٢.

(٥) ينظر سر الصناعة ٥٠ / ١، ٥٢ وأصيلال أصله: أصيلاً تصغير أصيل على غير قياس وقبل جمع أصيل على أصلان مثل بعير ويعران ثم صفروا الجمع فقالوا أصيلاً ثم أبدلوا من النون لاما فقالوا أصيلاً والاول أولى لأن الحمل على تصغير المفرد شذوذاً أولى من الحمل على تصغير الجمع شذوذاً، لكثرة مثل: مغيران تصغير مغرب، وعشيشيان تصغير عشية، ونحوهما، والثاني أولى من وجه آخر لسلامته من دعوى الزيادة التي الأصل عدمها. التصريح ٣٦٧ / ٢ والأشمونى ٢٨٠ / ٣.

- ١- مخر وبخر - مازلت راتما وراتباً - رأيته من كثم ومن كثب .  
 فبادرتُ شربها عجلي مثابرةً حتى استقت دون مَحْنَى جيدها نغماً  
 ذكر ابن الأعرابي أنه أراد نغماً<sup>(١)</sup> .  
 ٢- لَيْسَ مِنْ أَمِيرٍ أَمْصِيَامُ فِي أَمْسَفَرٍ .  
 ٣- طامه الله على الخير وطانه : أى جبله .  
 ألا تلكَ نفسٌ طينَ منها حياؤها  
 قنبر - عنبر - قنبلة - (قمبر - عمبر - قنبلة) .  
 يَا هَالِ ذَاتَ الْمَنْطِقِ التَّمَامِ وَكَفُّكَ الْمَخْضَبِ الْبَنَامِ  
 ٤- فم .

التوجيه : الأمثلة الثلاثة من المجموعة الأولى جوز ابن جنى فى كل منها إبدال الميم من الباء وأن تكون كل منهما أصلاً ، وقد بنى ذلك على أساس التصرف والاشتقاق فقال عن مخر وبخر : قال الأصمى بنات مخر وبناء بخر : سحاب يأتين قبل الصيف<sup>(٢)</sup> بيض منتصبات فى السماء . قال طرفة :

كَبَنَاتِ الْمَخْضَرِ يَمَادَنَ إِذَا أَنْبَتَ الصَّيْفُ عَسَالِيحَ الْخَضِرِ

قال أبو على رحمه الله : كان أبو بكر يشتق هذه الأسماء من البخار فالميم على هذا فى (مخر) بدل من الباء فى (بخر) لما ذكر أبو بكر ، وليس بعيد عندى أن تكون الميم أصلاً فى هذا أيضاً ، وذلك لقول الله سبحانه «وَتَرَى الْفَلَكَ فِيهِ مَوَاجِرَ ... ﴿١٦﴾ [فاطر] ، أى ذاهبة وجائية وهذا أمر قد يشاركها فيه السحاب ، ألا ترى إلى قول الهذلى :

شَرِينِ بِمَاءِ الْبَحْرِ ثُمَّ تَرْفَعَتِ مَتَى لُجَجٌ خُضِرَ لَهَنَ نَتِيجُ

(١) سر الصناعة الوجه الثانى من الورقة ٨١ والوجه الاول من الورقة ٨٢ مخطوطة الأزهر .

(٢) قبل الصيف : أى فى أوانه .

فهذا يدل على مخالطة السحاب عندهم البحر، وتركضها فيه، وتصرفها على صفحة مائه، وعلى كل حال فقول أبي بكر أظهر<sup>(١)</sup>، ويوضح ذلك قوله في سر الصناعة: وذلك أن السحاب كأنها تمخر البحر، لأنها فيما يُذهب إليه عنه تنشأ ومنه تبدأ<sup>(٢)</sup>.

وتؤكد هذا الاشتقاق المعاجم اللغوية التي تحدثت عن ثلاث مواد هي: (بخر)<sup>(٣)</sup> من البخار و(بحر)<sup>(٤)</sup> من البحر، وهو الماء الكثير والملح خاصة و(مخر)<sup>(٥)</sup> من قولهم: مخرت السفينة كمنع مخرًا ومخورًا: جرت أو استقبلت الريح في جريها والفلك المواخر التي يسمع صوت جريها، أو تشق الماء، أو المقلبة والمديرة بريح واحدة، وكل المواد الثلاث - كما نرى - يمكن أن تشتق منها (بنات مخر) ولكنها أقرب ما تكون إلى البخار المتصاعد من البحر، ومخرج الميم والباء واحد فهما شفويان، ومتفقان في الجهر والاستفال والانفتاح والذلاقة، وكل ذلك مسوغ للإبدال بينهما، وعليه فلما أن نقول بإبدال أحدهما من الآخر، أو بأن كلا منهما أصل لاختلاف الاشتقاق، ومع قولنا بالإبدال فمن نطق بالميم كان حضريًا ومن نطق بالباء كان بدويًا، وعلى اختلاف الاشتقاق فلا إبدال، بل كل من اللفظين وجد في بيئة لغوية على الوضع المذكور للبدو الباء وللحضر الميم، كذلك في (ما زلت راتما وراتبًا) أجاز ابن جنى الإبدال لكثرة تصرف الباء قال: ظاهر من أمر هذه الميم أن يكون بدلا من باء راتب لأننا لم نسمع في هذا الموضع رتم مثل رتب<sup>(٦)</sup> ثم أجاز مع ذلك كون كل منهما أصلا مستقلا عن الآخر، قال: وتحتمل الميم في هذا عندى أن تكون أصلا غير بدل من الرتيمة وهو شيء كان أهل الجاهلية يرونه بينهم، وذلك أن الرجل منهم كان إذا أراد سفرًا عمد إلى غصنين من شجرتين، وقرب أحدهما من الآخر، فعقد أحدهما بصاحبه، فإذا عاد ورأى

(١) الخصائص ٨٤/٢ - ٨٦.

(٢) سر الصناعة مخطوطة الأزهر الوجه الثاني من الورقة ٨١.

(٣) القاموس المحيط، ط. الحسينية ٣٦٩/١.

(٤) نفسه ٣٦٧/١.

(٥) نفسه ١٣١/٢.



الغصنين معقودين بحالهما قال: إن امرأته لم تخنه بعده، وإن رأى الغصنين قد انحلا قال: امرأته قد خانت. . . والرقمة أيضًا خيط يشد في الأصبع ليذكر الرجل به حاجته، وكلا هذين المعنيين تأويله الإقامة والثبوت فيجوز أن يكون راتم من هذا المعنى<sup>(١)</sup>.

والباحث في المعاجم يرى لكل من رتب ورتم معانى مستقلة بها، وقد حكى الفيروزابادى فى مادة رتم القصة التى ذكرها ابن جنى وقال: ورتم فى بنى فلان نشأ وأخذه غشنى من أكل الرتم وهم رتامى كسكارى وما رتم بكلمة ما تكلم<sup>(٢)</sup> وغالبها يدور حول معنى الإقامة والثبوت حقيقة أو مجازا وكذلك مادة (رتب) رتب رتوبا: ثبت ولم يتحرك وترتب كقنفذ وجندب: الشئ المقيم، الثابت، والمرتبة: المنزلة<sup>(٣)</sup>.

وإذا كان الأمر كذلك كان رأى ابن جنى صائبًا إلا أننى أرى أنه لا داعى إلى اشتقاق الكلمة من الجامد (الرتيمة) ما دام هناك تصرف آخر للمادة، فيجوز أن تكون كل منهما بدلا من الأخرى أو خاصة بقوم دون قوم لاختلاف مادة الاشتقاق، وكذلك رأيت من كشم وكشب، رأيناهم يقولون: قد أكشب لك الأمر إذا قرب ولم نرهم يقولون: قد أكشم، فالباء على هذا أعم تصرفًا من الميم، فالوجه لذلك أن تكون الباء هى الأصل لا الميم، وقد يجوز أن تكون الميم أصلا أيضًا لقولهم أخذنا على الطريق الأكشم أى الواسع والسعة قريبة المعنى من القرب، إلا ترى أنهما يجتمعان فى تسهيل سلوكهما، وأنه لا يتسع الطريق ولا يكثر سابلته إلا لأنه أقصد من غيره والقصد - كما تراه - هو القرب فقد آلا إذا إلى معنى واحد<sup>(٤)</sup> والمادتان موجودتان فى القواميس تشتركان فى معنى القرب: الكشب الجمع والاجتماع والدخول وكشب عليه: حملة وكنائته: نكبها والكشبة بالضم: القليل من

(١) سر الصناعة الوجه الثانى من الورقة ٨١ مخطوطة الأزهر.

(٢) القاموس ط الحسينية ١١٦/٤، ١١٧.

(٣) نفسه ٧١/١، ٧٢.

(٤) سر الصناعة مخطوطة الأزهر الوجه الثانى من الورقة ٨١ والوجه الأول من الورقة ٨٢.

الماء واللبن وكل مجتمع، وأكثبه: دنا منه، وكأثبهم: دنوت منهم<sup>(١)</sup>، (كشم) القناء ونحوه: أدخله في فيه فكسره، وكثاته: نكثها والشيء: جمعه، وأكثمك الصيد: قاربك<sup>(٢)</sup> فالمادتان فيهما معنى القرب الذي جمع بينهما، وبهذا أمكن لكل منهما أن يكون بدلا من الآخر أو مستقلا بنفسه وليست الباء أكثر تصرفا من الميم وهذا كما تصور ابن جني.

ونُعْمًا هي أصل (نُعْمًا) في بيت الشعر السابق، وبذلك قرر ابن جني إبدال الميم من الباء، كما ذكر ابن الأعرابي ولكننا كررنا مرارًا أن كثرة التصرف ليست مقياسًا منضبطًا فمن الجائز إذا أن تكون الميم أو الباء أصلا والميم في لهجة الحضر والباء في لهجة البدو.

وقد أبدلت الميم من لام التعريف في لغة حمير، وعد ابن جني هذا الإبدال شاذًا لا قياس عليه، لأنه لم يسمع غيره، وراوى الحديث هو النمر بن تولب الذي يقال: إنه لم يرو عن رسول الله ﷺ غير هذا الحديث<sup>(٣)</sup> ولكن الميم واللام متحدان صفة وقد يسوغ ذلك التبادل بينهما، وتعرف هذه اللهجة باسم طمطمانيّة حمير، فليس بغريب بعد هذا أن تروى أداة التعريف في بعض اللهجات السامية بالميم، لأن العلاقة الصوتية بين اللام والميم والنون واضحة جلية، فهي أكثر الأصوات شيوعًا في اللغات السامية، كما أنها من الأصوات المتوسطة الشبيهة بأصوات اللين، ولهذا كانت من أسبق الأصوات في نطق الطفل، فهذه الأصوات الثلاثة أصوات قديمة سبقت في نطق الإنسان الأول غيرها من الأصوات<sup>(٤)</sup>.

وقرر ابن جني أن الميم في طامه الله على الخير بدل من النون في طانه وقال: إنا لم نسمع له (طام) تصرفا في غير هذا الموضع<sup>(٥)</sup>.

(١) القاموس ط. الحسينية، ١/١٢١. (٢) نفسه ٤/١٦٩.

(٣) سر الصناعة ٨١ الوجهان وربما بنى ابن جني رأيه على بعد مخرجيهما ولكن هناك شبهة آخر يسوغ هذا التبادل وقد ذكرناه.

(٤) في اللهجات العربية، ط ٣ د. أنيس ١٤٢ وأصل أداة التعريف في العربية من إبدال اللام نونًا.

(٥) سر الصناعة مخطوطة الأزهر الوجه الأول من الورقة ٨٢ ولسان العرب ١٧/١٤٠.

وتبدل الميم من النون إذا كانت ساكنة وقعت بعدها باء مثل قنبر- عنبر- قنبلة\* وإنما قلبت لما وقعت ساكنة قبل الباء من قبَل أن الباء أخت الميم، وقد ادغمت النون مع الميم نحو مَنْ مَعَكَ وَمَنْ مُحَمَّد، فلما كانت تدغم النون مع الميم التى هى أخت الباء أرادوا إعلالها أيضاً مع الباء إذ قد ادغموها فى أختها الميم<sup>(١)</sup> فوجود الباء فى هذا النوع من الامثلة استلزم انتقال النون من مخرجها إلى مخرج الباء، وترتب على هذا الانتقال أن استبدل بالنون صوت نظير لها فى المخرج الجديد، وأقرب أصوات هذا المخرج الجديد إلى النون هو الميم، لأن كلا منهما من الأصوات الشبيهة بأصوات اللين، فضلاً عن أن النون والميم صوتان أنفيان<sup>(٢)</sup> وفى هذا يقول ابن جنى: \* ولما كانت الميم التى هى أقرب إلى الباء من النون لم تدغم فى الباء نحو أقم بكرة لا تقول: أقبراً ولا فى نم بالله نبالله كانت النون التى هى من الباء أبعد منها من الميم أجدر بالآلا يجوز فيها الإدغام فى الباء، فلما لم يصلوا إلى إدغام النون فى الباء أعلوها دون إعلال الإدغام، فقربوها إلى الباء وهو الميم<sup>(٣)</sup>. وكلمة البناء أبدلت فيها الميم من النون لروى الأبيات، ولما فيها من الغنة والهوى، وقد عد هذا الإبدال شاذاً<sup>(٤)</sup> لأن المخارج متباعدة وليس هناك داع لانتقال مخرج الصوت، فالميم حرف شفوئى والنون من طرف اللسان مع اللثة العليا، بيد أنهما متحدان فى جميع الصفات وقد يكون ذلك مع وجوه الشبه السابقة مسوغاً لهذا التبادل، وقد تكون تلك لهجة بدوية.

أما كلمة (فم) فقد جعل ابن جنى الميم بدلاً من الواو وقال: إن أصله (قَوْه) بزنة سَوَط حذفت الهاء تخفيفاً كما حذفت من سنة فيمن قال ليست بسنهاء وعملت مسانهة، ومن شاة وشفة ومن عضة فيمن قال بعير عاضه ومن است، فصار التقدير: (قَوْه) فلما صار الاسم على حرفين الثانى منهما حرف لين كرهوا

(١) سر الصناعة مخطوطة الأزهر الوجه الأول من الورقة ٨١.

(٢) الأصوات اللغوية ١٣٣.

(٣) لعدم وجود الباء بعد النون وهى متحركة لا ساكنة الاشمونى ٣١٩/٤.

حذفه للتنوين فيجحفوا به، فأبدلوا من الواو ميماً لقرب الواو من الميم، لأنهما شفهيان، وفي الميم هُوِيٌّ في القم يضارع امتداد الواو<sup>(١)</sup>. وبنى ابن جنى هذا الرأي على اعتقاده - كالقدماء - بأن مخرج الواو هو الشفة فبذلك يتحد مخرجهما وعليه يسوغ التبادل.

ولكننا أوضحنا أكثر من مرة أن الدراسات الصوتية الحديثة أثبتت أن الواو غير المدية من أقصى اللسان فبعد بذلك مخرجاهما فلا يسوغ الإبدال. وللقدماء رأى آخر يجعل الميم عوضاً لا بدلاً، يقول أبو الهيثم: «لما حذفوا الهاء من فَوْه بقيت الواو ساكنة فاستثقلوها وقوفاً عليها فحذفوها فبقى الاسم فاء وحدها فوصلوها بميم ليصير حرفين حرف يبتدأ به فيحرك وحرف يسكت عليه فيسكن<sup>(٢)</sup>». والميم حرف جلد يمكن الاعتماد عليه<sup>(٣)</sup>، ولا يعترف الأستاذ برجستراسر بأن الميم بدل من الواو ويدعى أنها ميم التميميم الذي هو التنوين في اللغة العربية فكان الرفع fum والحفّض fim والنصب fam والميم فيها لم تنصر نوّناً مع سائر الميمات الانتهائية - أي كسائر الميمات الانتهائية حينما تحولت إلى نون في العربية - بل بقيت على حالها، لأنهم كانوا يتلقونها كأنها أصلية، فأضافوا إليها الإعراب، والتنوين فصارت فمّ. فمّ. فمّا. فنقلت الميم من آخر الكلمة إلى وسطها، ومن أجل ذلك لم يجر عليها القانون الصوتي الذي بمقتضاه أصبحت الميم الانتهائية نوّناً في اللغة العربية<sup>(٣)</sup> ولكن لا دليل لبرجستراسر على دعواه، والاشتقاق يؤيد أن الأصل هو الواو (فاه يفوه فوها)، ولا يتصور أن الميم فيه بمنزلة التنوين وإلا فما أصل الكلمة حيثذا؟ وصور الإعراب التي ذكرها لا تطابق الواقع، إذ الإعراب محله آخر الكلمة لا وسطها وليست الكلمة (فم) من مادة (ف و م) بل من مادة (ف و ه) كما يتضح بالاشتقاق، فالأولى أن تجعل الواو عوضاً كما يقول بعض القدماء.

(١) سر الصناعة مخطوطة الأزهر الوجه الأول من السورقة ٨٠، والعضاء: نوع من النبات تاكله الإبل، ويعبر عاضه وعضيه: يرعى العضاء. اللسان ١٧/٤١٢، ٤١٣.

(٢) لسان العرب ١٧/٤٢١-٤٢٣، وانظر الموضوع بأسره في اللسان ١٧/٤٢١-٤٢٦.

(٣) التطور النحوي ٣٢، ٣٣.

ويتصل قلب الباء ميمًا بما سماه ابن جنى (إمساس الألفاظ أشباه المعاني) مثل حبس وحبس، وعلب وعلم، قالوا حبست الشيء وحبس الشر: إذا اشتد والتقاؤهما أن الشئين إذا حبس أحدهما صاحبه تمنعًا وتعازًا فكان ذلك كالشر يقع بينهما والعلب: الأثر، والعلم: الشق في الشفة العليا، والباء أخت الميم وسنين ذلك في فصل الاشتقاق<sup>(١)</sup>.

### باب النون

ذكر ابن جنى أن النون حرف مجهور أغنُّ يكون بدلًا<sup>(٢)</sup> وقد ناقش أمثلة وردت بالهمزة والنون واللام والنون والميم والنون فهذه الأمثلة التقت فيها النون والهمزة أو اللام أو الميم على سبيل التبادل وها هي ذى:

١- غضبان وسكران.

٢- رغن ورغل (أنف الجبل) - خامن وخامل - لعن ولعل - بن وبيل - هنتت السماء وهنتت.

٣- دهنج البعير ودهمج - قاتن وقاتم<sup>(٣)</sup>.

التوجيه: لم يجزم ابن جنى برأى فى إبدال النون من الهمزة، بل حكاه عن أصحابه اللغويين، وحكى غيره، وحاول تسويغ الوجهتين إلا أنه رجح عدم الإبدال، وفسره على طريق التعويض، قال: "ذهب أصحابنا إلى أن النون فى إعلان فعلى نحو غضبان وسكران وحيران بدل من همزة فعلاء نحو حمراء وصفراء، وإنما دعاهم إلى القول بهذا أشياء، منها أن الوزن فى الحركة والسكون فى إعلان وفعلاء واحد، وأن فى آخر إعلان رائدتين زيدتا معًا والأولى منهما ساكنة كما أن فعلاء كذلك، ومنها أن مؤنث إعلان على غير بنائه إنما هو فعلى كما أن مذكر فعلاء على غير بنائها إنما هو أفعلى، ومنها أن آخر فعلاء همزة وهى علامة التأنيث، كما أن فى آخر إعلان نونًا تكون فى فعلن نحو قمن وقعدن علامة تأنيث<sup>(٣)</sup>، ويبين ابن جنى مسوغات الإبدال بين النون والهمزة - كما يراه -

(١) الخصائص ١٤٧/٢، ١٤٨. (٢) سر الصناعة مخطوطة الأزهر الورقة ٨٣، ٨٤.

(٣) نفسه الوجه الأول من الورقة ٨١.



فيقول: "وأبدلت النون همزة لأن للنون شبهاً بحروف اللين، فالغنة التي في النون كاللين الذي في حروف اللين، ويعتقبان على المحل الواحد، مثل شَرَبْتُ وشَرِبْتُ وجَرَنْفَشَ وجَرَأَفَشَ ويفصل بهما بين العينين فقالوا: عَصَنْصَرٌ وَعَقَنْقَلٌ كما قالوا: غَدَوْدُنٌ، وخفيفد... إلخ، وتحذف النون لالتقاء الساكنين مثل مِلَّانٌ ولكِ اسقني كما تحذف لذلك حروف اللين، مثل غزا القوم وتصبو المرأة، واستعملت النون علامة للإعراب مثل حروف اللين، كما في إعراب الأفعال الخمسة والأسماء الستة والمثنى وجمع المذكر السالم، فلما ضارعت النون حروف اللين هذه المضارعة، وكانت الهمزة قد قلبت إلى كل واحدة من الألف والياء والواو قلبوها أيضاً إلى الحرف الذي ضارعهن وهو النون<sup>(١)</sup>، "والذي يدل على أنهما (أي النون والهمزة) في فعْلان فعلى وهمزة فعلاء) ليسا أصليين بل النون بدل من الهمزة قولهم في صنعاء وبهراء لما أرادوا الإضافة إليهما: صنعائى وبهرائى فإبداهم النون من الهمزة فى صنعاء وبهراء يدل على أنها فى باب فعْلان فعلى بدل من همزة فعلاء"<sup>(٢)</sup>، وحكى ابن جنى تأويلاً آخر لبعض أصحابه، فقال: "ومن حقائق أصحابنا من يذهب إلى أن النون فى صنعائى وبهرائى إنما هى بدل من الواو التى تبدل من همزة التأنيث فى النسب، وأن الأصل صنعائى وبهراوى، وأن النون هناك بدل من هذه الواو كما أبدلت الواو من النون فى قولك: من وآقِدْ وإنْ وقَفْتُ ونحو ذلك"<sup>(٣)</sup>، ثم قال: "وإذا ثبت ذلك فقد ينضاف إليه مقويًا له قولهم فى جمع إنسان: أناسى وفى جمع ظَرَبان: ظَرابى... فالتون أيضاً فى إنسان وظَرَبان بدل من الهمزة لقولهم: ظرابى وأناسى كقولهم صلافى وخبارى"<sup>(٤)</sup>.

ولكننا نرى أنه لا علاقة بين الهمزة والنون، فمخرجهما متباعد ولا يتفقان فى شيء من الصفات سوى الاستفال والانفتاح، وذلك لا يسوغ التبادل بينهما، وأما شبه النون بحروف اللين على النحو الذى ذكره ابن جنى فلا صلة له بالإبدال هنا بوجه من الوجوه، لأن الاعتماد فيه على العلاقة الصوتية المتمثلة فى قرب

(١) سر الصناعة مخطوطة الأزهر الوجه الأول من الورقة ٨٤.

(٢) نفسه الوجه الثانى من الورقة ٨٣.

المخارج والصفات بين المتبادلين، وقياسه لغضبان وسكران على صنعاني وبهراني غير دقيق، فقد ذكروا أن إقامة النون مقام الواو في الكلمتين وضع لغوى شاذ إذ إن الصرفيين يقولون: إن الهمزة إذا كانت للتأنيث قلبت في النسب واوا كصحراوي، لكون الهمزة أثقل من الواو... وشذ صنعاني في النسبة إلى صنعاء اليمن وبهراني في النسبة إلى بهراء اسم قبيلة من قضاة... ومن العرب من يقول صنعائي وبهراوي على القياس<sup>(١)</sup>، والشاذ لا يجوز اتخاذه دليلاً، وأناسي ليس بلازم أن يكون جمعاً للإنسان بل يجوز أن يكون مفردة (إنسي)<sup>(٢)</sup>، وطرابي ليس بلازم أن يكون مفردة ظريبان بل يجوز أن يكون جمعاً لظريبي مفرداً أو ظريباء بالمد<sup>(٣)</sup> وعلى هذا يمكن خروج ذلك من الإبدال بين النون والياء وإذا كان ذلك فليس إلا على وجه ما قد يكون أقرب إلى التعويض، ولا يمكن وصف ما تقدم بأنه من باب الإبدال بل مجرد تعويض حرف من حرف آخر، وهذا ما مال إليه ابن جني ورجحه حينما شرح مذهب الخذاق من أصحابه في نون صنعاني وبهراني قال: "وكان يحتج من ذهب إلى هذا في قولهم: إن نون فعلان بدل من همزة فعلاء فيقول: ليس غرضهم هنا البديل الذي هو نحو قولهم: في ذئب ذيب وفي جؤنة جؤنة إنما يريدون أن النون تعاقب في هذا الموضع الهمزة كما تعاقب لام المعرفة التنوين أي لا تجتمع معه فلما لم تجامعه قيل إنها بدل منه... قال ابن جني: وهذا مذهب ليس ببعيد أيضاً<sup>(٤)</sup>، على أنه لا صلة بين الوصف الذي على فعلان وفعلاء مثل غضبان وحمراء، ووجه الربط - على ما تصوره ابن جني - لا يمت للإبدال بصلة ما بل لا يمكن أن يعتقد انقلاب النون في فعلان عن همزة، إذ هذا من وادى المذكر وذاك من وادى المؤنث، ولكل منهما صيغة لغوية خاصة، فالنون أصل في بناء فعلان كما أن همزة التأنيث أصل في بناء فعلاء، ولا علاقة بينهما.

(١) التصريح ٣٣١/٢، ٣٣٢ والاشموني ١٨٨/٤ . (٢) لسان العرب ٣٠٧/٧، ٣٠٩.

(٣) نفسه ٥٩/٢، ٦٠.

(٤) سر الصناعة الوجه الثاني من الورقة ٨٤.

وأما العلاقة الصوتية بين النون واللام فقوية، إذ إنهما متحذان مخرجاً وصفة، وذلك يسوغ التبادل بينهما، ومنه الأمثلة الثانية، ولكن ابن جنى جعل لكل من رَعْل ورَعْن وهو أنف الجبل اشتقاقاً. فرَعْن بالنون مشتق من الرَعْن وهو الاضطراب قال الشاعر:

وَرَحَلُوها رَحْلَةً فِيها رَعْنٌ

أما رَعْل باللام فمن الرعلة والرعيل، وهو قطعة من الخيل، والخيل توصف بالحركة والسرعة، وبذلك يلتقي المعنيان على سبيل المجاز فهما أصلان، ورأى ابن جنى في هذا سديداً، على أنه لا مانع من التبادل، وقد حكم بأن هتَلت السماء وهتَت وسَكِر طبرزل وطبرزن أصلان لأنهما متساويان في التصرف والاستعمال<sup>(١)</sup>، ولا مانع من التبادل - كما نرى - لأن مقياس التصرف غير دقيق، وفي حامل الذكر وخامن قال: النون فيه بدل من اللام، ألا ترى أنه أكثر، وأن الفعل عليه تصرف، وكذلك قولهم حمل يخمل خمولا<sup>(٢)</sup>، ولكن الباحث يرى أنه يمكن اشتقاق خامن من مادة (خمن) إذ يقال: خَمَنَ للرمح الضعيف، ومن الناس رديتهم والخَمَنَ محركاً: النتن<sup>(٣)</sup>، ولهذا صلة بمعنى خامن الذكر، فيمكن اشتقاقه منه، فلا إبدال بينهما إذاً، ولكن العلاقة الصوتية تسوغ التبادل<sup>(٤)</sup>، كما حكم ابن جنى بإبدال النون من لام لعل، وفي بَلْ عمرو وبَنْ عمرو قال ابن جنى: النون بدل من اللام، ألا ترى إلى كثرة استعمال بَلْ وقلة استعمال بَنْ والحكم على الأكثر لا على الأقل، هذا هو الظاهر من أمره، ولست مع هذا أذفع أن يكون (بن) لغة قائمة برأسها<sup>(٥)</sup>، وهنا نرى ابن جنى يتشكك في مقياس كثرة التصرف والاستعمال ويعدده أمراً ثانوياً، وفي كل هذه الأمثلة نقول: إن إحداها أبدلت من الأخرى في لغة فريق، ويبدو أن اللام من خصائص الحضر والنون من

(١) الخصائص ٨٢/٢.

(٢) نفسه ٨٤/٢.

(٣) القاموس ط. بولاق ٤٧٧/٣، ٢٥٥/٤. (٤) لسان العرب ٢٣٤/١٣.

(٥) الخصائص ٨٤/٢ قال الفراء وهي لغة بني سعد ولغة كلب قال: وسمعت الباهليين يقولون:

لابن بمعنى لابل. لسان العرب ٧٣/١٣.

خصائص البدو ليلهم إلى غموض الاصوات على حين يميل الحضريون إلى الاناة،  
وفصل الاصوات والإبانة عنها واضحة جلية.

وفى دهمج البعير ودهننج: إذا قارب الخطو وأسرع حكم بأن كلا منهما  
أصل بناء على التساوى فى التصرف والاستعمال كسابقه<sup>(١)</sup> وقال: ذهب أبو عمرو  
الشيبانى فى قول الطرماع:

كَطَوَّفِ مُتَلَّى حَجَّةٍ بَيْنَ عَبَّابٍ وَقُرَّةٍ مُسَوِّدٍ مِنَ النَّسْكِ قَاتِنِ

إلى أنه أراد قاتم أى أسود فأبدل الميم نوناً قال: وقد يمكن غير ما قال،  
وذلك أنه يجوز أن يكون أراد بقوله: قاتن فاعلاً من قول الشماخ:

وَقَدْ عَرَقْتُ مَغَابِنَهَا وَجَادَتْ بِدِرَّتِهَا قِرَى حَجْنِ قَتْنِ

والقتين: الحقيقير الضئيل، فإذا كان كذلك لم يكن بدلاً<sup>(٢)</sup>، والناظر فى  
العلاقة بين الميم والنون يرى أن المخارج متباعدة، فالميم حرف شفوى والنون من  
طرف اللسان مع اللثة العليا وبينهما حروف: ط - د - ت - ص - ز - س - ظ  
- ذ - ث - ف - ب، وليس هنا ما يدعو إلى انتقال المخرج فلا يسوغ التبادل  
اللهيم إلا إذا جعلنا اتحاد الصفات أمراً يدعو إليه ويسوغه بالإضافة إلى وجوه  
التقارب والشبه الأخرى التى ذكرناها سابقاً، والواقع أن تخريج كل مثال مما سبق  
على أنه لهجة يستعملها فريق من العرب أمر معقول، وذلك واضح فى المثال  
الأول وفى المثال الثانى كذلك، إلا أنه يجوز فيه أن تكون كل كلمة مشتقة من مادة

(١) الخصائص ٨٣/٢ .

(٢) سر الصناعة الوجه الثانى من الورقة ٨٤، وفى بيت الطرماع: المتلّى: يقال: تلى صلاته: أتبع  
المكتوبة تطوعاً، وععب وقرة: صنمان، والنسك: العبادة والذبيحة. يصف ثوراً يدور كما يدور  
الرجل بين هذين الصنمين ويتابع الدوران.

وفى بيت الشماخ: المغين كمنزل: الإبط. ج مغابن، والحجن محركة وككتف: القراد، والقتين:  
الحقيقير الذليل والقراد - أيضاً - والقتين فى البيت اسم للقراد ويسمى بذلك لسقطة دمه أو لقلة  
طعمه، لأنه يقيم المدة الطويلة من الزمان لا يطعم شيئاً، وقد جعل الشاعر عرق هذه الناقة قوتاً  
للقراد.

تختلف عن أخرى؛ فقامت من قتم بمعنى اسودَّ على ما نعرف وقامت من القتين وهو الحقيير الضئيل ويكون معنى بيت الطرماح أن المشبه به رجل يطوف بين هذين الصنمين (عبعب وقرة) وأن هذا الرجل مسود من النسك حقيير للضرر والجهد الذي يبذله<sup>(١)</sup>، وهذا ما عناه ابن جنى وهو سديد، وعلى هذا فلا إبدال بينهما لاختلاف الاشتقاق.

### باب الهاء

ذكر ابن جنى أن الهاء حرف مهموس يكون بدلاً<sup>(٢)</sup> من الهمزة والتاء والواو والالف والياء.

#### ١- (هـ-هـ)

الأمثلة: هياك فى إياك (وروى فتح الهمزة وإبدال الهاء منها) - لَهْنَك قائم - ﴿طه ١﴾ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٢﴾ [طه] (فى قراءة) إسكان الهاء فى (طه)، على أنه أراد: طأ الأرض بقديمك - يقال للصبا: هير وأير - هيا: فى أيا - هرقت: فى أرفت - هزید منطلق: فى أريد منطلق؟.

#### التوجيه:

جميع الأمثلة السابقة ما عدا (هير وأير) حكم ابن جنى فيها بإبدال الهاء من الهمزة وأما هير وأير فقال: هما أصلان حتى تقوم الدلالة على الإبدال، وفسر قراءة (طه) على أنه طأ الأرض بقديمك، فالهاء بدل من الهمزة فى طأ، ونحن لا نرى مانعاً من حدوث التبادل بين الهمزة والهاء لتداني المخارج، إذ هما من حروف أقصى الخلق، ويتفقان فى صفات الاستفال والانفتاح والإصمات، ولكن لنا ملاحظات على بعض الأمثلة وتوجيه ابن جنى لها.

(١) اللسان ٢٠٨/١٧.

(٢) سر الصناعة الوجه الثانى من السورقة ١٠٥، والوجه الأول من الورقة ١٠٦، مخطوطة الأزهر، وص ٢٠٤، مخطوطة دار الكتب، والخصائص ٣١٤/١-٣١٧.



فنحن معه فى إبدال الهاء فى هياك وإياك وهيا وأيا والقول بالإبدال فى هَرَقْتُ أمر مسلم به لئلا يؤدى عدم الإبدال إلى إحداث وزن ليس من الابنية العربية، وهو وزن هَفَعْل<sup>(١)</sup>.

وأما لَهَنُكَ فالقول بالإبدال فيها أيضاً قول سديد، وأصلها لإِنَّكَ فأبدلوا الهمزة هاء مع اللام كما أبدلوها فى هَرَقْتُ ونحوه، وقلب الهمزة هاء لغة قوم رواها البصريون والكوفيون، وحكاها ابن السكيت فى أمثلة كثيرة مثل: هَرَحْتُ الذابة وأرحتها وأنرت الثوب وهنرته، وأتمهل السنام وأتمأل وإياك وهياك وغير ذلك<sup>(٢)</sup>. واللام للابتداء وقال سيبويه: مرجع الإبدال أنها كلمة تكلم بها العرب فى حال اليمين، واللام الداخلة عليها لام القسم<sup>(٣)</sup> وادعى الفراء أنها منحوثة وأصلها: والله إنك، ثم حذف حرف الجر ولام التعريف وقصرت اللام، ثم حذفت همزة إنك<sup>(٤)</sup> وحكى عن المفضل بن سلمة بن عاصم عن بعض الكوفيين أن أصله: لله إنك، واللام للقسم<sup>(٥)</sup>، ولكن ما ذهب إليه الفراء - وكذلك بعض الكوفيين - يفرق فى التأويلات البعيدة، وأولى الآراء بالقبول هو ما قرره ابن جنى من أن أصلها لإنك فأبدلت الهمزة هاء، وهذا منسوب لطىء كما ذكر أستاذنا الدكتور نجما<sup>(٦)</sup>.

وأما قراءة (طه) التى فسرها ابن جنى على أن المراد بها طاً فأبدل الهمزة هاء بغير يقينية. والأمر فى تفسير معناها أمر ظنى، وكتب اللغة تذكر أن "طه" محذومة بالحبشية يا رجل، وجاء فى التفسير (طه) يا رجل يا إنسان، وقال قتادة:

(١) القواعد والتطبيقات ١٠، والاشموني ٢٨٥/٤.

(٢) المزهر ٢٢٢/١ والمخصص ٢٧٤/١٣ ومدرسة الكوفة ٢٢٦.

(٣) الكتاب ٤٧٤/٢.

(٤) كما يقال الله لأفعلن - وحذفت لام التعريف كما يقال: لاه أبوك أى لله أبوك، ثم حذفت الألف كما يحذف من الممدود إذا قصر كما يقال الحصاد والحصد، قال \* ألا لا بارك الله فى

سهيل \* شرح الرضى على الكافية ط ١٢٧٥ هـ، ٣٣٢/٢.

(٥) اللهجات العربية ٦٥، ٦٦.

إن ذلك بالسريانية، وقال سعيد بن جبير وعكرمة هي بالنبطية: يا رجل، وروى ذلك عن ابن عباس، قال الليث: وبلغنا أن موسى لما سمع كلام الرب عز وجل استفزه الخوف حتى قام على أصابع قدميه خوفاً فقال الله عز وجل: طه أى اطمئن، وروى الأزهري عن أبي حاتم قال (طه) افتتاح سورة، ثم استقبل الكلام فخطب النبي ﷺ فقال: ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى<sup>(١)</sup>.

والناظر في هذه الأقوال يرى أنها كثيرة وبعضها يؤكد أعجمية الكلمة، وإنها حبشية أو سريانية أو نبطية، وبعضها يشير إلى أنها من فواتح السور فهي رموز مثل: أكم - أكر - حم... إلخ، وابن جنى يحاول تفسير قراءة (طه) على أنها مشتقة من الفعل وطئ بمعنى وطئ الأرض بقدمه<sup>(٢)</sup> وأن النبي ﷺ أمر أن يطأ الأرض بقدميه جميعاً، مع أن كتب اللغة لا تؤيده في وجهة نظره فهي تذكر - كما سبق - أنها بهذا الضبط كلمة حبشية بمعنى يا رجل أو سريانية أو نبطية، وفست أيضاً بمعنى اطمئن، فتفسير ابن جنى بالمعنى الذي رآه أمر ظنى، حدث قيس عن عاصم عن زر قال: قرأ رجل على ابن مسعود (طه)، فقال له عبد الله: (طه) بكسرتين، فقال الرجل: أليس أمر أن يطأ قدمه؟ فقال له عبد الله: هكذا أقرأها رسول الله ﷺ، وابن مسعود صحابي فلا يخفى عليه هذا المعنى، ونحن نراه هنا يتوقف عن إبداء الرأي فيه، وينقل ضبطاً آخر للفظ كما سمعه من الرسول الكريم<sup>(٣)</sup>، كما أنه غير مناسب لما يأتي بعده من آيات وهي ﴿مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ...﴾<sup>(٤)</sup> إلخ، وربما كان مناسباً في خطاب موسى - على ما سبق بيانه وليس

(١) اللسان ١٧/٤٠٧.

(٢) ويوجهه بعض المفسرين على هذا بأن أصله: طأ فقلبت همزته هاء، أو قلبت سر يطأ الفاء كقوله: (لا هناك المرتع) ثم بنى عليه الأمر وضم إليه هاء السكت، وعلى هذا يحتمل أن يكون أصل طه: طأها والالف مبدلة من الهمزة والهاء كناية الأرض.

(٣) اللسان ١٧/٤٠٧، على أن الكلمة لو كان مراداً بها طأها لكتبت في القراءة الأخرى طأها بالالف دون طه على هيئة الحروف ولا معنى لأنه اكتفى بشطري الكلمتين.

(٤) وتوجيه بعض المفسرين بأنه كان يقوم في تهجده على إحدى رجله فأمر بأن يطأ: الأرض بقدميه لا يليق بمقام النبي ﷺ، انظر فيما تقدم تفسير القاضى ناصر الدين البيضاوى ص ٤١٣.

موضعه هنا في القرآن، ولا يليق خطاب النبي ﷺ بقول الله تعالى له (يا رجل) على فرض أن هذا خطاب له والكلمة أعجمية، إذ ليس المقام مقام الخطاب الجاف- على هذا النحو- فالله تعالى كثيراً ما يخاطبه بقوله يا أيها النبي - يا أيها الرسول إلى غير ذلك من ألوان الخطاب المناسب لمقامه الرفيع، والأظهر - كما نرى - أن (طه) رموز مقطعة كتنظائرها مما ورد في السور الأخرى من مثل ألم- حم- عسق... إلخ وهي جميعها من فواتح السور على ما ذكره المفسرون، وربما كان عدها من الحيشية أو غيرها ناشئاً عن نوع من التوافق الصوتي بين المفرد (طه) في غير العربية من ناحية وبين الرمز (طه) المستعمل في القرآن من ناحية أخرى<sup>(١)</sup>، فالكلمة في القرآن عبارة عن رمز لا يمت للكلمة الأعجمية (طه) بمعنى يا رجل بصلة، وتأويل ابن جنى ليس له عليه برهان.

والملاحظة العامة أن كثرة التصرف والاستعمال ليست بمقياس دقيق، ويمكن معرفة الأصل من الفرع هنا عن طريق الصعب والسهل، فالهمزة أصعب من الهاء ولذلك عدت أصلاً لأن التطور الصوتي- غالباً- ما ينتقل إلى السهولة.

وهير وأير لا مانع من التبادل بينهما على أن بعض العرب نطقوا بإحدهما وآخرين نطقوا بالثانية وروى أن قبيلة طي<sup>(٢)</sup> هي صاحبة الهاء<sup>(٣)</sup> فالكلمات المذكورة التي ثبت فيها التبادل بين الهمزة والهاء ناشئة عن اختلاف اللهجات.

## ٢- (ه-ت)

في الوقف على مثل جَوَزة- روى: كيف البنونَ والبناء وكيف الإخوة والأخواه؟ وذلك شاذ - التابوه لغة في التابوت - وبعضهم يقول اللاه في الوقف على اللات.

### التوجيه:

يوقف - كما ذكر ابن جنى- على تاء التأنيث بالهاء في مثل فاطمة وقائمة... إلخ، وقد أجرى بعض العرب على ذلك شذوذاً الوقف على تاء جمع المؤنث السالم بقلبها هاء وهم قبيلة طي<sup>(٣)</sup> وقد سمع بعضهم يقول: دفن البناء من

(١) القراءات القرآنية ٣٧٤. (٢) اللهجات العربية ٦٥، ٦٦.

(٣) سر الصناعة مخطوطة الأزهر الوجه الثاني من الورقة ١٠٧.

المكرماء، ولكن الدكتور أنيس لا يرى أن تاء التانيث تنقلب هاء في الوقف، ويقول: "إن هذه الظاهرة ليست في الحقيقة قلب صوت إلى آخر، بل هي حذف الآخر من الكلمة، وما ظنه القدماء هاء متطرفة هو في الواقع امتداد في التنفس حين الوقوف على صوت اللين الطويل، أو كما يسمى عند القدماء ألف المد، ويصدق ذلك على الأسماء المؤنثة المفردة التي تنتهي بما يسمى بالتاء المربوطة، فليس يوقف عليها بالهاء كما ظن النحاة، بل يحذف آخرها ويمتد التنفس بما قبلها من صوت لين قصير (الفتحة) فيخيل للسامع أنها تنتهي بالهاء<sup>(١)</sup> ويؤيده في رأيه السابق الدكتور عبد الصبور شاهين إذ ليس لرأى القدامى ما يسنده من الناحية الصوتية، فلا تقارب بين تاء التانيث والهاء<sup>(٢)</sup>، ولكن الملاحظة الصوتية تثبت وجود الهاء حال الوقف على الاسم المؤنث بالتاء.

وقد أثبت ابن جنى لكلمتي التابوت والتابوه أصليين فالأولى من مادة (تبت) والأخرى من مادة (تبه) وأوضح -مع ذلك- أن الهاء بدل من التاء قال: "أما ظاهر الأمر فإن يكون هذان الحرفان من أصليين: أحدهما (ت ب ت) والآخر (ت ب ه) ثم من بعد هذا فالقول أن الهاء في التابوه بدل من التاء في التابوت، وجاز ذلك لما أذكره، وهو أن كل واحد من التاء والهاء حرف مهموس ومن حروف الزيادة في غير هذا الموضع، وأيضاً فقد أبدلوا الهاء من التاء التي للتانيث في الوقف، فقالوا حمزة وطلحة وقائمة وجالسة، وذلك منقاد مطرد في هذه التاء عند الوقف، ويؤكد هذا أن عامة عقيل فيما لا نزال نتلقاه من أفواهها تقول في الفرات: القراء بالهاء في الوصل والوقف، وزاد في الأنس بذلك أنك ترى التاء في الفرات تشبه في اللفظ تاء فتاة وحصاة وقطاة، فلما وقف وقد أشبه الآخر الآخر أبدل التاء هاء ثم جرى على ذلك في الوصل<sup>(٣)</sup> وذكر الجوهري أن أصل تابوت: تابوة مثل ترقوة وهي فَعْلُوَةٌ فلما سكنت الواو انقلبت هاء التانيث تاء، قال ابن بري: التصريف الذي ذكره الجوهري في هذه اللفظة حتى ردها إلى تابوت تصريف فاسد،

(١) في اللهجات العربية، ط ٣، ١٣٦.

(٢) القراءات القرآنية ص ٨٣ والتعليق ص ٣٩٦. (٣) المحتسب ١/ ١٢٩، ١٣٠.

والمعاجم تنص على أن التاء لغة قريش والهاء لغة الأنصار، قال القاسم بن معن: لم تختلف لغة قريش والأنصار في شيء من القرآن إلا في التابوت، فلغة قريش بالتاء ولغة الأنصار بالهاء، وقال أبو بكر بن مجاهد التابوت بالتاء قراءة الناس جميعاً ولغة الأنصار التابوت بالهاء<sup>(١)</sup>.

ويرى الدكتور شاهين أن الكلمة مشتركة بين العربية والعبرية، وعلل ورود الوجهين بما يأتي:

١- تابوت وإن كان لغة للأنصار فهو لغة مأخوذة ولا شك من مخالطتهم لليهود بالمدينة، وتأثير هؤلاء في الحياة العربية في المدينة قبل الإسلام معروف.

٢- تابوت يمكن تفسيره من حياة زيد بن ثابت نفسه، فقد كان مهتماً بتعلم السريانية والعبرانية بتأثير من النبي ﷺ وقد ذكر الخبر المروي في ذلك أنه تعلم كلتيهما في مدة وجيزة<sup>(٢)</sup> ويقول الدكتور شاهين: وإنما يعزز دعوانا بأن الأنصار أخذوا هذا النطق عن العبرية أن زيداً قرأ به وبما أثر عن النطق الآرامي من ناحية، وأن العرب في رسمهم للكلمة كانوا يحسون بأنها في الواقع لا تشبه فتاة وحصة وقطاة، تلك الكلمات التي تكتب هاء وتنطق في الوصل تاء، فهذه كلمات عربية خالصة، أما تلك ففيها رائحة أعجمية تميزها عنها، والاحتجاج بأن عامة عقيل قالوا في الفرات: (الفراه) لا يعدو أن يكون وصفاً للهجة بعيدة عن لغة الأنصار التي تعودت هذا الوجه في كلمة بعينها مشتركة بين العربية والعبرية<sup>(٣)</sup>.

ونحن لا نرى مانعاً من عربية الكلمة فهناك العديد من الألفاظ المشتركة بين العربية وأخواتها الساميات، ولا يقلل ذلك شيئاً من عربيتها، ومع تسليمنا بجواز تأثر الأنصار باليهود في نطق تلك الكلمة فإنه لا يمنع من وجود ذلك على أنه

(١) لسان العرب ٢٢٧/١، والمحتسب ١٢٩/١.

(٢) سبع عشرة ليلة. انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد، ط. بيروت، ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م المجلد الثاني، ص ٣٥٨، ٣٥٩ وتوفي زيد سنة خمس وأربعين من الهجرة، نفسه ٣٦٠/٢.

(٣) القراءات القرآنية ٣٩٥، ٣٩٦.



لهجة عربية أصيلة في مثل الفراء في لغة عامة عقيل وواد البناء من المكرماء في لغة طيئ ويمكن أن يكون ذلك جرى أولاً في حال الوقف ثم سرى إلى الوصل كما ذكر عالمنا ابن جنى<sup>(١)</sup>.

وحديث ابن جنى عن كلمة (اللاه) في الوقف على اللات يؤكد أنه من باب اختلاف اللهجات، فقد صرح بأن بعض العرب ينطق بذلك في الوقف<sup>(٢)</sup> وهذا الإبدال لهجة عربية يؤيدها لهجة طيئ السابقة<sup>(٣)</sup> ولهجة عقيل وربما كان نطق اللاه بهذا الوضع منسوباً إلى إحداهما، وقد ذكرت كتب اللغة أن (اللات) مشتقة من لويت عليه أى عطففت عليه وأقمت، وقيل: إنه مأخوذ من لاه الله الخلق خلقه<sup>(٤)</sup>، وقيل غير ذلك<sup>(٥)</sup> وعلى الاختلاف في اشتقاقها - بوجوه المتعددة - اختلف في التاء هل هي أصلية أو مبدلة من واو أو هاء والاحتمالات تجدد على كل ما يسوغها.

### ٣- (هـ-واي)

- ١- وَقَدْ رَأَيْتُ قَوْلَهَا يَاهُنَا      هُ وَيَحْك أَلْحَقْتُ شَرّاً بِشَرٍّ  
٢- أ) قَدْ وَرَدَتْ مِنْ أَمَكْنَةٍ      مِنْ هَهْنَا وَمِنْ هُنَّةٍ  
إِنْ لَمْ أَرَوْهَا فَمَمَّةٌ

ب) أنه في أنا حال الوقف.

٣- هذه في هذى - هُنَيْهَة في تصغير هنة - زنادقة وفرازنة<sup>(٦)</sup>.

التوجيه: جعل ابن جنى الهاء بدلاً من الواو أو من الألف المبدلة منها في (هناه) قال: «وأبدلوها (أى الهاء) من حرف واحد وهو قول امرئ القيس: (وقد

(١) سر الصناعة مخطوطة الأزهر الوجه الثاني من الورقة ١٠٧.

(٢) اللسان ١٣٥/٢٠ والقاموس، ط. بولاق، ٣٣٣/٤، ٤٤٩ وقد ذكرها في المواد الآتية (لوى)

(لوه) (له) وقد ذكر في لتت اللات مشددة التاء: صنم، قال: سمي بالذي كان يلت عنده

السويق بالسمن ثم خفف ١٨٠/١ والمحتسب ٢٩٤/٢.

(١) ينظر في الأمثلة سر الصناعة السابق من الورقة ١٠٥-١٠٧.

رابنى قولها يا هناء) إلخ فالحاء الأخيرة فى هناء بدل من الواو فى هنوك وهنوات، وكان أصله هنا فأبدلت الواو هاء قالوا: هناء هكذا قال أصحابنا<sup>(١)</sup> ولو قال قائل: إن الهاء فى هناء إنما هى بدل من الألف المنقلبة من الواو الواقعة بعد ألف هناء إذ أصله هنا ثم صار هنا كما أن أصل عطاء عطاو ثم صار بعد القلب عطاا... فلما صار هنا والتقت ألفان كره اجتماع الساكنين، فقلبت الألف الأخيرة هاء فقالوا: هناء كما أبدل الجميع من ألف (عطاا) الثانية همزة لثلا يجتمع ساكنان لكان قولاً قوياً، ولكن أيضاً أشبه من أن تكون قلبت الواو فى أول أحوالها هاء، وذلك من وجهين: أحدهما أن من شريطة قلب الواو ألفاً أن تقع طرفاً بعد ألف زائدة وقد وقعت هنا كذلك، والآخر أن الهاء إلى الألف أقرب منها إلى الواو بل هما فى الطرفين، ألا ترى أن أبا الحسن ذهب إلى أن الهاء مع الألف من موضع واحد لقرب مكانيهما، فقلب الألف إذا هاء أقرب من قلب الواو هاء<sup>(٢)</sup>.

وقد حكى ابن جنى رأى أبى زيد قال: "وكتب إلى أبو الحسن من حلب فى جواب شيء سأله عنه فقال: وقد ذهب أحد علمائنا إلى أن الهاء من هناء إنما ألحقت فى الوقف لخفاء الألف، كما تلحق بعد ألف الندة فى نحو وازيداه، ثم إنها شبهت بالهاء الأصلية فحركت، فقالوا: يا هناء، ولم يسم أبو على هذا العالم فلما انحدرت إليه إلى مدينة السلم<sup>(٣)</sup> وقرأت عليه نوادر أبى زيد نظرت وإذا أبو زيد هو صاحب هذا القول، "ثم قال ناقداً له: "وهذا من أبى زيد غير مرضى عند الجماعة، وذلك أن الهاء التى تلحق لبيان الحركات وحروف اللين إنما تلحق فى الوقف، فإذا صرت إلى الوصل حذفها ألبة، فلم توجد فيه ساكنة ولا متحركة، وقد استقصيت هذا الفصل فى كتابى فى شعر المتنبى عند قوله: (واحر قلباه ممن قلبه شيم) ودلت هناك على ضعف قول أبى زيد وبيت المتنبى جميعاً.

(١) هم البصريون كما فى اللسان ٢٤٢/٣٠.

(٢) سر الصناعة مخطوطة الأزهر الورقة ١٠٧ واللسان ٢٤٣/٢٠، ٢٤٤،

(٣) انظر ص ٧٢ من كتابنا.

وحكى ابن السراج عن الاخفش أن الهاء فى هناه هاء السكت، بدليل قولهم: يا هنانية واستبعد قول ابن جنى وأصحابه لأنه كان يجب عليه أن يقال يا هناهان فى التثنية والمشهور يا هنانية<sup>(١)</sup>، ورد ابن جنى عليه واضح فيما سبق ودليل الاخفش غير مسلم به لاحتمال ألا تكون هنانية مثنى لكلمة هناه بل لكلمة هن ولفق بين الهاء فى هناه وهنانية.

ونحن نرى أن مخرجى الحرفين الواو والهاء متباعداً على رأى الاقدمين ومنهم ابن جنى، فالواو من الشفة والهاء من أقصى الحلق، وكان من الواجب إذن عدم القول بالإبدال<sup>(٢)</sup> ولكننا نرى أن المحدثين بينوا أن الواو من أقصى اللسان وهذا يعطيها تقارباً أكثر من الهاء، ويمكن تفسير هذا التبادل بينهما بأنه وضع لحرف جلد يمكن الاعتماد عليه وإجراء الحركات معه والهاء تتحمل ذلك أكثر من الواو، وكل صور الإبدال بين الواو والياء والالف ووضع الهاء مكانها يمكن تفسيرها بأنها مرحلة من مراحل التطور اللغوى والانتقال من الإعلال إلى التصحيح ليقوى اللفظ ويبرز، وفى الأمثلة التالية قال ابن جنى بالإبدال بين الالف والهاء على أن تكون الالف هى الأصل<sup>(٣)</sup> وقد أبدلت فى (هنا) الإشارية هاء فصارت (هته) وقد قال أستاذنا الدكتور نجما إن هذا موافق لعاميتنا وهو منسوب لقيس وتميم<sup>(٤)</sup>.

و(مه) فى بيت الرجز السابق يحتمل وجهين: أن تكون الهاء بدلاً من ألف (ما)، وأن تكون (مه) اسم فعل بمعنى اكفف أى فاكفف عنى فلست أهلاً للعتاب أو فمه يا إنسان يخاطب نفسه ويزجرها<sup>(٥)</sup>.

(١) اللسان ٢٠/٢٤٢.

(٢) لأن ابن جنى شرط التقارب بين الحروف انظر ٥٣٨، ٥٣٩، ٦١٦، ٦١٧ وغيرها من كتابنا.

(٣) سر الصناعة الوجه الأول من الورقة ١٠٦. (٤) اللهجات العربية ٦٥، ٦٦.

(٥) سر الصناعة الورقة ١٠٦ الوجه الأول مخطوطة الأزهر ولسان العرب ٣٦١/٢٠. وقال

الاشمونى: أى أنها قد وردت من كل جانب وكثرت فإن لم أروها فلا تلمنى واكفف عنى

٣٣٤/٤.

وأنه فى الوقف على أنا الهاء بدل من الألف؛ ويجوز أن تكون لبيان الحركة، لحقت فى الوقف بعد حذف الألف لبيان حركة النون، إذ لو وقف عليها بعد حذف الألف دون الهاء لسكنت فيشتبه بأن الحرفية لسكون النون لأن الهاء بدل من الألف، وهذا مثل بيان حركة الياء بالهاء فى نحو حسايه. ماله<sup>(١)</sup>، وقد رجح ابن جنى الإبدال فى كتابه سر الصناعة لأن أنا بالألف أكثر استعمالاً والهاء قليلة جداً<sup>(٢)</sup> يقول: «فأما قولهم فى الوقف على (أن) أنا وأنه فالوجه أن تكون الهاء فى أنه بدلا من الألف فى أنا، لأن الأكثر فى استعمال أنا إنما هو بالألف والهاء قليلة جداً، فهى بدل من الألف، ويجوز أن تكون الهاء أيضاً فى أنه ألحقت لبيان الحركة كما ألحقت الألف ولا تكون بدلا منها بل قائمة بنفسها كالتى فى قوله سبحانه وتعالى: كتابيه وحسابيه وسلطانيه وماليه وماهيه ولم يتسنه فيمن أخذه من سنوات ومساناة وأستوا<sup>(٣)</sup>، بيد أنه فى كتابه المنصف الذى يعد من أقدم مؤلفاته يقتصر على أن كلا من الألف والهاء لبيان الحركة ولا يشير إلى الإبدال، فيقول: «فأما الألف فى أنا فى الوقف فزائدة وليست بأصل، ولم نقض بذلك فيها من قبل الاشتقاق هذا محال فى الأسماء المضمرة، لأنها مبنية كالحروف، ولكن قضينا بزيادتها من حيث كان الوصل يزيلها ويذهبها كما يذهب الهاء التى تلحق لبيان الحركة فى الوقف، ألا ترى أنك تقول فى الوصل: أنا زيد، كما قال الله تعالى: ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ...﴾ [طه] يكتب فى الوقف بألف بعد النون، وليست الألف فى اللفظ وإنما كتبت على الوقف، فصار سقوط الألف فى الوصل كسقوط الهاء التى تلحق فى الوقف لبيان الحركة فى الوصل، ألا ترى أنك تقول: (ارمه) إذا وقفت وأنت تريد (ارم)، فإذا وصلت قلت: (ارم يا رجل) فالألف فى أنا كالهاء فى (ارمه) زائدة مثلها، وبينت الفتحة بالألف كما بينت الكسرة بالهاء لأن الهاء مجاورة للألف، ومثل ذلك ما حكاه سيبويه أن من العرب من يقول فى الوقف (قالا) وهو يريد (قال) فيبين الحركة بالألف، وقد قالوا فى الوقف (أنه) فسينوا

(١) سر الصناعة الورقة ١٠٦، الوجه الأول مخطوطة الأزهر والصابان مع الأشمونى ٣٣٤/٤.

(٢) سر الصناعة، مخطوطة الأزهر الوجه الأول من الورقة ١٠٦.

الفتحة بالهاء كما بينها بالالف وكلتاها ساقطة في الوصل<sup>(١)</sup>، ولعل اقتصاره على هذا الرأي في الضمير أنا شديد، فليس بين الألف والهاء علاقة صوتية لبعد مخرجيهما فلا مسوغ للتبادل، وهذه الحالات الخاصة بالوقف إنما هي لبيان حركة الحرف المفتوح، فتارة تبين الحركة بالالف، فيقال: هنا- أنا، وتارة أخرى تبين بالهاء فيقال: هنه- أنه، ويميل بعض العرب إلى هذا وبعضهم الآخر إلى ذلك، فالامر لمجرد بيان الحركة لا لأن أحدهما يبدل من الآخر، ومن هنا اقتصر الدماميني في (أنه) على الوجه الثاني فقال - في باب الضمير من شرح التسهيل بعد ذكره أن ثبوت الألف في الوقف لبيان الفتحة - ما نصه: وقد تبين فتحها بهاء السكت كقول حاتم هكذا فزدي أنه.

وفي (هذي وهذه) أبدلت الهاء من الياء بدليل التصغير ذياً في تصغير (ذا) - ويكتفى به عن تصغير ذى - فكما لا نجد الهاء في المذكر (ذا) أصلاً فكذلك هي في المؤنث بدل غير أصل، وليست الهاء في (هذه) بمنزلة هاء طلحة وحمزة ونحوهما لأن الهاء في طلحة وحمزة زائدة والهاء في (هذه) ليست بزائدة إنما هي بدل من الياء التي هي أصلية في هذي وأيضاً فإن الهاء في حمزة ونحوها نجدها في الوصل تاء والهاء في (هذه) ثابتة في الوصل ثباتها في الوقف<sup>(٢)</sup> ولم تترك

(١) النصف ٩/١، ١٠ يرى الكوفيون أن ألف (أنا) تثبت وصلاً ووقفاً فهي من نفس الكلمة على حين يرى البصريون زيادتها لبيان حركة النون، وأصل الضمير (أن)، ويؤيد بعض علماء النحو المقارن رأى الكوفيين في أصالة الألف تبعاً لنظائر أنا العربية من الضمائر في اللغات السامية الأخرى، يقول الدكتور يعقوب بكر: «صيغة ضمير المتكلم (أنا) في العربية لها نظائر في اللغات الآرامية مثل ana في آرامية العهد القديم وأنا (بإمالة حركة الهمزة) في السريانية وترد جزءاً في ضمير المتكلم (أناك) في الآكدية و anokhi في العبرية وقد تحولت الفتحة الطويلة المحركة بها النون إلى حולם في الصيغة العبرية وهذا دليل قاطع على أن الفتحة الممدودة في أنا أصلية. ويحلل الضمير أنا إلى الضمير (أ) (الذي نجده في مضارع أفعّل) + النهاية الإشارية نا، وقصر أنا في الوصل ليس دليلاً على قصرها في الأصل، فقد يكون ناشئاً عن تقصير لد أصلي، وهو أمر طبيعي من الناحية الصوتية، وسواء كانت الألف أصلية أو زائدة فإنها بلا شك مينة لحركة النون، وقد وقف بعض العرب فقالوا ~~فكأنهم~~ كما حكاه سيبويه. انظر المفصل ٨٣/٩، ٨٤ والأشمونى مع الصبيان ٣٣٤/٤ ومحاضرات في النحو المقارن القاها الدكتور يعقوب بكر على طلبة الإجازة العالية بكلية اللغة العربية في العام الدراسي ١٩٦٤م.

(٢) سر الصناعة الورقة ١٠٦ الوجهان بتصرف ولسان العرب ٣٣٧/٢٠.



ساكنة (هذه) مع أنها فى اسم غير متمكن لأنها شبيهت بهاء الضمير مثل مررت به ونظرت إلى غلامه، على أن منهم من يسكنها فى الوصل على أصل القياس، فيقول: هذه هند، ولكن يجب تحريكها بالكسر إذا التقت مع ساكن مثل: هذه المرأة، والأشبه أن يكون صاحب لغة التسكين قد رجع إلى أصحاب لغة التحريك لما اضطر إلى تحريكها<sup>(١)</sup> وكما أن من قال هم قاموا فسكن الميم إذا احتاج إلى تحريكها رجع إلى لغة من ضمها فى هم قاموا، وعلى هذا قراءة أبى عمرو وغيره: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ...﴾ (٧) [المنافقون]، ﴿أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ (١١) [المؤمنون] إلا تراه يقرأ ﴿وَهُمْ بَدَأُكُمْ...﴾ (١٢) [التوبة]، و﴿أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ (٣٠) [الأنعام]، وغير ذلك مسكن الميم<sup>(٢)</sup>.

ومن إبدال الهاء من الياء قولهم فى تصغير هنة: هنية وأصلها الأول هنية، لأن لام الفعل فى تصريف هذه الكلمة واو لقولهم:

عَلَى هَنَوَاتٍ شَأْنُهَا مُتَّبَاعٌ

فإنما الهاء فى هنية بدل من الياء فى هنية والياء فى هنية بدل من الواو فى هنية<sup>(٣)</sup>.

وليس هنا - أيضا - علاقة صوتية تسوغ التبادل، فالمخارج متباعدة ولا يتفقان فى شيء من الصفات سوى الاستفال والانفتاح والإصمات، فالكلمات السابقة وأشباهها يحل فيها أحد الحرفين (الياء والهاء) محل الآخر بعد حذفه على سبيل التعويض وهى لغات<sup>(٤)</sup>.

وقد صرح ابن جنى بالتعويض فى زنادقة وفرازة فقال: "فأما قولهم: الهاء فى زنادقة وفرازة بدل من الياء فى زناديق وفرازين فليسوا يريدون بذلك البدل على

(١) سر الصناعة، مخطوطة الأزهر، ورقة ١٠٦.

(٢) سر الصناعة مخطوطة الأزهر الوجه الثانى من الورقة ١٠٦.

(٣) نفسه الوجه الأول من الورقة ١٠٧.

(٤) لسان العرب ٣٣٧/٢٠ يقول: وذى بكسر الهمزة والميم: ذى وذو... إلخ.

حد إبدالهم الألف في قام وباع من الواو والياء، وإنما يعنون أن الهاء لما طال الكلام بها صارت كالعوض من الياء كما صار طول الكلام بين الفعل والفاعل في نحو حضر القاضي اليوم امرأة عوضاً من تاء التانيث في حضرت وهذا باب واسع<sup>(١)</sup>.

### باب الواو

ذكر ابن جنى أن الواو تأتي بدلاً<sup>(٢)</sup> ولكن يبدو من مطالعة حديثه في هذا الموطن أنه كان صرفياً أكثر منه لغوياً فقد تناول إبدال الواو على نحو صرفي بحث- غالباً- فتكلم على إبدالها من الألف وقسمه ثلاثة أضرب هي:

إبدالها من ألف أصلية- من ألف مبدلة من غيرها- من ألف زائدة.

١- من ألف أصلية مثل: إلى ولدى (اسمى رجلين) تثنيتهما وجمعهما: إلوان ولَدَوَان، وإِلَوَات ولَدَوَات (اسم امرأة جمعاً) فإلفانها أصول غير زوائد ولا مبدلة<sup>(٣)</sup> ولما سمي بها انتقلت إلى حكم الاسماء<sup>(٤)</sup> وهذا هو القانون وبه وصى التصريفيون<sup>(٥)</sup>.

٢- من ألف مبدلة وهي ثلاثة أضرب: مبدلة من واو مثل: عصوي وقنوي في الإضافة إلى عصا وقنا- مبدلة من ياء مثل: فتوي وسروي في النسب إلى فتى وسرى- مبدلة من همزة مثل: تصغير آدم على أويديم وجمعه على أوادم وأصله أأيديم وأآادم.

٣- من ألف زائدة مثل: ضويرب وضوارب في تحقير ضارب وجمعه جمع تكسير<sup>(٥)</sup>.

كما تكلم على إبدالها من الياء وقسمه ثلاثة أضرب على النحو السابق وهي: إبدالها من ياء أصلية- من ياء بدل من غيرها- من ياء زائدة.

(١) سر الصناعة مخطوطة الأزهر الوجه الأول من الورقة ١٠٧.

(٢) نفسه مخطوطة دار الكتب، ص ٢٩٥.

(٣) نفسه الأزهر الوجه الثاني من الورقة ١٠٩.

(٤) نفسه (الأزهر) الوجه الأول من الورقة ١١٠.

(٥) نفسه مخطوطة دار الكتب ص ٢٩٦ - ٣٠٠.

١- من ياء أصلية مثل: مُوقِن ومُوسِر (وكل ياء ساكنة قبلها ضمة) ومثل: سَيِّد، ومَيِّت وغازية ومَحْنِيَّة وقالوا مَحْضُوًّا عليه ونَهَوَّا عن المنكر، والحيوان أصل لآمه ياء لأنه لا يوجد في كلامهم كلمة عينها ياء ولا مها واو، كما هو رأى الخليل وسيبويه خلافاً لأبى عثمان المازنى.

٢- من ياء مبدلة، فأصل مصدر ضَارَبَ: ضيراب لو سميت به ثم صغرت قلت ضَوِيرِب.

٣- من ياء زائدة، مثل: يبطر وسيطر تقول عند بنائهما للمجهول: بُوْطِرَ وَسُوْطِرَ<sup>(١)</sup>، ويمضى فى تعليل ذلك على طريقة علماء الصرف.

والنقطة الوحيدة التى ناقشها من الناحية اللغوية- وإن كان لم يصل إلى رأى الصحيح فيها- هى إبدال الواو من الهمزة، وقد قسمه- على النحو السابق- أقساماً ثلاثة: إبدال الواو من همزة أصلية- من همزة مبدلة من غيرها- من همزة زائدة.

١- من همزة أصلية كأن تكون الهمزة مفتوحة وقبلها ضمة فتبدل تخفيفاً مثل: جَوْن فى جَوْن وسُوْلَةٌ فى سُوْلَةٍ وفى تخفيف هو يضرب أباك: هو يضرب وبأك وفى تخفيف هو يقتل أخاك: هو يقتل وَخَاك "فالواو هنا مخرصة وليس فيها شئ من بقية الهمزة"<sup>(٢)</sup> وتقول أيضاً فى آخيت: واخيت، فالواو بدل من الهمزة، لأن لام الكلمة واو فهى مأخوذة من الأخوة، ولا توجد كلمة فاؤها ولا مها واو.

٢- من همزة مبدلة "كقولك فى تخفيف يملك أحد عشر: هو يملك وَحَدَ عَشْرَ وفى يضرب أناة هو يضربُ وَنَاةً وذلك أن الهمزة فى أحد وأناة بدل من واو وأصله وَحَدَ لأنه هو الواحد وامرأة أناة من الوُنَى وهو الفتور"<sup>(٣)</sup>.

(١) نفسه ٣٠٠-٣٠٥ .

(٢) سر الصناعة (الأزهر) الوجه الثانى من الورقة ١٠٩ .

٣- من همزة زائدة مثل: أن تقول: غلام وَحَمَدَ في غلام أحمد وفي هو يكرم: أصرم هو يكرم وَصَرَم، فالهمزة في أحمد وأصرم زائدة<sup>(١)</sup>.

والواقع أن حكم ابن جنى هنا بانقلاب الواو عن الهمزة مبنى على اتجاه خاص يلحظ فيه إلى جعل الهمز صفة من صفات اللغة المشتركة النموذجية، وكان الواو التي هي أسلوب من أساليب التخفيف والتسهيل ليس إلا دخيلاً عليها، وليس ابن جنى وحده هو الذي ذهب إلى ذلك، بل تذكر معاجم اللغة هذا الاتجاه، يقول صاحب اللسان: "ورجل سُوْكة: كثير السؤال، وأصل السؤل الهمز عند العرب، استثقلوا ضغطة الهمزة فيه، فتكلموا به على تخفيف الهمزة"<sup>(٢)</sup>، وقال ابن برى: الهمز في جُوْنة وجُوْن هو الأصل، والواو فيهما منقلبة عن الهمزة في لغة من خففها<sup>(٣)</sup> وكان الفارسي يستحسن ترك الهمزة<sup>(٤)</sup> وأصله الهمز<sup>(٥)</sup>، وقد أوضحنا في حديثنا السابق عن الهمز أنه لا يمكن الحكم بالإبدال بين الهمز وحروف اللين لعدم تقارب المخارج والصفات، وقد أثبتنا أن الهمز لون من ألوان النبر لجأت إليه القبائل البدوية كبنى تميم، ولأنه أكثر صلاحية من حيث وقعه وتكوينه الموقعي اتخذ سمة من سمات اللغة النموذجية على حين بقى التسهيل من سمات القبائل المتحضرة كبعض أهل الحجاز، وعلى هذا فلا إبدال بين الهمزة وتلك الأصوات، بل إن كلا منهما لهجة خاصة لقوم وإن اتخذت مبدأ لغوياً في الفصحى المستعملة عند العرب، وعلى هذا فلا صحة - علمياً - لما يقال في المعاجم وغيرها من أن الهمزة في أناة بدل من الواو في وناة<sup>(٥)</sup> وإنما يقال إنهما لهجتان عريبتان، غاية الأمر أن الواو لهجة أهل التخفيف من الحضرة وأن الهمز في الأصل لهجة تميم ومن شاكلهم من البدويين، وعلى هذا قيل: أحَدت الله ووَحَدته ورجل أحد ووَحَد<sup>(٦)</sup>.

(١) نفسه (دار الكتب) ٢٩٥، ٢٩٦، (الأزهر) الوجه الثاني من الورقة ١٠٩ وانظر القاموس، ط.

بولاق ٤/٣٤٩، ٤٦٧. (٢) اللسان ١٢/٣٣٩.

(٣) نفسه ١٦/٢٥٧. (٤) القاموس، ط بولاق، ٤/٢٤٦.

(٥) اللسان ١٠/٢٩٨. (٦) نفسه ٤/٤٦٥.

## باب الألف

ذكر ابن جنى أن الألف تبدل من أربعة أحرف هي: الهمزة والواو والياء والنون الخفيفة<sup>(١)</sup> وكان حديثه هنا أيضاً - كسابقه - يدور في أغلب مواضعه حول نواح صرفية، فتكلم على إبدال الألف من الهمزة على طريقة الصرفيين:

١- كل ما التقت فيه همزتان الأولى مفتوحة والثانية ساكنة يبدل من الثانية ألف مثل آدم وآمن وهذا الإبدال واجب.

٢- أفعل من آمن وألف فتقول: آمن وألف.

وتكلم على إبدالها من الواو والياء على المنهج السالف- في أغلب أحواله- وقسمه ثلاث أصرب: إبدالها منهما أصلين- منقلبتين- زائدتين:

١- إبدالها منهما أصلين: نحو قام وغزا وباع ورمى، وربما خرج شيء من ذلك على أصله تنبيهاً على أصل الباب نحو حوكّة وخوثة وقود وصيد وحيد<sup>(٢)</sup>.

٢- إبدالها منهما منقلبتين نحو رحوى اسم رجل إذا رخمته مثل يا حار (على لغة من لا ينتظر) قلت يا رحا- تُحذف ياء النسب فتبدل الواو ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها، فالألف حيث تبدل من الواو، وهذه الواو بدلت من ياء رحيان، ومثله ترخيم ملهى علما على تلك اللغة، ونحو ذلك فى الياء المنقلبة مثل أعطى وأغزى قلبت الواو ياء إذ أصلهما (أعطو- أغزو) فصار (أعطى- أغزى) ثم قلبت الياء ألفاً للسبب السابق، وكان تبني من قرأ على مثال دحرج فتقول: قرأى فالألف الأخيرة بدلت من ياء هي بدلت من همزة. بحسب مراحل معلومة فى فن التصريف.

(١) سر الصناعة (الأزهر) الوجه الثانى من الورقة ١٢٨.

(٢) سر الصناعة (الأزهر) الورقة ١٢٩، الصيد: عدم الالتفات كبيراً أو من داء، والحيد: ما شخص (نساء وبرز) من نواحى الشيء ويقال: اشتكت الشاة حيداً: إذا نشب ولدها فلم يسهل مخرجه.



٣- إبدالها منهنما زائدتين فمن الواو مثل أن تسمى رجلاً (عُنوق)<sup>(١)</sup> ثم ترخمه على يا حارُ (لغة من لا ينتظر كما سبق) فتقول يا عُنَى (إذ أصله ياعُنُو) إلا أن الواو تقلب ياء لأنه لا يوجد في العريية اسم آخره واو قبلها ضمة، فإن سميت بـ (عُنَى) رجلاً ونسبت إليه فيصير (عُنَى) فإن رخمته (عُنَى) على يا حارُ حذفت ياء النسب ثم قلبت الواو قبلها ألفاً فيصير (ياعُنَا) فالألف هنا بدل من الواو الزائدة التي كانت في (عُنوق) على مراحل تصريفية، ومن الياء مثل زُمَيْل اسم رجل<sup>(٢)</sup>، تقول في ترخمه على يا حارُ يا زُمَاً، فتقلب ياء الزائدة لأن مثاله «فُعَيْل» ألفاً ومثله سلقى وجعنى في سلقيت وجعيت فالألف هنا كذلك- بدل من الياء الزائدة<sup>(٣)</sup>.

كما تكلم على إبدال الألف من تنوين المنصوب، ونون التوكيد الخفيفة، ونون إذا حال الوقف مثل رأيت زيدا وقوله تعالى ﴿لَنَسْفَعًا...﴾ [العلق] وقولك أنا أزورك إذا<sup>(٣)</sup>.

أما حديثه اللغوي فيتناول نقطتين الأولى: إبدالها من الهمزة في مثل رأس وقرات وأخطات وأحبطات وشامل تخفف بتسهيل الهمزة فتصير ألفاً، تقول فيها: رأس - قرات - أخطات - أحبطات - شامل، وفي مثل: ملا - هنا تقول: ملا - هنا، والثانية: قول بعضهم في المضارع من يش ياءس ووجل ياجل ونحو من ذلك قول الشاعر:

تُبْتُ إِلَيْكَ فَتَقَبَّلْ تَابِتِي وَصُمْتُ - رَبِي - فَتَقَبَّلْ صَامِتِي

أى تَوَبَّتْ وَصَوَّمَتْ، وفي الحديث: أرجعن مازورات غير ماجورات، وقد أوضح ابن جنى حيال النقطة الأولى الخاصة بتسهيل الهمزة أنك مخير بين التحقيق وعدمه في حالة سكون الهمزة وفتح ما قبلها، إذ هو إبدال قياسي، وأما إبدالها

(١) جمع عناق - كسحاب - الأنثى من أولاد المعز وعناق الأرض: دابة والداهية والأمر الشديد وزكاة عامين أو عام واحد، ومنه: (لو منعوني عناقاً) في كلام أبي بكر الصديق - رضى الله عنه - . القاموس ٢٧٨/٣. (٢) اللسان ١٣/٣٣٠.

(٣) سر الصناعة (الأهر) الورقة ١٣٠، سلقته. ألقته على ظهره وربما قالوا: سلقته يزيدون فيه الياء كما قالوا: جعيت جعاء من جعته أى صرته. اللسان ١/٢٦٠، ١٢/٢٨.

ألفاً وهي مفتوحة فهو غير قياسي، وحيال النقطة الثانية صرح بأنهم "قلبوا في ياءس وياجل وإن كانت الياء والواو ساكتين طلباً للخفة، وروى رأى الكوفيين في الحديث بأنه إنما أريد به ازدواج الكلام لقوله ماجورات وقال: إنه قول أيضاً (أى مقبول في نظره)<sup>(١)</sup>، ولو نظرنا في هذا الذى أجازاه ابن جنى من الوجهين لوجدنا أن كلاً لهجة عربية، يوضح ذلك قول أستاذنا الدكتور نجما: إن أكثر العرب تحقق الهمزة الساكنة المتحرك ما قبلها، ولكن تميماً تميل إلى تخفيفها بإبدالها مدة من جنس حركة ما قبلها مثل راس وبيرو ولوم<sup>(٢)</sup> واستعمال التخفيف في غير ذلك غير مقيس حقاً.

وأما صوغ المضارع على الطريقة السابقة فهو اكتفاء بأحد جزأى العلة، وهو لهجة عربية أيضاً، ومسألة الإبدال في ذلك كله غير متحققة لعدم توافق الألف والياء والواو مخرجاً وصفة فهي لهجات، وليست من باب الإبدال في شيء إذ مخرج الهمزة وكثير من صفاتها يختلف عن الألف، فالهمزة حنجرية على حين أن الألف لها وضع خاص حال خروجها من اللسان والحنك، والهواء يختلف مجراه بالنسبة لكل منهما كما أن لكل منهما سمات خاصة لا تتفق مع الأخرى أوضحناها عند حديثنا عن إبدال الهمزة من أصوات اللين. كذلك للواو طبيعة تختلف عن الألف تماماً حتى لقد منع علماء العروض أن تتناوب الألف معها في قافية القصيدة الشعرية، وكذلك لا يمكن تناوبها مع الياء ردّفين ويجوز ذلك بين الواو والياء للتقارب بين صوتيهما الموسيقى على أن العلم الحديث قد دعم ذلك ببراهين تثبت عدم صحة التبادل بينهما، وهذا يرجع أن تلك الاختلافات ترجع إلى اختلاف القبائل اللاهجة بها.

### باب الياء

ذكر ابن جنى أن الياء تأتي بدلاً<sup>(٣)</sup> وكان لحديثه عن إبدالها من غيرها وجهان؛ أحدهما صرفى والآخر لغوى فالأول يتصل بإبدالها من الألف والواو والهمزة والثاني ينقسم قسمين:

(١) سر الصناعة مخطوطة الأزهر ١٢٨، ١٢٩ وانظر اللسان ١/١٢٤، ١٢٨، ١٥٢، ١٩٠، ٣٦٣، ٣٦١.

(٢) اللهجات العربية ص ٦٧. (٣) سر الصناعة مخطوطة دار الكتب ٣٧٤.

١- إبدالها من غير المضعف من الحروف وهو الباء والتاء والثاء والجيم والسين والعين.

٢- إبدالها من المضعف منها وهو الباء والجيم والذال والراء والصاد والضاد والعين والكاف واللام والميم والنون والهاء<sup>(١)</sup>:

فأما الإبدال الصرفي فهو فيه -كثيره من علماء البنية- يذكر:

١- كل ألف انكسر ما قبلها أو وقعت قبلها ياء التحقير تقلب ياء مثل قَيْتال وضَيْراب مصدرى قاتل وضارب وحُمَيْليق ومُفْتِيح في تصغير حِملاق ومفتاح<sup>(٢)</sup>.

٢- ١ كل واو سكنت غير مدغمة وانكسر ما قبلها قلبت ياء مثل مَيْقات، وكذلك إذا سكنت في المفرد ووقع بعدها في الجمع ألف، وقبل الواو كسرة، واللام صحيحة، مثل ثياب وحياض، فإن اختلت هذه الشروط لم تقلب كذا في مُويزين ومَوازين وعَوْض وحَوْك - لاختلال القاعدة الأولى - وطوال وزَوَج وزَوَجة ورواء وطِواء جمعى رِيان وطِيان - لاختلال القاعدة الثانية.

ب) إذا اجتمعت الواو مع الياء وسبقت إحداهما بالسكون قلبت الواو ياء وأدغمت في الياء- بشروط أخرى- كما في سَيْد ومَيْت (تقدمت الياء) وفي لِيَّة وطِيَّة (تقدمت الواو) ومن الشروط الهامة لذلك القلب أن تكون كل منهما أصلية في موضعها<sup>(٣)</sup> فإن كانت عارضة (غير لازمة) لم يحدث القلب والإدغام المذكوران، وذلك كقولهم في بناء فاعل من سَرَتْ وبِعَتْ للمفعول سُور وبُوع، لأن الواو ليست لازمة لزوالها بالرجوع إلى بناء الفعل للمعلوم، كذلك ديوان واجليواذ (في أحد

(١) نفسه ٣٧٥ بتصرف. (٢) نفسه ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧.

(٣) إن يسكن السابق من واو ويا واتصلا ومن عروض عربيا  
فياء الواو اقلبن مدغماً وشذ معطى غير ما قد رسماً

استعمالاته) لأن الياء قبلها غير لازمة لأنهم قالوا دواوين لما زالت  
الكسرة، على أن بعضهم قد قال دياوين فأقر الياء مع زوال الكسرة  
وأجرى غير اللارم مجرى اللارم. قال الشاعر:

عداني أن أزورك أم عمرو دياوين تُشَقُّ بالمداد<sup>(١)</sup>

واللغوى الحديث يرى في قلب الواو ياء على الرغم من زوال الكسرة قبلها  
اتجهاً خاصاً بلهجة أهل الحجاز فهم يميلون إلى الكسر، على حين يميل التميمون  
إلى الضم، وذلك واضح في ألفاظ كثيرة، فالأولون يقولون: رضوان وإسوة  
وقدوة على حين ينطقها الآخرون بالضم<sup>(٢)</sup> ومثلها صبيان وقنية<sup>(٣)</sup>، ولما كانت الياء  
(تعد امتداداً للكسر والواو امتداداً للضم<sup>(٤)</sup>) رأينا أهل الحجاز يفضلون الياء، وبني  
تميم يفضلون الواو، ويبدو ذلك - أحياناً - ولو لم توجد مسوغات للنطق بهذه أو  
تلك، وهذا ما يسميه اللغوى الحديث بأسلوب (المعاقبة)<sup>(٥)</sup> فأهل الحجاز يسمون  
الصَّوْغ: الصَّيَّاع ويقولون في الموائر: المياثر، وفي الموائيق: المياثيق، وأنشد لابن  
الأعرابي:

حَمَى لَا يَحِلَّ الدَّهْرَ إِلَّا بِإِذْنِنَا وَلَا نَسْأَلُ الْأَقْوَامَ عَقْدَ الْمِائِثِ<sup>(٦)</sup>

ففي الصَّيَّاع كان الواجب الاتجاء إلى الواو، وفي المياثيق ودياوين كان  
الواجب إبقاء الواو أيضاً حيث زال سبب القلب ياء، ولكنهم لحبهم للياء التي هي

(١) سر الصناعة (دار الكتب) ٣٧٨، اجليواذ: أصله: اجلوآذ فقلب الواو الأولى ياء شذوذا  
والواجب التصحيح لفقد شرط القلب وهو أن تكون الواو مفردة (أي غير مدغمة في مثلها) مع  
سكونها وأدخلها ابن جني تحت مسألة اجتماع الواو والياء، وعلى رأيه لم تقلب الواو الثانية ياء  
وتدغم في الأولى لعروض الياء، وفعله: اجلوآذ: بمعنى أسرع. شرح الشافية للرضي، ط.  
حجازي ٨٤/٣، ٨٥، ١٣٧، ١٤٠، ومنتار السالك ٣٩٢، واللسان ١٤/٥.

(٢) المزهر، ط ٤، سنة ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م، دار إحياء الكتب العربية، ٢٧٥-٢٧٧، من موضع  
ذكره السيوطي بعنوان ذكر ألفاظ اختلفت فيها لغة الحجاز ولغة تميم.

(٣) دراسات في فقه اللغة (الصالح) ٩٦.

(٤) المختصر ١٩/١٤ بتصرف.

امتداد للكسرة لجأوا إليها على الرغم من مخالفتها القانون اللغوى العام. على حين يفضل التسميون الواو وظهر هذا واضحاً فى الامثلة، وهذه الملاحظة لغوية لا صرفية إلا أنها سبقت مع نظائرها فى مجال حديثه عن الإبدال الصرفى.

(ج) إذا وقعت الواو لاما لفعلى وصفاً مثل علماً ودنياً

(د) إذا تطرفت الواو رابعة فصاعداً مثل أعطيت واستقصيت<sup>(١)</sup> كل ذلك هرباً من الواو<sup>(٢)</sup>.

٣- متى اجتمعت همزتان وانكسرت الاولى منهما قلبت الثانية ياء البتة مثل: إيمان وإيلاف مصدرى آمن وآلف وهذا لون من الإبدال القياسى الواجب.

وقد تناول هنا الحديث عن لونين آخرين من تسهيل الهمزة أحدهما قياسى والآخر بدلى:

(أ) فالقياسى: يتحقق فى كل همزة سكنت وانكسر ما قبلها، فأردت تخفيفها قلبتها ياء خالصة فتقول فى تخفيف ذئب ويثر: ذيب ويير، وكما إذا انفتحت وانكسر ما قبلها مثل: يثر ومثر تقول فيهما: يير ومير، وفى تصغير أقفوس وأرؤس: أقيس وأريس.

(ب) وغير القياسى كما أبدلوا الهمز ياء لغير علة طلباً للخفة مثل: قرئت وتوضيت: فى تخفيف قرأت وتوضأت، وكما قال زهير:

جَرِيٌّ مَنِ يُظْلَمُ يُعَاقَبُ بِظُلْمِهِ      سَرِيعاً وَإِنْ لَا يُبَدَّ بِالظُّلْمِ يُظْلَمُ

أراد يبدأ فأخرج الكلمة إلى ذوات الياء، وقول الآخر:

وَكُنْتُ أَذِلُّ مَنْ وَتَدَّ بِقَاعٍ      يُشَجِّجُ رَأْسَهُ بِالْفِهْرِ وَاجِي

فأجراها وصلأ ولو كانت همزة أو نويت همزة ما جار أن يأتى بها وصلأ، ومنه:

(١) سر الصناعة (دار الكتب) ٣٧٩، ٣٨٠.

(٢) نفسه (الأزهر) الوجه الثانى من الورقة ١٤١.



إِنَّ السَّبَّاعَ لَتَهْدَا عَنْ فَوَارِسِهَا وَالنَّاسُ لَيْسَ بِهَادٍ شَرُّهُمْ أَبَدًا

أبدل الهمزة ياء ضرورة<sup>(١)</sup>، وهذا إبدال لا قوة له ولا قياس يوجهه<sup>(٢)</sup> - كما قال سيبويه - وجميعه لا يقاس عليه إلا أن يضطر شاعر<sup>(٣)</sup> إليه، ولذا ينص اللغويون على عدم جواز محاكاته، يقول صاحب اللسان: "ولا تقل: أخطيت وبعضهم يقوله"<sup>(٤)</sup> ولا تقل: توضيت وبعضهم يقوله"<sup>(٥)</sup> والقياس كذلك يمنع أن تحذف الهمزة كما في (يُبد) في قول زهير، وقلبها ياء حتى ساغ له أن يستخدمها وصلًا في قافية البيت، وقلبها ياء ثم حذفها في (هاد) في البيت الأخير، فهذه التصرفات غير قياسية ولا مطردة، إذ لا تقلب في هذه المواضع إلا بشروط خاصة تعرف في فن التصريف<sup>(٥)</sup>، ولعل ذلك الموصوف بالشذوذ هو من سمات أصحاب التسهيل من القبائل العربية، ولعله لمخالفته القواعد العامة حدث من بعضهم دون بعض، ويؤيده قول ابن سيده: "إن قول العرب أخطيت ليس بتخفيف قياسي، وإنما هو تخفيف بدلي محض، لأن همزة أخطأت ساكنة قبلها فتحة، فصورة تخفيف الهمزة التي هذه نصبتها أن تُخلص ألفاً محضة، فيقال أخطات كقولهم في تخفيف كأس: كاس<sup>(٦)</sup>، ونلاحظ أن النوع المقيس من خصائص لهجة تميم على ما قدمنا.

### إبدال الياء من غير المضعف

#### ١- من الياء

ذكر ابن جني أنها تبدل من الياء في نحو: ثعلبي وأراني في قول الشاعر - أنشده سيبويه:

(١) نفسه (دار الكتب)، ٣٧٩، ٣٨٠.

(٢) لو كان على القياس لوجب أن تخرج الكلمة إلى ذوات الياء فتقول في قريت ونحوه أقرى كما تقول رميت أرمى. سر الصناعة (الأزهر) الوجه الأول من الورقة ١٤٢.

(٣) اللسان ٥٩/١. (٤) نفسه ١٩٠/١.

(٥) أصل (يُبد)؛ فصارت بالتسهيل (يُبدى) و(هاد) أصلها (هادى) فصارت بالتسهيل (هادى) وهذا معنى أنه أخرجها إلى ذوات الياء، وبعد ذلك حذفها.

(٥) المحكم ٩/١.

لَهَا أَشَارِيرٌ مِنْ لَحْمٍ تُتَمَرُّهُ مِنْ الثَّعَالِي وَوَحْزٌ مِنْ أَرَانِيهَا

قال: أراد الثعالب والأرانب فلم يمكنه أن يقف الباء فأبدل منها حاء<sup>١</sup> يمكن أن يقفه في موضع الجر وهو الياء، وليس أنه حذف من الكلمة شيئاً ثم عوض منه الياء... هذا هو رأى سيبويه- كما حكاه ابن جنى- وهو يرى فيه رأياً آخر عبر عنه بقوله: ويحتمل أن يكون الثعالي عندي جمع ثعالة وهو الثعلب، أراد أن يقول: ثعالب فقلب، فقال (ثعالي) كما قالوا:

وَكَانَ أَوْلَاهَا كِمَابٍ مُقَامِرٍ ضُرِبَتْ عَلَى شُزْنٍ فَهَنْ شَوَاعِي

أى شوائع- ومن أبيات الكتاب:

تَكَادُ أَوْلِيهَا تُفَرِّي جُلُودَهَا وَيَكْتَحِلُ التَّالِي بِمُورٍ وَحَاصِبٍ

يريد أوائلها وله نظائر.، ولكن ابن جنى يعود فيرجع الإبدال فيها- كما ذهب إليه سيبويه وكما هو في نظيرتها (أراني)- فيقول: "إلا أن الذي ذهب إليه سيبويه أشبه، لقولهم: أرائها، ولأن الثعالة اسم جنس، وجمع أسماء الأجناس ضعيف<sup>(١)</sup>، ولكننا لو بحثنا في العلاقة الصوتية بين الباء والياء فلأننا نجد تباعداً في مخرجيهما وصفاتهما، ولذلك نحكم بعدم التبادل بينهما، بل هما لهجتان، وقد ذكر ذلك أستاذنا الدكتور نجا في اللهجات التي لا اسم لها ولم تنسب إلى أحد<sup>(٢)</sup>.

(١) سر الصناعة (الأهر) الوجه الثاني من الورقة ١٤٢ واللسان ٣٣٢/١، ٤١٨، ٤١٩، وفي البيت الأول: الأشارير: جمع إشرايرة وهي اللحم المجفف، وتتمره: تقطعه والوخز: شيء منه ليس بالكثير. وهو في تشبيه ناقة في سرعة سيرها بمقاب قوى لما توافر عنده من لحوم فرائسه التي يطعمها. وفي البيت الثاني: الكماب فصوص النرد واحدها كعب وهو شيء يلعب به فارسي معرب واللعب بها حرام، والشزن بالفتح ويضمين: الكعب يلعب به، وشواعي: مقلوب شوائع بمعنى متفرقة. يصف إسلا نرد الماء متفرقة متعارضة بعض هنا وبعض هناك في أثناء الشرب وكأنها لكثرتها كماب المقامر التي تتضاد وتتفرق، وفي البيت الثالث: تفرى: تقطع. المور: الغبار بالريح. الحاصب: ريح شديدة تحمل التراب والحصباء. يتحدث عن خيل أو إبل تكاد لسرعتها تشق جلودها ولا يبالي بعضها الآخر بما يدخل عيونها من تراب تشيره الريح.

(٢) اللهجات العربية ٦٦.

## ٢- من التاء

ذكر ابن جنى أن الياء تبدل من التاء مثل اتصلت، فقد أبدل الياء من التاء الأولى كراهية التضعيف<sup>(١)</sup> إذ أصلها اتصلت قال: (وايتصلت بمثل ضوء الفرقد)<sup>(٢)</sup> وهذا يخالف ما ذكره ابن جنى فى مكان آخر، إذ صرح بأن التاء هى التى أبدلت من فاء افتعل التى كانت واوا<sup>(٣)</sup> خوفاً من تلاعب الحركات بالواو فإنها لو تركت دون إبدال بالتاء حولتها الحركات المختلفة فيها إلى حروف مد من جنسها فوجب أن يقلبوها إذا انكسر ما قبلها ياء فيقولوا: ايتزن، وايتعد، وايتلج فإذا انضم ما قبلها ردت إلى الواو فقالوا: موتعد وموتزن وموتلج وإذا انفتح ما قبلها قلبت ألفا فقالوا: ياتعد وياتزن وياتلج<sup>(٤)</sup>، وعلى هذا فالياء فى اتصل ونحوها ليست مبدلة من التاء - كما ذكر ابن جنى فى سر الصناعة (حرف الياء) - بل إن الياء بدلت من الواو حولت إليها لمناسبة الكسرة وهذا التلاعب لهجة عربية اعترف بها ابن جنى نفسه<sup>(٥)</sup> وقد شرحنا ذلك فيما مضى<sup>(٥)</sup>.

## ٣- من الشاء

يَقْدِيكَ يَا زَرْعُ أَبِي وَخَالِي      قَدْ مَرَّ يَوْمَانِ وَهَذَا النَّالِي  
وَأَنْتَ بِالْهَجْرَانِ لَا تُبَالِي<sup>(٦)</sup>

أراد الثالث<sup>(٦)</sup> والواقع أن هذا لا يعد من الإبدال بل كل منهما لهجة وذلك لأنه لا تقارب بين الياء والشاء حتى يقع بينهما التبادل.

## ٤- من الجيم

ذكر ابن جنى أن الياء تبدل من الجيم كما فى كلمة شجرة تنطق أحياناً شِيرة وقد عرض ابن جنى لرأين فيها:

(١) سر الصناعة (الأزهر) الورقة ١٤٦ . (٢) نفسه ١/ ١٦٣ .  
(٣) نفسه ١/ ١٦٤ . (٤) نفسه ١/ ١٦٥ .  
(٥) انظر ص من كتابنا . (٦) سر الصناعة (الأزهر) الورقة ١٤٦ .

الأول: أن الياء ليست بدلاً من الجيم بل هي أصل مثلها في لهجة من اللهجات واستدل على ذلك بأمرين:

- ١- ثبات الياء في تصغيرها في قولهم: شَيْرةٌ ولو كانت بدلاً من الجيم لكانوا خلقاء إذا صغروا الاسم أن يردوها إلى الجيم ليدلوا على الأصل.
- ٢- أن شين شَجَرَة مفتوحة وشين شَيْرة مكسورة والبدل لا تغير فيه الحركات، إنما يوقع حرف موقع حرف (مثل أَيْل وأَجَل)<sup>(١)</sup>.

قال أبو الفتح: حكى أبو الفضل الرياشي قال: كنا عند أبي زيد وعندنا أعرابي فقلت له: إنه يقول الشَّيرة فسأله عنها فقلت له: سله عن تصغيرها فسأله فقال: شِيره، وأنشد الأصمعي لبعض الرجاز: (تَحْسِبُهُ بَيْنَ الْأَكَامِ شِيرَه)<sup>(٢)</sup>.

الثاني: أن تكون الياء بدلاً من الجيم - ببعض الصنعة- فالعرب إذا قلبت وأبدلت قد تغير في بعض الأحوال مثل جاء مقلوب وجه ألا ترى أنه بعد تقديم العين لم يسكن الواو بل حركها فقلبت ألفاً<sup>(٣)</sup> فكذلك غيرت فتحة الشين كسرة، وزاد في الأتس بالكسر أنه لو أقرت الفتحة لقلبت الياء ألفاً، فيقال: شارة، فكانت تبعد كثيراً عن شجرة، وليس كذلك كلمة جاء لأنه يشبه وجهها لسكون ثانيه بخلاف شارة لأن ثانيه ساكن، وثاني شجرة متحرك، فعدلوا لذلك إلى كسر الشين، وكان هذا أوثق وأليق<sup>(٤)</sup> ويؤنس لهذا الوجه أيضاً ما ذكره في المحتسب: من أن بعض العرب تقول: الشجرة (بكسر الشين) وقال ابن إسحاق: لغة بني سليم الشَّجرة<sup>(٥)</sup>، ويعقب صاحب اللسان بأن الواحد شَجَرَة وشَجَرَة وقالوا شِيرَة فأبدلوا، فلما أن يكون على لغة من قال شَجَرَة وإما أن تكون الكسرة لمجاورتها الياء<sup>(٦)</sup> والواقع أن البحث اللغوي الحديث يؤيد الإبدال بين الياء والجيم لاتفاقهما

(١) سر الصناعة (الأزهر) الورقة ١٤٦ وانظر اللسان ٦/٦١، ٦٢.

(٢) المحتسب ١/٧٣، ٧٤ وانظر اللسان ٦/٦١، والقاموس المحيط، ط. الحسينية، ٥٦/٢.

(٣) وجه: صار: جَوَّه، ثم حركت الواو فصار: جَوَّه فقلبت ألفاً لأنه لما أعل بالقلب أعل -أيضاً- بتحريك عينه. الخصائص ٢/٧٦ وفي حواشي الجاربردي (٢١/١) الأولى أن يقال: نقلت الواو

وهي متحركة فصار الجيم الساكن فاء، فحرك بالفتح لكونه أخف ولكونه حركة الفاء الأصلية.

(٤) سر الصناعة (الأزهر) ١٤٦ بتصرف. (٥) ٧٣/١، ٧٤. (٦) اللسان ٦/٦١.

فى المخرج فكلاهما من (وسط اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى) وكلاهما مجهور مستفل منفتح مصمت<sup>(١)</sup> ولا مانع من نسبة كل منهما إلى حى من العرب وذات الشين المفتوحة والجيم تناسب الحضر لحفتها على حين تناسب المكسورة الشين والمبدلة سكان البادية كبنى سليم وغيرهم من الاعراب.

### ٥- من السين

قال الشاعر:

إذا ماعُدَّ أربعةٌ فسَالٌ      فزَوْجُكَ خامسٌ وأبوك سَادِي  
بُؤْيُزِلُ أعوامٍ أذاعتْ بِخَمْسَةٍ      وتعتدُنِي إن لَمْ يَقِ اللَّهُ سَادِيَا

وقال الآخر:

مضى ثلاثُ سنينَ منذُ حلَّ بها      وعامٌ حَلَّتْ وهذا التَّابِعُ الخَامِي  
وقال:

عَمَرُوا وكَعَبٌ وعبدُ اللَّهِ بينهما      وابناهُما خمسةٌ والحارثُ السَّادِي<sup>(٢)</sup>

والواقع أنه لا إبدال بين السين والياء لعدم التقارب فى المخرج أو الصفة، فكل منهما لغة لقوم، يقول ابن منظور فى لسانه: "والسَّادِي: السادس فى بعض اللغات" قال الشاعر:

إذا ماعُدَّ أربعةٌ فسَالٌ      فزَوْجُكَ خامسٌ وحَمُوك سَادِي<sup>(٣)</sup>

(١) التجويد والأصوات ٤٩، ٥٠ والأصوات اللغوية ٦٤، ٦٥.

(٢) سر الصناعة (الأزهر) ١٤٢، ودار الكتب، ص ٣٧٨، وانظر اللسان ٨٦/٣، ٤٩٨/٧، ١٦٧/١٨، فسأل: جمع قَسَل وهو الرُّذْلُ التَّنْذُلُ الذى لا مروءة له ولا جلد وبزل البعير: طلع نابه فهو بازل وكذلك الانثى بغير هاء، وهو أقصى أسنان البعير. وذلك يكون فى السنة التاسعة وربما الثامنة، فإذا جاور البعير البزول قيل: بازل عام أو عامين وكذا ما راد، وقالوا رجل بازل على التشبيه بالبعير، وربما قالوا ذلك يعنون به كمال عقله وتجربته. وببوزل تصغير بازل. وأذاعت بخمسة: أبعدتهم فهلكوا.

(٣) ٩٩/١٩.



## ٦- من العين

من ذلك قول الشاعر: أنشده سيبويه:

وَمَنْهَلٍ لَيْسَ بِهِ حَوَازِقُ وَلِضَفَادِي جَمَّةٌ نَقَائِقُ

يريد لضفادع جمه فكره أن يسكن العين في موضع الحركة، فأبدل منها حرفاً يكون ساكناً في حال الجر وهو الياء<sup>(١)</sup> والواضح أنها لغة وليست من الإبدال في شيء لعدم تقارب مخرجي الحرفين وصفاتهما.

### إبدال الياء من المضعف

#### ١- من الباء

دياج - لَبَّيت وَلَبَّيْكَ (على قول يونس) - لا ورييك لا أفعل.

قالوا ديباج وديابيغ فدل قولهم ديبايغ بالباء على أن أصله دبَّاج وأنهم استقلوا تضعيف الباء ومثله لا ورييك لا أفعل أى وريِّك<sup>(١)</sup>، وقال بعضهم: لَبَّيت بالحبج هو لَبَّيت فعلت من قولهم ألب بالمكان أى أقام به، قال مضرب بن كعب:

فَقُلْتُ لَهَا فَيَبْنِي إِلَيْكَ فَبَاتْنِي حَرَامٌ وَإِنِّي بَعْدَ ذَلِكَ لَبِيبٌ

أى مُلَبِّ بالحبج<sup>(٢)</sup>، ويزعم يونس أن لَبَّيْكَ اسم مفرد وأصله عنده لَبَّبٌ ووزنه عنده فعلل ولا يجوز أن تحمله على فعل لقلة فعل للأسماء وكثرة فعلل، فقلبت الباء التى هى اللام الثانية من لَبَّبٍ ياء هرباً من التضعيف<sup>(٣)</sup> وهذا كله منتزع من قول سيبويه والخليل إن لَبَّيْكَ مأخوذ من قولهم ألب بالمكان<sup>(٤)</sup> وهذا يدل على أن الياء فى لَبَّيْتُ وَلَبَّيْكَ بدل من الباء كراهية التضعيف الذى نشأ عنه الثقل فى

(١) سر الصناعة (الأزهر) الوجه الأول من الورقة ١٤٦ وانظر اللسان (ضفدع) ٩٤/١٠، حوازي: الحازقة والحزاقة: الجماعة والقطفة من كل شيء وجمعه: حوازي. اللسان ٣٣١/١١، والقاموس ٢٢٨/٣.

(٢) سر الصناعة (الأزهر) الورقة ١٤٢.

(٣) نفسه (الأزهر) الورقة ١٤٢، ١٤٣ وانظر الأشموني ٢٥٣/٢.

(٤) نفسه ١٤٣.

كلمتيهما، ولكن أهل الصنعة - وعلى رأسهم الخليل وسيبويه - خالفوا يونس - فلم يقولوا بأن الياء فى لَيْتَ وليك بدل من باء بل الياء فيهما أصل، فكلمة لَيْتَ اسم مثنى بمنزلة غلامى زيد وصاحبى سعيد، فالياء عندهم علم الثنية ووزنه على قولهم فعليك، كما أن سعديك كذلك لا محالة، قال الخليل: هو من قولهم دار فلان تلبّ دارى أى تحاذيها أى أنا مواجهك بما تحب إجابة لك، وحكى عنه -أيضا- أنه قال: هو مأخوذ من قولهم أمّ لَبّة أى مُحبّة عاطفة ومعناه على هذا إقبالا إليك ومحبّة لك وأنشد:

وَكُنْتُمْ كَأَمْ لَبّةٍ طَعَنَ ابْنُهَا      إِلَيْهَا فَمَا دَرَّتْ عَلَيْهِ بِسَاعِدِ

وقال ابن الاعرابى: اللَّبُّ: الطاعة وأصله من الإقامة، وقولهم لَيْتَ: اللَّبُّ واحد فإذا ثنيت قلت فى الرفع لَبَّانٍ وفى النصب والخفض لَبَّيْنِ، وكان فى الأصل لَبَّيْنِكَ أى أطعتك مرتين، ثم حذفت النون للإضافة، أى أطعتك طاعة بعد طاعة مقيما عندك إقامة بعد إقامة<sup>(١)</sup> فالياء على هذا للثنية، ونقض أصحاب هذا المذهب رأى يونس بذلك وأبطلوا وجه الشبه الذى ادعاه بين لفظ لَبَّيْكَ وكلمات (عليك - إليك - لديك) واحتج سيبويه على يونس فقال: لو كانت ياء لَيْتَ بمنزلة عليك وإليك ولديك لوجب متى أضفتها إلى المظهر أن تقرها ألفاً كما أنك متى أضفت عليك وأختيها إلى المظهر أقررت ألفها بحالها فكنت تقول: لَبَّيْ زيد ولَبَّيْ جعفر كما تقول: إَلَى زيد وعلى زيد ولدَى سعيد، وأنشد قول الشاعر:

دَعَوْتُ لِمَا نَابَنِي مَسُورًا      فَلَبَّيْ فَلَبَّيْ يَدَى مَسُورِ

قال: قوله: فَلَبَّيْ بالياء مع إضافته إياه إلى المظهر دلالة على أنه اسم مثنى<sup>(٢)</sup> بمنزلة غلامى زيد وصاحبى سعيد<sup>(٢)</sup> هذا عن الياء فى لَبَّيْكَ فهى ياء الثنية، وليست بدلاً من باء - كما ذهب يونس - أما ياء لَيْتَ بالحج فهى كذلك -

(١) لسان العرب ٢/٢٢٦، ٢٢٧ والأشعرونى ٢/٢٥٢ والكتاب ١/٣٥٢ - ٣٥٤ تحقيق الأستاذ عبدالسلام هارون.

(٢) سر الصناعة (الأزهر) الوجه الأول من الورقة ١٤٣ والأشعرونى ٢/٢٥٣.

عند أهل الصنعة- ليست بدلاً من باء بل هي الياء في لبيك التى هي علم الثنية، ذلك أنهم اشتقوا من الصوت فعلاً فجمعوه من حروفه، كما قالوا من سبحان الله: سبحلت أى قلت: سبحان الله، ومن لا إله إلا الله: هللت ومن لا حول ولا قوة إلا بالله: حولقت ومن بسم الله: بسملت ومن هلم: هلممت، وكتب إلى أبو على من حلب فى شيء سألته عنه، فقال: قال بعضهم: سألتك حاجة فلا ليت لى، أى قلت لى: لا، وسألتك حاجة فلو ليت لى: أى قلت لى: لولا، قال: وقالوا: باباً الصبى أباه: أى قال له يا أباه... وهذا كثير فكذلك أيضاً اشتقوا لبيت من لفظ لبيك، فجاء فى لبيت بالياء التى هي للثنية فى لبيك وعلى هذا قول سيبويه<sup>(١)</sup>.

وقد رجح ابن جنى رأى أهل الصنعة حين قال: "والقول بعد ذلك قول سيبويه" إلا أنه لا يمنع- مع ذلك- صحة رأى يونس حين قال: "ثم إن أبا على فيما بعد انتزع لنا شيئاً يؤنس به قول يونس ولم يقطع به وإنما ذكره تعللاً وهو أنه قال: ليونس أن يحتج فيقول: قوله فلبي يدنى إنما جاء على قول من قال فى الوصل هذه أفعى عظيمة وعصى طويلة، وقد حكى سيبويه أنهم يقولون ذلك فى الوصل كما يقولونه فى الوقف وهذا ليس عذراً مُقنعاً وإنما فيه بعض التأنيس، ويرى الأب مرمرجى الدومنى أن الفعل (لبي) ليس مرتجلاً- كما فى الفصحى- من لفظة لبيك بل يراد به ساعد- أعان- أغاث، كما أن لفظة لبيك ليست بمشتى وإنما يراد منها المعنى السابق للفعل لبي لأسباب:

١- تاريخ الكلمة يدل على أنها قديمة جداً، ودالة على ما كان الساميون يجرونه من الأعمال فى غضون عبادتهم للقمر.

٢- أن قدماء العرب كانوا يعتقدون أن القمر فى الليالى الأخيرة من الشهر يقع فى ضيقة لشدة الضغط النازل عليه من قبل تهامة أى البحر، وهى الكلمة الأكديّة التى استقرضتها العربية ولا سيما عربية الجنوب منذ القديم، كما أن هذه اللفظة ذاتها قد ولجت العبرية بصورة Tehom فكان العرب يصرخون إذ ذاك

(١) نفسه الوجه الثانى من الورقة ١٤٢.

ليك لبيك موجهين الكلام إلى القمر، كأنهم يقولون (ساعدك- أو أغاثك وليساعدك وليغثك الإله مروح منجياً إياك من (تهامة)، وقد استمرت هذه العادة القديمة بين بعض العامة الجهلة في فرصة كسوف القمر، لاعتقادهم الخرافي أن حوتاً يتلعه فيصرخون ويضجون بالدق والقرع على الأواني النحاسية كالقدور والصواني وغيرها تهويلاً لهذا الحوت المزعوم، فيضطر لحوفه إلى قذف القمر من فيه، وبذلك يزول الكسوف على ظنهم ظن الغباوة.

٣- أن هذه الكلمة تتبعها لفظة أخرى وهي سعديك، وقد أشار سيبويه إلى ذلك بقوله: "حدثني أبو الخطاب أنه يقال للرجل المداوم على الشيء لا يفارقه ولا يقلع عنه: قد لبَّ فلان على كذا وكذا وقد أسعد فلان فلاناً على أمره وساعده، والإلبابُ: المساعدة وكما ورد عن البخاري في جواب معاذ للنبي ﷺ (ليك) رسول الله وسعديك.

٤- أنها تشبه أهلَ واستهلَّ أى رفع صوته والإهلال بالحج، ومن هذا الصوت صيغت الأفعال (هل- أهل- استهل).

ثم تطورت دلالتها فأصبحت تطلق على الإجابة والطاعة والتهيل والتسبيح والتعظيم، والنتيجة لكل ذلك أنه "يمكن القول بأن الصيغة (ليك) ليست من باب التثنية والنصب كما هو الرأي السائد، بل هي ضرب من اللفظ القديم بالإمالة على مثال الوارد في اللهجات، مثلاً: ناديه- توفيه- استهويه - صريط- مشكيه- كيفرين (يقابلها في الفصحى: ناداه توفاه - استهواه- صراط- مشكاة- كافرين) وعلى تعاقب الأزمان ثبت في الفصحى التلفظ بالفتحة المشبعة كقولك (رماء) وفاها- دعاك) وهكذا تكون لبيك وسعديك من الآثار اللغوية القديمة التي بقيت في اللغة وسبقت لباك وأسعدك<sup>(١)</sup>.

والباحث يرى أن كل تلك الآراء قديمة وحديثة تجعل مادة (لبّ والّب) أصلاً لاشتقاق (لبيت ولبيك) ومعناها في النهاية أنا مقيم على طاعتك<sup>(٢)</sup> وهذا

(١) معجمات عربية سامية للأب مرمجي الدومني، ص ١٧٠-١٧٢.

(٢) اللسان ٢/٢٢٦.

الاشتقاق صحيح لموافقة المأخوذ للمأخوذ منه فى أصل المعنى والاتجاه، وبهذا يبدو أن القول باشتقاق (لبيت أو لبيك) أحدهما من الآخر أمر غير سديد، كما أن القول بأن لبيك اسم مفرد فيه كثير من التكلف والتعسف وهو رأى يونس، وما يراه الأب مرمرجى الدومنى من أن (لبيك) صيغة من صيغ الإمالة لا تؤيده البراهين اللغوية الواقعية فالمعهود أن تكون إمالة الألف نحو الكسرة مثل ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ...﴾ (٢٢) [الفجر] ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ...﴾ (٢٣) [الإسراء] وما هنا لم يتحقق فيه ذلك، بل الحرف السابق (للألف - بحسب ما يراه) مفتوح فتحة صريحة لا صلة لها بالكسرة بحال وهى لا تتفق والأمثلة اللهجية التى ذكرها، بل تلك النظائر أميلت فيها الألف نحو الكسرة على خلاف لبيك وسعديك، فليس فيهما إمالة كما تصور، ولا يوجد ما يؤيد أن (لبيك) كانت تنطق بصيغة الإمالة ثم تحولت منها إلى الفتح كما هى الآن، ويبدو أن رأى أهل الصنعة - وعلى رأسهم الخليل وسيبويه - فى الذهاب إلى أن لفظ (لبيك) مثنى هو أكثر صواباً وقبولاً، يدل لذلك القاعدة اللغوية المشهورة (الإعراب فرع المعنى)، فمعناها (إجابة لك بعد إجابة وإقامة على طاعتك بعد إقامة) وهذا يؤكد أن اللفظ مثنى، وأنه منصوب على المصدرية كقولك حمداً لله وشكراً وكان حقه أن يقال: لَبَاً لَكَ إلا أنه ثنى على معنى التوكيد أى لَبَاً لَكَ بعد لَبَ وإقامة بعد إقامة<sup>(١)</sup> وأما القول بأن الياء فى (لبيت وليك) بدل من الباء فيمكن التفصيل فيه فالأقوى احتمالاً أن تكون الياء فى الفعل بدلاً من الباء تبعاً لأصل اشتقاقه من لَبَ أو أَلَبَ بالمكان بمعنى أقام به ولزمه، فالمتوقع فى الصياغة - تبعاً للقواعد العامة - أن يكون أصله (ل ب ب - ل ب ب ت) ثم أبدلت الباء الأخيرة ياء كراهية توالى الامثال<sup>(٢)</sup> وهو قانون بينا أنه منطلق علم اللغة الحديث والأقوى احتمالاً - كذلك - ألا تكون الياء فى (لبيك) بدلاً من باء - مع اعترافنا برجوعها إلى أصل المادة

(١) اللسان ٢/٢٢٧.

(٢) يقول صاحب اللسان: ألبيت بالمكان ولبيت لغتان إذا أقمت به، وهو أصل التلية كما حكى أبو عبيد عن الخليل. اللسان ٢٠/١٠٤.



(ل ب ب) فالمعروف أن (ليك) كما رجحنا مثني المصدر (لب) بحالة النصب، وأصله (لَبَّان) لك و«لَبَّيْنُ لَكَ» فالظاهر أن الياء هنا علم النصب في التثنية، لأن هذا المصدر من صيغة الثلاثي المجرد (فَعَلَ) لا من صيغة المزيد بالتضعيف (فَعَّلَ).

## ٢- من الجيم

مثل ابن جنى للمضعف من ذلك بقولهم في جمع ديجوج: دياج (أصله دياجيج فأبدلت الجيم الأخيرة ياء وحذفت مع الياء قبلها تخفيفاً)<sup>(١)</sup> ويقول صاحب اللسان: "جمع الديجوج: دياجيج ودياج وأصله دياجيج فخففوه بحذف الجيم الأخيرة، قال ابن سيده: التعليل لابن جنى<sup>(٢)</sup> وليس من المعقول أن يكون قد حذف الجيم ابتداءً، بل الأمر يقتضى قلبها أولاً إلى ياء للانسجام الصوتي ثم حذفت مع الياء قبلها زيادة في تخفيف اللفظ، وخاصة أنه قد ثقل بالجمع مع وجود الأصوات المتماثلة في صعيد واحد.

## ٣- من الدال

ذكر ابن جنى من ذلك (فَعَّلَ) من التصدية وهي التصفيق والصوت<sup>(٣)</sup> قال الأزهري: يقال: صَدَّى يُصَدِّي تصدية إذا صَفَّقَ<sup>(٤)</sup> وأصله صَدَدَ يَصَدَّدُ فكثرت الدالات فلبت إحداهن ياء<sup>(٥)</sup> ومنه الثلاثي صَدَدَتْ أَصَدَّ وَصَدَدَتْ أَصُدَّ، وفي التنزيل: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ [الزخرف]، أى يعجون ويعسجون<sup>(٦)</sup> والاختيار يَصِدُّونَ بالكسر وهي قراءة ابن عباس وفسره يعجون ويعسجون... قال أبو منصور: فإذا كان المعنى يضج ويعج فالوجه الجيد صَدَّ يَصِدُّ مثل ضج يضج<sup>(٦)</sup> وأنكر أبو جعفر الرستمي هذا القول على أبي عبيدة

(١) سر الصناعة (الأزهر) الورقة ١٤٦. (٢) اللسان ٨٩/٣.

(٣) سر الصناعة (الأزهر) الوجه الثاني من الورقة ١٤٥.

(٤) ومنه قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً...﴾ [الأنفال] فالمكاء: الصفير، والتصدية: التصفيق وقيل للتصفيق تصدية لأن اليدين يتصافقان فيقابل صفق هذه صفق الأخرى وصدَّ هذه صدَّ الأخرى وهما وجهان. اللسان ٢٣٣/٤.

(٥) اللسان ٢٣٣/٤. (٦) سر الصناعة (الأزهر) الوجه الثاني من الورقة ١٤٥ واللسان ٢٣٢/٤.

وقال: إنما هو من الصدى وهو الصوت فكيف يكون مضاعفاً؟، وقال أبو على: ليس ينبغي أن يقال هذا خطأ لأنه قد ثبت بقوله عز وجل: ﴿يَصْدُونَ﴾ وقوع هذه الكلمة على الصوت أو ضرب منه، وإذا كان ذلك كذلك لم يمتنع أن تكون (تصدية) منه وتكون تفعله من ذلك أصلها تصددة مثل التجلة والتعلة<sup>(١)</sup> فلما قلبت الدال الثانية من تصدده تخفيفاً اختلف اللفظان فبطل الإدغام<sup>(٢)</sup>.

#### ٤- من الراء

شيراز - قيراط - تسريت

أولاً: شيراز فيه عدة أوجه:

١- أن تكون الياء بدلاً من الراء وذلك من وجهين:

أ) أن يكون أصله شراراً والجمع شراريز، وهذا واضح في إبدال الياء من الراء الأولى.

ب) أن يكون أصله شراراً والجمع شوراريز، يقول ابن جنى: وقد يحوز -أيضاً- على هذا أن يكون أصل واحد شراراً إلا أنهم أبدلوا من الراء الأولى ياء - كما ذكرناه - ثم إنهم لما جمعوا أبدلوا الياء المبدلة من الراء واوا لقرب ما بين الياء والواو.

٢- أن تكون الياء بدلاً من الواو: قال ابن جنى: فأما من قال في شيراز شوراريز فإنه جعل الياء فيه مبدلة من واو وكان أصله على هذا شوراراً فلما سكنت الواو وانكسر ما قبلها قلبت ياء ثم إنه لما زالت الكسرة في الجمع رجعت الواو فقالوا: شوراريز، فإن قلت: فإن بناء فوعال ليس موجوداً في الكلام فمن أين حملت واحد شوراريز عليه؟ فالجواب: أن ذلك إنما رفض في الواحد لأجل وقوع الواو ساكنة بعد الكسرة فلم يمكن إظهارها فلما لم يصلوا إلى إظهار الواو في الواحد لما ذكرناه، وكانوا يريدونها أظهورها في الجمع، ليدلوا على

(١) إذا أصلها تعللة ومجئلة ثم ادغم.

(٢) سر الصناعة (الأزهر) الوجه الثاني من الورقة ١٤٥ والأول من الورقة ١٤٦.

ما أرادوه فى الواحد ليعلموا أنها لم تزد فى الواحد ياء فى أول أحوالها وأنها ليست كديماس ودياميس ولا كديساج وديابيج فيمن نطق بالياء بعد الدال<sup>(١)</sup> والدليل على كون الياء فى شيراز بدلاً من الواو فى شوراز وأنها ليست بمنزلة ياء ديماس ظهورها فى الجمع شواريز<sup>(٢)</sup>.

٣- أن تكون الياء غير مبدلة من راء ولا واو بمنزلة ياء ديماس، قال ابن جنى: ويحتمل قولهم شواريز عندى قولاً آخر على غير المذهب الأول وهو أن يكون شيراز فيعلاً والياء فيه غير مبدلة من راء ولا واو بمنزلة ديماس، وكان قياسه على هذا أن يقولوا فى تكسيره شياريز كدياميس، ولكنهم أبدلوا من الياء واوا لضرب من التوسع فى اللغة، وذلك أن الواو فى هذا المثال المكسّر أعم تصرفاً من الياء، ألا ترى إلى كثرة نحو ضوارب وقواتل . . . . . وقلة صيارف وبياطر، فلما ألقت الواو فى هذه الأمثلة المكسورة وكانت أعم تصرفاً من الياء قلبت الياء أيضاً فى شياريز واوا فى شواريز، كما قلبت الواو أيضاً فى نحو هذا من مكسّر الأمثلة ياء لضرب من الاتساع فى الكلام فقالوا فى جمع ناطل . . . . . نياطل ولم يقولوا نواطل مثل خواتم ودوانق، قال لبيد: (تكرّ عليهم بالمزاج النياطل)<sup>(٣)</sup> وقد رجح ابن جنى أن تكون غير مبدلة من راء ولا واو حيث يقول بعد حديثه عن رأى الأول مشيراً إلى رأى الثالث الذى معنا - وكان قد ذكره قبله - والقول الذى قبل هذا أشبه<sup>(٤)</sup>.

ثانياً: قيراط: أصله قراط<sup>(٥)</sup> بالتشديد لأن جمعه قراريط فأبدل من إحدى حرفى تضعيفه ياء . . . قال ابن دريد: أصل القيراط من قولهم: قرط عليه إذا أعطاه قليلاً قليلاً. والياء فى قيراط بدل من الراء<sup>(٥)</sup>.

(١) سر الصناعة (الأزهر) ١٤٣. (٢) نفسه، الوجه الثانى من الورقة ١٤٤.

(٣) نفسه. الوجه الثانى من الورقة ١٤٣ وانظر المحاسب ١/١٥٧، النياطل: جمع ناطل وهو القدر الصغير الذى يعرض فيه الخمار أمودجه من الشراب على الندامى. اللسان ١٤/١٩٠. وقال الجوهري: النياطل جمع نيطل لأن فاعلاً لا يجمع على فياعل. وانظر سر الصناعة السابق.

(٤) انظر مادة (شر) فى اللسان ط بيروت ٥/٣٦١ والقاموس (الحسينية) ٢/١٧٨.

(٥) اللسان ٩/٣٥١.

ثالثاً: تسريت: هذا الفعل مأخوذ من السُّرية<sup>(١)</sup> وقد اختلف في اشتقاقها على الوجوه الآتية:

١- من سراة الشيء: وسراة الشيء أعلاه وما ارتفع منه<sup>(٢)</sup> وأصلها على هذا (فُعيلة) سُرْيُوهُ لأن السَّراة من الواو ويظهر ذلك في جمعها على سَرَوَات يقول الفرزدق:  
وأَصْبَحَ مُبْيَضُ الصَّقِيعِ كَأَنَّهُ      على سَرَوَاتِ الثَّبَتِ قُطْنٌ مُنْدَفُ  
فاجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وأدغمت في الياء<sup>(٣)</sup>.

٢- من السَّرُو بمعنى المروءة والشرف يقال سَرُو يسرُو سَرَاوة وسَرَوًا: أى صار سرياً وله صلة بالمعنى السابق إذ الشرف والمروءة ارتفاع عن الدنيا، ومن هنا قال أبو العباس: السَّرَى الرفيع فى كلام العرب ومعنى سَرُو الرجل يسرو أى ارتفع يرتفع فهو رفيع، مأخوذ من سراة كل شيء ما ارتفع منه وعلا<sup>(٤)</sup> إلا أن سُرْية على هذا يكون أصلها فُعولة من السَّرُو وقلبت الواو الأخيرة ياء طلباً للخفة، ثم أدغمت الواو فيها فصارت ياء مثلها ثم حولت الضمة كسرة لمجاورة الياء<sup>(٥)</sup>.

٣- من السرور وبه قال أبو الحسن الأخفش، يقول ابن جنى: والذى ذهب إليه أبو الحسن أنها فُعلية من السرور، لأن صاحبها يسر بها، ودفع أبو الحسن ما سبق من الآراء وقال: إن الوضع الذى تؤتى المرأة منه ليس أعلاها ولا سراتها قال ابن جنى والقول كما قال<sup>(٦)</sup>.

٤- أ) من السَّر بمعنى الجماع لأنه يكتُم \* وذلك أن صاحبها أبدا يخفيها ويُسِر أمرها من حرته وصاحبة منزله \*<sup>(٧)</sup> وهى فُعلية بهذا الاشتقاق أيضاً وضمت السين للفرق بين الحرة والامة توطأ فيقال للحرة إذا نكحت سراً أو كانت فاجرة سرية وللمملوكة يتسراها صاحبها سُرْية مخافة للبس<sup>(٨)</sup>.

(١) الجارية المتخذة للملك والجماع والامة التى بواتها بيتاً.

(٢) اللسان ١٩/ ١٠٠. (٣) سر الصناعة (الأهر) الوجه الأول من الورقة ١٤٥.

(٤) اللسان ١٩/ ٩٩، ١٠٠. (٥) نفسه ٦/ ٢٢.

ب) من السرُّ بمعنى السرور، وبه قال أبو الهيثم: 'ولعل هذا مأخوذ من رأى أبى الحسن الاخفش السابق<sup>(١)</sup>.

٥- من السُّرى يقول ابن جنى: 'ولو قال قائل: إنها فُعيلة من سریت أى سرت ليلاً لأن فى ذلك ضرباً من الإخفاء والستر لكان قولاً<sup>(٢)</sup>.

ومن هذه الآراء يتلخص لنا أن وزنها إما فُعيلة - كما هو الرأى الثالث والرابع، وإما فُعيلة - كما هو الرأى الاول والخامس - وإما فُعولة - كما هو الرأى الثانى - وعلى أخذها من السُّرى لا يتحقق الإبدال فى شىء من الحروف، لأن الياء تكون أصلية فى موضعها، وعلى أخذها من السَّرة والسُّرو يكون الإبدال من الواو إلى الياء - كما هو مبين سابقاً - وليس من بابنا الذى نتحدث عنه، ويتحقق ما أردناه إذا أخذت من السُّر أو السُّرور إذ تكون السرية من (مادة س ر ر) المكررة الراء، ويكون تسريت أصله: تسررت على تحويل التضعيف؛ فالراء أبدلت ياء لما نوالى ثلاث راءات، ولذلك قال ابن جنى إن حملها على أنها فُعيلة أَوْجَهُ لأميرين:

١) أن فُعيلة أكثر فى الكلام من فُعيلة.

ب) معنى السُّر والسُّرور أظهر من معنى السَّرة والسُّرى<sup>(٢)</sup>.

#### ٥- من الصاد

يذكر ابن جنى من ذلك (قصيت أظفارى والاصل قصصتها)<sup>(٣)</sup> فقلبت الصاد الثالثة ياء كراهية التضعيف<sup>(٣)</sup>.

#### ٦- من الضاد

وهذا مثل تقضى بمعنى انقض، وأصله تقضض على وزن (تفعل) من الانقضاض، قال الشاعر:

(١) اللسان ٢٢/٦. (٢) سر الصناعة (الأهر) الورقة ١٤٥، ودار الكتب، ص ٣٨٨. (٣) نفسه (الأهر) ١٤٥ والمحتسب ١٥٧/١ وانظر اللسان ١٤٤/١٧، ٤٥/٢٠ قال ابن جنى: وقد يجوز عندى أن يكون قصيت فعلت من أقاصى الشىء لأن أقاصيه أطرافه، والمأخوذ من الأظفار إنما هو أطرافها أو أقاصيها فلا يكون فى هذا بدل.



### تَقْضَى الْبَازَى إِذَا الْبَازَى كَسَرَ

هو تفعلُّل من الانقضااض وأصله: تَقْضُضُ فابْدلت الضاد في الآخر ياء، كراهية التضعيف، ويجوز أن يكون (تَقْضَى الْبَازَى) تَفْعُلًا من قَضَيْت بمعنى عَمِلت وصنعت، قال أبو ذؤيب:

وعليهما مَسْرُودَتَانِ قَضَاهُمَا      داودُ أو صنعَ السوايغَ تَبَعُ

أى عملهما. وعلى ذلك يكون معنى تَقْضَى الْبَازَى أى عَمِلَ الْبَازَى فى طيرانه والوجه هو الاول<sup>(١)</sup>.

### ٧- من العين

فالوا تَلَعَّتْ من اللَّعَاعَةِ وهى بقله، وأصله تَلَعَّتْ فابْدلوا من العين الأخيرة ياء<sup>(٢)</sup> ويقول صاحب اللسان: واللَّعَاعَةُ أيضاً بقله من ثمر الحشيش تؤكل. وألَعَّتْ الأرضُ تلع إلعاعاً: أنبت اللعاع، وتلعى اللعاع: أكله وهو من محوّل التضعيف، يقال: خرجنا نتلعى: أى نأكل اللعاع وكان فى الأصل نتلعم مكرر العينات فقلبت الأخيرة ياء<sup>(٣)</sup>.

### ٨- من الكاف

من ذلك \*مَكُوكٌ ومَكَاكِيْ أصله مكاكيك مثل سَمُورٍ وسَمَامِيرٍ فابْدل الكاف الأخيرة ياء<sup>(٤)</sup> كراهية التضعيف. . . . وفى حديث أنس أن رسول الله ﷺ كان يتوضأ بمكوكٍ ويغتسل بخمس مكاكيك وفى رواية بخمس مكاكى<sup>(٥)</sup>.

(١) سر الصناعة (الأزهر) الوجه الثانى من الورقة ١٤٥ والمحتسب ١٥٧/١ واللسان ١٤٤/١٧. ٤٥/٢٠.

(٢) نفسه الوجه الاول من الورقة ١٤٦.

(٣) اللسان ١٩٥/١٠.

(٤) سر الصناعة (الأزهر) الوجه الثانى من الورقة ١٤٦، وسَمُورٍ: دابة يتخذ من جلدها فراء مشمة القاموس ٥٣/٢.

(٥) اللسان ٣٨١/١٢.

## ٩- من اللام

من ذلك أمليت وأصلها أمَلَّتْ وهما لغتان، قال ابن جنى: قولهم: أمليت الكتاب إنما أصله أمَلَّلت فأبدلت اللام الآخرة هرباً من التضعيف وقد جاء القرآن باللغتين جميعاً قال الله عز وجل ﴿وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ...﴾ (٢٨٢) [البقرة] وقال ﴿فَهِىَ تُمَلِّنُ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (٥) [الفرقان] وفي اللسان قال الفراء: أمَلَّلت لغة أهل الحجاز وبنى أسد، وأمليت لغة بنى تميم وقيس<sup>(١)</sup>.

## ١٠- من الميم

ديماس - يَأْتَمِي - يَكْمُوا - معمية

(أ) قال سيبويه: من قال فى جمع ديماس دماميس فالياء فيه بدل من الميم، إذ أصله حيثنذ دِمَّاس، فأبدل كراهية التضعيف<sup>(٢)</sup>.

(ب) قال ابن جنى: أخبرنا أبو على بإسناده عن يعقوب عن ابن الأعرابى أنه أنشد:

نزورُ امرأَ أما الإلهَ فيَتَقِي      وأما بفعل الصَّالِحِينَ فيَأْتَمِي

أراد يَأْتَم فابدل الميم الثانية ياء<sup>(٣)</sup>.

(ج) وقال فى قول الراجز: (بَلْ لَوْ رَأَيْتَ النَّاسَ إِذْ تُكْمُوا... إلخ) قالوا: أراد تُكْمُوا من كَمَمَتِ الشَّيْءَ إذا سترته، فأبدلت الميم الأخيرة ياء فصار فى التقدير (تُكْمِيُوا) فأسكنت الياء وحذفت، كما تقول قد تَوَلَّوْا من وَكَيْتَ، وذكر ابن جنى احتمالاً آخر فيه، وهو أن يكون تُكْمُوا تَفَعَّلُوا من كَمَيْتِ الشَّيْءَ إذا سترته، ومنه قولهم كَمَيْ وهو الذى تَسْتَرُ فى سلاحه، فيكون تُكْمُوا على هذا مما لامه معتلة ولا يكون أصله من ذوات التضعيف<sup>(٤)</sup>.

(١) ١٥٤ / ١٥٣ ، ١٥٤ .

(٢) سر الصناعة (الأزهر) الوجه الثانى من الورقة ١٤٥ بتصرف واللسان ٧ / ٣٩٠ ، ٣٩١ .

(٣) نفسه الورقة ١٤٥ واللسان ١٨ / ٤٨ .

(٤) سر الصناعة (الأزهر) الورقة ١٤٥ ، وانظر اللسان ٥ / ٣٧٨ ، ١٥ / ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ١٧ / ١٤٣ ،

١٢٩ / ١٩ .

د ( وقال ذو الرمة :

مَنْطَقَةٌ بِالْأَلِّ مُغْمِيَّةٌ بِهِ دِاجِيرُهَا الْوُسْطَى وَتَبْدُو صُدُورُهَا

قال ابن الأعرابي: أراد مُعَمَّمة فأبدل من الميم ياء، وجوز ابن جنى أن يكون مشتقاً من العمى<sup>(١)</sup> وعلى هذا لا إبدال فيه.

### ١١- من النون

أ ( دينار ب) لم يتسن ج) تظنيت

أ ( دينار: أصله دَنَار والقول فيه كالقول في قيراط، لقولهم في التفسير: دنانير ولم يقولوا ديانير، وكذلك التحقير وهو دنينير، فقلبت إحدى النونين ياء كراهية التضعيف، ولثلاً يلتبس بالمصادر - التي تحيىء على فعّال كقوله تعالى ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا﴾ [النبا] ٢٨ إلا أن يكون بالهاء فيخرج على أصله مثل الصَّنارة والدَنامة لأنه آمن الآن من الالتباس، ولذلك جمع على دنانير. قال أبو منصور: دينار وقيراط ودياج أصلها أعجمية، غير أن العرب تكلمت بها قديماً فصارت عربية<sup>(٢)</sup> ويلاحظ أن العرب يخففون ما يجرى على ألسنتهم سواء كان عربياً أصيلاً أو معرباً كما هو واضح هنا.

ب) لم يتسن: يقول ابن جنى \*قرأت على أبي على بإسناده عن أبي عبيدة قال: سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول: لم يتسن: لم يتغير من قوله تعالى ﴿مَنْ حَمَلْ مُسْتَوْنٍ﴾ [الحجر] ٢٦ أى متغير، فقلت له: لم يتسن من ذوات الياء، ومسنون من ذوات التضعيف، فقال: هو مثل تظنيت وهو من الظن، فأصله على هذا القول لم يتسن ثم قلبت النون الآخرة ياء هرباً من التضعيف، فصار يتسنى ثم أبدلت الياء ألفاً فصار يتسنى ثم حذفت الألف للجزم فصار لم يتسن<sup>(٣)</sup>.

(١) نفسه الوجه الثاني من الورقة ١٤٥.

(٢) سر الصناعة (الأزهر) الورقة ١٤٥ وانظر اللسان ٣٧٨/٥، ٤٣٢/١٥، ٤٣٣، ١٤٣/١٧، ١٢٩/١٩، والصَّنارة واحدة الصَّنار وهو شجر، وقيل: هي الجريدة الدقيقة المعقفة في رأس المغزل، وأهل اليمن يسمون الأذن صنارة. والدَنامة: القصير.

(ج) تَظَنَّتْ أصله تَظَنَّتْ<sup>(١)</sup> حولت إحدى النونات ياء، قال ابن جنى: ومن ذلك قولهم: تَظَنَّتْ وهو تَفَعَّلَتْ من الظَّنِّ وأصلها تَظَنَّتْ، فقلبت النون الثالثة ياء كراهية التضعيف<sup>(٢)</sup>.

## ١٢- من الهاء

(أ) صَهَّصَتْ (ب) دَهَّدَتْ

(١) (صَة القوم) وصَهَّصَهُ بهم: زجرهم<sup>(٢)</sup> وقالوا فى صهصت بالرجل إذا قلت له صَة صَة: صَهَّصْتَ فأبدلوا من الهاء ياء.

(ب) قالوا: دَهَّدَيْتُ الحَجَرَ أى دحرجته وأصله دَهَّدَيْتُهُ، ألا تراهم قالوا: دهدوه الجعَل لما يدحرجه قال أبو النجم:

كَأَنَّ صَوْتَ جَرَعِهَا الْمُسْتَعْجِلِ جَدَلُهُ دَهْدَيْتُهَا فَي جَدَلِ<sup>(٣)</sup>

'دهدعت الحجارة ودهديتها: إذا دحرجتها، فتدهده الحجر، وتدهدى، حولت الهاء الأخيرة ياء لقرب شبهها بالهاء، ألا ترى أن الياء مدة والهاء نفس، ومن هنا صار مجرى الياء والواو والالف والهاء فى روى الشعر شيئاً واحداً، نحو قوله: (لَمِنْ طَلَلٍ كَالْوَحْيِ عَافٍ مَنَازِلُهُ)، فاللام هو الروى والهاء وصل الروى كما أنها لو لم تكن لمدت اللام حتى تخرج من مدتها واو أو ياء أو ألف للوصل نحو منازلٍ ومنازلاً ومنازلو. ابن سيده: وكذلك دهءاء ودهءاء ودهءاء الياء بدل من الهاء، لأنها مثلها فى الخفاء، كما أبدلت منها فى قولهم: ذه أمة الله وكذلك قال الجوهري<sup>(٤)</sup>.

والناظر فى هذه النصوص المعجمية يلاحظ أنها تسوغ التبادل بين الهاء والياء بوجود أوجه الشبه المذكورة، ولكنها ليست بشيء فى نظر علماء اللغة المحدثين،

(١) نفسه، الصفحات عينها.

(٢) اللسان ١٧/٦-٤٠.

(٣) سر الصناعة (الأزهر) الوجه الأول من الورقة ١٤٢، الجعَل: دابة سوداء من دواب الأرض،

قيل: هو أبو جعران - بفتح الجيم - وجمعه جِعْلَان، وقيل هو حيوان معروف كالحنفساء،

ودهدوه الجعَل: ما يدحرجه من الحِجْر (النق) بأنفه، وجرع الماء: بلعه وكذلك تجرعه وقال ابن

الاثير: التجرع: شرب فى عجلة أو قليلاً، والجندل: الحجارة الواحدة جندلة. اللسان ٩/٣٩٥،

(٤) اللسان ١٧/٣٨٢. (٤) اللسان ١٧/٣٨٢.

لبعد الخارج، واختلاف الصفات، فالهاء تخرج من أقصى الحلق، وهى صوت مهموس رخو مستفل منفتح مصمت (ضعيف)<sup>(١)</sup> أما الياء (المذكورة) فتخرج من وسط اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى، وهى صوت مجهور، مستفل منفتح مصمت قوى<sup>(٢)</sup>، فالاختلاف جذرى بينهما، لأنه يتناول المخرج ومعظم الصفات القوية فلا مسوغ للتبادل بينهما، ووضع حرف مكان آخر فى قافية البيت لا يعطى أهمية خاصة فى الإبدال إذ إن جوار حلول حرف فى القافية، ومشاركة آخر له فى ذلك أمر عرف عن العرب مسموعاً فى النظم فيتبع - لهذا فقط - أما الحكم بجوار التبادل بينهما بناء على ذلك فلا مسوغ له لأن تلك جهة أخرى، والعلاقة منفصلة وإلا فإن الواو والالف تقعان وصلأً أيضاً كما تقع تلك الحروف، ومع ذلك قلنا بعدم التبادل بينهما، ولكن التوجيه الموفق لحلول الياء محل الهاء هو تخفيف نطق الكلمة بمنع وجود أصوات متماثلة فيها جرياً على قانون المخالفة الصوتية.

ملاحظة لغوية: نرى من النماذج السابقة أن تجاوز الحرفين المتماثلين أو تقارب مكانيهما - كما هو بين فى الفصل بينهما بياء مثل مكاكيك ودياجيج - يؤدي إلى تطور أحدهما إلى صوت مخالف هو الياء، وهذا التطور - كما ذكرنا آنفاً - هو إحدى نظريات السهولة التى نادى بها كثير من المحدثين، والتى تشير إلى أن الإنسان فى نطقه يميل إلى تلمس الأصوات السهلة التى لا تحتاج إلى جهد عضلى فيبدل مع الأيام بالأصوات الصعبة فى لغته نظائرها السهلة، وقد اعترف القدماء بكراهية التضعيف، ولعلهم كانوا يريدون بهذا أنه يحتاج إلى مجهود عضلى<sup>(٣)</sup>، ولكن هذا رأى لم يرتضه الأستاذ العلايلى بل ذهب إلى عكسه تماماً، فادعى أن الأصل فى الكلمات المضاعفة (التي تحتوى على حرفين متماثلين) هو المخالفة بكون أحد المتماثلين حرفاً من حروف العلة، وذلك فى إطار بحثه عن أصول الألفاظ فى اللغة العربية، وأنها كانت ثنائية معلة ثم صححت فى مراحل تطورية متأخرة، وهذا رأى الذى ذهب إليه الأستاذ العلايلى لم يوافقه عليه المحدثون من علماء اللغة، بل إنهم يؤيدون قانون المخالفة السابق، وأن المضعف

(١) التجويد والأصوات ٥٥ . (٢) نفسه ٥١ . (٣) الأصوات اللغوية ١٥٣ .



هو الأصل، ثم إن التطور أدى إلى قلب أحد المتماثلين ياء كراهية التضعيف، ولتقليل الجهد العضلي، وقد أوضحنا ذلك فى حديثنا عن فلسفة البناء اللغوى<sup>(١)</sup>.

### نتائج البحث

ثبت بالدليل القاطع تفوق العرب على "أوريا" حين بدأوا بدراساتهم الصوتية مبكرين، ثم تلاهم الغربيون مستفيدين منهم، وقد اتضح منشأ الدراسة الصوتية عند العرب فى علم التجويد والصرف والمعاجم، وامتداد ذلك إلى علوم البلاغة، وأن الفضل فى نشأة الدراسة الصوتية يعود إلى الخليل بن أحمد وسيبويه وابن جنى إلا أن الأخير أثار كوامن هذا العلم وتفصيلاته، وربط بين الدراسة الصوتية والموسيقى والنغم بما أوضح اهتمامه بالأبحاث التجريبية التى تتفق وأحدث الطرق العلمية، وقد ناقشنا تعريفه للصوت والحرف والفرق بينهما، وبيننا أن ذلك - عنده - لا يقل شأنًا عما ذهب إليه المحدثون، وإن كانوا قد ربطوا بين الصوت الإنسانى بملاحظة أنه ظاهرة اجتماعية وبين الصوت الطبيعى مع بعض تفصيلات أوجدتها الأجهزة الحديثة، ثم فصلنا الحروف الهجائية أصولها وفروعها بما ذكره ابن جنى وغيره من علماء اللغة، وناقشنا خلاف المبرد فى اعتداد الهمزة حرفاً، ورد ابن جنى عليه، وبيننا الصواب وعدمه فى ذلك، وأشرنا إلى أن ترتيب ابن جنى للأصوات بحسب الهجائية العادية لا يناسب قيمة البحث الصوتى الذى تخصص فيه وتعمق، وكان الأجدر به أن يتبع الهجائية الصوتية كالخليل، وقارنا بينه وبين غيره مع نبذة تبين تاريخ الحروف العربية، وقد أقضنا فى الحديث عن أصوات اللين عند القدماء ولاسيما ابن جنى الذى أكد - بما لا يحتمل الشك - تقسيم تلك الأصوات إلى لين طويل ولين قصير، واتفق بذلك مع أحدث نظريات علم الأصوات، كما عرضنا لرأيه الذى انبنى على ذلك فى محل الحركة من الحرف مع الآراء الأخرى، وكان على درجة كبيرة من القوة حين رجح أن تكون الحركة بعد الحرف، وانتزع لها الأدلة وفند غيرها، واتفق بذلك مع ما يثبته الدرس

(١) انظر ص ٤٧٨، ٤٧٩ من كتابنا.

الصوتى الحديث، وقد أوضحنا رأى ابن جنى وغيره من الاقدمين فى الاصوات الساكنة ومخارجها وصفاتها، وأبنا عن قوة وصمهم لها بما لا يقل شأنًا عن الدراسات الحديثة، بل كنا دائماً نبرهن على استفادة علم اللغة الحديث من نظريات القدماء، وأن ما وصل إليه العلم الصوتى التجريى يؤكد - فى وضوح - صحة مذهب القدماء اللهم إلا بعض هنات وقفنا منها الموقف العلمى السليم ولا سيما ما يخص عالمنا ابن جنى منها.

ومن هنا نرى أنهم - بغض النظر عن الهفوات القليلة - قد عاجلوا الاصوات علاجاً علمياً سديداً سواء فى ذلك أصوات اللين أو الاصوات الساكنة، وقد كانت دقة الملاحظة وإرهاف الحس من العوامل التى ساعدت علماءنا الأفاضل على انتهاز الطريق السوى فى دراساتهم الصوتية بما بهر المحدثين وأثار كوامن إعجابهم ودهشتهم<sup>(١)</sup>.

وكان حديثنا عن الإبدال حديثاً مفصلاً، تناولنا فيه معناه، وأنواعه، وأسبابه المؤدية إليه، ومقاييسه عند علماء اللغة، وقد عرضنا رأى عالمنا اللغوى ابن جنى مقارناً بالأراء الأخرى - قديمها وحديثها - ثم وضعنا كل الآراء تحت الاختبار حين عرضنا للأسباب الداعية للإبدال من شتى جوانبها، وقد طبقنا القواعد التى توصلنا إليها على تلك الثروة اللغوية من الألفاظ التى عرض ابن جنى لها، فى كل باب من أبواب حروف المعجم فى كتابه سر الصناعة وناقشنا رأيه فيها وطبقناه على الأسس المنهجية التى اتبعناها فى البحث، وأثبتنا النتائج التى توصلنا إليها بما يجعل هذا اللفظ من قبيل الإبدال أو اختلاف اللهجات أو غيرهما، بحيث يستبين ذلك واضحاً من المقارنة والتحليل، ومن خلال تلك الدراسة يبدو أن كثرة من الألفاظ التى عدها ابن جنى من الإبدال أو من اختلاف اللهجات تغير الموقف بالنسبة لها بما يخالف رأيه، وما يضمها إلى فصيلة لم يجعلها هو منها بحسب قانون الاستقراء اللغوى الدقيق، ومن هنا تبدو لى عدة ملاحظات:

(١) الاصوات اللغوية من المقدمة ص ٦.

أولاً: أن مقياس ابن جنى للإبدال يجعل اللفظ منه أو من غيره بحسب كثرة التصرف وقلته وشيوع الاستعمال وعدمه مقياس أغلبي.

ثانياً: أن كثيراً من الألفاظ التي حكم عليها بأنها مبدلة خرجت عن هذا النطاق بموجب براهين علمية قوية.

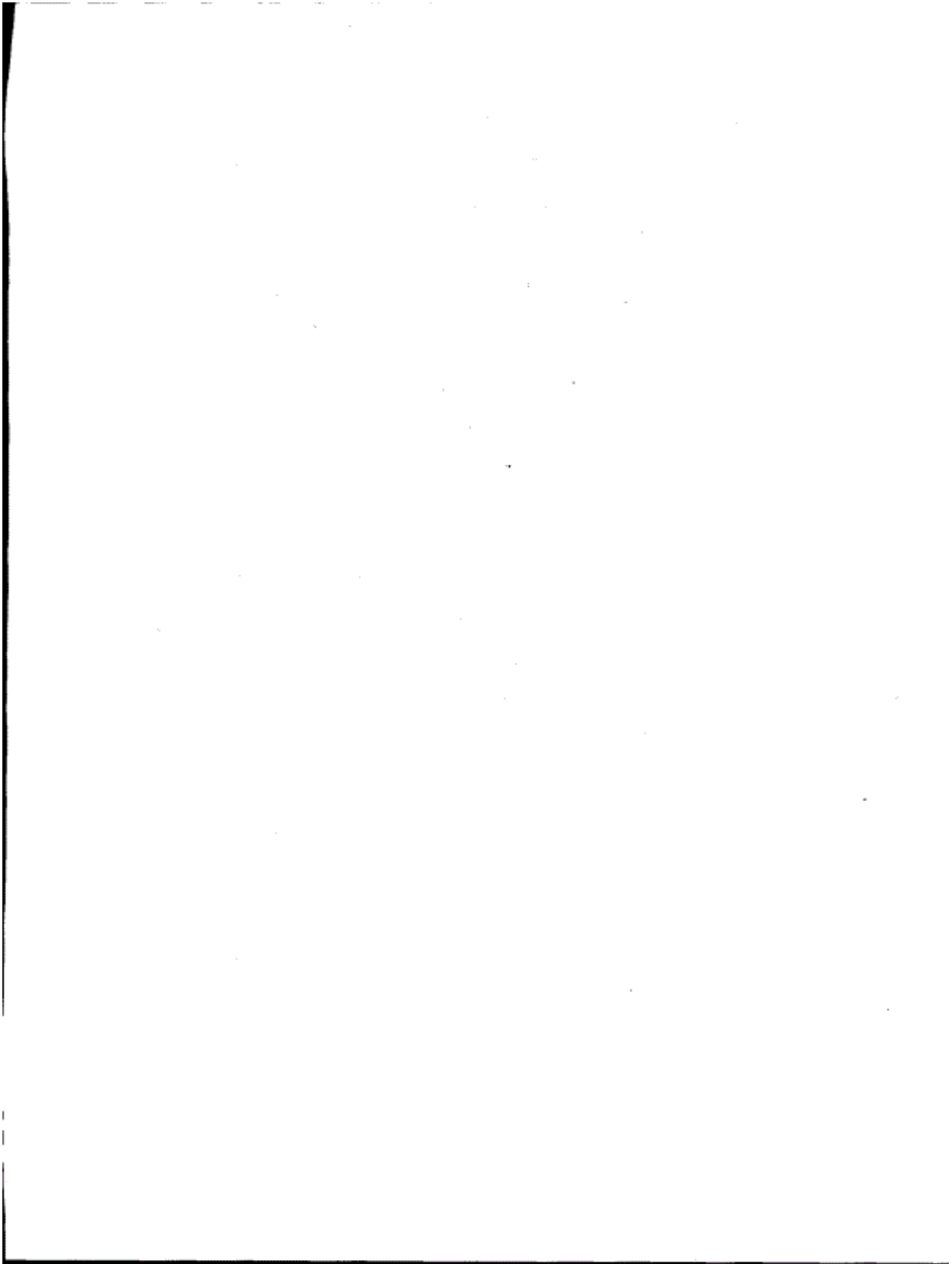
ثالثاً: هذا البحث يعد منهجاً جديداً لدراسة الألفاظ التي وردت في كتب اللغة على أنها من قبيل الإبدال، فالواقع أن أكثر تلك الألفاظ التي وسمت بهذه السمة لها سبب أو جملة أسباب تسلكها في عداد طائفة معينة بعيدة عن مجال الإبدال وإنما دخلت فيه بمجرد دعوى ينقصها البرهان والتأييد.

وعلى هذا فواجب علماء اللغة أن يتجهوا إلى تلك الثروة الضخمة من الألفاظ ويبحثوها على أساس الاستقراء الواعي، والتتبع الدقيق للأسباب والبواعث، ليتمكن رد تلك الألفاظ إلى أصولها، وعلى ذلك يتضح أن ما يبقى من قبيل الإبدال هو القليل منها.

رابعاً: يمكن أن نقول إن ابن جنى في مسلكه في هذا الميدان كان من الرواد الأوائل الذين كشفوا عن صلات الحروف، واتجاهات الأصوات، وأوضحوا بعض ما استغلق على غيره من سابقه من اللغويين، فكثير من الألفاظ التي قيل: إنها من هذا النطاق فجمعة في كتب خاصة، ككتابي أبي الطيب اللغوي وابن السكيت، أو تفرقت في بطون المعاجم لا ينظمها سلك خاص، أو استتاج عام، ويمتاز بحث ابن جنى فيها بأنه عرض بعضها على عقله الفذ، وتحت اختبار العلمى، ثم استخلص منها قواعد، وأسساً فتحت مجالاً واسعاً لعلم اللغة الحديث.

وأعتقد أنه بهذا المنهج أربى على السابقين، وسار في ميدان بكر لم يكن لهم فيه مجال. ثم هو من بعد ذلك حقق فضلاً على لاحقيه حتى إن رأيه أحياناً يكاد يسبق المحدثين في هذا المضمار، وقد بينا دقته في اختيار تقارب الحروف مخرجاً وصفة أساساً للقول بالتبادل.

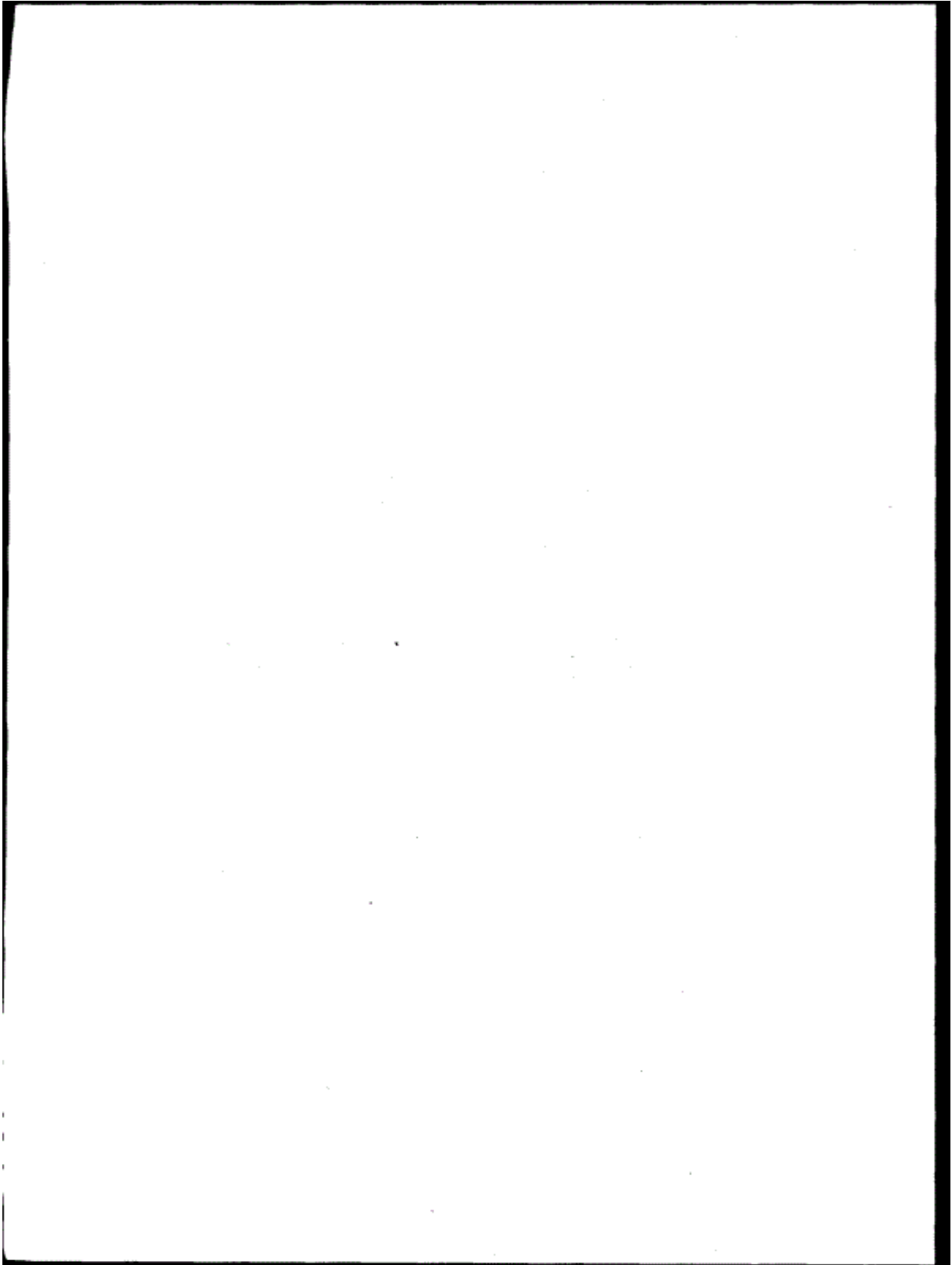
وأخيراً فإن نتائج دراسته للإبدال كانت معينة ثراً للمحدثين أفادتهم في كثير من أبحاثهم اللغوية على ما بينا.



الباب التاسع

الدلالة ومظاهرها





## نشأة علم الدلالة اللغوي

اللغة رمز التعبير ووسيلته وهي الاداة التي تنقل الافكار وترجم عنها، ولا ريب أن تلك الافكار تنتقل إلى طالبها في قوالب خاصة هي الالفاظ، وهذه الالفاظ يختارها كل مجتمع بحسب ظروفه وأحواله الاجتماعية، فأرباب الصحراء يميلون إلى وعورة اللفظ وخشونته، وأرباب المدنية تحمل الفاظهم سمات مدنيتهم وحضارتهم من رقة وعذوبة، ولا ريب أن المعاني التي تحملها هذه الالفاظ تمر عليها منذ نشأتها مراحل تاريخية- كما هو الحال الآن- فاللغات البشرية قد قطعت مراحل طويلة الامد، وتقلبت عليها أجيال متعاقبة منذ أقدم العصور، وكل جيل له سمات قد ورث بعضها عن أجداده أو أخذها ممن يخالطهم، وابتكر بعضها الآخر تبعاً لمقتضيات حياته وبيئته وظروفه التي مر بها اجتماعية ونفسية، ولا ريب - كذلك - أن الالفاظ تمر في تلك المراحل، وتتلفها الأجيال بما تحمل من معان قد تبقى، وقد تتغير، وقد تنحرف، بحسب عادات وأسباب لا يمكن التنبؤ بها جميعاً، ولكن يمكن من دراسة الالفاظ نفسها الوقوف على بعضها، كما أن المعنى نفسه قد يتغير مفهومه لدى الأجيال، من الشرف إلى الضعة وبالعكس، كذلك أصوات الالفاظ عرضة لهذا التغير، ولكل لغة قواعدها المنتظمة التي تبعثها في سيرها عبر التاريخ، غير أن الأيام تؤثر فيها، وتدخل بعض التغيرات عليها، وقد أوضح الدكتور وافي أنواع التطور الدلالي بما يشمل تغيير المعنى والقواعد والاساليب كما يلي:

(١) تطور يلحق معنى الكلمة، كأن يخصص معناها العام، فلا تطلق إلا على بعض ما كانت تطلق عليه من قبل أو يعمم معناها الخاص، بحيث تشمل وتشمّل معاني أخرى أو تطلق على معنى جديد لعلاقة ما، أو تستعمل في معنى غريب كل الغرابة عن معناها الأول.

(٢) تطور يلحق القواعد المتصلة بوظائف الكلمات، وتركيب الجمل، وتكوين العبارة، وما إلى ذلك كقواعد الاشتقاق والصرف (المورفولوجيا) والتنظيم (الستكس) كاللغات العامية في تجردها من علامات الإعراب، وتغير قواعد الاشتقاق ومناهج تركيب العبارات فيها.

(٣) تطور يلحق الأساليب، فاللغات العامية تختلف في ذلك عن العربية الفصحى وما كانت عليه وذلك لاتصالها بالأدب الأجنبية، وما جد من علوم ومعارف<sup>(١)</sup>.

والمعروف من دراسة اللغات أنها بدأت مع وجود الإنسان للتعبير عن حوائجه، وال آدمى البدائي كان محدود الأفكار، لا يذهب عقله إلى أكثر مما يقع تحت حواسه، ولذلك "يجمع الباحثون في نشأة الدلالة على أنها بدأت بالمحسوسات، ثم تطورت إلى الدلالات المجردة بتطور العقل الإنساني ورقبه"<sup>(٢)</sup> فالدلالة الحسية هي الأصل، والمعنوية هي الفرع؛ ففي أول استعماله (قطع) لم يكن يريد بها إلا القطع الحسى، لكنه بعد أن ارتقى في الحضارة، وارتقت تصورات، حدثت له معان جديدة بينها وبين القطع مشابهة ذهنية، كقولنا (قطع في الأمر) أى جزم، (وقطع الخوض) أى ملأه إلى نصفه، ثم قطع الماء فحمل عليها مجازاً<sup>(٣)</sup>، وذلك كله يعد مرحلة تاريخية متميزة لتطور الدلالات عند الأمم<sup>(٤)</sup> وهذا التطور الذى نلمحه فى ألفاظ اللغات يدل دلالة أكيدة على تطور الجماعات البشرية، وهما مقترنان فى السير فى طريق واحد، فإذا تخلف مجتمع عن ركب الحياة تخلفت لغته معه ونالها البلى والفساد، أما إذا تقدم المجتمع فإن ذلك يدعو إلى حيوية لغته، وانطلاقها إلى آفاق بعيدة، وليس تطور اللغة إلا مظهراً من مظاهر تطور الجماعة، لا تسير فيه فى طريق متصل نحو غاية محدودة<sup>(٥)</sup>، وكما تتطور اللغة بتطور الناطقين بها فإنها تنقل من جيل إلى جيل آثار المتكلمين، وعاداتهم، وتقاليدهم، وشخصيتهم المتميزة، وكل ما يحيط بهم، فهم يتركون

(١) علم اللغة ط ١٩٣٨م، ص ٢٩٦، ٢٩٧.

(٢) دلالة الألفاظ د. أنيس ١٥٧.

(٣) الفلسفة اللغوية ١٠٩.

(٤) دلالة الألفاظ د. أنيس ١٥٨.

(٥) دلالة الألفاظ د. مراد كامل ١٩، ٢٠.

على لغاتهم بألفاظها ومعانيها واستعمالاتها بصمات من أيديهم وشفاههم وما يدور حولهم.

واللغة العربية فى طليعة اللغات المعبرة بين لغات العالم الشرقية أو الغربية، فلا يعرف علماء اللغات لغة قوم تتراعى لنا صفاتهم، وصفات أوطانهم، من كلماتهم وألفاظهم، كما تتراعى لنا أطوار المجتمع العربى من مادة ألفاظه ومفرداته، فى أسلوب الواقع وأسلوب المجاز<sup>(١)</sup> "فالكتابة والشكل والرسم والبلاغة والفصاحة والدلالة نفسها كلمات مستعارة من حياة أقوام رعاة، وقبائل مترحلة، فالكتابة والشكل بمعنى القيد، والرسم أثر خطو الإبل على الرمل فى رسمها أو سيرها على العموم، والبلاغة من الوصول إلى غاية المسير، والفصاحة من اللبن الفصيح الذى زال رَغْوُهُ والدلالة للقافلة كالدلالة فى الكلام<sup>(٢)</sup> ولفظ الصديق فى العربية من الصدق والعدو من العدوان، فى حين أن كلمة ami = صديق فى الفرنسية مشتقة من لفظ يفيد معنى المحبة و annemi = عدو لفظ مركب يفيد نفى المحبة أى بمعنى البغض، فمفهوم الصداقة عند العرب مبنى على فكرة الصدق، والعداوة على العدوان بخلاف مفهوم الفرنسيين فى بنائهما على أساس الحب والبغض، ولفظ عقل فى العربية مأخوذ من العقل بمعنى الربط والتقييد وبدل ذلك على أن فى معنى العقل عند العرب مفهوماً خلقياً بالإضافة إلى العنصر الفكرى، فهو يعقل عن المنكر والشر ولا يدل لفظ raison الفرنسى على مثل ذلك، فإن أصل معناه العد والإحصاء<sup>(٣)</sup>، ومن هذا يتضح أن العربى تظهر سمات مجتمعه على ألفاظه ومعانيه، ومعرفة دلالة الألفاظ وتطورها يفهمنا عقلية الشعب المتكلم بهذه اللغة<sup>(٤)</sup>.

وهذه الدلالة لها أهمية كبيرة فى ميدان الحقوق والمعاملات التجارية والاقتصادية والدين، ولهذا تنبأ ابن جنى بهذا العلم، ودعا إليه لما لاحظ من خطأ

(١) اللغة الشاعرة ٦٠، ٦١. (٢) نفسه ٤٢.

(٣) فقه اللغة للمبارك ١٣٨. (٤) نفسه ١٣٧.

فى فهم بعض النصوص القرآنية تسبب فى ضلال من لم يفهموا الالفاظ ودلالاتها، فمعرفة الدلالة، وتتبع الالفاظ لإدراك المعانى التى مرت بها تفيد المجتمع والحياة، ولقد أدركت طائفة من العلماء، قديماً وحديثاً عربياً وغرباً، قيمة هذه الدراسة، فهبوا يبحثون فيها ويسبرون غورها، حتى وصلوا- بدأبهم وجهودهم الجبارة - إلى كشف القوانين التى تحكم معانى الالفاظ، وأسباب تبدلها، والصلة بين اللفظ ومدلوله، وصلة اللغة بأصحابها بوجه عام<sup>(١)</sup>، ونشأ من ذلك علم للدلالة يعد «طريقاً إلى معرفة أسرار اللغة، وطرائقها الخاصة فى تسمية الأشياء، وتطور ألفاظها ومعانيها، ومعرفة عقلية الشعب الذى يتكلم بها، ويشتته وعاداته وثوراته ومدخل تفكيره»<sup>(٢)</sup>، وقد ظهر اسم هذا العلم Semantique، فى مقال كتبه ميشيل بريال سنة ١٨٨٣م، ويرجع الفضل فى كشفه إلى علماء غربيين وعرب، وقد عنى بالبحث فيه من الغربيين كثير منهم الأساتذة بريال الفرنسى ووتنى الإنجليزى وكروس الإيطالى وفونت الألمانى<sup>(٣)</sup>، وقد بذل هؤلاء وغيرهم من علماء الغرب مجهوداً كبيراً وصلوا بعده إلى دراسات مجدية فى هذا العلم، على أساس من دراسة الأصوات، واللهجات الشعبية، وعلم النفس اللغوى، كما يقول أستاذنا الدكتور نجما<sup>(٤)</sup>. بيد أن علماءنا العرب قد أدركوا- قبل الغربيين- مفهوم هذا العلم لما تمتعت به لغتهم من ثراء واسع، وتصرف معنوى لم تحظ به أية لغة فى العالم، فكل لفظ فى اللغة العربية له إحياءات كثيرة، ويستعمل فى التراكيب المختلفة، فيؤدى فى كل منها معنى خاصاً، وهى تضم مجموعة هائلة من الالفاظ التى تحمل معانى متعددة تبعاً لتعدد القبائل التى كانت تنطق بها، وهم أرباب فصاحة وبيان، وقد سبق أن قررنا أنها فى طبيعة اللغات المعبرة بين لغات العالم كما يقول الأستاذ العقاد، وإن معانى ألفاظها لتحمل تغيراً كبيراً وتدل على طباع أهلها وعاداتهم، وقد ذكرنا أمثلة من ذلك.

(١) نفسه ١٣٩.

(٢) فقه اللغة ١٠٢/٣، ١٠٣ ودلالة الالفاظ د. أنيس ١٠٢ وما بعدها وفقه اللغة د. المزراوى ٨٥-



ونضرب مثلاً للتغير فيها، فكلمة (ظعينة) معناها الأصلي: المرأة فى اليهودج، ثم نقلت بالمجاورة المكانية إلى معنى اليهودج نفسه، وإلى معنى البعير، وكلمة (العقيقة) وهى فى الأصل: الشعر الذى يخرج على الولد من بطن أمه، تحولت بالمجاورة الزمنية إلى معنى الذبيحة التى تنحر عند خلق ذلك الشعر، وكلمة (المجد) هى فى الأصل: امتلاء بطن الدابة من العلف، تحولت بعلاقة المشابهة إلى معنى الامتلاء بالكرم<sup>(١)</sup>، وعلى مر العصور التاريخية للغة العربية حدثت تغيرات فى معانى الألفاظ بحسب الظروف والعادات والتقاليد الاجتماعية، وما جد من نظم بظهور الإسلام، "فكلمة فرج" فيما قبل الإسلام كانت تدل على كل انفتاح يقول ليبد:

فَغَدَتْ كِلَا الْفَرْجَيْنِ مُحَسَّبٌ أَنَّهُ مَوْلَى الْمُخَافَةِ خَلْفَهَا وَأَمَامَهَا

ثم جاء الإسلام فخصص عموم هذا المعنى بالمدلول الفقهي للكلمة الذى يوضحه أن الصيام هو الإمساك عن شهوتي البطن والفرج، وعلى مر التاريخ والمعانى تتغير؛ فالعلق كان يدل على الشيء النفيس، والحوك كانت تدل على الخدم فى اللغة الفصحى، ولكن معنى الكلمتين تغير على مر العصور تغيراً مخجلاً إلى مفهومها العامى... وانظر إلى المدلول العربى الضيق لكلمة شعب والمدلول الواسع الذى نعطيه لها الآن، كل أولئك تغير فى الدلالة من عصر إلى عصر، والعلماء يعدون ذلك نمواً أو انحلالاً<sup>(٢)</sup>، والعرب -كما يقول الأستاذ العقاد-: كانوا مجددين على الدوام، فى إطلاقهم الكلمات القديمة على المعانى الجديدة، وكلمة القديم نفسها من الشواهد لذلك، فالتقدم هو السير بالقدم، ويقال: تقدم أى مشى بقدمه، كما يقال ترجل أى مشى برجله، وتقدمه أى مشى أمامه، ومن هذا التقدم بمعنى السبق والقديم بمعنى الزمن السابق<sup>(٣)</sup>، وكل هذا التغير منذ القدم وهو يحمل سمات العرب فى جزيرتهم وينقلها إلينا، والباحث فى دلالة الألفاظ يستطيع معرفة ذلك، فإذا التبس علينا أمر كلمة من الكلمات، فلم نعلم فى ظاهر الأمر أهى من ألفاظ العرب الأصيلة أم من الدخيل عليها؟

(١) علم اللغة د. وافي ط ١٩٣٨م، ص ٣٠٠، ٣٠١.

(٢) مناهج البحث فى اللغة ٢٤١. (٣) اللغة الشاعرة ٤٤.

فلدينا هذا المقياس الحاضر نقيس به دلالة الكلمة، ونردها إلى حياة العرب، وإلى المعهود من تعبيرها عن معالم تلك الحياة، فلا يطول بنا السعناء في الرجوع إلى أصل معقول نظمتهن إليه، وقد رد الأستاذ العقاد - بناء على ذلك - كلمة (القانون) إلى اللغة العربية، فالقانون canon تصغير للقناة ... cane ونحن نحزم بأن القناة كلمة لم يأخذها العرب عن اليونان، لأن الأتنية من النخل، ومن عيدان الشجر، ومن مسایل الماء، ومن أسنة الرماح، أصول عريقة في حياة العرب لا تستعار<sup>(١)</sup>.

ومن هنا نعرف أن لغة العرب تقف على رأس اللغات التي تمتاز بالدلالة، وأثرها فيها، لهذا لم يكن الأستاذ العقاد مبالغاً حين قال: "إن هذا البحث بحث بجمع بين أغراض التاريخ، وأغراض البيان، وأغراض الدراسة النفسية، والاجتماعية<sup>(٢)</sup>، والدلالة هي قوام اللغة، ووظيفتها، ومقياس كفايتها، وارتقاها عند المقارنة بين اللغات"<sup>(٣)</sup>.

وتاريخ الدراسة اللغوية العربية يثبت أن علماء العرب بحثوا هذا الموضوع منذ نشأت الدراسة اللغوية التي بلغوا من بحث مشكلاتها، وقضاياها، ما لم يبلغه علماء اللغات الأخرى في العصور الحديثة<sup>(٤)</sup>، وقد كان الرواد الأوائل الذين جمعوا اللغة في رسائل خاصة استمرت في التدرج حتى وصلت إلى صورتها المثلى في المعاجم، كان هؤلاء هم الذين أرسوا دعامة هذا الفن في اللغة العربية، فالمعاجم تبحث الكلمات، وتذكر معانيها، غير أنه يؤخذ على جامعيتها أنهم لم يبينوا تاريخ التغيرات اللغوية، ولا المعنى السابق من اللاحق، اللهم إلا كتاباً ككتاب مقاييس اللغة لابن فارس، فهو مثل رائع للمعاجم التي تُعنى بمعاني الألفاظ، ومحاولة الربط بينها، وإعادة لها إلى أصول قليلة تفرعت عنها، وقد وفق في ذلك إلى حد بعيد<sup>(٥)</sup>، كما تناول العرب بدراساتهم بحوثاً لغوية تعد من هذا الفن كالاشتقاق، والحقيقة والمجاز، والتضمين ودلالة اللفظ على عدة معان ودلالة عدة ألفاظ على معنى واحد، والتي يدخل تحتها المشترك والمتضاد والمترادف<sup>(٦)</sup>.

(١) نفسه ٦٣-٦٥ . (٢) مجلة الأزهر عدد شعبان سنة ١٣٨١ هـ، ص ١٢٢ .

(٣) فقه اللغة للمبارك ١٣١ . (٤) في المزهري بيان لهذه البحوث .

ويعد ابن جنى من أوائل علمائنا الذين أفصحوا عن هذا العلم وحدوده<sup>(١)</sup>، فقد عقد في كتابه الخصائص باباً (فيما يؤمنه علم العربية من الاعتقادات الدينية) طلب فيه من علماء الشريعة أن يتفهموا الألفاظ العربية واستعمالاتها، وأن يعرفوا مجازاتها، لأن الجهل بها يؤدي إلى ضلال بعيد، يقول في مطلع هذا الباب: اعلم أن هذا الباب من أشرف أبواب هذا الكتاب، وأن الانتفاع به ليس إلى غاية ولا وراءه من نهاية، وذلك أن أكثر من ضلّ من أهل الشريعة عن القصد فيها، وحاد عن الطريقة المثلى إليها، فلما استهواه واستخف حلمه ضعفه في هذه اللغة الكريمة الشريفة التي خوطب الكافة بها، وعرضت عليها الجنة والنار من حواشيهما وأحناثها<sup>(٢)</sup>، ويقول في أثنائه: "لو أقام إنسان في خدمة هذا العلم ستين سنة حتى لا يحظى منه إلا بهذا الموضع لما كان مغبوطاً فيه، ولا متقص الحظ منه ولا السعادة به"<sup>(٣)</sup>، وأعتقد أن العبارة الأخيرة ترمز لهذا العلم بلفظها ومعناها، فهو يقصد العلم الذي يكشف عن معاني الألفاظ ومجازاتها اللغوية، وذلك - بحق - هو عماد علم الدلالة عند الغربيين، وقد تكلم فيه عالمنا قبلهم بمئات السنين، ويمكن أن نلقى نظرات على حديثه في هذا الباب لتبين مراده الدلالي واضحاً وصريحاً.

يذكر ابن جنى أن بعض الجهال باللغة فسروا الآيات الكريمة ﴿يَا حَسْرَتِي عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ...﴾ [الزمر] وقوله عز اسمه ﴿فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَمُ وَجْهَ اللَّهِ...﴾ [البقرة] وقوله ﴿لَمَّا خَلَقْتُ بَيْدِي...﴾ [ص]، وقوله: ﴿مِمَّا عَمِلْتَ آيَاتِنَا...﴾ [يس]، وقوله ﴿وَيَقْنِي وَجْهَ رَبِّكَ...﴾ [الرحمن] وقوله ﴿وَلَتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ [طه] وقوله ﴿وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ...﴾ [الزمر] ونحو ذلك من الآيات الجارية هذا المجرى، وقول الرسول ﷺ في الحديث (خلق الله

(١) وأحمد بن فارس من لغويي القرن الرابع أشار إلى مضمون هذا العلم وأهدافه فقد عقد فصلاً في كتابه الصحاحي بعنوان (باب القول في حاجة أهل العلم إلى معرفة اللغة العربية) أوجب فيه العلم بالعربية على كل مستعلق من العلم بالقرآن والسنة والفتيا حتى لا يخطئ في الأحكام فلقد غلط أبو بكر بن داود أبا عبد الله محمد بن إدريس الشافعي في كلمات ذكر أنه أخطأ فيها طريق اللغة. الصحاحي ٦٣-٦٥.

(٢) الخصائص ٢٤٥/٣. (٣) نفسه ٢٥٣/٣.

آدم على صورته) فَسَّرَ بعض الجهال ذلك على أصل اعتقاد التشبيه لله تعالى بخلقه حتى ذهب بعضهم في قوله تعالى ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ...﴾ (٤٦) [القلم] إلى أنها ساق ربهم، ولم يشكوا أن هذه أعضاء له، وإذا كانت أعضاء كان هو لا محالة جسماً معضياً<sup>(١)</sup>، على ما يشاهدون من خلقه عز وجهه وعلا قدره وانحطت سوامى الأقدار والأفكار دونه<sup>(٢)</sup>، ويعد ابن جنى ذلك التفسير الذى يجعل لله تعالى جسماً وأعضاء تفسيراً فاسداً ناشئاً عن جهلهم باللغة ودلالاتها المجازية والادبية، فهو يقول: "ونعوذ بالله من ضَعْفِ النظر وفساد الاعتبار... ولو كان لهم أنس بهذه اللغة الشريفة، أو تصرف فيها أو مزاوله لها لحمتهم السعادة بها ما أصارتهم الشُّقوة إليه بالبعد عنها... وطريق ذلك أن هذه اللغة أكثرها جار على المجاز، وقلما يخرج الشيء منها على الحقيقة...<sup>(٣)</sup>، فلما كانت كذلك، وكان القوم الذين خوطبوا بها أعرف الناس بسعة مذاهبيها، وانتشار أنحائها، جرى خطابهم بها مجرى ما يالفونه، ويعتادونه منها، وفهموا أغراض المخاطب لهم بها على حسب عرفهم، وعادتهم في استعمالها"<sup>(٤)</sup> ثم أخذ يفسر الآيات والحديث الضمير الصحيح التبعث من دراسة اللغة ودلالاتها، وطرق التعبير فيها، فيقول عن الآية الأولى: "إنهم يقولون: هذا الأمر يصغر فى جنب هذا أى بالإضافة إليه وقُرنه به، فكذلك قوله تعالى ﴿يَا حَسْرَتْنِ عَلَىٰ مَا قُرْطُتْ فِي جَنبِ اللَّهِ...﴾ (٥٦) [الزمر] أى فيما بينى وبين الله إذا أضفت تفريطى إلى أمره لى ونهيه إياى، وكذلك الحديث (كل الصيد فى جوف الفرا) "أى يصغر بالإضافة إليه وإذا قيس به"<sup>(٥)</sup> والمراد بالوجه فى قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُولَؤْا ظُهُمُ وَجْهَ اللَّهِ...﴾ (١١٥) [البقرة] الاتجاه إلى الله، أو يخرج مخرج الاستعارة على ما هو العرف والعادة، أى لو كان تعالى مما يكون له وجه لكان كل موضع تُوجَّه إليه فيه وجهها له، وفى المعنى الأول هو مصدر مضاف إلى المفعول<sup>(٦)</sup> وقوله تعالى: ﴿مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا...﴾ (٧١)

(١) أى ذا أعضاء وأجزاء وانظر الخصائص ٢٤٥/٣ و٢٤٦.

(٢) نفسه ٢٤٦/٣، ٢٤٧.

(٣) نفسه ٢٤٧/٣. (٤) نفسه ٢٤٨/٣.

[يس] اليد القدرة، أى القوة التى أعطاها تعالى للأشياء، لا أن له سبحانه جسماً تحمله القوة أو الضعف، ونسب العمل إليها، لأن بالقدرة ما يتم له العمل كما يقال: قطعه السيف ونحوه أو أنه أجراه على ما هو له ف من أن أكثر الأعمال باليد<sup>(١)</sup> وقوله تعالى: ﴿وَلَتُصْنَعَنَّ عَلَىَّ عَيْنِي﴾ [طه] حناه تحت رعايتي، لأن القريب من النظر يكون إصلاح أموره أكثر، قال المولد:

شَهِدُوا وَغَبْنَا عَنْهُمْ فَتَحَكَّمُوا      فِينَا وَلَيْسَ كَغَائِبٍ مَنْ يَشْهَدُ

وهو باب واسع<sup>(١)</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ...﴾ [٢٧] [الزمر] إما أن يراد الجارحة على التشبيه والمجاز، وذكرت اليمين لأنها أقوى من الشمال فى الإحاطة أو اليمين القوة، قال الشاعر:

إِذَا مَا رَأَيْتُ رُفَعْتَ لِمَجْدٍ      تَلَقَّاهَا عَرَابَةٌ بِالْيَمِينِ<sup>(٢)</sup>

وقوله فى الحديث: (خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ) الضمير يعود على اسم الله أى على الصورة التى أنشأها الله وقدرها، من إضافة المصدر إلى الفاعل، أو راجع على آدم أى على الصورة التى تليق له ولأمثاله، مثل قولك للرئيس: خَدَمْتَهُ خَدَمْتَهُ. أى الخدمة التى تحقق لأمثاله، فأما قول من طغى به جهله، وغلبت عليه شِقْوَتُهُ حتى قال فى قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ...﴾ [٤٢] [القلم] إنه أراد به عضو القديم وإنها جوهر كهذه الجواهر الشاغلة للأماكن وإنها ذات شعر وكذا وكذا مما تتابعوا<sup>(٣)</sup> فى شناعته ورُكسوا<sup>(٤)</sup> فى غوايته، فنحمد الله على أن نزهنا عنه. ثم إن الساق المراد بها شدة الأمر، كقولهم: قامت الحرب على ساق، وهى على التشبيه بالساق الحقيقية التى تعلق القدم، فأما أن تكون للقديم سبحانه جارحة ساق أو غيرها فنعوذ بالله من اعتقاده، وعليه بيت الحماسة:

كَشَفَتْ لَهُمْ عَنْ سَاقِهَا      وَبَدَا مِنَ الشَّرِّ الصُّرَاعُ<sup>(٥)</sup>

(١) نفسه ٢٤٨/٣، ٢٤٩.

(٢) نفسه ٢٤٩/٣. (٣) التابع: التهافت والإسراع فى الشر.

(٤) أى رُدُّوا وقَلَبُوا. (٥) الخصائص ٢٥١/٣، ٢٥٢.



كذلك ما خطر لابن جنى نفسه فى قوله تعالى ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا...﴾ (٢٨) [الكهف] الآية... فمعناه عنده أن يكون من باب أفعلت الشيء أى صادفته ووافقته مثل:

#### (واهیج الخالصاء من ذات البرق)

أى صادفها هائجة النبات وعليه الكثير فى اللغة، فمعنى الآية صادفنا قلبه غافلاً، ولا يصح أن يكون معنى (أغفلنا) منعنا وصددنا وإلا لكان أتى بالفاء فى المعطوف (واتبع) بدل الواو، لأن الفاء تفيد تسبب الثانى عن الاول لا الواو، مثل أعطيته فأخذ ونحو ذلك، فالمعنى والله أعلم: ولا تطع من غفل قلبه عن ذكرنا واتبع هواه... إلخ، وهذا من أسرار اللغة لمن يعرفها<sup>(١)</sup>.

وابن جنى يعجب من عدم مرور أبوى على (الفارسى والجبانى)<sup>(٢)</sup> بهذا الموضع، يقول: وأنا أعجب من الشيخين أبوى على رحمهما الله وقد دوخا هذا الأمر وجولاه وامتنضخاه، وسقيه ولم يمرر واحد منهما ولا من غيرهما - فيما علمته - به على قربه وسهولة مأخذه، ثم يذكر أن لقطرب كتاباً صغيراً فى الرد على الملحدين، وقد أحرز بذلك أجراً عظيماً<sup>(٣)</sup>.

وبهذا يكون ابن جنى قد حدد للباحثين علم الدلالة اللغوى، وأهميته وأنه الطريق للأمان الاجتماعى والدينى واللغوى، وأبان بما لا يدع مجالاً للشك أن معرفة دلالة الالفاظ مما يحتاج إليه الإنسان فى حياته، للوصول إلى الطريق الصحيح، ومعرفة أسرار اللغة وآدابها، وما يساعد به النقد الأدبى على أداء وظيفته بما يمد به من نظرات وخبرة فى قوانين الالفاظ<sup>(٤)</sup>.

فعلم الدلالة قد بحثه العلماء العرب، وعرفوه، وليس فقط علماء اللغة منهم بل عرفه كذلك علماء أصول الفقه لاتصاله بكثير من المسائل الفقهية، يقول استاذنا الدكتور نجا\* إن الباحثين الاصوليين اضطروا إلى التعرض لمباحث لغوية

(١) نفسه ٢٥٣/٣ - ٢٥٥.

(٢) يريد شيخه أبا على الفارسى المتوفى سنة ٣٧٧هـ، وأبا على محمد بن عبد الوهاب الجبانى المتوفى سنة ٣٠٣هـ وكانا معتزلين.

(٣) الخصائص ٢٥٥/٣. (٤) فقه اللغة للمبارك ١٣٤.

وإن لم تكن من صميم علم الأصول، ليكون الباحث على ذكر منها كالمشترك والمتضاد والمترادف، ومعاني الحروف والأسماء الشرعية، وقد ذكرت في كتب الأصول في قسم خاص بها، عرف بالمبادئ اللغوية<sup>(١)</sup> ويشرح أستاذنا كيف استخدم علماء أصول الفقه هذه المباحث في محاضرة طويلة نورد منها بعض الأمثلة دلالة على ذلك، يقول سيادته: "فمن ذلك أن المشترك - وهو اللفظ الدال على معنيين فأكثر دلالة مستوية كالعين لمعانيها المختلفة- قد اختلف العلماء في استعماله مراداً به معناه أو معانيه دفعة واحدة، فقد جوز ذلك مالك والشافعي مستدلين بما ورد في قوله جل ثناؤه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ...﴾ [الحج ١٨] قائلين إن السجود قد استعمل في معنيه مرة واحدة، إذ السجود من الأدمى يكون بوضع الجبهة على الأرض، ومن غيره بالانقياد والخضوع، فقصد المعنيان دفعة واحدة، ومنع ذلك الحنفية مفسرين السجود في الآية بمطلق الخضوع وهو يتحقق في الإنسان وغيره، وإن كانت صور الخضوع متفاوتة، ويرجح أستاذنا وجهة الحنفية ويقول: إنها أولى بالقبول في هذا المقام لأن استعمال المشترك في معنيه مرة واحدة يؤدي إلى الإبهام الذي استند إليه المانعون في وجود هذا الصنف من الألفاظ<sup>(٢)</sup>.

ومن هنا وللحاجة إلى مباحث الدلالة لتعلقها بالشرعية والقوانين الدينية اعتنى علماء أصول الفقه بكثير من مسائل الألفاظ ودلالاتها.

وبعد فلا جدال في أن علماء العرب قد ضربوا بسهم وافر في بحوث الدلالة، ويقف ابن جنى في طليعة الباحثين الذين كشفوا النقاب عن هذا الفن ومعاله، فقد حدد خطورته وأهميته، وأبان أن الجهل به شنيع، وأنه لا غنى عنه للباحث الأصولي، والباحث اللغوي على السواء، وبذلك يكون علماؤنا العرب قد سبقوا الأجانب في هذا المضمار.

(١) من محاضرة له بعنوان "النظريات اللغوية" الصف الرابع بالكلية، انظر كتابه فقه اللغة العربية ط الجديدة ٥/٤، ٦.

## عناية العرب بالألفاظ والمعاني

إن أدباء اللغة يختلفون في مراعاة اللفظ والمعنى في عملهم الفني، فمن الناس من يؤثر اللفظ على المعنى فيجعله غايته ووكده، وهم فرق: قوم يذهبون إلى فخامة الكلام وجزالته على مذهب العرب من غير تصنع كقول بشار:

إذا ما غضبنا غضبةً مُضِرَّةً      هتكنا حجابَ الشمسِ أو قطرت دماً  
إذا ما أعرنا سيِّداً من قبيلة      ذراً منبرِ صليِّ علينا وسلماً

وهذا النوع أدل على القوة، وأشبه بما وقع فيه من موضع الافتخار، وكذلك ما مدح به الملوك يجب أن يكون من هذا، وفرقة أصحاب جلبة وقمقمة بلا طائل معنى إلا السليل النادر كابى القاسم بن هانئ ومن جرى مجراه فإنه يقول أول مذهبه:

أصاحت فقالت وقع أجرد شَيَظَم      وشامت فقالت: لمع أبيض مَخْذَم  
وما دُحِرَتْ إلا لجرسِ حُلِيَّها      ولا رمقت إلا بُرَى في مُخْذَم

وليس تحت هذا كله إلا الفساد وخلاف المراد، ما الذى يفيدنا أن تكون هذه المنسوب بها ليست حليها فتوهمته بعد الإصاخة والرمق وقع فرس أو لمع سيف؟ غير أنها مغزوة فى دارها أو جاهلة بما حملته من زيتنها، ولم يخف عنا مراده أنها كانت تترقبه فى هذا كله؟ ومنهم من يؤثر المعنى على اللفظ، فيطلب صحته ولا يبالى حيث وقع هُجْنة اللفظ وقبحه وخشونته، كابن الرومى وأبى الطيب ومن شاكلهما هؤلاء المطبوعون<sup>(١)</sup> ولا ريب أن أكثر الشعراء العرب كانوا يعنون باللفظ

(١) العمدة ١٠٤ - ١٠٦، الأجرد من الخيل والدواب كلها: القصير الشعر وذلك من علامات العتق والكرم، والشَيْظَم: الطويل الجسم الفنى من الناس والخيل، وشامت: شام السحاب والبرق: نظر إليه وشام السيف: سلّه وأغمده. ضد. والخدم - بالتحريك، سرعة السير، والخدم بسكون الذال: سرعة القطع وبه سمي السيف مَخْذَمًا، ورمقت نظرت أو أتبع بصرها البُرى وهى جمع بُرٍّ وهى كل حلقة من سوار وقرط وخلخال وما أشبهها ومخْذَم: الخدْمة: الخللخال وقد تسمى الساق خدْمة حملا على الخللخال ولكونها موضعه والمخْذَم: موضع الخدمة من البعير والمرأة والهجنة بالضم - من الكلام. ما يعيه.

والمعنى سواء منهم المطبوعون كأمري القيس وجريرو أمثالهما أو أصحاب الصنعة الطبيعية البدوية كزهير والحطيثة أو أصحاب الصنعة الطبيعية الحضرية كبشار وأبي نواس والبحترى أو المغالون فى الصنعة كأبى تمام وابن المعتز والمتنبى<sup>(١)</sup> وكذلك نهج خطباؤهم وكتابهم هذه السيل \* فالكلام ألفاظ تشتمل على معان تدل عليها وتعبر عنها، فيحتاج صاحب البلاغة إلى إصابة المعنى كحاجته إلى تحسين اللفظ<sup>(٢)</sup>، والعربية - كما وصلنا من آثار أهلها الناطقين بها شعراً ونثراً - تصل بين اللفظ والمعنى بوشائج القربى وتهتم بهما بل ربما كان المعنى هو الأشرف فيها، واللفظ موضوع على سمته، وشاهد بصحته وخادم له، ولكن بعض النقاد من العرب والمستشرقين ينتقص من عناية العرب بالمعنى ويدعى أنهم يهتمون بالصناعة اللفظية، فالدكتور إبراهيم أنيس يرى أن العرب عنت باللفظ أكثر من المعنى، أو بعبارة أخرى عنت بموسيقى الكلام أكثر من عنايتها بمضمونه، ويعلل لتلك العناية اللفظية بقوله: إنا فى ندائنا بهذا الرأى نعزوه إلى الظروف الاجتماعية التى نشأت فيها تلك الآداب، من شيوع الأمية بين العرب، واعتمادهم على السمع والمشاهدة فى تلقى النصوص وتداولها<sup>(٣)</sup>، ويقول أيضاً: وفى رأى أن ظاهرة الموسيقى فى اللغة العربية تعزى فى أغلب عناصرها إلى تلك الأمية، حين كان الأدب أدب الأذن لا أدب العين، وحين اعتمد القوم على مسامعهم فى الحكم على النص اللغوى، فاكسبت تلك الأذان المران والتمييز بين الفروق الصوتية الدقيقة، وأصبحت مرهفة تستريح إلى كلام لحسن وقعه أو إيقاعه، وتأبى آخر لبثوه أو لانه كما يعبر أهل الموسيقى نشار<sup>(٤)</sup>، ومن المستشرقين جارسيا جوميز فقد قال: إن الصناعة اللفظية هى موضع العناية الكبرى فى الأدب العربى، بين نثر مقيد

(١) قضية الأدب بين اللفظ والمعنى ٢٩، ٣٠.

(٢) الصناعتين ٦٦ لأن المدار بعد على إصابة المعنى، ولأن المعانى تحمل من الكلام محل الإبدان والالفاظ تجرى منها مجرى الكسوة ومرتبعة إحداهما على الأخرى معروفة. المصدر السابق نفس الصحيفة.

(٤) نفسه ١٩١.

(٣) دلالة الألفاظ ١٩٦.

بالأسجاع، وبين ألوان من المجازات، والأشياء والطلاوات، واللوازم، تعوزها الحرارة والشعور، وكأنما هي كلها عرض من العروض المقنعة بالبراقع، حيث البسمات لآلىء والعيون أزهار بنفسجيات، والرياض والجداول سيوف... أو شاعر يشبه نفسه بالطير الذى أثقل ندى الممدوح جناحيه، فأعياء أن يطير، أو برق يومض بين الغمام كأنه ضرام العشق فى قلب الشاعر، يتوهج من خلل دموعه (وغير ذلك من) قوالب منقولة يحكيها النظامون من وحى الذاكرة<sup>(١)</sup>.

ودعوى أن اللغة العربية تهتم باللفظ، ولا تنظر إلى المعنى إلا قليلاً، دعوى زائفة قام الدليل على نقضها، وقد برهنت طائفة من العلماء قدامى ومحدثين على ذلك، فاثبتوا أنها توجه اهتمامها الكبير إلى المعنى، وإذا اهتمت باللفظ فإنما هو من أجل المعنى، ومن عباقرة هؤلاء العلماء الذين أوضحوا هذه الحقيقة، ودافعوا عنها ابن جنى، فقد أشار فى كتابه الخصائص فى أكثر من موضع<sup>(٢)</sup>، إلى أن هم العرب الأكبر متجه إلى المعانى، وأن العناية باللفظ من أجل المعنى الشريف، وأقام على ذلك البراهين الدامغة، ويوضح ذلك بقوله: اعلم أنه لما كانت الالفاظ للمعاني أزمنة وعليها أدلة وإليها موصلة وعلى المراد منها مُحصلة عُتيت العرب بها، فأولتها صدرأ واسعاً من تشقيفها وإصلاحها<sup>(٣)</sup>، بل إن المعانى عندهم أشرف من الالفاظ<sup>(٤)</sup>، فالعرب كما تعنى بالفاظها فتصلحها وتهذبها وتراعيها، وتلاحظ أحكامها بالشعر تارة وبالخطب أخرى وبالأسجاع التى تلتزمها، وتتكنف استمرارها، فإن المعانى أقوى عندها، وأكرم عليها، وأفخم قدراً فى نفوسها، فأول ذلك عنايتها بالفاظها، فإنها لما كانت عنوان معانيها، وطريقاً إلى إظهار أغراضها ومراميها أصلحها ورتبها وبالغوا فى تحبيرها وتحسينها ليكون ذلك أوقع لها فى السمع، وأذهب بها فى الدلالة على القصد؛ ألا ترى أن المثل إذا كان

(١) اللغة الشاعرة ٤٧، ٤٨.

(٢) انظر مثلاً ٢١٥-٢٣٧، ٣١٢-٣٢١، ٤١١/٢ - ٤٣٥، ٤٦٦-٤٦٩، ٩٨/٣ - ١١١،

٢٣١ - ٢٤٠، ٢٦٤ - ٢٦٩.

(٣) نفسه ٣١٢/١. (٤) نفسه ٤٤٦/٢.



مسجوعاً لذّ لسامعه فحفظه، فإذا هو حفظه كان جديراً باستعماله، ولو لم يكن مسجوعاً لم تأنس النفس به، ولا أنقت بمستمعه<sup>(١)</sup>.

ويبدو من هذا التعبير أن العرب اهتمت بموسيقى الألفاظ لتؤثر في السامع وللدلالة على المعنى، ولكن الدكتور أنيس أخذ جانب الموسيقى من تعبير ابن جني هذا وترك جانب المعنى، ومقصود العرب إنما هو فيما ذهب إليه ابن جني، فإذا رأيت العرب قد أصلحوا ألفاظها وحسنوها وحموا حواشيها وهذبوها وصقلوها غروبها<sup>(٢)</sup>، وأرهفوها فلا ترين أن العناية إذ ذاك إنما هي بالألفاظ بل هي عندنا خدمة منهم للمعاني وتنويه بها وتشريف منها، ونظير ذاك إصلاح الوعاء وتحسينه وتركيبه وتقديسه، وإنما المبغى بذلك منه الاحتياط للموعى عليه وجواره بما يعطر بشره ولا يعر<sup>(٣)</sup> جوهره، كما قد نجد من المعاني الفاخرة السامية ما يهجنه ويغض منه كُدرة لفظه وسوء العبارة عنه<sup>(٤)</sup>، ويؤكد ابن جني بذلك أن المعنى السامي يحتاج إلى لفظ جيد للتعبير عنه، فإن العبارة الرديئة تؤدي إلى هجنة المعنى السامي والغض من شأنه، وهو بذلك يؤكد أن العربي الذي اعتاد الفصاحة والبلاغة رسم للغة طريق قوة آدابها من الناحية اللفظية والمعنوية، فهذب لفظها لتَهذيب معناها «ألا ترى أن الشاعر قد يكون راعياً جلفاً أو عبداً عسيفاً تنبو صورته وتُمج جملته فيقول ما يقوله من الشعر فلأجل قبوله وما يورده عليه من طلاوته وعذوبة مستمعه ما يصير قوله حكماً يرجع إليه ويقتاس به ألا ترى إلى قول العبد الأسود:

إن كنت عبداً فنفسي حرةٌ كرمًا      أو أسود اللونِ إني أبيضُ الخلقِ

وقول الآخر:

إنني وإن كنتُ صغيراً سنًى      وكان في العيين نبوءٌ عنى  
فإن شيطانِي أميرُ الجنِّ      يذهبُ بي في الشعرِ كلَّ فنٍّ  
حتى يُزيلَ عني الظَّنَّ<sup>(٥)</sup>

(١) نفسه ٢١٥/١، ٢١٦. (٢) من غروب الامتنان أي أطرافها واحدها غرب.

(٣) يعيب. (٤) الخصائص ٢١٧/١. (٥) نفسه ٢١٦/١، ٢١٧.

وبهذا يسقط الاعتراض على البيتين<sup>(١)</sup>:

ولما قضينا من منى كل حاجة      ومسح بالاركان من هو ماسح  
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا      وسالت بأعناق المطى الأباطح

بأن الشاعر قد دبح اللفظ في حين أن المعنى يسير هو: لما فرغنا من الحج  
ركبنا الطريق راجعين، وتحديثنا على ظهور الإبل، ولهذا نظائر كثيرة<sup>(١)</sup>، فقد  
أجاب ابن جني عن ذلك بأن هذا الاعتراض كلام من ليس له نظر، ومن جفا  
طبعه لأن في قوله (كل حاجة) ما يفيد منه أهل النسيب والرقعة وذوو الأهواء والمقة  
مالا يفيد غيرهم من التشاكي والتخلي والتلاقي إلى غير ذلك، وأوماً إلى هذا  
بقوله (ومسح بالاركان من هو ماسح) وفي قوله (أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا)  
عجب أى عجب فهناك فرق بين هذا وبين أخذنا في أحاديثنا على ما نعرف من  
أحاديث المحبين... فشاعرنا يريد بأطراف الأحاديث الرمز للحلو الذي يتعاطاه  
المحبون من التعريض والتلويح والإيماء وذلك أدمت وأغزل وأرق نسيباً من  
المصارحة والمشافهة، فمعنى البيتين على هذا أوقع في النفوس من لفظهما، وفي  
قوله: (وسالت بأعناق المطى الأباطح) ما فيه من الفصاحة والبلاغة فزخرقة  
الألفاظ إنما هي لأجل المعاني، والرسول الكريم يقول: إن من الشعر لحكماً وإن  
من البيان لسحراً فإذا كان رسول الله ﷺ يعتقد هذا في الألفاظ هؤلاء القوم التي  
جعلت مصايد وأشراكاً للقلوب وسبباً وسلباً إلى تحصيل المطلوب عرف بذلك أن  
الألفاظ خدم للمعاني والمخدوم - لا شك - أشرف من الخادم<sup>(٢)</sup>.

(١) أورد هذا الاعتراض على الآيات ابن قتيبة، وفسرها بهذا التفسير الذي ذكره ابن جني قال: ولما  
قطعنا أيام منى، واستلمنا الأركان وعالينا إبلنا الأنضاء لا ينظر الغادى الرائح ابتدأنا الحديث،  
وسارت الإبل في الأبطح (الشعر والشعراء ٦٦، ٦٧)، وهو نثر جاف غفل عما فيها من فنية  
ومن صور رائعة (قضية الأدب ٤٣) ونقل الاعتراض الإمام عبد القاهر في أسرار البلاغة ٢٧،  
وابن الأثير في المثل السائر ١٤٠ والأستاذ العقاد في المراجعات ٩٦ والأستاذ عنبر في قضية  
الأدب ٤٢ وقد توسط أبو هلال العسكري فعدّها رائعة الألفاظ معجبة وليس تحتها كبير معنى  
(الصناعتين) ٥٥، ٥٦.

(٢) الخصائص ٢١٨/١ - ٢٢١ بتصرف.

وقد أوضح الإمام عبد القاهر ما أجمله ابن جنى من الناحية البلاغية فى البيتين فقال " إن استحسنهما يرجع إلى استعارة وقعت موقعها وأصاب غرضها، أو حسن تركيب تكامل معه البيان حتى وصل المعنى إلى القلب مع وصول اللفظ إلى السمع، فقوله: (كل حاجة) تعبير عن قضاء الناسك بأجمعها بطريق العموم، وكلمة (أطراف الحديث) تشير إلى ما ذكر ابن جنى من التصرف الذى يكون بين الرفاق فى فنون القول وشجون الحديث، وفيه من الإشارة والتلميح والرمز والإيحاء وأنباً ذلك عن طيب النفوس وقوة النشاط وفضل الاغتباط بين الأصحاب والأحباب، وكذلك أشار إلى الاستعارة فى (أعناق المطى) ودلالاتها التعبيرية<sup>(١)</sup> بل قال إنها فى غاية الحسن واللفظ وعلو الطبقة<sup>(٢)</sup>، وأكد الأستاذ العقاد أن تلك القطعة حافلة بتلك الصور التى تتوارد على الخيال كما تتوارد المناظر للعين فى الصور المتحركة، فيكاد القارئ ينسى كلماتها وحروفها وهو ينشدها لما يستشفه فيها من الأخيصة المتلاحقة، وما يصحبها من الخواطر الحية المتساقطة، ولو أن تلك الأبيات نقلت إلى اللوحة لمالات فراغاً من الشريط المصور لا يملؤه أضعافها من قصائد المعانى وقصص الوقائع، من صور الحجيج التى رسمها، وصورة القائل وما فى نفسه من الشجن واللوعة، وإلى جانب هذه المناظر والخواطر حواش يضيفها الخيال وتجليها البديهة فإذا أنت من الأبيات فى واد يموج بالمشاهد ويتتابع بدواعى الشعور<sup>(٣)</sup>، وكلام هؤلاء النقاد يؤكد ما ذهب إليه ابن جنى.

(١) أسرار البلاغة ١٥-١٨، وفيه بيت ثالث بين البيتين المذكورين هو:

وشدت على دهم المهارى رحالنا ولم ينظر الغادى الذى هو رانح

وقد أفاض الإمام عبد القاهر فى رجوع بلاغة الأبيات إلى المعانى لا اللفاظ فحسن الكلام يرجع إلى الأولى لا إلى الثانية.

(٢) دلائل الإعجاز ٤٩، ٥٠ ويصف الأستاذ عنبر ذلك بأنه تعبير عما تسميه النظرية الحديثة فى الأدب الالفاظ الموحية. قضية الأدب ٤٧.

(٣) مراجعات فى الآداب والفنون ٩٦- وينقل ابن الأثير فى المثل السائر تفسير ابن جنى ومعظم ألفاظه وتعبيراته. المثل السائر ١٤٠، ١٤١.

وينتقل ابن جنى من مجال الأدب إلى مجال اللغة، فيشرح مبلغ عناية العرب بالمعاني عند إنشائهم للصيغ اللغوية، فيفرق بين الصناعة اللفظية والصناعة المعنوية، فالخاق شملت وبيطرت ونحوهما يباب دحرجت صناعة لفظية ليس فيها أكثر من إلحاقها ببنائها أو اتساع العرب بها في محاوراتها وطرق كلامها، أما الأفعال التي جاءت على أوزان أفعال كأكرم وفاعل كقاتل وفعل كقطع فطريق بنائها معنوي، والعلة في ذلك أن كل واحد من هذه المثل جاء لمعنى؛ فأفعل للنقل وجعل الفاعل مفعولاً نحو دخل وأدخلته وخرج وأخرجته، ويكون أيضاً للبلوغ نحو أحصد الزرع وأركب المهر وأقطف الزرع ولغير ذلك من المعاني، وأما فاعل فلكونه من اثنين فصاعداً نحو ضارب زيد عمرا وشاتم جعفر بشراً، وأما فعل فلكثير نحو غلق الأبواب وقطع الحبال وكسّر الجرار... فتنبؤوا إلحاقها صوتاً للمعنى وذبا عنه أن يستهلك ويسقط حكمه فأدخلوا بالإلحاق لما كان صناعة لفظية، ووقروا المعنى ورجبوه لشرفه عندهم وتقدمه في أنفسهم، قرأوا الإخلال باللفظ في جنب الإخلال بالمعنى يسيراً سهلاً وحجماً محققاً<sup>(١)</sup>، وهكذا طريق بنائهم لجميع صيغ الأفعال والأسماء فكل منها يحمل ثلاث دلالات: لفظية وصناعية ومعنوية، وتطبق هذه الثلاث على الأفعال، ففي كل واحد منها الأدلة الثلاثة فقام يدل لفظه على مصدره وهو القيام ويدل بناؤه على زمانه وهو الماضي ويدل معناه على فاعله وهو صدوره من واحد (لفظ - صيغة - معنى) ودلالة الفعل قام على الفاعل معنوية لأنه يحتاج إليه لاستقلاله به وكونه بمنزلة الحادث عنه<sup>(٢)</sup>، وكذلك المصدران الضرب والقتل فنفس اللفظ يفيد الحدث فيهما، ونفس الصيغة تفيد فيهما صلاحتهما للأرمنة الثلاثة، وكذلك اسم الفاعل نحو قائم وقاعد لفظه يفيد الحدث الذي هو القيام والقعود، وصيغته وبناؤه يفيد كونه صاحب الفعل<sup>(٣)</sup>.

ويدلك على تمكن المعنى في أنفسهم وتقدمه للفظ عندهم تقديمهم لحرف المعنى في أول الكلمة وذلك لقوة العناية به فقدّموا دليله ليكون ذلك أمانة لتمكنه عندهم<sup>(٤)</sup>، وعلى ذلك تقدمت حروف المضارعة في أول الفعل إذ كن دلائل على

(١) الحصاص ٢٢١/١ - ٢٢٤. (٢) نفسه ٩٨/٣، ٩٩.

(٣) نفسه ١٠١/٣. (٤) نفسه ٢٢٤/١.

الفاعلين من هم وما هم وكم عدتهم نحو أفعَل ونفَعَل وتفعَل ويفعل . . . وقد حشوا بحروف المعاني فحصنوها وأمنوا عليها ما لا يؤمن على الأطراف المعرضة للحذف والإجحاف كآلف التكسير وياه التصغير نحو دراهم ودريهم، فالفاء واللام تحذفان كثيراً مثل عدة وزنة ويد ودم، ويقل حذف العين مثل مذ وسه فهذا يدل على ضنهم بحروف المعاني وشحهم عليها حتى قدموها عناية بها أو وسطوها تحصيئاً لها<sup>(١)</sup>، وهم إذا أرادوا معنى ما اختاروا له لفظاً يؤديه، فإذا قصدوا الزيادة في معناه زادوا حروفاً أخرى مقابلة للزيادة في المعنى أو عدلوا به عن الصيغة المألوفة إلى صيغة أخرى، فإذا كانت الالفاظ أدلة المعاني ثم زيد فيها شيء أوجبت القسمة له زيادة المعنى به وكذلك إن انحرف به عن سمته وهديته كان ذلك دليلاً على حادث متجدد له<sup>(٢)</sup>، ومن ذلك قولهم خشن وخشوشن فمعنى خشن دون معنى اخشوشن لما فيه من تكرير العين وزيادة الواو، ومنه قول عمر رضى الله عنه: اخشوشنوا وتمعددوا أى اصلبوا وتناهوا فى الخشونة، ومثله باب فعل واقتعل نحو قدر واقتدر فالثانى أقوى معنى من الاول، قال الله سبحانه: ﴿أَخَذَ عَزِيزٌ مُّقْتَدِرٌ﴾ [القمر] فمقتدر هنا أوفق من قادر من حيث كان الموضع لتفخيم الأمر وشدة الاخذ، ومن ذلك أيضاً قولهم: رجل جميل وجُمَال فزادوا فى اللفظ هذه الزيادة لزيادة معناه، وقد جاءت بعض الاسماء على فُعَال للمبالغة المذكورة مثل خُطَاف فإنه وإن كان اسماً فلمنه لاحق بالصنعة فى إفادة معنى الكثرة ألا تراه موضوعاً لكثرة الاختطاف به، وكذلك سَكَن موضوع لكثرة تسكين الذابح به، وكذلك الجزار والعطار والقصار لكثرة تعاطى هذه الأشياء، ونحو من تكثير اللفظ لتكثير المعنى العدول عن معتاد حاله وذلك فُعَال فى معنى فَعِيل مثل طُوال فهو أبلغ من طويل وسُرَاع أبلغ من سريع لأن فَعِيلاً أخص بالباب من فُعَال، ألا تراه أشد انقياداً منه، تقول جميل ولا تقول جُمَال وشديد ولا تقول شُدَاد فلما أريدت المبالغة عدل إلى فُعَال فصار مثل فُعَال مع أن خروج الثانى بالزيادة والاول بالانحراف عن فَعِيل<sup>(٣)</sup>.

(٢) نفسه ٢٦٨/٣.

(١) نفسه ٢٢٥/١، ٢٢٦.

(٣) الخصائص ٢٦٦/٣ - ٢٦٩.



ومن التفرقة التي تدل على عناية العرب بالمعاني استدلالهم بالحركات على المعاني المختلفة، فمِرْقاة بكسر الميم: السَلَم ومِرْقاة بفتحها: للدَّرَجَة فنفس اللفظ يدل على الحدث الذي هو الرقي، وكسر الميم يدل على أنها مما ينقل ويعتمل عليه وبه كالمِطْرَقَة والمِشْزَر والمِنْجَل، وفتح ميم مِرْقاة تدل على أنه مستقر في موضعه كالمنارة والثابة<sup>(١)</sup>، وهم يبنون اللفظ على نظام لا يتعارض مع المعنى، فمن ذلك امتناعهم من تعريف الفعل؛ لأن الغرض فيه إفادته فلا بد من أن يكون منكوراً لا يسوغ تعريفه، لأنه لو كان معرفة لما كان مستفاداً لأن المعروف قد غنى بتعريفه عن اجتلابه ليفاد من جملة الكلام<sup>(٢)</sup>، كما يصلحون اللفظ من أجل المعنى، ومن ذلك قولهم في جمع تَمرة وبُسرة ونحو ذلك تَمرات وبُسرات فكروها تَكَرَّار التاء تناكراً لاجتماع علامتي تأنيث في لفظ اسم واحد، ومن إصلاح اللفظ قولهم كان زيداً عمرو فأصله زيد كعمرو ثم أرادوا التوكيد فقالوا: إن زيداً كعمرو ثم بالغوا في توكيد التشبيه بتقديم الكاف ففتحت إن، ومن ذلك أنهم لما أرادوا أن يصفوا المعرفة بالجملة كما وصفوا بها النكرة ولم يجز أن يجروها عليها لكونها نكرة أصلحوا اللفظ بإدخال (الذي) لتباشر بلفظ حرف التعريف المعرفة فقالوا مررت بزيد الذي قام أخوه ونحوه<sup>(٣)</sup>.

والعرب لعنايتهم بالمعنى احتاطوا له بالتوكيد لفظياً كان أو معنوياً، وقد يكون الاحتياط بوسائل أخرى معنوية وتعبيرية مثل: إن قمت قمت فيجىء بلفظ الماضي والمعنى معنى المضارع وذلك أنه أراد الاحتياط للمعنى فجاء بمعنى المضارع المشكوك في وقوعه بلفظ الماضي المقطوع بكونه، حتى كان هذا قد وقع واستقر، لا أنه متوقع مترقب، وهذا تفسير أبي على عن أبي بكر وما أحسنه<sup>(٤)</sup>.

وقد أعطى ابن جنى للباحثين صوراً كثيرة لتغلب المعنى على اللفظ في اللغة العربية، ومن ذلك أنه نبه على أن طريق الحمل على المعنى، وترك اللفظ كتذكير

(١) نفسه ١٠٠/٣، ١٠١.

(٢) نفسه ٢٣٣/٣.

(٣) نفسه ٣١٢/١ - ٣٢١.

(٤) نفسه ١٠١/٣ - ١٠٥.

المؤنث وتأنيث المذكر، وإضمار الفاعل لدلالة المعنى عليه، وإضمار المصدر لدلالة الفعل عليه، وحذف الحروف، والأجزاء التوأم والجمل وغير ذلك حملاً عليه وتصوراً له، وغير ذلك مما يطول ذكره ويمل أيسره أمر مستقر ومذهب غير مستنكر<sup>(١)</sup>. فمن تذكير المؤنث قوله:

فلا مزنه ودقت ودقها ولا أرض أبقل إيقالها

ذهب بالأرض إلى الموضع والمكان، ومنه قول الله عز وجل ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسُ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي...﴾ (٧٨) [الأنعام] أى هذا الشخص أو هذا المرئى ونحوه<sup>(٢)</sup>، ومن تأنيث المذكر قراءة ﴿يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ...﴾ (١٦) [يوسف] فيمن قرأ (تلتقطه) بناء المضارعة، وقولهم: ذهبت بعض أصابعه أنت ذلك لما كان بعض السيارة سيارة فى المعنى وبعض الأصابع إصبعاً، وحكى الأصمعى عن أبى عمرو أنه سمع رجلاً من أهل اليمن يقول: فلان لغوب، جاءته كتابى فاحتقرها فقلت له: أتقول جاءته كتابى؟ فقال نعم. أليس بصحيفة؟<sup>(٣)</sup>، وقال سبحانه ﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَقُصُّونَ لَهُ...﴾ (٨٢) [الأنبياء] فحمل على المعنى وقال ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (١١٢) [البقرة] فأفرد على لفظ من ثم جمع من بعد<sup>(٤)</sup>، ومنه ما يحمل على التضمين كقوله تعالى: ﴿أَجَلٌ لَّكُمْ لَيْلَةُ الصَّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ...﴾ (١٨٧) [البقرة] ونحوه مما اتصل فيه الفعل بحرف ليس مما يتعدى به، لأنه فى معنى فعل يتعدى به فالرفث هنا بمعنى الإفضاء ولذلك عداه بالى<sup>(٥)</sup>، ومن الحذف لدلالة المعنى ما جاء فى قول الشاعر:

لِيُكَ يَزِيدُ ضَارِعٌ لِحْصُومَةٍ وَمُخْتَبِطٌ مَّا تَطِيحُ الطَّوَانِحُ<sup>(٦)</sup>

لأنه لما قال لِيُكَ يَزِيدُ فكأنه قال: لِيُكَ ضَارِعٌ لِحْصُومَةٍ فرفع "يزيد" بفعل

ثان يدل عليه الأول وقوله:

(١) نفسه ٢٣٧/١. (٢) نفسه ٤١١/٢، ٤١٢.

(٣) نفسه ٤١٥/٢، ٤١٦. (٤) نفسه ٤١٩/٢.

(٥) نفسه ٤٣٥/٢. (٦) نفسه ٤٢٤/٢.

## إذا تغنى الحمام الورق هيبنى ولو تعزيت عنها أم عمار

لأنه لما قال: هيبنى دل على (ذكرنى) فنصبها به، فاكتفى بالسبب الذى هو التهيج من السبب الذى هو التذكير<sup>(١)</sup>، وعلى حد تعبير ابن جنى فباب الحمل على المعنى بحر لا يُنكش ولا يُفتح<sup>(٢)</sup> ولا يُؤبى<sup>(٣)</sup> ولا يُغرض<sup>(٤)</sup> ولا يُغضض<sup>(٥)</sup>

وبعد هذا الشرح المستفيض الذى جمع فيه ابن جنى من أطراف العربية وأغوارها ما أيد به عناية العرب بالمعنى وخدمة اللفظ له نرى أنه قد أقام من نفسه مدافعاً عن الأدب العربى<sup>(٦)</sup> ونرى أنفسنا مدفوعين إلى موافقته والاعتداد برأيه فالعربية مشتملة على هذا المبدأ الذى لا يحيد عنه الباحث المنصف فقد أيدته كثير من المفكرين قديماً وحديثاً، فالإمام عبد القاهر فى كتابه دلائل الإعجاز يعقد فصلاً يؤكد فيه بالشواهد الماضية بطلان كون الفصاحة فى اللفظ، وينسبها إلى المعنى<sup>(٧)</sup>، ويقول: إن سبب الفساد هو ظنهم فى اللفظ وجعلهم الأوصاف التى تجرى عليه كلها أوصافاً له فى نفسه، ومن حيث هو لفظ وتركهم أن يميزوا بين ما كان وصفاً له فى نفسه، وبين ما كانوا قد أكسبوه إياه من أجل أمر عرض فى معناه<sup>(٨)</sup>، ثم يقرر أنه "إذا كان الأمر كذلك وجب أن تعلم قطعاً وضرورة أن تلك المزية فى المعنى دون اللفظ"<sup>(٩)</sup> ويقول الجاحظ: "لكل ضرب من الحديث ضرب من اللفظ، ولكل نوع من المعانى نوع من الأسماء؛ فالسخيف للسخيف، والخفيف للرخيف، والجزل للجزل، والإفصاح للإفصاح، والكناية فى موضع الكتابة، والاسترسال فى موضع الاسترسال، وقد قال: لكل مقام مقال"<sup>(١٠)</sup>.

ويؤيد الدكتور عثمان أمين رأى ابن جنى فى عناية العرب بالمعنى فيقول فى كتابه فلسفة اللغة العربية: "والحق فيما قال ابن جنى؛ فاللغة العربية من أكثر

(١) ٤٢٥/٢. (٢) لا يتز ولا يتقد ماؤه ولا يبلغ غوره.

(٣) لا يتقطع من كثرته (٤) أى لا يتزح ويقال غصفت الشيء فغضض أى بقصته فنقص.

(٥) الخصائص ٤٣٥/٢ (٦) دلالة الألفاظ د. أنيس ص ١٩٧

(٧) ٣٢٩-٣٣٢ (٨) ٢٥٤، ٢٥٣

(٩) ٢٥٥ (١٠) الحيوان ٤٣/٣

لغات الأرض دلالة معنوية، بل إن الكثير من ألفاظ العربية قد فقدت الدلالة الحسية، فالفعل قضى معناه حكم والأصل فيه القطع الحسى، والفعل عقل معناه فهم وهو مأخوذ من عقل الناقة أى ربطها، والفعل أدرك الأصل فيه البلوغ الحسى، فيقال فلان أدرك القطار أى لحقه<sup>(١)</sup>، والحركة فى اللغة العربية تدل على معان مختلفة كعلامات الإعراب وكذلك الأوزان والصيغ تدل على معان وصفات وأحوال مثل فعلان كهيمان وفعلان كعطشان وفُعال كصُراح وفُعِيل وفُعْللة فى الأصوات مثل سهيل وقعقة... إلخ<sup>(٢)</sup>.

وقد كتب فصلاً كاملاً من كتابه يؤكد فيه أن العربية تؤمن بالمعنى وتختار له اللفظ المناسب، وعلى حد تعبيره تؤثر الجوانية على البرانية، والتفكير الواعى يتصوره العرب صادراً عن هذه الجوانية؛ ألسنا نراهم يعبرون عنه بألفاظ القلب واللب والحجى والنهى أكثر مما يعبرون عنه بألفاظ المخ والدماغ والرأس، ويفرقون بين القرابة والقربى وإحداهما لحمه الدم والأخرى رابطة الروح<sup>(٣)</sup>، وتلك خصيصة لها تفضل بها اللغات الأخرى. يقول المستشرق الفرنسى لوى ماسنيون إنه فى حين أن اللغات الهندوأوربية جعلت للتعبير عن نظام العالم الخارجى نجد اللغة العربية وكأنها هى لغة التأمل الداخلى، ففيها- بفضل تركيبها الداخلى وطرز الخلوة الذى توحى به- قدرة خاصة على التجريد والتزوع إلى الكلية والشمول، ومن هنا كان للعرب الفضل فى استكشاف رموز الجبر، وصيغ الكيمياء، والمسلسلات الحسابية<sup>(٤)</sup>، ومما ذكره المستشرق الفرنسى كارادوفو تفرقة العربية بين الكبر الداخلى والكبر الخارجى فالداخلى هو استعداد فى النفس والخارجى ناتج عن أفعال الجوارح، واللفظ الفرنسى الذى يدل على معنى الكبر هو orgueil أما التكبر فأولى أن يكون مرادفه الفرنسى superbe ولاحظ كارادوفو أن هذه الفروق المعنوية الدقيقة التى تحملها ألفاظ اللغة العربية ليس من الميسور نقلها فى لفظ واحد إلى اللغات الأخرى وخلص من هذه الملاحظة إلى التنويه بما تنطوى عليه العربية من

(٢) ٤٤ و ٤٨.

(١) ٤٣ و ٤٤.

(٤) فلسفة اللغة العربية د. أمين ص ٨.

(٣) ٣٧.

قدرة ذاتية على التحليل الفلسفى العميق \* ما دام أن إحداث تغيير طفيف فى بنية اللفظ العربى يسمح لتلك اللغة بأن تميز بين الحالة النفسية وبين العادة البدنية التى تطابقها<sup>(١)</sup>، وبهذا قد اعترف الأجانب بما للغة العربية من سبق على اللغات الأخرى فى المعانى والألفاظ جميعاً.

وقد أنحى الأستاذ العقاد باللائمة على المستشرقين الذين ظنوا أن اللغة العربية تؤمن باللفظ أكثر من المعنى أمثال جارسيا جوميز وعد حكمهم هذا خطأ ذريعاً؛ كيف لا وهم لا يحسنون الحكم على شاعر من بنى جلدتهم، فأحرى بهم ألا يحسنوا الحكم على الشعراء من أبناء اللغات التى تخالف لغاتهم فى تراكيبيها ومصطلحاتها ومن أبناء الأمم التى تخالف أممهم فى أمزجتها وعاداتها، والسبب فى هذا الخطأ أنهم يقومون مقام الحفاظ دون إدراك محاسن الشعر العربى فى ظاهره وخفائيه وفى ألفاظه ومعانيه<sup>(٢)</sup>.

وقد اتفق معنا الأستاذ العقاد فى أن اللغة العربية لغة معنى، وأن الصور المحسوسة فيها ترتفع إلى حدود المعانى المجردة، فيستمع العربى إلى التشبيه فلا يشغل ذهنه بأشكاله المحسوسة إلا ريثما ينتقل فيها إلى المقصود من معناه، فالقمر عنده بهاء، والزهرة نضارة، والغصن اعتدال ورشاقة، والطور وقار وسكينة<sup>(٣)</sup>، ومن هذا استنبط أن اللغة العربية قد انتقلت من الصور المحسوسة التى هى من صميم البيئة العربية إلى المعانى المجردة بعد ارتقاء العرب وحضارتهم، وقال: إنه من الممكن أن نعرف عادات العرب وحياتها الأولى من خلال لغتها<sup>(٤)</sup> كما أكد أن الصيغ والحركات فى اللغة العربية تعبر عن معان معينة، كذلك قواعد النحو العربى قد بنيت على اتجاه المعنى، يقول: وإذا فليست قواعد النحو العربى بهذه المقاييس فى علم الألسنة فالمزية البيئة فى هذه القواعد أنها تابعة لأغراض التعبير والدلالة، وليست هذه الأغراض تابعة لها فى أصولها أو فروعها، وقد وضعت فيها الفروق بين صيغ الأسماء والصفات على حسب معانيها وعلاقاتها وأغراض

(١) نفسه ٤٦، ٤٧. (٢) اللغة الشاعرة ٤٨ و ٤٩.

(٣) نفسه ٣٧. (٤) نفسه ٤٢.



المتكلم والسامع فإنما يجرى فيها الاختلاف بين الأوزان والصيغ لبيان الاختلاف في مدلول الكلمة ودرجتها، وقد تشاركها اللغات في بعض هذه المزايا ولكنها لا تجمعها كما جمعتها في واحدة منها<sup>(١)</sup>.

وبهذا يعد ابن جنى فارس الحلبي، وقد حاز قصب السبق في هذا البحث، فكل ما أتى به المحدثون حتى الأستاذ العقاد نفسه من أدلة على تفوق اللغة العربية واتجاهها إلى المعنى كل ذلك تكلم فيه ابن جنى منذ ألف عام، وإن كتابه الخصائص ليحوى كثيراً من دلائل وأسرار عناية العرب بالمعاني، وقد ذكرنا بعضها اكتفاء بها.

ويبدو لنا صواب رأى ابن جنى ودقته، فقد كشف عن سر من أسرار العربية وأيده بالبراهين القاطعة الواقعية، فصيغ العربية والمعاني التي تؤديها، والتي تنتقل إليها عن طريق المجاز وغيره، وعلاقات الكلمات بعضها ببعض، وطرائق الشعراء في التعبير عن أغراضهم، ذلك وأشباهه - بالملاحظة - يرينا قيمة المعنى في لغتنا، وإن الأديب العربي لم يكن ليأخذ صنعة الألفاظ مجردة عن النظر إلى المعاني بل يضع ما يختاره من اللفظ الجزل، والرقيق أو الخشن، والمفرح أو المحزن، والأسلوب المملوء بالأنفة والتصميم، أو اللين والضعف في مكانه وزمانه المناسبين، فاللغة ثم تكن إلا للتعبير عن الأفكار والمعاني، والعرب أرباب البلاغة، وهي معجزتهم الخالدة التي نزل بها القرآن أعلى مثل بلاغي<sup>(٢)</sup>.

---

(١) أشتات مجتمعات في اللغة والأدب ١٢.

(٢) أما اختلاف النقاد حول اللفظ والمعنى والانتصار لأحدهما وإيهما أحق بالاتباع في العمل الأدبي فهذا مجاله علم الأدب والنقد فلم نتطرق إليه.

## الاشتقاق اللغوي

### لغة العرب بين الجمود والاشتقاق

ثبت بالدليل أن العربية من أرقى اللغات المتصرفة<sup>(١)</sup>، والتي اختلفت بميزة الاشتقاق الذي يعد خير وسيلة من وسائل التصرف، وإذا كان قد قيل بوجه عام إن طرق الوضع اللغوي هي الارتجال والقياس<sup>(٢)</sup> والاشتقاق فإننا نرى أن أهمها هو الاشتقاق الذي يخضع للقياس، والواقع أن اللغة العربية تتميز بهذا النوع الذي يكثر فيها التوالد والتناج، وقد عرفه القدماء أصحاب السليقة. قال ابن فارس في فقه اللغة باب القول على لغة العرب هل لها قياس وهل يشتق بعض الكلام من بعض؟: «أجمع أهل اللغة إلا من شذ منهم أن للغة العرب قياساً، وأن العرب تشتق بعض الكلام من بعض، وأن اسم الجن مشتق من الاجتنان وأن الجحيم والنون تدلان أبداً على الستر، تقول العرب للدرع: جنة وأجنه الليل وهذا جنين أى هو فى بطن أمه، وأن الإنس مشتق من الظهور يقولون: آنت الشيء أبصرته وعلى هذا سائر كلام العرب، علم ذلك من علم وجهله من جهله»<sup>(٣)</sup>، وإذا تصفحنا المعاجم اللغوية أدهشنا ما نجد من كثرة موادها، وفيضان ألفاظها، بل زاد من دهشتنا أن كل طائفة من الألفاظ نجد لبعضها علاقة ببعض وصلة تربط بينها، مما يدل على أنها نشأت من أصل واحد؛ فمادة "عرف" تفيد انكشاف الشيء وظهوره، ويتحقق هذا المعنى فى جميع ما تصرف من حروفها وهو عرف - تعرف - تعارف - عارف - معروف - عرفان... إلخ، ويحقق ابن جنى هذا المبدأ فى مواد كثيرة سنتناولها بالتفصيل عند حديثنا عن رأيه فى الاشتقاق وابتكاره فيه، ومما ذكره أن تركيب "س ل م" يفيد معنى السلامة فى تصرفه نحو سلم ويسلم وسالم

(١) يقسم العلماء المحدثون اللغات ثلاثة أنواع: فاصلة ولاصقة ومستصرفة وأرقاها هي المتصرفة ومنها العربية. انظر علم اللغة، ط ١٩٣٨م، ص ١١٥-١١٨ والفلسفة اللغوية ١٠-١٦ ومقدمة لدرس لغة العرب ١٢٢ و١٢٣ ومجلة الأزهر من مقال للأستاذ العقاد عدد مارس سنة ١٩٦١ ص ٥٨ ومحاضرات فى اللهجات وأسلوب دراستها ٢٢-٢٤.

(٢) من أسرار اللغة ٤٦. (٣) المزهر ١/٢٦٣-١٩٦٤ والصاحي ٦٧.

وسلمان وسلمى والسلامة، والسليم اللديغ أطلق عليه تفاؤلاً بالسلامة وهكذا...<sup>(١)</sup>. ولكن... هل كلم العرب كله مشتق أو لا؟

ينقسم علماء اللغة في ذلك إلى طوائف:

فيرى سيبويه والخليل وأبو عمرو وأبو الخطاب وعيسى بن عمر والأصمعي وأبو زيد وابن الأعرابي والشيباني وغيرهم: أن بعض الكلم مشتق وبعضه غير مشتق، وقالت طائفة من متأخري اللغويين: كل الكلام مشتق، ونسب ذلك إلى سيبويه والزجاج، وقالت طائفة من النظائر: الكلم كله أصل<sup>(٢)</sup>.

ومن عرض هذه الآراء التي تدور دوراناً منطقياً مسلسلاً كأنما هي مسألة عقلية بحثة لا مجال للواقع في إثباتها، من ذلك نقف موقفاً يدعم الحقيقة الواقعية، ويبرهن عليها، فنحن مع أصحاب الرأي الأول نؤيده ونعضده، فمما هو جدير بالقبول حقاً أن بعض الكلم مشتق وبعضه غير مشتق، والقول بأن الكلم كله أصل "غير صحيح" لأنه ينكر الصلة المحسة في اللفظ والمعنى بين الكلمات في مثل علم ويعلم وأعلم والعالم والمعلوم والعلم<sup>(٣)</sup> ولو كان الكلم كله أصلاً لم يكن هناك مجال للابتكار والتوليد، ولكان معنى ذلك أن لغة العرب جامدة لا تتحرك، على الرغم من تحرك الزمن وتطوره. وهذا منقوض إذ يجدر بنا ألا نتصور أن الأفعال أو المصادر حين عرفت في نشأتها عرفت معها مشتقاتها، فقد تظل اللغة قروناً وليس بها إلا الفعل وحده أو المصدر وحده حتى تدعو الحاجة إلى ما يشتق منهما<sup>(٤)</sup>.

ولم تنشأ كل المشتقات دفعة واحدة وإنما على حسب الحاجة، ولذلك وردت لنا بعض مواد اللغة العربية ناقصة في مشتقاتها في بعض الأحيان، فتروى المعاجم العربية أفعالاً لا مصادر لها، ومصادر لا أفعال لها، ورأى المجمع اللغوي إزاء هذا أن يصدر قراره الحكيم، وهو استكمال المادة اللغوية في المعجم العربي الحديث، وفي هذا القرار تنمية كبيرة للألفاظ اللغة<sup>(٥)</sup>.

(٢) المزهري ط. الأولى ٩٦٥/١.

(١) الخصائص ١٣٤/٢.

(٤) من أسرار اللغة، ط ٣، ص ٤٧.

(٣) مجلة مجمع اللغة العربية ٢٠١/٢.

(٥) طرق تنمية الألفاظ في اللغة، ص ٤٣.

فمذهب الأصالة المطلقة لا سند له من تاريخ اللغة بل إن المشاهدة لها تدفعه بلا مرأى، ولسنا- أيضاً- مع أصحاب الرأي القائل بأن الكلم كله مشتق "لأنه يلزم عليه أن تكون كل كلمة فرعاً، ولا بد أن يكون بعض الفروع أصلاً، وكيف يكون الشيء الواحد أصلاً وفرعاً، وقد جعل الفرع دالاً على ما فى الأصل وزيادة. لقد ذهب بعض البصريين إلى أن الوصف الدال على الحدث والموصوف كاسمى الفاعل والمفعول مشتق من الفعل الدال على الحدث والزمان المعين، والفعل مشتق من المصدر الدال على الحدث، فالفعل أصل الوصف وفرع المصدر، ولكن الوصف الدال على الحدث والموصوف لا يدل على الزمان المعين الذى فى الفعل، فليس الفعل أصلاً للوصف، وليس الوصف فرعاً من الفعل دالاً على ما فيه وزيادة وإنما هو فرع من المصدر كالفعل<sup>(١)</sup> وإلا فما الأصول التى اشتق منها كل الكلم هل أميتت أو أهملت مثلاً؟ هذا كلام لا يصدق!!

ويؤيدنا فى ذلك رأى الذى ملنا إليه ابن جنى فهو يقول: "فإن قلت: فهلا كان نعم وبجل مشتقين من النعمة والسنعيم والبَجَال والبَجِيل ونحو ذلك دون أن يكون كل ذلك مشتقاً منهما؟ قيل الحروف يشتق منها ولا تشتق هى أبداً، وذلك أنها لما جمدت فلم تتصرف شابها بذلك أصول الكلام الأول التى لا تكون مشتقة من شيء لأنه ليس قبلها ما تكون فرعاً له ومشتقة منه<sup>(٢)</sup>."

وبذلك يتأكد لنا أن لغة العرب بها أصول وفروع تولد أكثرها من طريق الاشتقاق، وتبعاً للحاجات الاجتماعية النامية، وبفضل الاشتقاق غزرت المادة اللغوية فيها بما سنراه واضحاً فيما بعد، ويتضح تمام الانتضاح أن لغة العرب ليست جامدة بل هى أولى اللغات العالمية احتفاظاً بالاشتقاق واهتماماً به، حتى ليقول الأستاذ عبد القادر المغربى فى مقدمة كتابه الاشتقاق والتعريب: "الاشتقاق فى أصول كلمات اللغة العربية كالتاج والتوليد فى الأفراد المتكلمين بها، والتعريب فى الكلمات الدخيلة الطارئة على تلك اللغة كالتعريب بالنسبة للدخلاء فى الأمة

(١) مجلة مجمع اللغة العربية ٢٠١/٢.

(٢) الخصائص ٣٧/٢.

العربية والملتحمين بها<sup>(١)</sup>، ولقد بلغ عدد كلمات العربية بالاشتقاق والتوالد قدراً كبيراً جداً حتى لقد قالوا: إنها قد احتوت على مشتقات قدرها سبعون ألف كلمة، وهذا على طبيعة العرب في السخاء اللغوي، كما هي عادتهم في سخائهم الطبيعي والمادى، ولذلك ترى ما تعجب له فقد وضعوا لبعض المعاني أسماء تفوق التصور، فللسيف ألف اسم، وللأسد خمسمائة، وللدهاية أربعمائة، حتى قال الثعالبي: تكاثر أسماء الدواهي من الدواهي<sup>(٢)</sup> ولعل في نص الثعالبي السابق ما يوحي بقدرة العرب الخارقة وطواعية لغتهم لهم.

ونعتقد- بعد وضوح الشمس لذى عينين- أن من البداهة بمكان امتياز لغة العرب بالاشتقاق اللغوي وسرى من نتائج هذا البحث قيمة الاشتقاق في العربية ومزاياه التي لا تحصى.

### مفهوم الاشتقاق عند العلماء

جدير بنا ونحن في مستهل حديثنا عن الاشتقاق اللغوي الذي كان لابن جني قصب السبق في ميدانه، أن نلقى أضواء كاشفة تنير لنا الطريق وأن نقف لحظات مع العلماء وأئمة الرأي من نحويين وصرفيين ولغويين لنعرف مدى ما أسسوا من قواعد للاشتقاق وما وصلوا إليه من نتائج، ونبدأ أولاً بمفهوم الاشتقاق عند النحويين والصرفيين لتقارنه برأى اللغويين في هذا الشأن فنقول والله المستعان.

**الاشتقاق عند النحويين:** هو أخذ شيء من المصدر ليبدل على حدث وصاحبه، فيشمل بهذا أربعة أنواع: اسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة واسم التفضيل، أما أسماء الزمان والمكان والآلة فهي من الجوامد<sup>(٣)</sup>.

**الاشتقاق عند الصرفيين:** هو أخذ شيء من غيره ليبدل على ذات وحدث له ارتباط بتلك الذات، والمقصود بالارتباط اتصال ما، سواء أكان على جهة الوقوع

(١) ص ٨.

(٢) نفسه ١١-١٣، وفقه اللغة وسر العربية لأبي منصور الثعالبي، ط٢، مصطفى البابي الحلبي، سنة ١٣٧٣ هـ - ١٩٢٤ م، ص ٢٨٩.

(٣) التبيان في تصريف الأسماء ١٨ بتصريف وهذا التعريف على المعتمد من مذهب البصريين الذين يجعلون أصل الاشتقاق المصدر.



منها أو عليها أو فيها أو بواسطتها، والمشتق بهذا التحديد يشمل اسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة واسم التفضيل واسم الزمان واسم المكان واسم الآلة.

وواضح أن الجمود ضد الاشتقاق، والجامد على هذا هو ما لم يؤخذ من غيره على الصفة السابقة، وذلك بأن يدل على ذات فقط مثل رجل وفرس، أو معنى فقط مثل علم وشجاعة، وأن المشتق بهذا المعنى متفرع عن الجامد فكانك تشقه وتستخرج منه معنى الأصل<sup>(١)</sup>.

الاشتقاق عند اللغويين: هو أخذ شيء من غيره مطلقاً، سواء دل على ذات وحدث معاً أو لا فيشمل المشتق عندهم المشتقات التي عرفت عند النحويين والصرفيين، كما يشمل نحو استنسر من النسر، واستحجر من الحجر، ومن الأول قولهم في المثل... (إِنَّ الْبُغَاثَ بَارِضِينَ يَسْتَنْسِرُ)<sup>(٢)</sup>.

وبهذا يتبين أن الاشتقاق اللغوي أعم من الصرفي والنحوي، وإن كان عند الصرفيين أعم منه عند النحويين<sup>(٣)</sup> ولكن اللغوي هو الذي فتح المجال لزيادة الثروة اللغوية، وهو الذي يتمتع بسمات لها أهمية بالغة، وإذا كان النحاة والصرفيون قد ضيقوا من دائرة الاشتقاق بتحديد إياه، وتكيله بالقيود فإن اللغويين قد أطلقوه من عقالة وأفسحوا له الطريق كما يشاء.

ونرى أنه من تمام الحديث لتفسير قولنا السابق أن نحلق في تلك الآفاق وتحدث عن مصدر هذا الاشتقاق، لثلا تكون علينا حجة وها هو ذا.

### أصل المشتقات

تمتاز اللغة العربية باشتراك موادها في حروف ثلاثة، وتتصل الالفاظ المشتركة فيها بمعنى "عام واحد" فمن خصائص اللغة العربية:

١- أن الكلمة العربية ذات أصول ثلاثة يعبر عنها في الميزان الصرفي بفاء الكلمة وعينها ولامها، وتأتي على هذا الترتيب.

(١) نفسه ١٨، ١٩ بتصرف.

(٢) نفسه ١٨ وهذه التعريفات بالنظر إلى العمل، وبالنظر إلى كونه علماً يقال فيه: علم يعرف به رد الكلمات بعضها إلى بعض بسبب قياسية اللفظ والمعنى. الاشتقاق وأثره في اللغة العربية، ص ١٢. وانظر مفتاح السعادة ١/ ١٢٠.

٢- أن الكلمة العربية تأتى على هيئات صرفية معينة تسمى الصيغ، وأن الخلاف بين الكلمات من الناحية التركيبية هو فى الواقع اختلاف بين هذه الصيغ.

٣- أن هذه الكلمات لها ارتباطان، لفظى: يتمثل فى أن حروف الأصل توجد فى الصيغتين المترابطتين بنفس الترتيب، وإن اختلف الهيكل فى كلمة عنه فى الأخرى، ومعنوى: يتمثل فى أن الكلمتين بهذا الاتجاه تعبران عن معنى عام واحد تختلفان فى دائرته كما تختلف الصيغتان لا كما تختلف المادتان المعجميتان<sup>(١)</sup>.

وعلى أساس ذلك رتبنا معاجمنا اللغوية فجمعت فى مادة (ض ر ب) -مثلاً- جميع مشتقاتها المتولدة عنها، وكذلك (ق ط ع) و(ع ل م) وغيرها. وليس ذلك شأن اللغات الأخرى بسبب ضياع أصول الألفاظ، واندثار معالم أنسابها، ومن هنا رتبنا معاجمنا ترتيباً فردياً لا جماعياً روعى فيه ظاهر اللفظ لا حقيقته وأصله، فتباعدت الأقارب وتقاربت الأبعد، اللهم إلا فى معاجم تعرف بالمعاجم الاشتقاقية، ولكن هذه المعاجم لا يستعملها إلا الخاصة من المشتغلين باللغة<sup>(٢)</sup> وعلماء اللغة- ومنهم القدماء- يلاحظون هذه الظاهرة التى تمتاز بها اللغة العربية، فهم يعرفون كلمات كثيرة مشتركة فى معنى واحد، وفى حروف ثلاثة، ومن هنا اختلفوا فى أسبقية هذه الكلمات، ونشأ الخلاف بينهم فى أصل المشتقات<sup>(٣)</sup>.

وقد كان للمشتغلين بالبحوث المتصلة باللغة من نحويين وصرفيين وأصحاب متن اللغة وعلمائها قديماً وحديثاً آراء مختلفة فى هذا الموضوع بناء على حجج تراءت لكل فريق، ونحن نورد هنا كل تلك الآراء وأدلتها، ونضعها فى ميزان النقد الدقيق.

(١) رأى النحويين والصرفيين: فالنحويون ومن جرى على شاكلتهم من الصرفيين قد اختلفوا فيما بينهم فى أصل المشتقات أهو المصدر أم الفعل؟ وقد اعتنق المذهب الأول البصريون على حين اتجه إلى الثانى الكوفيون، وكتب النحو

(١) مناهج البحث فى اللغة ١٧٧، ١٧٨. (٢) فقه اللغة للمبارك ٥٥ و٥٦ بتصرف.

(٣) طرق تنمية الألفاظ فى اللغة ٤١.

تذكر هذا الخلاف إلا أن أجمعها للمذهبين وأدلتها هو كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري النحوي<sup>(١)</sup> وكتاب الإيضاح لأبي القاسم الزجاجي<sup>(٢)</sup> ونؤثر أن ننقل من الأول ما قاله كل من الفريقين - مع ما نرى إضافته من غيره - حتى يتضح رأيهما عند المقارنة بما عدها من الآراء الأخرى.

قال ابن الأنباري: ذهب الكوفيون إلى أن المصدر مشتق من الفعل وفرع عليه، نحو ضرب ضرباً وقام قياماً، وذهب البصريون إلى أن الفعل مشتق من المصدر وفرع عليه، أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا: إنما قلنا إن المصدر مشتق من الفعل لأن المصدر يصح لصحة الفعل ويعتل لاعتلاله، ألا ترى أنك تقول: قاوم قواماً فيصح المصدر لصحة الفعل، وتقول: قام قياماً فيعتل لاعتلاله، فلما صح لصحته واعتل لاعتلاله دل على أنه فرع عليه<sup>(٣)</sup>، ومنهم من تمسك بأن قال: الدليل على أن المصدر فرع على الفعل أن الفعل يعمل في المصدر، ألا ترى أنك تقول ضربت ضرباً فتتصب ضرباً بضربت، فوجب أن يكون فرعاً له، لأن رتبة العامل قبل رتبة المعمول، فوجب أن يكون المصدر فرعاً على الفعل<sup>(٤)</sup>، ومنهم من تمسك بأن قال الدليل على أن المصدر فرع على الفعل أن المصدر يذكر تأكيداً للفعل، ولا شك أن رتبة المؤكّد قبل رتبة المؤكّد فدل على أن الفعل أصل والمصدر فرع<sup>(٥)</sup>، والذي يؤيد ذلك أننا نجد أفعالاً ولا مصادر لها خصوصاً على أصلكم وهو نعم وبش وعسى وليس وفعل التعجب وحذا فلو لم يكن المصدر فرعاً لا أصلاً لما خلا عن هذه الأفعال لاستحالة وجود الفرع من غير أصل، ومنهم من تمسك بأن قال: الدليل على أن المصدر فرع على الفعل أن المصدر لا يتصور معناه ما لم يكن فعل فاعل، والفاعل وضع له<sup>(٦)</sup> فعل ويفعل فينبغي أن يكون الفعل

(١) في المسألة الثامنة والعشرين تحت عنوان (القول في أصل الاشتقاق الفعل هو أو المصدر).

(٢) تحت عنوان (باب القول في الفعل والمصدر وأيهما ماخوذ من صاحبه).

(٣) ذكر هذا الدليل في كتاب الإيضاح للزجاجي ٦٠ وانظر الأشباه والنظائر ٥٨/١.

(٤) انظر الأشباه أيضاً ٥٨/١. (٥) ذكر هذا الدليل في الإيضاح ٦١.

(٦) يرجع الشيخ محي الدين أن الأصل: «والفعل وضع له... إلخ ونحن معه في ذلك».

الذى يعرف به المصدر أصلاً للمصدر قالوا ولا يجوز أن يقال: إن المصدر إنما سمي مصدراً لصدور الفعل عنه، كما قالوا للموضع الذى تصدر عنه الإبل مصدراً لصدورها عنه. لأننا نقول: لا نسلم بل سمي مصدراً لأنه مصدر عن الفعل كما قالوا مركب فاره ومشرب عذب أى مركوب فاره ومشروب عذب والمراد به المفعول لا الموضع فلا تمسك لكم بتسميته مصدراً<sup>(١)</sup>.

أما البصريون فاحتجوا بأن قالوا: الدليل على أن المصدر أصل الفعل أن المصدر يدل على زمان مطلق، والفعل يدل على زمان معين، فكما أن المطلق أصل للمقيّد فكذلك المصدر أصل للفعل، وبيان ذلك: أنهم لما أرادوا استعمال المصدر وجدوه يشترك فى الأزمنة كلها لا اختصاص له بزمان دون زمان، فلما لم يتعين لهم زمان حدوثه لعدم اختصاصه اشتقوا له من لفظه أمثلة تدل على تعيين الأزمنة، ولهذا كانت الأفعال ثلاثة: ماض وحاضر ومستقبل؛ لأن الأزمنة ثلاثة يختص كل فعل منها بزمان من الأزمنة الثلاثة، فدل على أن المصدر أصل للفعل...، ومنهم من تمسك بأن قال: الدليل على أن المصدر هو الأصل أن الفعل بصيغته يدل على شيئين؛ الحدث والزمان المحصل، والمصدر يدل بصيغته على شيء واحد وهو الحدث، وكما أن الواحد أصل الاثنين فكذلك المصدر أصل الفعل<sup>(٢)</sup>، ومنهم من تمسك بأن قال: الدليل على أن المصدر هو الأصل أن الفعل بصيغته يدل على ما يدل عليه المصدر، والمصدر لا يدل على ما يدل عليه الفعل، ألا ترى أن "ضرب" يدل على ما يدل عليه الضرب والضرب لا يدل على ما يدل عليه "ضرب" وإذا كان كذلك دل على أن المصدر أصل، والفعل فرع، لأن الفرع لا بد أن يكون فيه الأصل، وصار هذا كما تقول فى الآنية المصوغة من الفضة فإنها تدل على الفضة، والفضة لا تدل على الآنية، وكما أن الآنية المصوغة من الفضة فرع عليها ومأخوذة منها فكذلك ههنا الفعل فرع على المصدر ومأخوذ منه<sup>(٣)</sup> ويوضح بعضهم ذلك - كما نقل السيوطي - بأن الفعل يشتمل لفظه على حروف

(١) انظر الإيضاح، ٦٢.

(٢) انظر فى هذا الدليل بصورة أخرى الأشباه والنظائر ٥٧/١ و٥٨.

(٣) مثله فى الإيضاح ٥٩ و٦٠.

رائدة على حروف المصدر تدل تلك الزيادة على معان رائدة على معنى المصدر، فكان مشتقاً من المصدر كضارب ومضروب ونحوهما، ومعلوم أن ما لا زيادة فيه أصل لما فيه الزيادة<sup>(١)</sup> ومنهم من تمسك بأن قال: الدليل على أن المصدر هو الأصل أن المصدر له مثال واحد نحو الضرب والقتل، والفعل له أمثلة مختلفة كما أن الذهب نوع واحد، وما يوجد منه أنواع وصور مختلفة، ومنهم من تمسك بأن قال: لو كان المصدر مشتقاً من الفعل لوجب أن يدل على ما فى الفعل من الحدث والزمان وعلى معنى ثالث كما دلت أسماء الفاعلين والمفعولين على الحدث وذات الفاعل والمفعول به، فلما لم يكن المصدر كذلك دل على أنه ليس مشتقاً من الفعل<sup>(٢)</sup> - ومنهم من تمسك بأن قال الدليل على أن المصدر ليس مشتقاً من الفعل أنه لو كان مشتقاً منه لكان يجب أن يجرى على سنن فى القياس، ولم يختلف كما لم يختلف أسماء الفاعلين والمفعولين، فلما اختلف المصدر اختلاف الأجناس كالرجل والثوب والتراب والماء والزيت وسائر الأجناس دل على أنه غير مشتق من الفعل<sup>(٣)</sup>، ومنهم من تمسك بأن قال: الدليل على أن المصدر هو الأصل أن المصدر اسم والاسم يقوم بنفسه ويستغنى عن الفعل، أما الفعل فلا يقوم بنفسه ويفتقر إلى الاسم، وما يستغنى بنفسه ولا يفتقر إلى غيره أولى بأن يكون أصلاً عما لا يقوم بنفسه ويفتقر إلى غيره قالوا من الدليل على أن الفعل مأخوذ من المصدر أن المصدر اسم الفعل وقد اتفقتنا جميعاً على أن الاسم سابق الفعل فوجب أن تكون المصادر سابقة للأفعال؛ ألا ترى أنا نفعل الضرب والخروج والأكل وما أشبه ذلك قبل فعل زيد له ثم يفعله زيد فيخبر عنه بذلك، ولولا أنا نفعله ونعرفه لم نفهم الإخبار عنه، والمصدر الحدث لأنه الحدث الذى أحدثه زيد ثم حدث عنه والفعل حديث عنه والحدث سابق للحديث عنه<sup>(٤)</sup>. ومنهم من تمسك بأن قال: الدليل على أن المصدر هو الأصل تسميته مصدراً فإن المصدر هو الموضع الذى يُصنَر عنه، ولهذا قيل للموضع الذى تصدر عنه الإبل مصدر فلما سمي مصدراً دل على أن الفعل قد صدر عنه وهذا دليل لا بأس به فى المسألة<sup>(٥)</sup>.

(١) الأشياء والنظائر ٥٦ - ٥٨ . (٢) نفسه ٥٧/١، ٥٨ . (٣) الإيضاح ٥٩، ٦٠ .

(٤) نفسه ٥٧ . (٥) نفسه ٥٨ .



وأجاب البصريون عن كلمات الكوفيين. "أما قولهم: إن المصدر يصح لصحة الفعل ويعتل لاعتلاله" فالجواب عنه من ثلاثة أوجه، الوجه الأول: أن المصدر الذى لا علة فيه ولا زيادة لا يأتى إلا صحيحاً نحو ضربته ضرباً وما أشبه ذلك، وإنما يأتى معتلاً ما كانت فيه الزيادة، والكلام إنما وقع فى أصول المصادر لا فى فروعها. الثانى: أنا نقول: إنما صح لصحته واعتل لاعتلاله طلباً للتشاكل، وذلك لا يدل على الأصلية والفرعية وصار هذا كما قالوا: (يعد) والأصل فيه يوعد فحذفوا الواو لوقوعها بين ياء وكسرة، وقالوا أعد ونعد وتعد، والأصل فيها أوعد ونوعد وتوعد فحذفوا الواو- وإن لم تقع بين ياء وكسرة- حملاً على يعد ولا يدل ذلك على أنها مشتقة من يعد، وكذلك قالوا: أكرم والأصل فيه أأكرم فحذفوا إحدى الهمزتين استقلاً لاجتماعهما، وقالوا "نكرم وتكرم ويكرم" والأصل فيه نؤكرم وتؤكرم ويؤكرم" كما قال الشاعر:

(فإنه أهل لأن يؤكرما)

فحذفوا الهمزة- وإن لم يجتمع فيها همزتان- حملاً على أكرم ليجرى الباب على سنن واحد، ولا يدل ذلك على أنها مشتقة من أكرم فكذلك ههنا<sup>(١)</sup>. والثالث: أنا نقول: يجوز أن يكون المصدر أصلاً، ويحمل على الفعل الذى هو فرع، كما بنينا الفعل المضارع فى فعل جماعة النسوة نحو يضربن- حملاً على ضربن وهو فرع لأن الفعل المستقبل قبل الماضى، وكما قال الفراء: إنما بنى الفعل الماضى على الفتح فى فعل الواحد لأنه يفتح فى الاثنين ولاشك أن الواحد أصل للاثنين، فإذا جاز لكم أن تحملوا الأصل على الفرع هناك جاز لنا أن نحمل الأصل على الفرع ههنا<sup>(٢)</sup>.

وأما قولهم إن الفعل يعمل فى المصدر فيجب أن يكون أصلاً قلنا: كونه عاملاً فيه لا يدل على أنه أصل له، وذلك من وجهين: أحدهما أنا أجمعنا على أن الحروف والأفعال تعمل فى الأسماء، ولا خلاف أن الحروف والأفعال ليست أصلاً للأسماء فكذلك ههنا، والثانى أن معنى قولنا "ضرب ضرباً" أى أوقع ضرباً

(١) نفسه ٦٠. (٢) انظر وجهاً رابعاً فى الأشباه والنظائر ٥٩/١.

كقولك ضرب زيداً في كونهما مفعولين، وإذا كان المعنى أوقع ضرباً فلا شك أن الضرب معقول قبل إيقاعه مقصود إليه، ولهذا يصح أن يؤمر به فيقال: اضرب وما أشبه ذلك، فإذا ثبت أنه معقول قيل إيقاعك معلوم قبل فعلك دل على أنه قبل الفعل<sup>(١)</sup>.

وأما قولهم: إن المصدر يذكر تأكيداً للفعل ورتبة المؤكد قبل رتبة المؤكد قلنا: وهذا أيضاً لا يدل على الأصالة والفرعية، ألا ترى أنك إذا قلت: جاءني زيد ورأيت زيداً زيداً ومررت بزيد زيد فإن زيداً الثاني يكون تأكيداً للأول في هذه المواضع كلها وليس مشتقاً من الأول ولا فرعاً عليه فكذلك ههنا<sup>(٢)</sup>.

وأما قولهم: إنا نجد أفعالاً ولا مصادر لها قلنا: خلو تلك الأفعال التي ذكرتموها عن استعمال المصدر لا يخرج المصدر بذلك عن كونه أصلاً وأن الفعل فرع عليه لأنه قد يستعمل الفرع وإن لم يستعمل الأصل، ولا يخرج الأصل بذلك عن كونه أصلاً، ولا الفرع عن كونه فرعاً، ألا ترى أنهم قالوا طير عباديد أى متفرقة فاستعملوا لفظ الجمع الذي هو الفرع وإن لم يستعملوا لفظ الواحد الذي هو الأصل، ولم يخرج بذلك الواحد أن يكون أصلاً للجمع، وكذلك أيضاً قالوا: طير أباييل قال الله تعالى ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٣)﴾ [الفيل] أى جماعات متفرقة وهو جمع لا واحد له فى قول الأكثرين، ثم نقول: ما ذكرتموه معارض بالمصادر التي لم تستعمل أفعالها نحو (ويُله ويؤيحه ويؤيه ويؤيه وأهل وسهلاً ومرحباً وسقياً ورعيّاً... إلخ) فإن هذه كلها مصادر لم تستعمل أفعالها فإن زعمتم أن ما ذكرتموه من خلو الفعل عن المصدر يصلح أن يكون دليلاً لكون الفعل أصلاً فليس بأولى مما ذكرناه من خلو المصدر عن الفعل فى كون المصدر أصلاً فتتحقق المعارضة فيسقط الاستدلال<sup>(٣)</sup>.

وأما قولهم: إن المصدر لا يتصور ما لم يكن فعل فاعل، والفعل وضع له فعل ويفعل قلنا: هذا باطل لأن الفعل فى الحقيقة ما يدل عليه المصدر نحو الضرب والقتل، وما نسميه فعلاً من فعل ويفعل إنما هو إخبار بوقوع ذلك الفعل

(١) انظر زيادة عليه الأشباه والنظائر ٥٩/١. (٢) الإيضاح ٦١. (٣) نفسه ٥٨ و ٥٩.

فى زمان معين ومن المحال الإخبار بوقوع شىء قبل تسميته، لأنه لو جاز أن يقال ضرب زيد قبل أن يوضع الاسم للضرب لكان بمنزلة قولك: أخبرك بما لا تعرف، وذلك محال، والذى يدل على صحة ما ذكرناه تسميته مصدراً<sup>(١)</sup> وقولهم: إن المراد به المفعول لا الموضع كقوله مركب فاره ومشرب عذب أى مركوب فاره ومشروب عذب قلنا: هذا باطل من وجهين أحدهما أن الالفاظ إذا أمكن حملها على ظاهرها فلا يجوز العدول بها عنه والظاهر يوجب أن يكون المصدر للموضع لا للمفعول فوجب حمله عليه والثانى أن قولهم مركب فاره ومشرب عذب يجوز أن يكون المراد به موضع الركوب وموضع الشرب ونسب إليه الفراهة والعذوبة للمجاورة كما يقال جرى النهر والنهر لا يجرى وإنما يجرى الماء فيه قال الله تعالى ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ...﴾ (١١) [البروج] فأضاف الفعل إليها وإن كان الماء هو الذى يجرى فيها لما بينا من المجاورة.

ومنه قولهم: بلد آمن ومكان آمن فأضافوا الأمن إليه مجازاً لأنه يكون فيه، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا...﴾ (٣٥) [إبراهيم] وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا...﴾ (٣٧) [العنكبوت] فأضاف الأمن إليه لأنه يكون فيه، ومنه قوله تعالى: ﴿بَلْ مَكْرَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ...﴾ (٣٢) [سبا] فأضاف المكر إلى الليل والنهار لأنه يقع فيهما، ومنه قولهم: ليل نائم، فأضافوا النوم إلى الليل لكونه فيه، قال الشاعر:

لَقَدْ لُمْتَنِي يَا أُمَّ غِيلَانَ فِي السُّرَى      وَنِمْتُ وَمَا لِيْلُ الْمَطَى بِنَائِمٍ

أى بمنوم فيه، ومنه قولهم: يوم فاجر، فأضافوا الفجور إليه، لأنه يقع فيه، قال الشاعر:

وَلَمَّا رَأَيْتُ الْخَيْلَ تَتَرَى أَثَانِجًا      عَلِمْتُ بِأَنَّ الْيَوْمَ أَحْمَسُ فَاجِرٌ<sup>(٢)</sup>

أى مفجور فيه، والشواهد على هذا النحو من كتاب الله تعالى وكلام العرب أكثر من أن تحصى، فدل على أن المراد بقولهم: "مركب فاره ومشرب

(١) نفسه ٥٦ و ٥٧. (٢) أثناع جمع وثيق بمعنى قوى.

عذب موضع الركوب وموضع الشرب وأضيف إليه الفراهة والعذوبة للمجاورة على ما بيننا<sup>(١)</sup>.

وبذلك يبدو أن الأقدمين كانوا يرجعون مذهب البصريين، وقد صرح أبو القاسم الزجاجي بأنه هو المذهب الصحيح<sup>(٢)</sup> وكذلك صاحب التصريح<sup>(٣)</sup> والاشموني<sup>(٤)</sup> وإليه يرشد قول الناظم في باب المفعول المطلق.

وكونه أصلاً لهذين انتخب

أى اختير<sup>(٥)</sup>.

ولكن أستاذنا الدكتور على البطشة ضعف هذا المذهب "لأن أدلته عقلية لا تستند إلى نقل" وقال إن كثيراً من هذه الأدلة ينادى بضعفه ويهوى إلى حتفه (فمثلاً)

١- استغناء المصدر عن الفعل في الإفادة لا يدل على أصالته في الاشتقاق، إذ الاشتقاق ليس هو الإفادة ولا هو لازم من لوازمها.

٢- كون المصدر ليس مشتقاً لأنه لم يجر على سنن واحد كاسمى الفاعل والمفعول... إلخ معارض بالصفة المشبهة، فقد جاءت على أوزان مختلفة مع أنها مشتقة باتفاق الطائفتين.

٣- كون الفرع يشتمل على الأصل وزيادة. لم لا يكون الأمر بالعكس فيكون الأصل الذى وجد أولاً يشتمل على الفرع وزيادة، كما نشاهد ذلك فى الأشياء التى تقع تحت حسنا كالأشجار، فلإنها تشتمل على المواد الخشبية، وعلى عصارات تستحيل إلى (زيت البترول وغيره)، مع أن الأشجار خرجت إلى حيز الوجود قبل الأخشاب والزيتون التى تحللت منها، فيكون الفعل قد نطق به العرب أولاً ثم خصوا كل مدلول من مدلولاته بلفظ خاص.

(١) انظر فى جميع ما تقدم المسألة ٢٨ من الإنصاف ١/٢٣٥-٢٤٥ وانظر فى المناقشة الأخيرة، الإيضاح ٦٢، ٦٣.

(٢) شرح التصريح ١/٣٢٥.

(٣) الإيضاح ٥٦.

(٤) شرح الاشموني ١١٢/٢. (٥) التصريح ١/٣٢٥ وشرح الاشموني ١١٢/٢.

فلو أن البصريين حين ذهبوا هذا المذهب رسموا الطريق لاشتقاق الفعل من المصدر لكان ذلك أجدر بهم وأليق بمذهبهم، فإن القواعد المعروفة في كتب العربية إنما وضعت لكيفية أخذ المصادر من الأفعال على مذهب الكوفيين<sup>(١)</sup>.

وقد انتقد بعض المحدثين نحاة البصرة والكوفة بأنهم خرجوا بهذه التعليقات إلى مضايق المنطق والفلسفة وبنوا جدلهم على نظرية ظهر فسادها هي نظرية العامل<sup>(٢)</sup> وليس حرص البصريين على المنطق أقل من حرص الكوفيين، ويكفي أن نلاحظ أن حججهم تشمل كلمات مثل الأجناس والقياس ويقوم بنفسه وزمان مطلق، والزمان المطلق أو الفلسفي لا صلة له بالنحو<sup>(٣)</sup>، وجميع الحجج متضاربة وإن كانت كلها تفلسف لنظرية واحدة كالبحرية أو الكوفية<sup>(٤)</sup> وأدلة كل منهما ضعيفة لا تقاوم النظرة الفاحصة فلا الفعل كما يقول الكوفيون ولا المصدر كما يقول البصريون أصل للمشتقات<sup>(٥)</sup>.

ويقول بعضهم: إن كل هذا الجدل والنقاش لا طائل تحته<sup>(٥)</sup>، ويصف الدكتور عبد الله درويش رأى الكوفيين بأنه يكاد يكون قريباً من المنهج الوصفي إذ هو مبني على الصيغة ولكنه غير دقيق لأن معرفة الماضي بدورها تحتاج إلى قاعدة خاصة<sup>(٦)</sup>.

٢- رأى أصحاب المعاجم وبعض المحدثين: ذكرنا أن من مزايا العربية - ومنها سائر اللغات السامية- ارتباط كلماتها بأصل ثلاثي، وعليه بنى نظام المعاجم في لغتنا، ووضع المعجم على هذا النمط يوحى بأن علماء متن اللغة نظروا إلى أن الحروف الثلاثة التي تشترك فيها مجموعة الكلمات المرتبط بعضها ببعض تعد

(١) الاشتقاق وأثره في اللغة العربية ٤١ و ٤٢ ولذلك ينصر الأستاذ ولفسون في كتابه تاريخ اللغات السامية مذهب الكوفيين لموافقة لسائر اللغات السامية فالفعل فيها هو أصل المشتقات ص ١٤، ١٥، والقواعد المعروفة في كتب العربية وضعت لاشتقاق المصادر والمشتقات المشهورة (اسم الفاعل، اسم المفعول، إلخ) من الأفعال لا المصادر. انظر مع رسالة أستاذنا الدكتور البطشة: الاشتقاق للأستاذ عبد الله أمين، ص ١٣.

(٢) منابع البحث في اللغة ١٧٩ (٣) نفسه ١٨١ (٤) نفسه ١٨٠.

(٥) طرق تنمية الألفاظ في اللغة ٤٠ (٦) دراسات في علم الصرف ٣٩.



الأصل لها والتي على أساسها وجد هذا الارتباط، ومتابعة لهذا الاتجاه ذهب بعض المحدثين في أصل المشتقات إلى أنه ليس هو الفعل ولا المصدر، بل إن المنشأ الحقيقي لكل مجموعة من هذه الكلمات هو ما يمكن أن يطلق عليه المادة الخام، وهي المادة التي تتألف غالباً من ثلاثة حروف ساكنة لا يمكن النطق بها، وليس لها دلالة وظيفية هي ما يسمى أحياناً بالأصل الثلاثي، أو الجذر الثلاثي فهي مادة خام لم تتشكل<sup>(١)</sup> فالأصل هو شيء تجريدي غير مستعمل في اللغة، ويتغير الحركات ووضع حرف الزيادة بنظام معين تحصل على المشتقات التي منها المصدر... فالحروف (ك ت ب) مثلاً دون نظر إلى حركاتها إذا وضعت لها حركات معينة أمكن أن تكون فعلاً ماضياً مبنياً للمعلوم، وإذا غيرت إحدى هذه الحركات أو زالت أمكن أن تكون ماضياً مبنياً للمجهول، أو تكون مصدراً، وكذلك إذا ما زيد عليها بعض حروف الزيادة المعروفة أمكن أن تصير: مكتب، كاتب، انكتب، كتاب وهكذا<sup>(٢)</sup>.

ويؤكد هؤلاء المحدثون أن تلك الوجهة هي "نظرة علم اللغة الحديث... فمسألة الاشتقاق تقوم على مجرد العلاقة بين الكلمات واشتراكها في شيء معين"<sup>(٣)</sup> وهذا هو ما جرت عليه المعاجم العربية، فمثلاً كلمات: اكفهر ويكفهر والاكفهرار مع أنه ليس لها مجرد فقد وضعتها المعاجم تحت مادة (كفهر) التي هي غير مستعملة في اللغة العربية<sup>(٤)</sup> "وبعض دارسي اللغات السامية يدرسون المادة بعينها دراسة مقارنة في هذه اللغات جميعاً ويضعون معاجمهم بهذه الطريقة"<sup>(٥)</sup>.

ويدعى أصحاب هذا الرأي - كما سبق - أنه وجهة يقبلها علم اللغة الحديث، فالقول بأن صيغة ما أصل لكلمة أو صيغة أخرى مما يتنافى مع المنهج اللغوي الحديث، فلا يطبق هذا المنهج اصطلاحات مثل نائب الفاعل لأن في ذلك تلميحاً إلى أن الفاعل أصل للمرفوع بعد ما بنى للمجهول وليس ذلك كذلك<sup>(٦)</sup>.

(١) طرق تنمية الألفاظ في اللغة ٤٢. (٢) دراسات في علم الصرف د. درويش ٤٠.

(٣) مناهج البحث في اللغة ١٨١. (٤) نفسه ١٨٣.

وإذا كنا نوافق هؤلاء في نقد رأس البصريين والكوفيين وعلى اعتبار الجذر الثلاثي أصلاً للمشتقات- في عرفنا الآن- تؤخذ منه بتفرع الحركات وحروف الزيادة فلا نوافقهم على أن هذا الاتجاه يمثل الأصل الذي نشأت عنه الألفاظ، فالعربي لم يكن يعرف تلك الطريقة الهندسية في اشتقاق الكلمات بعضها من بعض بأن يضع أمامه الحروف الثلاثة ثم يفرع عليها على النحو السابق من تغيير الحركات، وإضافة الحروف الزائدة لتكوين المشتقات، ولم يكن الذهن العربي- منذ نشأة اللغة- ليستطيع أن يسلك هذه السبيل، وأصحاب المعاجم لم يستعملوا هذا الجذر لانه أصل لتلك الألفاظ التي جمعوها، بل لمجرد التنظيم والترتيب.

٣- رأى اللغويين: يرى بعض علماء اللغة أن الأصل الأول الذي تفرعت منه المشتقات هو المحسوس لأن المحسوسات هي التي تظهر إلى الوجود أولاً، وقد أجمع على ذلك الباحثون<sup>(١)</sup>. ويؤيد ذلك حالة اللغات الدنيا فإنها تظل فيها الدلالة المعنوية كلما انحطت إلى أن تصل إلى ما يكاد يخلو منها بالكلية، ولا يخفى أن هذا التحويل جار في لغتنا الآن<sup>(٢)</sup>، وبدهى أن المحسوسات هي الأقرب إلى الوجود أولاً كأسماء الأعيان المشاهدة، كما أن المعاني متأخرة في الظهور في عالم النفس والفكر، فالأولى هي أصل الاشتقاق لا المصادر<sup>(٣)</sup> فليس من المعقول إذا أن التأبل الذي هو اتخاذ الإبل قد وضع قبل أن يوضع لفظ إبل نفسه أو أن السمو قد وضع قبل ظهور السماء<sup>(٤)</sup>.

ويؤيدون رأيهم بألفاظ وردت في معجمات اللغة مشتقة من أشياء محسوسة، فمن أسماء الأزمنة قالوا: أحرقوا وأشتوا وأربعوا وأصافوا من الخريف والشتاء والربيع والصيف، وقالوا: بكر فلان بكوراً من البكرة التي هي أول النهار، وحالت الدار وحال الغلام مر عليهما الحول<sup>(٥)</sup>.

(١) دلالة الألفاظ د. أنيس ١٥٧ والفلسفة اللغوية ١٠٩ وانظر ص ٧٧٨، ٧٧٩ من كتابنا ومجلة

الأهر عدد ذي الحجة سنة ١٣٨٢ - ص ١٠٢٧.

(٢) الفلسفة اللغوية ١٠٩. (٣) الاشتقاق (أمين) ١٤٧.

(٤) انظر المزهري ١/ ١٦٨.

ومن أسماء الامكنة بصَّر القومُ تبصيراً أتوا البصرة وقالوا: أحرم القوم دخلوا في الحرم، وقدس أتى بيت المقدس، وأجبل القوم أتوا الجبل، ومن أسماء الأعداد قالوا: ثنيته أثنيه وأماي القوم صاروا مائة. وحكى الفراء: معى عشرة فأخذهن لى: أى اجعلن أحد عشر، وهو مأخوذ من (حَدَو) على القلب من (وَحَد). ورواها صاحب اللسان: أَحْذُهُنَّ على صيغة التفعيل من أحد (مادة وحد)<sup>(١)</sup>. ومن أسماء القبائل: تليث فلان وليث وليث: صار ليثى الهوى والعصبية، ومن أسماء الأقارب: أبوت وأبيت: صرت أباً وتبنيته من الابن وتبعلت المرأة: أطاعت بعلها، ومن أسماء الأعيان تأبط الشيء: وضعه تحت إبطه، وأَذَنُه أذناً فهو مأذون: أصاب أذنه ورأسه، ودمغه: أصاب رأسه ودماعه، وهكذا كل جزء من أجزاء جسم الإنسان<sup>(٢)</sup>.

وقد صرح عالمنا ابن جنى بأن المصدر يشتق من الجوهر كالنبات من النبت وكالاستحجار من الحجر<sup>(٣)</sup> فقد اشتق المصدر نفسه من الجوهر المحسوس، وقد اشتقوا الفعل من المحسوس مثل قول الأعرابية: أخاف أن يجوهني (مشتق من الوجه على القلب)<sup>(٤)</sup> وكذلك قولهم فى اشتقاق الفعل من قلنسوة تارة تقلنس وأخرى تقلسى... وكذلك قالوا قرنوة<sup>(٥)</sup> فلما اشتقوا الفعل منها قالوا قرنيت السقاء وقالوا فى نحوه تعفرت الرجل إذا صار عفريتاً وعليه جاء تمسكن وتمدرع<sup>(٦)</sup> وتمنطق وتمندل<sup>(٧)</sup> ومن هذا القبيل مكين من مكن وتمكن فهي مشتقة من المكان<sup>(٨)</sup>.

(١) الخصائص ٢/٣٧٨، ٢٦٢/٣، واللسان ٩/٣، ٤٦٠/٤، ١٣٣/٥، ١٤٢، ١٤٣، ٣٩٤/٧.

١٠/٨، ٥١/٩، ١٢١/٩، ٤٦٠، ٣٠٦/١٠، ٤١٠، ١٠٣/١١، ٦٢/١٣، ١٠٢، ١٩٥، ١٠/١٥.

١٤٩/١٦، ٨/١٨، ٩٨، ١٢٤، ١٤٩/١٩، ١٣٨/٢٠. وانظر المخصص ١٠٤-١٠٦.

(الاشتقاق من أسماء الأعضاء)...

(٢) الخصائص ٢/٣٤. (٣) نفسه ٧٩/٢.

(٤) عشب ينبت فى الرمل يديغ به الأساقى.

(٥) ليس المدرعة كمكينة- وهى ضرب من الثياب ولا يكون إلا من الصوف.

(٦) مسح بالمتدليل وانظر فى النص السابق الخصائص ١/٢٢٧، ٢٢٨.

(٧) فقه اللغة للمبارك ١٢٥.

وقد حاول بعض المحدثين أن يخرج مثل هذا الاشتقاق تخريجاً يبعده عن الاشتقاق من المحسوس، فيجعله بعضهم من الاشتقاق المركب فتمسكن وتمنطق مشتقة من مسكين ومنطق وهذه مشتقة من سكن ونطق وتمكن مشتقة من المكان والمكان مشتق من كان والكون وقد توهموا أصالة الميم في هذه الكلمات وأجروها كما لو كانت من المادة نفسها<sup>(١)</sup>، ويرى بعضهم - وهو الأستاذ العلالي - أن العربي بعد أن اشتق المصدر الميمي يؤدي به معنى مخصوصاً وتأدية بعينها عاد فتوسع عليه توسعاً ظهر غريباً جداً فنقله إلى الفعلية بزيادة التاء... وخص التاء للتشاكل بالمصدر... ويدل على هذا أن التاء تدخل على الوزن بدون ما تغير فيه كما في فعل مثل حجر تقول منه تفعل ومثاله تحجر... ولا يبعد احتمال أن العربي خرج بالمصدر الميمي إلى الفعلية ابتداءً بدون زيادة التاء فقال مَفْعَل يُمَفْعَل مثل مَرَحَبَك الله وَمَسْهَلَك<sup>(٢)</sup>، وقد ذكر ابن خالويه بعض تلك الصيغ في كتاب لس في كلام العرب، وقال: ليس في كلامهم تمفعّل، إنما هو تفعلّ إلا تمغفر... إلخ<sup>(٣)</sup>.

وقد حاول ابن جنى أن يسوغ هذه الصيغ بأنهم قد أقرؤا النون في تقلنس وإن كانت زائدة وأقرؤا أيضاً الواو حتى قلبوها ياء في تقلسيت، وكذلك في قرنيت من قرنوة وهي زائدة للتكثير والصيغة لا للإلحاق ولا للمعنى، وكذلك الواو في قلنسوة للزيادة غير الإلحاق وغير المعنى، وكذلك تمسكن إلخ تحملوا ما فيه بقية الزائد مع الأصل في حال الاشتقاق كل ذلك توفية للمعنى، وحراسة له، ودلالة عليه<sup>(٤)</sup>، وكان ذلك التسويغ لأنه خرج على قواعد الاشتقاق المعروف من الحروف الأصلية، وابن جنى يقول بما يوافق الطبيعة اللغوية ويجرى على أسس الاشتقاق اللغوي الذي هو واقع حتى استعمله العربي في حياته الكلامية؛ فقد اشتقت تلك الألفاظ من المحسوسات وهي أسماء أعيان (القلنسوة - القرنوة - العفريت - المسكين - المنطقة - المدرعة - المنديل - المكان) ولذلك لم ينظر إلى

(١) نفسه نفس الصحيفة ونشأة الفعل الرباعي في اللغات السامية ٢١.

(٢) مقدمة للدرس لغة العرب ٢٢٢، ٢٢٣.

(٣) ص ٦. (٤) الخصائص ١/ ٢٢٧، ٢٢٨.

الحروف الأصلية لأنه هدف إلى الاشتقاق من تلك الأسماء بغرض معين، ولو حذفها لاختل المعنى المقصود، ويمكن أن نفهم ذلك واضحاً من قول ابن جنى: ألا تراهم إذ قالوا تدرع وتسكن وإن كانت أقوى اللغتين عند أصحابنا فقد عرضوا أنفسهم لثلا يعرف غرضهم أمن الدرع والسكون أم من المدرعة والمسكنة؟ وكذلك بقية الباب؟!

فلا داعى إلى تلك التخريجات الظنية والبعيدة عن الواقع الملموس والتي تؤدي كما يعترف أصحابها إلى ناحية غامضة من اللغة<sup>(١)</sup>، ويكفى تأييداً لاستعماله اللغوى الصحيح "أنا نجد أمثلة لهذا النوع من الاشتقاق فى جميع اللغات السامية الحية"<sup>(٢)</sup> حتى بدا لبعض الباحثين من المحدثين أن يجعل مثل هذا الاشتقاق قياساً، وأن يجيز بناء عليه قول النجار (معجنت الخشب) أى وضع عليه المعجون<sup>(٣)</sup>، وقد استخدمت العرب الاشتقاق من أسماء الأعيان فى مئات من الألفاظ كمذهب ومفضض ومجصص واستنسر البغات<sup>(٤)</sup>.

بل إنهم عربوا أسماء أعجمية، ثم اشتقوا منها مصادر وأفعالاً ومشتقات، فقد عربوا اللجام، واشتقوا منه ألجم الفرس، وفى الحديث (من سئل عما يعلمه فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة)... وقالوا: دبج الغيث الأرض دبجاً من باب ضرب: إذا سقاها فأثبت أرهاقاً مختلفة، مشتق من الديباج العرب<sup>(٥)</sup>، ويقول ابن جنى: وحكى لنا أبو على عن ابن الأعرابي - أظنه قال - يقال: درهمته، الحجازى أى صارت كالدرهم فاشتق من الدرهم وهو أعجمى، وحكى أبو زيد:

(١) نفسه ٢٢٨/١. (٢) نشأة الفعل الرباعى فى اللغات السامية ٢١.

(٣) مجلة المجمع اللغوى ٣٦٣ وانظر من أسرار اللغة ط ٣ ص ٤٧، قاعدة توهم أصالة الحرف وتوهم زيادته. محاضرة للشيخ عبد القادر المغربي، ولكن المجمع لم يوافق على قياسته. انظر مجلة المجمع ٢٥٧/٧.

(٤) فقه اللغة د. وافى ١٧٣ ويروى ابن جنى أن من لفظ الهوته (بفتح الهاء وضمها) وهى المنخفض من الأرض ومعناها مضى هيتاء من الليل وهو فعلاء منه. انظر الخصائص ٢٧٨/١ و٢٧٩.

(٥) الاشتقاق (أمين) ١٤٧ و١٤٨.



رجل مدرهم قال ولم يقولوا دُرهم إلا أنه إذا جاء اسم المفعول فالفعل نفسه حاصل فى الكف ولهذا أشباه<sup>(١)</sup>، ومما اشتقه العرب من كلام العجم ما أنشدناه من قول الراجز .

هل تعرف الدار لأُم الخزرج منها فظلت اليوم كالمرزج

أى الذى شرب الزرجون وهى الخمر، فاشتق المرزج من الزرجون<sup>(٢)</sup> وغير ذلك كثير . . .

وقد اشتق العرب كذلك من أسماء الأصوات كأف وبنخ وأه أهة وآهة<sup>(٣)</sup> ونحو منه قولهم: حاحيت وعاعيت وهاهيت: إذا قلت: حاء وعاء وهاء<sup>(٤)</sup>، ودعدعت بالغنم: إذا قلت لها داع داع، وجهجهت بالإبل: إذا قلت لها جاه جاه<sup>(٥)</sup>، ومن ذلك أيضاً قولهم: بسملت وهيللت وحوقلت<sup>(٦)</sup> كل ذلك وأشباهه إنما يرجع فى اشتقاقه إلى الأصوات<sup>(٦)</sup>، ومن ذلك أنك تشتق من قولك (بأبى أنت) فعلاً اشتقاقاً صوتياً فتقول: بأبأت بالصبى بأبأة وبشباء وقد أكثرت من البابأة، وعلى هذا اشتقوا منهما اليَّب قال:

يا بأبى أنت ويا فوق اليَّب<sup>(٧)</sup>

ويشتق كذلك من الحروف والأدوات والتعبيرات التى تدل على أصوات معينة، فقد قالوا سوفت الرجل: أى قلت له سوف وهذا فعل - كما ترى - مأخوذ من الحرف . ومن أبيات الكتاب .

لو ساوقتنا بسوف من تحيتها سوف العيوف لراح الركب قد قنع

وإن كثيراً من الأفعال مشتق من الحروف نحو قولهم: سألتك حاجة فلوكت لى: أى قلت لى لولا، وسألتك حاجة فلا ليت لى: أى قلت لى لا، واشتقوا أيضاً المصدر من الحرف فقالوا اللالة واللولة.

(١) الخصائص ١/ ٣٥٨ . (٢) نفسه/ ٣٥٩ . (٣) مقاييس اللغة ١/ ٣٢٢، ٣٣ .

(٤) الخصائص ٢/ ١٦٥، ٣/ ٢٣٠، ٢٣١ . (٥) نفسه ٣/ ٢٣١ .

(٦) نفسه ٢/ ١٦٥ . (٧) نفسه ١/ ٢٧٥، ٢٧٦، ٣/ ٢٢٧ وانظر اللسان ١/ ٢٥ .

ويقول ابن جنى: "أنا أرى أن جميع تصرف (ن ع م) إنما هو من قولنا فى الجواب نعم من ذلك النعمة والنعمة والنعيم والتنعيم ونعمت به بالآ وتنعم القوم والنعمى والنعماء وأنعمت به وكذلك البقية، وذلك أن نعم أشرف الجوابين، وأسرهما للنفس، وأجلبهما للحمد<sup>(١)</sup> وقالوا بجلته أى قلت له بجل أى حسبك حيث انتهيت فلا غاية من بعدك، ثم اشتقوا منه الشيخ البجّال والرجل البجّيل، فتعم وبجل كما ترى حرفان، وقد اشتق منهما أحرف كثيرة<sup>(٢)</sup> وقالوا: هلممت: إذا قلت هلم<sup>(٣)</sup> وقالوا أيضاً مرحبك الله ومسهلك<sup>(٤)</sup> وغير ذلك كثير مما هو مشتق من الأصوات.

وقد وضع من هذا أن المحسوسات كانت أصلاً نبعت منه بعض المشتقات ونلاحظ أن المصدر- كما قال ابن جنى- قد اشتق من المحسوس أحياناً وأنهم اشتقوا من أصوات الحروف كاللولة واللالاة، وقد مال ابن جنى إلى أخذ مادة (نعم) (وبجل) من الحرفين اللذين يعبران عن هذين الصوتين، وقد أبقى العربى على حروف الكلمة الزائدة فى أثناء الاشتقاق لأنه لم يكن فى تقديره المصدر أو الجذر الثلاثى وإنما كان الحس رائده فى ذلك، ثم لما ارتقى العقل البشرى ومنه العربى كانت التفرعات الكثيرة من هذه الأصول المحسوسة حتى وصل إلى أرقى المعانى الفكرية التجريدية.

ونرى أن للبصريين أدلة قوية ترتبط بالمعنى الأسمى الذى يدل عليه المصدر مما يجعله أصلاً للمشتقات كقولهم: إن دلالة المصدر هى أصل دلالة الفعل كالأنية المصنوعة من الفضة فهى متفرعة عنها، كما أن المصدر حدث، والحدث يعرف قبل أن يفعل، ولرأى الكوفيين مدخل أيضاً فى عدّ الفعل أساساً لإجراء المشتقات عليه من المصادر والصفات فهو جانب عملى أفاد كثيراً فى تعليم اللغة وصياغة أبياتها، فالأراء كلها يكمل بعضها بعضاً فالمحسوس هو أصل أول، ومع الرقى الفكرى وضع الرجوع إلى المصادر والجانب العملى يقتضى إجراء الاشتقاق على أساس الفعل. ليأخذ الشكل القياسى المطرد، ويبقى جانب الاشتقاق من المحسوس موقوفاً على السماع أو الضرورة.

(١) الخصائص ٣٤/٢، ٣٥، ٣٧. (٢) نفسه ٣٧/٢.

(٣) نفسه ٢٧٨/١. (٤) نفسه ٢٢٨/١.

## أهمية الاشتقاق اللغوي وأقسامه والباحثون فيه

### أهمية الاشتقاق اللغوي وأقسامه

تحتاج أية لغة من اللغات إلى وسائل نمو تجعلها قابلة للتطور ومسايرة للزمن، وإن اللغة التي تعجز عن الوفاء بحاجة أهلها، وتغير أحوالها الاجتماعية والحضارية لهى لغة كتب لها التخلّف والفناء، بحيث تستطيع اللغات الأخرى أن تحل محلها، ونحو اسمها من التاريخ اللغوي، وتنشأ الكلمات بوسائل نمو مختلفة هي:

١- اختراع الأدباء لألفاظ جديدة لم تكن مستعملة في اللغة، وذلك كثير في عالم الأدب والفلسفة والمصطلحات العلمية.

٢- انتقال الكلمة من اللغة أو اللهجة إلى لغة أو لهجة أخرى.

٣- إحياء العلماء والأدباء لبعض المفردات المهجورة في اللغة.

٤- تفرع الكلمة في صورة تلقائية أو مقصودة من الكلمات المستخدمة في اللغة ويتم ذلك عن طريق الاشتقاق بأوسع معانيه<sup>(١)</sup>.

والاشتقاق هو الوسيلة الهامة بين تلك الوسائل المتعددة، وقد نال حظاً وافراً من عناية العلماء، نظراً لأنه يتناول مفردات اللغة، ويزوّد كل واحدة منها بما يشبه أن يكون بطاقة شخصية يذكر فيها: من أين جاءت؟ ومتى؟ وكيف صيغت؟ والتقلبات التي مرت بها<sup>(٢)</sup>، وبذلك أمكن أن تقوم دراسة الاشتقاق على أساس أنه علم تاريخي يحدد صيغة كل كلمة في أقدم عصر تسمح المعلومات التاريخية بالوصول إليه، ويدرس الطريق الذي مرت به الكلمة مع التغيرات التي أصابتها من جهة المعنى أو من جهة الاستعمال<sup>(٣)</sup>.

وقد أمكن للعلماء أن يتوصلوا من تلك الدراسة إلى ألوانه المتعددة التي تتوارد عليها اللغة، فاشتقاق الألفاظ العربية وردت على صور عرفت عند العلماء بالاشتقاق الصغير والكبير والأكبر والكُّبار وسنعرض لكل منها بالشرح والبيان وبالنظر إلى انتظام القواعد وعدمها جعلوه قسمين:

(١) علم اللغة د. وافي ط ١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م ص ٣١٠ . (٢) اللغة ٢٢٦ .

١- مطرد: وهو المبنى على قواعد منتظمة كاشتقاق الأفعال والصفات من المصدر وهو من الصغير.

٢- غير مطرد: وهو الاشتقاق من أسماء الأعيان، كمذهب ومفضض من الذهب والفضة وأبحر ركب البحر، وليس لهذا النوع قاعدة يسير وفقها، وقد بدا لمجمع اللغة العربية كثرة استخدام العرب لهذا النوع من الاشتقاق، كما ظهر له شدة الحاجة إليه في العلوم والفنون فاتخذ قراراً باستخدامه، وقياسه عند الضرورة في العلوم والفنون<sup>(١)</sup>.

وهذا التقسيم السابق قد أوضحه أستاذنا الدكتور نجما، وأرى أنه بذلك كان هادفاً ودقيقاً، وينبغي أن يعلم أن بين التصريف والاشتقاق نسباً قريباً، واتصالاً شديداً، لأن التصريف إنما هو أن تحيى إلى الكلمة الواحدة فتصرفها على وجوه شتى، مثال ذلك أن تأتى إلى "ضرب" فتبنى منه مثل "جعفر" فتقول "ضرب" ومثل "قمطر": "ضرب" ومثل درهم "ضرب" ومثل "علم" "ضرب" ومثل "ظرف": "ضرب" أفلا ترى إلى تصرفك الكلمة على وجوه كثيرة وكذلك الاشتقاق أيضاً ألا ترى أنك تحيى إلى الضرب الذى هو المصدر فتشتق منه الماضى فتقول "ضرب" ثم تشتق منه المضارع فتقول "يضرب" ثم تقول فى اسم الفاعل "ضارب" وعلى هذا ما أشبه هذه الكلمة ألا ترى إلى قول رؤية فى وصفه امرأة بكثرة الصخب والخصومة (تشتق فى الباطل منها الممتدق) وهذا كقولك: تتصرف فى الباطل أى تأخذ فى ضروبه وأفانيه، فمن هنا تقارباً واشتبكاً إلا أن التصريف وسيطة بين النحو واللغة يتجاذبان، والاشتقاق أقعد فى اللغة من التصريف<sup>(٢)</sup>، فالاشتقاق له صلة قوية بعلم الصرف فهما مقترنان، وأحدهما طريق إلى معرفة

(١) فقه اللغة د. نجما ٤٩/٣.

(٢) المنصف ٣/١، ٤ والفرق الجوهرى بين الاشتقاق والصرف أن الأول يبحث عن كيفية خروج الكلم بعضها عن بعض بسبب مناسبة بين المخرج والخارج بالاصالة والفرعية وبالنظر إلى جوهرها ويبحث فى الصرف أيضاً عن الاصالة والفرعية بين الكلم ولكن لا بحسب الجوهرية بل بحسب الهيئة. مفتاح السعادة ١/ ١٣٠.

الآخر فقد تكون معرفة وزن الكلمة طريقاً إلى معرفة أصل مادتها الاشتقاقية، إذا كان الوزن فيها أظهر من مادة الاشتقاق مثل الاضطراب والاصطفاء، فيفهم من الوزن الافتعال أنه من ضَرْب وصفاء، وقد تكون معرفة الأصل الاشتقاقى طريقاً لمعرفة الوزن والبناء، وسبيلاً للتفريق بين الأوزان المتشابهة، مع أنها فى الحقيقة مختلفة مثل المناعة والمجاعة من منع وجاع ووزنهما إذا فعالة ومفعلة وهكذا<sup>(١)</sup>.

ومن هنا كانت معرفة الاشتقاق أمراً مهماً لفهم اللغة، وعلى أساس هذا التقارب بينه وبين التصريف يجب أن تقوم الدراسة الوطيدة المؤلفة بينهما، حتى يمكن الأمن من الزلل، وقد أورد ابن جنى فى خصائصه بعض سقطات العلماء التى تتعلق بعدم فهم أصل المادة التى اشتقت منها الكلمة، وبناء الوزن الصرفى على غيرها، يقول: ذهب أبو العباس أحمد بن يحيى فى قولهم: أَسْكُفَةُ الباب إلى أنها من قولهم: استكف أى اجتمع، وهذا أمر ظاهر الشناعة، وذلك أن أَسْكُفَةً أَفْعَلَةٌ والسين فيها فاء، وتركيبه من (س ك ف)، وأما استكف فسينه زائدة، لأنه استفعل وتركيبه من (ك ف ف)، فأين هذان الاصلان حتى يجمعاً ويدانى من شملهما ولو كانت أسكفة من استكف لكانت أَسْفَعْلَةً، وهذا مثال لم يطرق فكراً ولا شاعر- فيما علمناه- قلباً، وكذلك ذهب أبو عبيدة فى قولهم: لى عن هذا الأمر مندوحة: أى متسع إلى أنه من قولهم: انداح بطنه أى اتسع، وليس هذا من غلط أهل الصناعة، وذلك أن انداح انفعل وتركيبه من دوح ومندوحة مفعولة وهى من تركيب (ندح) والندح جانب الجبل وطرفه وهو إلى السعة وجمعه أنداح، أفلا ترى إلى هذين الاصلين تبايناً وتباعداً فكيف يجوز أن يشتق أحدهما من صاحبه على بعد بينهما وتعادى وضعهما... ولو كانت مندوحة من انداح بطنه- كما ذهب إليه أبو عبيدة- لكانت منفعلة وهذا أيضاً فى البعد والفحش كأَسْفَعْلَةٍ<sup>(٢)</sup>.

ويصحح ابن جنى على أساس الاشتقاق بعض الجموع فيقول: وأما مَسِيل فذهب بعضهم فى قولهم فى جمعه: أَمْسِلَةٌ إلى أنه من باب الغلط، وذلك لأنه

(٢) الخصائص ٢٨٣/٣، ٢٨٤

(١) فقه اللغة للمبارك ١٢٧



أخذه من سال يسيل، فهو عندهم على مَفْعِل كالمسير والمحيض، وهو عندنا غير غلط، لأنهم قد قالوا فيه مُسَل، وهذا يشهد بكون الميم فاء، فأمسلة ومُسلان أفعلة وفُعلان كأجربة وجُربان ولو كانت أمسلة ومُسلان من السيل لكان مثاليهما أَمْفلة ومُفلان والعين منهنما محذوفة، وهى ياء السيل، وكذلك قال بعضهم فى معين لأنه أخذه من العين، لأنه من ماء العيون فحمله على الغلط، لأنهم قد قالوا: قد سألت مُعناته، وإنما هو عندنا من قولهم: أمعن له بحقه إذا طاع له به، وكذلك الماء إذا جرى من العين فقد أمعن بنفسه وطاع بها، ومنه الماعون، لأنه ما من العادة المسامحة به والانقياد إلى فعله<sup>(١)</sup>.

ومعرفة القلب فى اللغة والصرف ينشأ عن معرفة الأصل الاشتقاقى، وقد تفلسف ابن جنى فى إبراز عدة أوزان صرفية لكلمة (تيسورة) وهى القطعة الصعبة من الرمل، فقال: يجوز أن يكون وزنها فيعولة، ثم صارت عيغولة أو تعفولة أو يفعولة، وذلك كله على أساس أنها مأخوذة من تهوّر الجرف وانهار الرمل ونحوه<sup>(٢)</sup>، ويقول: وقد دعانا إلى اعتقاد القلب والتحريف فى هذه الكلمة المعنى المتقاضية هى وذلك أن الرمل مما ينهار ويتهوّر ويهوّر ويهّير ويتهيّر<sup>(٣)</sup>.

وعلى ذلك فالاشتقاق والصرف لهما علاقة وثيقة تكشف عن صلات الألفاظ وتصرفاتها، وتحدد معالمها «ولم يأخذ العلماء فى تأسيس الصوتيات والصرف المقارنين إلا بفضل ما وصل إليه الاشتقاق من نتائج، والاشتقاق والصوتيات والصرف يستند بعضها بعضاً، فما دامت القواعد التى يجرى عليها تتابع الأصوات والصيغ النحوية فى صورة الاشتقاق فإن هذا الاشتقاق الذى يطبقها تطبيقاً صحيحاً يقدم لعلم اللغة أجدى المساعدات»<sup>(٤)</sup>، والاشتقاق والتصريف حادثان فى اللغة ويتبعان كل أمة على حسب بيئاتها، والأصل فى دلالة الألفاظ أن تكون بسيطة، ثم تتنوع دلالة، وتكاثر لفظاً، بمقدار درجة ارتقاء تلك اللغة، فإذا صحت هذه المقدمة ينتج أن العربية من أرقى اللغات بياناً<sup>(٥)</sup>.

(١) الخصائص ٢٧٩/٣. (٢) نزهة ٧٩/١-٨١.

(٣) نزهة ٨١/١. (٤) اللغة ٢٢٦. (٥) الفلسفة اللغوية ٦٥.

## الباحثون فيه :

لا غرو بعد أن بينا صورة الاشتقاق، وأقسامه اللغوية، وصلته بالصرف، أن يخوض فيه علماء العربية بشتى بحوثهم صرفية ولغوية، لما له من أهمية كبيرة شغلت بالهم، واستولت على ألبابهم.

ومنذ بدء البحث اللغوي والعلماء يتناولون هذا الموضوع ويؤلفون فيه، وقد «أفرد الاشتقاق بالتأليف جماعة من المتقدمين، منهم الأصمعي وقطرب وأبو الحسن الأخفش وأبو نصر الباهلي والمفضل بن سلمة والمبرد وابن دريد، والزجاج وابن السراج والرماني والسنحاس وابن خالويه»<sup>(١)</sup>، وقد كان النجاح الكبير لفكرة الاشتقاق - كما يقول الأستاذ عبد السلام هارون - على يد ابن دريد بتأليفه كتاب الاشتقاق وثناه ابن فارس بتأليف المقاييس<sup>(٢)</sup>، فقد قصد ابن دريد بكتابه الاشتقاق "دراسة العلاقة بين الأسماء ومسمياتها، وأصول هذه الأسماء، ويمكن عده بحثاً من البحوث اللغوية التي تنتمي إلى الدراسات المعروفة في الإنجليزية بـ onomastic (وموضوعها البحث في الأعلام وأصولها، كأعلام الأشخاص والقبائل والجبال والأنهار ونحوها) وهذه الدراسات تعامل في علم اللغة على أنها مبحث من مباحث "علم تاريخ الكلمات وأصولها" etymology كما أنها تتصل من قريب أو بعيد بدراسة المعجمات ولها علاقة كذلك بفلسفة اللغة<sup>(٣)</sup>، وكتاب ابن دريد في الاشتقاق يتضمن ما يأتي:

- ١ - الاشتقاق اللغوي لأسماء القبائل والرجال.
- ٢ - بسط القول في المادة اللغوية التي اشتقت منها هذه الأسماء.
- ٣ - تفسير الآثار الدينية والأدبية التي تمت بصفة إلى تلك المواد.
- ٤ - بيان أنساب قبائل العرب وبطونها وأفخاذها وتشعب بعضها من بعض.
- ٥ - إمداد الباحث بكثير من المعارف التاريخية النادرة التي تتعلق بقبائل العرب ورجالها.

(١) المزهر، ط الأولى، ١/١٦٦، ١٦٧.

(٢) من مقدمة المحقق لكتاب معجم مقاييس اللغة ٢٤. (٣) قضايا لغوية، ص ٣.

ونورد هنا بعض أمثلة من طريقة الكتاب، فمثلاً يقول: أم قصي فاطمة وقد مر ذكرها بنت سهل بن حمالة من أزد شنوءة وسترى تفسيره في موضعه إن شاء الله، وأم فاطمة سوداء بنت عمرو بن نعيم، وسودة مشتق من قولهم: أرض سوداء إذا كانت سوداء في سفح جبل<sup>(١)</sup>، ويقول: ومنهم بنو ضبيس وضبيس فعيل من قولهم: رجل ضبيس إذا كان سيئ الخلق<sup>(٢)</sup>.

وقد طرق عالمنا ابن جنى هذا الباب في كتابه «المبهج في تفسير أسماء شعراء الحماسة» فقد استخدم طبيعة الاشتقاق، والمعنى الذي تدور حوله المادة، في تحليل أسماء هؤلاء الشعراء، كما هو عند ابن دريد في اشتقاق أسماء القبائل والرجال، وقد ذكرنا أمثلة لذلك في حديثنا عن مؤلفاته<sup>(٣)</sup>، وفي كتاب معجم البلدان اشتقاق لأسماء البلاد على نحو ما فعل ابن دريد، كما في إربل والأردن وغيرهما وفي مقدمة الكتاب يقول المؤلف: ثم أذكر اشتقاقه إن كان عربياً، ومعناه إن أحطت به علماً إن كان أعجمياً<sup>(٤)</sup>. أما كتاب معجم مقاييس اللغة لابن فارس فيتناول حديث الاشتقاق الصغير والكبير والأكبر وقد برز في ذلك وهو صاحب فكرة النحت في الرباعي وإجرائها بطريق أوسع، وسيأتى بسط الحديث عن ذلك.

أما عالمنا العبقري ابن جنى وأستاذه أبو على الفارسي فيقفان على رأس هؤلاء جميعاً، لابتداعهما فكرة الاشتقاق الكبير والأكبر، وصعودهما درجة فوق هذا بإذاعة قاعدة الاشتقاق الكبير التي تجعل للمادة الواحدة أصلاً أو أصولاً ترجع إليها<sup>(٥)</sup>، وقد ولع ابن جنى - كما قلنا سابقاً - أكثر من غيره بالاشتقاق واتخاذ طريق البحث اللغوي، بل لقد بنى عالمنا مؤلفاته وأهمها الخصائص وسر الصناعة على أساس الاشتقاق، فالدلالة طريقها الاشتقاق، وأصالة الحروف وزيادتها وترتيبها واتصالها بمعانيها وتصحيح الأوضاع للألفاظ والتراكيب كل ذلك منهجه

(١) الاشتقاق لابن دريد ٤٠. (٢) نفسه ٤٧٣.

(٣) انظر ص ٢٣٩-٢٤١ من كتابنا وانظر المبهج ١٤، ١٧، ٣١، ٦٩، وغيرها.

(٤) معجم البلدان، ١/ المقدمة، ص ٨، ١٨٦، ٢٠٠ و ٢٠١.

(٥) مقدمة المقاييس للمحقق ٢٤.

هو الاشتقاق، ويمكن للباحث أن يدرك اهتمامه الكبير بالاشتقاق وبخاصة ما ابتكره منه وهو ما سماه بالأكبر ويسميه غيره بالكبير، على ما سنبين بعد، يدرك الباحث ذلك من أول صحائف كتابه الخصائص، فقد ابتدأ بحديثه عن القول والكلام وتصرفهما على طريقة التقلب الاشتقاقي، والمستعمل منهما والمهمل، وأثبت أن معنى (ق و ل) أين وجدت وكيف وقعت، من تقدم بعض حروفها على بعض وتأخره عنه، إنما هو للخفوف والحركة<sup>(١)</sup> ومعنى (ك ل م) حيث تقلبت الدلالة على القوة والشدة<sup>(٢)</sup> ويقول - منوهاً بذكره - : إن هذا موضع يتجاوز قدر الاشتقاق، ويعلوه إلى ما فوقه، وستراه فتجده طريقاً غريباً، ومسلكاً من هذه اللغة الشريفة عجيباً<sup>(٣)</sup> ومعنى أنه يفتح كتاباً كالخصائص بذلك أنه ماض في هذا الطريق لما له من أهمية لغوية أدرك سرها الكامن وراء تلك اللغة التي بهرته واستولت على لبه وطفئت على كل تفكيره بعقريتها وسموها.

ولو سرنا بعض خطوات داخل الكتاب لوجدنا أنه ينحو هذا المنحى الاشتقاقي، لولوعه به وابتداعه له، فهو يعرف النحو بأنه: انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره، ثم يقول: وهو في الأصل مصدر شائع أى نَحَوْتُ نحواً كقولك: قصدت قصداً، ثم خص به انتحاء هذا القبيل من العلم، كما أن الفقه في الأصل مصدر فقهت الشيء أى عرفته ثم خُص به علم الشريعة من التحليل والتحريم<sup>(٤)</sup>، ويؤيدنا في ذلك الأستاذ على النجدي ناصف، إذ يقول: وما أحسب ابن جنى بذلك يريد أن يعرف النحو، وإنما يريد أن يبين اشتقاق لفظه وسبب التسمية به... وحديثه عن كلمة نحو حديث من يدرس الكلمة ويؤرخ تطورها، وإلا فما باله يقرنها إلى كلمة الفقه، ويشبهها بها في الاشتقاق والتسمية، وما للتعريف وأمثال هذا التحليل والبحث؟<sup>(٥)</sup>.

وكذلك سلك في بيان الإعراب طريق الاشتقاق فقال: هو الإبانة عن المعانى بالألفاظ، ثم ذكر أن لفظه مصدر أعربت عن الشيء: إذا أوضحت عنه، وفلان

(١) الخصائص ٥/١.

(٢) نفسه ١٣/١.

(٣) نفسه ٣٤/١.

(٤) سيبويه إمام النحاة ١٣٥، ١٣٦.

مُعرب عما فى نفسه: أى مبین له وموضح عنه، ومنه عربت الفرس تعريباً إذا بزغته وذلك أن تنسف أسفل حافره، ومعناه أنه بان بذلك ما كان خفياً من أمره لظهوره إلى مرآة العين بعد ما كان مستوراً، وبذلك تعرف حاله أصلب هو أم رخو وأصحيح هو أم سقيم؟ وغير ذلك. وأصل هذا كله قولهم: العرب وذلك لما يعزى إليها من الفصاحة والإعراب والبيان<sup>(١)</sup>، ويذكر أن البناء الذى هو لزوم آخر الكلمة ضرباً واحداً من السكون والحركة قد أوقع على هذا الضرب من المستعملات المزالة من مكان إلى مكان، تشبيهاً لذلك من حيث كان مسكوناً وحاجزاً ومظلاً بالبناء من الأجر والطين والجص... وهذا المعنى قد لوحظ فى قولهم قد بنى فلان بأهله... ويستعار للمجد والشرف، قال لبيد:

فَبَنَى لَنَا بَيْتاً رَفِيعاً سَمَكُهُ      فَسَمَّا إِلَيْهِ كَهْلُهَا وَغَلَامُهَا<sup>(٢)</sup>

وهذا وغيره يؤكد أن عالمنا ابن جنى لا يقصد المعانى النحوية التى حددها العلماء، وإنما يقصد شرح اشتقاقاتها، واستعمالاتها اللغوية، ودلالاتها التى تتعلق بالمعنى، واتصال الألفاظ بعضها ببعض من هذه الناحية، وهذا العالم العبقري يشير بتلك المقدمات إلى سلوكه سبيل الاشتقاق، واعتماده عليه فى دراسته، وقد اكتشف عالمنا أغوار اللغة من هذه الناحية، وشرح نواحي بارعة من الاشتقاق، وعقد فصولاً من خصائصه للإبانة عنه، وكانت لعالمنا خطوات موفقة أثبت بها سمو لغتنا، وانفرد بها من غيره من الباحثين اللغويين، وقد اعترف المحدثون بابتكارات ابن جنى فى هذا الميدان، وسنعرض هنا لحديثه عن أنواع الاشتقاق ومدى تجديده لها.

### ابن جنى بين التقليد والتجديد فى الاشتقاق

كانت لابن جنى صولات فى ميدان الاشتقاق، فتناولت أبحاثه أنواعه المختلفة من الصغير والكبير والأكبر، ولم تكن أبحاثه تقليداً لغيره، بل مبتكرة لها طابع الجودة والابتداع، وفيما يلى عرض لأرائه فى تلك الألوان، ومقارنتها بغيرها وموقفنا منها، ونبدأ بالإحاطة بها ثم نذكر من وراء ذلك النتائج التى توصل إليها، وأهميتها اللغوية.

(١) الخصائص ١/ ٣٥، ٣٦.

(٢) نفسه ١/ ٣٧، ٣٩.



### الاشتقاق الصغير<sup>(١)</sup>

يعرف أستاذنا الدكتور نجما هذا النوع من الاشتقاق بأنه: ما اتحد فيه المشتق والمشتق منه حروفاً وترتيباً كأكل من الأكل واستنسر من النسر<sup>(٢)</sup> وكذلك عرفه الأستاذان أمين ووالى فى مجلة المجمع اللغوى<sup>(٣)</sup> وفى المزهري: أنه أخذ صيغة من أخرى مع اتفاقهما معنى ومادة أصلية وهى تركيب، ليدل بالثانية على معنى الأصل، بزيادة مفيدة لاجلها اختلفا حروفاً أو هيئة، كضارب من ضرب وحذر من حذر<sup>(٤)</sup>، ويذكر الدكتور وافي «أن كل أصل ثلاثى فى اللغة العربية يرتبط بمعنى عام وضع له، فيتحقق هذا المعنى فى كل كلمة توجد فيها الأصوات الثلاثة مرتبة على حسب ترتيبها فى الأصل الذى أخذت منه»<sup>(٥)</sup>.

فالاشتقاق الصغير هو استمداد مجموعة من الكلمات من المادة اللغوية، أو الجذر اللغوى، مع اشتراك أفراد هذه المجموعة فى عدد من الحروف وفى ترتيبها، كما تشترك فى الدلالة العامة<sup>(٦)</sup> وبذلك يشترط لصحة الاشتقاق بهذا المعنى:

- ١- الاشتراك فى عدد من الحروف، وهى فى اللغة العربية ثلاثة.
- ٢- أن تكون هذه الحروف مرتبة ترتيباً واحداً فى هذه الألفاظ.
- ٣- أن يكون بين هذه الألفاظ قدر مشترك من المعنى، ولو على تقدير الأصل<sup>(٧)</sup>.

(١) يسميه كل من الدكتور وافي والدكتور أنيس بالاشتقاق العام (فقه اللغة د. وافي ١٧٢) وطرق تنمية الألفاظ فى اللغة د. أنيس ٤٦ ويقول الدكتور الصالح لسانى فى التسمية الحديثة ما يجعلنا نستبدلها بالتسمية القديمة فإن وصف هذا الضرب من الاشتقاق بالصغير أو الأصغر كاف للتمييز بينه وبين الكبير والأكبر. دراسات فى فقه اللغة ١٩٠.

(٢) فقه اللغة ٣/٤٩، ٧٧/٤.

(٣) بحث الأستاذ عبد الله أمين (فى علم الاشتقاق) ٣٨١/١، وبحث الأستاذ حسن والى (سبل الاشتقاق بين السماع والقياس) ١٩٥/٢-٢٠١.

(٤) ط. الأولى ١٦٤/١ وانظر الأشباه والنظائر ٥٦/١، ٥٧.

(٥) فقه اللغة ١٧٢. (٦) طرق تنمية الألفاظ فى اللغة ٤٤.

(٧) فقه اللغة للمبارك ٦١.

ويشمل هذا النوع من الاشتقاق:

- ١- المشتقات المعروفة عند الصرفيين، وهى الأفعال وأسماء الفاعلين والمفعولين إلخ.
- ٢- الاشتقاق من أسماء الأعيان كْمُذْهَبٌ ومُفَضَّضٌ واستنسر البغات، وقد أقره مجمع اللغة العربية للضرورة للعلوم<sup>(١)</sup>.
- ٣- المصدر الصناعى مثل جاهلية والوهية وقد أقره المجمع كذلك<sup>(٢)</sup>.
- ٤- قرابة فعل من أفعال المادة الواحدة وتصاريفه لفعل آخر وتصاريفه من أفعال المادة نفسها، وهو الاشتقاق الذى فطن له ابن جنى، وفطن له معاصره أحمد بن فارس<sup>(٣)</sup>، فابن جنى يقول: الاشتقاق عندى على ضربين كبير وصغير، فالصغير ما فى أيدي الناس وكتبهم، كأن تأخذ أصلاً من الأصول، فتقرأه فتجمع بين معانيه، وإن اختلفت صيغته ومبانيه، وذلك كتركيب (س ل م) فإنك تأخذ منه معنى السلامة فى تصرفه، نحو سِلْمٌ ويسلم وسالم وسلمان وسلمى والسلامة، والسليم اللديغ، أطلق عليه تفاؤلاً بالسلامة. . . وعلى ذلك بقية الباب إذا تأولته، وبقية الأصول غيره، كتركيب (ض ر ب) و(ج ل س) و(ز ب ل) على ما فى أيدي الناس من ذلك<sup>(٤)</sup>، ويقول ابن فارس فى المقاييس: مادة (أ ث) هذا باب يتفرع من الاجتماع واللين، وهو أصل واحد، قال ابن دريد: أثَّ النبت أثًا: إذا كثر ونبت أثيت وكل شيء موطأ أثيث، وقد أثَّت تأثيثاً، وأثاث البيت من هذا، يقال: إن وأحده أثاثه ويقال: لا واحد له من لفظه. وقال الراجز فى الأثيث:

يَخْبُطْنَ مِنْهُ نَبْتَهُ الْأَيْثَا      حَتَّى نَرَى قَائِمَهُ جَيْثَا

أى مجثوثاً مقلوعاً. ويقال نساء أثاث: وثيرات اللحم، وأنشد:

وَمِنْ هَوَايَ الرَّجُحُ الْأَثَاثُ      تُمِيلُهَا أَصْحَارُهَا الْأَوَاعِثُ

(١) مجلة المجمع ٣٦/١، ٢٣٢-٢٦٨. (٢) نفسه ٣٥/١، ٢١١-٢١٥.

(٣) مقدمة الاشتقاق لابن دريد لمحققه الأستاذ هارون ٢٦.

(٤) الخصائص ١٣٣/٢، ١٣٤.

وفى الأثاث بقول الثقفى:

أشأقتكَ الظعائنُ يومَ بَأَنُوا      بذى الزى الجميلِ مِنَ الأثاثِ<sup>(١)</sup>

وفى مادة (بأس) يقول: الباء والهمزة والسين أصل واحد: الشدة وما ضارعهما؛ فالبأس: الشدة فى الحرب، ورجل ذو بأس وبئس: أى شجاع، وقد بأس بأساً، فإن نعته بالبوأس قلت: بؤس، والبؤس: الشدة فى العيش، والمبتس: المفتعل من الكراهة والحزن قال:

مَا يَقْسِمُ اللَّهُ أَقْبَلَ غَيْرَ مُبْتَسٍ      مِنْهُ وَأَقْعُدُ كَرِيماً نَاعِمَ الْبَالِ<sup>(٢)</sup>

والمادة اللغوية بذلك تدور حول معنى عام واحد، وقد يخفى هذا المعنى الذى تدور حوله المادة فى بعض الالفاظ المرتبطة بها، ويمكن كشفه بشيء من التأمل، كما فى الصلة بين الجار بمعنى الساكن الملاصق والجور بمعنى الظلم، فإذا نظرت إليهما لم تجد صلة ظاهرة، بل احتجت إلى مزيد من التأمل والنظر فى تاريخ اللفظتين فى حياة العرب أصحاب هذه اللغة، فإذا فعلت ذلك ظهر لك أن الجار من يدخل فى حماية القبيلة، فيسكن فى جوارها، أى بالقرب منها وفى حمايتها، فيجيرونه، من أجاره: إذا رفع عنه الجور وهو الظلم والتعدى، والهمزة فيه للسلب نظير أشكى وأعدل<sup>(٣)</sup>، وقد حاول ابن فارس أن يرجع بعض المواد إلى معنيين تدور حولهما المادة الواحدة ولكن يمكن رد المعنيين إلى معنى واحد، فهو يرى أن العين والراء والفاء (مادة عرف) ترجع إلى أصلين صحيحين، يدل أحدهما على تتابع الشيء متصلاً ببعضه ببعض، والآخر على السكون والطمأنينة<sup>(٤)</sup> فمن الأصل الأول: العُرف: عُرف الفرس ويقال جاءت القَطَا عُرفاً عُرفاً، - أى بعضها خلف بعض - والعُرفة - بضم العين - وجمعها: عُرف - بضم العين وفتح الراء - وهى أرض منقادة مرتفعة بين سهلتين تنبت كأنها عُرف الفرس. ومن الأصل الثانى المعرفة والعرفان، وأمر معروف والعُرف والعُرف وعُرف - وعُرف -

(١) المقاييس ٨/١ .

(٢) نفسه ٣٢٨/١ .

(٣) فقه اللغة للمبارك ٥٧ .

(٤) المقاييس ٢٨١/٤ .

بتضعيف الراء - وتعريف الضالة واللقطة والاعتراف به . مع أن ما استشهد به من الكلمات على الأصل الثانى يمكن رجوعها إلى الأصل الأول وهو التتابع، ومن الممكن رد الأصل الأول إلى الثانى بحيث ينشأ الثانى عن الأول فمعنى السكون والطمأنينة إن هو إلا نتيجة لانكشاف الشيء وظهوره، فإنكشاف الشيء وظهوره يمكن أن يكون هو الأصل الذى يرجع إليه الجميع<sup>(١)</sup>.

وهكذا ترجع المشتقات فى العربية إلى أصل واحد، يحقق لها ميزة الحفاظ على الربط بين أفراد الأسرة اللغوية، دون غيرها من سائر اللغات الأخرى، وإن توافر ذلك فى بعض مصاد اللغات الأجنبية فإننا نلاحظ أنه «إذا حدث لكلمة من كلمات الأسرة الرئيسية تحول فى معناها جذبت معها الكلمات الأخرى إلى المعنى الجديد، فلما تخصصت كلمة habit ومعناها (حالة، هيئة) فى معنى اللباس أصاب الفعل habiller (الوضع فى هيئة ما) نفس التخصص، وهاتان الكلمتان جذبتا إليهما مشتقاتهما ومركباتهما habilleur (من يلبس) وhabillemeht (الإلباس) وdeshabiller (انتزاع الملابس) إلخ، والكلمتان pondre أو ponte تحولت كلتاهما فى وقت واحد من فكرة "الوضع" عامة إلى فكرة "وضع البيض" فى الكلام عن طائر أنثى، فالإحساس بالأسرة اللغوية أمسك هذه الكلمات مجتمعة<sup>(٢)</sup>.

وبذلك نرى أن هذا المعنى العام الذى تدور حوله المادة قد يتغير باختلاف العصور من عموم إلى خصوص أو العكس، أو يتشقل إلى معنى مجاور، وقد يجتمع المعنى القديم والحديث فى المادة، وقد يهمل القديم فيصبح أصلاً تاريخياً ويبقى المعنى الجديد، والإفاضة فى ذلك الموضوع من اختصاص بحث تطور معانى الألفاظ<sup>(٣)</sup>، والمادة المشتقة تدل على المعنى الأصلى وشئ آخر زائد<sup>(٤)</sup> كما هو مأخوذ من قول السيوطى: «زيادة مفيدة لأجلها اختلفا حروفاً أو هيئة» فالحرركات قد تختلف عن الأصل فتسبب زيادة فى المعنى واختلافاً، وكذلك قد تضاف

(١) دراسات فى فقه اللغة ١٩١-١٩٣ بتصرف. وقد يرجع ابن فارس المادة إلى أكثر من معنيين.

انظر المقاييس ٣٢-٣٨، ١١٢، ٢٣٨، ٣٤٠-٣٤٥ وغيرها.

(٢) اللغة ٢٥٠. (٣) فقه اللغة للمبارك ٥٩. (٤) نفسه ٥٨.

حروف على الأصل تسبب هذا التنوع المعنوي، «وطريق معرفته تقليب تصاريف الكلمة حتى يرجع منها إلى صيغة هي أصل الصيغ دلالة اطراد أو حروف غالباً، كضرب فإنه دال على مطلق الضرب فقط، أما ضارب ومضروب ويضرب واضرب، فكلها أكثر دلالة وأكثر حروفاً، وضرب الماضي مساو حروفاً وأكثر دلالة وكلها مشتركة في ضرب وفي هيئة تركيبها<sup>(١)</sup>، فالاصوات الثلاثة الأصلية تصب في قوالب معلومة، وتصاغ في أشكال محدودة لاداء أنواع المعنى الواحد... وهذه القوالب أو الأشكال هي المعروفة في اللغة بالأبنية أو الأوزان<sup>(٢)</sup>، وإن المادة الاشتقاقية والبناء أو الصيغة باجتماعهما في الكلمة العربية يعطيان اللغة العربية مزية المشابهة للطبيعة في أبرر خصائصها التي اكتشفها العلماء، ذلك أن في الطبيعة تشابهاً وغطية من جهة، وذاتية واختلافاً من جهة أخرى، فإن ما فيها من الأشياء على اختلافها تتماثل أو تتشابه، إذ ترجع إلى أنواع وفصائل تتشابه أفراد كل نوع أو فصيلة في تركيبها وشكلها، ولكن هذه الأشياء المتشابهة نفسها تختلف، فيكون لكل منها ذاتية متميزة، وكذلك ألفاظ العربية، فهي متشابهة في صيغها، ومتنوعة في أصولها الاشتقاقية، بما يجعل لها نوعية خاصة تميزها، وتجعل لكل كلمة من مجموع المادة الواحدة حياة خاصة تكون ذاتيتها الفردية<sup>(٣)</sup>.

ومن هنا كانت للاشتقاق الصغير أهمية كبيرة في التجديد وتنويع المعنى<sup>(٤)</sup>، وهذا - كما ترى - قد كان من جهد العالمين الكبيرين ابن جنى وابن فارس، فقد أظهرنا ارتباط المادة اللغوية بمعنى عام تدور حوله، مما فتح المجال للمحدثين بتصور هذه الحقيقة والنسج على متواليها، وكان ابن جنى أدق فقد صرح باسمه في كتبه وبنى عليه تصرفات المواد، ولم يرد ذلك تصريحاً في كلام ابن فارس وإنما ضمن عرضه للمواد على تلك الطريقة، بل إن ابن جنى لعبقريته يعد هذا النوع سهلاً وفي أيدي الناس لا يستدعى جهداً أو عناء، وهو بذلك يشق الطريق الوعر للوصول إلى نوع آخر أكثر أهمية، وأعلى طبقة، وأبعد غوراً، وهو الاشتقاق الكبير الذي سماه بالأكبر.

(١) الزهر، ط. الأولى، ١٦٤/١. (٢) فقه اللغة للمبارك ٥٧.

(٣) نفسه ١٢٨ ببعض التصرف. (٤) نفسه ٦٢.



## الاشتقاق الكبير

سماه ابن جنى بالاشتقاق الأكبر، إلا أن غيره من علماء اللغة يسميه الاشتقاق الكبير، ويؤيد الأستاذ محمد المبارك تسمية ابن جنى ويعدها أصح وأولى ولكنه يقول: إننا نؤثر السير على مصطلح اللغويين . . . . . منعاً للالتباس<sup>(١)</sup>.

وكانت فكرة الاسم عند ابن جنى كذلك، لأن الاشتقاق الأكبر وإن عاجله في بحوثه لم يكن اسمه قد ظهر في عصره، ولم يطلقه هو عليه، وفضل اسماً آخر هو أساس الألفاظ أشباه المعاني، وقد ظهر اسم الاشتقاق الأكبر بمعناه اللغوي المعروف عند أحد علماء الطبقة الثالثة وهو العلامة الحائمي<sup>(٢)</sup> وقد نقل ذلك عنه تلميذه السكاكي، ويذكر أن شيخه الحائمي أحكم قانوناً في الدرس اللغوي سماه بالاشتقاق الأكبر<sup>(٣)</sup> وعبارته: «وهنا نوع ثالث من الاشتقاق كان يسميه شيخنا الحائمي رحمه الله الاشتقاق الأكبر، وهو أن يتجاوز إلى ما احتمله أخوات تلك الطائفة من الحروف نوعاً أو مخرجاً»<sup>(٤)</sup> كما يصرح بأن الصور الستة للحروف الثلاثة كيفما انتظمت والأربع والعشرين للأربعة، والمائة والعشرين للخمسة هي ما يسمى بالاشتقاق الكبير<sup>(٥)</sup>.

وتبدأ فكرة ظهور هذا النوع من الاشتقاق على يد أصحاب المعاجم، وأولهم الخليل بن أحمد، ومنهم ابن دريد صاحب الجمهرة، فقد رتباً معجميهما على أساس تقليب المواد، ونهج الأول المنهج الصوتي، والثاني المنهج الأبجدي، وتسمى مدرستهم بمدرسة التقليبات، على ما أوضح أستاذنا الدكتور نجا في كتابه المعاجم اللغوية<sup>(٥)</sup>، وكان الباعث لهم على ذلك فكرة إحصائية رياضية، دون نظر إلى عقد المقاليب الستة على معنى واحد مهما يكن موقعها وترتيبها على ما هو معروف في الاشتقاق الكبير<sup>(٦)</sup>، فكانت طريقتهم إحصائية أو قسمة عقلية لجأ إليها أصحاب هذه المعاجم بغية حصر كل المستعمل من كلمات اللغة، وخشية أن يند بعضها عن أذهانهم<sup>(٧)</sup>.

(١) نفسه ٩١. (٢) توفي سنة ٣٨٨هـ.

(٣) مقدمة لدرس لغة العرب ٢٠٧.

(٤) المفتاح ٧.

(٥) ص ١٠، ١١.

(٦) دراسات في فقه اللغة ٢٠٨.

(٧) فقه اللغة للمبارك ٩٠.

وقد صرح الخليل بأن الكلمة الثنائية تنصرف على وجهين، مثل (قد-دق) والكلمة الثلاثية تنصرف على ستة أوجه، مثل ضرب-ضبر-برض-بضر-رضب-ربض، والكلمة الرباعية تنصرف على أربعة وعشرين وجهاً: حروفها أربعة تضرب في وجوه الثلاثي الستة، والكلمة الخماسية تنصرف على مائة وعشرين وجهاً: حروفها خمسة تضرب في وجوه الرباعي وهي أربعة وعشرون فتصير مائة وعشرين وجهاً يستعمل أقله ويلغى أكثره<sup>(١)</sup>، وفي الجوهرة يورد ابن دريد مادة (ج ب ر) وتقلباتها، وقد رتبها هكذا: ج ب ر- ب ر ج- ر ج ب- ج ر ب- ب ج ر- ر ب ج- وقد سماها مادة (ب ج ر)<sup>(٢)</sup> لسيره وفق الحروف الهجائية، غير أنه يذكر معاني الألفاظ، دون أن يشير إلى المعنى العام الذي يجمعها، ولكن ابن جنى بسلوكه طريق الاشتقاق يذكر هذا المعنى، وأنه هو القوة والشدة، ويحاول التوفيق بينها من هذا الطريق الاشتقاقي المبتكر، ولم يكن أحد يسلك هذا الطريق الوعر الملتبس بقدر ما نفذ إليه ابن جنى برجاجة عقله، حتى عد في نظر علماء اللغة مبتدعه وصاحب فكرته، مع ما لأستاذه أبي على الفارسي من فضل في ذلك، فيقول السيوطي: هذا ما ابتدعه ابن جنى وأستاذه الفارسي<sup>(٣)</sup> ويقول الدكتور وافي: ويرجع الفضل في توضيح هذه الطائفة من الروابط إلى ابن جنى، وقد عقد لها فصلاً على حدة في كتابه الخصائص وأطلق عليها اسم الاشتقاق الأكبر<sup>(٤)</sup>. ويقول أحد أعضاء المجمع اللغوي<sup>(٥)</sup>: إن الاشتقاق الأكبر (الكبير) ابتدعه ابن جنى وبين به حذقه<sup>(٦)</sup>. ويقول الأستاذ العلالي: إن ابن جنى صاحب الثروة الطائلة والمتنوع الواسع في الاشتقاق الكبير<sup>(٧)</sup> وينصفه الأستاذ الرافعي في اعترافه بأن أول من ابتدع القول بأن المعاني سلائل مرتبة، وأن الألفاظ المختلفة ترد في الاشتقاق إلى قدر مشترك هو فيلسوف العربية أبو الفتح بن جنى المشار إليه، وكان شيخه أبو على الفارسي يأنس بهذا الرأي قليلاً<sup>(٨)</sup>.

(١) العين ٦٦. (٢) الجوهرة ١/٢٠٧-٢٠٩.

(٣) المزهر ط الأولى ١٦٤/١. (٤) فقه اللغة، ١٧٧.

(٥) هو الأستاذ حسن والي في مقاله بعنوان سبيل الاشتقاق بين السماع والقياس.

(٦) مجلة المجمع ١٩٩/٢-٢٠٠. (٧) مقدمة لدرس لغة العرب ٢٠٦.

(٨) تاريخ آداب العرب ١/١٧٠.

ونترك ابن جنى يحدث عن نفسه إذ يزُهي بهذا الابتكار، فيقول: «هذا موضع لم يسمه أحد من أصحابنا، غير أن أبا علي - رحمه الله - كان يستعين به، ويخلد إليه مع إعواز الاشتقاق الأصغر، لكنه مع هذا لم يسمه، وإنما كان يعتاده عند الضرورة، ويستروح إليه، ويتعلل به، وإنما هذا التلقيب لنا نحن، وستراه فتعلم أنه لقب مستحسن»<sup>(١)</sup>.

وكان في عصر ابن جنى من سلك سبيله في تطبيق الاشتقاق الكبير كالحائمي على ما ذكرنا<sup>(٢)</sup> كما أتى بعده من تابعه كابن الأثير، الذي نقل ما قاله ابن جنى في هذا النوع من الاشتقاق وفي النوع الذي قبله وهو الاشتقاق الصغير، ويذكر ألفاظ ابن جنى بنصها، فيقول مثلاً: «وأما الاشتقاق الكبير فهو أن تأخذ أصلاً من الأصول فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحداً يجمع تلك التراكيب وما تصرف منها وإن تباعد شيء من ذلك عنها رد بلطف الصنعة والتأويل إليها، وهو إن ذكر بعد ذلك مادة (ق م ر) وتقلباتها فإنه يعود فيقتبس من ابن جنى مادة (ق و س) وتقلباتها، والمعنى الذي تدور حوله بالنص، ويذكر أن ذلك غير مطرد في اللغة على حد تعبير ابن جنى»<sup>(٣)</sup>، وأعتقد أنه لا خلاف بين اللفظين إلا في القليل جداً، كما ينقل كلامه بنصه في الاشتقاق الصغير، ويذكر مادة (س ل م) وتصرفاتها التي أشار إليها ابن جنى، والمعنى المتعقدة عليه دون أن ينبه على شيء أكثر إلا لما<sup>(٤)</sup>. ومن العجيب أنه لا ينبه في كلمة واحدة إلى ابن جنى صاحب هذا الفضل والذي يأخذ عبارته بالحرف الواحد، ومن العجيب كذلك أن نجد الأستاذ العلالي ينسب لابن الأثير - على الرغم من أخذه عن ابن جنى - والحائمي فضل تحقيق هذه النظرية بصورة أكثر عملية<sup>(٥)</sup>، فالواقع أن ابن الأثير ناقل وابن جنى صاحب سبق في هذا المجال.

ونتقل بعد ذلك إلى توضيح معنى الاشتقاق الكبير ورأى ابن جنى فيه:

(١) الخصائص ٢ / ١٣٣.

(٢) ونبهنى على ذلك أستاذي الدكتور قناوى.

(٣) المثل السائر، ط. حجازى ٣٠٣، ٣٠٤، وانظر الخصائص ٢ / ١٣٤ وما بعدها.

(٤) نفسه ٣٠٢، ٣٠٣. (٥) مقدمة لدرس لغة العرب ٢٠٦.

أدق تحديد له هو تعبير أستاذنا الدكتور نجا عنه بقوله: إنه ما اتحد فيه المأخوذ والمأخوذ منه في الحروف واختلفا في الترتيب وهو المعروف عند الصرفيين بالقلب المكانى، مثل جال وجلا وركب وكبر<sup>(١)</sup> ويسير على هذا النمط الأستاذ المغربي إذ يعرفه: بأن يكون بين اللفظين تناسب في اللفظ والمعنى دون الترتيب نحو جذب وجذب إلخ<sup>(٢)</sup>، وكذلك الأستاذ عبد الله أمين فهو عنده: انتزاع كلمة من كلمة بتغيير في ترتيب بعض أحرفهما مع تشابه بينهما في المعنى، واتفاق في الأحرف مثل لكم، كلم، ملك، كمل ويسمى قلباً<sup>(٣)</sup> وذلك هو ما حده به السيوطي إذ يقول: إنه ما يحفظ فيه المادة دون الهيئة نحو قول ووقل... إلخ<sup>(٤)</sup>.

ويوضحه عالمنا ابن جني بقوله: وأما الاشتقاق الأكبر (هو ما نسميه بالكبير) فهو أن تأخذ أصلاً من الأصول الثلاثة فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحداً تجتمع التراكيب الستة، وما يتصرف من كل واحد منها عليه، وإن تباعد شيء من ذلك عنه رد بلطف الصنعة والتأويل إليه، كما يفعل الاشتقاقيون ذلك في التركيب الواحد... وذلك كما في أصل الكلام والقول وما يجيء من قلب تراكيبهما نحو ك ل م - ك م ل - م ل ك - ل ك م - ل م ك وكذلك: ق و ل - ق ل و - و ل ق - ل ق و - ل و ق... وذلك أنا عقدنا تقاليب الكلام الستة على القوة والشدة وتقاليب القول الستة على الإسراع والخفة، وقد مضى ذلك في صدر الكتاب<sup>(٥)</sup> وبناء على هذا الإيضاح الدقيق من عالمنا كانت تفسيرات بعض المحدثين للاشتقاق الكبير فأحد أعضاء المجمع اللغوي<sup>(٦)</sup> يصفه: بأن يؤخذ أصل ثلاثي ويتلمس له ولتقاليبه الستة إن كانت، وما يتصرف من كل واحد منها معنى مشترك، وإن نأى شيء من ذلك رد إليه بتلطف<sup>(٧)</sup>، والدكتور وافي والدكتور الصالح يشيران إلى ذلك: بأنه عبارة عن ارتباط مجموعات ثلاثية من الأصوات ببعض المعاني ارتباطاً مطلقاً غير مقيد بتركييب، بحيث تدل كل

(١) فقه اللغة ٤٩/٣، ٧٧/٤ . (٢) الاشتقاق والتعريب ص ١٠ .

(٣) مجلة المجمع اللغوي ٣٨١، وانظر كتابه الاشتقاق ص ١، ٢ .

(٤) المزهري ١٦٤/١ . (٥) الخصائص ١٣٤/٢، ١٣٥ .

(٦) هو الأستاذ حسن والي في مقاله السابق . (٧) مجلة المجمع ١٩٩/٢، ٢٠٠ .

مجموعة على المعنى المرتبط بها، كيفما اختلف ترتيب أصواتها مثل جبر وبرج.. إلخ<sup>(١)</sup>.

ولتوضيح هذه الظاهرة اللغوية نسوق بعض ما ذكره صاحبها، وهو عالمنا ابن جنى وقد التزم بنفسه ذلك، إذ يقول: بقي علينا أن نحضر هنا عما يتصل به أحرفاً تؤنس بالاول، وتشجع منه المتأمل، فمن ذلك تقليب (ج ب ر) فهي أين وقعت للقوة والشدة منها: (جبرت العظم والفقير): إذا قويتها وشددت منها والجبر: الملك لقوته وتقويته لغيره ومنها رجل مجرب: إذا جربته<sup>(٢)</sup> الامور ونجده<sup>(٣)</sup> فقويت منه واشتدت شكيمة، ومنه الجراب: لأنه يحفظ ما فيه، وإذا حفظ الشيء وروعى اشتد وقوى، وإذا أغفل وأهمل تساقط ورذى<sup>(٤)</sup>. ومنها الابر، والبجرة: وهو القوى السرة ومنه قول على صلوات الله عليه: إلى الله أشكو عجرى وبجرى، تأويله: همومى وأحزاني، وطريقه أن العجرة كل عقدة فى الجسد فإذا كانت فى البطن والسرة فهي البجرة والبجرة تأويله: أن السرة غلظت ونتأت فاشتد مسها وأمرها، وفسر أيضاً قوله: عجرى وبجرى أى ما أبدى وأخفى من أحوالى، ومنه البرج لقوته فى نفسه، وقوة ما يليه به، وكذلك البرج لقاء بياض العين، وصفاء سوادها، هو قوة أمرها، وأنه ليس بلون مستضعف، ومنها رجب الرجل: إذا عظمت وقوته وأمره، ومنه رجب لتعظيمهم إياه عن القتال فيه، وإذا كرمتم النخلة على أهلها فمالت دعموها بالرجبة وهو شيء تُسند إليه لتقوى به. والراجبة أحد فصوص الأصابع وهى مقوية لها ومنها الرباجى وهو الرجل يفخر بأكثر من فعله قال:

وتلقاه رباجياً فخوراً

تأويله أنه يُعظم نفسه ويُقوى أمره<sup>(٥)</sup>.

والواقع أن المواد تعطى تقاليب مختلفة فى عددها، تبعاً لعدد حروفها الأصلية، وقد أشرنا -نقلًا عن الخليل بن أحمد- إلى أن الثنائى يعطى تقليباً

(١) فقه اللغة د. وافى ١٧٤ ودراسات فى فقه اللغة ٢٠٤.

(٢) جربته وأحكمته.

(٣) عرّفته وعلمته.

(٤) أثقله المرض.

(٥) الخصائص ١٣٥/٢، ١٣٦.



واحداً فيكون لفظين اثنين، والثلاثي يعطى ستة، والرباعي يعطى أربعة وعشرين، والخماسي مائة وعشرين تقلباً<sup>(١)</sup> والقليل منها هو المستعمل، والمهملة كثير، وقد أشار إلى ذلك عاملنا ابن جنى إذ قال: إن الثلاثي يتركب منه ستة أصول نحو جعل- جلع- عجل- عالج- لجم- لعج والرباعي يتركب منه أربعة وعشرون أصلاً وذلك أنك تضرب الأربعة في التراكيب التي خرجت عن الثلاثي وهي ستة فيكون ذلك أربعة وعشرين تركيباً المستعمل منها قليل وهي: عقرب- وبرقع- وعرقب- وعبقر، وإن جاء منه غير هذه الأحرف فعسى أن يكون ذلك، والباقي كله مهملة... والخماسي يبلغ تقلبه مائة وعشرين أصلاً ثم لم يستعمل من جميع ذلك إلا سفرجل وحده<sup>(٢)</sup>، وأكثر الأمثلة التي قلبت هذا القلب اللغوي على طريقة الاشتقاق الكبير ثلاثية الأحرف، ومنه ما لا تتوافر فيه صور التقلب الستة، وهو المضعف الثلاثي فما يتصور فيه عقلاً إلا تقلبان فقط نحو جر- رج فقي كليهما معنى التحرك والاهتزاز<sup>(٣)</sup>.

وقد وردت صور من القلب في الثلاثي المزيد، والرباعي مجرداً ومزيداً، والخماسي، فمن الأول: أذهب في مشيته وأهبط<sup>(٤)</sup>، وأشفى على الأمر وأشاف عليه<sup>(٥)</sup>. ومن الثاني: هجهجت السبع وجهجهت: صحت به وزجرته<sup>(٥)</sup>، وبكبت الشيء وكببته: طرحت بعضه على بعض<sup>(٦)</sup>، ومادة (رهم) يستعمل منها تقلبان اثنان يدوران حول الإتيان بطرف من الحديث دون الإفصاح بجميعة... على الرغم مما يجوز لها من العدد السابق في الرباعي، ويوجد فقط تقلب ثالث بعيد عن هذا المعنى وهو (س م ه ر) ومنه الرماح السمهرية<sup>(٧)</sup> ومن الثالث: اضمحل الشيء وامضحل والسحاب المكفهر والمكرهف<sup>(٨)</sup>، أما القلب في الخماسي فلم تعرفه العرب إلا على ندرة كما ورد في الشعر خاصة "زبردج" بدلاً من

(١) العين ٦٦/١، وانظر ص ٨٣٧ من كتابنا. (٢) الخصائص ٦١/١، ٦٢.

(٣) دراسات في فقه اللغة ٢٢٨ والاشتقاق (أمين) ٣٧٥، ٣٧٦ ومواد أخرى بسر الليال ٣٢٩-

(٤) الاشتقاق (أمين) ٣٨٧.

٣٣٢.

(٦) الجمهرة ٢٦٨/١.

(٥) المخصص ٢٧/١٤.

(٧) اللسان ٤٧/٦، ٤٠٧/٧، ١٤٩/١٥. (٨) الزهر ط الأولى ٢٢٩/١ والخصائص ٧٣/٢.

يرجى<sup>(١)</sup> ففى كل من الثلاثى والرباعى المضعفين لا يتصور عقلاً إلا تقليلان، وفى الرباعى غير المضاعف قلما يستعمل من تقاليه الأربعة والعشرين المحتملة أكثر من تقليلين، أما الثلاثى غير المضعف فعلى أنه كثيراً ما يقلب على وجوه الستة كما فعل ابن جنى لا تكفى الشواهد التى مثل بها عليه للقطع باستعمال وجوهه جميعاً، ولا لاستنباط جامع واحد مشترك بينها لو كتب لها جميعاً أن تستعمل، وما أكثر ما يقلب الاشتقاقيون مادة ثلاثية على وجوهها العقلية الستة، ثم يستنون وجهاً واحداً منها، ويقولون: مهمل أو عمت، وقد يستعوضون عنه بوجه يقاربه، بعد إبدال حرف فيه أو أكثر بما يماثله صفة أو مخرجاً، وأقرب مثال يشهد لهذا ما ذكره ابن جنى فى تقليب (س ل م) من استبدال (ن س م) بـ (ل س م) والنون اخت اللام كما قال<sup>(٢)</sup>.

كذلك فى مادة (ق س و) صرح بأن (س ق و) مهمل<sup>(٣)</sup> ومعنى ما ذكرته أن المادة الواحدة قد تقلب مرة واحدة فيظهر لفظان فقط، وهذا ما يعرف عند الصرفيين بالقلب المكانى، وذكر أستاذنا الدكتور نجما أنه يدخل تحت الاشتقاق الأكبر عند اللغويين<sup>(٤)</sup>، إلا أننا نلاحظ أن ابن جنى يعقد لذلك فصلاً خاصاً بعنوان (باب فى الأصلين يتقاربان فى التركيب بالتقديم والتأخير)<sup>(٥)</sup> يذكر فيه أن كلا من الكلمتين المقلوبتين تارة يكون أصلاً قائماً برأسه وتعد حيثشذ من اختلاف اللهجات، وذلك إذا تساوت الكلمتان فى التصرف والاستعمال، وتارة أخرى تكون إحدى الكلمتين أصلاً للآخرى، فيعد ذلك من باب القلب، وذلك إذا كانت إحداهما أكثر استعمالاً من الأخرى أو أكثر تصرفاً. فمما تركبيهما أصلاً لا قلب فيهما قولهم: جذب وجذب ليس أحدهما مقلوباً عن صاحبه، وذلك أنهما جميعاً يتصرفان تصرفاً واحداً، نحو جذب يجذب جذبا فهو جاذب والمفعول مجذوب، وجذب يجذب جذباً فهو جابذ والمفعول مجبوز، فإذا جعلت مع هذا أحدهما أصلاً لصاحبه فسد ذلك، لأنك لو فعلته لم يكن أحدهما أسعد بهذه

(١) الاشتقاق (أمين) ٣٨٧، واللسان ٣/ ١٠٠.

(٢) دراسات فى فقه اللغة ٢٣٢ والخصائص ١٣٨/٢.

(٣) الخصائص ١٣٦/٢. (٤) فقه اللغة ٤٩/٣، ٥٧. (٥) الخصائص ٦٩/٢.

الحال من الآخر، فلماذا وقفت الحال بينهما ولم يؤثر بالمزية أحدهما وجب أن يتوازيا، وأن يمثلنا بصفتيهما معاً، وكذلك ما هذه سبيله<sup>(١)</sup>، ومن المقلوب قولهم امضحل وهو مقلوب عن اضمحل، ألا ترى أن المصدر إنما هو على اضمحل، وهو الاضمحلال، ولا يقولون: امضحلال، وكذلك قولهم: اكفهر واكرهف الثاني مقلوب عن الاول، لأن التصرف على اكفهر وقع، ومصدره الاكفهرار، ولم يمرر بنا الاكرهفاف قال النابغة:

أو فازجروا مكفهرًا لا كفء له كاللَّيل يخلط أصرامًا بأصرام<sup>(٢)</sup>

وقد حكى بعضهم (مكرهف) فإن ساواه في الاستعمال فهما - على ما نرى - أصلان<sup>(٣)</sup> وهذا هو مذهب نحاة البصرة<sup>(٤)</sup> أما علماء اللغة ويؤيدهم علماء الكوفة فيرون أن ذلك يسمى قلباً مكانياً<sup>(٥)</sup> لا فرق بين صيغة وأخرى، وأن الناطق به العرب جميعهم، أو قبيلة معينة، وقد أخذ بهذه الوجهة ابن دريد وابن النحاس في شرحه على المعلقات، وعلى ذلك فلا يسوغ أن يكون من باب اختلاف اللهجات<sup>(٦)</sup>، وقد ضعف أستاذنا الدكتور نجما وجهة كل من اللغويين والنحاة الكوفيين بناء على عدم استقرار فكرتهم عند التطبيق على الأمثلة فعلى الرغم من أنهم حكموا على اكرهف بأنها مقلوبة عن اكفهر نجد صاحب اللسان يذكر أن اكرهف لغة في اكفهر، وفي موضع آخر قال: والمكرهف لغة في المكفهر أو مقلوبة عنه، وكذلك ورد أن اضمحل لغة جمهور العرب، وامضحل لغة قبيلة معينة فهي عند بني كلاب<sup>(٧)</sup>، كذلك يبدو ضعف المذهب البصري لأن قلة تصرف

(١) نفسه ٧٠/٢. (٢) المكفهر: الجيش. (٣) الخصائص ٧٣/٢، ٧٤.

(٤) المزهر ط. الأولى ٢٣٢/١ وفقه اللغة د. نجما ٥٠/٣ والاشتقاق د. البطشة ٩٢.

(٥) الكوفيون يقولون بالقلب متى التحدت الكلمات في المعنى واختلفت في التركيب واللغويون

يشترطون وجود المناسبة المعنوية قريبة أو بعيدة. الاشتقاق د. البطشة ٩٢.

(٦) المزهر ط. الأولى ٢٣٢/١ وفقه اللغة د. نجما ٥٧/٣، ٥٨، ٥٢/٤.

(٧) وفقه اللغة ٣/٥٨، ٥٩، ٥٣/٤، ٥٤، وانظر اللسان. ط. بولاق ٤٦٨/٦، وط. بيروت

٢٩٨/٩، وط. بولاق ٤٦٤/١٣.

الكلمة لا يتعين أن تكون مقياساً لفرعيتها لجواز أن تكون متصرفة وأماها العرب أو لم يصل إليها الرواة، ومقياس الاستعمال كذلك لتعريضه الكلمة لاحكام متفاوتة على حسب الذبوع وعدمه، ويميل أستاذنا الدكتور نجما إلى القول بأن اختلاف الترتيب ينشأ من اختلاف القبائل ولا ضير في تسميته قلباً مكانياً مع ملاحظة أنه نشأ من اختلاف القبائل فلا تفرقة بين القلب وبين اختلاف اللهجات<sup>(١)</sup>.

ورأى أستاذنا الدكتور نجما - فيما يبدو لي - يشير إلى حدوث القلب بين تلك الألفاظ في عصر متقدم من تاريخ اللغة، وهذا ما ذهب إليه الأستاذ محمد المبارك إذ يقول: وفي رأينا أن قول البصريين بتعدد اللغات ناشئ عن أن حادثة القلب الصوتية قد ترجع في بعض الألفاظ إلى عهد بعيد جداً في تاريخ اللغة بحيث تأصلت كل واحدة من اللفظتين كمدح وحمد، وجذب وجبذ، في قبيلة من القبائل، أو في معنى مختلف بعض الاختلاف، عن معنى اللفظة الأخرى، حتى بدت للباحث أنها لغات متعددة وتنوسيت الحادثة الصوتية التي هي قلب مواقع الحروف، ولذلك فإن اللغويين - كما نقل السيوطي - يرون أن ذلك كله مقلوب، ولا يفرقون كما يفرق نحاة البصريين بين القلب واختلاف اللهجات<sup>(٢)</sup>.

وهذا ما يبدو من رأى أستاذنا الدكتور نجما فهو لا يفرق بين القلب واختلاف اللهجات، وذلك ربما يكشف السر عن أن تلك الألفاظ وقع بينها تبدل صوتي بين مواقع الحروف<sup>(٣)</sup> فليست هذه الألفاظ إلا تنوعات أصل واحد<sup>(٤)</sup> ويحتمل أن تلك الكلمات كانت كاملة الاشتقاق - بصور التقاليد المحتملة فيها أو بعضها - ثم أميتت<sup>(٥)</sup> ولكن الاستعمال اللهجي انفراد ببعض تلك الثقليات تبعاً للبيئة التي تعيش فيها الألفاظ، فالحياة البدوية والاتجاه إلى غموض الأصوات دعا قبيلة تميم إلى تقديم الحروف وتأخيرها في ألفاظ معينة، فهي تقول في القسم (رعملي) بدلاً من (لعمري) كما تقول جبذ بدلاً من جذب<sup>(٦)</sup>، وحرص ابن جني على الدقة في

(١) فقه اللغة ٣/ ٥٨، ٥٩، ٥٣/ ٤، ٥٤.

(٢) فقه اللغة للمبارك ٨٧.

(٣) نفسه ٥١.

(٤) الفلسفة اللغوية ٣٤.

(٥) مقدمة لدرس لغة العرب ٢١٤.

(٦) دراسات في فقه اللغة ١٠٤.

سلوك طريق الاشتقاق الكبير جعله لا يسلك مثل هذه الصور في عداده، «وما كان ليعمم هذه النتائج والأحكام على جميع المواد الأصول»<sup>(١)</sup> فمثل (جذب وجذب) تعد كل منهما لغة مستقلة من لغات العرب، وهو يتعد عن ذلك حتى لا يختلط أمر اللغة، وهذا غلو في الحيلة والحذر عند قلب المادة على وجوهها الممكنة حتى لا تلبس مادة بمادة، ولا يختلط أصل بأصل، ولا تعدو لهجة على لهجة، ولا تتداخل لغات العرب في ألفاظ شاع بينها اختلاف عليها، أو تباين في أسلوب أداؤها، أو طريق استعمالها<sup>(٢)</sup>.

ونعتقد أن ابن جنى لا يمنع أن قلب (جذب) وحدها أو جذب وحدها كذلك على جهاتها الست التي نعلمها<sup>(٣)</sup> وذلك يحتاج إلى سماع لغوى، فأما أن يتكلف قلب الأصل ووضع كل واحد من أحنائه موضع صاحبه فشيء لم يعرض له ولا تضمن عهده، وقد قال أبو بكر من عرف أنس ومن جهل استوحش، وإذا قام الشاهد والدليل وضح المنهج والسييل<sup>(٤)</sup>.

وعلى كل حال فإن محاولة فقهاء اللغة قديماً تفكيك الكلمة، وحلها إلى أجزائها الصوتية التي هي الحروف فكرة بارعة ثاقبة، تدل على سر من أسرار العربية<sup>(٥)</sup>، ولكن تلك الفكرة غير مطردة - كما يعترف ابن جنى - بقوله: «اعلم أنا لا ندعى أن هذا مستمر في جميع اللغة، كما لا ندعى للاشتقاق الأصغر أنه في جميع اللغة، بل إذا كان ذلك الذي هو في القسمة سدس هذا أو خمسه متعذراً صعباً كان تطبيق هذا وإحاطته أصعب مذهباً، وأعز ملتصقاً، بل لو صح من هذا النحو وهذه الصنعة المادة الواحدة تنقلب على ضروب القلب كان غريباً معجباً، فكيف به وهو يكاد يساوق الاشتقاق الأصغر، ويجاريه إلى المدى الأبعد؟»<sup>(٦)</sup>، ولعدم هذا الاطراد صرح السيوطي (بأن هذا الاشتقاق ليس معتمداً

(١) نفسه ٢٢٥ . (٢) نفسه ٢٢٦ .

(٣) الخصائص ١٢/١، والاحتماء في الأصل: الأطراف والنواحي، والمراد بها هنا: التصاريف، وهي من نواحي الأصل وأطرافه. انظر التعليق.

(٤) فقه اللغة للمبارك ٨٨ . (٥) الخصائص ١٣٨/٢، ١٣٩ .



فى اللغة ولا يصح أن يستنبط منه اشتقاق فى لغة العرب... وهذا إلى أن الحروف قليلة وأنواع المعانى المتفاهمة لا تكاد تتناهى فلو خصوا كل معنى بحروف معينة فلم يدلوا مثلاً على معنى الإكرام والتعظيم إلا بما ليس فيه شيء من حروف الإيلام والقرب لمساواتهما لهما لضاق الأمر، واحتاجوا إلى ألف حروف لا يجعلونها<sup>(١)</sup> ولا ينكر مع ذلك أن يكون بين بعض التراكيب المتحدة معنى مشترك بينها هو جنس لأنواع موضوعاتها، ولكن التحيل على ذلك فى جميع مواد التركيبات كطلب لعنقاء مغرب ولم تحمل الأوضاع البشرية إلا على فهم قريبة غير غامضة على البديهة فلذلك أن الاشتقاقات البعيدة جداً لا يقبلها المحققون<sup>(٢)</sup> ولذلك لم يأنس له ابن فارس، والتمس لكل تصرف فى مادة (ج ب ر) وتقلباتها أصلاً متناسباً لأنه كان لا يؤمن بالاشتقاق الكبير<sup>(٣)</sup>.

وجعل المادة بتقلباتها تلتقى حول معنى واحد تقتضى بعض التصرف الذهني واللغوي، وكما يقول ابن جنى: «فهذه الطرائق التى نحن فيها حزنة المذهب، والتورّد لها وعر المسالك»<sup>(٤)</sup>.

وقد ناقشه الدكتور الصالح فى معانى (ج ب ر) وتقلباتها، واتهمه بأنه «أخرج اللغة التى يعشقها، ويؤمن بسحر ألفاظها إذ أجاها إلى مضيق كبح فيه أنفاسها، وحبس قواها عن التفلّت والانطلاق، ألا وهو مضيق الاشتقاق الكبير الذى سماه هو الاشتقاق الكبير»<sup>(٥)</sup>.

ولم أفهم كيف يتهم الدكتور الصالح ابن جنى فى الوقت الذى يصفه فيه بأنه يترفّق فى الاشتقاق الكبير ولا يبالغ<sup>(٦)</sup> ويصفه كذلك بالاعتدال<sup>(٧)</sup> ويعترف بأن له العذر فيما قال، وأنه يتساءل فيحسن الجواب، وأن بحث الاشتقاق الكبير يؤتى ثمرة إلى اليوم<sup>(٨)</sup>.

(١) المزهر، ط الأولى ١٦٤/١، ١٦٥ بتصرف.

(٢) المزهر، ط صبيح ٢٠٢/١ وفقه اللغة د. وفى ١٧٧، ١٧٨ ومجلة المجمع ١٩٩/٢ - ٢٠١.

(٣) دراسات فى فقه اللغة ٢١٥. (٤) الخصائص ١١/١.

(٥) دراسات فى فقه اللغة ٢٢٢. (٦) نفسه ٢٠٦.

(٧) نفسه ٢٠٧. (٨) نفسه ٢٣٣، ٢٣٤.

وقد أنكر الدكتور أنيس الاشتقاق الكبير فقال : " فإذا كان ابن جنى قد استطاع فى مشقة وعنت أن يسوق لنا للبرهنة على ما يزعم بعض مواد من كل مواد اللغة التى يقال إنها فى جمهرة ابن دريد تصل إلى أربعين ألفاً، وفى معجم لسان العرب تكاد تصل إلى ثمانين ألفاً، فليس يكفى مثل هذا القدر الضئيل المتكلف لإثبات ما يسمى بالاشتقاق الكبير"<sup>(١)</sup> وقال: إنه ليس له أثر فى تنمية الألفاظ<sup>(٢)</sup>.

ويبدو- كما قال الأستاذ العلايلى- تحقق هذه الظاهرة فى الكلام العربى، بحيث تعد طبيعة عربية لا تكلف فيها، فقد "جعل العربى القلب محور الوضع، ثم اجتهد فى تنظيم قاعدة المقاليب والوضع على أساسها ولقد تأتى له استخلاص قاعدة موزونة جداً"<sup>(٣)</sup> والقاعدة تقضى بوجود جامع معنوى بين المقاليب... ومن هذا نعلم أن الواضع القديم كان يحزر التشابه بين المسميات لبضع لها أسماء من مادة تتوافق فى مفاهيمها التى هى (ملاحظة الوضع) وإن تخالفت فى المصادقات وإن مقدار الثروة العظيمة التى حازتها العربية إنما كانت من عمل القلب فقط على حين كان عمل الإبدال وما إليه فى جانبه نزرًا يسيرًا<sup>(٤)</sup> "ويعجب الباحث العلمى أشد العجب حين يقف على هذا الوضع المكنم الملاحظة، والذي لا يقع على مثله فى أية لغة عصرية على سموها العلمى واقتعادهما اللغوى"<sup>(٥)</sup> ويمكن أن يستفاد من قاعدة المقاليب الستة ما يأتى:

- (١) تصحيح المعاجم بتحقيق الوحدات بين مختلف المواد.
- (٢) الوقوف على المات وعلى الدخيل.
- (٣) اعتماد الجامعة المعنوية بين مواد الثلاثى كاعتمادها بين مفردات كل مادة.
- (٤) وهى نتيجة النتائج أن تأخذ بالوضع الجديد على مقتضاها لنسب نقص اللغة ونكفى حاجتها<sup>(٦)</sup>.

(١) من أسرار اللغة. ط ٣، ص ٥٢.

(٢) مقدمة للدرس لغة العرب ١٤٨.

(٣) نفسه ١٥٠.

(٤) نفسه ٢٠٨.

ويقول ابن جنى: إن احتذاه وتقلبه<sup>(١)</sup> "يكثر إعظام هذه اللغة الكريمة من أجله، وإن استرفاده في بعض الحاجة إليه يعينك ويأخذ بيدك، ألا ترى أن أبا على رحمه الله كان يقوى كون لام (أنفية) فيمن جعلها أفعولة واوا بقولهم: جاء يثفه ويقول: «هذا من الواو لا محالة كيعدده فيرجح بذلك الواو على الياء التي ساوقتها في يثفوه ويثفيه، أفلا ترى كيف استعان على لام ثفا بقاء وثف، وإنما ذلك لأنها مادة واحدة شكلت على صور مختلفة، فكانها لفظة واحدة، وقلت مرة للمتنبي: أراك تستعمل في شعرك ذا وتا وذى كثيرا ففكر شيئا ثم قال: إن هذا الشعر لم يعمل كله في وقت واحد، فقلت له: أجل لكن المادة واحدة، فأمسك البتة والشئ يذكر لنظيره فإن المعاني وإن اختلفت معانيها آوية إلى مضجع غير مقص وأخذ بعضها برقاب بعض»<sup>(٢)</sup>.

صحيح أن من اللغويين من تعسف سواء في هذا الاشتقاق أو في غيره، إلى حد غير مقبول "كما رعم الزجاج بأن كل لفظتين اتفقتا ببعض الحروف وإن نقصت حروف إحداها عن حروف الأخرى، فإن إحداها مشتقة من الأخرى فتقول: الرحل مشتق من الرحيل، والثور إنما سمي ثورا لأنه يثير الأرض، والثوب إنما سمي ثوبا لأنه ثاب أي رجع لباسا بعد أن كان غزلا<sup>(٣)</sup>، ولكن ذلك لا يؤدي إلى أن نحكم على كل لون اشتقاقى بأنه متكلف، أو أن نحكم على القلب اللغوى بقلة الجدوى، وأن نرى كل ما في الاشتقاق الكبير من عبث الهواة<sup>(٤)</sup>.

فالموضوع له أهميته العلمية، وابن جنى لم يدع أنه لا يتخلف في مادة واحدة، "فهذا وإن لم يطرد وينقد في كل أصل فالعذر على كل حال فيه أبين منه في الأصل الواحد من غير تقليب لشيء من حروفه، فإذا جاز أن يخرج بعض الأصل الواحد من أن تنظمه قضية الاشتقاق له كان فيما تقلبت أصوله فاؤه وعينه ولامه أسهل، والمعذرة فيه أوضح.. وعلى أنك إن أنعمت النظر ولاطفته وتركت

(١) تقلبه: اتباعه وترسمه. (٢) الخصائص ١٣٩/٢، ١١/١.

(٣) الزهر، ط صبيح ٢٠٦/١. (٤) دراسات في فقه اللغة ٢٣٣.

الضجر وتحاميته لم تكد تعدم قرب بعض من بعض، وإذا تأملت ذاك وجدته يأذن الله<sup>(١)</sup> فلا يجب أن يستكر ولا يستبعد<sup>(٢)</sup>.

وإني - مع ما يبدو في رأي ابن جنى من بعض المبالغة - أرى - على حد تعبير الدكتور المبارك - ضرورة ولوج هذا الباب، واستشراق آفاق العربية البعيدة من هذا المرتفع<sup>(٣)</sup>.

### الاشتقاق الأكبر

\* لقد أبدى عدد من قدماء اللغويين كالخليل وسيبويه وأبى على الفارسي وابن جنى ملاحظات كثيرة حول هذا الموضوع وكان ابن جنى أبينهم وأوسعهم نظرا وأوضحهم بحثا<sup>(٤)</sup>. . . ولكن ابن جنى لم يكن يعرف هذا الاسم (الاشتقاق الأكبر) الذي تناول مضمونه بالبحث والدراسة بل خص هذا الاسم - كما سبق - بالاشتقاق الكبير، وجعل حديثه عنه تحت عنوان "تصاقب الالفاظ لتصاقب المعاني" و"إمساس الالفاظ أشباه المعاني".

وقد تناول الموضوع أيضا ابن فارس معاصره ولم يسمه بذلك. . . بل جعل بحثه خاصا ببيان دوران المواد الثلاثية حول معنى واحد أو أكثر<sup>(٥)</sup> يتنوع تبعا للحرف الثالث، ومن المعاصرين لهما الحائمي الذي أطلق عليه اسم الاشتقاق الأكبر<sup>(٦)</sup>.

ويرجع الفضل في إيضاحه وكشف اللثام عن حقائقه إلى عالمنا ابن جنى الذي قال: إن "هذا غور من العربية لا يتتصف منه، ولا يكاد يحاط به وأكثر كلام العرب عليه، وإن كان غفلا مسهوا عنه"<sup>(٧)</sup> وأنه "موضع شريف لطيف، وقد نبه عليه الخليل وسيبويه، وتلقته الجماعة بالقبول له، والاعتراف بصحته"<sup>(٨)</sup> ولكن السكاكي ينسب هذا الفضل إلى شيخه الحائمي "فهو لم ير أحدا من مهرة

(١) الخصائص ١٢/١، ١٣.

(٢) نفسه ١١/١.

(٣) فقه اللغة للمبارك ٨٨.

(٤) نفسه ٦٨ والخصائص ١٥٢/٢.

(٥) انظر ص ٨٣٢-٨٣٤ من كتابنا.

(٦) المفتاح ص ٧.

(٧) الخصائص ١٤٥/٢.

(٨) نفسه ١٥٢/٢.

هذا الفن حام حوله على وجهه إلا هو<sup>(١)</sup>، والحقيقة أن فارس الحلبة هو ابن جنى ولم يكتمل عند غيره اكتماله عنده فهو أول من ناهض هذا البحث إتقاناً وتحلى بأسره افتناناً<sup>(٢)</sup>.

#### معنى الاشتقاق الأكبر،

يعرفه أستاذنا الدكتور نجما بأنه: "ما اتحد فيه المشتق والمشتق منه في بعض الحروف واختلفا في الباقي، وكان المختلف فيه متحدا مخرجا وصفة، مثل هتن المطر وهطل، ونعق ونهق، وامتعق لونه وانتقع، وأسود حالك وحانك<sup>(٣)</sup>، ويعرفه الأستاذ عبد الله أمين بأنه: انتزاع كلمة من كلمة بتغيير في بعض أحرفهما مع تشابه بينهما في المعنى، واتفاق في الأحرف الثابتة، وفي مخارج الأحرف المغيرة أو صفاتها أو فيهما معاً<sup>(٤)</sup>، وهو موافق تماماً لما أوضحه أستاذنا الدكتور نجما، ويجعله بعض الباحثين- المحدثين- كالدكتور وافي والدكتور الصالح- "ارتباط بعض مجموعات ثلاثية من الأصوات ببعض المعاني ارتباطا غير مقيد بنفس الأصوات، بل بنوعها العام وترتيبها فحسب، سواء أقيمت الأصوات ذاتها أم استبدل بها أو ببعضها أصوات أخرى، متفقة معها في النوع، والمراد بالاتفاق في النوع أن يتقارب الصوتان في المخرج، أو يتحدا في جميع الصفات ما عدا الإطباق، ومن أمثلة التقارب في المخرج امتنع لونه وانتقع وأسود حالك وحانك، وهديل الحمام وهديره، ومن أمثلة الاتفاق في الصفات ما عدا الإطباق ساطع وصاطع، وسقر وصقر، وغيرهما مما تتبادل فيه السين والصاد<sup>(٥)</sup>."

وقد أفاض ابن جنى في شرحه للاشتقاق الأكبر، ورتب عليه نتائج هامة من دوران المادة حول معنى واحد عام، واختلافها بتنوع الحروف المتبادلة، ومناسبتها لمعانيها الموضوعية لها، وسماء تقارب الحروف لتقارب المعاني- كما ذكرنا آنفاً- وقد

(١) المفتاح، ص ٧. (٢) تاريخ آداب العرب ١/ ٢٢٣.

(٣) فقه اللغة ٣/ ٤٩، ٤/ ٧٧، ٧٨ وانظر مجلة المجمع اللغوي ١٩٩/ ٢، ٢٠٠.

(٤) الاشتقاق، ص ٢، ومجلة المجمع اللغوي ١/ ٣٨٢، والمفتاح ٧.

(٥) فقه اللغة د. وافي ١٧٨، ١٧٩ ودراسات في فقه اللغة ٢٣٥، ٢٣٦.



فصل هذا التقارب، فجعله يحدث فى حرف واحد أو حرفين أو ثلاثة تتناول كل أصول الكلمات الفاء والعين واللام.

فمن الاول "قول الله سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤْزُهُمْ أَزًّا﴾ (٨٣) [مريم] أى تزعجهم وتقلقهم، فهذا فى معنى تهزهم هزا، والهمزة أخت الهاء فتقارب اللفظان لتقارب المعنيين<sup>(١)</sup> ومنه القَرَمَة وهى الفقرة تحزّ على أنف البعير، وقريب منه قلّمت أظفارى، لأن هذا انتقاص للظفر، وذلك انتقاص للجلد، فالراء أخت اللام، والعملان متقاربان، وعليه قالوا: الجرفة وهى من (ج ر ف) وهى أخت جلّفت القلم إذا أخذت جُلّفته، وهذا من (ج ل ف) وقريب منه الجنّف وهو الميل، وإذا جلّفت الشيء أو جرفته فقد أملتة عما كان عليه، وهذا من جنف<sup>(٢)</sup>، ومن ذلك تركيب (ح م س) و (ح ب س) قالوا: حبست الشيء وحبس الشر: إذا اشتد والتقاؤهما أن الشيتين إذا حبس أحدهما صاحبه تمانعا وتعارا، فكان ذلك كالشر يقع بينهما<sup>(٣)</sup>، ومنه العلب، الاثر والعلم: الشق فى الشفة العليا فذلك من (ع ل ب) وهذا من (ع ل م) والباء أخت الميم<sup>(٤)</sup>.

ومن عرض تلك الأمثلة يمكن إدراك أن الحرف الذى جرى فيه التبادل تارة يكون فى أول الكلمة وأخرى فى وسطها وثالثة فى آخرها.

وقد تقع المضارعة فى الأصل الواحد بالحرفين نحو قولهم السحيل والصهيل

قال..:

كَأَنَّ سَحِيلَهُ فِي كُلِّ قَبْجَرٍ عَلَى أَحْصَاءٍ يَمْوُودٍ دُصَاءٍ<sup>(٥)</sup>

وذلك من (س ح ل) وهذا من (ص ه ل) والصاد أخت السين كما أن الهاء أخت الحاء<sup>(٥)</sup> وقالوا: جلّف وجرم فهذا للقصّر وهذا للقطع، وهما متقاربان معنى متقاربان لفظا لأن ذاك من (ج ل ف) وهذا من (ج ر م)<sup>(٥)</sup>.

(٢) نفسه ١٤٨/٢ .

(١) نفسه ١٤٧/٢ .

(١) الخصائص ١٤٦/٢ .

(٤) الأحصاء جمع حصى وهو الرمل يكون فيه الماء ويموود: واد فى أرض غطفان، والسحيل - هنا -

(٥) نفسه ١٤٩/٢ .

نعم وتجاوزوا ذلك إلى أن ضارعوا بالأصول الثلاثة الفاء والعين واللام، فقالوا عصر الشيء وقالوا أزله: إذا حبسه، والعصر ضرب من الحبس، وذاك من (ع ص ر) وهذا من (أزل)، والعين أخت الهمزة، والصاد أخت الزاي، والراء أخت اللام<sup>(١)</sup>، وقالوا: الغدر كما قالوا الختل، والمعين متقاربان، واللفظان متراسلان، فذاك من (غ د ر) وهذا من (خ ت ل) فالعين أخت الخاء، والذال أخت التاء، والراء أخت اللام<sup>(٢)</sup>.

وقد يكون التقارب في الحروف والمعاني بين أكثر من كلمتين كما في سهل وسحل وزحر ورأر<sup>(٣)</sup> وعلى أساس هذا الاشتقاق الأكبر بنى ابن جنى مناسبة الحروف للمعاني والأحداث المعبر بها عنها، وسنشرح ذلك في النتائج التي توصل إليها.

وكذلك كان حديث ابن فارس معاصره فمثلاً: يجعل القاف والطاء وما يثلثهما تدور حول معنى القطع، فهو موجود في (قطع) الذي يدل على صرم وإبانة شيء من شيء<sup>(٣)</sup>، و(قطف) الذي يدل على أخذ ثمرة من شجرة<sup>(٤)</sup> و(قطل) الذي يدل على قطع الشيء<sup>(٤)</sup>، و(قطم) الذي يدل على قطع الشيء أيضاً<sup>(٤)</sup>، فالحروف التي زادت على القاف والطاء خصصت معنى القطع ونوعته فظهرت بواسطتها المعاني التي ذكرها من الصرم والإبانة والأخذ وقد تناسبت تلك الحروف مع المعاني التي تدل عليها شدة وغلظة، وباب الفاء والراء وما يثلثهما يرجع إلى معنى التمييز والإفراد وهو في (فرج)<sup>(٥)</sup> تفتح وشق وفي (فرد)<sup>(٦)</sup> يعنى التوحد وفي (فرز)<sup>(٧)</sup> يعنى عزل الشيء عن غيره وفي (فرس)<sup>(٧)</sup> يقصد منه الدق وفي (فرص)<sup>(٨)</sup> بمعنى اقتطاع شيء عن شيء وفي (فرض) بمعنى تأثير شيء في شيء من حز أو غيره وفي (فرط)<sup>(٩)</sup> بمعنى إزالة شيء عن مكانه وتنحيته عنه وفي (فرق)<sup>(١٠)</sup> بمعنى التمييز والتزييل بين شيئين . . . وكل ذلك بسبب الحرف الثالث الذي نوع المعنى على النحو الذي رأيناه.

- |                  |                        |                      |
|------------------|------------------------|----------------------|
| (١) نفسه ١٥٠ / ٢ | (٢) نفسه ١٤٩ / ٢ ، ١٥١ | (٣) المقاييس ١٠١ / ٥ |
| (٤) نفسه ١٠٣ / ٥ | (٥) نفسه ٤٩٨ / ٤       | (٦) نفسه ٥٠٠ / ٤     |
| (٧) نفسه ٤٨٥ / ٤ | (٨) نفسه ٤٨٥ / ٤       |                      |
| (٩) نفسه ٤٩٠ / ٤ | (١٠) نفسه ٤٩٤ / ٤      |                      |

وقد سار الحائمي على هذا النحو في بيانه للاشتقاق الأكبر، وما ذكره من الأمثلة أن تنتقل بالحروف إلى ما يجانسها في (قط) التي تنوع إلى: قطب وقطف وقطع وقطل وكلها تتضمن معنى القطع، ويجانس (قط) (قص) ومنها قصم وقصل وقصف وقصر وهي تفيد معنى القطع في جميعها، ويجانس (قص) (قصر) ومنها قص وقاض وقضم وقضب وقضع، ويجانس (قصر- كس) ومنها كس وكسر وكسع وكسم ويجانس (قص- جذ) ومنها جذ وجذب وجذف وجذم، ويجانس (جذ- جز) ومنها جز وجزأ وجزر وجزع وجزم وجميعها تشترك في القطع<sup>(١)</sup>. ونظن بأن قانون الاشتقاق الأكبر سرى عند الحائمي من المشجرات اللغوية التي أفردها اللغويون بالتأليف<sup>(٢)</sup>.

والاشتقاق الأكبر يقوم على الإبدال<sup>(٣)</sup> وقد أوضح المحدثون هذه الحقيقة- على ضوء ما ذكره ابن جنى ومتابعوه- فقدروا أن الصور المتبادلة قد تطور بعضها عن بعض تطورا صوتيا، وقد فصلنا الحديث عن أسس الإبدال وقوانينه في فصل خاص من كتابنا.

ومن هنا ندرك أن عالمنا ابن جنى يعد المبتكر للاشتقاق الأكبر لأنه قد أجراه في مواد تتقارب فيها الحروف المغيرة، ولم يأت بحروف متباعدة المخارج، أما غيره كابن فارس والحائمي فلم تتكامل تلك الفكرة عندهما فابن فارس لم يكن يؤمن بدوران المواد حول معنى واحد- على طريقة الاشتقاق الكبير - بل كان يقصر بحثه على الاشتقاق الصغير الذي يتمثل في دوران المادة حول أصل أو أصلين أو أكثر، وجمع في كتابه كلمات تحوى حرفا ثالثا لا يتفق مع ما يقابله في كل كلمة مخرجا أو صفة، بل إذا اتفق مرة اختلف مرات، كما رأينا في باب القاف والطاء وما يثلثهما، فقد جمع بين العين وهي حلقية والميم والفاء وهما شفويتان واللام وهي لسانية، وكذلك الصاد والسين، وكذلك الحائمي من أمثله كلمات تختلف في

(١) المفتاح ص ٧ ومقدمة لدرس لغة العرب ٢٠٧. (٢) مقدمة لدرس لغة العرب ٢٠٧.

(٣) دراسات في فقه اللغة (٢٣٨).

الحرف المتنوع للمعنى مخرجا وصفة كمادة قصم وقصر وقضم وقضع وكسع وكسم<sup>(١)</sup>، ولكننا لا نجد مثل هذا الخلل عند ابن جنى، فكل المواد التي يعرضها عما تقاربت حروفها المتنوعة للمعاني مخرجا أو صفة بل هو حريص على ذلك كل الحرص، ومن هنا كان عنوان حديثه في نفس الموضوع (تصاقب الالفاظ لتصاقب المعاني) و(إمساس الالفاظ أشباه المعاني).

وقد استطاع عالمنا ابن جنى أن يثبت رسوخ قدمه في ابتكار قواعد الاشتقاق الأكبر، وأن يبين طرائقه في اللغة، وأن يثبت -على إثرها- القيمة التعبيرية للحرف العربي كما سيأتي.

وتكتفى بأن تذكر ما قاله عن أثر وهز -إذ ستعود إلى الموضوع بالتفصيل إن شاء الله تعالى- قال: كأنهم خصوا المعنى (تزعجهم وتقلقهم) بالهمزة لأنها أقوى من الهاء، وهذا المعنى أعظم في النفوس من الهز لأنك قد تهز ما لا بال له كالخضوع وساق الشجرة ونحو ذلك<sup>(٢)</sup>، ومنه العسف والأسف والعين أخت الهمزة، كما أن الأسف يعسف النفس ويتل منها، والهمزة أقوى من العين، كما أن أسف النفس أغلظ من التردد بالعسف، فقد ترى تصاقب اللفظين لتصاقب المعنيين<sup>(٣)</sup>.

وهذا النحو من الصنعة موجود في أكثر الكلام وفرش اللغة، وإنما بقي من يشبهه، ويبحث عن مكنونة، بل من إذا أوضح له وكُشفت عنده حقيقة طابع طبعه لها، فوعاها وتقبلها، وهيئات ذلك مطلبا وعز فيهم مذهبها، وقد قال أبو بكر: من عرف ألف، ومن جهل استوحش<sup>(٤)</sup>.

وإن هذا اللون من الاشتقاق الذي توصل إليه ابن جنى -بجانب الاشتقاقين الصغير والكبير- للنوع فائدة لغوية كبيرة، ونتائج عظيمة تفيدنا في إثبات حقائق علمية كبيرة الأهمية، بل فتحت المجال أمام الباحثين المحدثين لاكتشاف أسرار العربية على ضوئها، وتلك النتائج تتعلق بدوران المادة العربية حول معنى واحد، ومدى ثنائية العربية أو ثلاثيتها منذ نشوئها، ومناسبة حروفها لمعانيها، وهذه مزايا

(١) انظر الصفحة السابقة من كتابنا.

(٢) الخصاص ١٤٦/٢.

(٣) نفسه ١٥٢/٢.

لها أثرها وخطرهما اللغوي، وكما يقول الأستاذ فندريس: فإن "اشتقاق الألفاظ منفردة لا فائدة منه في حد ذاته، فالحالة الخاصة مهما تكن ثابتة علمياً ليست إلا ملهأة يتسلى بها، إذا لم يستخرج منها مبدأ عام يستطاع تطبيقه على حالات أخرى، ونحن نعلم أنه يوجد من بين الاشتقاقات حالات كثيرة لا تؤدي إلى نتائج عامة... فالعالم اللغوي لا يهتم بالاشتقاق إلا ليجمع أكبر عدد ممكن من العمليات المعنوية المتشابهة بقصد أن يستخرج منها القوانين العامة التي بمقتضاها يتطور معنى الكلمات<sup>(١)</sup>.

### النتائج التي توصل إليها

يعد ابن جني الباحث اللغوي العبقرى الذي أزال الحجب عن قانون الاشتقاق، وآفاقه العربية البعيدة، فما كان المشتغلون باللغة ليعرفوا شيئاً ذا بال عن المواد العربية التي تتلاقى في إطار واحد، وتتجانس، وتتشاكل، إلى حد يمكن منه معرفة الشقيق والقريب والدخيل، ويمكن منه معرفة نشوء اللغة، وكيف تطورت معالم ألفاظها، ومعانيها، وارتباطها بعضها ببعض، وإن أصحاب المعاجم لم يكونوا يلقون الضوء الكافي على تلك الحقائق، وإنما اشتغلوا بطريقة جمع الألفاظ دون بيان للصلات بينها، وكما يقول أستاذنا الدكتور (نجما): "إن الباحث في اللغة يجد المعاجم اللغوية تذكر المادة اللغوية، وما تدل عليه من معان، ولكنها لا تبرر ما بين تلك المعاني من أواصر وصلات<sup>(٢)</sup>" وهذا الاكتشاف العجيب كان من مبتكرات ابن جني وتفصيلات بحوثه، فاللغة العربية وإن اتسمت بهذه السمة التي لم تتوافر لغيرها من اللغات لم نجد من يوضح تلك الحقائق فيها بمثل ما حظيت بلقاء ابن جني وبحوثه، وقد أدرك هذا العالم الكبير ميزة الاشتقاق في العربية، باستعراضه المواد اللغوية والتطبيق العملي عليها، فاستطاع أن يصل إلى نتائج لها أهميتها العلمية في القديم والحديث، ونحن نلخص تلك النتائج في ثلاث نقاط، ثم نفصل القول فيها، وهي: دوران المادة حول معنى واحد - الصلات بين الألفاظ ومدلولاتها - إلقاء الضوء على ثنائية اللغة منذ نشأتها.

(١) اللغة ٢٤٩، ٢٥٠.

(٢) فقه اللغة ١/ ٧٠.



## (١) دوران المادة حول معنى واحد

لقد قرر أستاذنا الدكتور نجما أن "دوران المادة حول معنى واحد مميزة للغة العرب لا توجد في غيرها من اللغات" (١).

«فاللفاظ العربية وما يتولد منها تتجمع تجمع أسر العرب وقبائلهم» (٢) والاشتقاق يكشف عن هذه الحقيقة، فلو تتبعنا مادة معجمية ودرسناها وأمعنا النظر في المعاني التي تدل عليها ألفاظها لوجدناها "ترتبط" بمعنى عام يشمل هذه المعاني، ويعد مركزاً لها تتفرع عنه وتدور حوله (٣).

والطريق الأول: هو طريق الاشتقاق الأصغر، ومما ذكره ابن جنى منه مادة (سلم) وتصرفاتها فإنها تدور كلها حول معنى السلامة (٤) وكذلك مادة ضرب وزيل إلخ (٥)، والطريق الثاني: هو طريق الاشتقاق الكبير، ومبدعه هو ابن جنى، وقد سماه بالأكبر على ما سبق، ومن أمثله: مادة (ج ب و) وتقلباتها التي قال: إنها تدور حول القوة والشدة (٦) وكذلك مادة (ق س و) التي قال: إنها مع تقلباتها تدور حول الاجتماع والقوة (٧) ومادة (س م ل): وتقلباتها التي قال إنها تدور حول الإصحاب والملاينة.

يقول: ومن ذلك تقلب (س م ل) (س ل م) (م س ل) (م ل س) (ل م س) (ل س م) والمعنى الجامع لها المشتمل عليها الإصحاب والملاينة ومنها الثوب السمل: وهو الخلق وذلك لأنه ليس عليه من الوبر والزئبر ما على الجعيد، قاليد إذا مرت عليه للمس لم يستوقفها عنه جلة المسح ولا خشة للمس، والسمل: الماء القليل، كأنه شيء قد أخلق وضعف عن قوة المضطرب وجمة المرتكض ولذلك قال:

(١) نفسه، ٧٠ / ١.

(٢) فقه اللغة للمبارك ٥٤.

(٣) انظر ص ٨٣٢ من كتابنا.

(٤) انظر ص ٨٤٠ من كتابنا.

(٥) الخصائص ١٣٦ / ٢، ١٣٧ وانظر ص ٨٤٢ من كتابنا.

حوضاً كأنَّ ماءه إذا عَسَل من آخر الليل رُويزى سَمَل<sup>(١)</sup>

وقال آخر :

ورَاد أسمال المياه السُدْم في أخريات الغَبشِ المَغَم<sup>(٢)</sup>

ومنها السلامة وذلك أن السليم ليس فيه عيب تقف النفس عليه ولا يعترض عليها به، ومنها المسَل والمَسِيل كله واحد، وذلك أن الماء لا يجري إلا في مذهب له وإمام منقاد به، ولو صادف حاجزا لاعتاقه فلم يجد متسربا معه، ومنها الأملس والملساء وذلك أنه لا اعتراض على الناظر فيه والمتصفح له، ومنها اللمس وذلك أنه إن عارض اليد شيء حائل بينها وبين الملموس لم يصح هناك لمس، فإنما هو إهواء باليد ونحوه، ووصول منها إليه لا حاجز ولا مانع، ولا بد مع اللمس من إمرار اليد وتحريكها على الملموس، ولو كان هناك حائل لاستوقفت به عنه، ومنه الملامسة «أَوَلَامَسْتُمُ النِّسَاءَ...» [المائدة] أى جامعتم، وذلك أنه لا بد هناك من حركات واعتمال، وهذا واضح، فأما (ل س م) فمهمل، وعلى أنهم قد قالوا نسمت الريح: إذا مرت مرا سهلا ضعيفا، والنون أخت اللام.... ومر بنا أيضا السمت الرجل حجته: إذا لقتته وألزمته إياها قال:

لا تُلْسِمَنَّ أَبَا عِمْرَانَ حُجَّتَهُ ولا تَكُونَنَّ لَهُ عَوْنًا عَلَى عُمَرَا

فهذا من ذلك أى: سهلتها وأوضححتها<sup>(٣)</sup>.

(١) عمل الماء عملا وعسلًا: حركته الريح فاضطرب وارتفعت حُبكه، أنشد ثعلب: قد صَبَحَتْ والظل غَضُ ما رَجُل - حوضاً كأن ماءه إذا عَسَل - من نافض الريح رُويزى سَمَل. الرويزى: ثوب أخضر والسمل: الخلق، وإنما شبه الماء في صفائه بخضرته، وجعله سَمَلًا، لأن الشيء إذا أخلق كأن لونه اعتق. اللسان ٧/٢٢٥، ١٣/٣٦٧، ٤٧٣.

(٢) السَمَلَة: بقية الماء في الخوض، وجمعه أسمال وسَمَل وسُمُول - السُدْم جمع سدوم كرسول، والأصل فيه: الثقل، وماء سدوم: مندفن غائر - الغَبش: ظلمة آخر الليل مما يلي الصبح، وقيل: هو حين الصبح - المَغَم: ذو الغيم، وقيل: هو إذا كان يأخذ بالنفس من شدة الحر. اللسان ٨/٢١٣، ١٣/٣٦٨، ١٥/١٧٦، ٣٣٩.

(٣) الخصائص ٢/١٣٧، ١٣٨.

والطريق الثالث هو طريق الاشتقاق الأكبر، وقد أورد له أمثلة كثيرة مثل أرّ وهزّ، وسحل وصهل وزار، وهذا البحث أيضا من مبتكرات ابن جنى التى وضعها تحت عنوان (تصاقب الالفاظ لتصاقب المعانى)<sup>(١)</sup> وقد أوضح استاذنا الدكتور نجما ما هدف إليه ابن جنى فيما سبق وهو : أن المعنى العام فى أرّ وهزّ متحقق وهو التحريك، وإن اختلفت الحركة فى كل منهما فالأول تحريك ما له حركة كقوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَلْزُمُهُمْ أُزًّا﴾ [مريم] أى تحركهم إلى المعاصى وتخريبهم بها والثانى تحريك ما لا حركة له كقوله تعالى ﴿وَهَزِيْ إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقُطُ عَلَيْكَ رُطْبًا غِيَّا﴾ [مريم] ولذلك خصت الأولى بالهمزة، والثانية بالهاء لتناسب تنوع المعنى، والاتفاظ الثلاثة الأخرى تدل على الصوت إلا أنه مختلف فى نوعه، فالأول للبغل والثانى للفرس والثالث للأسد، ولذا خص كل صوت بما يناسبه من السين فى الأول والصاد فى الثانى والزى فى الثالث<sup>(٢)</sup>.

وعما ذكره ابن جنى فى ذلك أيضا: أن العرب قد استعملوا تركيب (ج ب ل) (ج ب ن) (ج ب ر) لتقاربها فى موضع واحد، وهو الالتئام والتماسك، ومنه الجبل لشدة وقوته، وجبن إذا استمسك وتوقف وتجمع، ومنه جبرت العظم ونحوه أى قوته<sup>(٣)</sup>. وقالوا: صال يصول كما قالوا سار يسور، وقالوا الأزم: المنع والعصب: الشدة، فالمعنيان متقاربان، والهمزة أخت العين والزى أخت الصاد والميم أخت الباء وذلك من (أزم) وهذا من (ع ص ب).

ومن ذلك ندرك أن اللغة العربية تمتاز بدوران موادها وتقلباتها حول معنى واحد، سواء كان ذلك عن طريق الاشتقاق الصغير أو الكبير أو الأكبر، ونظرية ابن جنى تلك هى التى أوحى إلى المحدثين بسلوك هذا السبيل، وتحقيق النتائج اللغوية الموفقة من طرائقه فقد أدركوا أنه 'ليس فى الذهن كلمة واحدة منعزلة، فالذهن يميل دائما فى جمع الكلمات إلى اكتشاف عرى جديدة تجمع بينها،

(١) انظر ص ٨٥١، ٨٥٢ من كتابنا.

(٢) فقه اللغة ٧٦/٤، ٧٧ والخصائص ١٤٦/٢. (٣) انظر الخصائص ١٤٩/٢.

والكلمات تتشبه دائما بعائلة لغوية بواسطة دوال المعنى أو دوال النسبة التي تميزها، أو بواسطة الأصوات اللغوية التي تتركب منها لا أكثر من ذلك، فنحن نشعر بأن الكلمات إعطاء، عطية، عطاء، معط، معطى... إلخ عائلة قائمة بذاتها تتميز بعنصر مشترك هو الأصل (ع ط ي) مهما تنوع معاني المشتقات<sup>(١)</sup>، كما أدركوا أنها من ميزات لغة العرب، ولا تتمتع اللغات الأخرى بمثلها؛ ففي الفرنسية كلمات مثل canine<sup>(٢)</sup> و chien<sup>(٣)</sup> لا يوجد ما يدل على أنهما من أصل واحد، وكذلك capitaine<sup>(٤)</sup> و chef<sup>(٥)</sup> لهما أصل معنوي واحد، ولا يرجعان إلى مادة واحدة، مع أنهما يرجعان إلى كلمة caput اللاتينية ومعناها الرأس<sup>(٦)</sup> وكلمتا أخ وأخت ترجعان إلى مادة (أخو) في العربية على حين نجداهما مختلفتين لا رابط بينهما في اللغات الأجنبية فهما في الفرنسية frere و saeur وفي الإنجليزية prother و sister<sup>(٧)</sup> ومثل هذه الأمثلة كثيرة.

ومن هنا كان للعربية ذلك الانفراد، فالفاظها وحدة متماسكة لا مفككة، ولذلك نستطيع أن نقول عنها: إن ارتباطها حيوي، وإن طريقتها توليدية وليست آلية جامدة كاللغات الأخرى<sup>(٨)</sup>.

والاشتقاق بهذا الدوران يمكن أن تتضح به معاني الكلمات، فكلمة سماء من (س م و) وشتى جمع شتيت من (ش ت ت) إلخ<sup>(٩)</sup>. ومن طريقه يمكن فهم اللغة والتفقه فيها وفهم أسرارها، والدخول في عالمها الخاص بهذا الربط المعنوي، فيمكن معرفة الأصل والدخيل من الكلمات، فكلمة المقاليد بمعنى المفاتيح قد يظن الناظر من غير بحث أنها عربية من مادة (قلد) وهو ظن خاطئ يكشف عنه البحث

(١) اللغة ٢٣٢. (٢) ما يتعلق بالكلب كمعاده أو نحو ذلك.

(٣) كلب. (٤) رئيس جنود - رئيس فريق كرة... إلخ.

(٥) رئيس مصلحة - رئيس حكومة... إلخ. (٦) فقه اللغة للمبارك ٥٤.

(٧) خصائص العربية ومنهجها الأصل «للمبارك» ٢٩. وانظر كتابنا: العربية خصائصها وسماتها، ط ٤، ص ٢٧٠.

(٨) فقه اللغة للمبارك ٦٢. (٩) نفسه ٦٣.

الاشتقاق التاريخي، وبذلك يستطيع الباحث أن ينقب عن أصلها، ويعرف منشأها في اللغات الأخرى، فيقف على حقيقتها وهي أنها جمع (إقليد) وأصلها يوناني وهو Kleide<sup>(١)</sup>.

وذلك الدوران يفيد كذلك في إدراك الأحوال الاجتماعية للأمة التي تنطق باللغة، كالصفقة والعقد واليمين، فهي تدل على عادات عربية قديمة، بل قد يكشف عن عقليات الأمم ومفاهيمها، كما في اشتقاق الصديق والعدو في العربية وغيرها وقد ذكرناه فيما مضى<sup>(٢)</sup>، فالاشتقاق هو الجسر الموصل بين اللغة والحياة الفكرية والاجتماعية، والصلة بين التعبير والتفكير والعمل أو العادة عند الأمم<sup>(٣)</sup>. وإذا كان لدوران المواد حول معنى واحد هذه القيمة اللغوية والاجتماعية وإذا كانت كذلك لغتنا العربية تمتاز بها فهل هي مطردة في كل مواد اللغة أو لا؟.

يجيب على ذلك عالمنا ابن جنى فيقول: إنا لا ندعي أن هذا مستمر في جميع اللغة (وهذا في الاشتقاق الكبير) كما لا ندعي للاشتقاق الأصغر أنه في جميع اللغة بل إذا كان ذلك الذي هو في القسمة سدس هذا أو خمسه متعذرا صعبا كان تطبيق هذا وإحاطته أصعب مذهباً وأعز ملتصقاً<sup>(٤)</sup> وقال: إن هذه الطرائق التي نحن فيها حزنة المذاهب والتورّد لها وعر المسالك<sup>(٥)</sup>، ويقول: إن هذا النحو من الصنعة موجود في أكثر الكلام وفرش اللغة، وإنما بقي من يشيره، ويبحث عن مكنونه<sup>(٦)</sup>، ولهذا لا يعد ابن جنى من المبالغين في الاشتقاق بل من المعتدلين فيه<sup>(٧)</sup>، وإنما كانت هذه الطرائق حزنة المذاهب والتورّد لها وعر المسالك - على حد تعبير ابن جنى - لأن المواد - كما يقول أستاذنا الدكتور نجما - قد يصعب إيجاد الصلات بين معانيها ويرجع ذلك لأمور كثيرة منها.

(١) نفسه ٦٠ وليس في العربية مادة (سردق) حتى نظن السراشق مشتقا منها ولا مادة (سبرق) حتى نحسب الإستبرق متفرعا عنها ولا (ستلس) حتى نخال السنلس مقبلا عليها. دراسات في فقه اللغة ١٩٣.

(٢) انظر ص ٧٧٩ من كتابنا. (٣) فقه اللغة للمبارك ٦٤.

(٤) الخصائص ١٣٨/٢. (٥) نفسه ١١/١.

(٦) نفسه ١٥٢/٢. (٧) دراسات في فقه اللغة ٢٠٦.



١- يرجع بعض المعانى إلى حوادث وعادات درست أولا تتصل بحياتنا وما يجرى فيها، فمثلا (بنى على أهله): دخل بها أو زفها والتناسب غير ظاهر بين معنى البناء وهذا المعنى، وأصل الاستعمال أن المعرس كان يبنى على أهله خباء، فحصل اللبس من حذف المفعول، وتناسى المعنى الاصلى حتى إنهم عدوه بالباء ومن ذلك قولهم: (رفع عقيرته) إذا صوت، قال ابن جنى: فلو ذهبت تشتق هذا بأن تجمع بين معنى الصوت ومعنى (ع ق ر) لبعد عنك وتعسفت، وأصله أن رجلا قطعت إحدى رجله فرفعها ووضعها على الأخرى، ثم صرخ بأعلى صوته، فقال الناس: رفع عقيرته.

٢- أن تدخل مادة فى أخرى بعوامل التغيير، فيقع فى ذهن الناظر أن المادة مشتركة بين المعنيين، والذي دل على المعنى الآخر مادة أخرى خرجت عن وضعها، وبرزت فى صورة مادة أخرى. ومن ذلك مادة (ن وص) فأصل المادة يرجع إلى التأخير والفرار، وقد وجد فيها النوصة: الغسلة ولا صلة لها بالمعنى السابق، وذكر الأزهري أن النوصة أصلها: الموصة فأبدلت الميم نونا، وبهذا يكون معنى المادة الأصلية واحدا، ومن ذلك التراث بمعنى المال الموروث، فما لم نعرف أن التاء منقلبة عن الواو لم يتيسر لنا فهم هذه الصلة.

٣- أن تكون المادة مشتركة بين عدة معان، أو يكون اللفظ موضوعا لمعنيين على جهة التضاد.

٤- أن يكون اختلاف المعانى راجعا إلى اختلاف اللغات، فلا يمكن أن نصل إلى رجوع هذه المعانى إلى معنى عام، ومن ذلك السامد فهو فى لغة اليمن: اللاهى، وفى لغة طيئ الحزین، والوثب فى لغة سائر العرب: القفز، وفى لغة حمير: الجلوس<sup>(١)</sup>.

وإذا كانت تلك الأسباب وغيرها تبعد فهم صلات المعانى فى المواد اللغوية فليس للباحث أن يتوكل دون بذل الجهد الجهيد للتوصل إليها، فالمعنى العام- كما

(١) فقه اللغة د. نجا ٧٢/٤ - ٧٤ ، ود. العزاي ٢٢٧-٦٣٢.

يقول أستاذنا الدكتور نجا - أمر مبنى على الحيلة والتلطف فى استنباطه واستخراجه<sup>(١)</sup>. وكما يقول عالمنا ابن جنى "إنك إن أنعمت النظر ولاطفته وتركت الضجر وتحاميته لم تكد تعدم قرب بعض من بعض، وإذا تأملت ذاك وجدته بإذن الله<sup>(٢)</sup>، ولكن ليس معنى ذلك أن يفرق الباحث فى طلب التوافق، وتوحد المعنى إلى حد المشقة والتكلف، حتى لا يقع فيما وقع فيه بعض اللغويين الذين تكلفوا للاشتقاق، وارجاع الالفاظ إلى المعانى، كما حكى أن الزجاج سئل عن المجرة. لم سميت مجرة؟ فقال: لأن الله جرها فى السماء جراً. وقد سمع الأخفش يقول: اشتقاق الدكان من الدكدك وهى أرض فيها غلظ وانبساط، ومنه اشتقاق ناقة دكاه إذا كانت مفترشة السنام فى ظهرها أو مجبوتة<sup>(٣)</sup>.

## (٢) الصلات بين الالفاظ ومدلولاتها

كشف عالمنا الفيلسوف عن مبادئ علمية تشير إلى النشأة الأولى للغة الإنسان متمثلة فى لغتنا العربية، التى تمثل أقدم لغات العالم كما يقول الأستاذ العقاد<sup>(٤)</sup>، فقد لمح اتصال العربية بالطبيعة تحاكيا وتخطو فى طريقها، وتمثلها فى كل حركاتها وسكناتها فحروفها المفردة، وكلماتها المركبة صنعت على سمتها واقتبست أصواتها من ملامستها، وقد أبان عالمنا عن صلة أصوات اللغة العربية بما تدل عليه من معان وضعت لها، وخصت بالدلالة عليها.

وقبل أن نعرض نتائج هذا البحث التى توصل إليها ابن جنى نود أن نذكر موقف القدماء من الربط بين اللفظ ومدلوله.

لقد اختلف العلماء من قديم حول دلالة اللفظ على المعنى بذاته أو بوضع الله أو الناس له، وكان لمفكرى اليونان والرومان<sup>(٥)</sup>. ومفكرى العرب<sup>(٦)</sup> أيضا وقفة عند هذه المشكلة وهم فريقان:

(١) فقه اللغة ٧٠ / ٤ . (٢) الخصائص ١٣ / ١ .

(٣) المزهر ط. الأولى ١٦٨ / ١ وانظر ط صبيح عن المجرة ٢٠٦ / ١ وعن الدكان ٢٠٥ / ١ وانظر ص

٨٤٨ من كتابنا. (٤) أشنتات مجتمعات ١٦ ، ١٧ .

(٥) من أسرار اللغة ( ط ٣ ) ١٢٦ ودلالة الالفاظ، د. أنيس ٥٨ .

(٦) المزهر ط صبيح ١٠ / ١ ، ١١ وفقه اللغة للمبارك ١٦٢ .

١- فريق يرى أن الصلة بين الألفاظ والدلالة لا تعدو أن تكون صلة اصطلاحية عرفية تواضع عليها الناس<sup>(١)</sup>.

٢- وفريق يربط بين الألفاظ ومدلولاتها ربطا وثيقا، ويجعلها سببا طبيعيا للفهم والإدراك، فلا تؤدي الدلالة إلا به، ومن أجل هذا كانوا يطلقون على الصلة بين اللفظ ومدلوله (الصلة الطبيعية أو الذاتية) ونلاحظ هذا الاتجاه من التفكير فيما يرويه أفلاطون في محاوراته عن أستاذه سقراط الذي كان فيما يبدو يميل إلى هذا الرأي<sup>(٢)</sup>.

ولكن المفكرين اليونان والرومان القائلين بهذا الرأي لم يجدوا ما يسوغ وجهتهم في اللغة اليونانية أو الرومانية، بحيث لم يستطيعوا أن يشبثوا الصلة بين الألفاظ والمدلولات بأمثلة من الكلمات اللغوية عندهم، لعدم ظهور ما تتحقق فيه تلك المناسبة، ومن هنا سوغوا وجهتهم بأن خفاء الربط بين الدلالة والأصوات ليس مرجعه إلى عدم صحة تلك النظرية، بل "إن الكلمة حين وضعت أولا وفي نشأتها كانت أصواتها وثيقة الصلة بمدلولها، ثم انحرفت عن هذا مع توالي الأيام، وأصبحنا لا نكاد ندرك تلك الصلة، وقد مرت آلاف السنين أو (ملايينها) قبل أن يصل الكلام الإنساني إلى اليونان والرومان على الصورة التي عرفت في أيامهم"<sup>(٣)</sup>.

ومن علمائنا العرب الأقدمين من كان يقول بالأول ومن كان يقول  
بالثاني<sup>(٤)</sup>، وقد أوضح عالمنا ابن جنى أن "المناسبة الطبيعية بين اللفظ ومدلوله قد تنبه لها علماء اللغة القدامى كالخليل وسيبويه<sup>(٥)</sup> فقال في أول الباب الذي تحدث فيه عن المناسبة المذكورة وعنوانه (باب في إمساس الألفاظ أشباه المعاني): اعلم أن هذا موضع شريف لطيف، وقد نبه عليه الخليل وسيبويه، وتلقته الجماعة بالقبول

(١) دلالة الألفاظ د أنيس ٥٨، ٥٩.

(٢) من أسرار اللغة، ط٣، (١٢٦، ١٢٧) ودلالة الألفاظ د أنيس ٥٩.

(٣) فقه اللغة للمبارك ١٦٨ ودلالة الألفاظ د أنيس ٦٠.

(٤) دراسات في فقه اللغة ١٥٧.

له والاعتراف بصحته<sup>(١)</sup>. ويقول السيوطي: وأما أهل اللغة والعربية فقد كادوا يطبقون على ثبوت المناسبة بين الألفاظ والمعاني<sup>(٢)</sup>.

ولكن يبدو أن علماء العرب الذين قالوا بالمناسبة بين اللفظ ومدلوله لم يكونوا كلهم على وفاق من رأى علماء اليونان والرومان السابق، في كون تلك المناسبة طبيعية ذاتية، بل كان منهم من لا يرى ذلك ومن يراه، وينقل لنا العلماء أن الذى كان يقول بأن المناسبة طبيعية بين اللفظ ومدلوله - كاليونان والرومان - هو عباد بن سليمان الصيمري المعتزلي، وبعض العلماء الذين اتبعوه، فكان عباد يرى "أن بين اللفظ ومدلوله مناسبة طبيعية حاملة للواضع على أن يضع، قال: وإلا لكان تخصيص الاسم المعين بالمسمى المعين ترجيحاً من غير مرجح<sup>(٣)</sup> وكان بعض من يرى رأيه يقول: إنه يعرف مناسبة الألفاظ لمعانيها، فستل ما مُسمى (أذغاغ)؟ وهو بالفارسية الحجر، فقال: أجد فيه ييسا شديداً وأراه الحجر<sup>(٤)</sup> أما غير عباد وطائفته من القائلين بثبوت تلك المناسبة فلم يكونوا يرونها ذاتية موجبة كهؤلاء "فالفرق بين مذهبهم ومذهب عباد أن عباداً يراها ذاتية موجبة بخلافهم، وهذا كما تقول المعتزلة بمراعاة الأصلح في أفعال الله تعالى وجوباً، وأهل السنة لا يقولون بذلك، مع قولهم إنه تعالى يفعل الأصلح لكن فضلاً ومنة لا وجوباً ولو شاء لم يفعله<sup>(٥)</sup>، "فمعظم العرب لا يأخذون بهذا الرأي"<sup>(٥)</sup>.

ولكن عالمنا ابن جنى أغرم بتلك الصلة بين الألفاظ ومعانيها، فربط بينها "ربطاً وثيقاً يكاد يشبه الصلة الطبيعية أو الذاتية"<sup>(٥)</sup>، حتى ليوشك أن ينضم إلى أصحاب هذا الرأي، ونتائج أبحاثه العلمية الرائدة مهدت للمحدثين من الغرب والشرق الطريق للوصول إلى نتائج أخرى في هذا المبدأ. وتتلخص نتائج بحوثه في هذا الموضوع في نقطتين: الأولى تتعلق بأصوات الحروف مفردة ومركبة،

(١) الخصائص ١٥٢/٢.

(٢) المزهر، ط. صبيح ٣١/١ وانظر تاريخ آداب العرب ١٧١/١.

(٣) نفسه ط صبيح ١١/١، ٣١.

(٤) نفسه ٣١/١. (٥) دلالة الألفاظ د أنيس ٦٠.

والصلة بينها وبين المعانى الموضوعه له، والثانية تتعلق ببعض الصيغ التى وضحت فيها الصلة السابقة.

فبالنسبة للنقط الأولى: أثبت عالمنا عن طريق بحثه للاشتقاق الكبير والاكبر أن للحرف الواحد قيمة تعبيرية تعد "وظيفة الحرف المعنوية"<sup>(١)</sup>. "فكل حرف يستقل ببيان معنى خاص مادام يستقل بإحداث صوت معين، وكل حرف له ظل وإشعاع إذ كان لكل حرف صدى وإيقاع"<sup>(٢)</sup>، كما أثبت القيمة نفسها للصوت المركب<sup>(٣)</sup>.

وبالنسبة للحرف الواحد أثبت تلك القيمة، سواء كان الحرف واقعا فى أول الكلمة أو فى وسطها أو فى آخرها.

أ - فمن الكلمات التى يوجد فيها الحرف أولا: خضم وقضم فالخضم لاكل الرطب كالبطيخ والقشء وما كان نحوهما من المأكول الرطب، والقضم للصلب اليابس، نحو قضمت الدابة شعيرها ونحو ذلك، وفى الخبر (قد يدرك الخضم بالقضم) أى قد يدرك الرخاء بالشدة واللين بالشطف... فاختاروا الخاء لرخاوتها للرطب والقشء لصلابتها لليابس حذوا لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث<sup>(٣)</sup> ومن ذلك قولهم: صعد وسعد فجعلوا الصاد لأنها أقوى لما فيه أثر مشاهد يرى وهو الصعود فى الجبل والحائط ونحو ذلك، وجعلوا السين- لضعفها- لما لا يظهر ولا يشاهد حسا، وبعبارة أخرى: فجعلوا الصاد لقوتها مع ما يشاهد من الأفعال المعالجة المتجشمة، وجعلوا السين لضعفها فيما تعرفه النفس وإن لم تره العين، والدلالة اللفظية أقوى من الدلالة المعنوية<sup>(٤)</sup>، ومن ذلك أيضا: سدّ وصدّ فالسدّ دون الصدّ لأن السد للباب يسد والمنظرة ونحوها، والصدّ جانب الجبل والوادى والشعب، وهذا أقوى من السد الذى قد يكون لثقب الكوز ورأس القارورة ونحو ذلك، فجعلوا الصاد لقوتها للأقوى، والسين لضعفها للأضعف<sup>(٤)</sup>.

(١) فقه اللغة للمبارك ٨١، ٨٢. (٢) دراسات فى فقه اللغة ١٤٨.

(٣) الخصائص ١٥٧/٢، ١٥٨. (٤) نفسه ١٦١/٢.



ب- ومن الكلمات التي يوجد فيها الحرف وسطا قولهم: الوسيلة والوصيلة والصاد- كما ترى- أقوى صوتا من السين، لما فيها من الاستعلاء، والوصيلة أقوى معنى من الوسيلة، وذلك أن التوسل ليست له عصمة الوصل والصلة، بل الصلة أصلها من اتصال الشيء بالشيء وبماسته له، وكونه في أكثر الأحوال بعضا له؛ كاتصال الاعضاء بالإنسان وهي أبعاضه ونحو ذلك، والتوسل معنى يضاعف ويصغر أن يكون المتوسل جزءا أو كالجُزء من المتوسَّل إليه، وهذا واضح، فجعلوا الصاد لقوتها للمعنى الأقوى، والسين لضعفها للمعنى الأضعف<sup>(١)</sup>، ومن ذلك القسم والقسم فالقسم أقوى فصلا من القسم، لأن القسم يكون معه الدق وقد يقسم بين الشيتين فلا يُنكَأ أحدهما، فلذلك خُصَّت بالأقوى الصاد وبالأضعف السين<sup>(٢)</sup>. ومن ذلك تركيب (ق ط ر) و(ق د ر) و(ق ت ر) فالتاء خافته متسفلة، والطاء سامية متصعدة، فاستعملتا -لتعاديتهما- في الطرفين كقولهم: قتر الشيء، وقطره والبدال بينهما ليس لها صعود الطاء ولا نزول التاء فكانت لذلك واسطة بينهما، فعبر بها عن معظم الأمر ومقابلته فقليل: قدر الشيء لجماعه ومُحرَّجْمه<sup>(٣)</sup>.

ج- ومن الكلمات التي يوجد فيها الحرف آخر قولهم: النضج للماء ونحوه والنضج أقوى من النضج قال الله سبحانه: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَاجَتَانِ﴾ [الرحمن] فجعلوا الحاء - لرقتها - للماء الضعيف والحاء - لغلظها - لما هو أقوى منه<sup>(٤)</sup>، ومن ذلك القُدُّ طولا والقطُّ عرضا، وذلك أن الطاء أحصر للصوت وأسرع قطعاً له من الدال، فجعلوا الطاء المناجزة لقطع العرض لقربه وسرعته، والدال المماثلة لما طال من الأثر وهو قطعه طولا<sup>(٥)</sup>، ومن ذلك قولهم: قَرَّتْ الدم وقَرَدَ الشيء وتقرَّدَ وقرط يقرط فالتاء أخفت الثلاثة فاستعملوها في الدم إذا جف لأنه قصد ومستخف في الحس عن القَرَدَد الذي هو الثَبَاك في الأرض ونحوها، وجعلوا الطاء- وهي أعلى الثلاثة صوتا - للقرط الذي يسمع<sup>(٦)</sup>، ومن ذلك قولهم الخذا في الأذن (والخذا: الاستخذاء) فجعلوا الواو في خذواء- لأنها دون

(١) نفسه ١٦٠/٢. (٢) نفسه ١٦١/٢.

(٣) نفسه ١٦٢/٢، والمحرَّجْمة: المجتمع، يقال: احرَّجْمت الإبل: اجتمعت.

(٤) نفسه ١٥٨/٢، والثَبَاك: التلال.

الهمزة صوتاً- للمعنى الأضعف وذلك أن استرخاء الأذن ليس من العيوب التي يسبب بها ولا يتناهى في استقباحها، وأما الذل فهو من أقبح العيوب وأذهبها في المزلة والسب، فعبروا عنه بالهمزة لقوتها وعن عيب الأذن المحتمل بالواو، لضعفها، فجعلوا أقوى الحرفين لأقوى العيبين وأضعفهما لأضعفهما<sup>(١)</sup> ومن ذلك قولهم: قد جفا الشيء يجفوا، وقالوا جفاً الوادى بغثائه ففيهما كليهما معنى الجفاء، لارتفاعهما، إلا أنهم استعملوا الهمزة في الوادى لما هناك من حفزه وقوة دفعه<sup>(٢)</sup>.

وهذه القيمة التعبيرية للحرف الواحد التي أوضحتها تلك الأمثلة المستقدمة مرجعها- في الغالب- إلى الاشتقاق الأكبر الذي يجمع بين الكلمات التي تقاربت حروفها لتقارب معانيها، ولو رجعنا إلى الباب الذي تحدث فيه عن الاشتقاق الأكبر وعنوانه (تصاقب الالفاظ لتصاقب المعاني) لوجدنا الكثير من الالفاظ التي عقد فيها الشبه بين حروفها ومعانيها، والذي أدى إلى تغيير بعض الحروف لما يقتضيه تنويع المعنى، واعتقد أننا قد علمنا مما سبق أن أُرْ وهز تفيدان معنى التحريك إلا أن الهمزة خصت بتحريك ما له حركة، والهاء بما لا حركة له، وكأنهم خصوا الهمزة بالمعنى الأول لأنها أقوى من الهاء<sup>(٣)</sup> ومنه العسف والاسف والعين أخت الهمزة كما أن الأسف يعسف النفس وينال منها، والهمزة أقوى من العين، كما أن أسف النفس أغلظ من التردد بالعسف<sup>(٤)</sup>، وهنا وجد الحرف في أول الكلمة، وقد يقع وسطها كما في تركيب (ح م س) و(ح ب س)<sup>(٥)</sup> و (ج ل ف) و (ج ر ف)<sup>(٦)</sup> ونحو ذلك، وقد يقع آخرها كما في (ق رد) و (ق رت)<sup>(٧)</sup> السابقتين و (ج ب ل) و(ج ب ن) و(ج ب ر) والعلم والعلب<sup>(٨)</sup> والغرب والغرف<sup>(٩)</sup> وغير ذلك كثير مما ذكر في هذا الباب.

وقد أثبت ابن جنى صلة الحرف بمعناه مهما يتغير موقعة من الكلمة بتقليب البناء على طريقة الاشتقاق الكبير، وذلك كصوت الفاء فقد رأى أنه يفيد الوهن

(١) نفسه ١٦٠/٢ .

(٢) نفسه ١٤٦/٢ .

(٣) نفسه ١٤٧/٢ .

(٤) نفسه ١٤٨/٢ .

(٥) نفسه ١٤٩/٢ .

والضعف إذا أتى مع (الذال والتاء والطاء والراء واللام والنون على التقديم والتأخير) من ذلك الدالّ للشيخ الضعيف والشيء التالف والظليف (والظليف): المجان وليست له عصمة الثمين، والطئف: لما أشرف خارجاً عن البناء وهو إلى الضعف، لأنه ليست له قوة الراكب الأساس والأصل، والنطف: العيب وهو إلى الضعف، والدنف: المريض، ومنه التنوفة، وذلك لأن الفلاة إلى الهلاك، ألا تراهم يقولون لها: مهلكة وكذلك قالوا لها: بيداء، فهي فعلاء من باد يبيد، ومنه الترفة لأنها إلى اللين والضعف، وعليه قالوا: الطرف لأن طرف الشيء أضعف من قلبه وأوسطه ومنه الفرد لأن المنفرد إلى الضعف والهلاك ما هو، قال رسول الله ﷺ: "المرء كثير بأخيه" والفارط: المتقدم، وإذا تقدم انفرد، وإذا انفرد أعرض للهلاك، ومنه الفرات لأنه الماء العذب، وإذا عذب الشيء ميل عليه ونيل منه، ألا ترى إلى قوله:

مُعَرٌّ مُرٌّ عَلَى أَعْدَائِهِ وَعَلَى الْأَدْنَى حَلْوٌ كَالْعَسَلِ<sup>(١)</sup>

وقال الآخر:

تَرَاهُمْ يَغْمِزُونَ مَنْ اسْتَرْكُوا وَيَجْتَنِبُونَ مَنْ صَدَقَ الْمِصَاعَا<sup>(٢)</sup>

ومنه الفتور للضعف، والرفق للكسر، والرديف، لأنه ليس له تمكن الأول، ومنه الطفل للصبى، لضعفه، والطفل للرخص، وهو ضد الشئن والتقل للريح المكروهة، فهي منبوذة مطروحة، وينبغي أن تكون الدفلى من ذلك لضعفه عن صلابة النبع والسراء والتنضب والشوخط وقالوا: الدفر للشن وقالوا للدنيا: (أم دفر) سب لها وتوضيع منها ومنه الفلته لضعفه الراى، وقتل المغزل لأنه تن واستدارة، وذلك إلى وهي وضعفة والفطر: الشق وهو إلى الوهن<sup>(٣)</sup>.

"وواضح أن ابن جنى يعول في هذه الأمثلة على حرف الفاء فهو الذى أفاد بقيمته التعبيرية الخاصة معنى الوهن والضعف لدى ممارجته الدال والتاء والطاء

(١) معر: مر كالمعر وهو العبر - بكسر الباء وتسكينها - وفعله: أمعر. اللسان ٣٢/٧.

(٢) استركوا: استضعفوا - المصاع: المجالدة بالسيوف، وماصع قرنه ماصعة ومصاعاً. اللسان

(٣) نفسه ١٦٦/٢ - ١٦٨ . ٣١٦/١٢ ، ٢١٤/١٠ .

والراء واللام والنون . . . كأنه يومئ إلى أنه شاهد على وجود العلاقة الذاتية الطبيعية بين اللفظ ومدلوله أو بعبارة أدق بين صوت الحرف البسيط وقيمته البيانية<sup>(١)</sup>.

أما بالنسبة للكلمات المركبة فقد أثبت نوعين من الكلمات:

١ - أسماء الأصوات الطبيعية، وفيها المناسبة واضحة بين حروفها ومعانيها، ومن ذلك ما جاء عنهم من تسميتهم الأشياء بأصواتها كالحزاز بار لصوته والبطّ لصوته والخاباق لصوت الفرّج عند الجماع والواق للصدّ لصوته، وغاق للغراب لصوته، وقوله (تداعين باسم الشيب) لصوت مشافرها، وقوله:

بَيْنَمَا نَحْنُ مُرْتَعُونَ بِفَلَجٍ      قَالَتِ الدَّلْحُ الرِّوَاءُ إِنَّيْهِ

فهذا حكاية لرزمة السحاب وحنين الرعد<sup>(٢)</sup> وقوله:

(كالبحر يدعو هَيْقَمًا وَهَيْقَمًا)

وذلك لصوته، ونحو منه قولهم: حَاحَيْتُ وَعَاعَيْتُ وَهَاهَيْتُ إِذَا قَلْتُ: حاء وعاء وهاء، ونحو قولهم: بَسَمَلْتُ وَهَيْلَلْتُ وَحَوْلَقْتُ، كل ذلك وأشباهه مما يرجع في اشتقاقه إلى الأصوات<sup>(٣)</sup>.

٢ - الثاني ما اللطف فيه أظهر، والحكمة أعلى وأصنع، وذلك أنهم قد يضيفون إلى اختيار الحروف وتشبيه أصواتها بالأحداث المعبر عنها بها ترتيبها، وتقديم ما يضاهي أول الحدث، وتأخير ما يضاهي آخره، وتوسيط ما يضاهي أوسطه، سوقا للحروف على سمت المعنى المقصود، والغرض المطلوب<sup>(٤)</sup> وذلك قولهم: بحث فالباء لغلظها تشبه بصوتها خفقة الكف على الأرض، والحاء لصحلها تشبه مخالبا الأسد ويرائن الذئب ونحوهما إذا غارت في الأرض، والثاء

(١) دراسات في فقه اللغة ١٥٣، ١٥٤ .

(٢) فلج - بسكون اللام - : واد بين البصرة وحمى ضربة. دلح: يقال: سحابة دلوح ودالحة: مثقلة بالماء كثيرته، والجمع دُلح مثل قدوم وقُدُم، ودالح ودُلح مثل راكم وركُع. اللسان ٣/ ٢٦٠.

ورزمة السحاب: صوته الشديد. اللسان ١٥/ ١٢٩.

(٣) الخصائص ٢/ ١٦٥. (٤) نفسه ٢/ ١٦٢.

للتفت والبث للتراب، وهذا أمر تراه محسوساً محصلاً فأى شبهة تبقى بعده أم أى شك يعرض على مثله<sup>(١)</sup>، ومن ذلك قولهم: شدَّ الحبل ونحوه، فالشين بما فيها من التفشى تُشَبَّه بالصوت أول انجذاب الحبل قبل استحكام العقد، ثم يليه إحكام الشد وال جذب وتأريب العقد، فيعبر عنه بالدال التي هي أقوى من الشين، لاسيما وهي مدغمة فهو أقوى لصنعتها، وأدل على المعنى الذي أريد بها<sup>(٢)</sup> ومن ذلك أيضا جرُّ الشيء يجره، قدّموا الجيم لأنها حرف شديد، وأول الجر بمشقة على الجار والمجرور جميعا، ثم عقّبوا ذلك بالراء، وهو حرف مكرر، وكرروها مع ذلك في نفسها، وذلك لأن الشيء إذا جرَّ على الأرض في غالب الأمر اهتز عليها واضطرب صاعدا عنها ونازلا إليها، وتكرر ذلك منه على ما فيه من التعتعة والقلق، فكانت الراء - لما فيها من التكرير ولأنها أيضا قد كررت في نفسها في (جر وجررت) - أوفق لهذا المعنى من جميع الحروف غيرها، هذا هو محجة هذا ومذهبه<sup>(٣)</sup>.

فالأمثلة المتقدمة توضح كيف يدل الحرف بصوته على معناه مفردا ومركبا، وقد عدَّ ابن جنى ذلك طريقا واسعا معلوما للباحث، قال: فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم واسع، ونهج متلثب عند عارفيه مأموم وذلك أنهم كثيرا ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر بها عنها فيعدلونها بها ويحتذونها عليها، وذلك أكثر مما نقدره، وأضعاف ما نستشعره<sup>(٤)</sup>.

وبالنسبة للنقطة الثانية أتى ابن جنى بصور متعددة يشبث بها ارتباط الصيغ اللغوية بالمعاني الموضوعية لها وهي:

١- ما جاء من مضعف الثلاثي أو الرباعي، وكان حكاية للأصوات قال: قال الخليل: كأنهم توهّموا في صوت الجندب استطالة ومدا فقالوا: صرَّ وتوهّموا في صوت البازي تقطيعا فقالوا صرَّ صرَّ<sup>(٥)</sup>، ووجدت أنا من هذا الحديث

(١) نفه ١٦٣/٢ . (٢) نفه ١٦٤/٢ .

(٣) نفه ١٥٧/٢ . (٤) نفه ١٥٢/٢ .



أشياء كثيرة على سمت ما حدّاه ومنهاج ما مثّلاه وذلك أنك تجد المصادر الرباعية المضعفة تأتي للتكرير، نحو الزعزعة والقلقلة والصلصلة والقعقعة والصعصة والجرجرة والقرقرة فجعلوا المثال المكرر للمعنى المكرر<sup>(١)</sup>.

٢- ما كرّر فيه العين أو اللام والأصل في هذا التكرير إنما يكون للعين "فقد جعلوا تكرير العين في المثال دليلاً على تكرير الفعل فقالوا كَسَرَ وَقَطَعَ وَفَتَحَ وَغَلَقَ وذلك أنهم لما جعلوا الألفاظ دليلاً للمعاني فأسقوا اللفظ ينبغي أن يقابل به قوة الفعل، والعين أقوى من الفاء واللام وذلك لأنها واسطة لهما ومكتوفة بهما فصارا كأنهما سياج لهما، ومبذولان للعوارض دونها، ولذلك تجد الإعلال بالحذف فيهما دونها، فلما كانت الأفعال دليلاً للمعاني كرروا أقواها وجعلوه دليلاً على قوة المعنى المحدث به، وهو تكرير الفعل كما جعلوا تقطيعه في نحو صَرَصَرَ وَحَفَحَفَ دليلاً على تقطيعه . . . فهذا أيضاً من مساواة الصيغ للمعاني<sup>(٢)</sup>، وقالوا : اعشوشب واخلولق واغدون ونحو ذلك لقوة المعنى أيضاً، وقد ضاعفوا اللام كما ضاعفوا العين للمبالغة نحو عَثَلَّ وَصَلَّ وَقُمَدَّ وَحُزِقَ إلا أن العين أقعد في ذلك من اللام، ألا ترى أن الفعل الذي هو موضع للمعاني لا يضعف ولا يؤكد تكريره إلا بالعين<sup>(٣)</sup>.

٣- المصادر التي تتابعت حركاتها كالفعْلان والفعْلَى، قال: قال سيبويه في المصادر التي جاءت على الفَعْلان: إنها تأتي للاضطراب والحركة، نحو التقران والغليان والغشيان فقابلوا بتوالي حركات المثال توالي حركات الأفعال<sup>(٤)</sup>. ووجدت أيضاً الفَعْلَى في المصادر والصفات إنما تأتي للسرعة نحو البشكى والجمزى والولقى، قال رؤبة: (أو بشكى وَحَدَ الظَّلِيمَ النَّزَ) وقال الهذلي:

كَأَنِّي وَرَحَلِي إِذَا هَجَّرْتُ      عَلَى جَمَزِي جَازِي بِالرَّمَالِ  
أَوْ اصْنَحَمَ حَامِ جَرَامِيرُهُ      حَزَابِيَةِ حَبْدِي بِالذُّحَالِ

فجعلوا المثال الذي توالى حركاته للأفعال التي توالى الحركات فيها<sup>(٥)</sup>.

(١) نفه ١٥٣/٢. (٢) نفه ١٥٥/٢.

(٣) نفه ١٥٦/٢. (٤) نفه ١٥٢/٢.

(٥) نفه ١٥٣/٢.

٣- وزن استفعل، يأتى فى أكثر الأمر للطلب، نحو استسقى واستطعم واستوهب واستمتع واستقدم عمراً واستصرخ جعفرًا فرتبت فى هذا الباب الحروف على ترتيب الأفعال، وتفسير ذلك أن الأفعال المحدث عنها أنها وقعت عن غير طلب إنما تَفجأ حروفها الأصول أو ما ضارع بالصنعة الأصول نحو طعم ووهب ونحو ذلك، كذلك ما تقدمت فيه الزيادة على سمت الأصل، نحو أحسن وأكرم، أما إذا أخبرت بأنك سعت فيها، وتسببت لها، وجب أن تقدم أمام حروفها الأصول، فى مثلها الدالة عليها، أحرفاً زائدة على تلك الأصول، تكون كالمقدمة لها والمؤدية إليها.

وذلك نحو استفعل، فجاءت الهمزة والسين والتاء زوائد، ثم وردت بعدها الأصول الفاء والعين واللام، فهذا من اللفظ وفق المعنى الموجود هناك، وذلك أن الطلب للفعل والتماسه والسعى فيه والتأتى لوقوعه تقدمه، ثم وقعت الإجابة إليه، فتبع الفعل السؤال فيه والتسبب لوقوعه فكما تبعت أفعال الإجابة أفعال الطلب كذلك تبعت حروف الأصل الحروف الزائدة التى وضعت للالتماس والمسألة، وذلك نحو استخرج واستخدم واستوهب واستمنح واستعطى واستدنى،

= ١- ناقة بشكى: سريعة، - الوخذ: ضرب من سير الإبل، وهو سعة الخطو فى المشى، ووخذ البعير: أسرع ووسع الخطو، ووخذ بدك من بشكى أو منصوبة على المصدر، وظليم نزل: سريع لا يستقر فى مكان. اللسان ٤/٤٦٧، ٧/٢٨٤، ١٢/٢٨١.

٢- الهاجرة: نصف النهار - عند اشتداد الحر - هجرت: سارت فى الهاجرة. حمار جمزى: وثاب سريع، وهنا شبه ناقتة بحمار وحش، وتقديره: على حمار جمزى، - جازى: من جزئت الإبل: إذا اكتفت بالربط (المرعى الأخضر من بقول الربيع أو الكلا والعشب) عن الماء - الأصحم: حمار يضرب إلى السواد والصفرة - جراميزه: نغسه وجسده - حام جراميزه: أى حام نفسه من الرماة - حمار حزاوية: جلد، ويعبر حزاوية: غليظ - حيدى: يحيد عن ظله لنشاطه، قال الأصمعى: لم أسمع بفعل فى صفة المذكر إلا فى هذا البيت، يعنى أن جمزى وبشكى وما جاء على هذا الباب لا يكون إلا من صفة الناقة دون الجمل، ورواه ابن الأعرابي: لناحيد بالدحال، يريد عن الدحال، والدحال: جمع دحل وهو هُوَّة ضيقة الأعلى واسعة الأسفل. اللسان ١/٣٨، ٣٠٠، ٤٠٤، ٧/١١٥، ١٨٣، ١٨٨، ١٣/٢٥٢، ١٥/٢٢٥.

فهذا على سمت الصنعة التى تقدمت فى رأى الخليل وسيبويه، إلا أن هذه أغمض من تلك، غير أنها وإن كانت كذلك فإنها منقولة عنها ومعقودة عليها<sup>(١)</sup>.

فقد وضحت المناسبة - كما يقول أستاذنا الدكتور نجا - فى تلك الحروف التى تدل على معان خاصة، ويصدرون بها الأفعال لتفيد المقصود من الفعل من حال إلى حال آخر<sup>(٢)</sup>، فهذا طريق المثل واحتياطاتهم فيها بالصنعة، ودلالاتهم منها على الإرادة والبيغة<sup>(٣)</sup> وهذه خواطر طريفة وملاحظات مفيدة<sup>(٤)</sup>.

وابن جنى بهذا البيان القوى المفصل يعد "رائد اللغويين القدامى الذين لاحظوا هذه الظاهرة وقرروها"<sup>(٥)</sup> وإن هذه الفكرة التى تجلت عند ابن جنى أوحى إلى بعض الباحثين فى العصر الحديث بنظرية (القيمة التعبيرية أو البيانية) للحرف فى الألفاظ العربية<sup>(٦)</sup>، "وللباحثين المحدثين نظرات فى اللغة يحسبونها أصيلة بكرة حتى إذا درسوا آثار القدماء وتصانيفهم تبين لهم أن الأولين لم يتركوا للآخرين كثيرا، وأن علماء السلف الصالح قتلوا هذه الدراسات اللغوية بحثا كما يقولون، حتى أتوا على جل ما نفترضه الآن من النظريات، واحتجوا لكل افتراض بشواهد تنطق بصوابه أو فساد<sup>(٧)</sup>، ويمكن أن نوسع من دائرة التأثير لنعرف مدى التوافق بين رأى ابن جنى وشواهد عليه، وما ذهب إليه بعض الباحثين الأوربيين فى العصر الحديث، وكذلك بعض المعاصرين العرب.

فقد ظل الدارسون فى الجامعات الأوربية يتصورون لفكرة الصلة العقلية بين الأصوات والمدلولات، حتى أواسط القرن التاسع عشر، ومن هؤلاء همبلت Humbolt الذى يقول: «اتخذت اللغة للتعبير عن الأشياء طريق الأصوات التى توحى إلى الأذان بنفسها، أو بمقارنتها بغيرها، أثرا مماثلا لذلك الذى توحى تلك

(١) نفسه ١٥٣/٢، ١٥٤.

(٢) فقه اللغة ٦٧/٤.

(٣) نفسه ١٥٧/٢.

(٤) فقه اللغة للمبارك ١٠٦.

(٥) دراسات فى فقه اللغة ١٥٩.

(٦) فقه اللغة للمبارك ٨٢، ٨٣.

(٧) دراسات فى فقه اللغة ١٧٦، ١٧٧.

الأشياء إلى العقول" (١) "وكذلك جسبرسن الذى يسوق أمثلة لتلك النواحي التى يلاحظ فيها وثوق الصلة بين الألفاظ والدلالة، وهى قريبة جدا مما ذكره ابن جنى اللغوى العربى العبرى وهى:

١- الأصوات التى تحاكي الطبيعة، ويسمىها المحدثون Onomatopoeia مثل حفيف الأشجار وزئير الأسد فى العربية.

٢- الألفاظ التى تعبر عن مصدر الصوت مثل (كوكو) تسمية لطائر عند بعض الأمم الأوربية.

٣- يشير جسبرسن إلى ما عرف عند علماء العربية من أن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى كالمقارنة بين صرَّ الجندب وصرَّصر البازى.

٤- الألفاظ التى تعبر عن الحالة النفسية كالكلمات التى تعبر عن الغضب، أو النفور، أو الكره.

٥- الحركات التى ترمز فى بعض اللغات لمعان خاصة، فالكسرة وما يتفرع عنها من ياء المد ترمز فى كثير من اللغات إلى صغر الحجم، أو قرب المسافة ففى العربية مثلاً نجد أن الياء هى علامة التصغير وأن الكسرة علامة التأنيث (٢).

وقد ذكر تلك الدلائل الدكتور أنيس حين قال: ونحن حين نتخذ طريقاً معتدلاً... ندرك كل الإدراك أن فى اللغة معانى تتطلب أصواتاً خاصة، وأن هناك من المدلولات ما تسارع اللغة للتعبير عنه بالألفاظ معينة، وربما كان من العسير حصر تلك المجالات اللغوية التى نلاحظ فيها وثوق الصلة بين الأصوات والمدلولات، ولكن منها بلا شك النواحي الآتية (٣) وأشار إلى ما سبق ذكره.

ويرى ابن جنى - كما يرى المحدثون من الأوربيين والقدماء من اليونان والرومان- أن المناسبة إن خفيت فلم يمكن الوصول إليها، فإن ذلك لا يخل باطراد

(١) من أسرار اللغة، ط٣، ١٢٨ ودلالة الألفاظ، د. أنيس ٦٤.

(٢) دلالة الألفاظ، د. أنيس ٦٥، ٦٦ ومن أسرار اللغة، ط٣، ١٣٠-١٣٣.

(٣) من أسرار اللغة ١٣٠.

نظرية الربط بين اللفظ ومعناه، بل إن ذلك يرجع إلى أمور أخرى خفية أو قصور من الباحث، فيقول: "إنك إن رأيت شيئا من هذا النحو لا ينقاد لك فيما رسمناه ولا يتابعك على ما أوردناه، فأحد أمرين: إما أنك لم تنعم النظر فيه فيقع بك فكرك عنه، أو لأن لهذه اللغة أصولا وأوائل قد تخفى عنا، وتقصّر أسبابها دوننا، وهذا ما دلت الدلالة عليه من حكمة العرب التي تشهد بها العقول، وتناصر إليها أغراض ذوى التحصيل، فما ورد على وجه يقبله القياس، وتقتاد إليه دواعي النظر والإنصاف، حمل عليها، ونسبت الصنعة فيها إليها، وما تجاوز ذلك فخفى لم توهم النفس منه، وוכל إلى مصادقة النظر فيه، وكان الأخرى به أن يتهم الإنسان نظره، ولا يخف إلى ادعاء النقص فيما قد ثبت الله أطنا به وأحصف بالحكمة أسبايه"<sup>(١)</sup>، وبمثل ذلك قال فلاسفة اليونان والرومان كما سبق، وقال همبلت إن "ما لم تظهر فيه الصلة قد تطور على مر الأيام"<sup>(٢)</sup> وقال جبرسن: "إن غموض الدلالة يرجع إلى تطور تلك الأصوات أو تلك الدلالات"<sup>(٣)</sup>.

والواقع أن ابن جنى ومن تابعة مبالغون في هذا الرأي، فالمناسبة لا تتضح في كل الألفاظ اللغة، فقد بين أستاذنا الدكتور نجا أن الأمثلة الكثيرة كفيلا بتحقيق هذه المناسبة، إلا أنها تبدو واضحة في الألفاظ الموضوعية للأشياء المحسة، أو الأصوات، أما ما دل على أسماء الأجناس ونحوها فإن هذه المناسبة لا تظهر، فقد يسمى الشيء بما لا صلة له به... فلا شك أن في رأي ابن جنى غلوا وتطرفا، لأننا نجد كثيرا من الألفاظ الموضوعية للمعنويات كالحلم والعقل، وكأسماء الجنس كالقط للحيوان الخاص، وتعلب كذلك، لا تظهر فيها هذه المناسبة، واللغة في أصل وضعها للأصوات والمحسوسات، "ولم يأت دور المعنويات إلا بعد ارتقائها وبلوغها درجة كبيرة في هذه الناحية"<sup>(٤)</sup>، وهذا الرأي هو الصواب الذي لا محيد

(١) الخصائص ٢/ ١٦٤، ١٦٥. (٢) من أسرار اللغة (ط٣) ١٢٨.

(٣) دلالة الألفاظ (د. أنيس) ٦٤ وكذلك دى بروس وكوردي جيلان فهما يذهبان إلى "أن الكلمات تكونت في الأصل من أصوات مساوية للأفكار". ويقول سان توماس الأكويني: إن الأسماء يجب أن تتفق وطبيعة الأشياء. انظر اللغة ٢٣٥.

(٤) فقه اللغة ٤/ ٦٨، ٦٩.



عنه وقد وافقه في ذلك الأستاذ محمد المبارك إذ يقول: إننا نرى أن الأمثلة التي قدمها الباحثون في هذا الباب لا تكفى لاستنتاج قانون عام يشمل ألفاظ العربية كلها<sup>(١)</sup>.

ونحن نقرر استنتاجا مما تقدم أن المناسبة ليست ذاتية مطردة كما يدعى أصحاب تلك النظرية ويشاركونهم عالمنا ابن جني، فنحن نرى:

١- أن الألفاظ وقت نشأتها في اللغة الإنسانية الأولى كانت محاكية لأصوات الإنسان والحيوان والأشياء الأخرى، ومناسبة لدلولها، ومن ذلك القهقهة والتمطُّق للإنسان، ورغاء الناقة وبغامها للحيوان، وخرير الماء، والأفعال التي يحدثها الإنسان مثل القطف والقطع والقطم بالنسبة للأشياء الأخرى<sup>(٢)</sup>. وقد بقيت من ذلك دلائل كثيرة، وردت فيما سبق عن العلماء.

٢- بعض الألفاظ قد فقدت الصلة بين أصوات حروفه ومعانيها، نتيجة لتطور بعض الأصوات بالقلب والإبدال، أو لتغير مدلول الكلمات في بعض الأحيان، وذلك يؤدي إلى فقدان العلاقة بين الصوت وما يدل عليه.

٣- بعض الألفاظ وضعت لمعان جديدة في العصور المختلفة بعد نشأة الإنسان، ولا شك أن الإنسان بعد أن ارتقى من طور البدائية أخذ يضع ألفاظا للمعاني، بقطع النظر عن صلتها بأصواتها، وهنا نجد كثيرا من الألفاظ لا صلة لأصواته بمعانيه.

فعلينا إذا أردنا معرفة القيمة التعبيرية للحرف أن نعرف أن لكل لفظ نشأة وميلادا، وأن في كل لفظ اشتقاقا وتوليدا، ولذا يجب أن نفرق بوضوح بين الدلالة الذاتية والدلالة المكتسبة، وأن ندرك أن الدلالة الذاتية لا تلتبس إلا في اللفظ عند نشأته الأولى، وأن هذه المناسبة فيما جدد استعمال من مدلولات ذاك اللفظ إنما تحمل حملا على المعنى الأصلي الاقدم<sup>(٣)</sup>. ومن هنا يكون التكلف في

(١) فقه اللغة للمبارك ٨٥.

(٢) فقه اللغة د. وافي ١٦٩، ١٧٠، ط ٤، ١٣٧٥ هـ/١٩٥٦ م.

(٣) دراسات في فقه اللغة ١٨٢، ١٨٣ بتصرف وانظر يوميات الأستاذ العقاد ٢/ ٣٣٣، ٣٣٤.

ربط الأصوات بما تدل عليه، ونستطيع أن ندرك ذلك فيما فسر ابن جنى من دلالة صوت الفاء على الوهن والضعف إذا ما رجعت الدال والتاء والطاء والراء واللام والنون على التقديم والتأخير- فالدلالة ذاتية في كل ما يتصل بالطبيعة كالأشياء التالف والشيخ الدالف والدنف والفتور والطفل وهو ضد الشن وهي مكتسبة يبدو عليها التكلف فيما عدا ذلك<sup>(١)</sup>، وهذا هو ما يدعونا إلى الاعتدال وعدم التطرف فنؤمن- مع ابن جنى- بأن الصلة وثيقة بين اللفظ ومدلوله، ولكننا لا نوافق على أطرافها بحيث لا تتخلف.

### (٣) إلقاء الضوء على ثنائية اللغة منذ نشأتها

أثبت ابن جنى وغيره من علماء الاشتقاق دوران المادة حول معنى واحد، في الاشتقاقين الصغير والكبير، وقيمة الحرف التعبيرية المنوعة للمعنى، ومناسبتها للأحداث المعبر عنها في الاشتقاق الأكبر، وكان لذلك أثره في البحث عن أصول الألفاظ، "فقد استبان لباحثي اللغات والناظرين في الصلات بين الألفاظ ومعانيها أن هناك كلمات ثلاثية تشترك في حرفين من تلك الحروف، وفي معنى عام يجمعها، فأرادوا أن ينظروا في نشأة هذا الصنف من الألفاظ، ليخرجوا برأى حاسم<sup>(٢)</sup> ونعرض لتلك الآراء على الوجه التالي:

١- يرى فريق من العلماء أن الأصل في اللغة هو الثلاثي، لأنه أقل الابنية، وقد اختلف الحرف الثالث نتيجة تبدل صوتي لاختلاف البيئات والقبائل، أو لتوالي الأزمنة<sup>(٣)</sup>. وقد انتقد أستاذنا الدكتور نجما هذا الرأي وقال إنه "لا يمكن قبوله إطلاقاً نظراً لأن التبدل يحتاج إلى التقارب في المخرج أو الصفة، وقد لا يكون ذلك موجوداً، فلنك إذ تعرض لقطع وقطف ترى أن الحرف الثالث عين وفاء ولا يمكن أن يكون أحدهما مبدلاً من الآخر، إذ العين حلقيّة والفاء شفوية أسنانية" ويوافق أستاذنا الدكتور نجما في ذلك الأستاذ محمد المبارك فيقول: "ولكن هذا الرأي لا يمكن تعميمه، فهناك ألفاظ ليس بين

(٢) فقه اللغة (ط الجديدة) ٨١/٤.

(١) دراسات في فقه اللغة ١٥٣، ١٨٣.

(٣) فقه اللغة د. نجما ٨٢/٤ وفقه اللغة للمبارك ٧٣.

الحروف المتبدلة فيها أى تقارب، ولذلك لا يمكن أن نقيم من هذا التعليل نظرية عامة فى أصول الألفاظ العربية<sup>(١)</sup>.

٢- أ- ويرى عدد من فقهاء اللغة قديما وحديثا أن الألفاظ العربية ترجع فى منشئها التاريخى القديم إلى أصل ثنائى، وذلك الأصل قد أخذ من الأصوات الطبيعية المقارنة للفعل أو الحدث، ثم زيد هذا الأصل فى مراحل تطوره التاريخى حرفا ثالثا لتنويع المعنى، فالقَطْ يدل على القطع، ثم يضاف الحرف الثالث لتنويع هذا المعنى العام، كالعين فى قطع لتفيد فصلا معينا، والفاء فى قطف، لفصل الأشياء التى تحتاج إلى معاناة كالوردة والزهرة<sup>(٢)</sup>.

والحرف الذى يزداد يغلب أن يكون فى آخر الكلمة - كما سبق - وقد يكون وسطها كوسم ووشم ووصم، فالسين والشين والصاد زيدت لتنويع المعنى، وقد يكون فى أولها مثل بهر، جهر، ظهر ونحو ذلك، فالمعنى العام للكلمات المذكورة هو الظهور والوضوح، وقد أضيف إليه فى أوائلها الباء والجيم والطاء لتنويع هذا المعنى العام<sup>(٣)</sup>.

والناظر فى كتاب المقاييس لابن فارس يرى شرحا لذلك فى أمثلة كثيرة، فنجد مثلا أن باب القاف والطاء وما يثلثهما يرجع إلى معنى القطع، فهو موجود فى (قطع) الذى يدل على صرم وإبانة شئ من شئ<sup>(٤)</sup> وفى (قطف) الذى يدل على أخذ ثمرة من شجرة وفى (قطل) الذى يدل على قطع الشئ<sup>(٥)</sup> وفى قطم الذى يدل على قطع الشئ أيضا<sup>(٥)</sup> فالعين والفاء واللام والميم جاءت أحرقاً وثلاثة

(١) فقه اللغة للمبارك ٧٣.

(٢) فقه اللغة (ط الجديدة) ٨٣، ٨٤ وانظر فقه اللغة للمبارك ٧٤، ٧٥.

(٣) فقه اللغة (ط الجديدة) ٨٣، ٨٤ وفقه اللغة للمبارك ٧٤، ٧٥ وما يورده الأستاذ جورجى زيدان للحرف الواقع وسط الكلمة: شلق من شق وفرق من فق وقرط من قط وقرص من قص... وفى أولها رقت من فت، لهب من هب، رفض من فض إلخ الفلسفة اللغوية ٨٦، والاستشهاد بها قائم على أساس أن المضعف الثلاثى ثنائى.

(٤) المقاييس ١٠١/٥. (٥) نفسه ١٠٣/٥.

على الأصل الثنائي (قط) فخصصت معنى القطع، ونوعته بين الصرم والإبانة والاختذ ورددته تبعا لأصواتها بين درجات الشدة والغلظة فى إحداث القطع<sup>(١)</sup>.

فالكلم وضعت فى أول أمرها على هجاء واحد، متحرك فساكن، محاكاة لأصوات الطبيعة ثم قُئمت- أى زيد فيها حرف أو أكثر فى الصدر أو القلب أو الطرف- فتصرف المتكلمون بها تصرفا يختلف باختلاف البلاد والقبائل والبيئات والأهوية، فكان لكل زيادة أو حذف أو قلب أو إبدال أو صيغة معناة أو غاية أو فكرة دون اختها، ثم جاء الاستعمال فأقرها مع الزمن على ما أوحته إليهم الطبيعة، أو ساقهم إليها الاستقرار والتبع الدقيق، وفى كل ذلك من الأسرار والغوامض الآخذة بالآليات ما تجلت بعد ذلك تجليا بديعا، استقرت على سنن وأصول وأحكام لن تتزعزع<sup>(٢)</sup>، وقد مال الأب أنستاس الكرملى إلى هذا الرأى وقال: إننا اتبعناه منذ أولعنا بهذه اللغة الميينة الرائقة، فأخذنا بنشره وتفصيل دقائقه منذ سنة ١٨٨١م<sup>(٣)</sup>، وكذلك الأب مرمرجى الدومنى، فقد دافع عن هذا الرأى، وكتب فيه أبحاثا نشر منها ثلاثة صغيرة بعنوان (أبحاث ثنائية السنية، وقد طبع أولها سنة ١٩٣٧، ثم الثانى سنة ١٩٤٧، وتلاه الثالث سنة ١٩٥٠م)<sup>(٤)</sup>. وقد حاول فى بحوثه أن يقارن بين العربية والألسنية السامية لتأييد ما يدعو إليه من رد الثلاثى إلى الثنائى<sup>(٥)</sup> فمثلا (نهر) ورد بثلاثة معان هى: الجرى والسيلان- فحوى الزجر- مدلول النور فبالمعنى الأول: أصله الثنائى (هر) توج بزيادة النون فى أوله، وهو مأخوذ من الثنائى المثنى (الرباعى فى نظر النحاة) هرهر وهو حكاية صوت الماء الكثير، ومن هذا القبيل تكون جميع مدلولات هذا الحرف المراد بها الجريان فى اللغات السامية الأخوات، وبالمعنى الثانى أصله: الثنائى (نه) ذيل

(١) دراسات فى فقه اللغة ١٦٦. (٢) نشوء اللغة العربية، ص ١.

(٣) نفسه، ص ٢.

(٤) منها نسخ بدار الكتب المصرية. انظر الرسالة الأولى، ط ١٩٣٧، ص ٦، والرسالة الثالثة،

ط ١٩٥٠م، ص ٣.

(٥) الرسالة الأولى ٢.

بزيادة الراء، وهو مأخوذ من الشائى المثنى (نهه) ومعناه كف، ومنه الناقص (نهى فلانا عن كذا): رجره والمناسبة متحققة، وبالمعنى الثالث: لم يرد (نهر) بمعنى أضاء فعلا ثلاثيا فى العربية، لكن له وجود فى السريانية والعبرية، وهو آت من الشائى (نر) بطريقة الإقحام وهو ظاهر فى الأجوف العربى (نار) ومن nor الشائى فى السريانية جاء الثلاثى nhar وفى العبرية نجد nor نار لهب و ner مصباح وهكذا<sup>(١)</sup>.

ب - والأستاذ عبد الله العلايلى يؤمن بأن الثلاثى نشأ عن الشائى<sup>(٢)</sup> إلا أنه يجعل نشأة الثلاثى من الشائى بوساطة المجلات<sup>(٣)</sup> ومن هنا قال: إن "هذه المجلات المحفوظة فى شتى المعاجم يجب أن نتخذها عمدتنا فى الدرس لفهم الثلاثى على وجهه، لأنها الأصل الذى انفصل عنه، ولم يكن عمل التصحيح إلا ضربا من إقرار اللغة على صورة واحدة من الثلاثية"<sup>(٤)</sup> فالمجلات ثنائيات ألحقت بالثلاثيات بتصحيح حركة الحرف حرفاً... فلا ريب فى أنها أقدم ما حفظت اللغة من كلمات العهود السابقة والعريقة فى القدماء<sup>(٥)</sup> فمثلا (عبل) مأخوذة من (علا) المعتلة، وأصلها (عل) وعبت تعود إلى (عنا) وأصلها (عث) وعبد تعود إلى (عدا) وأصلها (عد) وهكذا فمطلق الثلاثى نشأ عن الشائى على هذه الصورة التى عليها المجلات، بزيادة حرف من الهجاء غالبا ما يكون فى حشو الكلمة<sup>(٦)</sup>.

وقد وصف أستاذنا الدكتور نجما والدكتور الصالح هذه النظرية بالتكلف "لأن تطبيقها لا يتم إلا بتجريد الحرف الوسط الذى هو الباء فى المثالين السابقين، ثم تناول المادة وفيها المجلات التى وقع فيها الحرفان على ترتيبهما، مع أن تجريد مادة ما من حروف الوسط إنما يكون بمنزلة الحذف والإسقاط لذلك الحرف المحشو، فكيف يسلم من بنية المادة جزء لا يتجزأ منها، ثم تظل هذه المادة معبرة دونه عن غرضها تعبيراً كاملاً؟"<sup>(٧)</sup> ثم لماذا اختيرت- فى الأمثلة السابقة- الباء لتكون حشوا دون غيرها ومالنا وقد رأيناها على هذه الصورة لا نزال نتصور أو نفترض

(١) الرسالة الأولى ص ١٣٥-١٣٧ . (٢) مقدمة لدرس لغة العرب ٢٠١ .

(٣) نفسه ١٣٣ . (٤) نفسه ٢٠٠-٢٠٣ .

(٥) فقه اللغة (ط الجديدة) ٨٦/٤ ودراسات فى فقه اللغة ١٧٥ ، ١٧٦ .



انسلاخها من الابنية التى تأصلت فيها حتى استحالت جزءا من صيغها؟ إن الأمر لا يعدو عن الاحتمال والظن وإن الظن لا يغنى من الحق شيئا<sup>(١)</sup> وفى كلام الأستاذ العلايلى نفسه ما يؤيد أن رأيه احتمال وظن قليل الجدوى فى البحث اللغوى، يقول "وكيفما كان فإنه لا يعنينا فى العمل اللغوى أبدا، لأن العربية لم تعد على شيء سوى الثلاثى، وإنما هو يمت إلى التاريخ اللغوى فى التأصيل والتفريع على المواد المحفوظة"<sup>(٢)</sup>.

ج- ويرى الأستاذ جورجى زيدان أن هناك احتمالا آخر، هو أن الثلاثى يمكن أن يكون مأخوذا من أصلين ثنائيين على طريق النحت، وهذا إذا أمكن أن يكون لكل من الأصلين معنى فى نفسه، فبعض الأفعال الثلاثية تقبل الحل إلى أصلين لكل منهما معنى فى نفسه، نحو قطف فهو يفيد القطع والجمع، والأصل فيه على ما يرى (قط + لف) الأولى قطع والثانية جمع، وبالاستعمال أهملت اللام، ونقلت حركتها إلى ما قبلها، فصارت قطف، ومثلها قمش بمعنى جمع ما على الأرض من فستات، وهى ترد إلى قم بمعنى كنس، وقش بمعنى جمع، وبالتخفيف ألغيت القاف الوسطى فقل: قمش، ومثل ذلك كثير فى الألفاظ العربية، ويقول إنه "إن استبعد بعضهم هذا الاحتمال فهو غير مستبعد عند من له شيء من الاطلاع على خصائص الألفاظ، وقابليتها للإبدال والنحت".

وإذا لم يكن لكل من اللفظين معنى فى نفسه فلا يخلو أن يكون لأحدهما أولا، فإن كان الأول كان أحد اللفظين فعلا والآخر حرفا زيد اعتباطا، وهو فى الغالب أحد هذه الحروف (ل م ن ر) وربما توهم الواضع فى هذه الزيادة شيئا من المبالغة، أو تنويع الفعل بما يطابق قصده، نحو فضّ ورفض وهبّ ولهّب وشقّ وشلق وكنّ وسكن.

وإذا لم يكن لأحدهما معنى فى نفسه، أى لا يكون اسما ولا فعلا، فلا يخلو أن يكون حرفا وربما كان اسما أو فعلا فى الأصل، ولم يعد مميزا الآن، ولدينا من هذا النوع بعض الكلمات العربية نقدمها مثالا: من ينظر فى لفظة (مال)

(١) دراسات فى فقه اللغة ١٧٥، ١٧٦. (٢) مقدمة لدرس لغة العرب ٢٠٣.

بمعنى مقتنيات لا يخطر له إلا أنها أصل مستقل، ولكنها فى الواقع مركبة من (ما) الموصولة، ولام الإضافة، فكانوا يريدون بقولهم: مالك: الذى لك، أى مالك ومقتنياتك، وهكذا إذا بحثنا عن نور ونار فإننا نراها مركبة من أصلين، فهى فى العبرانية (أور) وفى الآشورية (أر) ولنا فى العربية ما يدل على سابق وجودها على هذه الصورة، فإننا نقول: استأور فلان، أى عمل فى الظلمة، وهى على صيغة استفعل وصاغه من أصل ربما كان (أر) ونظرا لدلالة هذه الصيغة على الطلب والرغبة، يرجح أن قصدهم باستأور فلان فى الظلمة: أنه أسرع يطلب النور، ولنا أيضا (الأوار) حرّ الشمس والنار، أما التون فإما أن تكون بقية كلمة ذات معنى، أو أنها لا معنى لها ألحقت اعتباطاً.

ومن هذا القبيل كلمة (ويل) فإن أصلها (وى + لى أوله) وبهذا علل بعضهم أن ليس مأخوذة من (لا) النافية و (ايس) الدالة على الكون المطلق فى أكثر اللغات المرتقية، ويعنى بها بعض اللغات السامية<sup>(١)</sup>.

وهذا رأى قد بنى الأستاذ جورجى زيدان أصله -وهو النحت- على رأى بعض اللغويين فى الرباعى، وعلى رأسهم ابن فارس إذ يقول: إن للرباعى والخماسى مذهبا فى القياس يستنبطه النظر الدقيق، وذلك أن أكثر ما نراه منه منحوت، ومعنى النحت أن تؤخذ كلمتان، وتنحت منهما كلمة تكون آخذة منهما جميعا بحظ<sup>(٢)</sup> ويقول الأستاذ زيدان: "إننا لا نرى مانعا من إطلاقه على الثلاثى أيضا"<sup>(٣)</sup>.

ولم يوافق أستاذنا الدكتور نجما على هذا رأى، لأنه "لا يمكن أن تنبنى عليه أحكام، لأن الأمور اللغوية يجب أن تتفق فى مواد كثيرة من اللغة بحيث يتحقق لدى الباحث معنى الاستقراء، ويستطيع أن يثبت الوجهة التى ارتأها بما بدا له من ألفاظ يتحقق بها هذا الأمر"<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر فى ذلك كله الفلسفة اللغوية ٨٥-٨٩ وفقه اللغة د. نجما ٨٨/٤، وفقه اللغة للمبارك ٧٩،

٨٠ ودراسات فى فقه اللغة ١٧٧.

(٢) المقاييس ٣٢٨/١، ٣٢٩. (٣) الفلسفة اللغوية ٨٥.

(٤) فقه اللغة د. نجما ٨٨/٤.

وإذا كان لنا أن نلقى الضوء على رأى ابن جنى بين هذه الآراء- قبل أن نحكم عليها كلها - فإننا نعرض النتائج التى يمكن أن نصل إليها من خلال أبحاثه الاشتقاقية لتعرف مدى دلالتها على الثنائية اللغوية التى أيدها بعض الباحثين المحدثين .

١- أوضح ابن جنى- كما سبق أن فصلنا ذلك- دوران المادة حول معنى واحد يتنوع بتنوع الصيغ وزيادة الحروف وهذا فى الاشتقاق الصغير .

٢- كما أثبت دوران المادة - مهما يختلف تقليبها- حول معنى واحد أيضا يتنوع كذلك بتنوع الصيغة والحروف الزائدة والتقديم والتأخير لتدل على معنى معين ينضوى تحت المعنى العام الذى تتكاتف المادة فى الدلالة عليه .

٣- قال ابن جنى فى الاشتقاق الأكبر بان بعض المواد الدائرة حول معنى واحد يتفق فيها حرفان، ويختلف حرف، ينوع المعنى وبينه وبين نظيره تقارب فى المخرج أو الصفات، وهذا الحرف يكون أولا مثل: أَرْزَ وَهَزَّ وَالْعَسْفُ وَالْأَسْفُ وَسَحَلٌ وَزَحَرَ ويأتى وسطا كما فى تراكيب (ح م س) (ح ب س) و(ج ر ف) (ج ل ف) و(ج ن ف) ويكون آخراً كما فى تراكيب: (ج ب ل) و(ج ب ن) و(ج ب ر) و(ع ل ز) و(ع ل ص) وغير ذلك كثير، وقد نبه على المعنى المشترك بين الحرفين المتفقين فى تلك المواد، وتنوعه تبعاً للحرف الثالث الذى أتى مناسباً للمعنى الدال عليه مع قربه من أخيه مخرجا وصفة، وعد ذلك كله من تقارب الألفاظ لتقارب المعانى، فلكل حرف قيمة تعبيرية خاصة مناسبة للمعنى الموضوع له .

٤- كما جعل الألفاظ مشاكلة للطبيعة المقارنة للفعل أو الحدث فى الفصل الخاص بأمساس الألفاظ أشباه المعانى، وفسر على أساس ذلك ألفاظا كثيرة من الاشتقاق الأكبر، فالحرف الواحد مناسب لمعناه أولا ووسطا وآخرأ والكلمة كلها كذلك، فأولا- كما شرحنا- مثل خَضَمَ وقَضَمَ- صَعِدَ وسَعِدَ- سَدَ وصُدَ، ووسطا مثل ق ط ر- ق د ر- ق ت ر- قسم وقصم- الوسيلة

والوصيلة، وآخرها مثل النضج والنضغ والقذّ والقطّ وقرّت الدم وقرّد وقرط  
يقرط والكلمة مجتمعة بحروفها كلها مثل بحث وجرّ وشدّ الحبل ونحوه.

ومعنى هذا أن الثنائي- فى الاشتقاق الأكبر- الذى يتنوع بالحرف الثالث نشأ  
عن الطبيعة أو الحدث المقارن لها، فإذا أضفنا إلى ذلك أن ابن جنى ممن يميل إلى  
القول بنشأة اللغة الإنسانية من محاكاة الأصوات كان هذا مطابقاً تماماً لما يقول به  
أصحاب النظرية الثنائية، وإن كان هو لم يخرج بهذه النتيجة بطريقة مباشرة.

ويتفق الدكتور مراد كامل والأستاذ محمد المبارك على أن ابن جنى دلى على  
هذا الرأى بأمثلة خلال شرحه لنظريته الصوتية فى اللغة بوجه عام، وأشار إلى  
ذلك فى كتابه الخصائص، وهو يعرض دلالة أصوات الكلمة على أجزاء الحدث  
الذى تدل عليه<sup>(١)</sup> بقوله: فلن أنت رأيت شيئاً من هذا النحو لا ينقاد لك فيما  
رسمناه، ولا يتابعك على ما أوردناه، فأحد أمرين: إما أن تكون لم تُنعم النظر  
فيه، فيقع بك فكرك عنه، أو لأن لهذه اللغة أصولاً وأوائل قد تخفى عنا،  
وتقصر أسبابها دوننا<sup>(٢)</sup>.

ويقول الأستاذ محمد المبارك إنه قد "سار على أثره عدد من الباحثين القدماء  
والمحدثين كجورجى زيدان والكرملى والعلايلى فى التأخيرين وخرجوا من ذلك  
بنظرات متقاربة فى أصل الألفاظ العربية، وتاريخ نشوئها وتكونها"<sup>(٣)</sup>.

ونحن نؤمن- كما يؤمن أستاذنا الدكتور نجما وغيره من العلماء الباحثين- بأن  
أصول اللغة العربية ثلاثة كما هو موجود فى الاستعمال<sup>(٤)</sup> وعلماء اللغة ينظرون  
إلى القول بالثنائية على أنها لا تعدو أن تكون مرحلة تاريخية غير ثابتة، وفى أول

(١) نشأة الفعل الرباعى فى اللغات السامية الحية ٢٢، وفقه اللغة للمبارك ٧٥، وانظر معجميات  
عربية سامية، ١٩٥٠م، ص ٥.

(٢) الخصائص ١٦٤/٢.

(٣) فقه اللغة للمبارك ٦٨ وللدكتور العزائى ٢١٥، ٢١٦.

(٤) فقه اللغة، ط الجديدة، ٨٨/٤، وللمبارك ٨٠، ٨١. ومقدمة لدرس لغة العرب ٢٠٣، وطرق  
تنمية الألفاظ ٤٣، ودراسات فى فقه اللغة ١٧٦.

الطريق لأنها قامت على بعض أمثلة بالقياس إلى مواد اللغة الكثيرة التي تبلغ ثمانين ألف مادة كما أورد ابن منظور في لسانه، وإنه يجب أن يشترك فيها اللغات السامية التي يفترض التقاؤها مع العربية في تلك المرحلة التاريخية<sup>(١)</sup>، وإذا كان علماء اللغة قد قالوا بذلك فليس معناه أن النظرية غير مجدية تماما، بل "إن متابعة التحرى والبحث في هذا الاتجاه سيؤدي إلى نتائج عظيمة في تاريخ الكلم العربي"<sup>(٢)</sup>، وكما يقول أستاذنا الدكتور نجما: هي جديرة بمتابعة البحث والإمعان في التحرى والاستقراء<sup>(٣)</sup>، وكما يقول الدكتور الصالح\* تميل إلى الاعتقاد بأن اللغات تتفاوت في أنماط نشأتها وتطورها، وأن ما يصدق على اللغات الإنسانية المختلفة ربما لا يصدق تماما على لغتنا، فلا يبعد أن تكون هذه الظاهرة أوضح في نشأة لغتنا أو اللغات السامية خاصة منها في نشأة اللغات الإنسانية الأخرى عامة<sup>(٤)</sup>.

وهكذا نستطيع أن نفخر بعمل ابن جنى اللغوى الذى مهد الطريق أمام الباحثين لإثارة هذه الناحية اللغوية التى تكشف عما فى العربية من أسرار عجيبة.

### الاشتقاق الكبار

يعد هذا اللون اللغوى من طرق الاشتقاق ويعنى به "النحت"<sup>(٥)</sup>. ويعرفه أستاذنا الدكتور نجما بأنه: "أخذ كلمة من أحرف كلمتين فأكثر رغبة فى الاختزال والاختصار"<sup>(٦)</sup> وقد تنبه القدماء إلى هذا المعنى، قال ابن فارس فى فقه اللغة باب النحت: "العرب تنحت من كلمتين كلمة واحدة، وهو جنس من الاختصار وذلك رجل عبشمى: منسوب إلى اسمين وأنشد الخليل\*:

(١) فقه اللغة، ط الجديدة، ٨٨/٤ وفقه اللغة للمبارك ٨٠، ٨١.

(٢) فقه اللغة للمبارك ٨٥.

(٣) فقه اللغة ط. الجديدة، ٨٩/٤.

(٤) دراسات فى فقه اللغة ١٧٩.

(٥) مجلة مجمع اللغة العربية ٣٨١/١، ٣٨٢.

(٦) فقه اللغة ٥٥/٣، ٨٤/٤ وفقه اللغة للدكتور العزائى ١٨٦.



## أقولُ لها ودمعُ العينِ جارٍ ألم يُحزنك حَيْعَلَةُ المُنَادِي

ومعناه أن الكلمة منحوتة من كلمتين، كما ينحت السنجار خشبتين، ويجعلهما خشبة واحدة<sup>(١)</sup> فكلمة عبشمى مأخوذة من كلمتين هما (عبد - شمس) وكلمة حَيْعَلَةُ مأخوذة من "حى على الصلاة" التى يقولها المؤذن للصلاة "أى أنه أخذ من هذه الكلمة شىء ومن تلك شىء آخر وجعلت كلمة واحدة<sup>(٢)</sup> .

وبهذا يتضح صلة النحت بالاشتقاق، فهو وإن لم يكن اشتقاقا على الحقيقة - لأن الاشتقاق أن تنزع كلمة من أخرى<sup>(٣)</sup> - فإنه - كما يبدو - توليد شىء من شىء وإن خالف الطريقة التصريفية<sup>(٤)</sup> ولكن من الفروق الجوهرية بينهما أن "الاشتقاق فى أغلب صورهِ عملية إطالة لبنية الكلمات، فى حين أن النحت اختزال واختصار فى الكلمات والعبارات<sup>(٥)</sup>، وأن الاشتقاق طريقة أدل على الحيوية وأشبهُ بطريقة توالد الأحياء فى زيادتها ونموها بخلاف النحت فطريقته أشبه بطريقة الجوامد فى زيادتها ونموها عن طريق اللصق والإضافة<sup>(٦)</sup> .

والنحت ينقسم - كما ذكر أستاذنا الدكتور نجى - ثلاثة أقسام:

١ - تأليف كلمة من جملة لتؤدى مؤداها وتفيد مدلولها، كبسمل المأخوذة من بسم الله الرحمن الرحيم، وحيل المأخوذة من حى على الصلاة.

٢ - تأليف كلمة من المضاف والمضاف إليه عند قصد النسبة إلى المركب الإضافى إذا كان علما، كعبشمى فى النسبة إلى عبد شمس وعبدى فى النسبة إلى عبدالدار.

٣ - تأليف كلمة من كلمتين أو أكثر، لتفيد معنى جديدا بصورة مختصرة، كما فى الأدوات المركبة مثل لن عند الخليل وهلم عند الفراء وغيره من النحاة<sup>(٧)</sup> .

(١) المزهري، ط. الأولى ١/ ٢٣٢، ٢٣٣. (٢) نشوء اللغة العربية للكرملى ١٥٩.

(٣) الاشتقاق والتعريب ١٣. (٤) دراسات فى فقه اللغة ٢٧٧.

(٥) من أسرار اللغة، ط ٣، ٧١. (٦) فقه اللغة للمبارك ١٢٥.

(٧) فقه اللغة ٣/ ٥٦.

وهذا التقسيم نفسه قد ذكره الدكتور وافي<sup>(١)</sup> ويُقرب منه ما ذكره الأستاذ المغربي<sup>(٢)</sup>. وهنا نذكر ما ينسب إلى ابن جنى فى موضوع النحت:

### أولاً: النحت السماعى

كان ابن جنى يستجيز النحت بطريقه السماعى المألوف عن العرب، فلا مانع عنده من النحت الجملى المعروف فى مثل: حيسل ويسمل وحوقل... إلخ فهو يجيز أن نقول: بابأت بالصبي بابأة وبثباء: إذا قلت له بَثْبًا<sup>(٣)</sup>، وابن جنى يتابع أسلافه فى تقدير مثل هذا التركيب النحتى بناء مستعملاً، وجارياً فى اللغة على أمثاله، فأصل هذا أن الباء حرف جر، والهمزة فاء الفعل، فوزن هذا على هذه المقدمة بففت بففة وبفبافاً إلا أنا لا نقول مع هذا إن هذه المثل على ما ترى لكن نقول: إن بابأت الآن بمنزلة رارات<sup>(٤)</sup> عينا وطاطات رأسى ونحو ذلك مما ليس مترعاً ولا مركباً، فمثاله إذا: فَعَلَّتْ فَعَلَّةٌ وَفَعَلَلَا كدحرجت دحرجة ودحراجا<sup>(٥)</sup>. وعلى هذا اشتقوا منهما (البَثْب) فصار فعلاً من باب سلس وقلق قال:

يا بآبى أنت ويا فوق البَثْب

فالبَثْب الآن بمنزلة الضِّلَع والعِنَب والقِمَع والقِرَب<sup>(٥)</sup>.

وقد أتى ابن جنى لهذا النحت بنظير من واقع اللغة، فالخازبار (صوتان جعلتا واحداً)<sup>(٦)</sup> الألف - عندنا - فيهما أصل بمنزلة ألف كاف ودال وفى قول الشاعر:

وَرِمَتْ لَهَا زُمُهَا مِنَ الْخَزْبَارِ<sup>(٧)</sup>

فالخزبارُ الآن بمنزلة السَّرْبَال والغربال وألفه محكوم عليها بالزيادة كالفهما وهذا كباء الجسر الزائدة فى بآبى أنت أصبحت فاء فى بابأت بالصبي، وألف قاف

(١) فقه اللغة ١٨٠، ١٨١. (٢) الاشتقاق والتعريب ١٣، ١٤.

(٣) المراد أنه يقول له بآبى أنت أى أفديك بآبى. الخصائص ١/ ٢٧٥، ٣/ ٢٢٧، ٢٢٨.

(٤) تحركت حذقتاهما ودارتا. (٥) الخصائص ١/ ٢٧٦.

(٦) لسان العرب، ط. بيروت، ٥/ ٣٤٧، ٣٤٨.

(٧) الخصائص ٣/ ٢٢٨، وانظر فى مادة بآباً واشتقاقاتها. والخازبار. لسان العرب، ط. بيروت،

١/ ٢٥، ٢٦، ٥/ ٣٤٧، ٣٤٨.

ودال كذلك إذا اعتزمت الاشتقاق منها يُعتقد فيها القلب، فتقول قوَّت قافا ودوَّت دالا، وكذلك حكم أبو على على ألف (يا) بعد مزجها باللام في قول الشاعر:

فخيرٌ نحن عند الناس منكم إذا الداعي المثوبُ قال يالا

فبعد أن كانت أصلاً كآلف ما ولا ونحوهما حكم عليها بالانقلاب كآلف باب ودار، ويقول ابن جنى: "سألته - أى أبا على - عن علة ذلك فقال: لما خلطت بها لام الجر من بعدها وحسن قطعها، والوقوف عليها والتعليق لها في قوله: (يالا) أشبهت (يال) هذه الكلمة الثلاثية التى عينها ألف، فأوجب القياس أن يحكم عليها بأنها كباب وساق ونحو ذلك فأنقت لذلك، وذهب بى استحسانى إياه كل مذهب<sup>(١)</sup>.

### ثانياً: النحت فيما زاد على ثلاثة أحرف

كان لابن فارس معاصر ابن جنى رأى فى الكلمة الزائدة على ثلاثة أحرف أنها منحوتة من كلمتين، يقول: اعلم أن للرباعى والخماسى مذهباً فى القياس يستنبطه النظر الدقيق، وذلك أن أكثر ما تراه منه منحوت، ومعنى النحت: أن تؤخذ كلمتان وتنحت منهما كلمة تكون آخذة منهما جميعاً بحظ<sup>(٢)</sup>.

والمطلع على كتاب المقاييس يرى أن ابن فارس قد طبق قاعدته على كلمات كثيرة، جعلته يتخذ النحت فيها مذهباً قياسياً، فقد بلغ عدد الكلمات التى قطع فيها بالنحت " فى أبواب مزيادات الثلاثى وحدها أكثر من ثلاثمائة كلمة منحوتة، بين فعل وصفة<sup>(٣)</sup> وقد بلغ عدد المنحوتات فى باب واحد ثمانين منحوتاً<sup>(٤)</sup> وعلى ما يراه فقد أخذت إحدى المادتين وأضيف إليها حرف من المادة الأخرى على طريق النحت، ويقع الحرف الملصق أولاً وحشواً وآخرأ.

فمثال الأول من الأفعال بَلَخَصَ الذى منه تَبَلَخَصَ لحمه: بمعنى غلظ يعد منحوتاً من بَخَصَ ولَخَصَ<sup>(٥)</sup> بالصاق الباء من المادة الأولى بالمادة الثانية، ومن

(١) الخصائص ٣/ ٢٢٨، ٢٢٩.

(٢) المقاييس ١/ ٣٢٨، وانظر الزهر، ط. الأولى ١/ ٢٣٢.

(٣) دراسات فى فقه اللغة ٢٩٦. (٤) المقاييس ٤/ ٣٥٧-٣٧٣. (٥) نفسه ١/ ٣٣١.

الاسماء البرقش (طائر) مأخوذ من (برش) (ورکش) بإلصاق الباء من الاولى  
بالثانية<sup>(١)</sup> ومن الصفات البُحْر للذى حرم السطول فهو منحوت من (بتر) و (حتر)  
بإلصاق الباء من المادة الاولى بالثانية<sup>(٢)</sup>.

ومثال الثانى من الأفعال: بَلَطَحَ من (بَلَطَ) و (بَطَحَ) بإضافة اللام من المادة  
الاولى<sup>(٣)</sup> ومن الاسماء: البُرْجُد (اسم للكساء الغليظ) أضيفت الجيم من (البجاد)  
لكلمة (بُرد) ومن الصفات: الصَقَّعَ من (صعب) و (صَقَب) بإضافة العين للمادة  
الثانية<sup>(٤)</sup>.

ومثال الثالث من الأفعال: بَحَثَرَ من (بَثَرَ) و (بَحَثَ) بزيادة الراء من المادة  
الاولى<sup>(٥)</sup>، ومن الاسماء: الثُقُورُوق (قَمْعُ الشجرة) من (ثَقَرَ) و (فَرَقَ) بزيادة القاف  
من المادة الثانية<sup>(٥)</sup> ومن الصفات: الضَبُّطَر للرجل الشديد من (ضَبَطَ) و (ضَبَرَ)  
بأخذ الراء من المادة الثانية للمادة الاولى<sup>(٦)</sup>، والصلَقَمُ: الضخم من الإبل أو  
الشديد - من (صلق) و (لقم) فأخذت الميم من المادة الثانية للأولى، ويؤكد الدكتور  
الصالح صحة هذا المذهب وموافقته للدراسة المعاصرة فيقول \* ولا تناقض في  
شيء مما رآه ابن فارس، فإن الأمثلة التى قَفَى بها على تعريفه للنحت، والأمثلة  
التي فرقها على مواد معجمة، تبعا لمذهبه في مزيد الثلاثي، كلها تؤكد اعتقاده بأن

(١) نفسه ٣٣١/١.

(٢) نفسه ٣٢٩/١، (البتر) معروف، و(الحتر): من حترت وأحترت بمعنى: لا تُفْضِل على أحد  
ويرى ابن فارس أن هذا المعنى صار فى القصير لأنه لم يعط ما أعطى الطويل.

(٣) نفسه ٣٣٠/١. بَلَطَحَ: إذا ضرب بنفسه الأرض، (بَلَطَ) منه: أبلط الرجل إذا لصق بالأرض،  
و(البطح) معروف فكان الذى بَلَطَحَ الأرض وضربها بنفسه قد بَطَحَ وأَبْلَطَ.

(٤) نفسه ٣٥٢/٣. (البجاد): الكساء المخطط، و(البُرد): ثوب مخطط ج. برود، وأكسية يلتحف  
بها الواحد بهاء. و(الصقعب): الطويل من الرجال، و(الصقَب): الطويل، و(الصعب) من  
الصعوبة، والصقَب يستخدم - أحيانا - معنى القرب أو البعد أو العمود.

(٥) نفسه ٣٣٣/١. الثَقَر - بالتحريك -: المؤخر كالسير فى مؤخر الرجل، وثَقَره تَثْقِيرًا: ساقه من  
خلفه والثفروق منحوت منهما لأنه شئ فى مؤخر الشجرة يفارقها.

(٦) الزهر ٢٣٢/١. والمقاييس ٣/٣٥٠، وضبر اللحم: اكتنز.

السوابق والأواسط واللاحق، أو كما اصطلاح عليها بعض المعاصرين التصدير والحشو والكسح بقايا كلمات قديمة مستعملة، تناسب مالمح في الحرف العربي من قيمة تعبيرية، فكان المزيد بحرف في أوله أو وسطه أو آخره إنما نحت من كلمتين اختزلتا على سواء، أو اختصرت إحداها أكثر من الأخرى، أو ظلت إحداها على حالها على حين رمز للأخرى بحرف منها، يغلب أن يكون أوضح حروفها بيانا وتعبيرا<sup>(١)</sup>.

وادعى الدكتور الصالح أن ابن جنى عبقري اللغويين يأخذ بهذا الرأي، ويميل إليه، وهو النحت فيما راد على ثلاثة أحرف من الكلمات، ويستدل على ذلك بقوله في (باب في تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني): "هذا غور من العربية لا ينتصف منه ولا يكاد يحاط به، وأكثر كلام العرب عليه وإن كان غفلا مسهوا عنه، وهو على أضرب: منها اقتراب الأصلين الثلاثين كضياط وضيطار... ومنها اقتراب الأصلين ثلاثيا أحدهما ورباعيا صاحبه كدُمث ودمُثَر وسيط وسيطَر<sup>(٢)</sup>، وقد استبط من ذلك أننا لو سألنا ابن جنى رأيه في هذه الرءاء المزيدة على السبط لما كان له أن يعدها حشوا من غير فائدة، وهو في طليعة القائلين بالقيمة التعبيرية للحرف العربي بل الذي نرجحه أنه يعد هذه الرءاء الحرف الأبرز الأقوى في مادة ثلاثية مختزلة، أما الاختلاف حول تقدير هذه المادة المختزلة التي فيها الرءاء فأمر ليس بذى بال ولقد رأينا إمام أصحاب النحت ابن فارس يقتنع غالبا لبيان وقوع النحت بحرف واحد يعوض المادة كلها ويقوم مقامها، وابن جنى يرى أن أكثر كلام العرب على مثل هذا، وإن كان لم يعن هنا بتقرير ظاهرة النحت عنايته بتقرير ظاهرة التقارب في اللفظ والمعنى<sup>(٣)</sup>.

وقبل أن نقرر موقفنا مما ادعاه الدكتور الصالح بالنسبة لعالمنا ابن جنى يلزم أن نذكر ما ذهب إليه القدماء بشأن الزائد على ثلاثة أحرف، والناظر في كتاب «الإنصاف في مسائل الخلاف» يرى خلافا في ذلك الزائد على ثلاثة أحرف بين الكوفيين والبصريين.

(١) دراسات في فقه اللغة ٢٨٢.

(٢) الخصائص ١/١٤٥، ١٤٦.

(٣) دراسات في فقه اللغة ٣٠٤.



فالكوفيون يذهبون إلى أن كل اسم رادت حروفه على ثلاثة أحرف ففيه زيادة، فإن كان على أربعة أحرف نحو جعفر ففيه زيادة حرف واحد، واختلفوا، فذهب أبو الحسن على بن حمزة الكسائي إلى أن الزائد فيما كان على أربعة أحرف الحرف الذي قبل آخره، وذهب أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء إلى أن الزائد فيما كان على أربعة أحرف هو الحرف الأخير، وإن كان على خمسة أحرف نحو سفرجل ففيه زيادة حرفين.

وذهب البصريون إلى أن بنات الأربعة والخمسة ضربان غير بنات الثلاثة، وأنهما من نحو جعفر وسفرجل لا زائد فيهما البتة.

واستدل الكوفيون بأن وزن الرباعي فَعَلَّل والخماسي فَعَلَّل فإحدى اللامين في الأول زائدة، واللامان في الثاني زائدتان، ففي جعفر ونحوه حرف زائد، وفي سفرجل ونحوه حرفان.

واستدل البصريون بأنه لم يقل أحد بزيادة أى حرف من ذلك، وإلا لكان وزن جعفر على اعتبار أحد الحروف زائدا فعَلر- فعفل- فعَل- جعفل، وأجابوا عن دليل الكوفيين بأنه غلط، وجعل بموضع وزن الأسماء، وتمثيلها بالفعل دون غيره، فقد اختير لفظ الفعل لأنه عبارة عن كل شيء من الألفاظ، ألا تراك تقول لصاحبك: قد ضربت زيدا أو خاصمته أو أكرمته أو ما أشبه ذلك، فتقول: قد فعلت، وكان الثلاثي أولى بذلك من قبل أن أقل الأسماء والأفعال بنات الثلاثة، وفيها بنات الأربعة والخمسة، فلو وقع التمثيل بشيء على أربعة أحرف أو خمسة لبطل وزن الثلاثي به، إلا بحذف شيء منه، ونحن نجد بنات الثلاثة تبنى على أربعة أحرف، بزيادة حرف، نحو ضيغم وهو من الضغم وهو العض، وعلى خمسة أحرف بزيادة حرفين نحو سرندى وهو من السرد ولم يعلم أنه بُنى شيء من بنات الأربعة والخمسة على ثلاثة أحرف، فلما كان الأمر على ما ذكرنا وجب التمثيل بالفعل، وإذا احتجنا إلى تمثيل رباعى وخماسى زدنا ما يلحقه بلفظ الرباعى والخماسى، فهذا الذى نزيده على الفعل زائد وإن كان الممثل به أصليا،

لأن الضرورة ألجأت إلى أن نزيد على الفعل ليلحق الممثل بالممثل به فعدل على صحة ما ذهبنا إليه<sup>(١)</sup>.

وبهذا يتلخص رأى البصريين فى القول بأصالة ما زاد على ثلاثة أحرف إن لم يكن الزائد من حروف (سألتمونيها) وبشرطه الخاصة، ولكن الكوفيين يقولون بزيادة ما فوق الثلاثى وإن لم يكن من تلك الحروف المذكورة - وكما يقول بعض المحدثين - اعتمد كل من الفريقين فى أدلته على الميزان الصرفى (الفاء والعين واللام) لا على رد الكلمات إلى أصولها كما كان يرجى منهما، ولذلك كان استدلالهما متداعيا منهاراً<sup>(٢)</sup> فلا تدل مقابلتهم للحرف الزائد على ثلاثة بلام أو لامين على أصالة الحرف أو زيادته، ولو وضعوا للميزان (ف ع ل) للثلاثى و(ف ع ل م) للرباعى، و(ف ع ل م ن) للخماسى لما كان هناك فرق بين تلك الحروف واللام التى تزداد، فلا ينهض أى حرف من ذلك فى دلالة على أصالة أو زيادة. وأما قول البصريين: بأنه لو كان أحد أحرف الرباعى فى نحو جعفر زائداً لكان وزنه قعطر إلخ فهو قول منقوض، لأن العلماء حين قالوا يعبر عن الزائد بلفظه إنما قصدوا ما يزداد من حروف الزيادة العشرة (سألتمونيها) لا المزيدة للإلحاق، أو الحروف التى تزداد من أصل الوضع. وإلا فإنه يعبر عنها بما عبر به عما تقدمه لا بلفظه<sup>(٣)</sup>.

وقد فسر الأستاذ عبد الله أمين أصالة ما زاد على الثلاثة بطريق أجدر بالقبول، ويوفق بين المذهبين السابقين للبصريين والكوفيين "فأكثر الكلمات الثلاثية والرباعية والخماسية - إن لم تكن كلها - أصلها ثنائية، ثم ريدت من أصل الوضع حرفاً أو حرفين أو ثلاثة حتى صارت ثلاثية ورباعية وخماسية، وصارت الزيادات من أصول الكلمات، وقد قال سيبويه: إن المزيد للإلحاق يصبح من بنية الكلمة ويجرى مجرى ما لا زيادة فيه<sup>(٤)</sup>.

(١) الإنصاف فى مسائل الخلاف المسألة ١١٤، ج ٢، ص ٧٩٣-٧٩٥.

(٢) الاشتقاق (عبد الله أمين)، ٤٠٦. (٣) الاشتقاق ٤٠٩-٤١١.

(٤) نفسه ٤١١، ٤١٢، والكتاب ٣٣٤/٢ وانظر مناهج البحث فى اللغة ١٨٥.

وأعتقد أن ابن جني كان ممن يرى هذا الرأي، فالزائد على ثلاثة أحرف يلاحظ فيه أن حرفاً أو أكثر قد أضيف للمادة الثلاثية على أنه زائد عليها من أصل الوضع ثم عدَّ الزائد من أصول الكلمة التي لا تفارقها، ويبدو ذلك من فصل كبير عقده بعنوان (باب في تداخل الأصول الثلاثية والرابعة والخماسية)<sup>(١)</sup> ومن أوضح ما ذكره في موضوعنا قوله: "فأما تداخل الثلاثي والرباعي لتشابههما في أكثر الحروف فكثير منه قولهم سبَّط وسيبَّط فهذان أصلان لا محالة ألا ترى أن أحداً لا يدعى زيادة الراء، ومثله سواء دَمِثَ ودمِثَ وحَبَّجَ وحَبَّجَرُ<sup>(٢)</sup>، ومن الأصلين الثلاثي والرباعي المتداخلين قولهم: قاع قَرِقَ<sup>(٣)</sup> وقَرَقَرُ<sup>(٤)</sup> - وقَرُقُوسُ<sup>(٥)</sup> وقولهم سلس وسلسل وقلق وقلقل، وذهب أبو إسحاق في نحو قلقل وصلصل وجرجر وقرقر إلى أنه فعفل، وأن الكلمة لذلك ثلاثية حتى كأن أبا إسحاق لم يسمع في هذه اللغة الفاشية المتشعبة بزغد وزغذب وسبَّط وسبطر ودمث ودمثر وقول المعجاج:

#### ركبتُ - أخشاه - إذا ما أحبَّجا

هذا مع قولهم: وتر حَبَّجَرُ<sup>(٤)</sup> ويمكن على هذا المعنى أن نحمل تعليق ابن جني على رأى أحمد بن يحيى ثعلب في قول الشاعر.

يَرُدُّ قَلْبُخًا وَهَدِيرًا زَغْدَبًا

في أن الباء رائدة، وأخذه من زَغْدَ البعيرُ يزغْدُ زَغْدًا في هديره فقد قال: إن قوله: الباء رائدة كلام تمجُّه الأذان، وتضييق عن احتماله المعاذير، وأقوى ما يذهب إليه فيه أن يكون أراد أنهما أصلان مقتربان كسبَّط وسبَّطَرُ<sup>(٥)</sup>.

(١) الخصائص ٤٤/٢ - ٥٥.

(٢) نفسه ٤٩/٢.

(٣) أملس ناعم.

(٤) الخصائص ٥٢/٢. أحبيج: ظهر خطره وهوله وهو في مقام الحديث عن المهمة في صدر البيت: وَمَهْمُهُ هَالِكٌ مِنْ تَعَرَّجَا

وتر حبجر: قوى متملى.

(٥) نفسه ٤٩/٢. القلبخ والزغذب: هدير البعير.

وهو ينظر إلى تحقق ذلك في الحرف الواقع في حشو الكلمة كزرم - وازرآم وخضيل واخضال وأزهر وازهار وضفد واضفاد وزلم وازلأم فلا تكون همزته إلا أصلاً وكذلك لام الزلغب هي أخرى أن تكون أصلاً<sup>(١)</sup> وما ذلك إلا لأنه ينظر إلى أنه أضيف إلى الثلاثي حروف أخرى لتنوع معناه، وصارت بعد ذلك من أصول الكلمة، وهو مبني على وجود فرق بين تلك الحروف التي زيدت من أصل الوضع، وبين الحروف التي توجد وتحذف وهي حروف (سألتهمونيها) والزيادة بالتضعيف ونحوها، ولعل فهمنا لهذا ينبنى على أن ابن جنى أثبت في الاشتقاق الأكبر أن الحرف الزائد ينوع معنى البناء، فهناك فرق بين جلّف وجلّم وجرّف وجنّف إلخ<sup>(٢)</sup>، ولعل الدكتور الصالح قد استتج اعتراف ابن جنى بالنحت فيما زاد على الثلاثة من العبارة التي ذكرها، مقارنة بما ورد عن سيويه في الكتاب، من عبارة مماثلة مصاحبة لطريقة النحت السماعية حيث يقول: "وقد يجعلون للنسب في الإضافة اسماً بمنزلة جعفر، ويجعلونه من حروف الأول والآخر، ولا يخرجونه من حروفها ليعرف كما قالوا سبطر فجعلوا فيه حروف السبط إذ كان المعنى واحداً وسترى بيان ذلك في باب إن شاء الله، فمن ذلك عيشمى وعبدري<sup>(٣)</sup> ولكننا نرى أن ذلك كله احتمال وظن لا يمكن القطع في أمره، فإذا كان أسلوب سيويه محتملاً له فإن كلام ابن جنى لا يوجد فيه ذلك، ولو كان ابن جنى - كما يخیل لنا - أراد الإشارة إلى النحت بصورته المعروفة فيما زاد على الثلاثي لكان أولى به أن يصرح بوقوعه في سبط وسبّطر ونحوهما بوضوح أكثر من ذلك، وبخاصة أنه معاصر لابن فارس الذي أوضح تلك النظرية بأجلى بيان ولا سيما كذلك أننا عرفنا عن ابن جنى ولعه بالبيان الواضح الذي يخرج به أحياناً إلى حد الاستطراد.

(١) الخصائص ٥٠ / ٢. زرم وازرآم: انقطع - خضيل واخضال: ابتل وندى - ضفد واضفاد: كثر

لحمه وحمق - زلم وازلأم: أسرع وارتحل. زغب وازلغب: طلع ريشه.

(٢) واستدلنا من ذلك على إيمانه بالثنائية اللغوية على ما سبق بيانه.

(٣) الكتاب ٨٨ / ٢ ودراسات في فقه اللغة ٣٠٣.

ولعل أمر النحت فيما زاد على الثلاثة لم يرق في نظره فعدل عنه، ويمكن فهم ذلك من أنه صرح بأن السراء في سبّط لا يمكن عدّها رائدة، وهاجم ثعلبا عندما قال بزيادة باء رغذب، والمحدثون يعدّون نحت ما فوق الثلاثي من قبيل التحايل والتعسف والتعارض مع المناهج العامة التي تسير عليها اللغات الإنسانية، بصدد الكلمات الدالة على الحدث وتصريفها<sup>(١)</sup> ويتطرق الأستاذ العلّيلي فيعد ذلك مما يظهر "مقدار الوهم والدخل الذي سقط فيه الأقدمون، وأن العربية شبت عن النحت بما فيها من القوانين العملية، فالنحت أبدا ظاهرة من طفولية اللغة"<sup>(٢)</sup>.

### ثالثاً: النحت بين السماع والقياس

جعل القدماء - غير ابن فارس - النحت سماعياً فلا يقال منه إلا ما قالته العرب<sup>(٣)</sup> ولكن المحدثين من علماء اللغة ينقسمون فريقين:

١- من يقف عند حد المحفوظ منه ويرى "أن لغتنا ليست من اللغات التي تقبل النحت على وجه لغات أهل الغرب، كما هو مدون في مصنفاتها، والمنحوتات عندنا عشرات، أما عندهم فمئات بل ألوف، لأن تقديم المضاف على المضاف إليه معروف عندهم، فساغ لهم النحت، أما عندنا فاللغة تأباه وتبّرأ منه"<sup>(٤)</sup>.

"وعمل النحت لا يكاد يذكر، وخصوصاً في بناء اللغات التي تحتكم فيها الحركات دون الحروف، وتقوم على الاشتقاق دون التركيب، ولذا كان في السامية أقل منه في الآرية، وكان في العربية أقل من كل ما هو منه في سائر الساميات الأخرى"<sup>(٥)</sup>.

٢- من يميل إلى جواز النحت والنقل اللفظي الكامل للمصطلحات<sup>(٦)</sup>.

(١) فقه اللغة د. وافي ١٨٢. (٢) مقدمة لدرس لغة العرب ١٥٣.

(٣) المزهري، ط. الأولى ٢٣٤/١.

(٤) مجلة لغة العرب (رأى للأب أنستاس الكرملي نشره بتلك المجلة)، ص ٢٩٣، سنة ١٩٢٨ م.

(٥) مقدمة لدرس لغة العرب ٢٣٦.

(٦) دراسات في فقه اللغة ٣٠٦، ومن أسرار اللغة، ط ٣، ٧٤، ٧٥.



وكل من الفريقين مبالغ فيما ذهب إليه، فالأمر يقتضى التريث، وإجازته عند الحاجة، وهو ما أقره كثير من الباحثين المحدثين<sup>(١)</sup> وأيده المجمع اللغوى بالقاهرة<sup>(٢)</sup>.

### تعقيب

وبعد أن يقف الباحث اللغوى على مبتكرات ابن جنى فى الاشتقاق يلاحظ أنه أرسى قواعد تكشف عن خصائص اللغة كما أرادها العرب، فى أنبل أغراضها وأبدع مزاياها. فالاشتقاق -حقا- يستحق هذه العناية الكبيرة التى أوضحت لنا أنه - كما يقول أستاذنا الدكتور نجما - من العوامل الهامة فى زيادة الثروة اللغوية وتكثير المفردات فيها، لأنه يمكن الإنسان من توليد ألفاظ كثيرة من أصل واحد<sup>(٣)</sup> وكما يقول الدكتور عثمان أمين: "تستطيع به اللغة أن تؤدى معانى الحضارة الحديثة على اختلافها"<sup>(٤)</sup> فللاشتقاق فائدة عظيمة فى توليد الألفاظ للدلالة على المعانى الجديدة ولم ينقطع سبل الألفاظ الجديدة فى اللغة العربية<sup>(٥)</sup> حتى لقد "بلغ عدد كلماتها بالاشتقاق وحده سبعين ألف كلمة"<sup>(٦)</sup> فهو مظهر من مظاهر حيويتها، وقدرتها على التطور والتجديد<sup>(٧)</sup> وهو سر تفوقها وأنها أشرف اللغات القديمة والحديثة، وأنها أحق لغة بأن تحيا كما قال بعض علماء الأمريكان المحققين<sup>(٨)</sup>.

وهو - فوق زيادة الثروة اللغوية به- يكشف عما تحتفظ به اللغة من صور الماضى للأمة وحياتها الاجتماعية وتطورها، فكلمة (صفقة البيع) تصور لنا وضعاً ماضياً كان يحدث بين المتبايعين، ومعناها ضرب اليد على اليد، وكذلك كلمة (عقد) إذ كان المتعاقدان على أمر يعقدان طرفى ثوبيهما، وكذلك (صراط) فى

(١) اللغة والنحو (عباس حسن) ٢٥١، ومن أسرار اللغة، ط ٣، ٧٥، ٧٦، ومقدمة لدرس لغة العرب ١٥٣، ودراسات فى فقه اللغة ٣١٦.

(٢) مجموعة القرارات العلمية من الدورة (١-٢٨)، ط ١٣٨٢ هـ/ ١٩٦٣ م، ص ٩، وفى أصول اللغة، ص ٤٩، ٥٠، وانظر فى الحديث عن النحت وطرقه وقياسيته وسماعيته. مجلة المجمع ٢٠١/٧-٢٠٤.

(٣) فقه اللغة ٤٨/٣. (٤) فلسفة اللغة العربية ٤٦. (٥) فقه اللغة للمبارك ٦٠.

(٦) الاشتقاق والتعريب ص ٩. (٧) فقه اللغة للمبارك ٦٣.

(٨) فلسفة اللغة العربية وتطورها (جبر ضومط) ١٢٠.

العربية هي في الفرنسية estrade وفي الإنجليزية street ومعناها الطريق المعبد تدلنا على أن العرب عرفوا الطرق المعبدة كغيرهم<sup>(١)</sup>.

كما أن لفظ أقلمت السفينة الذي يستعمل الآن يدل على استعمال السفن ذوات الشراع في ماضى الأمم، قبل أن تصل إلى وضعها الحالى من السير بالبخار أو غيره، ولا تزال بقايا تلك السفن مستعملة للآن<sup>(٢)</sup>، فالاشتقاق يعيننا على العودة إلى العصور الغابرة، فإن كثيرا من الكلمات في كل لغة تحفظ آثارا من الحياة القديمة في هذا الجانب أو ذاك من جوانبها<sup>(٣)</sup>.

وقد يكشف عن عقليات الأمم ومفاهيمها وعن الأصيل والدخيل كما ذكرنا فيما مضى<sup>(٤)</sup>.

وهو يربط الكلمة بالأصل الصحيح لها، وقد أورد ابن جنى في خصائصه بعض سقطات العلماء التى تتعلق بعدم فهم أصل المادة التى اشتقت منها الكلمة، وبناء الوزن الصرفى على غيره، مثل أصل الكلمات: أسكفة الباب، مندوحة، مسيل وأمسلة، وقد سبق ذكر ذلك<sup>(٥)</sup>.

وبه -أيضا- يعرف الأصيل والزائد نحو \*ألندذ ويلندد، فالنون زائدة، ويوضح ذلك الاشتقاق فى ألندد لأنه هو الألد<sup>(٦)</sup>.

وعلى طريقة الاشتقاق الكبير يمكن معرفة ما أشكل من الفاء والعين واللام، والوقوف على أصلها الصحيح، وهذا يكثر إعظام هذه اللغة الكريمة من أجله<sup>(٧)</sup> وقد قام الصرف المقارن على أساس ما وصل إليه الاشتقاق من نتائج<sup>(٨)</sup>.

ويمكن -على أساس دوران المادة حول معنى واحد والقيمة التعبيرية للحرف- أن نصل إلى نتائج قيمة من أهمها البحث عن تاريخ الكلمات، وتطورها، وهذا ما أوضح عبقرية العربية منذ نشأتها ويرجع الفضل فى هذا الإيضاح إلى عالمنا اللغوى الكبير ابن جنى.

(١) فقه اللغة للمبارك ٢، ٤، ٥، ١٣٨، وانظر ص ٨٥٩، ٨٦٠ من كتابنا.

(٢) علم اللغة، د. السمران ٣١٥، ٣١٦.

(٣) انظر ص ٧٧٩، ٨٥٩، ٨٦٠ من كتابنا. (٤) انظر ص ٨٢٥ من كتابنا.

(٥) الحصائص ٥٧/٣. (٦) نفسه ١٣٩/٢. (٧) اللغة ٢٢٦.

## المجاز اللغوي

المجاز- كما يقول الأستاذ الرافعي- صنعة حقيقية في اللغة لا تنهيا إلا بعد أن يكون العرب قد استكملوا أسباب النهضة الاجتماعية<sup>(٣)</sup>، وطالما حاول العلماء- ومنهم ابن جني- بيان هذا اللون الساحر للبلاغة العربية، وسنذكر ذلك- في حدود موضوعنا- ونبدأ بالمقارنة بين مصطلحات لغوية ثلاثة هي: الحقيقة اللغوية- المجاز اللغوي - النقل.

الحقيقة: في اللغة: - كما قال ابن جني - ما أقر في الاستعمال على أصل وضعه<sup>(٤)</sup> وفي اصطلاح البلاغيين: اللفظ المستعمل فيما وضع له في اصطلاح التخاطب، كإسداء الموضوع للحيوان المفترس، وشمس للكوكب المعروف، وكالصلاة بمعنى الدعاء عند العرب، وبالمعنى الشرعي- وهو الأقوال والأفعال المفتحة بالتكبير المختمة بالتسليم بشرائط خاصة- إذا كان المخاطب من علماء الشريعة، فإنه يعد حقيقة بالنسبة له، والواقع أن اللفظ بالمعنى الشرعي كان مجازا، من إطلاق العام وإرادة الخاص، ثم تنوسى المجاز فيه فأصبح حقيقة عرفية عند أهل الشرع على طريق النقل- الذي ستحدث عنه- ولذلك تعد المصطلحات العلمية في نظر الباحث اللغوي محازات تنوسيت.

المجاز: في اللغة: كلمة بورن مفعّل من جار الطريق: إذا قطعه من أحد جانبيه إلى الآخر، وقد تُوسّع في استعماله، فأصبح يطلق على كل ما يوصل إلى المراد، يقال: جعلت كذا مجازا إلى حاجتي: أى طريقا لها وموصلا إليها<sup>(٥)</sup>، وفي اصطلاح البلاغيين: هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له في اصطلاح التخاطب لعلاقة، وقرينة، فالعلاقة إذا كانت المشابهة سمي اللفظ استعارة، مثل: رأيت أسداً يتكلم، وإن كانت غيرها كان اللفظ مجازا مرسلا، مثل قوله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا...﴾ [غافر]، وهذا إذا كانت القرينة مانعة من إرادة

(١) نفسه ١٣٩/٢. (٢) اللغة ٢٢٦. (٣) تاريخ آداب العرب ١/١٧٥.

(٤) الخصائص ٤٤٢/٢، واللسان ٣٣٦/١١، وتاج العروس ١٩/٤.

(٥) تاج العروس ١٩/٤ ومختصر سعد الدين التفتازاني على متن التلخيص ١٥٥/٢، والصاحبي ١٩٧، ١٩٨.

المعنى الأصلي، فإن كانت غير مانعة سمي اللفظ كناية مثل: محمد في ثوبه المجد، وكثير الرماد<sup>(١)</sup>.

ومن هذا نعرف أن المجاز ينقسم ثلاثة أقسام: فهو مجاز مرسل إن كانت العلاقة غير المشابهة، واستعارة إن كانت العلاقة المشابهة، وفي كليهما تكون القرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي، وكناية وفيها يستعمل اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة وقرينة غير مانعة من إرادة المعنى الأصلي، ومما تجدر الإشارة إليه أن لكل من هذه الأنواع صوراً متعددة تعرفها كتب البلاغة<sup>(٢)</sup>، وقد ذكر أستاذنا الدكتور نجا الأدلة التي تميز بها الأساليب المجازية وهي:

١- نص الأئمة وتصريحهم بأن استعمال اللفظ في أحد المعنيين حقيقة وفي الآخر مجاز، كتصريحهم بأن لفظ القطب للحديدة المركوزة في الطبق الأسفل من الرحين حقيقة، ومجاز عند إرادة أحد نجوم السماء.

٢- إقامة القرائن الصارفة عن إرادة المعانى الحقيقية لتبين أن المراد هو المعنى المجازي، كقولك شاهدت القمر يسير في الشارع، فإن سير القمر في الشارع قرينة تصرف عن إرادة الكوكب السيار، وتعين أن المراد هو الغادة الفاتنة.

٣- تعلق الكلمة بما يستحيل عقلاً أن تتعلق به، فيكون ذلك التعلق قرينة على استعمالها في غير معناها الحقيقي، مثل قول الشاعر:

(١) (محمد في ثوبه المجد) - كناية عن نسبة المجد لمحمد، لأنه إذا أثبت المجد للثوب فقد أثبت له صاحبه لزوماً، والقرينة أن المجد لا يمكن أن يثبت حقيقة في الثوب لأنه لا يقوم به، وإنما يثبت فيما يصح وجوده فيه وهو محمد الذي يمكن اتصافه بالمجد، وقد وصف الثوب بالمجد تبعاً لمحمد الذي يلبس الثوب ويحل فيه، ويمكن إرادة الحقيقة بثبوت المجد في الثوب تبعاً لثبوت محله الحقيقي فيه، وهو محمد المتصف بالمجد والذي يلبس الثوب، ويمكن - كما قال التفتازاني - أن يراد بالمجد عين محمد على سبيل الكناية إذ يلزم من وجود المجد في ثوب محمد وجوده في محمد نفسه، فكانه قيل: محمد هو المجد، ومن هنا عد ذلك كناية لجواز إرادة المعنى الأصلي (الحقيقي) وإلا لعد ذلك مجازاً لامتناع إرادة المعنى الحقيقي. انظر: مختصر التفتازاني ٢٠٨/٢، ٢٠٩. وكثير الرماد كناية عن الكرم وهو أمر معروف.

(٢) مختصر التفتازاني ١٥٥/٢ وما بعدها.

## جُعِلَ الْحَقُّ لَنَا فِي إِمَامٍ قَتَلَ الْبَخْلَ وَأَحْيَا السَّمَاخَا

فتعلق القتل بالبخل والإحياء بالسماح مما لا يقبله العقل، ولذلك ينصرف الذهن إلى إرادة المعنى المجازي، وهو الإزالة لأنه لا روح له حتى يزهد<sup>(١)</sup>.

النقل: إذا غلب استعمال اللفظ في غير ما وضع له على طريق المجاز المرسل أو الاستعارة أو الكناية بحيث أصبح الذهن لا ينصرف إلا إليه عند إطلاقه سمي هذا اللفظ منقولاً، ويعرف في عرف البيانين بالمجاز الراجع<sup>(٢)</sup> وله طرق من أهمها ما يأتي:

١- أن يغلب استعمال اللفظ بطريق الاستعارة أو المجاز، مثل كلمة الفصاحة، فمعناها الأصلي: صفاء اللب وذهاب رغوته، ثم شاعت في صفاء القول وعذوبة البيان.

٢- أن يغلب استعمال اللفظ الذي يدل على معنى كلي في جزئي من جزئياته، مثل إطلاق لفظ دابة الموضوع في الأصل لكل حيوان يمشى على الأرض، على بعض الحيوانات، وهي التي تمشى على أربع، وشيوع هذا المعنى الأخير في عصر من العصور.

٣- أن يغلب استعمال اللفظ الخاص في معنى عام بحيث يفهم منه العموم عند الإطلاق، كلفظ البأس فمعناه الأصلي: الحرب ثم غلب استعماله في كل شدة.

٤- أن ينقل اللفظ من معناه الأصلي لمعنى اصطلاحى علمي أو مدني كمصطلحات النحويين (الفاعل والمفعول والجار والمجرور... إلخ) ومصطلحات الفقهاء (الصلاة والصوم والحج إلخ) ومصطلحات المناطقة (المقدمة والنتيجة والقضية والقياس... إلخ)<sup>(٣)</sup>.

(١) فقه اللغة ٣/٦٦، د. المزاري ١٩٢، ١٩٣.

(٢) مجلة مجمع اللغة العربية ٢٩٦/١.

(٣) نفسه ٢٩٦/١-٢٩٨ وفقه اللغة د. وافي ٢٢٣-٢٢١.



والوضع الشرعى والعرفى الخاص والعرفى العام كلها داخلة تحت نوع الوضع المجازى<sup>(١)</sup> ويقول الدكتور وافي: قد كثر استخدام العرب لبعض المفردات فى غير ما وضعت له فاشتبه أمرها على كثير من جامعى المعجمات، فعدوا بعض المعانى المجازية من قبيل الحقائق اللغوية، ولم يعن بالتفرقة بين معانى الكلمة الحقيقية ومعانيها المجازية، إلا عدد قليل من أشهرهم الزمخشري فى كتابه الأساس<sup>(٢)</sup>. وللمجاز أثر كبير فى نمو اللغة وسعتها.

وقد عرض ابن جنى لهذه النواحي البلاغية، وأفاض فى بيانها، فقد عرف الحقيقة والمجاز بالتعبير السابق فقال: إن الحقيقة ما أقر فى الاستعمال على أصل وضعه فى اللغة، والمجاز ما كان بضد ذلك<sup>(٣)</sup>، وهو بهذا التعبير يقف فى مصاف البلاغيين فى تحديد معناه وهو ما عناه الإمام عبد القاهر ونسج على منواله حين قال: أما المجاز فقد عول الناس فى حده على حديث النقل، وأن كل لفظ نقل عن موضوعه فهو مجاز<sup>(٤)</sup> وإذا عدل باللفظ عما يوجبه أصل اللغة وصف بأنه مجاز، على معنى أنهم جازوا به موضعه الأصيل، أو جاز هو مكانه الذى وضع فيه أولاً<sup>(٥)</sup>، بيد أن ابن جنى يطلق المجاز -بمعناه الواسع- فيشمل التشبيه المحذوف الأداة والتجريد وغيره من ألوان البلاغة، وقد خصص فيما بعد كما يقول ابن رشيق<sup>(٦)</sup> وقد بين ابن جنى أسرار المجاز التى تحقق للغة قوتها ومرونتها، فذكر أنه يقع ويُعدل إليه عن الحقيقة لمعان ثلاثة هى: الاتساع والتوكيد والتشبيه<sup>(٧)</sup> وأجرى ذلك على الشواهد مثل قول النبى ﷺ فى الفرس (هو بحر)، فالمعانى الثلاثة موجودة فيه، أما الاتساع فلأنه زاد فى أسماء الفرس التى هى فرس وطُرف وجواد ونحوها البحر، حتى إنه إن احتج إليه فى شعر أو سجع أو اتساع استعمال استعمال بقية تلك الأسماء، لكن لا يُفضى إلى ذلك إلا بقرينة تسقط الشبه، وذلك كأن يقول الشاعر:

(١) فقه اللغة، الإسكندري، ص ٩١. (٢) فقه اللغة د. وافي ٢٢٨.

(٣) الخصائص ٢/٢٤٢. (٤) دلائل الإعجاز ٤٥.

(٥) أسرار البلاغة ٣٤٢. (٦) العمدة، ط. السعادة ١٩٠٧م، ١٨٠/١ - ١٨٠.

(٧) نقل ذلك عنه الأستاذ الراجزى، تاريخ آداب العرب ١/١٧٤، ١٧٥.

عَلَوْتَ مَطَا جَوَادِكَ يَوْمَ يَوْمٍ      وَقَدْ تُمَدُّ الْجِيَادُ فَكَانَ بَحْرًا

وكان يقول الساجع: فرسك هذا إذا سما بغرته كان فجرا وإذا جرى إلى غايته كان بحرا ونحو ذلك، ولو عرى الكلام من دليل يوضح الحال لم يقع عليه بحر، لما فيه من التعجرف في المقال من غير إيضاح ولا بيان، ألا ترى أن لو قال: رأيت بحرا، وهو يريد الفرس، لم يعلم بذلك غرضه، فلم يجز قوله، لانه إلباس والغار على الناس، وفي هذه العبارة الأخيرة يوضح ابن جني ما أشار إليه علماء البلاغة من اشتراط وجود القرينة في المجاز، وأما التشبيه فلان جريه في كثرة مشبه بكثرة ماء البحر، وأما التوكيد فلأنه شبه العرض بالجواهر، وهو أثبت في النفوس منه، والشبه في العرض متفنية عنه، ألا ترى أن من الناس من دفع الاعراض، وليس أحد دفع الجواهر، وكذلك قول الله سبحانه ﴿وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا...﴾ [الأنبياء] هذا مجاز وفيه الأوصاف الثلاثة، أما السعة فلأنه كأنه زاد في أسماء الجهات والمحال اسما هو الرحمة، وأما التشبيه فلأنه شبه الرحمة وإن لم يصح دخولها، بما يجوز دخوله فلذلك وضعها موضعها، وأما التوكيد فلأنه أخبر عن العرض بما يخبر به عن الجواهر، وهذا تعال بالعرض وتفخيم منه إذ صير إلى حيز ما يشاهد ويلمس ويعاين وقال في قول الشاعر:

ووجه كأن الشمس حلت رداءها      عليه نقي اللون لم يتخذ

جعل للشمس رداء وهو جواهر، لانه أبلغ في النور الذي هو العرض، وهذه الاستعارات كلها داخله تحت المجاز، ومثل ذلك قولك: بنيت لك في قلبي بيتا أو أحللتك من رأيي وثقتي دار صدق، فذلك مجاز واستعارة، لما فيه من الاتساع والتوكيد والتشبيه على ما مضى<sup>(١)</sup>، وهكذا أخذ يوضح فوائد المجاز بأنواعه، التي حددها بنظرته الخاصة التي تؤكد أنه عالم بياني ماهر في التخريج وذو ذوق أدبي مرهف وقد استوفى الحديث عن المجاز اللغوي فاشتراط وجود العلاقة بين الطرفين المستعار والمستعار له كذلك قال: إنه لا يقضى إلى المجاز إلا

(١) الخصائص ٢/ ٤٤٢-٤٤٧. رأى الشيخ النجار أن هذا البيت من شعر ابن جني ساقه شاهداً على ما يقول، و(تمد الجياد) أي أصابها الإعياء. انظر التعليق.

بقريئة تُسقط الشبهة، وهذا ما يعنيه البلاغيون بالقريئة المفهمة للمجاز والصارفة عن المعنى الحقيقي، وقد شرح ذلك بوضوح، وحدد قيمة الأسلوب المجازي وهو إفادة المبالغة، وعبر عن ذلك (بالتوكيد)، كما بين الهدف العام من الأساليب المجازية، وهو الاتساع في اللغة، وإفادة الكاتب والشاعر.

ولكن أبا الفتح نصر الله بن الأثير عاب على أبي الفتح بن جنى هذا المنهج في شرح معنى المجاز وقواعده وأهدافه فقال: \* وكنت تصفحت كتاب الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جنى، فوجدته قد ذكر في المجاز شيئا يتطرق إليه النظر، وذلك أنه قال: لا يعدل عن الحقيقة إلى المجاز إلا لمعان ثلاثة: وهي الاتساع والتشبيه والتوكيد فإن عدت الثلاثة كانت الحقيقة البتة فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا...﴾ (٧٥) [الأنبياء] فهذا مجاز، ثم حكى كلام ابن جنى في الآية، وقال: هذا مجموع قول أبي الفتح رحمه الله من غير زيادة ولا نقص، والنظر يتطرق إليه من ثلاثة أوجه:

الأول: أنه جعل وجود هذه المعاني الثلاثة سببا لوجود المجاز، بل وجود واحد منها سبب لوجوده، ألا ترى أنه إذا وجد التشبيه وحده كان ذلك مجازا، وإذا وجد الاتساع وحده كان ذلك مجازا، ثم إن كان وجود هذه المعاني الثلاثة سببا لوجود المجاز كان عدم واحد منها سببا لعدمه، ألا ترى أنا إذا قلنا: لا يوجد الإنسان إلا بأن يكون حيوانا ناطقا، فالحيوانية والنطق سبب لوجود الإنسان، وإذا عدم واحد منهما بطل أن يكون إنسانا، وكذلك كل صفات تكون متقدمة لوجود الشيء فإن وجودها بوجوده، وعدم واحد منها يوجب عدمه.

وأما الوجه الثاني: فإنه ذكر التوكيد والتشبيه وكلاهما شيء واحد على الوجه الذي ذكرته، لأنه لما شبهت الرحمة، وهي معنى لا يدرك بالبصر، بمكان يدخل، وهو صورة تدرك بالبصر، دخل تحت التوكيد الذي هو إخبار عما لا يدرك بالحاسة بما قد يدرك بالحاسة، على أن التوكيد ههنا على وجه ما أورده في تمثيله لا أعلم ما الذي أراد به، لأنه لا يؤتى به في اللغة العربية إلا لمعنيين أحدهما: أنه يرد أبدا فيما استقرئ بالفاظ محصورة نحو نفسه وعينه وكله، وما أضيف لها مما استقرئ، وهو مذكور في كتب النحاة، وقد كُفيت مثوته، والآخر: أنه يرد على

وجه التكرار نحو قام زيد، قام زيد كرر اللفظ في ذلك تحقيقاً للمعنى المقصود أى توكيداً، والذي ذكره أبو الفتح رحمه الله تعالى لا يدل على أن المراد به أحد هذين المعنيين المشار إليهما، ولا شك أنه أراد به المبالغة والمغالة في إبراز المعنى الموهوم إلى الصورة المشاهدة، فعبّر عن ذلك بالتوكيد، ولا مشاحة له في تعبيره، وإذا أراد به ذلك فهو والتشبيه سواء على ما ذكره، ولا حاجة إلى ذكر التوكيد مع ذكر التشبيه.

وأما الوجه الثالث: فإنه قال: أما الاتساع فهو أنه زاد في أسماء الجهات والمحال كذا وكذا، وهذا القول مضطرب شديد الاضطراب، لأنه ينبغي على قياسه أن يكون جناح الذل في قوله تعالى ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ...﴾ [الإسراء] زيادة في أسماء الطيور، وذلك أنه زاد في أسماء الطيور اسماً هو الذل، وهكذا يجرى الحكم في الأقوال الشعرية كقول أبي تمام:

لبستُ سواه أقواماً فكأنسوا كما أغنى التيمم بالصعيد

فزاد في أسماء اللباس اسماً هو الأدمى وهذا مما يضحك منه، نعوذ بالله من الخطل<sup>(١)</sup>.

والواقع أن ابن جنى على صواب فيما رآه، ولا محل لنقد ابن الأثير، ونناقشه واحدة واحدة:

١- تصور ابن الأثير أن ابن جنى يجعل المعانى الثلاثة المذكورة شروطاً لا بد منها لتحقيق المجاز، بحيث إذا فقد أحدها فقد المجاز، ويتبين ذلك من مقارنته للمعانى الثلاثة بتعريف الإنسان بأنه حيوان ناطق، فوجوده بوجود الصفتين وعدمه بعدم إحداهما أو هما معا ومن قوله: إن المجاز يتحقق بوجود واحد من المعانى الثلاثة، فإذا وجد التشبيه وحده كان ذلك مجازاً، وإذا وجد الاتساع وحده كان ذلك مجازاً، ولا وجه لابن الأثير في توجيهه هذا النقد، لأن ابن جنى حدد بهذه المعانى الثلاثة علاقة المجاز وقيمته اللغوية، وفائدته للغة، فالتشبيه - كما ذكرنا - يحدد به العلاقة، والتوكيد يحدد به إفادته للمبالغة، والاتساع يحدد به مرونة اللغة وإفادة أرباب الأدب والبلاغة، ولا

(١) المثل السائر، ط. حجازى، ص ١٤٥، ١٤٦.

ريب أن المجاز يوجد أولاً بالعلاقة، ثم يترتب عليه التوكيد والاتساع، ولا يقصد ابن جنى ما فهمه ابن الأثير من كون الثلاثة أسباباً لا بد منها كالحيوانية والناطقية، بل منها السبب، ومنها النتيجة، وابن الأثير غير دقيق فيما ذهب إليه، من أن المجاز يتحقق بواحد منها كالتشبيه أو الاتساع، فإذا صح أن التشبيه يحقق المجاز- لأنه يحدد العلاقة بين طرفيه- فلم يقل أحد بأن الاتساع من علاقات المجاز حتى يكون سبباً لوجوده بل إنه نتيجة له مترتبة عليه، ومثله التوكيد فهو مبالغة ناشئة عن وجود المجاز لا أنه من مكوناته.

٢- ذكر ابن الأثير أن ابن جنى يقصد بالتوكيد معنى المبالغة والمغالة لا التوكيد النحوي المعروف، وعلى هذا فهو والتشبيه- كما يرى- سواء في المعنى، فلا حاجة إلى ذكر التوكيد مع التشبيه، وهذا تصور غير سديد فالتوكيد هنا غير التشبيه، إذ التشبيه عبارة عن ارتباط طرفين بينهما علاقة سوغت للمتكلم أن يستعمل اللفظ في غير معناه الأصلي، وهو وجه الشبه القائم بينهما، أو الجامع كما يسمونه في الاستعارة، أما التوكيد فهو- كما قدمنا- النتيجة لهذا الاستعمال، وهو يعنى إبراز المشبه في صورة أكثر وضوحاً وقوة حتى يثبت في النفوس، وذلك- بلا ريب- مترتب على إجراء المجاز، ونقل اللفظ إلى المعنى المراد إبرازه، فلا وجه لاعتراض ابن الأثير.

٣- فهم ابن الأثير أن معنى الاتساع زيادة اسم حقيقي في جانب المشبه بعد نقله من المشبه به وهذا فهم قاصر، فابن جنى لا يقصد أن يصير لفظ المشبه به- بعد نقله إلى المشبه - حقيقة لغوية، بل إنه يرمى إلى أن المجاز يمكن المتكلمين باللغة من التعبير بطرائق متعددة، ولا سيما الشاعر والكاتب وقد أوضح ذلك ونفى ما ذهب إليه ابن الأثير من صيرورة اللفظ حقيقة في المعنى الجديد، بل إنه صرح بأن اللفظ المنقول يظل حقيقة في معناه الأول المنقول عنه ومجازاً في معناه الثاني المنقول إليه، بحيث يحتاج دائماً إلى قرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصلي، فقال: "أما الاتساع فلأنه زاد في أسماء الفرس التي هي فرس وطرف وجواد ونحوها البحر، حتى إن احتيج إليه في شعر أو سجع أو اتساع



استعمل استعمال بقية تلك الأسماء، لكن لا يفضى إلى ذلك إلا بقرينة تُسقط الشبهة\* ولو كان اللفظ يصير بعد نقله حقيقة -كما فهم ابن الأثير- لما شرط ابن جنى وجود القرينة الصارفة، وعلى هذا فقول ابن الأثير: إن هذا مما يُضحك منه ونعوذ بالله من الخطل مردود عليه.

وقد ضرب ابن جنى أمثلة متعددة لأقسام المجاز اللغوى، سواء منه المرسل والاستعارة والكناية، كما ذكر أمثلة أخرى لالسوان من البيان كالتشبيه الذى يعد أساسا للاستعارة، وأنواع من علم البديع، كالتجريد مثلاً<sup>(١)</sup> وكتابه الخصائص يحوى شرحاً للمعانى الأدبية والذوق الفنى اللغوى، ولا غرو فهو عالم لغوى، وأديب بارع أدرك أسرار هذه اللغة وأهدافها، ويحتاج فى دراسة بلاغته إلى بحث مستقل.

### اللغة حقيقة أم مجاز؟

وقف العلماء من وقوع المجاز واستعماله فى اللغة العربية مواقف مختلفة، وانقسموا فرقاً كثيرة، بعضهم ينكره بتطرف وبعضهم يجوزه بتطرف، أيضاً وبعضهم يقف وسطاً، ولكل وجهة خاصة سنعرض لها، ونبين موقفنا منها.

#### ١- إنكار المجاز فى اللغة:

يرى فريق من العلماء أن اللغة كلها حقيقة، فليس فيها مجاز إطلاقاً، فالعرب قد وضعت ألفاظها لمعان حقيقية، فوضعت الأسد للحيوان المفترس، وللرجل الشجاع، والغيث للمطر والنبات<sup>(٢)</sup>، ويستدل هؤلاء على رأيهم بأن المجاز يؤدى إلى نقل اللفظ عن وضعه الأساسى إلى شىء آخر، "وهذا يستدعى منقولاً عنه متقدماً، ومنقولاً إليه متأخراً، وليس فى لغة العرب تقديم وتأخير، بل كل زمان قدر أن العرب قد نطقت فيه بالحقيقة فقد نطقت فيه بالمجاز... فجعل هذا حقيقة وهذا مجازاً ضرب من التحكم"<sup>(٣)</sup> وقد رد على هذا الرأى بما يأتى:

(١) انظر مثلاً الخصائص ٢/٤٧٣-٤٧٥، ٣/١٦٤-١٦٦، ١٧٧، ٢٦٩، ٢٧١، ٢٧٢.

(٢) المزهر، صبيح ١/٢١٣-٢١٥، بتصرف، وانظر فقه اللغة د. وائى ٢٢٤، ٢٢٥، وتاريخ آداب العرب ١/١٧٩.

أولاً: أنا نسلم له أن الحقيقة لا بد من تقديمها على المجاز، فإن المجاز لا يعقل إلا إذا كانت الحقيقة موجودة، ولكن التاريخ مجهول عندنا، والجهل بالتاريخ لا يدل على عدم التقديم والتأخير.

ثانياً: «قوله إن العرب وضعت الحقيقة والمجاز وضعاً واحداً باطل، بل العرب ما وضعت الأسد اسماً لعين الرجل الشجاع، بل اسم العين في حق الرجل هو الإنسان، ولكن العرب سمت الإنسان أسداً، لمشابهته الأسد في معنى الشجاعة، ولهذا لا يفهم من مطلق اسم الأسد إلا الحيوان المفترس، وإنما ينصرف إلى الرجل بقرينه، ولو كان حقيقة فيهما لتناولهما تناولاً واحداً»<sup>(١)</sup>.

وقد اسقط الدكتور وافي هذا الرأي فجعله لا يستحق الرد عليه، وقال عنه الأستاذ الرافعي إن (منكر المجاز في اللغة جاحد للضرورة ومبطل محاسن لغة العرب)<sup>(٢)</sup>.

## ٢- المجاز واقع في اللغة إلا أنه مقصور على العرب:

فالعربى وضع الأسد للحيوان المفترس، واستعاره للرجل الشجاع، كما وضع الغيث للمطر واستعاره للنبات، ووضع اليد للجراحة المعروفة واستعمله مجازاً للنعمة، وأصحاب هذا المذهب يقصرون المجاز على الوارد عن العرب فقط، فما ورد استعماله عنهم بطريق المجاز صح لنا أن نستعمله، وما لم يرد عنهم لا يجوز لنا أن نستعمله، وكما يقول الإمام محمد الحفص حسين: إن هذا المذهب صريح في أن المولد لا يباح له نقل لفظ من معنى إلى معنى لم ينقله إليه العرب، وإن كان بين المعنيين علاقة من تلك العلاقات المقررة في فن البيان، فلا يستعير لفظ الغضنفر مثلاً للرجل الشجاع إلا إذا ثبت أن العرب استعاروه له كما استعاروا له لفظ الأسد وهلم جرا<sup>(٣)</sup>.

(١) المصادر السابقة.

(٢) تاريخ آداب العرب ١/ ١٧٩. والمزهر، ط. الأولى ١/ ٣٦٤.

(٣) مجلة مجمع اللغة العربية ١/ ٢٩٣، ٢٩٤ وفقه اللغة د. وافي ٢٢٦.

وقد قطع العلماء قدامى ومحدثين بفساد هذا المذهب كسابقه، فقد حكى ابن الأثير ذلك وفنده<sup>(١)</sup> والسيوطى أيضا<sup>(٢)</sup> وقال الإمام الخضر: هذا المذهب ساقط بنفسه ولا أظنك تجد له نظيرا بين علماء لغة يجرى فى عروقها دم الحياة، ولو كان استعمال الألفاظ على سبيل المجاز موقوفا على النقل لدعا ذلك علماء اللغة أن يلتزموا فى كتبهم بعد بيان المعانى الحقيقية ذكر المعانى التى استعمل العرب فيها اللفظ على وجه من المجاز، وما رأيناهم يفعلون، ولا يقصد الزمخشري بتعرضه فى كتاب (أساس البلاغة) للمعانى المجازية بعد الحقيقة أن يقصر المجاز على تلك الألفاظ، ولا أن يحجر على الناس التصرف فى تلك الألفاظ، ينقلها إلى معان لم ينقلها إليها العرب، وإنما قصده التنبيه على جانب عظيم من أساليب البلغاء وتصرفاتهم فى المعانى، ليقتنى بها الناشئون، ويتخذوها سلما يرتقون به إلى المرتبة العليا من مراتب البلاغة<sup>(٣)</sup>.

### ٣- أكثر اللغة مجاز:

يقف على رأس القائلين بهذا رأى ابن جنى، وقد أوضحه فى كتابه الخصائص فى باب فى أن المجاز إذا كثر لحق بالحقيقة<sup>(٤)</sup>، يقول فى مطلعها: "اعلم أن أكثر اللغة مع تأمله مجاز لا حقيقة، وذلك عامة الأفعال نحو قام زيد، وقعد عمرو، وانطلق بشر، وجاء الصيف، وانهزم الشتاء، ألا ترى أن الفعل يفاد منه معنى الجنسية، فقولك: قام زيد معناه: كان منه القيام، أى هذا الجنس من الفعل، ومعلوم أنه لم يكن منه جميع القيام، وكيف يكون ذلك وهو جنس، والجنس يطبق جميع الماضى، وجميع الحاضر، وجميع الآتى الكائنات من كل من وجد منه القيام، ومعلوم أنه لا يجتمع لإنسان واحد فى وقت واحد، ولا فى مائة ألف سنة مضاعفة، القيام كله الداخلى تحت الوهم، هذا محال عند كل ذى لب، فإذا كان كذلك علمت أن (قام زيد) مجاز لا حقيقة، وإنما هو على وضع الكل موضع البعض، للاتساع وتشبيهه القليل بالكثير، ومن ذلك ما حكاه أبو على من قولنا:

(١) المثل السائر، ط. حجازى ٢٤ وما بعدها. (٢) المزهر، ط. صبيح، ٢١٣/١ وما بعدها.

(٣) مجلة مجمع اللغة العربية ٢٩٥/١. (٤) الخصائص ٤٤٧/٢.

خرجت فإذا الأسد، فتعريفه هنا تعريف الجنس، كقولك: الأسد أشد من الذئب، وأنت لا تريد أنك خرجت وجميع الأسد التي يتناولها الوهم على الباب، وهذا محال واعتقاده اختلال، وإنما أردت خرجت فإذا واحد من هذا الجنس بالباب، فوضعت لفظ الجماعة على الواحد مجازاً، ومثله: قعد جعفر، وانطلق محمد، وجاء الليل، وانصرم النهار، وكذلك أفعال القديم سبحانه، نحو: خلق الله السماء والأرض، وما كان مثله، ألا ترى أنه عز اسمه لم يكن منه بذلك خلق أفعالنا؟ ولو كان حقيقة لا مجازاً لكان خالقاً للكفر والعدوان وغيرهما من أفعالنا عز وعلا... كذلك قولك: ضربت عمراً مجازاً أيضاً، وذلك أنك إنما ضربت بعضه لا جميعه.

ويدلل ابن جنى على رأيه - مع ما سبق - بورود التوكيد في اللغة العربية، فالتوكيد - كما نعرف - يكون لرفع المجاز، وهو أقوى دليل على شياع المجاز فيها، واشتماله عليها، فانت تقول: قطع الأمير اللص، ويكون القطع له بأمره لا بيده، فإذا قلت: قطع الأمير نفسه اللص رفعت المجاز من جهة الفعل، وصرت إلى الحقيقة، لكن يبقى عليك التجوز من مكان آخر، وهو قولك: اللص، وإنما لعله قطع يده أو رجله، فإذا احتطت قلت: قطع الأمير نفسه يد اللص أو رجله، وكذلك: جاء الجيش أجمع، ولولا أنه قد كان يمكن أن يكون إنما جاء بعضه - وإن أطلقت المجيء على جميعه - لما كان لقولك أجمع معنى<sup>(١)</sup> ومثل توكيد المجاز قولنا: قام زيد قياماً وجلس عمرو جلوساً، فقد قدمنا الدليل على أنه مجاز، وهو مع ذلك مؤكد بالمصدر فهذا توكيد المجاز كما ترى<sup>(٢)</sup>.

ولكن رأى ابن جنى هذا ينطوى على كثير من المبالغة والتعسف، فليس أمر المجاز سارياً في اللغة على هذا الأساس الذي يحيلها إلى فلسفات ومنطق، لا إلى عاطفة واجتماع، وذوق وأدب وفن.

وقد فنده الدكتور وافي فقال: إن هذا المذهب لا يقل فساداً عن المذهب السابق والحجج التي اعتمد عليها أنصاره في تأييده والتي تقدم لك مثال منها تحمل هي في نفسها دليل تعسفه وبطلانه... والحق أن المجاز وارد، وكثير في اللغة

(١) الخصائص ٤٤٧-٤٥١. (٢) نفسه ٤٥٦/٢.

ولكن من التعسف المبالغة في وروده، ومحاولة إدخال معظم التراكيب العربية في باب المجاز<sup>(١)</sup>.

وقد وصف الأستاذ الإسكندري ابن جنى بالغلو في هذا الرأي<sup>(٢)</sup>.

ونحن مع ابن جنى في كثرة ورود المجاز في اللغة العربية- كما ذهب إليه الدكتور وافي والأستاذ الإسكندري- ولكن لا نوافق على هذا التعسف الذي يجعل معظم كلمات اللغة وتراكيبها مجازاً، فلا شك أن الواضع لها جعل بعضها للدلالة على حقائق لغوية، ولكنه أجاز - لسعة اللغة وكثرة تصرفها - أن نلجأ إلى المجاز لظروف لغوية اجتماعية وأدبية.

فالواقع أن بعض اللغة حقيقة وبعضها مجاز مقبول كما سيشير إليه أرباب الرأي الرابع.

#### ٤- أكثر اللغة مجاز دون تعسف:

هذا رأى جمهور العلماء كما يقول الإمام محمد الخضر<sup>(٣)</sup>.

ويرى هؤلاء أنه يجوز نقل الاسم من معناه الحقيقي إلى معنى آخر، بشرط وجود علاقة بين المعنيين، وليس المراد مطلق علاقة، بل للبيانين في كل علاقة نظر خاص<sup>(٤)</sup>، وهذا المذهب قد لقي قبولا كبيرا من العلماء في مختلف العصور<sup>(٥)</sup> وهو الذى سار على نهجه الأدباء والشعراء وأرباب البيان في القديم والحديث، فهم يستعملون في كلامهم للمجازات اللغوية، فيقولون الألفاظ من معانيها إلى معان أخرى جديدة، لعلاقاتها بالمعاني الأصلية.

وبهذا كان أدبهم أدباء، فالمجازات هي التي تضيف على الأساليب روعة وجمالا، وتملأ النفوس لذة وإعجاباً، ولكن هذا الرأى، وإن أجاز لنا استعمال النقل على طريق المجاز لم يحكم- كالرأى السابق لابن جنى وغيره- بأن معظم الأساليب مجاز على النحو الذى تصوره أصحابه.

(١) فقه اللغة د. وافي ٢٢٥، ٢٢٦.

(٢) فقه اللغة ٩١.

(٣) مجلة المجمع ١/ ٢٩٤.

(٤) نفسه ٢٩٥.

(٥) فقه اللغة د. وافي ٢٢٦.



ونحن نؤمن - كهؤلاء- بأن اللغة العربية اشتملت وتشتمل على مجازات لغوية كثيرة ، فى ألفاظها وتراكيبها، مما تحققت فيه علاقة مقبولة، ففى ماضى اللغة تمت مجازات فى الألفاظ على أساس هذه العلاقة<sup>(١)</sup> فمثل (خلق) من المجازات القديمة إذ أصلها مأخوذة من خلق اخذاء الأديم والخياط الشوب: قدره قبل القطع ومن المجاز: خلق الله الخلق والكتابة والشكل كانا بمعنى القيد والرسم فى الأصل ثم نقلا إلى ما هو معروف الآن.

والمراجع للألفاظ العربية يرى أنها انتقلت كثيرا من الصور المحسوسة التى كان يعيش فيها العرب إلى حدود المعانى المجردة<sup>(٢)</sup> فمنهم من كان يشبه حبيبه بقمر على غصن على كتيب، وهو لا يريد بذلك وضع القمر الحقيقى على الغصن. أبدا وإنما يريد الجمال والإشراق<sup>(٣)</sup>.

ولا ندعى أن ذلك وصل إلى حد تفسر فيه كل كلمة نطقها العربى- وينطقها- على المجاز كما فعل ابن جنى ومتابعوه.

(١) تتبع تلك المجازات الزمخشري فى كتابه الأساس.

(٢) اللغة الشاعرة ٣٧.

(٣) نفسه ٤٦.

### التضمنين اللغوي

التضمنين - على اختلاف الآراء فيه - له صلة قوية بعلم الدلالة فسواء كان الحرف نائياً عن أخيه في معناه على سبيل الوضع أو المجاز، أو كان الفعل مضمناً معنى فعل آخر فإن ذلك - ولاشك - يرتبط بالدلالة ارتباطاً وثيقاً، إذ موضوعها هو البحث في المعنى وتنقله بين الألفاظ.

والتضمنين من خواص العربية، ووسائل سعتها، وبلاغة أساليبها، يقول ابن جني: إنه فصل من العربية لطيف حسن، يدعو إلى الانس بها، والفقاهة فيها<sup>(١)</sup>.

ويقول بعض الباحثين المحدثين: إنه نوع طريف من أنواع المجاز، الذي هو ركن من أركان البلاغة العربية، وأسلوب من أساليب التوسع في الكلام، ورخصة عن التقييد بحرف للتعددية دون حرف<sup>(٢)</sup> - ويمكن أن نتوسع به في اللغة الأدبية لإخصاب الخيال الشعري والأدب الذاتي<sup>(٣)</sup> وإذا كان التضمنين - كما يعترف العلماء - معينا ثرا لنمو اللغة، وسعتها، والإفصاح عن بعض خصائصها، فقد تناول ابن جني بالبحث<sup>(٤)</sup>، ولذلك كان لزاماً علينا أن نتعرف على رأيه فيه، وموقف العلماء منه، ونبتدئ بالتعريف:

في اللغة: له كثير من المعاني اللغوية، أشهرها جعل شيء في باطن شيء آخر، وإيداعه إياه<sup>(٥)</sup>، فقد قال صاحب اللسان: ضَمَّنَ الشيء الشيء أودعه إياه كما تودع الوعاء المتاع، والميت القبر، وقد تضمنه هو<sup>(٦)</sup>.

(١) الخصائص ٢/ ٣١٠.

(٢) مجلة مجمع اللغة العربية ١٩٥/١. وبعض الباحثين المحدثين هو الأستاذ الشيخ أحمد الإسكندري في بحث له عن التضمنين في مجلة المجمع اللغوي بعنوان (الغرض من قرارات المجمع والاحتجاج لها) ١٧٧/١، وما بعدها.

(٣) دراسات في اللغة ١٨٤. (٤) الخصائص ٢/ ٣٠٦، ٤٣٥.

(٥) مجلة المجمع ١٨١/١.

(٦) قال ابن الرقاق يصف ناقة حاملاً:

أَوَكَّتْ عَلَيْهِ مَفِيحًا مِنْ عَوَانِهَا      كَمَا تَضْمَنُ كَشْحُ الْحُرَّةِ الْحَبْلَا

عليه: على الجنين، وكل شيء جعلته في وعاء فقد ضَمَّنَتْه إياه. الليث، كل شيء أحرز فيه شيء فقد ضَمَنَهُ. اللسان ١٧/ ١٢٦.

وفي الاصطلاح يختلف مفهومه بين النحويين واللغويين وهو - على ذلك - نوعان: تضمين نحوى وتضمين لغوى فالتضمين النحوى هو: دلالة الاسم بالوضع على معنى حقه أن يدل عليه بالحرف، كأسماء الشرط والاستفهام، وهو من علل البناء، فيقول النحاة: إن حيث الشرطية بنيت لتضمنها معنى إن أى: أنها تضمنت مع معنى الظرفية الموضوع له معنى آخر جزئياً حقه أن يؤدى بحرف، وهو الشرط المؤدى بلفظ إن<sup>(١)</sup>، ومثله علة بناء متى شرطية واستفهامية ومن الشرطية والاستفهامية<sup>(٢)</sup>، فالشرطية مضمنة معنى إن والاستفهامية معنى الهمزة، وهذا زيادة على المعنى الأصلي الموضوع له متى ومن<sup>(٣)</sup>، أما التضمين اللغوى فقد اختلف العلماء فى تفسيره، فيرى بعضهم أنه "إشراب لفظ معنى لفظ آخر، وإعطاؤه حكمه لتصير الكلمة تؤدى مؤدى كلمتين، واحتجوا لذلك المعنى بأنهم يرون فى بعض أنواع التضمين حرف جر يناسب المعنى الأصلي الوضعى، ومعمولا يناسب المعنى المتضمن، وما ذاك إلا لأن الفعل المذكور يدل على المعنيين معا، كقوله تعالى ﴿إِذَا انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ [مريم]، ففسر انتبذت بمعنى اعتزلت، وهو يتعدى بمن، وجعل انتبذت مُضمناً معنى أتت لينصب مكاناً<sup>(٤)</sup> فعلت لفظ (من أهلها) بانتبذت على حقيقته، ونصب انتبذت مكاناً على أنه مفعول به لتضمنه معنى أتت، وكذلك قالوا فى (من) التى هى بمعنى العاقل، إذا ضُمّت معنى الشرط أو الاستفهام، فإنها مع دلالتها على العاقل بالوضع دلت على معنى الشرط أو الاستفهام بالتضمنين، ولكن لفظ الإشراب يفضى إلى مشكلات، أقلها الجمع بين الحقيقة والمجاز فى كلمة، وهذا لم يقل به أكثر علماء العربية... والتضمنين فى أدوات الشرط والاستفهام غير التضمنين الذى يشمل البياني<sup>(٥)</sup> وقد استخلص الأستاذ أحمد الإسكندرى من كلام ابن جنى تعريفاً آخر

(١) مجلة المجمع ١/ ١٨٣.

(٢) انظر كتب النحو فى باب العرب والمبنى كالأشمونى مع الصبان ١/ ٥٢، ٥٣، ومنار السالك إلى أوضح المسالك ١/ ١٦، ١٧.

(٣) تفسير البيضاوى ٤٠٤ والقرطبى ط. الشعب ٤١٢٩.

(٤) لا يقول بذلك إلا من يرى جواز الجمع بين الحقيقة والمجاز وهو ظاهر قول المغنى: إن فائدته أن تؤدى كلمة مؤدى كلمتين. انظر حاشية يس على التصريح ٤/ ٢، ٥ ومجلة المجمع ١/ ١٨٢.

هو: "كون فعل متعد بحرف يفيد معنى فعل آخر يتعدى بحرف آخر، فيتوسع في تعديته، بأن يعدى بالحرف الذى يتعدى به الآخر<sup>(١)</sup> وهذا مثل قوله تعالى ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شِيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ...﴾ [البقرة ١٤] فأصل (خلا) يتعدى بالباء يقال: خلوت بفلان، فضمن هنا معنى الإنهاء أو الإفضاء، فعُدَى بـإلى<sup>(٢)</sup> وقد أورد الباحثون على هذا التعريف<sup>(٣)</sup>، أنه غير شامل للمشتق وما فى معنى المشتق إذا تعلق به جار ومجرور كحائتم بمعنى جواد، وأمثلة ذكرها ابن جنى كقوله تعالى ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ...﴾ [الصف] إذ معناه من ينضاف فى نصرتى إلى الله<sup>(٤)</sup>، وغير شامل للذى كان يتعدى بحرف جر خاص فتعدى بنفسه مثل رجبكم الدار<sup>(٥)</sup> أو كان لازما فضمن معنى فعل متعد بنفسه نحو سفه نفسه ضمن سفه معنى أهلك<sup>(٦)</sup> وهذا النقد مسلّم به - من وجه - فابن جنى لم يذكر من أمثلة التضمن إلا ما تعدى فيه اللفظ بحرف مناسب للمعنى المتضمن، ولم يذكر أمثلة لما كان متعديا بحرف جر خاص فتعدى بنفسه أو كان لازما فضمن معنى فعل متعد، وقد ذكر أمثلة لتعدية الوصف المشتق والمصدر، مع أنه خص كلامه بالفعل حينما قال: اعلم أن الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر، وكان أحدهما يتعدى بحرف، والآخر بآخر، فإن العرب قد تتسع فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه، إيداناً بأن هذا الفعل فى معنى ذلك الآخر، ويذكر من الأمثلة قوله تعالى: ﴿أَحِلُّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ...﴾ [البقرة ١٨٧] فضمن، الرفث معنى الإفضاء، وذكر ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ...﴾ [الصف] التى قدمناها.

ولعل ابن جنى يقصد الفعل وما فى معناه، وإن لم يشر إلى ذلك صراحة، فإن ذكر هذه الأمثلة يعنى إرادته لذلك، ولو كان يقصد الفعل فقط لما ذكر المصدر الرفث، والصفة المشبهة المجموعة فى (أنصار) وقد قال الشيخ يس: إن "بيانه فى

(١) مجلة المجمع ١٨١/١. وانظر الخصائص ٣٠٨/٢.

(٢) مجلة المجمع ١٨٩/١. (٣) الخصائص ٣٠٨/٢.

(٤) نفسه ٣٠٩/٢. (٥) مجلة المجمع ١٨٦/١.

(٦) نفسه ١٩٨/١ وانظر فى هذا النقد نفس المجلة ١٨١/١.

الأفعال جار مجرى التمثيل لا التقييد<sup>(١)</sup> ويعرف المجمع التضمين: بأن يؤدي فعل أو ما فى معناه فى التعبير مؤدى فعل آخر، أو ما فى معناه، فيعطى حكمه فى التعدية واللزوم<sup>(٢)</sup>، وهذا التعريف يشمل كل ما ينطبق عليه التضمين، ولا يخل ببعض الفروع التى لم يشملها تعريف ابن جنى، وبهذا يعد تعريفا وافيا ودقيقا.

### آراء العلماء فيه

للعلماء قديما وحديثا آراء لها جوانبها المتعددة، واتجاهاتها المختلفة، فى تفسير ظاهرة التضمين اللغوى، وكان لابن جنى الحظ الأوفر فى إيضاح أهم هذه الآراء، وترجيحه لأقواها، ونحن هنا نعرض لها عرضا علميا تحليليا وتلكم هى الآراء:

#### ١- رأى الكوفيين

إن الكوفيين ليسوا فى حاجة إلى القول بالتضمين، لنيابة بعض حروف الجر عن بعض عندهم قياسا<sup>(٣)</sup>، فالمعنى الملحوظ غير الوضعى غير مستفاد من توسع فى الفعل، بل مستفاد من أن بعض حروف الجر ينوب عن بعض بطريق الوضع، أى أن الحرف موضوع لأكثر من معنى واحد<sup>(٤)</sup> وهذا بناء على نظريتهم المعروفة، فهم يجعلون لكل حرف عدة معان موضوعة له وضعا لغويا<sup>(٥)</sup>، وقد حكى ابن جنى فى خصائصه مذهبهم هذا، وأوضحه بأنهم يقولون: إن (إلى) تكون بمعنى (مع)، ويحتجون لذلك بقول الله سبحانه ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ...﴾ [الصف] أى: مع الله، ويقولون: إن (فى) تكون بمعنى (على) ويحتجون بقوله- عز اسمه-: ﴿وَأَصْلَبْنَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ...﴾ [طه] أى عليها، ويقولون: تكون الباء بمعنى (عن) و(على) ويحتجون بقوله: رميت بالقوس أى عنها وعليها كقوله:

أرمى عليها وهى فرع أجمع<sup>(٦)</sup>

(١) حاشية يس على التصريح ٥/٢. (٢) مجلة المجمع ١/ ١٨٠.

(٣) حاشية الصبان على الأشموني ٢/ ٢١٠، ومنار السالك (من التعليق) ١/ ٣٥٣، ومجلة المجمع

١/ ١٨٦. (٤) نفسه ١/ ١٨٤. (٥) نفسه ١/ ١٨٠.

(٦) هذا فى الحديث عن قوس وقوله: فرع أجمع أى عملت من غصن ولم تعمل من شق عود، وذلك أقوى لها.



وقال طفيل:

رَمَتْ عَنْ قَسِيٍّ الْمَاسِيخِيٍّ رِجَالَهُمْ      بِأَحْسَنِ مَا يُتَنَاعُ مِنْ نَبْلِ يَثْرِبِ<sup>(١)</sup>  
وَأَنشَدَنِي الشَّجَرِيَّ:

أَرَمِي عَلَى شَرِيَانَةٍ قَذَافٍ      تُلْحِقُ رِيشَ النَّبْلِ بِالْأَجْوَافِ<sup>(٢)</sup>  
وغير ذلك مما يوردونه<sup>(٣)</sup>:

ولما فطنوا عند تفسيرهم القرآن الكريم والشعر القديم إلى أن بعض الأفعال والمشتقات يؤدي معنى غير معناه الوضعي، أي غير المعنى المتبادر منه لأول وهلة خشي الكوفيون أن يسموا ذلك تضمينا، لئلا يلتبس بالتضمن الذي هو علة البناء فسماه الكسائي حمل الشيء على نقيضه أو على نظيره<sup>(٤)</sup>، وقد نقل ابن جني عن أستاذه أبي علي أنه كان " يستحسن قول الكسائي المذكور<sup>(٥)</sup> " وقد مثل ابن جني لذلك أيضا ببيتين من الشعر، فالأول قوله:

إِذَا رَضِيتُ عَلَى بَنُو قُشَسِيرٍ      لَعَمْرُ اللَّهِ أَعَجِبْنِي رِضَاهَا<sup>(٦)</sup>

قال الكسائي: لما كان (رضيت) ضد (سخطت) عدت رضيت بعلى حملا للشيء على نقيضه كما يحمل على نظيره، وقد سلك سيبويه هذه الطريق في المصادر كثيرا فقال: قالوا كذا كما قالوا كذا وأحدهما ضد الآخر، والثاني قوله:

إِذَا مَا أَمَرْتُ وَلِيَّ عَلَى بَوْدَةٍ      وَأَدْبِرَ لَمْ يَصْدِرْ بِإِدْبَارِهِ وَدِّيَّ

فعلى هنا بمعنى عن ووجهه أنه إذا ولي عنه بوده فقد استهلكه عليه كقولك أهلكت على مالي، وأفسدت على ضيعتي، وجاز أن يستعمل (على) ههنا لأنه

(١) الماسخي: القواس.

(٢) القوس المتخذة من شجر الشريان وهي - لقوة دفعها ونفاذ سهمها في الرمية - تخلط ريش السهم بجوف المصيد. انظر التعليق (٦)، (١٠) بالخصائص ٣٠٧/٢.

(٣) الخصائص ٣٠٧/٢، ٣٠٨. (٤) مجلة المجمع ١٨٣/١، والخصائص ٣١١/٢.

(٥) الخصائص ٣١١/٢.

(٦) وانظر في قول الكسائي في البيت حاشية يس على التصريح ٧/٢.

أمر عليه لا له<sup>(١)</sup> فقد أفسد عليه وده بأخذه منه وإبعاده عنه، لأن هذا الأخذ يحمل سمات تبديده وإهلاكه، فلما كان تولى بمعنى أخذه على جهة الإفساد والإذهاب عامله معاملة أفسد وأهلك، معاملة النظير لنظيره، وهم يؤولون ما كان لازماً فتعدى بنفسه كرحبتكم الدار أو متعددا بحرف، واستعمل متعددا بنفسه مثل (غمرن الديار ولم تعوجوا) أو قاصرا لا يتعدى مطلقا، فضمن معنى فعل متعد بنفسه، نحو سغه نفسه<sup>(٢)</sup> بالضرورة أو الشذوذ، ويجعلون التضمين من باب الشذوذ، وإن كثر وقوعه في الكلام<sup>(٣)</sup>، وعلى ذلك فلا تجوز على قول الكوفيين، ولا توسع، وقد أعجب مذهبهم أكثر النحاة المتأخرين، ومنهم ابن هشام في المغنى حيث وضع جزءا عظيما من كتابه في تعدد معاني الحروف اللغوية، وقال: إنه أقل تعسفا<sup>(٤)</sup> ولم يرتض ابن جنى هذا الرأي وعدّه مغسولا ساذجا من الصنعة وقال ما أبعد الصواب عنه وأوقفه دونه<sup>(٥)</sup>.

## ٢- رأى البصريين وابن جنى

لا يقول البصريون بنبابة بعض حروف الجر عن بعض قياسا، كما لا تنوب حروف الجزم عن حروف النصب، فليس للحرف وضعا عندهم إلا معنى واحد وما أوهم خلافه لا يخرج عن أمور ثلاثة:

١) تأويله تأويلا يقبله اللفظ باستعارة الحرف الذى تعدى به الفعل لمعنى الحرف الذى كان ينبغى أن يتعدى به، على طريق الاستعارة التبعية إن سهل تطبيق هذه الاستعارة على الحرف بكل شروطها، ومما ذكره ابن جنى من أمثلة قول عترة فى معلقته:

بَطَلْ كَأَنَّ ثِيَابَهُ فِي سَرَحَةٍ يُحَذِّى نَعَالَ السَّبْتِ لَيْسَ بِتَوَمٍ<sup>(٦)</sup>

(١) الخصائص ٣٢١/٢، ٣١٢. (٢) مجلة المجمع ١٩٨/١. (٣) نفسه ١٨٦/١.

(٤) المغنى ط المبنى ١/١١١، وانظر أيضا التصريح ٦/٢، ٧، وحاشية الصبان على الأشموني ٢/٢١٠، والتعليق فى منار السالك ١/٣٥٣.

(٥) الخصائص ٣٠٦/٢.

(٦) السرحة: شجرة طويلة مشرفة، نعال السبت: المدبوغة بالقرظ وهى أجود النعال، وليس بتوهم: أى لم يكن له أخ فى بطن أمه فهو قوى أو المعنى أنه لا ند له.

أى على سرحة، وجاز ذلك من حيث كان معلوماً أن ثيابه لا تكون فى داخل سرحة، لأن السرحة لا تنشق فتستودع الثياب ولا غيرها وهى بحالها سرحة، ومثله قول امرأة من العرب:

هم صلبوا العبدى فى جذع نخلة فلا عطست شيبان إلا بأجدعاً<sup>(١)</sup>

لأنه معلوم أنه لا يصلب فى داخل جذع النخلة وقلبها، وقال:

وخَضَخَضْنَ فينا البحر حتى قطعنه على كل حال من غمار ومن وحل

قالوا: أراد بنا<sup>(٢)</sup>، ومثل: «وَأَصْلَبَكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ...» (٧١) [طه] أى عليها<sup>(٣)</sup>.

ب) التوسع فى استعمال الفعل، أو ما يقوم مقامه، فى معنى لا يتبادر منه لأول وهلة، إذا لم يكن ثمة حرف يستعار، بأن استعمل الفعل المتعدى بحرف جر خاص استعمال اللازم، فلم يتعد إلى مفعول أصلاً، أو تعدى ولكن بحرف جر آخر لا يستساغ بلاغة إجراء الاستعارة فيه، أو تعدى إلى مفعول لا يناسبه<sup>(٤)</sup> وهذا ما أشار إليه ابن جنى بقوله:

اعلم أن الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر، وكان أحدهما يتعدى بحرف والآخر بآخر، فإن العرب قد تتسع فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه، إيداناً بأن هذا الفعل فى معنى ذلك الآخر، فلذلك جىء معه بالحرف المعتاد مع ما هو فى معناه<sup>(٥)</sup> ويصفه فى موضع آخر بأنه باب من هذه اللغة لطيف طريف، وهو اتصال الفعل بحرف ليس مما يتعدى به، لأنه فى معنى فعل يتعدى به<sup>(٦)</sup>، وقد سموا هذا التوسع تضميناً<sup>(٧)</sup> وهو أيضاً من قبيل الاستعارة التبعية، أو المجاز المرسل فى الفعل وحرف الجر قرينته<sup>(٨)</sup> أو المفعول، وقد ذكر ابن جنى لذلك أمثلة كثيرة كقول الله

(١) فى اللسان (عبد) نسبته إلى سويد بن أبى كاهل والعبدى: نسبة إلى عبد القيس وقوله بأجدع: أى بأنف أجدع.

(٢) الخصائص ٣١٢/٢، ٣١٣. (٣) نفسه ٣٠٧/٢.

(٤) مجلة المجمع ١٨٥/١. (٥) الخصائص ٣٠٨/٢.

(٦) نفسه ٤٣٥/٢. (٧) مجلة المجمع ١٨٥/١. (٨) نفسه ١٨٧/١.

عز وجل ﴿أَحْلُكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ...﴾ (١٨٧) [البقرة] فانت لا تقول: رفث إلى المرأة وإنما تقول رفثت بها أو معها، لكنه لما كان الرفث هنا فى معنى الإفضاء، وكنت تعدى أفضيت بإلى كقولك: أفضيت إلى المرأة جثت بإلى مع الرفث، إيذانا وإشعاراً أنه بمعناه، وعليه قول الفرزدق:

كيف ترانى قاليا مجنئى      أضربُ أمرى ظهره للبطن  
قد قتلَ الله زياداً عنى

لما كان معنى قد قتله: قد صرفه عداه بعن<sup>(١)</sup>.

(ج) جعل التعدية أو اللزوم غير المألوفين فى الفعل من قبيل نيابة بعض الحروف عن بعض على طريق الشذوذ، وهذا إذا قبح تطبيق الاستعارة فى الحرف، أو التضمين فى الفعل أو المشتق وكلما تعذر ذلك<sup>(٢)</sup>.

### مبنى هذا الرأى

هذا الرأى الذى قال به البصريون، ومال إليه ابن جنى مبنى على أساس تحقق شرط المجاز وهو: وجود علاقة مقبولة، ووجود قرينة يؤمن معها اللبس، فالعلاقة لا بد من تحققها، بأن توجد مناسبة بين المعنى الأصلى والمعنى المجازى، مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ...﴾ (٨٢) [النساء] ضمن أذاعوا معنى تحدثوا فعدى بالباء، والمعنيان متناسبان يشملهما جنس قريب هو الإعلان مثلاً، فيكون التقدير: أعلنوه أو أعلنوا به، ولا يجوز: أكلت إلى الفاكهة، على أن أكل مضمن معنى مال، وتناولت عن القوس، مضمناً معنى رميت، إذ لا يحتمل الفعل معنى بعيداً عن معناه الوضعى بحيث تفضى تعديته

(١) الخصائص ٢/ ٣٠٨-٣١٠، ٤٣٥.

(٢) مجلة المجمع ١٨٥/ ١ وانظر فى الأمور الثلاثة السابقة، وكذلك صريح رأى البصريين السابق من أن حروف الجر لا ينوب بعضها عن بعض بقياس إلخ المغنى، ط. المدنى ١/ ١١١، والتصريح على التوضيح ٤/ ٢، ٥. وحاشية الصبان على الأشمونى ٢/ ٢٣٠، والتعليق (منار السالك ٣٠٣/ ١).

بحرف ذلك الفعل البعيد المعنى إلى إفساد الكلام وعدم ضبط معانى الأفعال<sup>(١)</sup>، وقد أوضح لنا عالمنا ابن جنى ذلك كله بقوله: ولسنا ندفع أن يكون ذلك كما قالوا لكننا نقول إنه يكون بمعناه فى موضع دون موضع على حسب الأحوال الداعية إليه، والمسوغة له، فأما فى كل موضع وعلى كل حال فلا، ألا ترى أنك إن أخذت بظاهر هذا القول غفلا هكذا لا مقيدا لزمك عليه أن تقول: سرت إلى زيد، وأنت تريد معه، وأن تقول: زيد فى الفرس، وأنت تريد عليه، وزيد فى عمرو، وأنت تريد عليه فى العداوة، وأن تقول: رويت الحديث بزيد، وأنت تريد عنه، ونحو ذلك مما يطول ويتفاحش<sup>(٢)</sup>.

ولابد كذلك من تحقق وجود قرينة تدل على ملاحظة الفعل الآخر، ويؤمن معها اللبس، كحرف الجر الذى يتعدى به الفعل، ولم يكن من حقه أن يتعدى به، كاللام الداخلة على (مَنْ) فى قول المصلى: (سمع الله لمن حمده)، فسمع يتصب ما فى معنى الكلام والصوت بنفسه، وهذا أشهر القرائن، وقد تكون القرينة المفعول مثل ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا﴾<sup>(٣)</sup> [مريم] فهنا القرينة المفعول لفعل أصله أن يتعدى بحرف جر، فعدى بنفسه، لتضمنه معنى فعل آخر يتعدى بنفسه (مكانًا) وهكذا فى كل الحالات الأخرى.

وقيد أمن اللبس احتراز عن القرينة التى يفهم معها- على سبيل الاحتمال- الاقتصار على المعنى الحقيقى فى الملفوظ، وقد ضرب ابن جنى لذلك أمثلة منها قول الشاعر:

شَدُّوا المِطْيَ على دليلٍ دائِبٍ      من أهلِ كاظمةٍ بسيفِ الأبحر<sup>(٣)</sup>

فقالوا معناه: بدليل، وهو عندى أنا على حذف المضاف، أى شدوا المِطْيَ على دلالة دليل، فحذف المضاف، وقوى حذفه هنا شيئا لأن لفظ الدليل يدل على

(١) مجلة المجمع ١٩٦/١، وانظر حاشية يس على التصريح فيها أمثلة أخرى ٥/٢، ٦، ٧.

(٢) الخصائص ٣٠٨/٢.

(٣) السيف: ساحل البحر، اللسان ٦٨/١١، ٢٦٤/١٣.



الدلالة، وهو كقولك: سر على اسم الله، و(على) هذه عندى حال من الضمير فى (سر وشدوا)، وليست موصلة لهذين الفعلين، لكنها متعلقة بمحذوف، حتى كأنه قال: سر معتمدا على اسم الله، ففى الظرف إذا ضمير لتعلقه بالمحذوف<sup>(١)</sup> ومثله:

وَهَلْ يَعْْمَنُ مَنْ كَانَ أَحَدُثُ عَهْدِهِ ثَلَاثِينَ شَهْرًا فِي ثَلَاثَةِ أَحْوَالٍ

فقالوا: أراد مع ثلاثة أحوال، وطريقه عندى أنه على حذف المضاف، يريد: ثلاثين شهرا فى عقب ثلاثة أحوال قبلها، وتفسيره: بعد ثلاثة أحوال، فالحرف إذا على بابه، وإنما هنا حذف المضاف الذى قد شاع عند الخاص والعام.

ويتضح من هذه الشواهد التى عرضها ابن جنى أن التضمن عند البصريين - وهو معهم - لا يتحقق إلا بتحقيق شرط المجاز - سواء كان مجازا مرسلا أو استعارة - وهو وجود علاقة بين المعنى الاصلى والمعنى المراد، ووجود قرينة تمنع من إرادة المعنى الاصلى.

### ٣- رأى البيانيين

\* جمهور البيانيين - وفى مقدمتهم الزمخشري - يجعلون المعنى المتضمن تابعا من توابع الفعل المذكور، مدلولا عليه بلفظ محذوف، مقدر حالا غالبا، فيقولون فى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ...﴾ (٢٨) [الكهف]، إن تقدير الكلام: ولا تقتحمهم عينك متجاوزتين عنهم، فيكون اللفظ المذكور مستعملا فى حقيقته، واللفظ الملحوظ معناه محذوفا لدليل من الكلام، وهو حرف الجر أو القرينة إن لم يوجد حرف جر فهو من باب مجاز الحرف.

وقد يغلون<sup>(٢)</sup> يجعل المحذوف أصلا، والفعل المذكور تابعا، على تقدير أنه حال، فيقولون فى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ...﴾ (٢) [النساء]

(١) الخصائص ٣١٢/٢.

(٢) غلا فى الأمر يغلون: جاوز حده.. القاموس ٢٧٣/٤.

إن تقدير الكلام: ولا تضموا أموالهم إلى أموالكم أكليين، أو على تقدير أنه مفعول به في نحو: أحمد إليك الله، أي أنهى إليك حمد الله، فسبكوا من فعل (أحمد) مصدرا بدون سابق كسبك الفعل بعد همزة التسوية نحو «سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تُنذِرْهم لا يؤمنون» [البقرة ٦] (١).

#### ٤- رأى المتأخرين من النحاة والبلاغيين

للمتأخرين من العلماء آراء متعددة في تخريج التضمين مأخوذة من كلام السابقين من البصريين والكوفيين والبيانين، وقد جمع الشيخ يس في حاشيته على التصريح كثيرا منها فذكر مما قاله النحويون والبيانون ثمانية أقوال ملخصه فيما يأتي:

- أ - أنه مجاز مرسل، لأن اللفظ استعمل في غير معناه لعلاقة وقرينة (٢).
- ب - أن فيه جمعا بين الحقيقة والمجاز، ولكن بتأويل أن الفعل المذكور في التركيب دل على معناه الحقيقي بنفسه، وعلى المعنى الملحوظ بطريق اللزوم والقرينة (٣).
- ج - أن الفعل المذكور في التركيب مستعمل في حقيقته لم يشرب معنى غيره "كما جرى عليه صاحب الكشاف" ولكن مع حذف حال مأخوذة من الفعل الآخر المناسب بمعونة القرينة اللفظية (٤).
- د - أن اللفظ المذكور مستعمل في معناه الحقيقي، ولكنه مستتبع معنى آخر يناسبه، من غير أن يستعمل هو فيه، ومن غير أن يستعمل له لفظ آخر، فيكون الكلام من باب الحقيقة التي قصد منها معنى آخر يناسبها، ويتبعها في الإرادة، كما يدل تأكيد الخبر على إنكار المخاطب، وعليه فلا مجاز، ولا كناية، ولا حذف، والكلام مستعمل في معناه الحقيقي (٥).

(١) مجلة المجمع ١/ ١٨٦، ١٨٧ وانظر أيضا ١٨٢ وحاشية يس على التصريح ٥/ ٢، ويؤولون قوله تعالى «يُؤْمِنُونَ بِالْقُرْآنِ...» [البقرة] على معنى يعترفون به مؤمنين. انظر حاشية يس على التصريح ٥/ ٢، ٦.

(٤) نفسه ٦/ ٢.

(٣) نفسه ٥/ ٢.

(٢) نفسه ٤/ ٢.

هـ- أن المعنيين مرادان على طريق الكناية، فيراد المعنى الأصلي توصلًا إلى المعنى المقصود، ولا حاجة إلى التقدير إلا لتصوير المعنى، وضُعم هذا القول بأن الكناية يصح معها إرادة المعنى الحقيقي، وصرف النظر عن المعنى اللازم<sup>(١)</sup>.

و- أن المعنيين مرادان على طريق عموم المجاز، وهو غير متسق التخريج كسابقه<sup>(٢)</sup>.

ز - أنه مجاز عقلي في النسبة غير التامة، أى في النسبة بين الفعل ومتعلقاته<sup>(٣)</sup>.

ح- أنه نوع مستقل من أركان الكلام العربى، وقسم رابع للحقيقة والمجاز والكناية<sup>(٤)</sup>.

فالتأخرون لفقوا مذاهبهم من مجموع المذاهب القديمة، ورجع كل منهم ما اختاره من مذهبي المنع والجواز<sup>(٥)</sup>.

### ٥- رأى المجمع اللغوى

أخذ المجمع اللغوى بمذهب البصريين المانعين لتعدد معانى الحرف، وبشروط البصريين السابقة نفسها وعدّه قياسياً، إلا أنه أوصى بالآلا يلجأ إليه إلا لغرض بلاغى<sup>(٦)</sup>.

### هل التضمن قياسى على هذه الآراء؟

يبدو- كما قال كاتب بحث التضمن فى مجلة المجمع اللغوى- أن هذا التوسع فى تعدى الأفعال، وما يشبهها، بحروف جر غير التى تتعدى بها قياسى على رأى الكوفيين، المحيلين هذا الباب على قياس نيابة بعض الحروف عن بعض، بالوضع بلا تعسف ولا تكلف، وقياسى على رأى بعض البصريين، القائلين بالتوسع فيما يمكن فيه من الفعل، وهو ضرب من المجاز، وقياسى عند جميع البيانين، لأنه من باب التوسع فى حذف الحال ونحوه المتعلق به حرف، فيكون من باب الحذف لدليل، وهو قياسى مطرد، وقياسى على رأى أكثر المتأخرين أيضاً<sup>(٧)</sup>.

(١) نفسه ٧/٢ ومجلة المجمع ١٨٧/١-١٨٩.

(٢) مجلة المجمع ١٩٣/١، ١٩٤. (٣) نفسه ١٨٠/١، ١٨١.

(٤) نفسه ١٩٥/١.

والمفهوم من كلام ابن جني أيضا أنه قياسي، فقد قال في الباب الذي تكلم فيه على التضمنين: «ووجدت في اللغة من هذا الفن شيئا كثيرا لا يكاد يحاط به ولعله لو جمع أكثره لا جميعه لجاؤا ضخما، وقد عرفت طريقه فإذا مر بك شيء منه فتقبله وأنس به فإنه فصل من العربية لطيف حسن»<sup>(١)</sup>.

فليس معنى ذكره هذه الكثرة إلا جعله إياه قياسيا وهو الذي يقول - كاستاذ أبي علي الفارسي -: إن ما قيس على الوارد الكثير من كلام العرب فهو من كلام العرب<sup>(٢)</sup>. وقد أخذ المجمع بقياسيته كما تقدم.

### رأي المحدثين

يجيز المحدثون التضمنين، للحاجة إليه، جوازا قياسيا، يراد منه استخدامه استخداما فنيا في الحياة العامة، وما جد - ويجد - فيها من ضروب العلم التجريبي والنظري<sup>(٣)</sup>.

وقد عقب بعض العلماء المحدثين على أقوال العلماء السابقة في التضمنين، وأبدوا وجهات نظر جديدة تعرض لأهمها، ونبين موقفنا منها.

### ١- رأي الإمام محمد الخضر

يرى الإمام محمد الخضر أن الكلام الذي يشتمل على فعل عُذِيَ بحرف وهو يتعدى بنفسه أو عُذِيَ بحرف وهو يتعدى بغيره يأتي على وجهين:

أ- ألا يكون هناك فعل يناسب الفعل المنطوق به، حتى تخرج الجملة على طريقة التضمنين، ومثل هذا نصفه بالخطأ، والخروج عن العربية، ولو صدر من العارف بفنون البيان.

ب- أن يكون هناك فعل يصح أن يقصد التكلم لمعناه، مع معنى الملفوظ به، وبه يستقيم النظم، وهذا إن صدر ممن شأنه العلم بوضع الألفاظ العربية، وموضع طرق استعمالها، حمل على وجه التضمنين الصحيح، كما قال سعد الدين التفتازاني: «فشمرت عن ساق الجلد إلى اقتناء ذخائر العلوم» والتشهير لا يتعدى بإلى، فيحمل على أنه قد ضمن (شمر) معنى الميل الذي هو سبب التشهير عن

(١) الخصائص ٢/ ٣١٠. (٢) نفسه ١/ ٣٥٧، وانظر مجلة المجمع ١/ ١٩٢.

(٣) دراسات في اللغة ١٨٤.

ساق الجسد، فإن صدر مثل هذا عن عامي، أي ممن يذلك حاله على أنه لم يبن كلامه على مراعاة فعل آخر، مناسب للفعل الملفوظ، كان لك أن تحكم عليه بالخطأ، مثل قوله: أرجو الله قضاء حاجتي. "فلا يصح لأن المتكلم لا يعرف معنى التضمن - على أن يضمن معنى أسأل مثلا - وإن قام شاهد على أن المتكلم لم يقصد للتضمن وإنما تكلم على جهالة بوجه استعمال الفعل كان قضاؤك عليه بالخطأ قضاء لا مرد له"<sup>(١)</sup>.

والتأمل لكلام الأستاذ الإمام يرى أنه يعترف بمذهب البصريين القائلين بأن التضمن توسع على طريق المجاز، مع تحقق العلاقة والقرينة المانعة، ولكن الإمام يشترط أن يكون المتكلم بهذا الأسلوب عالما بأسراره وطريقته، بحيث يعرف المعنى الأصلي، والمعنى المضمن، والعلاقة بينهما، ويضع كل شيء في موضعه، وعلى ذلك يجوز للشخص المتكلم إجراء كلامه على طريق التضمن، أما إذا كان جاهلا بطرائق التعبير فلا يجوز له ذلك.

وبناء الأستاذ الإمام رأيه على ملحظ العلم وعدم العلم خارج عن الوصف المنهجي، إذ لا علاقة لعلم المتكلم أو جهله بذلك، بل الأمر موقوف على تحقق الشروط اللغوية، فمتى وجدت كان الأسلوب صحيحا صدر ذلك من عالم أو جاهل، ولا ينبغي أن نحكم على أسلوب الجاهل بالخطأ إذا كان موافقا للقواعد العربية وسائرا على نهجها.

## ٢- رأي الدكتور السامرائي

اقترح الدكتور السامرائي لنفسه رأيا يعتقد أنه جديد، فقرر أن لا بد للباحث في علم الدلالات، بغية الإفادة في اللغة العربية، أن يعاني صعوبة البحث، إذا ما أراد أن يخلص للمنهج السليم، ولا سيما في عصورنا الحديثة<sup>(٢)</sup>، وهو يرى أن البصريين والكوفيين في هذا الباب لم يستقرئوا كلام العرب استقراء وافيا، ليسجلوا هذه الاستعمالات، وليقيدوها بقاتليها، وبالزمن الذي قيلت فيه مهتمين بموضوع اللغات الخاصة التي أجازت استعمالا دون آخر<sup>(٣)</sup>. . . . ولم يستطيعوا أن

(١) دراسات في العربية وتاريخها ٢٠٥، ٢٠٦.

(٢) دراسات في اللغة ١٧٥. (٣) نفسه ١٧٩.



يدرسوا المشكلة دراسة أسلوبية حديثة<sup>(١)</sup> ولذا فلا بد من أن تؤرخ الألفاظ وتفيد بعصورها، وبقاتليها، حاسين للأقاليم والمجتمعات حسابها في الاستعمالات، وما شاع بينها من فنون القول، وبهذا نفيد المعجمية العربية فائدة كبيرة، فيعاد بناء المعجمات المطولة على أساس جديد، بمراعاة الظروف التاريخية، وتطورها، وانعكاس هذه الظروف المتطورة في المادة اللغوية، ومن هنا تأتي ضرورة القيام بمعجم تاريخي<sup>(٢)</sup>.

والواضح أن القدماء قد استقرأوا الظواهر اللغوية في هذا الموضوع ووفوه حقه، أما تأريخ الألفاظ وتقييدها بقاتليها فإنهم قد فعلوا قدر استطاعتهم ولا يزال تحديد الزمن حتى الآن في حاجة إلى من يمضي في طريقه وينقب عنه.

### ٣- رأى بعض المحدثين كالأستاذ جورجى زيدان

يرى هؤلاء أن حروف الجر التي تستعمل لعدة معان لها معنى وضعى واحد، والمعانى الأخرى تعد تفننا عربيا، فالباء وضعت للظرفية فى أخوات العربية ويرجح أن هذا هو الأصل فى دلالتها عندنا، وما بقى من المعانى ليس إلا تفننا عربيا<sup>(٣)</sup>.

وهذا الرأى يرجع إلى أن الحروف والأدوات بقايا كلمات مستقلة قديمة أفرغت من معناها الحقيقى، واستعملت مجرد موضحات أى مجرد رموز<sup>(٤)</sup> فالباء بقية كلمة ذات معنى مستقل وهى (بيت)، بدليل وجود ذلك فى السريانية والكلدانية، وورود الباء بمعنى فى البيت فى التلمسود والترجوم<sup>(٥)</sup>، والكاف بقية كلمة يظهر أنها فقدت من العربية، وحفظت فى أخواتها، فهى فى العبرانية بقية khain "كن" التى مفادها كذا، فمعنى زيد كالأسد، زيد كذا الأسد و knain هذه منحوتة من akhain "أكن" فى العبرانية بمعنى حقيقة، فبناء على ما تقدم تكون كاف التشبيه بقية أصل يقابل (أكن) العبرانية، فقدت من العربية، ولم يزل محفوظا فيها مركبا مع لا النافية، أعنى به لكن، ولذا قال بعض أئمة اللغة: إنها

(١) نفسه ١٨٢.

(٢) نفسه ١٨٤.

(٣) الفلسفة اللغوية ٥٠، ٥١.

(٤) اللغة ٢١٦.

(٥) الفلسفة اللغوية ٥٠، ٥١.

تفيد الاستدراك، فكأن أصل مؤداها (لا حقيقة بنفى ما ذكر وتأكيد ما هو  
أت)(١).

ونحن نتفق مع هؤلاء المحدثين فى أن الحرف الموضوع لعدة معان له معنى  
واحد منها حقيقى، والباقى تفنن عربى على طريق المجاز، وسواء كانت الحروف  
بقايا كلمات أم لم تكن فالثابت أنها استعملت من أول أمرها أدوات لوصل  
الكلام، وربط بعضه ببعض، بما تحمل من هذه المعانى الحقيقية والمجازية.

### تعقيب

يبدو لنا أن المنهج العلمى الصائب هو الذى توخاه ابن جنى، وسار فيه على  
طريقة البصريين، فقد تناول التبدلات المعنوية التى تقع بين الحروف والأفعال،  
وأوضح الصلات التى تربط بينها، وأن ذلك توسع عربى، وتصرف أدبى، يلجأ  
إليه أرباب اللغة وفصحاء العرب، وقد رسم قانون التبدل المعنوى على طريق  
التضمنين، وذكر الحدود المرسومة له، من وجود القرائن الدالة على المراد،  
والوسائل الرابطة بين المعانى، فمن خالفها عد قوله سالكا طريق الشذوذ وكل من  
جاء بعده من العلماء المتأخرين قد نحا نحوه، واستمد من رأيه ومنهجه، شارحا  
ومعللا ودارسا، وهذا رأى هو الأولى بالقبول لما يمد به العربية من طاقات  
تعبيرية، وملامح فنية، تفتح المجالات للغة مرنة مستعدة لكل متطلبات الحياة  
والحضارة، ولقد كان المجمع اللغوى صائبا عندما أقر به وجعله قياسيا، وكان  
انتهاج المحدثين له مبدأ لغويا سليما، فلا مراء كان ابن جنى بارعا وحاذقا وباحثا  
لغويا عبقريا.

(١) نفسه ٥٢. وقد طبق الأستاذ زيدان ذلك على حروف كثيرة من ٦٨-٧٩.

## الارتجال

### تمهيد: اللغة كائن اجتماعي متطور

كل لغة تحتاج إلى زيادة عدة أفاظها، تبعاً لمقتضيات الحياة المتجددة كل يوم، وفي اللغات الأجنبية تعددت وسائل النمو سواء كان اجتماعياً أو فردياً، وقد يحدث أن تنمو الكلمة في القرية أو الأسرة مثلاً ثم تأخذ طابع الاحترام في الناس... وربما تكون نشأتها عن طريق فرد في المجتمع دون توجيه واضح من الأدباء أو المفكرين، وقد تموت كلمات وتحل أخرى محلها، ويكفي أن نقارن بين لغة شكسبير واللغة الإنجليزية الحديثة لنجد في العصر الحالي كلمات لم يكن يعرفها أو يستعملها شكسبير، كما نجد أفاظاً أخرى قد تغيرت دلالتها، وكل هذا على الرغم من أنه ليس بين العصرين إلا نحو أربعة قرون.

فإذا ذهبنا في الإنجليزية إلى عهد تشوسر وجدنا أن الإنجليزية في العصر الحديث لا يكاد يفهم أو يعي ما يقوله هذا الشاعر القديم.

أما بالنسبة للغة العربية فإن الموقف يختلف، بسبب تاريخها الطويل، وارتباطها بالعقيدة، وللرقابة المستمرة التي فرضها علماء اللغة، والتوجيه المستمر الذي فرضته ظروفها منذ قرون<sup>(١)</sup>، ولذلك كان إنشاء أفاظ جديدة في العربية الفصحى قليلاً جداً، والتغيرات التي تتناول مادتها ضئيلة كذلك، وهناك دوافع متعددة من التطور اليومي تحتاج إلى خلق كلمات جديدة، في كل اللغات، فكلما تحقق أي تقدم في الصناعة الإنسانية ترجم عن نفسه باستعمال آلات، وإجراءات جديدة، يقابلها خلق كلمات جديدة بقدرها<sup>(٢)</sup>، وقد تكون هناك أسباب اجتماعية كثيرة تدعو إلى الزيادة في جانب لغوي أو أكثر، ف لغة المغازلة - كما يقول الأستاذ فندريس - من أسرع اللغات تجددًا، وليس من العسير أن نجد تطور العادات ينعكس في الصور المختلفة التي تقدمها لنا هذه اللغة.

(١) طرق تنمية الألفاظ في اللغة ٩، ١٠.

(٢) اللغة ٢٨٣.

ويجب عند تفسيرنا لها ألا نهمل العلاقات الاجتماعية بين الجنسين، ففي عهود الثروة والبذخ كانت توجد أرستقراطية أنيقة تخص الحب بكل عنايتها، وتجعل منه سلوتها المضادة، في هذه البيئة تكونت في داخل اللغة الأرستقراطية مفردات خاصة بمسائل الغزل، هكذا كانت الحال في فرنسا في العصور الوسطى<sup>(١)</sup>. ويرى الاستاذ فندريس أن لغة من اللغات قد تخلق كلمات جديدة دون حاجة إليها، وبذلك كثر الترادف<sup>(٢)</sup> في الإنجليزية وتضخمت مفرداتها، والفرنسية تهالكت كالإنجليزية على اتخاذ الكلمات الجديدة، ولما تزل الكلمات القديمة في حيوية تامة، وكافية للتعبير، وهذا عيب ينجم دائما من رخاء الحال الذي يمكن اللغة من استعارة كل ما ينقصها كما تشاء، حتى ما يطلب منه لاستعمال مؤقت<sup>(٣)</sup>.

وبهذا ندرك أن اللغات تحتاج إلى الزيادة بسبب من الأسباب، وقد تستمد هذه الزيادة بطرق متعددة، كالاشتقاق الذي يجدد الكلمات<sup>(٤)</sup>. والقياس، وتغير الدلالة، والاستعارة من اللغات الأخرى، أو من لغات قديمة، وإنشاء كلمات مبتكرة لم تكن معروفة من قبل، وغير ذلك من الوسائل اللغوية، ويهمننا هنا بيان الوسيلة التي بها تنشأ كلمات جديدة ذوات طابع غير معروف لأرباب اللغة، وهو ما اصطلاح اللغويون على تسميته بالارتجال.

**حقيقة الارتجال:** هو - في أجلى معانيه - الاختراع كأن ينطق المتكلم بكلمة جديدة في معناها، أو جديدة في صورتها، فلا تمت لمواد اللغة بصلة، أو لا تناظر صيغة من صيغها، وقد يطلقونه على الاشتقاق<sup>(٥)</sup>.

### وجوده في اللغات

#### (١) رأى ابن جنى وغيره من القدماء

يعترف ابن جنى بوجود فكرة الارتجال في اللغة، وقد أيد رأيه ببعض الكلمات التي جاءت عن ابن أحمر، وبما روى عن رؤية وأبيه من أنهما كانا

(١) نفسه ٢٨٨. (٢) سنرى أن الترادف في العربية كانت له أسباب دعت إليه أو نشأ عنها.

(٣) اللغة ٢٩٢. (٤) نفسه ٢١٠. (٥) من أسرار اللغة (ط ٣)، ص ٨٠، ٨٢.

يرتجلان الفاظاً لم يسمعاها ولا سبقا إليها، وفي كتب النحاة ما يرشدنا إلى اعترافهم- أيضاً- بالارتجال في أثناء حديثهم عن العلم وتقسيمه قسمين: هما منقول ومرتجل، وفي ذلك يقول ابن مالك:

ومنه منقولٌ كفضلٍ وأسَدٌ      وذو ارتجالٍ كسعادٍ وأدَدٌ

فالمرتجل عندهم: ما لا يدل في صيغته على أى معنى، أو بعبارة أخرى: لم يكن قبل العلمية كلمة من كلمات اللغة، هذا عند الجمهور، وذهب سيويه إلى أن الاعلام كلها منقولة، والزجاج إلى أنها كلها مرتجلة<sup>(١)</sup>، وقد وردت أمثلة في كتب اللغة يمكن عدّها مرتجلة.

فأساس الارتجال عند القدماء هو: ما روى عن رؤية وأبيه- ما روى في كتب النحاة-الكلمات التى أوردها ابن جنى عن ابن أحمر- الكلمات التى وردت في بعض كتب اللغة.

وابن جنى- من القدماء- هو الذى عالج هذا الموضوع بطريقة تفصيلية، وكلامه الذى يتصل به يشمل الاختراع من العدم، والاشتقاق، والاستفادة من اللغات القديمة الشقيقة أو الأجنبية، فقد تحدث في (باب فى الشيء يسمع من العربى الفصيح لا يسمع من غيره) عن كلمات انفرد بها ابن أحمر الباهلى، منها (كأس رنونة) أى دائمة وذلك قوله:

بنت عليه الملك أطنابها      كأس رنونةٍ وطرفٌ طِمِرَ

ومنها (المأنوسة) وهى النار، وذلك قوله:

(كما تطاير عن مأنوسة الشررُ)

ومنها (الجبر): وهو الملك، وإنما سمي بذلك -أظن- لأنه يجبر بجوده، وهو قوله:

اسلم براووق حُبِيت به      وانعم صباحا أيها الجبر

ومنها: (مارية): أى لؤلؤية لونها لون اللؤلؤ، ومنها قوله: (البابوس) وهو أعجمى يعنى ولد ناقته وذلك قوله:

(١) الاشعرونى ١/ ١٣١.



حَتَّ قَلُوصِي إِلَى بَابُوسَهَا جَزَعًا      فَمَا حَنِئُكَ أَمْ مَا أَنْتَ وَالذُّكْرُ؟

فالألفاظ التي ذكرها تشمل ثلاثة أنواع : المخترع، والمستعار من لغة قديمة، أو من لغة أجنبية، فكلمة الجبر يمكن أن نرجعها إلى الفصيحة السامية<sup>(١)</sup> فهي معروفة في العبرية والسريانية والآرامية، وتعني فيها جميعا معنى الرجل والسيد صاحب القوة والنفوذ<sup>(٢)</sup> وكلمة البابوس أعجمية باعتراف ابن جني، والكلمات الأخرى تحتل الاختراع، ويقول ابن جني عن هذه الكلمات: "إما أن يكون شيئا أخذه عمن ينطق بلغة قديمة لم يُشارك في سماع ذلك منه، وإما أن يكون شيئا ارتجله ابن أحمر، فإن الأعرابي إذا قويت فصاحته، وسمت طبيعته تصرف، وارتجل ما لم يسبقه أحد قبله به"<sup>(٣)</sup>.

والذي يقرأ كلام ابن جني يفهم أنه يقصد بالارتجال أحد أمرين:

١- اختراع ألفاظ من العدم، كذلك التي حدثت من رؤية وأبيه، فقد "كانا يرتجلان ألفاظاً لم يسمعاها ولا سبقا إليها"<sup>(٤)</sup> ويمكن أن يجرى ذلك على طريقة القياس، وهذا معنى قولهم عن رؤية وأبيه: إنهما قاسا اللغة، وتصرفا فيها، وأقدما على ما لم يأت به من قبلهما<sup>(٥)</sup>.

٢- الاشتقاق من مواد معروفة، على طريقة مخالفة للقواعد القياسية مثل قوله:

ترافع العزُّ بنا فارتفعاً

وهذا ما يعنيه قولهم عن رؤية وأبيه: إنهما "تهضما اللغة وولداها وتصرفا فيها غير تصرف الاقتحاح فيها، وذلك لإيغالهما في الرجز، وهو مما يضطر إلى كثير من التفريع والتوليد لقصره ومساوقة قوافيه"<sup>(٦)</sup>.

ويبدو من كلام ابن جني أنه يقبل الاختراع من العدم إذا كان سالكا طريق القياس، وبما يدل على هذا أنه قرن حديث الارتجال بحديث الاشتقاق القياسي فقال: "وعلى نحو من هذا قال أبو عثمان: ما قيس على كلام العرب فهو من

(٢) الخصائص ٢/٢٤، ٢٥.

(١) من أسرار اللغة (ط) ٨٢.

(٤) نفسه ٣/٢٩٨.

(٣) نفسه ١/٣٦٩.

كلام العرب، وفي هذا الضرب غار<sup>(١)</sup> أبو على في إجازته أن تبني اسما وفعلًا وصفة ونحو ذلك من ضرب فتقول ضرب زيد عمرا، وهذا رجل ضرب وضربى، ومررت برجل خرج، وهذا رجل خرج، ودخل ودخل ودخل وأخرج وأخرج وأخرج من ضرب، ونحو ذلك<sup>(٢)</sup> "فقلت له: أترجل اللغة أرتجالا؟ قال: ليس بارتجال لكنه مقيس على كلامهم فهو إذا من كلامهم"<sup>(٣)</sup> فهذا ليس بارتجال كما قال أبو على، ولكن العربى إذا قويت فصاحته، وسمت طبيعته - كما قال ابن جنى - تصرف، وارتجل ما لم يسبقه أحد إليه" فإنه لما أصبحت العربية طبيعة عنده أمكنه أن يولد جديداً جارياً على سمتها، ولذا قسم ما يرد عن الفصحى قسمين: ما يوافق القياس وما يخالفه "فإن كان ما أورده مما يقبله القياس إلا أنه لم يرد به استعمال إلا من جهة ذلك الإنسان فإن الأولى فى ذلك أن يحسن الظن به، ولا يحمل على فساد<sup>(٤)</sup>... فلا نقطع على الفصحى يسمع منه ما يخالف الجمهور بالخطأ، ما وجد طريق إلى تقبل ما يورده، إذا كان القياس يعاضده<sup>(٥)</sup> ويحمل ذلك على أنه قد ارتجاله - أخذاً من عبارته السابقة - وقد يمكن أن يكون ذلك وقع إليه من لغة قديمة قد طال عهدا وعفا رسمها، وتابدت معالمها<sup>(٦)</sup> فالمعروف أن لغات كثيرة قد ضاعت بعد الإسلام لموت الحفظة والرواة "قال عمر بن الخطاب - رضى الله تعالى عنه -: كان الشعر علم القوم، ولم يكن لهم علم أصح منه، فجاء الإسلام فتشاغلت عنه العرب بالجهاد، وغزو فارس والروم، ونهيت عن الشعر، وروايته، فلما كثر الإسلام، وجاءت الفتوح، واطمأنت العرب فى الأمصار راجعوا رواية الشعر فلم يثلوا<sup>(٧)</sup> إلى ديوان مدون، ولا كتاب مكتوب، وألفوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل، فحفظوا أقل ذلك وذهب عنهم أكثره، وقال أبو عمرو بن العلاء: ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله، ولو جاءكم وأفرا لجاءكم علم وشعر كثير، ولسنا نشك فى بعد لغة حمير ونحوها عن لغة ابنى نزار، فقد يمكن أن يقع شيء من تلك اللغة فى لغتهم، فيساء الظن فيه بمن سمع

(١) من الغور وهو ما انخفض من الأرض ويريد تعمق فى البحث.

(٢) الحصائص ٢/ ٢٥. (٣) نفسه ١/ ٣٥٩. (٤) نفسه ١/ ٣٨٥.

(٥) نفسه ١/ ٣٨٧. (٦) نفسه ١/ ٣٨٦. (٧) لم يلجأوا ويرجعوا.

منه، وإنما هو منقول من تلك اللغة<sup>(١)</sup> وحدث ابن جني قال: دخلت يوماً على أبي علي - رحمه الله - خالياً آخر النهار، فحين رأيته قال لي: "أين أنت؟ أنا أطلبك، قلت: وما ذلك؟ قال: ما تقول فيما جاء عنهم من "حوريت؟" فخضنا معاً فيه فلم نحل بطائل منه، فقال: هو من لغة اليمن ومخالف للغة ابني نزار فلا ينكر أن يجيء مخالفاً لمثلهم<sup>(٢)</sup>.

والعربي الفصيح إذا اجتمع في كلامه لغتان فصيحتان... فأخلق الأمر به أن تكون قبيلته تواضعت في ذلك المعنى على ذينك اللفظين... وقد يجوز أن تكون لغته في الأصل إحداها، ثم إنه استفاد الأخرى من قبيلة أخرى، وطال بها عهده وكثر استعماله لها، فلحقت لطول المدة واتصال استعمالها بلغته الأولى<sup>(٣)</sup>... وكلما كثرت الألفاظ على المعنى الواحد كان ذلك أولى بأن تكون لغات لجماعات اجتمعت لإنسان واحد<sup>(٤)</sup>.

والقول بوقوع اللفظة للفصيح من لغة قديمة أيده القاضي الجرجاني فهو يقول في كتابه الوساطة<sup>(٥)</sup>: "أما الألفاظ التي زعموا أن الشعراء تفردوا بها فإنها موجودة عن أئمة اللغة، وعن ينتهي السند إليهم، ويعتمد في اللسان عليهم، وإنما نتكلم بما تكلموا به، وواحد كالجميع، والنفر كالقبيلة، والقبيلة كالامة، فإذا سمعنا عن العربي الفصيح الذي يعتد حجة كلمة اتبعناه فيها، ثم إن لم تبلغنا من غيره، ولم نسمع بها إلا في كلامه لم نزعم أنه اخترعها، ولم نحكم أنه أبو عذرتها، وعلى هذا أكثر اللغة "ويقول الإمام الشافعي - رضي الله عنه -: "لسان العرب أوسع الألسنة مذهباً، وأكثرها ألفاظاً، ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبي، ولكنه لا يذهب منه شيء على عامتها، حتى لا يكون موجوداً فيها من يعرفه، والعلم به عند العرب كالعلم بالسنة عند أهل الفقه، لا نعلم رجلاً جمع السنن فلم يذهب فيها عليه شيء فإذا جمع علم عامة أهل العلم أتى على السنن وإذا فرق كل واحد منهم ذهب عليه الشيء منها، ثم كان ما ذهب عليه منها

(١) نفسه ١/ ٣٨٦. (٢) نفسه ١/ ٣٨٧. (٣) نفسه ١/ ٣٧٢.

(٤) نفسه ١/ ٣٧٤، وانظر نصوص ابن جني ص ٣٦٨، ٣٦٩ من كتابنا. (٥) ص ٤٥٤، ٤٥٥.

موجودا عند غيره، وهم فى العلم طبقات، منهم الجامع لاكثره، وإن ذهب عليه بعضه، ومنهم الجامع لاقل مما جمع غيره، وليس قليل ما ذهب من السنن على من جمع أكثرها دليلا على أن يطلب علمه عند غير طبقته من أهل العلم، بل يطلب عند نظرائه ما ذهب عليه، حتى يؤتى على جميع سنن رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup> فالجرجاني والشافعي يؤمنان بأن اللفاظ التى ترد عن بعض الفصحاء يمكن أن تكون أضيفت إلى لهجتهم من لهجات أخرى قديمة أو معاصرة، وهذا هو احتمال قال به ابن جنى.

فإن لم يكن القياس مسوغا لما ورد عن الفصيح كرفع المفعول، وجر الفاعل، ورفع المضاف إليه، فينبغى أن يرد، وذلك لأنه جاء مخالفا للقياس والسماع جميعا، فلم يبق له عصمة تُضيفه ولا مسكة تجمع شعاعه<sup>(٢)</sup>.

ولكن لو جاء شيء من ذلك عن ظنين أو مستهم، أو من لم ترق به فصاحته، ولا سبقت إلى الأنفس ثقته، كان مردودا غير متقبل<sup>(٣)</sup> وبعبارة أخرى: "إن كان الرجل الذى سمعت منه تلك اللغة المخالفة للغات الجماعة مضعوفاً فى قوله، مألوفاً منه لحنه، وفناد كلامه حكم عليه، ولم يسمع ذلك منه، هذا هو الوجه، وعليه ينبغى أن يكون العمل، وإن كان قد يمكن أن يكون مصيباً فى ذلك لغة قديمة - مع ما فى كلامه من الفساد فى غيره- إلا أن هذا أضعف القياسين، والصواب أن يرد ذلك عليه ولا يُتقبل منه<sup>(٤)</sup>."

وعلى هذا فالاشتقاق بما يخالف النهج العربى مردود، ومن هنا تعقب العلماء رؤية وأباه، ويمكن فهم ذلك مما أجاب به ابن جنى عما روى عن الخليل من إنكاره قول رجل:

### ترافع العزبنا فارفتعنا

وهو أن يكون الخليل إنما أنكر ذلك لأنه بناء مما لاه حرف حلقى، والعرب لم تبين هذا المثال مما لاه أحد حروف الحلق، إنما هو مما لاه حرف فموى وذلك

(١) الرسالة للإمام الشافعي، ط ١٣١٠هـ، ص ١٨، ١٩.

(٢) الخصائص ٣٨٧/١. (٣) نفسه ٢٥/٢، ٢٦. (٤) نفسه ١/٣٩٠.

نحو اَقْعَسَسَ، واسْحَنَكَ، واكْلَدَدَ، واعْفَنَجَجَ، فلما قال الرجل للخليل:  
(فارفعنا) أنكر ذلك من حيث أرينا<sup>(١)</sup> "أو" أنه رأى نون (ارفع) في موضع لا  
تستعملها العرب فيه إلا غناء غير مبينة فأنكره، وليس كذلك في اقعسس، لأنها  
قبل السين، وهذا موضع تكون فيه مُعْتَنَةٌ مشابهة لحرفي اللين... وعلى ما نحن  
عليه فلو قال قائل: كيف تبنى من ضَرَبَ مثل (حَبَنَطَى)؟ لقلت فيه: (ضرنبى)  
ولو قال: كيف تبنى مثله من قرأ؟ لقلت: هذا لا يجوز، لأنه يلزمنى أن أقول:  
(قرناى) فأبين النون لوقوعها قبل الهمزة، وإذا بانت ذهبت عنها غتتها، وإذا  
ذهبت غتتها زال شبهها بحروف اللين، فى نحو: عَثُوْثٌ وخَفِيْدٌ وفِدُوْكٌ  
وزَرَارِقٌ وسَلَالٌ وعُذَافِرٌ وقَرَاقر- على ما تقدم- إلخ<sup>(٢)</sup>... وقد يجوز أن يكون  
إنكار الخليل قوله: (ارفعنا) إنما هو لتكرار الحرف الحلقى مع استنكارهم ذلك<sup>(٣)</sup>.

فخلاصة رأى القدماء- وعلى رأسهم عالمنا ابن جنى- أن الارتجال واقع فى  
اللغة، فيجوز للفصيح من العرب أن يرتجل جديدا - فى إطار القواعد العامة -  
ويفسر ما أتى به على أنه من اختراعه وابتكاره، أو أنه استمده من لغة قديمة قريبة  
أو بعيدة.

والناظر فى أدلة هؤلاء يلاحظ أن ابن جنى ذكر أن رؤية وأباه كانا يرتجلان  
اللغة وقد دفع إلى ذلك "أن الرواة كانوا مشغوفين بأن يقفوا على كل جديد لم  
يعرفوه، وكان يقضى على العالم فى جهله بكلمة أو خطئه فى مسألة فدعا ذلك  
بعضهم لأن يتزبدوا ويختلقوا إذا أخرجوا، أو يلتمسوا مثل هذا المختلق من أعرابى  
اشتهر بالفصاحة كرؤية بن العجاج"<sup>(٤)</sup>، ومن هذا ما يرويه يونس عن رؤية أن  
الرواة كانوا يلحون عليه أن يمدهم بالغريب النادر فكان يستجيب لإلحاحهم ويشبع  
رغبتهم بكلمات لم يألّفوها وأقيسة لم يعهدوها"<sup>(٤)</sup>. وكان رؤية نفسه يشعر بمبلغ  
هذا الاختلاق والكذب على العرب، إذ إن بعض ذلك من عند نفسه، وليس  
منقولاً عن العرب أصحاب اللغة "فترى رؤية يصيح فى يونس بن حبيب حين

(١) نفسه ٣٦٢/١. (٢) نفسه ٣٦٥/١. (٣) نفسه ٣٦٦/١.

(٤) من أسرار اللغة، ط ٣، ٨٤، والشعر والشعراء ٢/٢٩٥.



طالبه بالمزيد قائلاً: حتى متى تسألني عن هذه الأباطيل وأزوقها لك؟ أما ترى الشيب قد بلغ في رأسك ولحيتك؟<sup>(١)</sup>.

"ولكن هل كان رؤية يرتجل المسائل ارتجالاً، ويخترعها اختراعاً، أو كان يلجأ فقط إلى القياس والاشتقاق؟" يشك الدكتور أنيس في ذلك - كما هو نص عبارته السابقة - ويقول: "من الصعب الإجابة على مثل هذا السؤال إجابة نظمت إليها"<sup>(٢)</sup> ولكننا نستطيع أن نجزم بأن بعض الجديد الذي كان يأتي به رؤية وأبوه من اختراعهما وابتكارهما وإلا فإنه لو كان كله جارياً على القياس والاشتقاق، ومن مواد عربية مألوفة لم يكن هناك داع إلى عدّ هذا الجديد من الأباطيل والكذب، فهذه الأوصاف تعبير صريح عن القلق لما كان يخترعه من عند نفسه، ويلقى به إلى الناس مفهما لهم أن ذلك وارد عن العرب، وعلى نهجهم، وليس كذلك في حقيقة الأمر.

وهذا الاختلاق كما كان في الألفاظ، وبنية الكلمات، كان في المعاني بحيث غير رؤية فيها وأبدى رأياً لم يعرفه العرب، فصاحب كتاب الشعر والشعراء - وهو أحد الكتب التي تذكر غرائب رؤية - أخذ عليه بعض مأخذ تتعلق بخطأ في المعنى، فهو يجعل الأسود أخبث من الأفعى في قوله:

فأخطأ الأفعى ولاقى الأسود<sup>(٣)</sup>

وذكر المبرد - في باب تكاذيب الأعراب من كتابه الكامل - أن رؤية سئل عن زمن الفطحل في قوله:

لو أننى عُمِّرت سنَّ الحِسل<sup>(٣)</sup> أو عمرَ نوحَ زَمَنَ الفِطْحَلِ

(١) المصدران السابقان. (٢) الشعر والشعراء ٥٩٧/٢، ٥٩٨.

(٣) الحسل: كالعلم: ولد الضب وسم الحسل مثل تضره العرب في طول العمر، لأن الضب يعيش زمناً طويلاً يقال: إنه لا تسقط له سن أبداً حتى يموت، ويقال أيضاً: إن الضب والحية والقراد والنسر أطول شيء عمراً ولذلك قالوا: أحى من ضب. انظر لسان العرب ١٣/١٦٠، ١٦١، ومجمع الأمثال للميداني ٢٢٦/٢، والتعليق على بيت رؤية السابق في كامل المبرد ٢/٥٥٠.

فقال: أيام كانت السلام<sup>(١)</sup> رطاباً<sup>(٢)</sup>.

فلا ريب أن بعض ما أتيا به يعد من الاختراع، وفي بعضه الآخر ما يرويانه عن اللغات القديمة أو الأجنبية بحيث كان يعد لدى الرواة من غرائب اللغة، ويستين ذلك للباحث من اطلاعه على أراجيز رؤية وأبيه التي شرحها البكري في كتاب بعنوان (أراجيز العرب) فمعظم كلمات الأراجيز من الحوشى الغريب<sup>(٣)</sup>.

والكلمات التي أوردها ابن جنى عن ابن أحمر الباهلى تحتل أيضاً ما احتملته كلمات رؤية وأبيه وقد أوضحنا ذلك بنص كلامه فيما سبق.

والباحث فى العربية يعثر فى بعض مصنفاتها على كلمات وصفت بالاختراع، فقليل عنها: إنها مصنوعة، وقد أورد المزهري عدداً من تلك الكلمات غير منسوبة، ووصفها بالاختراع والصنعة - نقلاً عن بعض المصادر اللغوية - فقد نقل عن ابن دريد فى الجمهرة أن الخليل قال: أما ضهيد وهو الرجل الصلب فمصنوع لم يأت فى الكلام الفصيح، وكذلك عنشج للثقل الوخم. إلخ<sup>(٤)</sup> وقد روى فى بعض مراجع اللغة والأدب ما يدل على أن أحد الشعراء أو الكتاب قد يرتجل كلمة أو كلمتين تفكها وتظرفاً.

ومن ذلك ما يرويه صاحب الأغاني منسوباً إلى بشار، والمسعودى منسوباً إلى أبى العنبر، أيام المتوكل، من أن بشاراً أو أبى العنبر جاء إلى أصدقائه يوماً، فقال له أحدهم: مالك مغتما؟ فقال مات حمارى، فرأيت فى النوم، فقلت له: لم مت؟ ألم أكن أحسن إليك؟ فقال:

هـام قلبى بأنان	عند باب الصيد لاني
تيمتنى يوم رُحنا	بشايها الحسان
وبخذ ذى دلال	مثل خد الشنفران

(١) جمع سلمة وهى الحجارة الصلبة سميت بذلك لسلامتها من الرخاوة.

(٢) الكامل ٥٤٩/٢. وانظر المزهري ط ١٢٨٢ هـ، ٢٥٢/٢. (٣) من أسرار اللغة، ط ٣، ٨٣.

(٤) المزهري ط الأولى ٩٠/١، وفى الخصائص: ضهيد: اسم موضع وهو مصنوع - أيضاً - انظر

الخصائص ٢١٦/٣ واللسان ٢٥٥/٤، وكلمة عنشج فى اللسان أنه للمتقبض الوجه السوء المنظر

ولم يشر إلى أنه مصنوع، لكنه أشار إلى أن (عنشج) للثقل الوخم وأنه مصنوع. اللسان

٣/ ١٥٠، ١٥٥. وانظر أبواباً كثيرة ذكرتها فى حديثنا عن الإبدال ص ٦٤١ من كتابنا.

فقال له سائله: ما الشنفران؟ قال: ما يدرينى؟ هذا من غريب الحمار، فإذا لقيته فأسأله<sup>(١)</sup> وكل هذه الكلمات مما يؤيد رأى القدماء فى وجود الارتجال فى اللغة العربية.

## (٢) رأى المحدثين

١- المؤيدون ودليلهم: يرى بعض العلماء أنه "لا ينكر وقوع الارتجال فى لغة الإنسان إلا مكابر"<sup>(٢)</sup> وبنى أصحاب هذا الرأى نظريتهم على أسس منها:

١- عند الإنسان ألفاظ لا يمكن إرجاعها إلى محاكاة الأصوات إلا بتكلف وتعسف، فأحرر بها أن تكون من الألفاظ المرتجلة، أنطقه بها الله الذى أنطق كل شئ"<sup>(٣)</sup>.

٢- اختراع الأطفال للألفاظ والصيغ، وقد أجروا فى ذلك التجارب الخاصة على الأطفال<sup>(٤)</sup> ويقول الأستاذ أحمد الإسكندرى: "إننا سمعنا كثيراً من الأطفال يرتجلون كلمات مركبة من حروف عدة"<sup>(٥)</sup> ومن هنا يزعم بعض العلماء "إمكان نشأة لغات مستقلة من مثل هذا فى البيئات المنعزلة"<sup>(٦)</sup>.

ويقول الدكتور أنيس: "لا تكفى تلك الأمثلة التى رويت لنا عن ارتجال الأطفال واختراعهم الكلمات اختراعاً... للفصل فى ارتجال الأطفال برأى حاسم فهذه الأمثلة يحوطها الإبهام والغموض"<sup>(٧)</sup>.

ويرى أن الارتجال جائز عند الكبار "فالارتجال ممكن، ولا يحتاج إلى قدر كبير من الثقافة، بل فى مكنة كل منا أن يرتجل متى شاء، وأنى شاء، وليس مثل هذا الحمق مقصوراً على قوم دون آخرين، فنحن نستطيع فى سهولة ويسر أن

(١) الأغاني ٦٢/٣ ومروج الذهب ٤٣/٤، وبينهما خلاف فى ألفاظ الآيات والشنفران بالنون والغين فى مروج الذهب وبالياء والفاء فى الأغاني.

(٢) فقه اللغة، الإسكندرى، ص ٢٩.

(٣) من أسرار اللغة ط ٣، ص ٨٧-٨٩. (٤) فقه اللغة، ص ٣٠.

(٥) من أسرار اللغة، ط ٣، ص ٩٠، وزعم بعض العلماء أن ارتجال الألفاظ للدلالة على المعانى راجع إلى طبائع الحروف المتشابهة هى منها، فعنده أن كل حرف يرمز إلى معنى كلى يتفرع إلى فروع يدور فيها هذا الحرف، فقه اللغة، للإسكندرى، ص ٣١.

نرتجل كلمات عربية ما أنزل الله بها من سلطان، وأن نخلع عليها من المعاني ما يشاء لنا الهوى، وهى لا تقل حيثنذ عما نسبته القدماء من اللغويين للإعراب، ومثل للارتجال بما كانوا يقولونه وهم طلبة من مثل:

ومد عشر بالعثمين تفنطحت سلفا قناه كبز فرع القنظل

وقال: إن أصحاب الحرف والطوائف المختلفة يمكن أن تخرع ألفاظاً خاصة بصنائعها واتجاهاتها الدينية والاجتماعية، وأكد أن تلك الكلمات المخترعة تشيع بين الناس، فتكتسب احترامهم، وهنا قد يبدأ الكتاب والشعراء فى استعمالها، ولا يمر زمن طويل حتى تصبح بلفظها ومعناها مقبولة فى تلك اللغة<sup>(١)</sup>.

وهذا الارتجال يظهر أثره فى اللهجات الدارجة، إلا أنه قليل محدود الأثر، فقد يمر جيل أو جيلان من الزمان قبل أن نظفر فى اللغة بكلمة أو كلمتين يمكن أن نعزوهما إلى الارتجال.

أما فى لغتنا العربية الفصحى التى لا نتركها نهياً للتطور، بل نحصنها بحصون منيعة، فرضها علينا القدماء من اللغويين، فلا أمل من رقى أمثال تلك الكلمات المرتجلة إلى مصاف غيرها من كلمات اللغة الفصحى<sup>(٢)</sup>.

ويؤمن الدكتور تمام حسان بفكرة الارتجال أيضاً، ويقرها لخضوعها لعناصر اجتماعية تطورية، يقول: والحق أن العنصر الاجتماعى لا يمكن تجاهله فى اللغة لأننا نعتزف بوجود أسلوب خاص لكل متكلم، ويجواز الارتجال فى اللغة، والاحتجاج بأقوال الأفراد، سواء أكانوا شعراء أم خطباء أم حكماء أم غير ذلك، لأن الاعتراف بكل أولئك اعتراف بما يسمى شخصية المتكلم، ويستتبع الاعتراف بهذه الشخصية اعترافاً آخر بالتطور فى اللغة<sup>(٣)</sup>. وهو يتفق فى هذا مع الدكتور أنيس وأنه يمكن حدوثه من الكبار، وذلك قد يستعمله الشعراء والكتاب، وقد يرقى بعض تلك الكلمات إلى اللغة الفصحى<sup>(٤)</sup>.

(١) من أسرار اللغة ٩٠-٩٢. (٢) نفسه ٩٢، ٩٣.

(٣) اللغة بين المعيارية والوصفية ٨٣.

والمحدثون بذلك يعترفون بالارتجال فى اللغات الفصحى والعامية قديما وحديثا، ولندرة تلك الكلمات المرتجلة فى اللغات، وضعف أثرها فى نمو تلك اللغات يرى معظم الباحثين من المحدثين أن الارتجال أتفه طرق الوضع اللغوى<sup>(١)</sup>.

ب- المانعون ودليلهم: لم تؤمن طائفة من المحدثين بفكرة الارتجال ورفضوها لأدلة منها:

١- أن ما يرويه المؤيدون ليس فى حقيقته إلا نوعاً من عبث الاطفال باللغة المألوفة المعهودة<sup>(٢)</sup>.

٢- أن توليد الثلاثى من الثانى، أو من الحرفين الاولين، ثم توليد الرباعى من الثلاثى، وهذا لا يخلو من مواضعة واصطلاح، وصدورهما من الاناس الاولين غير معقول<sup>(٣)</sup>.

وهم يرون أن تلك الكلمات الجديدة التى نسمع عنها فى اللغات الأوربية، وقد أطلقت على مستحدثات جديدة، قد اشتقت أصولها من اللاتينية أو اليونانية، أو اتخذ اسم صاحب الاختراع علما على تلك المستحدثات، كاسم (مكتوش) الذى أطلق على نوع من معاطف المطر، لأنه صاحب المصنع الذى أنتجها، فليست تلك الألفاظ مخترعة، بل إنها راجعة إلى الاشتقاق أو القياس أو النحت أو الاستعارة، وغير ذلك من طرق وضع الكلمات الجديدة<sup>(٤)</sup>.

ولئن سلمنا للمانعين بعث الاطفال، وتسمية المستحدث الجديد باسم مخترعه، أو الرجوع فى اشتقاق اسمه إلى أصول لغوية قديمة كاللاتينية أو اليونانية، فإننا لا نسلم لهم بأن كل مخترع يجرى على هذا النمط، بل إن بعض ذلك يطلق عليه اسم جديد لم يعرف من قبل، واستبعاد حدوث المواضعة والاصطلاح من القدمات غير مقبول \* لأن المواضعة والاصطلاح لا يعنى أنهم كانوا يعقدون المحافل والمؤتمرات للاتفاق على كلمة - كما تفعل المجامع اللغوية الآن-

(٢) نفسه، ط٣، ٨٩.

(١) من أسرار اللغة، ط٣، ٩٣.

(٤) من أسرار اللغة، ط٣، ٧٩.

(٣) فقه اللغة، الإسكندرية، ٣٠.



وإنما كان القائل ينطق عن فطرة، أو قياس يراعيه في وضع الالفاظ، فيسمعه منه غيره، ويفهم مراده بقرينة إشارة أو خطاب، ثم لا يلبث أن يفشو بين الناس<sup>(١)</sup>.

ونحن مع ابن جنى والأقدمين ومع المحدثين أيضاً: فاللغة الفصحى يقتصر الارتجال فيها على العرب الفصحاء، وكان ذلك أيام شبابها في عصور الاحتجاج وهو ما أقره ابن جنى، فقد كانت الجماعة العربية تلجأ إلى هذا الطريق متى أعوزتها الحاجة، شأنه في ذلك شأن طرق الوضع الأخرى، كالاشتقاق والقياس والمجاز ونحو ذلك، وكان الفرد العربي يضيف كلمات جديدة، وطرقاً مستحدثة "فمخالفة فرد عدل فصيح للكثرة الغالبة ليس عيباً، فهو رب اللغة ومالكها فله أن يخلق من الفاظها ما يشاء، وإلا فكيف تنشأ اللغة؟"<sup>(٢)</sup>.

وربما يتساءل السائلون فيقولون: هل نشأت اللغة من هذا الطريق؟ فنجيب على ذلك بأن هذا بحث آخر بيناه في حديثنا عن نشأة اللغة الإنسانية الأولى.

ونحن مع المحدثين في أن الارتجال يحدث في حياتنا اليومية أيضاً، واللغة العامية تحوى ألفاظاً من هذا النوع الذى لا أصل له في اللغة الفصحى، أو اللغات الأجنبية، بل هو من اختراع الأفراد، والجماعات، ولكن شتان بين اختراعنا واختراع العربى الفصحى الذى تكلم عنه ابن جنى، فالعربى الفصحى كان يبتكر ما يعد الآن جزءاً من اللغة الفصحى، أما ابتكارنا فليست من ذلك بل تعد من اللهجات الدارجة.

وقد عد المحدثون الارتجال من أنفه طرق الوضع اللغوى - كما سبق - وربما لم يكن فى العربية الفصحى كذلك، فما اخترعه العرب الأولون هو من صميم العروبة، لأنهم مستبعمون بروحها لا يحيدون عنها، ولذا فليس من المبالغة أن نقول: إنه كان - كغيره - طريقاً سلكته العربية منذ نشأتها لنموها واتساعها.

(١) فقه اللغة، الإسكندرية، ٣١.

(٢) اللغة والنحو (عباس حسن)، ٤١، ٤٢.

## التعريب دواعيه وتاريخه

لقد كان لابن جني رأى واضح فى استغلال التعريب واتخاذ طريقاً للنمو اللغوى .

والمعروف أن التعريب هو: أن تتكلم العرب بالكلمة الاعجمية على نهجها وأسلوبها<sup>(١)</sup> وهذا ليس خاصا بالعربية، بل هو أمر عام فى اللغات الإنسانية. فمن طبيعة الإنسان- كما يقول علماء الاجتماع- أن يلتقى بغيره، ولكل شعب ظروف تدعوه إلى مخالطة الآخرين، والاستعانة بهم فى كل زمان ومكان، فتبادل التجارة والثقافة والحضارة والهجرات والغزو حقائق تاريخية لا مجال للشك فيها، ووسيلة هذا التعارف المختلف الألوان هى اللغة "ويقتضى التوسع فى التبادل التجارى وضرورة الاتصال معرفة لغات عدة معرفة جيدة... واحتكاك اللغات ضرورة تاريخية، وتطور اللغة المستمر فى معزل عن كل تأثير خارجى يعد أمراً مثاليا لا يكاد يتحقق فى أية لغة، بل على العكس من ذلك، فإن الأثر الذى يقع على لغة ما من لغات مجاورة لها كثيراً ما يلعب دوراً مهماً فى التطور اللغوى<sup>(٢)</sup>، ونتيجة لذلك توجد الفساذ أجنبية فى كل لغة كتب لها هذا الاتصال، ولا ريب أن ذلك حدث فى العربية منذ زمن بعيد، فقد اتصل أهلها بالأمم المجاورة عن طريق الغزو، والهجرة، والاختلاط معها فى شئون التجارة وغيرها، من وجوه التبادل الاقتصادى، والاجتماعى والفكرى، لوجودهم فى صحراء جرداء<sup>(٣)</sup>، ويقتضى ذلك نقل اللفاظ أو الوسائل اللغوية التى يحتاج إليها الطرفان، أو ما يوافق هواهم، وما يحلو لهم "فالاقتراس- على هذا النحو- تفاعل طبيعى فى كل لغة حية، لم يحل بين أهلها وبين غيرهم من الأمم حائل يمنع ذلك الاقتراس، وليست

(١) الصحاح ١٧٩/١ وشفاء الغليل ص ٣، والمزهر ط الأولى ١٣٠/٢، وفقه اللغة د. نجا ٧٧/٣، والاشتقاق والتعريب ٤١، وفقه اللغة د. وافي ١٩٣. (٢) اللغة ٣٤٨.

(٣) فقه اللغة د. نجا ٧٧/٣ وفقه اللغة (الإسكندرية) ٦٠، ٦١، واللغة والمجتمع د. السرران، ١٧٩.

اللغة العربية بيدع من تلك اللغات، وليست هي في جميع أدوارها التاريخية- قبل الإسلام وبعده- بالتى يمكنها أن تسلم من تأثير هذا الناموس الطبيعى فيها<sup>(١)</sup>.

وقد اتصل العرب بأمم كثيرة مجاورة لهم كالفرس والروم، وبإخوانهم الساميين كالآراميين فى الشمال، والأحباش فى الجنوب، وقد أخذوا عن الأولين كثيرا من الألفاظ المعبرة عن مظاهر الحضارة والرقى، وعن الآخرين بعض ما تعلق من الألفاظ بالنواحي الثقافية والتجارية، كما أخذوا عن الأمم المجاورة من فرس وروم - بجانب إخوانهم الساميين- كثيرا من الألفاظ التى تتعلق بما يحتاجون إليه من مزروعات، ومصنوعات، وأدوات للزينة، وأثاث للبيوت<sup>(٢)</sup>، وهذا ليس بدعا من النقل اللغوى التابع للنقل الاقتصادى، بل ذلك أمر عام فى التبادل بين شعوب العالم ولغاتها \* فالمنتجات الزراعية والصناعية تنتقل معها أسماؤها الخاصة بها، فى لغة المناطق التى ظهرت فيها لأول مرة، أو اشتهرت بإنتاجها، أو تصدر منها فى الغالب، فكلمة الشاى قد انتقلت إلى معظم لغات العالم، من لغة جزر (ماليزيا) (شاى فى العربية the فى الفرنسية tea فى الإنجليزية.. إلخ) وكذلك كلمة الطباق انتقلت من لغة السكان الأصليين لأمريكا حيث كشفت هذه المادة لأول مرة (طباق فى العربية tabac فى الفرنسية tobacco فى الإنجليزية.. إلخ)<sup>(٣)</sup>، ولما أقبل الإسلام، وعظمت الفتوح شرقاً وغرباً، أدى ذلك إلى الارتباط الوثيق بين العرب وبين الأمم الداخلة فى حوزتهم، فاتصلت العربية بالفارسية والسريانية واليونانية والتركية والكردية والقبطية والبربرية والقوطية، وكان أثر ذلك الاتصال كبيراً بين العربية والفارسية، ويليهما اتصالها بالسريانية ثم باليونانية<sup>(٤)</sup>، وكان للعلوم والمعارف التى اقتحمت لغة العرب أثر كبير بحيث أصبحت لغة فقه، وسياسة، وعلم،

(١) الاشتقاق والتعريب ٤٥.

(٢) فقه اللغة د. نجا ٧٧/٣، ٧٨، والاشتقاق والتعريب ٢٦، وفقه اللغة د. وافي ١٩٣-١٩٦،

٢٣٢، وتاريخ اللغات السامية ١٦٢، ١٦٣، ١٦٩.

(٣) علم اللغة د. وافي، ط ١٩٣٨م، ص ٢٣٥.

(٤) فقه اللغة د. نجا ٧٧/٣، ٧٨، وفقه اللغة د. وافي ١٩٣-١٩٦، ٢٣٢.

وفلسفة، وفن، ففتحت صدرها للمفردات الدخيلة لتحلها مكاناً لائقاً إلى جانب الأصيلة<sup>(١)</sup>، وقد وردت بعض الألفاظ المعربة على ألسنة الشعراء الجاهليين، والاعشى من المشهورين في تاريخ اللغة باستعمال هذا النوع من الألفاظ يقول:

عَلَيْهِ دِيَابُودُ تَسْرِبِلَ تَحْتَهُ      أَرَنْدَجُ إِسْكَافٍ يُخَالِطُ عِظْلاً

ففي البيت كلمتان أعجميتان "ديابوذ" وهو ثوب ينسج على نيرين "وأرندج" جلد أسود<sup>(٢)</sup>، وقد نقل ابن جني شعرا لرؤية استعمال فيه الأعجمي قال:

هَلْ يُنْجِنِي حَلْفٌ سَخْتِيَّت      أَوْ فُضَّةٌ أَوْ ذَهَبٌ كِبْرِيَّت

فاستعمل كلمتي (سختيت وكبريت) وأراد بالسختيت: الخالص وبالكبريت: الذهب<sup>(٣)</sup> وقال: "في خدر مياس الدمي مُعْرَجَن"<sup>(٤)</sup>. وورد ذلك الاجنبي أيضا في شعر بعض الشعراء الإسلاميين المشهورين كجبرير والفرزدق والاختل، ثم زادت نسبة وروده في شعر العباسيين<sup>(٥)</sup> بل ربما استعاروا الكلمة من كلام العجم للقافية استطرافا وتحذلقا، كقول أحدهم: "أنا العربي الباك" أي النقي من العيوب، وقول الآخر: (كما رأيت في الملاء البردجا) أي السبي<sup>(٦)</sup> وهذا

(١) اللغة العربية في ماضيها وحاضرها ومستقبلها «من المقدمة»، ص ١٢.

(٢) من أسرار اللغة ط ٣ ص ١٠٩، والاشتقاق والتعريب ٢٦، والمغرب ١٦، ١٣٨، ١٣٩، الأرنذج واليرندج أصله بالفارسية رنده، ديابوذ أصله دوابوذ بالفارسية. والمظلم: عصارة شجر أو نبت يصيغ به.

(٣) الخصائص ٣٥٨/١ سختيت شديد صلب أصله سخت بالفارسية وهو الشديد: قال أبو عمرو: سختيت الدقيق من كل شيء. المغرب ١٧٩، ١٨٠. (٤) الخصائص ٣٥٩/١.

(٥) من أسرار اللغة ط ٣، ص ١١٠، وقع المغرب في قول البحتري:

وَالْمَنَائِيَّ مَسْوَئِلَ وَأَنْشُوشِيرَ      وَإِنْ يُزْجِي الصَّفُوفَ تَحْتَ الدَّرَفِ

ديوان البحتري ١٠٦/٢، وأنشوشير فارسي معرب، المغرب ص ٢٠، والدرفس الراجية فارسية معربة وأصله درفش بالشين المعجمة وفي القاموس أنه العظيم من الإبل والفضخم من الرجال والعلم الكبير والحرير، ط ٣، سنة ١٣٥٢هـ / ١٩٣٣م، ٢/٢١٥.

(٦) المغرب ص ٩، وشفاء الغليل، ص ٧، واللغة العربية «الكفوري» ١٣، ١٤، وهناك معان أخرى ذكرها محقق المغرب الأستاذ شاكراً، ص ٢٤٧، وهي بالفارسية برده.

الاستعمال الواسع للألفاظ الأجنبية جعل العلماء يحظرون استعمال ما لم يرد عن العرب منه، ويقصرونه على السماع، وعللوا ذلك بقلة الوارد منه عن العرب، ولكن القلة لم تكن وحدها الباعثة لهم على اجتناب الأعجمي، بل أضافوا إليها خوف تفشي الأعجمية في الكلام، وغلبتها على العربية فتشعر على توالي العصور، بل تنقرض، فتقرض معها القومية العربية، ويستغلق القرآن، ويبد كل ما دون باللسان العربي من العلوم والآداب والشرائع<sup>(١)</sup>.

### طرائقه

لم يكن العربي يستعمل الكلمة الأعجمية كما هي في اللسان الأعجمي - غالباً - بل يدخل عليها بعض التغييرات، بحيث يجعلها ملائمة لنطقه، وبخاصة إذا اشتملت الكلمة على حرف لا يتفق والحروف العربية، وقد ذكر العلماء بعض الطرائق التي استعملها العرب في تعريبهم للألفاظ حتى تجرى على ألسنتهم:

١- فالباء الثقيلة يجعلونها باء تارة وفاء أخرى، ومنه برند السيف وفرنده وفالوذ وفولاذ<sup>(٢)</sup> ومنه الفندق.

٢- والحرف الذي بين الجيم والكاف وهو صوت فارسي جعلوه جيما أو كافا تارة وقافا تارة أخرى، فالحانوت استعمل له الكريج والقريج والقريق.

٣- إبدال الشين الفارسية إلى سين عربية كإسماعيل وسراويل المنقولين من إشماويل وشراويل، والشين موجودة في العربية<sup>(٣)</sup> ودست وهي بالفارسية دشت.

وقد كان لعالمنا ابن جنى رأى في هذا الموضوع، وتتبع لبعض الطرائق التي لجأ إليها العرب في تعريب الكلمات الأعجمية، وتتلخص فيما يأتي:

١- الإعراب: قال أبو علي: إذا قلت: طاب الخشكُنان، فهذا من كلام العرب، لأنك بإعوابك إياه قد أدخلته في كلام العرب.

(١) مجلة مجمع اللغة العربية ١ / ٢٠٠.

(٢) فالوذ: حلوى تعمل من الدقيق والماء والعسل، وفولاذ وأصلها بولاذ بالفارسية: مصاص الحديد المنقى من خبثه: العرب ٢٤٧، وتعليق المحقق، والقاموس، ط ٣، ١ / ٣٥٧.

(٣) فقه اللغة د. نجا ٧٩ / ٣، ومن أسرار اللغة ط ٣، ١١٣، والعرب ٦ - ٨، وشفاء الغليل ٥ - ٧.



٢- دخول لام التعريف، يقول ابن جنى: ويؤكد هذا عندك أن ما أعرب من أجناس الاعجمية قد أجرته العرب مسجى أصول كلامها، ألا تراهم يصرفون فى العلم نحو أجر وإبريسم وفرند وفيروزج، وجميع ما تدخله لام التعريف، وذلك أنه لما دخلته اللام فى نحو الديباج والفرند والسهريز والأجر أشبه أصول كلام العرب أعنى النكرات، فجرى فى الصرف ومنعه مجراها<sup>(١)</sup>.

٣- الاشتقاق (من الاعجمى) قال أبو على: ويؤكد ذلك أن العرب اشتقت من الاعجمى النكرة كما تشتق من أصول كلامها، قال رؤبة:

هل يُنجِنِي حلف سَخْتِيتْ      أو فضّة أو ذهب كبريت

قال: السخيت من السخت كزحليل من الزحل، وحكى لنا أبو على عن ابن الاعرابي أنه قال: يقال درهمت الخبازى أى صارت كالدرهم، فاشتق من الدرهم، وهو اسم أعجمى، وحكى أبو زيد: رجل مُدرهم<sup>(٢)</sup>.

ومعنى ذلك أن ابن جنى يجعل اللصق بإضافة سابقة هى لام التعريف أو لاحقه وهى حركة الإعراب، ويجعل تحويل الكلمة على طريقة التصريف العربى من وسائل التعريب، ويقول الدكتور شاهين: إنه لا ضير فى استعمال اللصق وسيلة للتعريب ما دام غير متكلف ولا مصنوع<sup>(٣)</sup> ولعل أستاذنا الدكتور نجما يقصد ذلك حين قال: "قد يصحب هذا التغيير زيادة فى حروف الكلمة، أو نقص فيها، أو تغيير فى حركاتها"<sup>(٤)</sup>، ويبدو أن طرائق التعريب لا تقتصر على هذه أو تلك، فما ذكر لا يستقصى كل الحالات بصدد طريقة المعرب فى التعريب<sup>(٥)</sup> فعلمنا ابن جنى قد تحدث عن التعريب فى الفصل الخاص بالقياس وتوسعه فيه، وصرح بجريانه على أصول كلام العرب. ومعنى هذا أن القياس الذى يعنى الموافقة لأبنية

(١) قال الحفاجي: إن وجه الألف واللام فى الإسكندر من جهة العربية خفى والحقيقة أنه لا خفاء فيه على رأى ابن جنى، شفاء الغليل ١٥ والمعرّب ٤١.

(٢) الخصائص ١/ ٣٥٧، ٣٥٨. (٣) القراءات القرآنية ٣٣٩. (٤) فقه اللغة ٧٩.

(٥) من أسرار اللغة، ط ٣، ١١٣، وانظر كتاب الألفاظ المعربة لأدى شير، ص ٤، ٥، والمراجع فى تعريب المصطلحات العلمية ٢٠٢-٢٠٤ ففيهما طرائق كثيرة.

العرب وأساليبيها، والاشتقاق الذى يجرى على هذا القياس يعدان من أهم الأسس التى تستخدم فى التعريب<sup>(١)</sup> وأن الطرائق الماضية التى وضعت له قليل من كثير من القوانين القياسية والاشتقاقية العربية.

والواقع أن الالفاظ المعربة لم تسلك كلها المناهج العربية على طريقة التعريب، سواء منها ما ذكره العلماء القدماء كابن جنى، أو المحدثون، فمن التعرف على الكلمات التى دخلت العربية يبدو أنها أربعة أقسام:

١- قسم غُيِّرَ وأُلْحِقَ بالأبنية العربية كدرهم الملحق بهجرع وهو الاحمق وبهرج الملحق بسلهب وهو الطويل.

٢- قسم غُيِّرَ ولم يلحق بالأبنية العربية كآجر.

٣- قسم لم يغير وأُلْحِقَ بالأبنية العربية نحو كُرْكُم الملحق بِقُعْقُم.

٤- قسم لم يغير ولم يُلْحَقَ بالأبنية العربية كخراسان<sup>(٢)</sup>.

وهذا التقسيم شائع \* فأهل العربية قد صرحوا بأنه لا يلزم فى المعربات أن تجرى على أمثلة الأوزان العربية، بل إن جاءت فحسن، لتكون مع إقحامها على العربية شبيهة بأوزانها<sup>(٣)</sup>.

### كيف يعرف الأجنبى من الأصيل

وضع القدماء أمارات لمعرفة العرب أهمها:

١- النقل عن أئمة اللغة بأن اللفظ غير عربى.

٢- مخالفة الكلمة للأوزان العربية كخراسان وآمين وإبريسم.

٣- أن تنتهى الكلمة بزاي مسبوقه بدال كمهندز وهنداز ولذلك أبدلوها سينا<sup>(٤)</sup>.

(١) المرجع ١٩٠، ١٩١، ٢٥١-٢٨٦.

(٢) المزهرة ١٢٨٢، ج ٢، ص ١٣١، وشفاء الغليل ١٠.

(٣) الاشتقاق والتعريب ٤٣.

(٤) العرب ١١، ١٢ والمزهرة ١/ ٢٧٠، ط صبيح وشفاء الغليل ص ٧ وفقه اللغة د. نجا ٨٠.

٤- أن تكون الكلمة مبنية من باء وسين وتاء، فإذا جاء ذلك في كلمة فهو دخيل، مثل (بست) لبلدة<sup>(١)</sup>.

٥- أن تشتمل الكلمة على سين وذال معجمة فسادج معرب ساده بمهملة<sup>(٢)</sup>.

٦- أن تجتمع الطاء والجيم في الكلمة فطاجن معربة كما في الصحاح<sup>(٣)</sup>.

٧- أن تكون في الكلمة دال بعدها ذال-غالباً- ولذلك أبى البصريون أن يقولوا: بغداد بإهمال الدال الأولى، وإعجام الثانية، فاما الداذى ففارسي لا حجة فيه<sup>(٤)</sup>.

٨- أن يكون أول الكلمة نونا مثلوة براء كنرجس ونورج.

٩- أن تشتمل الكلمة على الصاد والجيم كالصولجان والصنّج والحص، وقال الأزهرى في التهذيب متعقبا على من قال: الجيم والصاد لا يجتمعان في كلمة من كلام العرب-: الصاد والجيم مستعملان، ومنه جصّص الجرو إذا فتح عينيه، وجصّص فلان إناءه إذا ملأه<sup>(٥)</sup> وقيل لم يجتمعا في كلمة عربية إلا في صمّج وهو القنديل<sup>(٦)</sup>.

١٠- أن تشتمل الكلمة على الجيم والقاف كالمنجنيق لآلة الحرب، فالجيم والقاف لا يجتمعان في كلمة واحدة من كلام العرب إلا أن تكون معربة أو حكاية صوت نحو الجردقة للرغيف والجُرموق الذى يلبس فوق الخف، وجلنبلق حكاية صوت باب ضخم في حالة فتحه وإصفاقه، جلن على حدة وبلق على حدة.

(١) فارسي معرب من لفظ البستان، المعرب ١٢، ٥٣، ٥٤، وشفاء الغليل ٧.

(٢) شفاء الغليل ٧ والمعرب ١٩٨ والقاموس، ط٣، ١٩٣/١.

(٣) ٢١٥٧/٦ وشفاء الغليل ٨، والمعرب ٢٢١، والطاجن والطيجن: الطابق يقلب عليه وكلاهما معرب، لأن الطاء والجيم لا يجتمعان في أصل كلام العرب، وهو معرب من الفارسية.

(٤) المزهر ط الأولى ١٣١/٢، ١٣٢، والداذى شراب، وبذالين نيت له عنقود طويل جاء على النسب وليس بنسب. القاموس، ط٣، ٣٥٣/١، وانظر في (بغداد) المعرب ١٤.

(٥) المزهر ط الأولى ١٣١/٢، ١٣٢. (٦) شفاء الغليل ٧.

١١- أن تخلو الكلمة الرباعية والخماسية من حروف الذلاقة التي هي (مر بنقل) كالجوسق، ويستثنى من ذلك ما نُص على عريته مع خلوه منها كالعسجد أى الذهب<sup>(١)</sup>، (فإن السين أشبهت النون للصفير الذى فيها والغنة التى فى النون)<sup>(٢)</sup>.

وإذا نظرنا إلى علماء اللغة فى بحثهم وتحديدهم للدخيل نجد بعضهم يتجه إلى أن الدخيل هو: ما لم يكن عربيا سواء كان منقولاً عن لغة سامية<sup>(٣)</sup> أخرى كالحيشية أو السريانية أو الآرامية أم كان منقولاً عن غير الساميات كالفارسية أو الرومية. فالأستاذ المغربى يعد كلمة (مصحف) معربة عن اللغة الحبشية، وكذلك (عنيسة) اسم الأسد بالحبشية، وقد سمت به العرب أولادها، والحاج والكاهن وعاشوراء معربات من العبرانية<sup>(٤)</sup> ودرهم معرب من الرومية<sup>(٥)</sup>، وغيره كذلك يعد النقل عن بعض الساميات تعريبا كالأرامية<sup>(٦)</sup>، وأدق من هذا رأى وأولى بالقبول أن نحدد مفهوم الأعجمى بأنه ما ينتسب إلى لغة أجنبية غير الساميات، فاللغات السامية أفراد أسرة لغوية واحدة<sup>(٧)</sup>، فليس من المقبول أن تعد الكلمة التى توجد فى لغتين منها مستعارة من الأخرى، لرجوعهما إلى أصل واحد هو اللغة السامية الأم، وعلى هذا يمكن القول بأن أغلب الألفاظ المشتركة بين العربية وأخواتها هى ألفاظ سامية، للعربية فيها ما لأخواتها، فهى ألفاظ سريانية وهى عبرية وهى حبشية وهى عربية أيضا<sup>(٨)</sup>، فنحن نجد كلمات مشتركة بين عدة لغات سامية فكلمة (حنان) منسوبة إلى العبرية والسريانية والعربية الجنوبية<sup>(٩)</sup> وكلمة (جنة) منسوبة إلى العبرية والآرامية والسريانية والحبشية والعربية الجنوبية<sup>(١٠)</sup> و(أحد) منسوبة إلى العبرية والعربية الجنوبية والآرامية والسريانية<sup>(١١)</sup> وكلمة (كفلين) حبشية

(١) المزهر ط الأولى ١٣١/٢، وشفاء الغليل ٧ وغيرهما. (٢) العرب ١٢.

(٣) انظر مقدمة العرب بتحقيق الأستاذ شاكراً للدكتور عبد الوهاب عزام، ص ٤، فقرة ٣.

(٤) الاشتقاق والتعريب ٢٨، ٣٧. (٥) نفسه ٤٩، ٥٠.

(٦) اللغة العربية (الكفورى) ٢٠، ٢٣. (٧) القراءات القرآنية ٣٣٣.

(٨) من أسرار اللغة، ط ٣، ١١٣. (٩) الزينة ١٢٢/٢.

(١٠) نفسه ١٩٩/٢. (١١) نفسه ٤٢/٢.

بمعنى ضعفين، وعبرية بمعنى جزئين<sup>(١)</sup>، ومن هنا كان السائرون على النظام الأول - الذى يعد النقل عن الساميات إلى العربية تعريبا - كانوا يبعدون عن الصواب فى تحليلهم لتعريب بعض الكلمات، فالكلمة الواحدة تأخذ صورا متعددة فى هذه اللغات الأخوات، ولا يصح لهذا أن نعد أمثال هذه الكلمات أجنبية عن اللغة العربية<sup>(٢)</sup> بل إنه أمكن للباحثين المحدثين أن يؤكدوا عن طريق فهم الساميات، على أنها أخوات، خطأ بعض القائلين بالتعريب فى نسبة لفظ معين إلى لغة من اللغات الأجنبية التى ينقل عنها، فلعل لفظ (دست) الذى قالوا إنه معرب عن الفارسية، وأصله فيها (دشت) بالشين، فحولت إلى سين فى العربية- ومثله كثير- قد استعارته الفارسية من السامية فى عصر متوغل فى القدم، ثم عاد إلى العربية على أنه فارسى، وهذا هو ما يفسر لنا قلب الشين فى الكلمة الفارسية إلى سين فى العربية، لأننا نعلم من المقارنات السامية أن معظم الكلمات العبرية المشتمة على شين ويكون لها نظائر عربية نلاحظ أن النظير العربى يشتمل على سين مكان الشين فى الكلمة العبرية<sup>(٣)</sup>.

وتحديد مفهوم الأعجمى بأنه ما نقل عن غير الساميات هو ما أخذ به ابن جنى، فهو لم يتعرض لذكر لغة من الساميات، وإنما ذكر أمثلة منسوبة للفارسية أو الرومية، وقد كان من الممكن أن يعرض لذكر الحبشية أو العبرية أو السريانية، لو كان يرى نسبة بعض الكلمات إليها<sup>(٤)</sup>، وتحديد المستعار - غير الإعلام - فى أية لغة أمر يحتاج إلى مشقة وعناء<sup>٥</sup> فالحكم بقدم لغة وحدثا أخرى، وبخاصة فى مجال اللغات العريقة، جد عسير كما أن الحكم بالأخذ يحتاج إلى الكثير من المقدمات العلمية الضرورية، مع تقديرنا أن مبدأ الأخذ أو الاستعارة مسلم به بين اللغات<sup>(٥)</sup>، كذلك فالبحث عن أقدم لغة إنسانية أمر لم يتضح على وجه التحديد،

(١) نفسه ١٣٥/١.

(٢) من أسرار اللغة، ط٣، ١١٤، والقراءات القرآنية ٣٣٤.

(٣) من أسرار اللغة ط٣، ص ١١٤، ١١٥، وتاريخ اللغات السامية ٢٠، وفقه اللغة د. وافي ١٨.

(٤) القراءات القرآنية ٣٣٦، والخصائص ٣٥٧/١.

(٥) القراءات القرآنية ٣٣١.



وكما أن الساميات يباح لها أن تأخذ من غيرها فكذلك لا يوجد ما يمنع من أن اللغات الأخرى المجاورة قد اقتبست منها بعض مفرداتها، فمن المحتمل أن اللغات السامية وجاراتها تبادلت ألفاظا في عصور متطاولة قبل الإسلام، فدخل في الفارسية مثلاً ألفاظ سامية؛ فرب لفظ فارسي يظن أصلاً للفظ عربي، وهو في الحقيقة لفظ سامي، تسرب إلى الفارسية في العصور القديمة، وقد بعد بالباحثين عن الصواب ظنهم أن العربية لم تهب اللغات الأخرى من ألفاظها إلا في العصور الإسلامية<sup>(١)</sup>، والعرب أمة من أقدم الأمم، ولغتها من أقدم اللغات وجوداً، كانت قبل إبراهيم وإسماعيل، وقبل الكلدانية والعبرانية والسريانية وغيرها، بله الفارسية، وقد ذهب منها الشيء الكثير بذهاب مدنيته الأولى قبل التاريخ<sup>(٢)</sup> "فلعل بعض ما يظن أنه أعجمي فيها من بعض ما فقد أصله، وبقي الحرف وحده منه"<sup>(٣)</sup>، وتبعاً لذلك وجدنا من علماء اللغة من يدعى توافق اللغات في بعض كلماتها، ويمكن أن نجد بعض تلك الكلمات التي تنسب إلى لغة سامية وأخرى أجنبية، فكلمة (سرياً) منسوبة إلى السريانية والنبطية واليونانية<sup>(٤)</sup> وكلمة (ابلعى) منسوبة إلى الحبشية والهندية<sup>(٥)</sup>، وهذا ما دافع به الإمام الشافعي عن عدم وقوع الأعجمي في القرآن الكريم، يقول في رسالته:

"لسان العرب أوسع الألسنة مذهبا، وأكثرها ألفاظاً، ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبي، ولكنه لا يذهب منه شيء على عامتها حتى لا يكون موجوداً فيها من يعرفه، والعلم به عند العرب كالعلم بالسنة عند أهل الفقه، لا نعلم رجلاً جمع السنن فلم يذهب منها عليه شيء فإذا جمع علم عامة أهل العلم أتى على السنن، وإذا فرق على كل واحد منهم ذهب عليه الشيء منها، ثم كان ما ذهب عليه منها موجوداً عند غيره، وهم في العلم طبقات: منهم الجامع لأكثره وإن ذهب عليه بعضه، ومنهم الجامع لأقل مما جمع غيره، وليس قليل ما ذهب

(١) مقدمة العرب للدكتور عزام، ص ٤، وانظر القراءات القرآنية ٣٣٤.

(٢) مقدمة العرب للأستاذ شاكر، ١٣، وأشتات مجتمعات في اللغة والأدب ١٦، ١٧.

(٣) الزينة ١١٧/١، ١١٨. (٤) نفسه ١٢٧/١.

من السنن على من جمع أكثرها دليلاً على أن يطلب علمه عند غير طبقته من أهل العلم، بل يطلب عند نظرائه ما ذهب عليه، حتى يؤتى على جميع سنن رسول الله بأبي هو وأمي، فيتفرد جملة العلماء بجمعها، وهم درجات فيما وعوا منها، وهكذا لسان العرب عند خاصتها وعامتها لا يذهب منه شيء عليها ولا يطلب عند غيرها، ولا يعلمه إلا من قبله عنها، ولا يشركها فيه إلا من اتبعها في تعلمه منها، ومن قبله منها فهو من أهل لسانها، وإنما صار غيرهم من غير أهل بتركه، فإذا صار إليه صار من أهله، وعلم أكثر اللسان في أكثر العرب أعم من علم أكثر السنن في العلماء، فإن قال قائل: فقد نجد من العجم من ينطق بالشئ من لسان العرب، فذلك قد يحتمل ما وصفت من تعلمه منهم، فإن لم يكن ممن تعلمه منهم فلا يوجد من ينطق إلا بالقليل منه، ومن نطق بقليل منه فهو تبع للعرب في، ولا ننكر إذا كان اللفظ قيل تعلماء، أو نطق به موضوعاً، أن يوافق لسان العجم أو بعضها قليلاً من لسان العرب، كما يتفق القليل من السنة العجم المتباينة في أكثر كلامها مع تنائي ديارها، واختلاف لسانها، وبعد الأوامد بينها وبين من وافقت بعض لسانه منها<sup>(١)</sup>.

فكلام الإمام الشافعي رضي الله عنه يتلخص في نقطتين:

١- أن لسان العرب واسع المذهب، فلعل اللفظ المقول بأعجميته كان عربياً، ولكنه لا يعلم عربيته إلا بعض العرب ممن بلغهم علمه، والقرآن ذاته يدل على أنه خال من الأعجمي.

٢- أن ما جاء من الأعجمي موافقاً للعربي فإنما هو من باب توافق اللغات لا أكثر<sup>(٢)</sup>.

وعلى نحو من هذا التوافق بين اللغات وعلم بعض العرب للكلمات دافع أبو عبيدة معاصر الشافعي فقال: "وقد يوافق اللفظ اللفظ ويقاربه، ومعناهما واحد، أحدهما بالعربية، والآخر بالفارسية أو غيرها، فمن ذلك (الإستبرق) بالعربية هو الغليظ من الديباج وبالفارسية هو (استبره).... إلخ"<sup>(٣)</sup>.

(١) الرسالة للإمام الشافعي، ط ١٣١٠هـ، ص ١٨، ١٩، ط ١٣٥٨هـ، ص ٤٢-٤٨.

(٢) القراءات القرآنية ٣٠٩. (٣) الزينة ١/١٣٧، ١٣٨، وفي المغرب ص ١٥.

وهذا ما سار عليه الأستاذ شاكر محقق العرب للجواليقي، فيما نقلناه عنه قبل قليل، وهذا أيضا يعتقده عالمنا ابن جنى، إذ يقول عن لفظ تنور: يقال: إن التنور لفظة اشترك فيها جميع اللغات من العرب وغيرهم، فإن كان كذلك فهو طريف... ولو كان أعجميا لا غير لجاز تمثيله (لكونه جنسا ولاحقا) بالعربي، فكيف وهو أيضا عربي، لكونه فى لغة العرب، غير منقول إليها، وإنما هو وفاق وقع، ولو كان منقولا إلى اللغة العربية من غيرها لوجب أن يكون أيضا وفاقا بين جميع اللغات غيرها، ومعلوم سعة اللغات غير العربية، فإن جاز أن يكون مشتركا فى جميع ما عدا العربية جاز أيضا أن يكون وفاقا وقع فيها، ويعد فى نفسى أن يكون فى الأصل للغة واحدة ثم نقل إلى جميع اللغات؛ لانا لا نعرف له فى ذلك نظيرا، وقد يجوز أيضا أن يكون وفاقا وقع بين لغتين أو ثلاث أو نحو ذلك، ثم انتشر بالنقل فى جميعها، وما أقرب هذا فى نفسى، لانا لا نعرف شيئا من الكلام وقع الاتفاق عليه فى كل لغة وعند كل أمة، هذا كله إن كان فى جميع اللغات هكذا، وإن لم يكن كذلك كان الخطب فيه أيسر<sup>(١)</sup>، وابن جنى بذلك يقول بوجود التوافق بين اللغات فى بعض الألفاظ على سبيل الاحتمال، والغريب منه حقا - كما يقول الدكتور شاهين - أن يسلم بهذا رأى بشرط ألا يعد آتيا من لغة واحدة ثم انتشر فى جميع اللغات... فالمفروض أن اللفظ الذى يشيع فى لغات كثيرة لابد أن يكون ذا مدلول معين، وذا أصوات معينة، ولذا نجد كلمات تكاد تتفق فى جميع اللغات لانحدارها من الأصل الاول الذى نشأت منه اللغة الإنسانية، وهو أصوات الحيوان ومظاهر الطبيعة والأصوات التى تحدثها الأفعال وأصوات التعبير الطبيعى عن الانفعالات وما إلى ذلك<sup>(٢)</sup>.

ومن هنا يبدو لنا أن الباحث لا يستطيع الجزم بحال اللفظ، فلاحتمالات كثيرة متشعبة، فإذا كان الحكم بنقل اللفظ من لغة ما إلى غيرها محتملا، فمن

(١) الخصائص ٣/ ٢٨٥، ٢٨٦.

(٢) القراءات القرآنية ٣٦١، وانظر فيما بين علامات التنصيص، نشأة اللغة عند الإنسان والطفل ط ١، ص ٨٤، ٨٥ من الفصل الثامن بعنوان: (وجوه الشبه بين الفصيلتين السامية والهندية الأوربية).

الجائز كذلك أن تكون الأخرى هي التي منحت ذلك اللفظ للأولى، ومن المحتمل أيضاً أن يكون اللفظ مشتركاً بين جميعها؛ ذلك لأن التاريخ اللغوي غامض، يحتاج إلى بحث واستدلال على جوانبه المختلفة، ولذلك رأينا المحدثين يقومون ببحوث مقارنة بين مختلف اللغات والفصائل، فهم يتبعون الأصول اللغوية في نموها، وانتقالها مع الفتوح والهجرات، وتسلسل هذه الحركات التاريخية واللغوية، وهو ما لم يرعه القدماء في إصدار أحكامهم الصادقة أحياناً ولكنها الموجزة أيضاً<sup>(١)</sup>. وعلى الرغم من ذلك "فمحاولة البحث في الألفاظ، ونسبتها إلى بيئة أصلية محل للزلل في كثير من الأحيان، فقد يتصور الباحث أن كلمة من الكلمات أصلها إنجليزي، ثم يتضح فيما بعد أن لها أصلاً آخر، كما حدث أن شاباً يابانياً أراد أن يستقصى الكلمات الإنجليزية التي دخلت اليابانية ثم اتضح له آخر الأمر أن تلك الألفاظ التي ظنها إنجليزية هي يابانية الأصل أخذها الإنجليزي، ثم عادت مرة ثانية إلى اليابانية التي هي أصلها"<sup>(٢)</sup>.

وقد رأى الدكتور شاهين - كما يرى الراغب الأصفهاني - أن يعتمد في معرفة الأصل من المعرب على نسبة شيوع اللفظ في العربية، فإذا شاع استعماله في نصوص جاهلية كان ذلك دليلاً على عرويته، وإذا قل كما ذكر في لفظة رباني كان لا بد من عدّه أعجمياً<sup>(٣)</sup>، ويضيف الدكتور شاهين إلى هذا المقياس مقياساً آخر هو التصرف والجسود، وعلى ذلك قرر أنا لو نظرنا في معجم لسان العرب لأنه أوسع المعاجم العربية وأدقها<sup>(٤)</sup> فما يذكر له تصرفاً وأصلاً عدّ عربياً، وغاية ما يمكن أن يسلم به - إذا صح وجود بعض تلك الألفاظ في غير العربية - احتمال حدوث تبادل تاريخي في هذه الألفاظ من العربية وإليها<sup>(٥)</sup> وكذلك إذا شاع استعمال اللفظ في العربية<sup>(٦)</sup> فإن لم يكن شائعاً في العربية ولا متصرفاً كنا - في أكثر الألفاظ السامية - أمام احتمالين إما أن نعد اللفظ من المشترك السامي بين

(١) القراءات القرآنية ٣٢٣. (٢) من أسرار اللغة، ط ٣، ص ١٠٨.

(٣) المفردات في غريب القرآن ١٨٤، قال الراغب: وقيل: رباني لفظ في الأصل سرياني وأخلق بذلك فقلما يوجد في كلامهم.

(٤) القراءات القرآنية ٣٤٤. (٥) نفسه ٣٥٨. (٦) نفسه ٣٤٤.

العربية وأخواتها وربما كان من المحتمل كثيراً أن اللفظ أقدم في العربية منه في غيرها، وإما أن له أصلاً مماثلاً فلذلك كان جموده<sup>(١)</sup> وبالنسبة للألفاظ غير السامية فإن كان وجود اللفظ في اللغة المنقول منها أتم تصرفاً، وهو من صميم اختصاص علماء المقارنات، وكذلك إذا كان أكثر شيوعاً<sup>(٢)</sup> كان اللفظ مستعاراً قولاً واحداً، وإذا استوى على جموده في العربية وفي غيرها أيضاً لم يكن لدعوى الاستعارة والحال هذه ما يسندها، والاحتمال الراجع حيث هو أنه عربي ممت الأصل، وقد تكون اللغة الأخرى قبسته من العربية<sup>(٣)</sup> ولكن يبدو لنا أن كل هذه الآراء احتمال وظن لا سند له من حقيقة علمية موضوعية، ولذلك يكثُر في كلامهم جميعاً ألفاظ (الاحتمال والجواز والتخيل والظن ونحو ذلك) ومقياس الدكتور شاهين - تبعاً للراغب الأصفهاني - غير دقيق، فكثرة التصرف وشيوع الاستعمال لا يصلحان - في جميع الأحوال - مقياساً للحكم على الأصل والدخيل لما بيناه في الإبدال<sup>(٤)</sup>.

ومع تسليمنا بصعوبة البحث، ومعرفة الأصل وغيره في اللغات، ولا سيما العربية<sup>(٥)</sup> فإننا نثق بالقوانين التي وضعها القدماء في معرفة هذا وذاك، وقد ذكر بعضها في أول البحث، ولا شك أن للعربية سمات معينة يمكن تمييز اللفظ بها، ومعرفة ما عداها، فيمكن بسهولة معرفة أعجمية خراسان وأجر وإبريسم ونحو ذلك لمخالفتها للأوزان العربية، وهكذا غيرها كثير، أما ما يخفى علينا بيانه منها فيمكن أن يكون للبحوث العلمية والتاريخية أثر في إلقاء الضوء عليه، والذي دعا علماءنا إلى القول بتوافق اللغات - كابن جنى مثلاً - هو تعصبهم للغة العربية وابتغاؤهم الكمال لها - على حد ما ذكر أستاذنا الدكتور نجاة - وعلى كل حال فلا ضير على العربية في أن تستمد من اللغات الأخرى ما تمس حاجتها إليه<sup>(٦)</sup>.

(١) القراءات القرآنية ٣٤٥.

(٢) إذ في أغلب الأحيان يكون تصرف اللفظ ناشئاً عن شيوعه، القراءات القرآنية ٣٤٤.

(٣) نفسه ٣٥٤. (٤) انظر ص ٦١٤، ٦١٥ من كتابنا.

(٥) لجرىان نواميس الاشتقاق والقلب والإبدال والنحت على المعرب فأبعده عن أصله في اللغة المنقول عنها بعداً شاسعاً فلم يعد هينا إرجاعه إليه. انظر فقه اللغة (الإسكندرية)، ٦١.

(٦) فقه اللغة د. نجاة ٦٣، ج ٤.



## هل يقع الأعجمي في القرآن.....؟

انقسم العلماء في وقوع الالفاظ الاعجمية في القرآن الكريم إلى ثلاث فرق: منكرين لوقوعها في القرآن ومثبتين وموقفين بين الرأيين<sup>(١)</sup>، ونحن نفصل تلك الآراء ونبين من ينتمى إليهم ابن جنى.

**الأول:** يرى بعض العلماء ومنهم الإمام الشافعي<sup>(٢)</sup> وابن جرير وأبو عبيدة والقاضي أبو بكر وابن فارس من القدماء والشيخ أحمد شاکر من المحدثين أن كتاب الله تعالى ليس فيه شيء من غير العربية، وقد شدد الشافعي النكير على القائل بوقوع المعرب في القرآن الكريم<sup>(٣)</sup>، وقال أبو عبيدة: إنما أنزل القرآن بلسان عربي فمن زعم أن فيه غير العربية فقد أعظم القول<sup>(٤)</sup>. ويقول الشيخ شاکر: "لا يعقل أن تكون كلمة من كلماته حاشا الاعلام دخيلة على لغة العرب"<sup>(٥)</sup> وحجة هذا الفريق:

١- تصريح القرآن في آيات كثيرة بأنه أنزل بلسان عربي مبين قال الله تعالى: ﴿وإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٦﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٧﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٨﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٩﴾﴾ [الشعراء] وقال: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا... ﴿٢٠٠﴾﴾ [الرعد] وقال: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا... ﴿٢٠١﴾﴾ [الشورى] وقال: ﴿حَتَّىٰ ﴿٢٠٢﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢٠٣﴾﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ [الزخرف] وقال: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [الزمر] قال الشافعي: فأقام حجته بأن كتابه عربي في كل آية ذكرناها، ثم

(١) من أسرار اللغة، ط ٣، ص ١١١. (٢) الرسالة، ط ١٣١٠ هـ، ص ١٨، ٢٠.

(٣) قال: قد تكلم في العلم من لو أمسك عن بعض ما تكلم فيه لكان الإمساك أولى به وأقرب من السلامة له إن شاء الله فقال منهم قائل إن في القرآن عربيا وأعجميا والقرآن يدل على أنه ليس من كتاب الله شيء إلا بلسان العرب، ووجد قائل هذا القول من قبل ذلك منه تقليدا له وتركاً للمسألة عن حجته ومسألة غيره ممن خالفه، وبالتقليد أغفل من أغفل منهم والله يغفر لنا ولهم، الرسالة ١٨.

(٤) الإتيان ١/ ١٣٥، والمعرب ص ٣، وتحقيقه ١١، والصاحي ٥٩-٦٢.

(٥) من كلمة بعنوان "تحقيق أن ليس في القرآن شيء من المعرب"، ص ١١، ١٢.

أكد ذلك بأن نفى عنه -جل ثناؤه- كل لسان غير لسان العرب في آيتين من كتابه، فقال تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِي وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ (النحل: ١٠٢) وقال: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ...﴾ (فصلت ٤٤)<sup>(١)</sup>.

٢- قضى الله تعالى أن ينذر العرب بلسانهم العربى وفقا لقوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ...﴾ (٤) [إبراهيم]، وهذا يتضح أيضا من آيات الذكر الحكيم قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ...﴾ (التوبة: ١٢٨) الآية، وقال ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ...﴾ (الجمعة: ٢) الآية، وقال: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ...﴾ (الزخرف: ٤٤) فخص قومه بالذكر معه وقال ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (الشعراء: ٢١٤) وقال ﴿لَتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا...﴾ (الشورى: ٧) وأم القرى مكة وهى بلده وبلد قومه فجعلهم فى كتابه خاصة وأدخلهم مع المنذرين عامة<sup>(٢)</sup>.

٣- وقال ابن أوس: لو كان فيه من لغة غير العرب شئ لتوهم متوهم أن العرب إنما عجزت عن الإتيان بمثله لأنه أتى بلغات لا يعرفونها<sup>(٣)</sup>.

وأجابوا عن الكلمات التى اعترف ابن عباس وغيره من القائلين بوقوع الأعجمى فى القرآن، بأنها فارسية أو نبطية أو نحو ذلك، بإجابات مختلفة فى نوعها، متحدة فى نتائجها، وهى الاتفاق على تنزيه القرآن من وجود الأعجمى فيه.

(١) فالإمام الشافعى - كما يؤخذ من النص الذى نقلناه من رسالته<sup>(٤)</sup> - يرى أن تلك الألفاظ المقول بأعجميتها ربما كانت عربية، ولا يبعد أن تخفى على الأكابر الجلة<sup>(٥)</sup>، لأن لسان العرب واسع المذهب، ولا يحيط باللغة إلا نبى، وقد خفى على ابن عباس معنى فاطر وفتح، ومجىء مثل تلك الألفاظ فى لسان

(١) الرسالة، ١٩، ٢٠ وانظر المراجع السابقة.

(٢) الإتيان ١/ ١٣٥.

(٣) الرسالة ٢٠.

(٤) انظر، ص ٩٥١، ٩٥٢ من كتابنا. (٥) الرسالة ١٨.

الاعاجم يعد من باب توافق اللغات، فتكلمت بها العرب والفرس والحبشة بلفظ واحد<sup>(١)</sup> وهذان الأساسان هما اللذان اعتمد عليهما أبو عبيدة معاصر الشافعي<sup>(٢)</sup>.

(٢) لا يكتفى الاستاذ أحمد شاكر بأن تلك الألفاظ عربية ولعلها من توافق اللغات - كما يقول الشافعي وأبو عبيدة - بل يرى أنه يحتمل أن تكون تلك الألفاظ عربية الأصل، ونقلت إلى غير العرب، فكما سبق أن ذكرنا نص كلامه "العرب أمة من أقدم الأمم، ولغتها من أقدم اللغات وجوداً... فلعل الألفاظ القرآنية التي يظن أن أصلها ليس من لسان العرب، ولا يعرف مصدر اشتقاقها لعلها من بعض ما فقد أصله، وبقي الحرف وحده"<sup>(٣)</sup> وقد قال عن كلمة دينار - رداً على الأب أنستاس الكرملي من أن ديناراً لفظ رومي الأصل - قال: "ونحن عند رأينا الذي ذهبنا إليه فيما مضى أن ليس في القرآن من غير العربية شيء وهذا الحرف في لغة العرب قديم، وقد جاء في القرآن، واشتق منه العرب ما ساقه المؤلف (الجواليقي) أو ما سقناه عن التهذيب، ومقاربة اللغة الرومية إياه في اللفظ لا يدل على أن العرب أخذوه عنهم، بل يحتمل أنه منقول إليهم عن العرب"<sup>(٤)</sup>.

#### الثاني:

ويرى فريق آخر من كبار الباحثين وجملة العلماء<sup>(٥)</sup> أمثال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وغيرهم أن الأعجمي وقع في القرآن، وقد روى عن هؤلاء في أحرف كثيرة أنها من غير لسان العرب، مثل سجيل والمشكاة واليم والطور وأباريق وإستبرق وغير ذلك<sup>(٦)</sup> وحجة هؤلاء.

١- ما أخرجه ابن جرير بسند صحيح عن أبي مسرة التابعي الجليل قال: "في القرآن من كل لسان".

(١) الإنشقاق ١٣٦/١. وقاطر وفاتح من قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنَحَةٍ مَقْنَنٌ وَثُلَاثٌ وَرَبَّاعٌ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١) ما يفتح الله للناس من رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا [فاطر]. (٢) القراءات القرآنية ٣٠٩.

(٣) العرب ١٣. (٤) نفسه ١٤٠.

(٥) الإنشقاق ١٣٦/١ والعرب ٥.

(٦) الاشتقاق والتعريب ٢٨.

٢- أنه حوى علوم الأولين والآخرين، ونبا كل شيء فلا بد أن تقع فيه الإشارة إلى أنواع اللغات والألسن، ليتم إحاطته بكل شيء.

٣- من خصائص القرآن على سائر كتب الله تعالى المنزلة أنها نزلت بلغة القوم الذين أنزلت عليهم لم ينزل فيها شيء بلغة غيرهم، والقرآن احتوى على جميع لغات العرب، وأنزل فيه بلغات غيرهم، من الروم والفرس والحبيشة شيء كثير.

٤- النبي ﷺ مرسل إلى كل أمة، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رُسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ...﴾ [إبراهيم: ٤]، فلا بد أن يكون فى الكتاب المبعوث به من لسان كل قوم، وإن كان أصله بلغة قومه هو<sup>(١)</sup>.

٥- وقوع الاعلام الأجنبية فى القرآن باتفاق العلماء، وإذا اتفق على وقوع الاعلام فلا مانع من وقوع الاجناس<sup>(١)</sup>.

وأجابوا عن نحو قوله تعالى: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا...﴾ [الزمر: ٢٨]، وغيرها، بأن الكلمات البسيرة بغير العربية لا تخرجه عن كونه عربيا، والقصيدة الفارسية لا تخرج عنها بلفظة فيها عربية، وعن قوله تعالى: ﴿أَعْجَمِي وَعَرَبِي...﴾ [فصلت: ٤٤]، بأن المعنى من السياق: أكلام أعجمى ومخاطب عربى؟<sup>(١)</sup>.

### الثالث:

يوفق فريق من العلماء بين الرايين السابقين، فيقف موقفا وسطا، خلاصته أن هذه الالفاظ التى اختلف فيها الفريقان "قد علققتها العرب العاربة من لغات الأمم التى خالطتها فى أسفارها، ثم غيرت بعضها بالنقص من حروفها، واستعملتها فى أشعارها، ومحاوراتها، حتى جرت مجرى العربى الفصحى، ووقع بها البيان، وعلى هذا الحد نزل بها القرآن"<sup>(٢)</sup>.

(١) الإتيان ١/ ١٣٦، والاشتقاق والتعريب ٢٨، ٢٩، ويؤيد الراى الثانى كثير من الباحثين المحدثين كأستاذنا الدكتور نجا (فقه اللغة ٣/ ٨٠)، والدكتور وافى فقه اللغة ٢٠١، والدكتور تمام حسان (اللغة بين المعيارية والوصفية ٧١)، وغيرهم. (٢) الإتيان ١/ ١٣٦.

ويذكر الأستاذ المغربي أن المغرب عربى لأدلة هي:

١- قول الخليل: ليس فى كلام العرب على وزن فِعْلَل غير درهم، ثم عدد كلمات آخر ثلاثا مع أن درهم معرب من الرومية.

٢- المغرب تجرى عليه أحكام العربى، من تصرف فيه واشتقاق منه، مثل كلمة لجام معرب لغام أو لكام الفارسية، وقد جمع على لُجَم ككُتِب وصُغِر على لُجيم وأتى الفعل منه بمصدر وهو الإلجام وقد ألجمه فهو ملجَم وغير ذلك، واستعمل فى المعانى المجازية مثل ألجمه الماء: إذا بلغ منه موضع اللجام من الفرس، وهو الفم، وفى الحديث: (التقى ملجَم) أى أنه مقيد اللسان، لا يطلقه فيما لا يحله له الشرع من الخوض فى الباطل وهكذا<sup>(١)</sup>.

وعلى هذا قال أبو عبيد القاسم بن سلام - بعد أن حكى القول بالوقوع عن الفقهاء والمنع عن أهل العربية - والصواب عندى مذهب فيه تصديق القولين جميعا، وذلك أن هذه الأحرف أصولها أعجمية - كما قال الفقهاء - لكنها وقعت للعرب، فعربتها بالسنتها، وحولتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها، فصارت عربية، ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب، فمن قال: إنها عربية فهو صادق، ومن قال: عجمية فصادق، ومال إلى هذا القول الجوالقي وابن الجوزى وآخرون كأبى منصور الأزهري صاحب التهذيب وكثير من علماء الأصول ومن علماء اللغة<sup>(٢)</sup>، ويقول الجوالقي - توفيقا بين الرأيين - كلاهما مصيب إن شاء الله تعالى وذلك أن هذه الحروف بغير لسان العرب فى الأصل، فقال أولئك على الأصل ثم لفظت به العرب بالسنتها فعربته، فصار عربيا بتعريبها إياه، فهى عربية فى هذه الحال أعجمية الأصل<sup>(٣)</sup>.

وقد مال إلى ذلك الأستاذ المغربى الذى يقول \* إن الكلمة الأعجمية إذا استعملتها العرب على مناهجها أصبحت عربية، أو نقول: تحولت عربية بحيث

(١) الاشتقاق والتعريب ٤٨-٥١. (٢) من تحقيق كتاب المغرب للأستاذ أحمد شاكِر، ص ١١.

(٣) المغرب، ص ٥.



يصح أن ينزل بها الوحي الإلهي، فمن قال: إنها عربية كان صادقا، ومن قال: إنها أعجمية كان صادقا، فهي أعجمية في الابتداء، عربية في الانتهاء، وعلى هذا يكون قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا...﴾ (٢) [يوسف] حقاً وصدقاً<sup>(١)</sup>، وفي القرآن على هذا كثير من الكلمات المعربة<sup>(٢)</sup>.

وذلك لا يخل بمترلته، ولا يفض من شأنه، بل يثبت قدرة العرب على تمثل الالفاظ الأجنبية، وطوعية لغتهم لهم في ذلك<sup>(٣)</sup> حتى ليصبح اللفظ الأجنبي في موقعه أفصح من نظيره العربي، فلو حاولنا أن نرفع لفظ (إستبرق) مثلاً في قوله تعالى ﴿مُتَكَبِّرِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَاطِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ...﴾ (٤) [الرحمن]، لنضع مكانه كلمة حرير- مثلاً- لما وقع اللفظ الثاني موقع الأول من الفصاحة والبلاغة\* ولو اجتمع فصحاء العالم، وأرادوا أن يتركوا هذه اللفظة ويأتوا بلفظ يقوم مقامها في الفصاحة لعجزوا عن ذلك<sup>(٤)</sup>.

ولهذا لا ينبغي أن تقطب ما بين عينيك في وجه الكلمات المعربة أو تسيء إليها، بإهمالها والإعراض عنها<sup>(٥)</sup>.

والباحث يرى عالمنا ابن جنى قد نفذ فكره إلى هذا المجال الذي حارت فيه الأفكار، فوصل إلى النتيجة الصحيحة، وهي القول بوقوع الأعجمي في القرآن، وذلك لا يخل بفصاحته وبلاغته، لأن العرب -غالباً- ما يصقلون هذه الالفاظ ويهذبونها على منهاج لغتهم وقواعدها وطرق استعمالها، وقد صرح في -بيان واضح- أن ما قيس على كلام العرب فهو من كلامهم، وأنت إذا قلت: طاب الحشكُنان فهو من كلام العرب، لأنك بإعرابك إياه قد أدخلته في كلام العرب،

(١) الاشتقاق والتعريب ٨٣.

(٢) أورد السيوطي في الإتقان الالفاظ الأعجمية الواردة في القرآن مرتبة على حروف المعجم (١/ ١٣٧ وما بعدها) ويلاحظ أنه ذكر الفاظاً من أخوات العربية الساميات كالحبشية والسريانية وذلك لا يعد معرباً بالمعنى الدقيق الذي أشرنا إليه.

(٣) اللغة العربية في ماضيها وحاضرها ومستقبلها، ٢٣.

(٤) الإتقان ١/ ١٣٦. (٥) الاشتقاق والتعريب ٥١.

كما أن العرب تشتق من الأعجمي، وقال: إن سختيت من السخت كزحليل من الزحل، ويقال: ذرهمت الجبازي ورجل مدرهم عنى ما سبق بيانه، واللفظ الأعجمي يقع في القرآن الكريم إذ إنه دخل العربية وصار منها بإجرائه على سنن كلام العرب، فقد اعترف بأعجمية درهم مع وروده في قوله تعالى ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ...﴾ (١٠) [يوسف]، وعند تخريججه للقراءات الواردة في ﴿السَّجِّلِ...﴾ (١١) [الأنبياء] نقل رأيين في أعجميته وعربيته فقال: قال قوم: هو فارسي معرب وأنكر ذلك أبو عبيدة وكافة أصحابنا وقالوا: بل هو عربي، وهذه اللغات بعد مسموعة فيه، وقد فسر بالكتاب أو كتاب العهدة ونحوها، ودفع أن يراد به (ملك) أو كاتب كان للنبي ﷺ لأن كتابه معروفون<sup>(١)</sup> ولكنه لم يعقب على أعجمية اللفظ أو عربيته بشيء مما يدل على أنه - اعتمادا على مذهبه فيما قيس على كلام العرب - يؤمن كما يؤمن الموفقون - بأن اللفظ الأعجمي بعد تهذيبه وصقله يصبح عربيا، فلا مانع من وقوعه في القرآن الكريم، ولذلك نلمح عدم اعتراضه أو تعقيقه على أية كلمة أجنبية وقعت في القرآن الكريم مثل كلمة (استبرق) وغيرها، كما يشرح الاعلام الأعجمية وينسب عليها في أماكنها عند تخريججه للقراءات الشاذة في كتابه المحتسب<sup>(٢)</sup>.

وهذا رأى يصف الواقع وانتفاع اللغة العربية وتضمن كتابها المبين بما في بعض اللغات الأخرى جريا على سنة التطور، والحضارة، والاجتماع الإنساني، وعالية الإسلام.

ويقودنا الحديث إلى سؤال آخر: هل يباح استعمال المعرب في شئون اللغة العربية وإلى أى مدى يصح ذلك؟

الواقع أن أكبر قسط من الفضل في نهضة اللغة العربية في عصر بني العباس يرجع إلى انتفاع الأدباء والعلماء باللغتين الفارسية والإغريقية، فاتسع بذلك متن اللغة العربية، وازدادت مرونة، وقدرة على تدوين الآداب والعلوم<sup>(٣)</sup>.

(١) المحتسب ٦٧/٢، ٦٨.

(٢) انظر المحتسب ٨٠/١، ٩٧، ٩٨، ١٨٤، ٢٢٥/٢ وغيرها.

(٣) علم اللغة، د. وافي، ط ١٩٣٨ م، ٢٥٨، ٢٥٩.

\*وتوسيع نطاق اللغة على هذه الصورة أمر يُعنى به عقلاء الأمم وقادتها وفلاسفتها، كما يُعنون بتنمية أنفسهم نفسها، وتكثير أفرادها، فبين تنمية أحاد الأمة، وتنمية كلمات لغتها مشابهة وتماثل، وعقلاء الأمم وزعمائها حريصون على هذا حرصهم على ذلك<sup>(١)</sup> فليس التعريب مما يشوه اللغة، أو يحط من قدرها ومنزلتها بين اللغات الأخرى<sup>(٢)</sup>.

ويظهر أن ابن جني يجعل التعريب قياسيا يجرى على الستتنا، كما جرى على السنة العرب، فقد تحدث عنه في الباب الذي اتسع فيه أمر القياس عنده، وهو (ما قيس على كلام العرب، فهو من كلام العرب) وصرح بأنك بتعريب اللفظ قد أدخلته في كلام العرب، ومعنى ذلك أنه لا مانع من استعماله عنده مطلقا، ويوافق ابن جني في هذا الرأي الأستاذ المغربي الذي يقول: إنه "قياسي فيجوز لأي كان ولو من المحدثين أن يتناول كلمة أعجمية، فيعربها، ويستعملها في كلامه العربي"<sup>(٣)</sup>. ولكننا نرى أنه لا ينبغي أن نطلق العنان للتعريب، بحيث نجعله سائغا، دائما بل يجب أن نستعمله بحذر، ووقت الضرورة، على طريقة العرب في تعريبهم<sup>(٤)</sup>، ويعرف جماعى، لا أن نتركه لكل أحد يعث كما يشاء، لأن إباحته المطلقة تؤدي إلى "أن تغمر لغتنا العربية بطوفان من الألفاظ الأجنبية قد تفقدها طابعها وخصائصها التي يعتز بها أبناء العرب"<sup>(٥)</sup> ولذا كان مجمع اللغة العربية موقفا حين جعله سماعيا كالعلماء متقدمين ومتأخرين<sup>(٦)</sup> وقصر إباحة استعماله على الضرورة<sup>(٧)</sup> وذلك- كما يقول أستاذنا الدكتور نجا- إذا لم يتيسر وجود لفظ عربي يؤدي هذه المهمة ويفي بهذا الغرض<sup>(٨)</sup> فمعاجم اللغة مشحونة

(١) الاشتقاق والتعريب ٢٢، ٢٣. (٢) نفسه ٢٤. (٣) نفسه ٤٤.

(٤) نفسه ٢٢، ٢٣. (٥) من أسرار اللغة، ط ٣، ١١٦.

(٦) الذي جعل التعريب غير قياسي قلة ما ورد فيه عن العرب إذ لا يزيد ما في جميع المعجمات وكتب الدخيل التي بأيدينا من أسماء الأجناس لا الأعلام على ألف كلمة. وكل ما يقال إن كثيرا من ألفاظ العربية منتزع من اللغات الأخرى كلام بلا تحقيق لأننا لا ندرى الأخذ من غيره. (فقه اللغة، للإسكندري، ٦٩، واللغة والمجتمع، د. السمران، ١٨١).

(٧) مجلة مجمع اللغة العربية ١/ ٢٠٠-٢٠٢. (٨) فقه اللغة ٣/ ٨١.

بالألفاظ التي يمكن استخدامها في الأغراض الجديدة بطريق النقل أو الاشتقاق كما فعل العباسيون إبان نهضتهم<sup>(١)</sup>، و"سبيل المجاز عندنا أوسع من أن نحتاج فيه إلى النقل من اللغات الأخرى، وكلماتنا الأصلية تؤدي معانيها الأولى، وتتسع للمجاز المعقول، وللقرائن السائغة على وجوه شتى، وليست هي من الندرة أو الجمود بحيث تضطرنا إلى الاقتراض من الغريب أو الدخيل"<sup>(٢)</sup>.

### تعقيب

عدّ ابن جنى التعريب أحد عوامل النمو اللغوى، فذكره في (باب ما قيس على كلام العرب فهو من كلامهم) وقد عرضنا لمفهومه، ووقوعه في لغة العرب، وطرائقه المختلفة، وجهود عالمتنا فيها، وكيف يعرف العربى الأصيل من الأجنبى الدخيل، كما تصوره القدماء والمحدثون، وملنا إلى تحديد الأعجمى بأنه ما ليس سامياً، لأن الساميات أخوات من أم واحدة، وهذا هو المنطق المقبول، وهو الذى رجحه عالمتنا ابن جنى، وأخذ به، فلم يذكر بين الألفاظ المعربة التى تحدث عنها إحدى الكلمات السامية، بل اقتصر على الأجنبى منها، وهذه نبرة دقيقة وافق بها أحدث النظريات العلمية فى هذا الشأن.

كما أوضحنا أن فى تمييز الدخيل من الأصيل صعوبة بالغة، نظراً لجهل أقدم اللغات، وأولها فى الوجود، ومعرفة المعطية والأخذة منها، والاحتمالات فى هذا الشأن لا تزيد الأمر إلا غموضاً، ومع ذلك فإن مقاييس الأقدمين لتحديد الدخيل والأصيل تنير لنا السبيل للاهتمام إلى كثير مما يوافقها، أما ماعداء فإن البحوث العلمية والتاريخية الحديثة يمكن أن تفيد فى كشف معالمة.

وقد عرضنا للآراء المختلفة، قديمها وحديثها، فى وقوع الأعجمى فى القرآن الكريم، ورأى ابن جنى فيه، واستنتجنا من دراسة هذا الأمر صحة القول بالوقوع، وعليه عالمتنا، فالشواهد تؤيده، ولا عيب فيه، بل هو أمانة على تمثل العرب للألفاظ الأجنبية، وطواعية لغتهم لهم، بحيث أصبح اللفظ فى موقعه فصيحاً لا يغنى عنه غيره مهما يكن عربياً صحيحاً.

(١) نفسه ٨٠، ٨١.

(٢) أشات مجتمعات فى اللغة والأدب، ١٢١.

ثم أبنا رأى ابن جنى فى قياسية التعريب، 'وقلنا إنه لا مانع منه وقت  
الضرورة، لكنه لا يترك للأفراد كما ذهب إليه الأستاذ المغربى أو غيره، بل يجب  
أن يكون فى يد الجماعة المتخصصة وفق قرار المجمع اللغوى، وأعتقد- بعد هذا-  
أن ابن جنى قد أرسى دعائم التعريب، وقوانينه التى بنى عليها المحدثون بحوثهم.



### خصائص العربية في استعمال المشترك والمتضاد والمترادف

إن للألفاظ والمعاني علاقات وارتباطات كثيرة، حاول بعض علماء اللغة بيانها، والإفصاح عن أقسامها، وفي مقدمتهم سيبويه والمبرد وأبو على الفارسي وأحمد بن فارس وعالمنا ابن جنى، فقد أوضحوا أنواع الألفاظ والمعاني المستعملة لها، وأكثرها وروداً، وأقلها استعمالاً في العربية، كما نطق بها أهلها الأولون، وأهم هذه الأنواع- كما قال سيبويه- ثلاثة:

اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين نحو جلس وذهب- اختلاف اللفظين واتفاق المعنيين نحو ذهب وانطلق- اتفاق اللفظين مع اختلاف المعنى نحو وجدت عليه من الموجدة ووجدت الضالة<sup>(١)</sup> وقد صرح ابن جنى بأنه يميل إلى هذا التقسيم بقوله: "إنها" الأقسام الثلاثة "عندنا" وقال عن الثالث منها إنه "كثير في كتب العلماء، وقد تناهسته أقوالهم، وأحاطت بحقيقته أغراضهم"<sup>(٢)</sup>، ولأن هذه الثلاثة من سمات العربية التي وافق عليها ابن جنى فإننا نبين رأيه فيها، وصلته بالآراء الأخرى.

### المشترك

معناه: لعلماء اللغة في تعريفه عبارات مختلفة الألفاظ، ولكنها متحدة المفهوم، وأوضحها وأدقها ما ذكره أستاذنا الدكتور نجما حيث يقول: "هو اللفظ الدال على معنيين فأكثر دلالة مستوية"<sup>(٣)</sup>- وباختصار هو "ما اتحدت صورته واختلف معناه"<sup>(٤)</sup> ومن أمثلته: العين والحال لمعانيهما المختلفة<sup>(٥)</sup>.

(١) الكتاب ٢٣٤/١ بتحقيق الأستاذ هارون، وانظر المسائل البغداديات لوحة ٤٦، ٤٧، والمزهر، ط. الأولى ١٧٧/١-١٩٣، والصاحبي ٩٦ وما بعدها، ٢٠١، ٢٠٢، والمخصص ٢٥٨/١٣.

(٢) الخصائص ٩٣/٢.

(٣) اللهجات العربية ٨٤، وفقه اللغة ٦٨/٣، ٥٤/٤، وانظر المزهر، ط. الأولى ١٧٧/١، وفقه اللغة د. العزاري ١٩٦، وفقه اللغة د. وافي ١٨٣ ودراسات في فقه اللغة ٣٥٠.

(٤) المزهر، ط. الأولى ١٧٧/١.

فائدته: للمشارك أثر كبير في ثراء اللغة ونموها، ويفيد منه - بخاصة -  
الأدباء والشعراء<sup>(١)</sup>.

### أسبابه

لوقوع المشترك في العربية أسباب كثيرة أهمها:

١ - اختلاف اللغات واللهجات: فاللغة قد تستمد ألفاظاً من لغات أجنبية عنها، وذلك قد يسبب - بجانب ألفاظ أخرى فيها تتحد معها في الصيغة - وجود الاشتراك " وهذا النوع من الكلمات نادر وهو وليد المصادفة، فالبرج بمعنى الحصن قد استعارته اللغة العربية من اللغة اليونانية، فليست بلاد العرب بيثة للحصون والأبراج، ومع هذا تشتمل اللغة العربية على هذه المادة (برج) وتتخذها في عدة معان لا تمت للحصون بصلة ما، فإذا تصادف أن كان بين كلمات اللغة العربية كلمة مشتقة من هذه المادة للتعبير عن صفة خاصة في العين، أو للتعبير عن الزينة والتزين، وجاءت على صيغة البرج ولد هذا في اللغة العربية ما يسمى بالمشارك اللفظي<sup>(٢)</sup> أما اختلاف اللهجات فهو أمر ملموس في لغتنا " بأن يضع اللفظ لأحد المعاني حتى من أحياء العرب، وللمعنى الآخر حتى آخر، ويعلم كل فريق بوضع الآخر، ويشيع الاستعمالان<sup>(٣)</sup>، وذكر أبو علي الفارسي أنه ينشأ (من لغات تداخلت)<sup>(٤)</sup> وأشار ابن جني إلى اختلاط العرب وأخذ بعضهم عن بعض<sup>(٥)</sup>.

وقد جمع أصحاب المعاجم الكلمات دون أن ينسبوا - في بعض الأحيان -  
اللفظ إلى القبيلة الناطقة به، فبعض الألفاظ كانت تختلف معانيه في الأصل باختلاف القبائل، ولكن معانيه المختلفة قد انتقلت إلى لغة قريش فأصبح يطلق فيها على جميع هذه المعاني<sup>(٦)</sup>.

(١) نفسه ١/١٧٩، ١٨٠.

(٢) البغداديات لوحة ٤٦ والمخصص نقلاً عنه ٢٥٨/١٣.

(٣) في اللهجات العربية، ط ٣، ص ١٩٦.

(٤) يقصد باللغات اللهجات، البغداديات لوحة ٤٦، والمخصص ٢٥٩/١٣.

(٥) انظر ص ٣٥٨ وما بعدها من كتابنا. (٦) فقه اللغة، د. وافي ١٨٦.

٢- المجاز: ذكر أبو على الفارسي أن "اختلاف اللفظين والمعاني بعد واحدة يكون للحاجة إلى التوسع في الألفاظ، وأنه قد تستعمل اللفظة بمعنى ثم تستعار لشيء فتكثر وتغلب فتصير بمنزلة الأصل"<sup>(١)</sup> فالأساليب المجازية قد تشتهر، وتصيح في درجة الحقائق، كالحوت الموضوع للسّمك، والمنقول إلى أحد بروج السماء تجوزاً، فقد اشتهر في ذلك المعنى حتى خاله الناس أحد الحقائق<sup>(٢)</sup> وما زال كذلك حتى عد من الحقائق المؤكدة<sup>(٣)</sup> وقد أرجع السيوطي بعض المعاني التي تدل عليها كلمة (العين) إلى التشبيه وهي ستة معانٍ، العين: الجاسوس تشبيهاً بالعين لأنه يطلع على الأمور الغائبة، وعين الشيء: خياره، والعين: الربيضة وهو الذي يرقب القوم، وعين القوم: سيدهم، والعين واحد الأعيان وهم الإخوة الأشقاء، والعين: الحر. كل هذه مشبهة بالعين لشرفها<sup>(٤)</sup>.

٣- تطور المعنى: "تطور المعاني وتغيرها مع الاحتفاظ بالأصوات ينتج لنا كلمات اشتركت في الصورة واختلفت في المعنى"<sup>(٥)</sup> ولكن إدراك تطور المعاني أمر غامض لا يكاد التاريخ اللغوي يسعفنا به، فقد يتغير معنى الكلمة في لهجة من اللهجات ثم يمر زمن طويل خلاله ينسى المعنى الأصلي، وتلتزم تلك اللهجة استعمال هذه الكلمة في معناها الجديد دون سواها، فتغيرت معاني بعض الكلمات في بعض اللهجات دون البعض الآخر، لظروف لغوية خاصة، فمن حيث الظاهر وجد أن إحدى القبائل تستعمل هذه الكلمة في معنى من هذه المعاني، في حين أن قبيلة أخرى تستعملها في معنى آخر<sup>(٦)</sup>.

وكيفما كان الأمر فإن معاني بعض الألفاظ قد مرت بها تطورات مختلفة. كانت سبياً - فيما يبدو - في نشأة بعض أمثلة المشترك اللفظي.

(١) البغداديّات ٤٦، والمخصص - نقلاً عنه - ٢٥٨/١٣، ٢٥٩.

(٢) فقه اللغة، د. نجا ٦٨/٣، ٥٤/٤، واللهجات العربية ٨٤، ٨٥ وفقه اللغة د. العزّازي، ١٩٦.

(٣) المزهري، ط. الأولى ١/١٨٠.

(٤) في اللهجات العربية، ط ٣، ص ١٩٣.

(٥) نفسه ١٩٧.

٤- اختلاف الاشتقاق: كأن تؤدي القواعد الصرفية إلى أن تشفق لفظتان متقاربتان في صيغة واحدة، فينشأ عن ذلك تعدد في معنى هذه الصيغة يؤدي إلى جعلها من المشترك، مثل وجد يجيء ماضيا من الوجدان بمعنى العلم بالشئ أو العثور عليه ويقال: وجدت الضالة: إذا عثرت عليها، ووجدت ريذا كريما: إذا علمته كذلك، ومن الموجدة بمعنى الغضب فيقال: وجدت عليه إذا غضبت، ومن الوجد بمعنى الحب الشديد فيقال: وجد به وجدا إذا هوى<sup>(١)</sup> وقد صرح ابن جنى بأن ذلك من وسائل الاشتراك في كتابه الخصائص<sup>(٢)</sup>.

٥- التطور الصوتي: فاللفظ قد يتطور "بتغيير بعض الأصوات أو الحذف أو الزيادة، فيصبح متحدا مع لفظ آخر يختلف عنه في مدلوله<sup>(٣)</sup> وذلك وإن كان متصورا إلا أن الدلائل اللغوية لا تشير إليه، ولا تكشف لنا عنه، لغموض الظروف اللغوية، وتطور أحداثها، وتوغلها في أزمان سحيقة في التاريخ.

٦- يوجد الاشتراك من الواضع الواحد عند قصد الإبهام والتعمية على السامع حين يكون التصريح سببا للمفسدة كما روى عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه وقد سأل رجل عن النبي ﷺ وقت ذهابهما إلى الغار: من هذا؟ قال هذا رجل يهديني السبيل<sup>(٤)</sup>.

### آراء العلماء فيه

اختلف العلماء في وقوع المشترك، فبعضهم نفاه، وبعضهم الآخر أثبته، ونعرض - هنا - لأرائهم وموقف ابن جنى بينها.

١- رأى المنكرين: أنكر فريق من العلماء وجود المشترك، ومنهم ابن درستويه<sup>(٥)</sup> واستدلوا على عدم وجوده بأن اللغة موضوعه للإبانة عن المعاني، فلو

(١) فقه اللغة، د. وافي ١٨٥، ود. العزاي ١٩٨، والمزهر، ط. الأولى، ١٨٤/١، ١٨٥، والقاموس ٣٥٦/١.

(٢) ١١١/٣. (٣) فقه اللغة، د. وافي ١٨٦.

(٤) المزهر، ط. الأولى ١٧٧/١، واللهجات العربية، ٨٥، وفقه اللغة د. نجا ٦٩/٣، ٥٥/٤، ود.

العزاي ١٩٦. (٥) المزهر، ط. الأولى ١٨٤/١.

جار وضع لفظ واحد للدلالة على معنيين مختلفين، أو أحدهما ضد الآخر، لما كان ذلك إيانته بل تعمية وتغطية<sup>(١)</sup>، ولكن هذا الرأي معيب من الاقدمين والمحدثين لأن الإبهام يزول بالقرائن الصارفة.

٢- رأى المثبتين: قال بوقوعه طائفة كبيرة من العلماء، ولكنهم اختلفوا فيما بينهم على صفة الوقوع: هل يكون ذلك على جهة الوجوب أو الاغلب أو إمكان الوقوع مطلقاً؟.

فمن الناس من أوجب وقوعه قال: لأن المعانى غير متناهية، والألفاظ متناهية، فإذا وزع لزم الاشتراك. وذهب بعضهم إلى أن الاشتراك أغلب قال: لأن الحروف بأسرها مشترك بشهادة النحاة. والأفعال الماضية مشتركة بين الخبر والدعاء، والمضارع كذلك، وهو أيضا مشترك بين الحال والاستقبال، والأسماء كثير فيها الاشتراك، فإذا ضممتها إلى قسمي الحروف والأفعال كان الاشتراك أغلب، وردّ بأن أغلب الألفاظ الأسماء، والاشتراك فيها قليل بالاستقراء، ولا خلاف أن الاشتراك على خلاف الأصل.

والاكثرون على أنه ممكن الوقوع من واضعين أو من واضع واحد<sup>(٢)</sup> - على ما سبق بيانه في ذكر الأسباب - ومن أصحاب هذا الرأي الخليل وسيبويه والأصمعي وأبو عبيدة وأبو زيد وابن فارس<sup>(٣)</sup> وأبو علي الفارسي<sup>(٤)</sup> وابن جني<sup>(٥)</sup> وقد أوضح أستاذنا الدكتور نجما أنهم قالوا بذلك "لأنه لا مناص من الاعتراف بوجود المشترك لكثرة وروده في الأساليب العربية"<sup>(٥)</sup>.

وقد كان لابن جني النصيب الأوفر في إثبات وجود المشترك في اللغة العربية، فقد بحث في ألفاظها أسماء وأفعالا وحروفا، وفي تراكييبها، وخلص من ذلك إلى نتيجة هامة هي وجود المشترك في الأسماء والأفعال والحروف

(١) نفسه ١/ ١٨٥. (٢) نفسه ١/ ١٧٧. (٣) المخصص ١٣/ ٢٥٩.

(٤) الخصائص ٢/ ٩٣-١٠٣، ٣/ ١١٠، ١١١.

(٥) اللهجات العربية ٨٥، وفقه اللغة ٣/ ٦٩، ٤/ ٥٥، ود. العزاري ١٩٧، ودراسات في فقه اللغة ٣٥١.



والحركات، وأيد رأيه بأمثلة لغوية واقعية، ونحن نثبت هنا بعض ما قال لإثبات رأيه.

أ - فى الأسماء: قال ابن جنى: وقعت الأسماء مشتركة نحو الصدى، فإنه ما يعارض الصوت فى الأوعية الخالية، والصدى العطش وهو بدن الميت، وهو طائر يخرج فيما يدعون من رأس القتل إذا لم يؤخذ بثأره، وهو أيضا الرجل الجيد الرعية للمال والحسن القيام عليه فى قولهم: هو صدَى مال وخائل مال وخالُ مال وسُرسورُ مال وإزاءُ مال ونحو ذلك من الشَّوَى<sup>(١)</sup> ونحوه مما اتفق لفظه واختلف معناه.

ب- فى الأفعال: قال: وقعت الأفعال مشتركة نحو وجدت فى الحزن ووجدت فى الغضب ووجدت فى الغنى ووجدت فى الضالة ووجدت بمعنى علمت ونحو ذلك.

ج- فى الحروف: قال: من الحروف ما يصلح من المعانى لأكثر من الواحد نحو (من) فإنها تكون تبعيضا وابتداء و(لا) تكون نفيا ونهيا وتوكيدا و(إن) فإنها تكون شرطا ونفيا وتوكيدا و(هل) بمعنى الاستفهام وبمعنى قد وام للاستفهام وبمعنى بل ونحو ذلك، فهذه حروف وقعت مشتركة<sup>(٢)</sup>.

وذكر ابن جنى أن الاشتراك يكون أيضا فى الحروف المصوغة فى أنفس الكلم، ومن ذلك قال: قد يتفق لفظ الحروف ويختلف معناها وذلك نحو قولهم درع دلاص وأدرع دلاص وناقعة هجان ونُوق هجان، فالألف فى دلاص وهجان فى الواحد بمنزلة الألف فى ناقعة كِناز وامرأة ضِناك والألف فى دلاص فى الجمع بمنزلة ألف ظراف وشِراف ومثل ذلك قولهم فى تكسير عذافر وجوالق عذافر وجوالق... فالألف عذافر زيادة لحقت الواحد للبناء لا غير وألف عذافر ألف التكسير كالألف دَراهم ومنابر... أفلا ترى إلى هاتين الألفين كيف اتفق لفظاهما واختلف معناه<sup>(٣)</sup>.

(١) الشَّوَى: من معانيه الأمر الهين، ورذال المال، واليدان، والرجلان، والأطراف.

(٢) الخصائص ٩٣/٢، ١١٠/٣، ١١١. (٣) نفسه ٩٣/٢-٩٥.

٤- فى الحركات: هذه الحالة موجودة فى الحركات وجدانها فى الحروف، وذلك كامرأة سميتها بحيثُ وقبلُ وبعدُ فإنك قائل فى رفعه: هذه حيثُ وجاءتنى قبلُ وعندى بعدُ، فالضمة الآن إعراب، وقد كانت فى هذه الأسماء قبل التسمية بها بناء، وكذلك لو سميتها بأينَ وكيفَ فقلت: رأيتَ أينَ وكلمتُ كيفَ لكانت هذه الفتحة إعراباً بعد ما كانت قبل التسمية فى أينَ وكيفَ بناء، وكذلك لو سميت رجلاً بأمرٍ وجير لقلت مررت بأمرٍ وجير فكانت هذه الكسرة إعراباً بعد ما كانت قبل التسمية بناء وهذا واضح<sup>(١)</sup>.

ومن الحركات فى هذا الباب أن ترخم اسم رجل يسمى منصوراً فتقول على لغة من قال يا حارٍ يا منصُ، ومن قال يا حارُ: قال كذلك أيضاً بضم الصاد فى الموضوعين جميعاً، أما على يا حارٍ فلأنك حذف الواو وأقررت الضمة بحالها كما أنك لما حذفت الثاء أقررت الكسرة بحالها، وأما على يا حارُ فلأنك حذف الواو والضمة قبلها، كما أنك فى يا حارٍ حذفت الثاء والكسرة قبلها ثم اجتلبت ضمة النداء فقلت: يا منصُ فاللفظان - كما ترى - واحد والمعنيان مختلفان<sup>(٢)</sup>.

ومن ذلك قول العرب فى جمع الفُلُكِ الفُلُكُ كسروا فعلاً على فُعْلٍ.. فالفُلُكُ فى الواحد بمنزلة القُفْل والحُرْج وفى الجمع بمنزلة الحُمُر والصُفُر، فقد ترى اتفاق الضمتين لفظاً، واختلافهما تقديراً ومعنى، وإذا كان كذلك فكسرة الفاء فى هِجَانٍ ودِلاصٍ فى الواحد ككسرة الفاء فى كِنازٍ وضِنَاكٍ، وكسرة الفاء فى هِجَانٍ ودِلاصٍ فى الجمع ككسرة الفاء فى كِرَامٍ ولِثَامٍ<sup>(٣)</sup> وأجرى ذلك فى أمثلة كثيرة<sup>(٤)</sup>، وبذلك يظهر أن ابن جنى قد بالغ - كغيره من أصحاب هذا الرأى - فى تفسير المشترك وهذا واضح فى إجرائه له فى الحروف والحركات، وقد ابتعد عن القصد حين جعل استعمال الحروف منه مثل (من) تبغيضاً وابتداءً و (إن) شرطاً ونفياً وتوكيداً و (هل) بمعنى الاستفهام وبمعنى قد و (أم) للاستفهام وبمعنى بل، فذلك كله من باب المجازات اللغوية فى الحروف، والشرط لتحقيق الاشتراك أن تكون

(١) الخصائص ٩٩/٢.

(٢) نفسه ١٠٠/٢.

(٣) نفسه ١٠٠/٢، ١٠١.

(٤) نفسه ٩٣-١٠٣.

المعاني المستعمل لها اللفظ موضوعه له على سبيل الحقيقة لا المجاز، كذلك إجراؤه للاشتراك في الحروف والحركات المصوغه في أنفس الكلم كله تكلف وتعسف لا صلة له بالمشارك - على سبيل الحقيقة - بل هو من فلسفة ابن جنى وإغراقه في أبحاثه اللغوية.

ويقول الدكتور الصالح إن أبا على الفارسي كان ينظر إلى الموضوع نظرة معتدلة لا يغالى فيها في إنكار المشارك مغالاة ابن درستويه ولا يبالغ في جميع صوره مبالغة الفريق السابق فهو يقول: واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين يتبنى ألا يكون قصدا في الوضع ولا أصلا ولكنه من لغات تداخلت، أو أن تكون لفظة تستعمل لمعنى ثم تستعار لشيء فتكثر وتصير بمنزلة الأصل<sup>(١)</sup>، وأكثر المحدثين من علمائنا اللغويين يقتصدون في إثبات المشارك اقتصاد أبي على الفارسي ويبتعدون عن التوسع فيه توسع الآخرين<sup>(٢)</sup>.

### المتضاد

معناه: أوضح أستاذنا الدكتور نجا مفهومه بقوله: (هو اللفظ الدال على معنيين متقابلين دلالة مستوية كالصارخ للمغيث والمستغيث) وقد أورد السيوطي في مزهره<sup>(٣)</sup> وابن سيده في مخصصه<sup>(٤)</sup> وابن الأنباري في كتابه الأضداد عديدا من تلك الأمثلة.

وقد عده علماء اللغة نوعا من المشارك لدلالة اللفظ الواحد على أكثر من معنى، ولذلك قالوا: المشارك يقع على شيئين ضدين وعلى مختلفين غير ضدين، فما يقع على الضدين كالجَوْنُ وجَلَل، وما يقع على غير ضدين كالعين<sup>(٥)</sup>. وإذا

(١) البغداديات لوحة ٤٦، والمخصص ٢٥٩/١٣، ودراسات في فقه اللغة ٣٥٢. وانظر كتابنا علم اللغة بين القديم والحديث في موضوع المشارك اللفظي.

(٢) اللهجات العربية ٨٦، وفقه اللغة، د. نجا ٥٦/٤، د. العزازي ١٩٧، ١٩٨، د. وافي ١٨٣، وفي اللهجات العربية د. أنيس، ط ٣، ص ١٩٢، ١٩٣.

(٣) ط. الأولى ١٨٦/١-١٩٤. (٤) ٢٦٠/١٣ وما بعدها.

(٥) المزهر ط. الأولى ١٨٦/١ ودراسات في فقه اللغة ٣٦٠ ومقدمة لدرس لغة العرب ٢٢٥ وفقه اللغة، د. العزازي ٢٠٠.

جاز وقوع اللفظة الواحدة للشيء وخلافه جاز وقوعها للشيء وضده، إذ الضد ضرب من الخلاف<sup>(١)</sup>.

فأثدته: لا ريب أن هذا النوع من الألفاظ يفيد في سعة اللغة ومرونتها، فهو "وسيلة من وسائل التنوع في الألفاظ والأساليب، وقد وسّع تنوع استعماله من دائرة التعبير في العربية، فكان بهذا المعنى خصيصة من خصائص لغتنا في مرونتها وطواعيتها في التنقل من السلب والإيجاب والتعكيس والتنظير وهو ما ليس له في اللغات الحية نظير"<sup>(٢)</sup>.

### أسبابه

للتضاد أسباب كثيرة أهمها:

- ١- اختلاف اللهجات: ولذلك يقولون: إذا وقع الحرف على معنيين متضادين فمحال أن يكون العربي أوقعه عليهما بمساواة بينهما، ولكن أحد المعنيين لحى من العرب، والمعنى الآخر لحى غيره، ثم سمع بعضهم لغة بعض، فأخذ هؤلاء عن هؤلاء وهؤلاء عن هؤلاء، قالوا: فالجئون: الأبيض في لغة حى من العرب، والجئون: الأسود في لغة حى آخر، ثم أخذ أحد الفريقين من الآخر كما قالت قريش: حسب يحسب<sup>(٣)</sup>.
- ٢- المجاز: فنقل اللفظ من معناه الأصلي إلى غيره قد يؤدي إلى التضاد، كالكأس يطلق على الظرف والمظروف "وقد يتناسى المجاز حيثشذ فيصبح إطلاق اللفظ عليه في قوة استعماله في معناه الحقيقي"<sup>(٤)</sup>.
- ٣- التطور الصوتي: وذلك بطريق تغيير بعض الأصوات أو الحذف أو الزيادة في لفظ ما فيصبح متحدا مع لفظ آخر يدل على ما يقابل معناه<sup>(٥)</sup>.

(١) وإن لم يكن كل خلاف ضدا، البغداديات لوحة ٤٦ والمخصص - نقلا عنه - ٢٥٩/١٣.

(٢) دراسات في فقه اللغة ٣٦٥.

(٣) الاضداد (لابن الأنباري) ١١، ١٢، والمزهر - نقلا عنه - ١٩٤/١.

(٤) فقه اللغة د. وافي ١٨٩، ود. العزاري ٢٠٠، ٢٠١.

(٥) فقه اللغة، د. وافي ١٩٢، ود. العزاري ٢٠١.

٤- تأتي بعض الأضداد من عوارض تصريفية كأن تتفق لفظتان تبعا للقواعد في صيغة صرفية واحدة<sup>(١)</sup>، وقد أشار إلى ذلك ابن جنى في (باب في اتفاق المصاير على اختلاف المصادر) ومن ذلك اسم الفاعل والمفعول في افتعل مما عينه معتلة، أو ما فيه تضعيف، فالمعتل نحو قولك: اختار فهو مختار، واختير فهو مختار، الفاعل والمفعول واحد لفظاً غير أنهما مختلفان تقديراً. وأما المدغم فنحو قولك: أنا معتد بكذا وكذا، وهذا أمر معتد به، فأصل الفاعل (معتد) كمقتطع وأصل المفعول (معتد) كمقتطع<sup>(٢)</sup> وهناك أمثلة أخرى غير ذلك<sup>(٣)</sup>.

٥- رجوع الكلمة إلى أصلين فتكون في دلالتها على أحد الضدين منحدره من أصل، وفي دلالتها على مقابله منحدره من أصل آخر، ويرجع هذا التأويل أو يحتمل الصدق في طائفة كبيرة من الأضداد، مثل هجد بمعنى نام وسهر، فمن المحتمل أن تكون في معنى النوم منحدره من هدا: إذا سكن وفي معنى السهر من جد: إذا جهد لما في السهر من الاجتهاد في منع النوم<sup>(٤)</sup> وقد حاول الأب مرمرجى الدومنكى أن يرجع إلى هذا العامل عددا كبيرا من الأضداد وهو يبحث عن الأصول الثنائية للكلمات<sup>(٥)</sup>.

### آراء العلماء فيه

يختلف العلماء فيه بين منكرين ومؤيدين لوجوده.

١- رأى المنكرين: ينكر فريق من العلماء وجود المتضاد في اللغة- ومنهم ابن درستوريه - قال في شرح الفصيح: النوء: الارتفاع بمشقة وثقل، ومنه قيل للكوكب: قد ناء: إذا طلع، وزعم قوم من اللغويين أن النوء السقوط أيضا، وأنه

(١) فقه اللغة د. وافي ١٩١، ود. العزاري ٢٠١.

(٢) الخصائص ١٠٣/٢. (٣) نفسه ١٠٧/٢.

(٤) فقه اللغة د. وافي ١٩٢، ود. العزاري ٢٠١، ٢٠٢.

(٥) انظر مثلا المعجمة العربية - الثنائية والالسة السامية - ٢٢١، ٢٢٤ وغيرهما.



من الأضداد، وقد أوضحنا الحجة عليهم في ذلك في كتابنا في إبطال الأضداد، قال السيوطي في المزهري: فاستفدنا من هذا أن ابن درستويه ممن ذهب إلى إنكار الأضداد<sup>(١)</sup>.

وشبهة المنكرين في رأيهم هذا أن التضاد إذا ثبت وجوده في اللغة فإنه يؤدي إلى الإبهام واللبس، وذلك يكون دلالة على "نقصان حكمة العرب" وقلة بلاغتهم، وكثرة الالتباس في محاوراتهم عند اتصال مخاطباتهم... فإذا اعتور اللفظة الواحدة معنيان مختلفان لم يعرف المخاطب أيهما أراد المخاطب<sup>(٢)</sup> ولا يكون ذلك إبانة بل تعمية وتغطية، واللغة موضوعة للإبانة عن المعاني<sup>(٣)</sup> وهذا مردود لأن سياق الكلام كفيل ببيان المعنى المراد<sup>(٤)</sup>.

٢- رأى المؤيدون: اختلف هؤلاء فيما بينهم في طريقة إثبات التضاد ولكل فريق وجهة خاصة:

أ - فذهب فريق إلى أن التضاد موجود في اللغة، سواء كان من واضع واحد أو أكثر، مع ملاحظة أن اللفظ موضوع في الأصل لمعنى واحد، ثم تداخل المعنى الآخر على جهة الاتساع، وقد أوضح أستاذنا الدكتور نجا: أنهم يعللون ذلك بإمكان رجوع الضدين إلى أصل واحد في الاشتقاق<sup>(٥)</sup> فمن ذلك الصريم ليل والنهار، لأن الليل ينصرم من النهار، والنهار ينصرم من الليل، فأصل المعنيين من باب واحد، وهو القطع، وكذلك الصارخ: المغيث والمستغيث، سميا بذلك لأن المغيث يصرخ بالإغاثة، والمستغيث يصرخ بالاستغاثة، فأصلهما من باب واحد<sup>(٥)</sup>.

ب- وذهب ابن دريد إلى أن التضاد موجود بشرط أن يكون من واضع واحد<sup>(٤)</sup> قال في الجمهرة: الشعب الافتراق، والشعب الاجتماع، وليس من الأضداد وإنما هي لغة لقوم، فأفاد بهذا أن شرط الأضداد أن يكون استعمال اللفظ في المعنيين في لغة واحدة<sup>(٦)</sup>.

(١) ١٩١/١. (٢) اليفداديات لوحة ٤٦ والأضداد (لابن الأنباري) ٢، ٣، والمزهري ٩٢/١.

(٣) المزهري ١٨٥/١. (٤) اللهجات العربية ٨٦، وفقه اللغة ٧١/٣، ٥٦/٤، والمزهري ١٩١/١.

(٥) الأضداد ٨، والمزهري ١٩٣/١، ١٩٤. (٦) المزهري ١٩١/١، ومراجع د. نجا السابقة.

ج- وترى جمهرة العلماء ومنهم أبو زيد والأصمعي وأبو عبيدة<sup>(١)</sup> وقطرب والصغاني<sup>(٢)</sup> - وابن السكيت<sup>(٣)</sup> وابن فارس<sup>(٤)</sup> وأبو علي الفارسي<sup>(٥)</sup> وابن جني<sup>(٦)</sup> وغيرهم \* أن التضاد موجود في اللغة بشرط تعدد الواضع<sup>(٧)</sup> فإذا وقع الحرف على معنيين ضدين فمحال أن يكون العربي أوقعه عليهما بمساواة بينهما، ولكن أحد المعنيين لحى من العرب، والمعنى الآخر لحى غيره، ثم سمع بعضهم لغة بعض، فأخذ هؤلاء عن هؤلاء وهؤلاء عن هؤلاء<sup>(٨)</sup> كما سبق ذكره<sup>(٩)</sup>.

ونرى لزما علينا أن نوضح وجهة نظر ابن جني - وإن كانت متفقة مع جمهرة العلماء - باعتباره موضوع البحث، فقد أعلن أخذه بالأقسام الثلاثة الشائعة للالفاظ وهي: اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين واتفاق المعنيين، واتفاق اللفظين مع اختلاف المعنى<sup>(١٠)</sup>، ولا ريب أن في ذلك اعترافا ضمنا بالتضاد وفيها اعترافه الصريح بالمشترك - على ما سبق بيانه - وقد اتفقنا على أن التضاد نوع من المشترك، والذي يدل على اعتقاده بأنه يقع من لهجات متعددة، وبمعنى آخر من واضعين مختلفين ما نقلناه عنه - فيما مضى - وهو \* أن العرب وإن كانوا متشربين يجرون مجرى الجماعة في دار واحدة فبعضهم يلاحظ صاحبه ويراعى أمر لغته<sup>(١١)</sup> والفصيح يجتمع في كلامه لغتان فصاعدا<sup>(١٢)</sup> وكيفية تلقى الواحد منهم لغة غيره<sup>(١٣)</sup> بما يؤكد لنا رأيه العام في المشترك والتضاد والمترادف وأنها من اختلاف الواضعين وسيأتى مزيد بيان عند شرحنا للمترادف ورأيه فيه.

(١) الزهر ١/١٨٧، والمخصص ١٣/٢٥٩. (٢) الزهر ١/١٩١.

(٣) المخصص ١٣/١٦٣، ١٦٤ وغيرهما. (٤) الزهر ١/١٨٦.

(٥) البغداديات لوحة ٤٦ والمخصص ١٣/١٥٩ وغيرهما.

(٦) الخصائص في مواضع سببها ومنها ٢/٩٣.

(٧) اللهجات العربية ٨٧ وفقه اللغة د. لحا ٣/٧١، ٤/٥٧.

(٨) الأضداد ١١، ١٢، والزهر ١/١٩٤. (٩) انظر ص ٩٦٧ من كتابنا.

(١٠) الخصائص ٢/١٥، ١٦. (١١) نفسه ١/٣٧٠.

(١٢) نفسه ١/٣٨٣.

فابن جنى فى عداد الجمهرة القائلة بوجود المتضاد بشرط تعدد الواضعين وقد أيد المحدثون هذا رأى ونقد أستاذنا الدكتور نجما وجهة القائلين بإثبات التضاد مع ملاحظة وضع اللفظ لأحد المعنيين أصالة ودخول الآخر اتساعاً بأنها نظرة فلسفية لا تمثل الواقع فى وضع الالفاظ<sup>(١)</sup> كذلك رأى سيادته أن وجهة ابن دريد غير سديدة لأن الواضع الواحد يهيمه إيضاح المعنى لسامعه فلا يعقل أن يرد على هذه الصورة<sup>(٢)</sup> وتلك النقود التى وجهها أستاذنا نقود دقيقة، فنظرية الاتساع المذكورة أمر عقلى بحث لا يمس الواقع اللغوى، ولا يوجد ما يؤيده من الدلائل أو الشواهد العلمية أو المعجمية، كذلك فإن الناطق يهيمه التعبير عما يحتاجه وذلك يكفى فيه لفظ واحد ومعنى واحد حتى يكون الأمر واضحاً للسامعين.

فالتضاد ثابت - كما أوضحه جمهرة العلماء - غاية الأمر أنه ليس بالكثرة الموجودة فى المشترك<sup>(٣)</sup> وبهذا الوجه يعد من سمات العربية وخصائصها التى جعلت عالماً ابن جنى يضمه أبحاثه، ويعتد به فى خصائصه.

### المترادف

معناه فى اللغة يقال: ردف الرجل وأردفه: ركب خلفه، والترادف التتابع، وغير ذلك مما يدور حول هذا المعنى<sup>(٤)</sup> وفى اصطلاح اللغويين: دلالة عدة ألفاظ على معنى واحد<sup>(٥)</sup> أو ألفاظ متحدة المعنى وقابلة للتبادل فيما بينها فى أى سياق<sup>(٦)</sup>، وكتب اللغة تذكر لعلمائنا القدامى مفاهيم للترادف محدودة بحدود تحوى قيوداً معينة وبياناتاً لمحتركاتها<sup>(٧)</sup>.

(١) اللهجات العربية ٨٧، وفقه اللغة ٧٢/٣، ٥٧/٤، ٥٨.

(٢) لسان العرب ١١/١٣-١٧، وكشاف اصطلاحات الفنون ٥٧٨/٣.

(٣) اللهجات العربية ٨٨ وفقه اللغة د. نجما ٧٣/٣، ٥٨/٤، ود. العزازى ٢٠٢، والمراد الالفاظ المفردة كما فى المزهرة وغيره.

(٤) دور الكلمة فى اللغة ١٨.

(٥) المزهرة ١/١٩٤، وكشاف اصطلاحات الفنون ٥٧٨/٣، ومجلة المجمع اللغوى ١/٣٠٤، ٣٠٥.

٢٥٢، ٢٤٧-٢٤٢/٤.

### علام يطلق لفظ (المترادف):

الواضح أن يطلق ذلك الاسم على الالفاظ المفردة فقط مثل الليث والهزبز للحيوان المفترس، والقمح والبر والحنطة للحبة المعروفة، وكما يحكى ابن حنى فيما أخبر به أبو بكر محمد بن الحسن عن أبي العباس أحمد بن يحيى قال: أنشدنى ابن الأعرابى:

وموضع زين لا أريد مبيته كأنى به من شدة الرُّوع أنس

فقال له شيخ من أصحابه: ليس هكذا أنشدتنا إنما أنشدتنا (وموضع ضيق) فقال: سبحان الله تصحبنا منذ كذا وكذا ولا تعلم أن الزين والضيق واحد، وقد قال الله سبحانه، وهو أكرم قبلا: ﴿قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى...﴾ (١) [الإسراء].

ويظهر أن ابن جنى يريد أن يطلق اسم المترادف على العبارة التى تؤدى مؤدى عبارة أخرى متقاربة معها فى المعنى، فهو يقول - بعد أن ذكر حكاية أبى بكر فى زين وضيق السابقة - وهذا ونحوه - عندنا - هو الذى أدى إلينا أشعارهم وحكاياتهم بالفاظ مختلفة، على معان متفقة، وكان أحدهم إذا أورد المعنى المقصود بغير لفظه المعهود كأنه لم يأت إلا به، ولا عدل عنه إلى غيره، إذ الغرض فيهما واحد، وكل واحد منهما لصاحبه مرافد، وكان أبو على - رحمه الله - إذا عبر عن معنى بلفظ ما فلم يفهمه القارئ عليه وأعاد ذلك المعنى عينه بلفظ غيره ففهمه، يقول: "هذا إذا رأى ابنه فى قميص أحمر عرفه فإن رآه فى قميص كحلى لم يعرفه" (٢) ويوضح أنه يقصد فى ذلك النص الجمل المركبة المتقاربة المعانى ما قاله - تعقيبا على ما حكاها بعد ذلك مباشرة - من أن رجلا سأل الحسن رضى الله عنه، ثم أعاد السؤال، فقال له الحسن: لبكت على أى خلطت، قال ابن جنى: تأويله - عندنا - أنه أفسد المعنى الأول بشئ جاء به فى القول الثانى، فأما أن يكون

(١) الخصائص ٤٦٧/٢.

(٢) نفسه ٤٦٨/٢.

الحسن تناكر الامر لاختلاف اللفظين مع اتفاق المعنيين فسبحان الله، وحاشا أبا سعيد، ويشبه أن يكون الرجل لما أعاد سؤاله بلفظ ثان قدر أنه بمعنى اللفظ الأول لم يحسن فهمه الحسن رضى الله عنه، وهذا يشبه ما قالوه من أن الترادف يفيد فى شرح المعانى، وتوضيح غوامض اللغة، فنحن نقول فى قوله تعالى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ...﴾ [البقرة: ٢] لا شك فيه، ولو كان الريب غير الشك لكانت العبارة عن معنى الريب بالشك خطأ فلما عبر بهذا عن هذا علم أن المعنى واحد<sup>(١)</sup> وهذا أحد أدلة القائلين بالترادف، وينطبق على التحديدات، لأنها تبدل اللفظ الخفى بلفظ أجلى منه<sup>(٢)</sup>.

ويرى بعض العلماء أن الألفاظ التى بمعنى واحد تنقسم إلى ألفاظ متواردة وألفاظ مترادفة، فالمتواردة: كما تسمى الخمر عَقَاراً وصهباء وقهوة، والسبع أسداً وليثاً وضرعاماً، والمترادفة: هى التى يقام لفظ مقام لفظ لمعان متقاربة يجمعها معنى واحد، كما يقال أصلح الفاسد، ولمّ الشعث، ورتق الفتق، وشعب الصدع<sup>(٣)</sup> ويكون المراد من ذلك القسم الثانى العبارات والجمل لا الكلمات المفردة، ويقابل ما يسمى عندنا بالجمل التفسيرية أو البيانية<sup>(٤)</sup> وهذا الإطلاق يخالف ما اتفق عليه العلماء من تحقق تسمية الألفاظ المفردة - التى أطلق عليها اسم المتواردة- بالمترادفة، أما إطلاق الترادف على العبارات والجمل التركيبية فيبدو أنه بعيد، سواء ما قاله عالمنا ابن جنى، وما قاله غيره، إذ تعريف الترادف ينص على أنه دلالة الألفاظ المفردة، وقد أخرجها الأستاذ محمد الطاهر صراحة بقوله: إن التعبير بالمفرد يعنى أنه لا ترادف بين المركبات الإسنادية مثل غربت الشمس وانقضى النهار<sup>(٥)</sup> ومن هنا قال السيوطى عن التقسيم إلى متواردة ومترادفة إنه تقسيم غريب<sup>(٦)</sup> فأولى بنا أن نقصر مسماء على الألفاظ المفردة حتى لا يتسع المجال إلى مسالك ودروب قد تسبب العثار بنا فى بحوثنا اللغوية.

(١) المزهر ١/ ٢٩٥.

(٢) نفسه ١/ ١٩٧.

(٣) مجلة المجمع اللغوى ٤/ ٢٤٣.



## أشهر اللغوي:

١- التوسع بما يفيد الشاعر والناثر، وكثرة الوسائل إلى الإخبار عما في النفس، وقد كان بعض الأذكياء في الزمن السالف لا يستطيع نطق الرأ<sup>(١)</sup>، أضف إلى ذلك أن المترادفات في حالات الضرورة قد يكون لها دور أكثر من هذا أهمية وخطورة في نظام التعامل باللغة، فإذا ما تطرق الغموض مثلاً إلى كلمة من الكلمات بحيث تصبح غير وافية بالغرض فالغالب أن نلجأ إلى كلمة أخرى مرادفة لها كي تسد هذا النقص<sup>(٢)</sup>.

٢- من المترادفات ألفاظ تبدو فيها خاصية لغوية رائعة، هي إظهار ألوان المعاني وظلالها، وهذه الميزة تكاد تنفرد بها اللغة العربية، وتعد من خصائصها، التي تتجلى في ألفاظ مترادفة أحياناً، ويسمىها الدكتور عثمان أمين خاصية التلوين الداخلي الذي كأنما يرسم للماهية الواحدة بالأطياف والظلال صوراً ذهنية متعددة تغنيها باللفظ الواحد عن عبارة مطولة نحدد بها المعنى المقصود<sup>(٣)</sup>.

وقد أوضح ابن جني من تلك الألوان والظلال ما يخلب البائنا، ويهز مشاعرنا، بسحر هذه اللغة اللطيفة، فمن ذلك قولهم: الفضة سميت بذلك لانفصاض أجزائها، وتفرقها في تراب معدنها. . . وقيل لها: فضة كما قيل لها: لُجَيْن، وذلك لأنها مادامت في تراب معدنها فهي ملتزقة في التراب متلجنة به. . . وينبغي أن يكونوا إنما ألزموا هذا الاسم التحقير لاستصغار معناه مادام في تراب معدنه، ويشهد عندك بهذا المعنى قولهم في مراسله: الذهب، وذلك لأنه ما دام كذلك غير مُصَقَّى فهو كالذهب، لأن ما فيه من التراب كالمستهلك له، أو لأنه لما قلّ في الدنيا فلم يوجد إلا عزيزاً صار كأنه مفقود ذاهب، ألا ترى أن الشيء إذا قلّ قارب الانتفاء. . . ولأجل هذا سموه تبرا لأنه فعل من التبر، ولا يقال له (تبر) حتى يكون في تراب معدنه أو مكسوراً، ولهذا قالوا للجمام من

(٢) دور الكلمة في اللغة ١٠٤.

(١) المزهر ١/ ١٩٦.

(٣) فلسفة اللغة العربية، د. أمين، ٥٨.

الفضة: (الغَرْب) وهو فعلٌ من الشيء الغريب، لأنه ليس في العادة والعرف استعمال الآتية من الفضة، أو لأنه غريب بين الجواهر لنفاسته وشرفه. . ويدلك على أنهم تصوروا هذا الموضع من امتزاجه بتراب معدنه أنهم إذا صفوه وهذبوه أخذوا له اسماً من ذلك المعنى فقالوا له الخلاص والإبريز والعقيان، فالخلاص فعال من تخلص، والإبريز إفعيل من برز يبرز والعقيان فعلان من عقى الصبي يعقى وهو أول ما ينجيه عند سقوطه من بطن أمه قبل أن يأكل، وهو العقى فقيل له ذلك لبروزه كما قيل له البرآز<sup>(١)</sup>.

وهكذا يذكر أمثلة كثيرة يعقبها بقوله: "فالتأني والتلطف في جميع هذه الأشياء وضمها وملاءمة ذات بينها هو خاص اللغة، وسرها وطلاوتها الرائقة وجوهرها"<sup>(٢)</sup>، وتظهر تلك الميزة - كذلك - في كثير من الألفاظ الدالة على الشيء منظورا إليه في مختلف درجاته وأحواله، ومتفاوت صورته وألوانه، فالظما والصدى والأوام والهيام كلمات تدل على العطش إلا أن كلا منها يصور درجة من درجاته، فانت تعطش إذا أحست بحاجة إلى الماء، ثم يشتد بك العطش فتظما، ويشد بك الظما فتصدى، ويشد بك الصدى فتؤوم، ويشد بك الأوام فتهم، وإذا قلت: إن فلانا عطشان فقد أردت أنه بحاجة إلى جرعات من الماء لا يضيره أن تبطئ عليه، أما إذا قلت: إنه هائم فقد علم السامع أن الظما برح به حتى كاد يقتله... وهذا- على حين أن الفرنسي لا يستطيع أن يؤدي هذا المعنى إلا في ثلاث كلمات إذ يقول "ماتت من الظما" Mourant de soif أو في سبع كلمات ليكون المعنى أوضح فيقول: على وشك أن يموت من الظما sur point de mourir de soif.

ففي كلمات العربية إيجاز يجعل من الكلمة الواحدة جملة كاملة<sup>(٣)</sup>.

وبهذا يخلص لنا قيمة الترادف- في العربية- وأثره اللغوي.

(١) الخصائص ٢/١٢٣-١٢٥.

(٢) نفسه ٢/١٢٥.

(٣) فلسفة اللغة العربية ٥٨، ٥٩.

## أسبابه

له أسباب كثيرة أهمها:

١- اختلاف اللغات واللهجات: أوضحنا الدواعي الاجتماعية والتاريخية التي أدت إلى اختلاط الشعوب<sup>(١)</sup> وقد حدث ذلك للعرب بعد الإسلام في الفتوح، فكثرت بذلك المترادفات، إذ زيد في دخول العرب من الفارسية والرومية شيء كثير<sup>(٢)</sup> وكذلك من غيرهما "بسبب امتزاج العرب بالفرس والروم وغيرهما من الأمم"<sup>(٣)</sup> كما أن تقدم الحياة، ووسائل الحضارة يدعو إلى اقتباس كلمات من لغات أخرى حينما تظهر فنون أو علوم جديدة<sup>(٤)</sup>.

أما تلاقى لهجات اللغة الواحدة، بسبب تعامل أصحابها وارتباطهم الاجتماعي، فهو السبب الهام للتترادفات الذي يعد من خصائص لغة من اللغات<sup>(٥)</sup> "فلغة قريش - التي تغلبت أخيراً - جمعت كثيراً من مفردات القبائل الأخرى مثل الوثب في لغة حمير: القعود فهي مرادفة له، وقصة الملك مع الرجل الذي قفز معروفة"<sup>(٦)</sup> - وهذا قد دفع كثيراً من الباحثين إلى القول بأن من الأسباب الهامة للتترادفات تعدد اللهجات<sup>(٧)</sup>.

ويسبق بهذا الرأي عالمنا ابن جني فيقول: وإذا كثر على المعنى الواحد ألفاظ مختلفة فسمعت في لغة إنسان واحد، فإن أخرى ذلك أن يكون قد أفاد أكثرها، أو طرفاً منها، من حيث كانت القبيلة الواحدة لا تتواطأ في المعنى الواحد على ذلك كله، وذلك كما جاء عنهم في أسماء الأسد والسيف والخمر وغير ذلك<sup>(٨)</sup>.

(١) انظر في حديثنا عن اللهجات، ص ٣٥٤، ٣٥٥ من كتابنا.

(٢) مجلة المجمع اللغوي ٢٦٢/٤. (٣) نفسه ٣٢٦/١.

(٤) نفسه ٣٢٤/١ واللغة والتجدد ٢٠٦، ٢٠٧.

(٥) مجلة المجمع ٢٦٢/٤. (٦) نفسه ٣٢١/١.

(٧) تاريخ آداب العرب ١٨٨، ١٨٩، ومميزات لغات العرب ٣٩، ٤٠، ومجلة المجمع ٣٢٠/١.

٣٢١، وفي اللهجات العربية، ط ٢، ١٧٠، ١٧١، ودراسات في فقه اللغة ٣٤٧.

(٨) الخصائص ٣٧٣/١.

ثم يقول أيضاً: وكلما كثرت الألفاظ على المعنى الواحد كان ذلك أولى بأن تكون لغات لجماعات، اجتمعت لإنسان واحد من هنا ومن هنا، ورويت عن الأصمعي قال: اختلف رجلان في الصقر فقال أحدهما: الصقر (بالصاد) وقال الآخر: السقر (بالسين) فتراضيا بأول وارد عليهما، فحكيا له ما هما فيه، فقال: لا أقول كما قلتما، إنما هو الزقر، أفلا ترى إلى كل واحد من الثلاثة كيف أفاد في هذه الحالة إلى لغته لغتين أخريين معها، وهكذا تتداخل اللغات<sup>(١)</sup>.

٢- المجاز: ينشأ الترادف أحيانا عن طريق المجاز الذي يشيع وبشهر، حتى يصبح كما يقول أستاذنا الدكتور نجا في درجة الحقائق<sup>(٢)</sup> ومن ذلك تسميتهم اللغة لسانا، والزواج بناء، والجناسوس عينا<sup>(٣)</sup>، والأستاذ على الجارم يعد المجاز من أسباب توهم الترادف<sup>(٤)</sup> ويذكر بعض الباحثين أن الألفاظ من هذا النوع تعد من المترادف، وليست منه في الحقيقة، بل مستعملة على طريق المجاز<sup>(٥)</sup>.

٣- تناسي الصفات والفروق: فكثير من المترادفات كانت في الأصل نعوتا لأحوال المسمى الواحد، ثم غلبت عليها الاسمية، فالخطار والخطام والباسل والأصيد من أسماء الأسد، وكانت أوصافا في الأصل<sup>(٦)</sup>.

وقد فصل ابن جني تلك الفروق الملاحظة في الاشتقاق بين المترادفات في الباب الذي عقده بعنوان (باب تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني) فقد أوضح بأمثلة كثيرة اتفاق بعض الألفاظ في معنى عام، واختلافها من حيث الفرق الذي عناه واضع اللغة في كل لفظ من الألفاظ على حدة، ولذلك نراه كثيرا ما ينبه على أنه "إنما يجمع بين بعضه وبعض من طريق المعاني مجردة من الألفاظ"<sup>(٧)</sup> و"أنك تجد من اختلاف أصولها ومبانيها جميعها راجعا إلى موضع واحد

(١) نفسه ١/٣٧٤.

(٢) اللهجات العربية ٨٨، وفقه اللغة ٣/٧٣، ٤/٥٨، ومجلة المجمع ٤/٢٥٩، وفي اللهجات العربية ١٧٠، ١٧١، وفقه اللغة، د. وافي ١٦٧ وغيرها.

(٣) مجلة المجمع ١/٣٢٨. (٤) نفسه ١/٣٢٦-٣٢٩. (٥) فقه اللغة، د. وافي ١٦٧.

(٦) فقه اللغة د. وافي ١٦٨، ود. العزاري ٢٠٤، وتاريخ آداب العرب ١/١٨٧، ١٨٨، ومجلة المجمع ١/٣٠٧، ٣٠٨، ٣٢٧. (٧) الخصائص ٢/١٣٣.

ومخطوماً بمعنى لا يختلف<sup>(١)</sup> "ومما ذكره في ذلك مفسراً له على نحو ما مضى قولهم في أسماء الحاجة: الحاجة والحوجاء واللوجاء والإرب والإربة والمأربة واللبانة. والتلاوة بقية الحاجة والتلية أيضاً والأشكلة والشهلاء فهي تجتمع حول معنى عام هو "الإقامة على الشيء والتشبث به، وذلك أن صاحب الحاجة كلف بها، ملازم للفكر فيها، مقيم على تنجزها واستحقاقها، قال رسول الله ﷺ: (حبك الشيء يُعمى ويُصم) وقال المولد.

### صاحبُ الحاجة أعمى لا يرى إلا قضاها

وتفسير ذلك أن الحاج شجر له شوك، وما كانت هذه سبيله فهو متشبث بالأشياء، فأى شيء مرَّ عليه اعتاقه، وتشبث به، فسميت الحاجة تشبيهاً بالشجرة ذات الشوك، أى أنا مقيم عليها متمسك بقضائها، كهذه الشجرة في اجتذابها ما مرَّ بها وقرب منها، والحوجاء منها، وعنها تصرف الفعل: احتاج يحتاج، احتياجا وأحوج يحوج وحاج يحوج فهو حاج. واللوجاء من قولهم لجتُ الشيء ألوجه لوجا: إذا أدركته في فيك، والتقاؤهما أن الحاجة مترددة على الفكر، ذاهبة جائية إلى أن تقضى، كما أن الشيء إذا تردد في الفم فإنه لا يزال كذلك إلى أن يسيغه الإنسان أو يلفظه.

والإرب والإربة والمأربة كله من الأربة وهى العقدة، وعقد مؤرَّب: إذا شدد الحاجة معقودة بنفس الإنسان مترددة على فكره، واللبانة من قولهم تلبن بالمكان إذا أقام به ولزمه، وهذا هو المعنى عينه، والتلاوة والتلية من تلوت الشيء إذا قفوته واتبعت أثره لتدركه، والأشكلة كذلك، كأنها من الشكال، أى طالب الحاجة مقيم عليها كأنها شكال له، ومانعة من تصرفه، وانصرافه عنها، ومنه الأشكل من الألوان الذى خالطت حمرة بياضه، فكان كل واحد من اللونين اعتاق صاحبه أن يصح وبصفو لونه، والشهلاء كذلك، لأنها من المشاهدة وهى مراجعة القول. قال:

قد كان فيما بيننا مشاهلة ثم تولتْ وهى تمشى البأدلة

(١) نفعه ١٢٧/٢.



فقد ترى إلى ترامي هذه الأصول، والميل بمعانيها إلى موضع واحد<sup>(١)</sup>.

وقد أورد الأستاذ محمد عبد الجواد في كتابه "التذكرة في فقه اللغة" مجموعة كبيرة لأسماء مختلفة في الزراعة، وأسماء الأشجار، والطيور، واللحوم، والمعادن، وكلها تؤكد فروقا بين المترادفات، وترجع المشتق إلى أصله، وتبين معناه<sup>(٢)</sup>.

٤- التغير الصوتي: للعوامل الصوتية أثر في اختلاف اللفظ، وتحوله من حال إلى آخر، بحيث يصبح نتيجة للتغير الصوتي لفظين بعد أن كان واحدا، ومن ذلك قولهم: بغداد وبغدان وقالوا أيضا: مغدان، وطبرزل وطبرزن وقالوا للحية: أيم وأين وأعصر ويعصر (أبو باهلة)<sup>(٣)</sup> وهذا من باب الإبدال، كذلك صقر وسقر وزقر على حسب ما ذكر ابن جنى من رواية الأصمعي، كذلك ما يكون عن طريق القلب المكاني للأصوات، وحلول بعضها محل بعض، قال ابن جنى: حكى عيسى بن عمر قال سمعت ذا الرمة ينشد:

وظاهر لها من يابس الشَّخْتِ واستعن عليها الصبا واجعل يديك لها سترا

فقلت أنشدني من يابس فسقال: يابس وبائس واحد<sup>(٤)</sup> "وقد تتغير الكلمة حروفا وحركات نقصا وزيادة بحيث تصبح على صور مختلفة (كأن تنحرف الصيغة واللفظ واحد، نحو قولهم هي رَغْوَة اللبن ورُغْوَتُهُ ورُغَاوَتُهُ ورُغَاوَتُهُ ورُغَايَتُهُ وكقولهم: الذَّرُوح والذَّرُوح والذَّرِيح والذَّرَّاح والذَّرْح والذَّرْنُوح والذَّرْحُوح والذَّرْحُوح... وكقولهم جثته من عل ومن عل ومن علا ومن علو ومن علو ومن علو ومن علو ومن عال ومن عال ومن عال ونحوه أشباه له كثيرة)<sup>(٥)</sup>.

(١) نفسه ١٢٧/٢، ١٢٩ بتصرف والبألة أن تحرك في مشيها بأدائها وهي لحم صدرها وهي مشية القصار من النساء.

(٢) كل ذلك بالكتاب المذكور من أوله إلى آخره ويقع في ١١٢ صحيفة.

(٣) الخصائص ٣٧٢/١.

(٤) نفسه ٤٦٧/٢، ومجلة المجمع ٣٢٥/١، ٢٥٧/٤، ٢٥٨، ٢٦٢.

(٥) الخصائص ٣٧٣/١، ٣٧٤.

ولكن بعض المحدثين<sup>(١)</sup> لا يعترفون بذلك سبباً للترادف "فاختلاف الصورة بين تلك الالفاظ ليس إلا ظاهرياً، وأنها كلمات ذوات أصل واحد، وتطورت صورتها لمعامل من عوامل تطور الأصوات"<sup>(٢)</sup> ولكن الدكتور كمال بشر يرد على هؤلاء بأنه قد يكون هذا صحيحاً، ولكن من المحتمل أن تكون هذه الفروق الصوتية راجعة إلى اختلاف اللهجات<sup>(٣)</sup>.

### آراء العلماء فيه

تعددت وجهات النظر اللغوية حول إثبات الترادف ونفيه، تبعاً لفكرة معينة ذهب أصحابها إليها، وتلك هي الآراء:

(١) رأى المنكرين: اتفق جماعة من علماء اللغة على إنكار وجود الترادف غير أنهم اختلفوا فيما بينهم في طريقة الإنكار ذاتها.

(٢) يرى فريق "أن كل ما يظن من المترادفات فهو من المتباينات، إما لأن أحدهما اسم الذات، والآخر اسم الصفة، أو صفة الصفة"<sup>(٤)</sup>.

وقد حكى الشيخ القاضي أبو بكر بن العربي بسنده عن أبي على الفارسي قال: كنت بمجلس سيف الدولة بحلب، وبالحضرة جماعة من أهل اللغة، وفيهم ابن خالويه فقال ابن خالويه: أحفظ للسيف خمسين اسماً، فتبسم أبو على، وقال: ما أحفظ له إلا اسماً واحداً وهو السيف، قال ابن خالويه: فأين المهندس والصارم وكذا وكذا؟ فقال أبو على: هذه صفات وكان الشيخ لا يفرق بين الاسم والصفة<sup>(٥)</sup>.

(١) كالاستاذ الجارم والدكتور أنيس.

(٢) وقد اعترف الدكتور أنيس نفسه بهذا في مقام آخر ومثل له بحثي وعتي فيكون بذلك سبباً للترادف ناشئاً عن اختلاف اللهجات. انظر دور الكلمة في اللغة، التعليق، ص ١٠٨-١١٠.

(٤) المزهر ١/ ١٩٥.

(٥) يبدو أن أبا على الفارسي كان ممن يقول بالترادف مع الفروق بين الالفاظ، ففي البغداديات ما يناقض هذه القصة فقد اعترف باختلاف اللفظين والمعاني بعد واحدة للحاجة إلى التوسع في الالفاظ... وإفادة الشاعر والنائر، وبعد شرح الاقسام الثلاثة يقول: فثبت بصحة ذلك صحة الاقسام التي ذكرها سيويه وذهب إليها. (البغداديات، ٤٦، ٤٧).

وهذا الفريق ينكر الترادف مطلقاً<sup>(١)</sup> ودليلهم على ذلك \* أن المعنى يتضح بلفظ واحد، فوضع ألفاظ عديدة عبث ينأى عنه الواضع الحكيم<sup>(٢)</sup>.

ب) وذهب فريق آخر منهم ابن درستويه وثعلب وابن فارس \* إلى إنكار وجود الترادف المطلق فهو يرى أن الألفاظ التي تدل في ظاهرها على الترادف والتساوي لا بد أن يكون في كل منها من الزيادة على الأصل ما ليس في الأخرى، محتجين بأن دلالة عدة ألفاظ على معنى واحد دون زيادة فيها ضرب من العبث ترفع عنه هذه اللغة الحكيمة<sup>(٣)</sup>، قال ابن درستويه: محال أن يختلف اللفظان والمعنى واحد، كما يظن كثير من اللغويين والنحويين، وإنما سمعوا العرب تتكلم بذلك على طباعها، وما في نفوسها من معانيها المختلفة، وعلى ما جرت به عاداتها وتعارفها، ولم يعرف السامعون لذلك العلة فيه والفروق، فظنوا أنهما بمعنى واحد، وتأولوا على العرب هذا التأويل من ذات أنفسهم<sup>(٤)</sup>.

وقال في موضع آخر: \* أهل اللغة أو عامتهم يزعمون أن فعل وأفعل بهمزة وبغير همزة قد يجيئان لمعنى واحد، وأن قولهم: دير بى وأدير بى من ذلك، وهو قول فاسد فى القياس والعقل، مخالف للحكمة والصواب، ولا يجوز أن يكون لفظان مختلفان لمعنى واحد، إلا أن يجيء أحدهما فى لغة قوم، والآخر فى لغة غيرهم، كما يجيء فى لغة العرب والعجم، أو فى لغة رومية ولغة هندية<sup>(٥)</sup>، وبهذا يعيب ابن درستويه على القائلين بالترادف، ذاكراً أنهم جهلوا حقيقة الأمر، وأنهم تأولوا على العرب ما لا يجوز، فهو يرى أن الفروق فى الدلالات كان يعرفها العرب الأوائل، ولكن القائلين بالترادف لم يستطيعوا فهم هذه الفروق، وإدراكها، فقالوا بالترادف على خلاف الواقع اللغوى<sup>(٥)</sup>.

(١) اللهجات العربية ٨٨، وفقه اللغة د. نجا ٣/٧٤، ٥٨/٤، ودراسات فى فقه اللغة ٣٤٢، ومجلة المجمع ٢٥١/٤. (٢) فقه اللغة د. نجا ٣/٧٤.

(٣) اللهجات العربية د. نجا ٨٨، وفقه اللغة ٣/٧٤، ٥٩/٤، والمزهر ١/١٨٥، ١٨٦، ١٩٣-١٩٦.

(٤) المصادر السابقة. (٥) دور الكلمة فى اللغة التعليق للدكتور كمال بشر، ص ١٠٦.

وهذا يوافق ما رواه المزهر عن أبي العباس عن ابن الأعرابي قال: كل حرفين أوقعتهما العرب على معنى واحد في كل واحد منهما معنى ليس في صاحبه، ربما عرفناه فأخبرنا به، وربما غمض علينا فلم يلزم العرب جهله. فلم تزل عن العرب حكمة العلم بما لحقنا من غموض العلة، وصعوبة الاستخراج علينا<sup>(١)</sup>.

ويقول بذلك ابن فارس - كشيخه أبي العباس فيما سبق - ونصه "يسمى الشيء الواحد بالاسماء المختلفة نحو السيف والمهند والحسام، والذي نقوله في هذا أن الاسم واحد وهو السيف وما بعده من الألقاب صفات، ومذهبنا أن كل صفة منها فمعناها غير معنى الأخرى. وقد وجه إليه أنه لو كان لكل لفظة معنى غير معنى الأخرى لما أمكن أن نعبر عن شيء بغير عبارة، فلا يصح في (لا ريب فيه): لا شك فيه، بل تكون الثانية خطأ، فأجاب على ذلك بأنه "جاز أن يعبر عن الشيء بالشيء من طريق المشاكلة، ولسنا نقول إن اللفظين مختلفان فيلزمنا ما قالوه، وإنما نقول: إن في كل واحدة منها معنى ليس في الأخرى<sup>(٢)</sup>".

"ولم يكن ابن فارس يكتفى بملاحظة الفروق الدقيقة بين الاسم والوصف، أو بين اسم وآخر، بل كان يرى - مع شيخه ثعلب - أن معاني الأحداث التي تفيدها الأفعال تشتمل كذلك على فروق دقيقة لا تسمح بالقول بالترادف فيها<sup>(٣)</sup>" نحو مضى وذهب وانطلق، وقعد وجلس، وركد ونام وهجع، فنى قعد معنى ليس في جلس، ألا ترى أنا نقول: قام ثم قعد وأخذ المقيم والمقعد، ثم نقول. كان مضطجعا فجلس، فيكون القعود عن قيام والجلوس عن حالة هي دون الجلوس، لأن المجلس المرتفع والجلوس ارتفاع عما هو دونه، وعلى هذا يجري الباب كله<sup>(٤)</sup>.

وقد رد المشتبون للترادف على هؤلاء المنكرين من الفريقين بأن الترادف لا سبيل إلى إنكاره، لأن وقوعه معلوم بالضرورة<sup>(٥)</sup> وهو وارد ممن وثقنا بهم، وقبلنا

(١) المزهر ١/١٩٣.

(٢) المزهر في الصحائف السابقة.

(٣) دراسات في فقه اللغة ٣٤٤.

(٤) المزهر ١/١٩٥.

(٥) فقه اللغة د. نجما ٣/٧٥، ٤/٥٩، ومجلة المجمع ٧/٢٥٣، ٢٥٤، ودلالة الألفاظ د. أنيس

٢١٢، ٢١٣.

منهم اللغة<sup>(١)</sup>، والعبث الذى يلصقونه بالترادف لا يتحقق إلا إن كان الواضع واحدا، أما والقبائل العربية كثيرة فلا ضير فى وجوده عن طريق اختلافها<sup>(٢)</sup>، كما توجد بعض المترادفات التى لا فروق بينها، وبخاصة فى الأسماء الجامدة فإننا نلمس فيها اتحادا، لأننا لا نجد فارقا بين العير والحمار الموضوعين للنهيق، ولا بين الحنطة والقمح والبر للحبة المعروفة<sup>(٣)</sup> بل إن هناك كلمات توجد فى لغات متباعدة كل التباين ومع ذلك فهى متحدة المعنى لا خلاف فى ذلك " فالشمس والقمر والكتاب والماء ذوات معان متضاربة فى جميع اللغات<sup>(٤)</sup> ووجود مترادفات مؤدنة بأوصاف لا يقضى بإنكار الترادف من أصله، إذ غاية ما يقتضى أن يحذر الخلاف بإنكار ثلة من المترادفات لا بإنكار الترادف كله، إذ لا محيص من الاعتراف بأن الجوامد الواقعة على معنى واحد هى مترادفة، كالخمر والعقار، وبأن المشتقات التى أجريت مجرى الأسماء بغلبة الاستعمال صارت فى حكم الجوامد، بقطع النظر عن أصل الاشتقاق، فإن الحسام والصارم والصقيل وإن كانت أسماء مشتقة هى منها فإنه لما كثر ذكرها بدون موصوفاتها، لتعين الموصوف بذكر وصفه، نظير قباء تعالى: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسْرٍ﴾ [القمر] استغنى بذكرها عن ذكر موصوفها حتى ساوته فى الاستعمال، فعولمت معاملة الجوامد، فصارت متراد. بالاستعمال<sup>(٥)</sup>.

ونحن نعرف- كما قال الدكتور كمال بشر- بأنه ليست كل الالفاظ قد فقدت الفروق المعنوية<sup>(٦)</sup> بيد أن أصحاب هذا رأى كانوا من الاشتقاقيين الذين أسرفوا فى إرجاع كل كلمة من كلمات اللغة إلى أصل اشتقت منه، حتى الأسماء الجامدة والأسماء الأجنبية عن اللغة العربية، فتراهم يقولون: إن (إبليس) مشتق من كيت و(جهنم) مشتقة من كذا... إلخ، ولذا يقول السيوطى: وتعسفات الاشتقاقيين لا يشهد لها شبهة فضلا عن حجة<sup>(٧)</sup>، هذا إلى أن بعض هؤلاء المنكرين للترادف كانوا من الأدباء النقاد الذين يشتفون فى الكلمات أمورا سحرية<sup>(٨)</sup>.

(١) نفس المراجع، الصحائف نفسها. (٢) مجلة المجمع ٣٠٩/١.

(٣) مجلة المجمع ٢٥٣/٤، ٢٥٤. (٤) دور الكلمة فى اللغة التعليق ص ١٠٩.

(٥) فى اللهجات العربية، ط ٢، ص ١٦٨. (٦) نفسه ١٦٩.



ج) ويرى بعض الباحثين أنه لا داعى إلى وجود الترادف، لأن المعنى يكفى أن يدل عليه لفظ واحد، ويتجهون إلى أن جامعى المعاجم قد أوجدوه حاجة فى نفوسهم، وحجتهم قياس العربية على العامية، فالثانية تكتفى فى أداء المراد بلفظ واحد<sup>(١)</sup>.

وهذا رأى غير سديد<sup>(١)</sup> لأنه بنى على اتهام الرجال الموثوق بهم فى جمع اللغة<sup>(١)</sup> وأن "جامعى المعجمات قد تحروا الدقة لأنهم ينقلون عن يثقون فيهم من العرب، ومن القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ ومن الآثار العربية فى العصر الجاهلى والعصور الإسلامية الأولى، واستخلصوا بعضه من العرب المعاصرين لهم، وكانوا فى عزلة عن غيرهم من الأمم المجاورة، ولذلك لم يأخذوا اللغة عن فسدت سليقتهم<sup>(٢)</sup> ولا يصح قياس الفصحى على العامية لجميع اللغات الحية لتخالف العامية من هذه الناحية<sup>(٣)</sup>.

"فلهجات المحادثة فى جميع الأمم تقتصر فى العادة على الضرورى، وتنفر من الكمالي، وتنأى عن مظاهر الترف فى المترادفات وما إلى ذلك، على حين تكثر الألفاظ المترادفة فى اللغة الفصحى، وكذلك الحال فى سائر اللغات الفصحى أو لغات الآداب، كالفرق بين اللغة الفرنسية الفصحى والفرنسية العامية، حيث تكثر المترادفات فى الأولى دون الثانية<sup>(٢)</sup> على أن بعض اللهجات العامية يتاح له الاحتكاك باللغات الأخرى، فلا يخلو من الترادف بالمعنى الصحيح<sup>(٤)</sup>، وهذا يوضح لنا أن لهجات المحادثة غالباً ليس بها مجالات فسيحة للأساليب الأدبية، والتعبيرات البلاغية، والمظاهر الحضارية التى تحتاج إليها الأمم فى نموها ونهوضها بل إن ذلك يختص باللغة الفصحى التى تعد لسان الدولة المعبر وعقلها المفكر.

\* فذلك ينبئنا بأن بقاءه فى اللغة كان عن اختيار جميع العرب، ولو شاء العرب أن ينفوا الترادف من لغتهم لكان ذلك يسيراً عليهم؛ إذ كانوا يقتصرون على

(١) فقه اللغة، د. نجا ٣/٧٥، ٤/٥٩، واللهجات العربية ٨٩، وانظر فقه اللغة د. واقى ١٦٣.

(٢) فقه اللغة د. واقى ١٦٤، ١٦٥. (٣) اللهجات العربية ٨٩ وفقه اللغة د. نجا ٤/٦٠.

(٤) علم اللغة د. واقى، ط ١٩٣٨م، ٢٦٠.

أفصح الألفاظ المترادفة نطقاً، وأحسنها سمعاً، فيستعملونها في كلامهم، ويهجرون ما عداها من مرادفاتهما بالطريقة المعروفة عند علماء العربية بالإماتة... كإماتة مفرد إبل، وناس، وماضى يدع ويذر... وكما تناسوا من كلامهم الألفاظ الحوشية والمتنافرة الحروف، وتجنبوا ما ينشأ من تنافر الكلمات في التركيب، فما أبقوا الترادف مستعملاً في كلامهم إلا لأنهم قد اختاروا بقاءه على إماتته... ولم يكن الداعي لهم إلى استبقائه مجرد الإدلال بحوافظهم، بل رأوا في بقاءه عوناً لهم على مقصدهم الأهم من أدب لغتهم، وهو مقصد الارتجال في الكلام، والفصاحة عند تركيبه<sup>(١)</sup>.

وعلى هذا فما يذهب إليه بعضهم من أن الترادف بالمعنى الكامل لهذه الكلمة لا وجود له في اللغات ليس صحيحاً<sup>(٢)</sup> وفساد هذا الرأي الذي نحن بصدده لا يحتاج إلى بيان<sup>(٣)</sup>.

٢) رأى المثبتين: أثبت فريق من العلماء - منهم ابن خالويه<sup>(٤)</sup> - الترادف مطلقاً كأسماء السيف والعسل والعسجد والذهب<sup>(٥)</sup> (فهذه الأمثلة) وإن اختلفت ألفاظها فإنها ترجع إلى معنى واحد<sup>(٥)</sup>.

ويرى أصحاب هذا الرأي أن الترادف يكون من واضعين وهو الأكثر، بأن تضع إحدى القبيلتين أحد الاسمين، والآخرى الاسم الآخر للمسمى الواحد، من غير أن تشعر إحداهما بالآخرى، ثم يشتهر الوضعان، ويخفى الوضعان، أو يلتبس وضع أحدهما بوضع الآخر... ويكون من واضع واحد وهو الأقل<sup>(٦)</sup>.

(١) مجلة المجمع ٢٦٣/٤.

(٢) علم اللغة د. وافى، ط ١٩٣٨م، ٢٦٠.

(٣) فقه اللغة د. وافى ١٦٣.

(٤) المزهر ١/١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، واللهجات العربية د. نجاة ٨٩ وفقه اللغة ٣/٧٤، ٥٩/٤.

(٥) المزهر ١/١٩٥.

(٦) نفسه ١/١٩٦، وقضايا لغوية ١٥٩، ودور الكلمة في اللغة ١٠٠.

ومن هؤلاء عالمنا ابن جنى، فهو يعترف بأن "فى أصول هذه اللغة المقررة اختلاف اللفظين والمعنى واحد"<sup>(١)</sup>، ويثبت وقوع الترادف من واضعين، ويجعله كثيراً غالباً ومن واضع واحد قليلاً نادراً فيقول: "وإذا كثر على المعنى الواحد ألفاظ مختلفة فسمعت فى لغة إنسان واحد فإن أخرى ذلك أن يكون قد أفاد أكثرها أو طرفاً منها، من حيث كانت القبيلة الواحدة لا تتواطأ فى المعنى الواحد على ذلك كله، هذا غالب الأمر، وإن كان الآخر فى وجه من القياس جائزاً"<sup>(٢)</sup>.

ويضع عالمنا مقياساً لمعرفة نشأة الترادف عن واضعين أو واضع واحد، فيقول: إذا ورد شيء من ذلك كأن يجتمع فى لغة رجل واحد لغتان فصيحتان فينبغى أن تتأمل حال كلامه، فإذا كانت اللفظتان فى كلامه متساويتين فى الاستعمال، كثرتهما واحدة، فإن أخلق الأمر به أن تكون قبيلته تواضعت فى ذلك المعنى على ذينك اللفظين، لأن العرب قد تفعل ذلك للحاجة إليه فى أوزان أشعارها، وسعة تصرف أقوالها، وقد يجوز أن تكون لغته فى الأصل إحداهما، ثم إنه استفاد الأخرى من قبيلة أخرى، وطال بها عهده، وكثر استعماله لها، فلهقت لطول المدة، واتصال استعمالها بلغته الأولى.

وإن كانت إحدى اللغتين أكثر فى كلامه من صاحبها فأخلق الحالين به فى ذلك أن تكون القليلة فى الاستعمال هى المفادة، والكثيرته هى الأولى الأصلية، نعم وقد يمكن فى هذا أيضاً أن تكون القلّى منهما إنما قلت فى استعماله لضعفها فى نفسه، وشذوذها عن قياسه، وإن كانتا جميعاً لغتين له ولقبيلته؛ وذلك لأن من مذهبهم أن يستعملوا فى اللغة ما غيره أقوى منه، ألا ترى إلى حكاية أبى العباس عن عُمارة قراءته «وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ» [يس] بنصب النهار، وأن أبى العباس قال له: ما أردت؟ فقال أردت: سابق النهار، قال أبو العباس: فقلت له: فهلا قلت؟ فقال: لو قلته لكان أوزن أى أقوى، فهذا يدل على أنهم قد يتكلمون بما غيره عندهم أقوى منه، وذلك لاستخفافهم بالضعف، إذ لولا ذلك لكان

(١) الخصائص ١/ ٤٦٠. (٢) نفسه ١/ ٣٧٣.

الأقوى أحق وأحرى، كما أنهم لا يستعملون المجاز إلا لضرب من المبالغة، إذ لولا ذلك لكانت الحقيقة أولى بالمسامحة<sup>(١)</sup>.

فابن جنى يبنى مقياسه لمعرفة أن اللفظين المترادفين من بيئة واحدة أو بيئتين مختلفتين على أساس الشبوع وكثرة التداول، إلا أنه لم يترك لنا مدخلا للانتفاع بهذا الميزان، فقد حفه بالشك والتردد، ولم يجهر برأى حاسم<sup>(٢)</sup> فتارة تكون الشائعة والقليلة من وضع قبيلة واحدة، وتارة تكون القليلة الاستعمال من لهجة أخرى، وتارة ثالثة تكون الشائعة هي التي دخلت من لهجة ثانية، وهذا يدل على الحيرة وعدم الجزم<sup>(٣)</sup> والحقيقة- كما يقول الأستاذ الجارم- أن أحوال اللغة وطرائق الاستعمال لا تضبط بالقوانين المنطقية، فإن العربى- وهو أعلم بأسرار لغته- قد يؤثر أحيانا كلمة لغير قبيلته لأغراض مبهمة تحبش فى نفسه، ولذوق دقيق اقتضته صناعة الكلام<sup>(٤)</sup>.

ومقياس الشبوع والقلة غير دقيق إذ قد يكتب للكلمة الشبوع أو عدمه لدواع كثيرة نفسية واجتماعية وعصرية تختلف من شخص لآخر، وبيئة لأخرى ومن عصر لغيره من سابق وللاحق.

ثم إن ابن جنى يؤكد أخيرا أن الغالب الشائع والأولى بالقبول أن يكون الترادف ناشئا عن قبائل مختلفة، ولا عبء بما تضعه القبيلة الواحدة من ذلك، يقول: "وكلما كثرت الألفاظ على المعنى الواحد كان ذلك أولى بأن تكون لغات لجماعات اجتمعت لإنسان واحد من هنا وهنا"<sup>(٥)</sup>.

وابن جنى -وهو من علماء الاشتقاق المشهورين- يعترف بوجود فروق بين الكلمات المترادفة، وقد لاحظها العربى الواضع لها، وهو من هو فى دقة الملاحظة وإرهاف الحس، بل إنه يجعل بيان تلك الفروق على طريق الاشتقاق سرا من

(١) الخصائص ١/ ٣٧٢، ٣٧٣.

(٢) مجلة المجمع ١/ ٣٢٢، ٣٢٣.

(٣) الخصائص ١/ ٣٧٤.

أسرار تلك اللغة، ودليلاً واضحاً على سموها وعبقريتها؛ ففي بدء الفصل الذى يشرح فيه بعض المتردافات على النحو السابق، وهو (باب فى تلاقى المعانى على اختلاف الأصول والمباني) يقول: إنه فصل قوى الدلالة على شرف هذه اللغة<sup>(١)</sup>. ويقول - بعد ذلك - : فالتأني والتلطف فى جميع هذه الأشياء، وضمها وملاءمة ذات بينها هو خاص اللغة، وسرها وطلاوتها الرائقة وجوهرها، فأما حفظها ساذجة وقمشها محطوبة هرجة فنعوذ بالله منه<sup>(٢)</sup>. وهذا النص الثانى يؤكد اعترافه بالترادف مع وجود فروق لغوية بين الالفاظ التى تحمل معنى واحداً ويجب على الباحث اللغوى أن يحيط بها ويلم بأطرافها، وهذا خير من مجرد النظرة الساذجة السطحية لاتحاد المعنى فقط دون نظر إلى ما وراءه من فروق لطيفة تدل على ذوق العربى وبراعة تعبيره.

ونأتى - مما ذكره - ببعض الأمثلة إذ إن إيرادها كلها قد يؤدى إلى التطويل، ونحن نريد أن نصل إلى المقصود من أقرب طريق، ونترك الأخرى للباحث يرجع إليها متى شاء.

ففى أول الفصل السابق يذكر مرادفات كلمة (الطبيعة) ثم يبين خواص كل لفظ بطريق الاشتقاق - وهو المبدأ الذى بنى عليه أبحاثه اللغوية كما يظهر من الاطلاع على الخصائص وغيره من كتبه - وذلك كقولهم: خُلِقَ الإنسان فهو فُعِلَ من خَلَقَتِ الشئ أى مَلَسْتَهُ ومنه صخرة خَلَقَاءَ للملساء ومعناه أن خُلِقَ الإنسان هو ما قُدِّرَ له ورَتَّبَ عليه، فكانه أمر قد استقر، وزال عنه الشك، ومنه قولهم فى الخبر (قد فَرَّغَ الله من الخَلْقِ والخُلُقِ) والخليفة: فعيلة منه، وقد كثرت فعيلة فى هذا الموضع، وهو قولهم: الطبيعة، وهى من طبعت الشئ: أى قررته على أمر قد ثبت عليه كما يُطَبَّعُ الشئ كالدرهم والدينار، فتلزمه أشكاله فلا يمكنه انصرافه عنها ولا انتقاله، ومنها النَّحِيَّةُ وهى فعيلة من نَحَتَ الشئ أى مَلَسْتَهُ، وقررتة على ما أردته منه، فَالنَّحِيَّةُ كالخليفة هذا من نَحَتَ وهذا من خَلَقَت، ومنها

(١) نفسه ١١٣/٢.

(٢) نفسه ١٢٥/٢ وقمش الشئ: جمعه من غير تمييز الجيد من غيره، ومحطوبة من قولهم: حاطب ليل أى لا يبالي ما أخذ، والهرج: الضعيف.



الغريزة وهى فعيلة من غَرَزَتْ كما قيل لها: طبيعة، لأن طبع الدرهم ونحوه ضرب من وَسَمه وتغريزه بالآلة التى تُثَبَّت عليه الصورة، وذلك استكراه له وغمز عليه كالطبع.

ومنها النَّقِيبة وهى فعيلة من نَقَبَت الشيء وهو نحو من الغريزة. ومنها الضريبة وذلك أن الطبع لا بد معه من الضرب لتثبت له الصورة المرادة، ومنها النَّحِيزَة هى فعيلة من نحزت الشيء أى دَقَّقْتَه ومنه المنحاز: الهاوون لأنه موضوع للدفع به والاعتماد على المدقوق قال:

يُنْحَزَنَ مِنْ جَانِبَيْهَا وَهِيَ تَنْسَلِبُ

أى تُضْرَبُ الإبل حول هذه الناقة للحاق بها وهى تسبقهن وتنسلب أمامهن، ومنها السَّجِيَّة هى فعيلة من سجا يسجو: إذا سكن، ومنه طُرف ساج وليل ساج قال:

يَا حَبْذَا الْقَمْرَاءُ وَاللَّيْلُ السَّاجُ وَطُرُقٌ مِثْلُ مَلَأَ النَّسَاجُ

وقال الراعى:

أَلَا اسْلُمَى الْيَوْمَ ذَاتَ الطُّوقِ وَالْعَاجِ وَالذَّلَّ وَالنَّظَرَ الْمُسْتَأْنَسَ السَّاجِ

وذلك أن خُلِقَ الإنسان أمر قد سكن إليه واستقر عليه ألا تراهم يقولون فى مدح الرجل: فلان يرجع إلى مروءة، وَيُخَلِّدُ إلى كرم، ويأوى إلى سَدَاد وثقة فيأوى إليه هو هذا، لأن المأوى خلاف المَعْتَمَل، لأنه إنما يأوى إلى المنزل ونحوه إذا أراد السكون، ومنها الطريقة من طَرَّقَتَ الشيء أى وطَّأته وذلَّته، وهذا هو معنى ضربته ونَقَبْتَه وغرزته ونحَّته، لأن هذه كلها رياضات وتدرجات واعتمادات وتهذيب.

ومنها السَّجِيحة وهى فعيلة من سَجَّحَ خُلُقَه، وذلك أن الطبيعة قد قرَّت واطمأنت فسجَّحت وتذللت وليس على الإنسان من طبعه كُلفة، وإنما الكلفة فيما يتعاطاه ويتجشمه... ومنها السليقة وهى من قولهم: فلان يقرأ بالسليقة أى بالطبيعة، وتلخيص ذلك أنها كالنحيطة، وذلك أن السَّليق ما تحات من صِغار الشجر قال:

### تسمعُ منها في السَّليقِ الأشهبِ معمرةٌ مثلَ الأبياءِ الملهَبِ

وذلك أنه إذا تحأتْ لَان ورالت شدته... والطبع والخلق والغرز والسلق كله التمرين على الشيء وتلين القوى ليُصْحَبَ وينجذب... ألا ترى أن جميع هذه المعاني التي تقدمت تؤذن بالإلف والملاينة والإصحاب والمتابعة.

فأعجب للطف صنع الباري سبحانه وتعالى أن طبع الناس على هذا، وأمكنهم من تربيته وتنزيله، وهداهم للتواضع عليه، وتقريره<sup>(١)</sup>.

وهكذا ذكر أمثلة أخرى<sup>(٢)</sup> ذكرنا بعضها فيما سبق<sup>(٣)</sup>.

ولا شك أن بيان الاشتقاق الذي سار به ابن جنى بين كلمات الخليفة والطبيعة والنَّحِيَّة والغريزة والنَّفِيَّة والضربية والسجية والطريقة والسَّجِيحة والسليقة وكلها من المترادفات لمعنى واحد، هذا البيان الذي تبعه ابن جنى، وكشف به عن الأصل الذي ترجع إليه كل كلمة منها، يؤكد وجود فروق معنوية تبعاً لاختلافها من مصادر مختلفة، وإنما يُجمَع بينها من قَبْلِ أنها تتول إلى معنى واحد "فهذا باب إنما يُجمَع بين بعضه وبعض من طرق المعاني مجردة من الألفاظ، وهذا إنما يعتنق فيه الفكر المعاني<sup>(٤)</sup>". وهذا عند ابن جنى - مذهب في هذه اللغة طريف غريب لطيف وهو فقهما وجامع معانيها وضام نَشَرها<sup>(٥)</sup> وهذه العبارة تؤكد أن ابن جنى يقول بوجود الفروق بكثرة بين المترادفات، وقد لحظها العرب أنفسهم، وتكاد تفسو إلى حد جعله يقول: إننى قد هممت غير دفعة أن أنشئ كتاباً أتقصى فيه أكثرها، والوقت يضيق دونه، ولعله لو خرج لما أقنعه ألف ورقة إلا على اختصار وإيماء، وكان أبو على - رحمه الله - يستحسن هذا الموضع جداً، وينبه عليه، ويسرّ بما يحضره خاطره منه... فهو أشرف الصنعتين، وأعلى المآخذين، فتفطن له وتأنّ لجمعه فإنه يؤنقك ويُفِيء عليك ويبسط ما تجعد من خاطرك، ويُريك من حِكَم الباري - عز اسمه - ما تقفُ تحته وتُسَلِّم لعظم الصنعة فيه، وما أودعته أحضانه ونواحيه<sup>(٦)</sup>.

(٢) نفسه ١١٧/٢ - ١٣٢.

(١) الخصائص ١١٣/٢ - ١١٧.

(٤) الخصائص ١٣٣/٢.

(٣) انظر ص ٩٨١، ٩٨٢ من كتابنا.

وهو- مع سلوكه هذا السبيل الاشتقاقي- لا يرى مانعا من إطلاق اسم الترادف على تلك الالفاظ، فقد اعترف به من واضعين، أو من واضع واحد، وهو فى مواضع كثيرة ينبه عليه، ومنها أنه يقول: "إن اختلاف اللفظين واتفاق المعنيين كثير فى كتب العلماء، وقد تناقلته أقوالهم وأحاطت بحقيقته أغراضهم"<sup>(١)</sup>. ويقول فى موضع آخر: وهذا ونحوه- عندنا- هو الذى أدى إلينا أشعارهم وحكاياتهم بالفاظ مختلفة على معان متفقة<sup>(٢)</sup> وقد جعل الترادف أصلا من أصول اللغة كما سبق<sup>(٣)</sup>، فهو مع أخذه بمبدأ الاشتقاق لم يتعسف تعسف الاشتقاقيين فينكر الترادف.

وابن جنى فى ذلك الراى يوافق أحدث ما وصل إليه الغربيون فى العصر الحديث، فقد ذهب ترنش trench إلى مثل راى ابن جنى فى كتابه (دراسة الكلمات)<sup>(٤)</sup>، فالترادف عنده يكون من واضعين، ومن واضع واحد على الوضع الذى صور له لنا ابن جنى "فهناك قبائل مختلفة لكل قبيلة لهجتها، وهذه اللهجات على تقارب ما بينها متميزة مختلفة، فإذا تداصجت (أى تعاونت) هذه القبائل فى شعب من الشعوب نفحت لغته بنصيب من لهجاتها، ومن أمثلة ذلك اللغة الفرنسية، فإنها تشتمل على مترادفات كثيرة أتت إليها من لهجة الجنوب langue d'oc ولهجة الشمال Langue d'oi فإن كلا اللسانين منح الفرنسية كلمات كثيرة لمعنى واحد"<sup>(٥)</sup>، وقد يكون الترادف "من لغة واحدة"<sup>(٦)</sup>، وهو فى الحالين يجزم بأن بينها ترادفا، وأنها مع شدة تشابه معانيها تتضمن فروقا صغيرة جزئية. فالترادفات كلها متشابهة فى المعنى الأساسى مع قليل من التباين فى نواح أخرى، إذ إنها تشترك فى المعنى العام، ولكن كل واحدة منها تختص بنصيب تنفرد به دون الأخرى<sup>(٧)</sup>. ومع حدوث الالفاظ التى تدل على معنى واحد فى لهجة واحدة "توجد فروق ضئيلة صاحبها منذ وضعها، أو طرأت عليها، فهى ليست متشابهة المعنى تماما"<sup>(٨)</sup>.

(١) نفسه ٩٣/٢. (٢) نفسه ٤٦٨/٢.

(٣) نفسه ٤٦٩/٢، وانظر ص ٩٩٣ من كتابنا. (٤) مجلة المجمع ٣٠٧/١.

(٥) نفسه ٣٢٣/١. (٦) نفسه ٣٠٩/١. (٧) نفسه ٣٠٧/١، ٣٠٨.

فالمترادفات إذاً كلمات معرضة للاشتباه قليلا أو كثيرا، والواجب يدعو إلى إزالة هذا الاشتباه والاختلاط، وهي كلمات ورثت في أصل وضعها فروقا، أو أنها مع تطابقها في أصل الوضع تمام التطابق تمت بينها فروق، واستقرت باستعمال فطاحل الكتاب ومصانع الخطباء<sup>(١)</sup>.

ويبدو أن القول بالفروق في كل المترادفات فيه مبالغة وتزيد- كما ذكرنا- فلا داعى إلى المبالغة في إثباتها.

### منشأ خلاف العلماء فيه

تفرقت الأقوال في الترادف ووقوعه، فمن منكر لوجوده في اللغة، ومن مثبت له، والمثبتون على درجات متفاوتة، فمنهم المبالغ في وجوده، والمقتصد فيه، وكل وجهة من تلك الوجهات لها ما يسوغها من طرائق البحث اللغوى، فالواقع أن هناك منهجين لدراسة دلالة الألفاظ:

**الأول: هو المنهج التاريخي** الذى يتناول الكلمة منذ نشأتها، وتطورها الدلالى، فالدلالة لا يمكن أن تثبت على حال واحدة بل هي في تطور وتغير مستمر، فالباحث التاريخي إذا كشف عن معانى مجموعة من الألفاظ، يراها متحدة المعنى أمامه، ولكن وقائع التاريخ تبين له اختلاف العصر، أو البيئة اللغوية، أو التطور الصوتي الذى نجم عنه اختلاف اللفظين صورة، واتحادهما معنى، وعندئذ لا يعترف بوجود ترادف بينها.

**الثانى: هو المنهج الوصفي:** وذلك لون آخر من ألوان البحث اللغوى، يدرس طائفة من الألفاظ في عصر ما من العصور، ويحدد مفاهيمها، ودلالاتها في ذلك العصر وحده، دون نظر إلى سواء من عصور أو بيئات أو تطورات، وعلى هذا فيمكن للباحث أن يرى طائفة من الألفاظ اختلفت صورها، واتحد معناها، فيحكم بوجود الترادف بينها.

(١) نفسه ٣٠٩/١.

ومن ذلك التفصيل نستطيع أن نتصور أساس الخلاف الدائر بين علماء اللغة حول وجود الترادف، فالمنكرون قد نظروا إليه من الناحية التاريخية، حيث كانت لهذه الكلمات معان مختلفة، ومن ثم لا ترادف بالمعنى الحقيقي، وعلى هذا الأساس نظر المحدثون من علماء اللغة إلى قضية الترادف، في أية لغة من اللغات، فقد اتجهوا تلك الوجهة التاريخية، ووضعوا شروطاً لا بد من تحقيقها، حتى يتأتى الحكم بالترادف على مجموعة من الألفاظ اتحد معناها واختلفت صورها، فهم يشترطون ما يأتي :

١- أن يكون اللفظان أو الألفاظ التي يراد الحكم عليها بالترادف متفقة في المعنى من جميع الوجوه، فإذا سمعنا مثل جلس وقعد، وعلم لنا أن العربي يقصد من كل لفظ شيئاً لا يستفاد من الآخر حكماً بعدم وجود الترادف بين هذين اللفظين، وإذا ما سمعنا البر والحنطة والقمح وتبين لنا أن المراد من هذه الألفاظ واحد حكماً بأن الترادف متحقق فيها<sup>(١)</sup>.

٢- أن تكون الألفاظ المتحدة في المعنى متحدة في البيئة اللغوية أيضاً، بمعنى أن تكون منتسبة إلى لهجة واحدة، أو مجموعة من اللهجات بينها ترابط قوي<sup>(٢)</sup>. فلا يعد من الترادف ما جاء من بيتين بل هو لهجات<sup>(٣)</sup>.

٣- أن تكون تلك الألفاظ في عصر واحد، ولو حاولنا أن نطبق ذلك على العربية لوجدنا أنها "متفاوتة الأزمنة، مختلفة الأمكنة، فلا يصح أن نقرن عربية النقوش بالعربية الباقية، بمعنى أننا إذا وجدنا توافقاً بين لفظين قد ورد ذكر أحدهما في نقش والآخر في استعمال الشعراء الجاهليين فلا يصح أن نحكم بالترادف، بناء على ذلك"<sup>(٣)</sup>.

٤- أن تكون صورة كل من تلك الألفاظ لم تتطور من الناحية الصوتية عن الأخرى "فإذا ورد لفظان يدلان على معنى واحد، ويتجه الذهن إلى أن

(١) اللهجات العربية، د. نجا، ٩٠، وفي اللهجات العربية، د. أنيس، ط٢، ١٦٦.

(٢) في اللهجات العربية، ط٢، ص ١٦٦.

(٣) اللهجات العربية، د. نجا، ٩١، وفي اللهجات العربية، د. أنيس، ط٢، ١٦٧.



أحدهما قد تطور من الآخر وتفرع عنه، فلا يصح أن يعد ذلك من قبيل الترادف، كالجثث والجفث وكلاهما بمعنى النمل.... فالاقتراب في مخرج الشاء والفاء يدعو إلى تغير صورة أحد الحرفين وتطورها عن الآخر<sup>(١)</sup>.

هذه هي شروط المحدثين للتحكم بالترادف "فإذا طبقت على اللغة العربية اتضح لنا أن الترادف لا يكاد يوجد في اللهجات العربية القديمة، وإنما يمكن أن يلتبس في اللغة النموذجية الأدبية"<sup>(٢)</sup>. وبذلك يمكن فهم السر الذي بنى عليه رأى المنكرين للترادف، فالكلمات أمامهم وإن اتحد معناها، واختلفت صورها فإن تتبعها من الناحية التاريخية يرجعها إلى لهجتين مختلفتين، أو إلى أن إحداها متطورة عن الأخرى، أو كانت مختلفة في المعنى قبل ذلك، ثم اتحدت مع أختها، تبعاً لعوامل التطور، ومن ذلك يدركون وقوع تفاوت بين معاني تلك الألفاظ، ووجود فروق لغوية، هي وإن تنوسيت الآن موجودة فعلاً، وواقعاً تاريخياً، وعلى هذا فلا ترادف.

أما القائلون به فقد انتهجوا المنهج الوصفي، المعتمد على دراسة الكلمات في عصر معين، دون نظر إلى أية اعتبارات أخرى، من لهجات أو تطورات، فعدوا الجزيرة العربية بيئة واحدة، وأن اللهجات الواردة عن سكانها وحدة متماسكة. وابن خالويه حين عدّ للسيف خمسين اسماً لم يكن ينظر إلى الناحية التاريخية، فالواقع أن كثيراً من المترادفات قد وجدت في عصور متفاوتة<sup>(٣)</sup> ولكنه لم يفكر في ذلك، فعد كل تلك من المترادفات.

وقد شغل أصحاب اللغة عن رعاية الفروق بين الدلالات، فأهملوها أو تناسوها، واختلطت الألفاظ بعضها ببعض، أو تراكمت في محيط واحد تسرب النحل في خلية واحدة، أي أن الدلالة لم تصمد ولم تكن عصية على التطور والتغير، بل اقتصت من أطرافها، فالتقت الألفاظ المتعددة على المعنى الواحد، وهذا هو ما عبر عنه بعض القدماء بقولهم: فقدان الوصفية<sup>(٤)</sup>، فالشعراء مثلاً لا

(١) نفس المرجعين، الصحائف نفسها.

(٢) دلالة الألفاظ، د. أنيس ٢٠٨، ودور الكلمة في اللغة، التعليق ١٠٩.

يقصدون من تردد لفظ العصب والمهند والبائر فى أشعارهم سوى هذه الآلة وهى السيف بقطع النظر عما اكتنفها من صفات روعيت حال وضعها<sup>(١)</sup>، وعلى ذلك فالترادف موجود<sup>(٢)</sup>.

### تعقيب

ونحن حين ننظر إلى آراء المنكرين والمثبتين على السواء وإلى كل وجهة ذهبوا إليها نرى أنهم كانوا - كما ذهب كثير من المحدثين - مبالغين فى آرائهم فليس من المعقول إنكار تلك الثروة اللغوية الهائلة التى توجد فى اللغة وجعل مزاياها، كما أنه ليس من السلائق إثبات وجود الترادف بين كل لفظين يظهر اتحادهما فى المعنى، بل الأمر يقتضى التريث والتثبت<sup>(٣)</sup> كما أن مراجعة الأسباب التى ذكرناها للمشارك والمتضاد والترادف توقفتنا على كثير من الحقائق اللغوية التى يجب أن توضع فى الحسبان، فى هذا البحث، فهناك كلمات نشأت من اختلاف اللهجات، وأخرى نشأت من طريق المجاز، وثالثة من طريق التطور الصوتى، ورابعة كانت صفات ثم أصبحت أسماء، وهكذا، كل ذلك يتطلب منا البحث الواعى، والمنهجى الذى يعتمد على استقراء الألفاظ التى تدل على معنى واحد، أو اللفظ الذى يدل على أكثر من معنى لنذكر حاله من تلك الأقسام السابقة.

وتحرى الألفاظ على هذا الطريق سوف يفتح المجال لدراسة جديدة دقيقة، توقفنا على تلك الأنواع من الألفاظ، فى صورها الحقيقية، وبذلك يمكن إخراج كثير من الألفاظ التى يحكمون عليها بأنها من المشترك أو المتضاد أو المترادف من هذه المباحث، وفيما مضى ذكرنا كلمات نشأت بالاتفاق بينها وبين دلالاتها من اختلاف اللهجات أو المجاز، أو التطور الصوتى أو غير ذلك.

(١) اللهجات العربية، د. نجما، ٩١.

(٢) فى اللهجات العربية، ط ٢، ص ١٦٩، ودور الكلمة فى اللغة، ص ١٠٩.

(٣) انظر فقه اللغة، د. نجما ٧٣/٣، ود. المزاري ٢٠٢، ودراسات فى فقه اللغة ٣٤٩، ومجلة المجمع اللغوى ١/٣١٣-٣٢٠، ٢٦٦/٤، ٢٦٧.

وقد أجرى الأستاذ على الجارم فحصاً شاملاً للأسماء الثمانية التي ذكرها للعسل، وخلص من ذلك الفحص إلى أن الكثير منها ليس من المترادف على سبيل الحقيقة والواقع اللغوي، ونورد منها بعض الكلمات، وكيفية إخراجها من المترادف على طريقة ذلك البحث الواعي.

الضرب: العسل الأبيض، واستضرب العسل: أبيضَ وغلظ، فالضرب: العسل مقيدا بصفة خاصة.

الضرب: من معانيه: المثل والرأس والموكل بالقداح، أو الذي يضرب بها، والقدح الثالث، واللبن يحلب من عدة لقاح في إناء، فليس من معانيه العسل، وأشبه الأشياء أن يكون بمعنى اللبن يحلب من عدة لقاح، وقد أطلق على العسل مجازاً، لعلاقة المشابهة، لأن العسل يجمع من عدة خلايا.

الورس: نبات كالسمسم ليس إلا باليمن، فإطلاقه على العسل مجاز، علاقته المشابهة في اللون.

الدواب: العسل، وصفة الذوبان ملحوظة، ومثله النسيلة للعسل أيضاً.

المأذبة: الخمرة السهلة في الخلق، وإطلاقها على العسل من قبيل المجاز.

لعاب النحل- رضاب النحل- جنى النحل- ريق النحل- قىء الزنابير: هذه أشبه شيء بالكنايات.

الصموت: الشهادة الممتلئة حتى ليس فيها ثقب فارغة، ففي إطلاقه على العسل مجاز مرسل، علاقته المحلية.

الختم: العسل وأفواه خلايا النحل، وختم النحل: جمع شيئاً من الشمع رقيقاً أرق من شمع القرص فطلاه به، فهي تسمية بالمجاورة.

السعابيب: ما يمتد منه الخيوط من العسل والخطمي، فتسمية العسل بها تسمية باللازم.

ثم بعد نهاية تلك الدراسة للأسماء الثمانية للعسل يقول الجارم:

وجلى مما قدمناه من الشرح أن قليلا جدا من الاسماء السابقة للعسل أطلقت عليه إطلاقا غير مقيد أو منظور فيه إلى ناحية خاصة، أما جمهرة الاسماء فهي إما مقيدة بوصف أو نسبة، وإما مجاز أو كناية<sup>(١)</sup>. ولا شك أن دراسة الألفاظ المترادفة على تلك الصورة ستخرج ألفاظا كثيرة من دائرة الترادف، وهكذا يمكن من الملاحظات العلمية الدقيقة التفريق بين ما هو منه على الحقيقة، وما هو بعيد عنه.

ولكن ذلك لا يدعونا إلى المغالاة في تتبع الفروق والدقائق التي تخرجنا عن حدود البحث المنهجي.

ويبدو لنا- كما يدعو إليه معظم الباحثين المحدثين- أن الدراسة الواعية للألفاظ التي أوردتها كتب اللغة للأنواع الثلاثة السابقة هي الطريق السليم 'فيجب- كما قال الدكتور كمال بشر- دراسة هذا الموضوع وتحديد الظروف والملابسات والقبائل والأزمان الخاصة حتى يمكن تحديد رأى حاسم فيه'<sup>(٢)</sup>.

(١) مجلة مجمع اللغة العربية ١/ ٣١٤-٣٢٠.

(٢) دور الكلمة في اللغة، التعليق، ص ١١٢.

## نتائج البحث

ثبت أن للعرب وباحثيهم - وفي مقدمتهم ابن جني - فضلا كبيرا في نشأة علم الدلالة اللغوية، وقد سبقوا في ذلك الغربيين من أمثال بريال وكروس وفونت وقد أبنا عن إرساء ابن جني لقواعده، وتوضيحه لمعالمه بالأدلة القاطعة، وكيف دافع عن قضية اللفظ والمعنى في الأدب العربي، ونقضنا وجهة القائلين بأن لغة العرب تهتم بالالفاظ أكثر من المعاني، ومنهم أجناب وعرب؛ ففي العربية من طبيعة أبنيتها، وصياغة أمثلتها، وذوق أدبها الفني الرفيع، ما يشهد لها بتفوقها في هذا الميدان، واهتمامها باللفظ والمعنى على السواء، بل المعنى هو المخدم واللفظ خادم له، كما قرر ابن جني وغيره من علماء العرب، وشهد به بعض الباحثين الأوروبيين - والفضل ما شهدت به الأعداء - وقد أثبتنا أن ابن جني في طبيعة الباحثين العرب المدافعين عن الأدب العربي، وأن ما أورد من أدلة جرت على أقلام حارسي العربية من بعده كالاستاذين أحمد أمين والعقاد.

وفي الاشتقاق سرنا مع ابن جني فيما ابتكره من ألوانه، وأثرها اللغوي، مفصلين القول فيه، وعارضين لأهدافه، ونتائجه التي كشفت عن سر عجيب لهذه اللغة، في التنوع والتفريع، ودقة الملاحظة، كما كان لبحثه أثر كبير فتح المجال لمحدثي اللغويين للاهتمام إلى أصول الالفاظ ودلالاتها.

وفي المجاز عرضنا لبيان الفرق بينه وبين الحقيقة، بإيضاح معنيهما لغة واصطلاحاً، معتمدين على نصوص لغوية واصطلاحية، من مصادر موثوق بها، من عيون كتب اللغة والبلاغة، ثم ذكرنا أنواع المجاز من مرسل واستعارة وكنابة وكيف يدرك اللفظ المجازي من الحقيقي ووسائل ذلك، كما حددنا معالم الصورة المجازية عند ابن جني، من بيان شرطه، وقيمه، وأهدافه التي لخصها في الاتساع والتوكيد والتشبيه، وعرضنا للمخالف له في ذلك، ونقدنا ما وجه إليه معتمدين على الأدلة القوية الواضحة وكيف كان ابن جني على صواب كبير، في معناه وبحثه، وكيف وافق بذلك أئمة البيان وعدّ من أعلامهم.



واقترضنا البحث أن نعرض للآراء فى اللغة، أهى حقيقة أم مجاز؟ فأوضحناها، ووازننا بينها، ونبذنا ضعيفها، واعتمدنا قويها، وهو أن أكثر اللغة مجاز دون تعسف، وفى خلال ذلك حللنا رأى ابن جنى القائل بأن "أكثرها مجاز" وناقشنا أدلته فى ذلك، بما أبان مبالغته وتعسفه، فإنه - هنا - كان متكلفا، بحيث جعل مثل (قام زيد) من المجاز، ولا معنى لذلك إلا أنه إحدى الحقائق اللغوية، أما المجاز فله أساليب أخرى حكى لنا منها الكثير من قبل.

وفى التضمن اللغوى عرضنا للآراء فيه، نحوية ولغوية وبيانية، فالكوفيون يعتمدون على أن الحروف ينوب بعضها عن بعض قياسا، أما البصريون فيجعلون للحرف الواحد معنى واحدا، ويمكن أن يستعمل فى غيره لعلاقة على سبيل المجاز - ومنه التضمن - أو نيابة بعض الحروف عن بعض شذوذا، عندما يتعذر المجاز، وعلى هذا رأى ابن جنى، بل يعد على رأسهم جميعا، لبيانه أرجاء هذا الموضوع، وكشفه عن أسرارهِ، وإيضاحه لطفه وشرفه، وأما البيانيون فيجعلون المعنى المتضمن تابعا من توابع الفعل المذكور، مدلولاً عليه بلفظ محذوف أو العكس، وأما المتأخرون من النحاة والبلاغيين فقد لفقوا مذاهبهم من مجموع المذاهب القديمة ورجح كل منهم ما اختاره من مذهبى المنع والجواز، وقد عرضنا لمعظم آرائهم فى ذلك وأبنا عن معالمها.

واطمأن بنا الرأى إلى أنه قياسى، وبه أخذ المجمع اللغوى، كما عرضنا لآراء المحدثين فى التضمن، وعقبنا عليها موافقين ومخالفين.

وفى النهاية كان ابن جنى معتمد هذه الآراء جميعا، وصاحب السبق عليها، وقد كان بحثه دقيقا فيها، وعلى جانب كبير من الصواب، أثبت به أن التضمن أسلوب تعرفه العربية، وأنه قياسى فيها، واعتقد - بعد ذلك - أنه وصل إلى ما اطمأن إليه الباحثون المحدثون، وقرار مجمع اللغة العربية بقياسية التضمن يشهد لما نقول.

وفى الارتجال تحدثنا عن آراء العلماء فيه قديما وحديثا، وما كان لابن جنى من أثر فى توضيح هذا الجانب اللغوى الهام، الذى يعد من عوامل نمو اللغة منذ

نشأتها، وأوضحنا أنه وجد لدى العرب الاوائل، ويقع فى بيئاتنا المعاصرة، لكن هنا غير هناك.

كما أوضحنا التعريب، وتحديد المعنى الدقيق، وأماراته، وطرائقه، وقيمتها فى اللغة، ورأى العلماء فيه، وما وصل إليه ابن جنى من نتائج فى مبادئه، وقياسيته وقد وافقناه حيناً وخالفناه حيناً آخر.

كما أبنا عن رأيه فى دلالة اللفظ على معان مختلفة، ودلالة عدة ألفاظ على معنى واحد فقد أثبت وجود المشترك والمتضاد والمترادف، وكان له فيها مزيد بحث، حيث أشار إلى منشئها من اختلاف اللهجات والمجاز وغيرهما من أسبابها الداعية إليها، وضرب المثل بملازمة العرب بعضهم لبعض، وساق أمثلة كثيرة على وقوعها، بيد أنه كان مبالغاً فى حديثه عن المشترك إلى حد خرج به عن طبيعة البحث المنهجى، فقد أجراه فى الحروف والحركات - كالألفاظ تماماً - مثل (من) تبعيضاً وابتداء (وإن) شرطاً ونفياً وتوكيداً، ونحو: درع دلاص وأدرع دلاص وناق هجان ونوق هجان، وكذلك حيث وقبل وبعد فى تبدل حركاتها إعراباً وبناء، فهذه فلسفة بعيدة عن هدف اللغة وقصودها.

وقد كشف عن سر رائع للعربية وراء الكلمات المترادفة، فحروف اللفظ موضوعة على قدر معناه، بما يبين الحكمة فى استعماله، وقد سلك فى ذلك طريق الاشتقاق - الذى أولع به - فى كشف هذه المعانى التى تلقى ضوءاً على حكمة الواضع، وتبين شرف اللغة ومزاياها.

وقد كنا نعرض فى أثناء ذلك الآراء المختلفة، والأسباب المتعددة، لهذه المعانى فى العربية، ونوازن بينها، ونبين السديد منها وننقض ما عداه.

## نهاية وخاتمة

صحبنا عالمنا ابن جنس - طفلاً وياقفا وشاباً وشيخاً، مع أساتذته وأصدقائه من أرباب الفكر والسلطان - وتنقلنا معه أينما حل، وحيثما سار، نعرف وقع أقدامه ونتحسس خطاه، وقد رأينا مفتاحاً للعلم منذ نشأته، عاكفاً عليه يقضى النفيس من وقته ومهجته في الحصول عليه مهما تكن المشقة أو يطل السفر. ثم تفتحت له الحياة، ففتح أبوابها المغلقة، وأشرق في سمائها نجماً لامعاً، عرفته بسماته الخلقية والعلمية.

ولما وصل إلى تلك الآفاق كانت مسئوليات العلم الجسام تفرض عليه أن يُعَلِّم - كما عُلِّم - وأن يُفِيض - كما أُفِيض عليه - وأن يهب الوجود من تجاربه - كما أفاده في سابق الأوان - وهنا كانت المرحلة الحاسمة وانتقل من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، فرسم الطريق لسفر أبعد طويلاً، وبذل له جهداً موصولاً.

عاش مع العلم، يحسى الموات، ويكشف عن المخبئات، وينقّب عن أسرار اللغة التي عشقها، فكانت شغله الشاغل، وكانى به يقول.

جرى حبها مجرى دمي في مفاصلى فاصبح لى عن كل شغل بها شغل

وهنا بدأ يخرج للناس من نتاج عقله الفذ ما بهر العقول، وأثلج الصدور، وما كان ذلك ليأتيه طوعاً في فينة من الوقت، بل كان الوقت - ينفذ وينفذ - ولا يجد ورداً له، فهو من أجله "لم يزل" ملاحظاً له عاكف الفكر عليه، منجذب الرأى والروية إليه، والوقت يزداد بنواديه ضيقاً ولا ينهج له إلى الابتداء طريقاً<sup>(١)</sup>.

وعلى الرغم من ذلك دانت له العربية التي هويها، فأفضت إليه بأسرارها، وأوحت إليه بعجائبها، فكشف عن سحرها، وبرهن على جمالها، وأعطى للباحثين صوراً رائعة من حقائقها وفنونها.

وصفها فأجاد الوصف، وفصل دقائقها فبلغ الغاية!!

(١) الخصائص ١/١ بتصرف.

وقد كان لنا معه تأملات فيما اعتقده فيها وأبرزه من أمرها.

رأيناه مع الإنسان يصف لغته (الإلهام هي أم اصطلاح؟) ويناقش نشأتها وصورته الأولى، ونشأة العربية، ويقف مع العلماء موقف الهادئ أحيانا، والثائر أحيانا أخرى، وليس هذا أو ذاك إلا نابعا من حرية رأيه، وبحسه عن الحقيقة بإيجابية محببة عند ذوى البصائر.

وفى اللهجات العربية وتنوعها والتوجيه لها كان عبقرياً حقاً؛ عجبت لما أثبتته من قواعد، وما وصل إليه من نتائج، وما هدى إليه من توجيه.

ورأينا حديثه المحلل لقياس العربية وبنائها اللغوى وأصواتها وما حدث ويحدث لها من تغيرات، ودلالاتها، بمظاهرها المتعددة، وما فى ذلك من دلالة واضحة على كثرة طرق نموها، وجوانبها الكمالية التى تضىء عليها من الظلال والأطياف ما يزيد رونقها، ويظهر ناظرها، كل أولئك كان له فيه مواقف حاسمة أبرزته بألوانه وأشكاله وآثاره التى إذا ما عرفها الباحث عرف أن تلك اللغة فريدة التكوين والتلوين.

ثم من يرى هذه الصور لا يسعه إلا أن يعلن- فى وضوح- إعجابه بهذا الإنسان الذى ارتقى درجة عن طبائع البشر، إذ فى هذه اللغة ما يحتاج إلى قوة أخرى بعيدة عن عالمنا تحى بما يكمن أو يغيب عنا من بدائعها.

ومما يحير العقول- بلا مرء- وصوله فى رسم قوانينها التى تحكم ظواهرها إلى حد لم تكتشفه الآلات إلا بعد ألف سنة من مغيب شمسها عن الوجود، ولعلها قد استمدت منه ما هداها ومهد سبيلها.

أرأنى أخيراً أتلفت من حولى أبحث فأجد كثيراً مما يجد فى عالم اللغة يشير إليه ويقول هذا أبى.

لقد رأيناه عملاقاً عربياً، وباحثاً لغوياً، أرسى دعائم الفكر اللغوى، وحدد معالمة.

وقد أعطيته من وقته جهداً كبيراً- يعد بعض وقته الذى بذله- وعاشرته فادركته على حقيقته، وحدثته فى كل صغيرة وكبيرة فأجابنى - أحياناً مع الصفو وأحياناً مع العناء - وأفضى إلى بأسراره اللغوية، فراقبنى جلاؤها، واستهوانى فيضها فشربت حتى ثملت، وأخرجت منها ما وصلت إليه من علمه، وعرضتها محددة المعالم واضحة القسمات.

وقد أشدت بآثار علمائنا السابقين، فى تكوين مادته العلمية، التى بنى عليها نتائجه الجديدة، وكان هذا لزاماً علىّ فإن ابن جنى نفسه لم يكن ليغمط حقهم، بل كثيراً ما يتبه على أن هذا من علم أساتذته وسابقيه.

كما ناقشت كل من وافقه أو خالفه حتى يستين الحق ساطعاً كوضح النهار. وفى النهاية فلن كتابى هذا - أرجو أن يكون إعلاناً لمفاخر العربية بهذا العالم العبقري.

رحمه الله وجزاه عن العربية خير الجزاء.

والحمد لله أولاً وآخراً

وظاهرًا وباطنًا

وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم



## الفهارس

١- المصادر

٢- الأعلام

٣- الموضوعات

-----

-----

## المصادر

### أ - المخطوطة:

- (١) أبو على الفارسي وأثره في النحو للدكتور عبد الكريم شعبان بمكتبة كلية اللغة العربية ٨٣٥٠ (رسائل).
- (٢) ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبي حيان الأندلسي. دار الكتب المصرية ١١٠٦ (نحو).
- (٣) إشارة التعيين إلى تراجم النحاة واللغويين لليمنى الشافعي. دار الكتب المصرية ١٦١٢ (تاريخ).
- (٤) الاشتقاق وأثره في اللغة العربية للدكتور على إبراهيم البطشة. مكتبة كلية اللغة العربية ٩٨٦٢ (رسائل).
- (٥) أصول النحو السماعية للدكتور محمد رفعت. مكتبة كلية اللغة العربية ٨٣٥١ (رسائل).
- (٦) الإغفال لأبي على الفارسي. دار الكتب المصرية ٨٧٥ (تفسير).
- (٧) الإكمال في رفع الأرتياب عن المؤلف والمؤلف من الأسماء والكنى والأنساب لابن مأكولا. دار الكتب المصرية ٨ (مصطلح).
- (٨) إيضاح المنهج في الجمع بين كتابي التنبيه والمبهم لابن ملكون. (ميكروفيلم) بمعهد إحياء المخطوطات العربية ٢٤ (لغة).
- (٩) التنبيه في شرح مشكل أبيات الحماسة لابن جني. نسخ مخطوطة ومصورة بدار الكتب المصرية ٤٤ (أدب)، ١٥٦٦٣ (ز) وبمكتبة الأزهر ٧٧٨، ٥٣٠٦ (أدب).
- (١٠) الحجة لأبي على الفارسي. دار الكتب المصرية ٤٦٢ (قراءات وتجويد).
- (١١) داعي الفلاح لمخبرات الاقتراح لابن علان. دار الكتب المصرية ٦٦٦ (نحو تيمور).
- (١٢) ذكر المذكر والمؤنث لابن جني (ميكروفيلم) بمعهد إحياء المخطوطات العربية ١٣٠ (لغة).
- (١٣) سر صناعة الإعراب لابن جني. مكتبة الأزهر ١١٦ (لغة) ودار الكتب المصرية ٥٨١٦ هـ.

- ١٤) سير أعلام النبلاء لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي. دار الكتب المصرية ١٢١٩٥ هـ.
- ١٥) شرح التصريف الملوكي لابن يعيش. دار الكتب المصرية ٣ (صرف ش).
- ١٦) شرح ديوان المتنبي لابن جنى. نسخ مخطوطة ومصورة بدار الكتب المصرية ٢٣ (أدب)، ١١٩٩ (شعر تيمور)، ١٤٥٢٢، ١٥٦٣٥ (ز).
- ١٧) شرح كتاب سيويه للسيرافي. دار الكتب المصرية ١٣٦ (نحو).
- ١٨) شرح اللمع للثمانيني. دار الكتب المصرية ١٥٧٠ (نحو).
- ١٩) شرح اللمع لأبي نصر الواسطي الضرير. دار الكتب المصرية ٥٧٦ (نحو تيمورية).
- ٢٠) شرح اللمع (لا يعرف مؤلفه). دار الكتب المصرية ٥٣٥١، ٥٤٨١ (هـ).
- ٢١) طبقات النحاة واللغويين لابن شهبة الأسدي. دار الكتب المصرية ٢١٤٦ (تاريخ تيمور).
- ٢٢) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان للعيني. دار الكتب المصرية ١٥٨٤ (تاريخ).
- ٢٣) الفرة (شرح اللمع لابن جنى) لابن المبارك الدهان. دار الكتب المصرية ١٧١ (نحو تيمورية).
- ٢٤) قشر القسر لمحمد بن الحسن الزوزنى ٤٤٨٠ (أدب طلعت) ٨٣ - ١١ (ز).
- ٢٥) المآخذ على شراح ديوان أبي الطيب المتنبي لأبي العباس الأزدي المهلبى (القسم الخاص بابن جنى) (ميكرو فيلم) بمعهد إحياء المخطوطات العربية ٧٠٣ (أدب).
- ٢٦) المحكم والمحيط الأعظم في اللغة لابن سيده. دار الكتب المصرية ٥١ (لغة).
- ٢٧) مختصر العروض لابن جنى (ميكرو فيلم) بمعهد إحياء المخطوطات العربية ١٧ (عروض).
- ٢٨) مختصر القوافى لابن جنى (ميكرو فيلم) بمعهد إحياء المخطوطات العربية ٢٦ (قواف).
- ٢٩) مسألة إعراب (إذا) (ميكرو فيلم) بمعهد إحياء المخطوطات العربية ٢٣٢ (لغة).
- ٣٠) المسائل البصريات لأبي على الفارسي (ميكرو فيلم) بمعهد إحياء المخطوطات العربية ١٥١ (نحو).

(٣١) المسائل البغداديات لأبي على الفارسي (ميكرو فيلم) بمعهد إحياء المخطوطات العربية ١٥٢ (نحو).

(٣٢) المسائل الحلبية لأبي على الفارسي. دار الكتب المصرية ٦٣٣٣ هـ).

(٣٣) المسائل الشيرازيات لأبي على الفارسي (ميكرو فيلم) بمعهد إحياء المخطوطات العربية ١٥٣ (نحو).

(٣٤) المسائل العسكرية لأبي على الفارسي (ميكرو فيلم) بمعهد إحياء المخطوطات العربية ١٥٤ (نحو).

(٣٥) مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري. دار الكتب المصرية ٥٥٩، (معارف عامة).

#### ب- المطبوعة:

(٣٦) الإبدال لأبي الطيب اللغوي. دمشق ١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠ م.

(٣٧) أبنية الصرف في كتاب سيبويه للدكتورة خديجة الحديثي. بغداد. ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م.

(٣٨) أبنية العربية في ضوء علم التشكيل الصوتي. للدكتور عبد الغفار هلال. ط. الأولى، ١٩٧٩ م.

(٣٩) أبو على الفارسي للدكتور عبد الفتاح شلبي. نهضة مصر ١٩٥٨ م.

(٤٠) الإلتقان للسيوطي. مصطفى الحلبي ١٣٧٠ هـ - ١٩٥١ م.

(٤١) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي. لندن ١٩٠٦ م.

(٤٢) الإحكام في أصول الأحكام للآمدي. المعارف ١٣٣٢ هـ - ١٩١٤ م.

(٤٣) أراجيز العرب لمحمد توفيق البكري. ط. المليجية ١٣٤٦ هـ.

(٤٤) إرشاد الأريب المعروف بمعجم الأدباء لياقوت الحموي. ط. الأولى ١٩٢٧ م.

(٤٥) أسباب حدوث الحروف لابن سينا. ط. المؤيد ١٣٣٢ هـ.

(٤٦) أسرار البلاغة للإمام عبد القاهر الجرجاني. المنار ١٣٤٤ هـ - ١٩٢٥ م.

(٤٧) أسرار العربية لعبد الرحمن بن محمد الأنباري. ط. لندن.

(٤٨) الأشباه والنظائر للسيوطي. ط. حيدر آباد.



٤٩) أشتات مجتمعات فى اللغة والأدب للأستاذ عباس العقاد. دار المعارف، الطبعة الثانية.

٥٠) الاشتقاق لابن دريد. السنة المحمدية ١٣٧٨هـ - ١٩٥٨م.

٥١) الاشتقاق للأستاذ عبد الله أمين. لجنة التأليف ١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م.

٥٢) الاشتقاق والتعريب للأستاذ عبد القادر المغربي. لجنة التأليف ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م.

٥٣) أشعار الهذليين ما بقى منها فى النسخة اللغدونية (الليدينية) برلين ١٨٨٤م.

٥٤) الأشمونى مع الصبان. دار إحياء الكتب العربية.

٥٥) أصل العرب ولغتهم بين الحقائق والأباطيل للدكتور عبد الغفار هلال. ط ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م. الناشر دار الفكر العربى.

٥٦) أصوات اللغة للدكتور عبد الرحمن أيوب. دار التأليف الطبعة الأولى.

٥٧) أصوات اللغة العربية للدكتور عبد الغفار هلال. الطبعة الثانية ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م. الناشر مكتبة وهبة.

٥٨) الأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس. لجنة البيان العربى ١٩٦١.

٥٩) الأصول الفنية للأدب للأستاذ عبد الحميد حسن. العلوم ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م.

٦٠) الأضداد لمحمد بن القاسم الأنبارى. الكويت ١٩٦٠م.

٦١) الأعلام للزركلى ١٣٧٣هـ - ١٣٧٨هـ (١٩٥٤م - ١٩٥٩م)

٦٢) الأغانى لأبى الفرج الأصبهاني ط. التقدم.

٦٣) الاقتراح للسيوطى. الطبعة الأولى.

٦٤) الألفاظ الفارسية المعربة لأدى شير. بيروت ١٩٠٨م.

٦٥) الإمالة فى القراءات واللهجات العربية للدكتور عبد الفتاح شلى. نهضة مصر ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.

٦٦) إملاء ما من به الرحمن لأبى البقاء العكبرى ١٣٨٠هـ - ١٩٦١م.

٦٧) إنباء الرواة للقفطى. دار الكتب ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م.

٦٨) الإنصاف فى مسائل الخلاف لعبد الرحمن بن محمد الأنبارى ١٣٨٠هـ - ١٩٦١م.

- ٦٩) أوضح المسالك لابن هشام ومعه منار السالك للأستاذين محمد عبد العزيز النجار وعبد العزيز حسن. مطبعة الفجالة.
- ٧٠) الإيضاح في علل النحو لأبي القاسم الزجاجي. مطبعة المدني ١٣٧٨هـ-١٩٥٩م.
- ٧١) البحر المحيط لأبي حيان الأنديلسي. السعادة ١٣٢٨هـ.
- ٧٢) البداية والنهاية لأبي الفدا. ط السعادة.
- ٧٣) بغية الوعاة للسيوطي. ط السعادة ١٣٢٦، الحلبي ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.
- ٧٤) البلغة في أصول اللغة للسيد محمد صديق خان. القسطنطينية ١٢٩٦هـ.
- ٧٥) تاج العروس بشرح القاموس للسيد مرتضى الزبيدي. المطبعة الخيرية بمصر ١٣٠٦هـ، ط بيروت ١٣٨٦هـ-١٩٦٦م.
- ٧٦) تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري. دار الكتاب العربي ١٣٧٦هـ-١٩٥٦م.
- ٧٧) تاريخ آداب العرب للأستاذ مصطفى صادق الرافعي. مطبعة الاخبار ١٩١١م.
- ٧٨) تاريخ آداب اللغة العربية للأستاذ جورجى زيدان. دار الهلال.
- ٧٩) تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار. ط ٢ دار المعارف.
- ٨٠) تاريخ الأدب العربي للأستاذ أحمد حسن الزيات. ط نهضة مصر.
- ٨١) تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الثاني للدكتور إبراهيم أبو الخشب. ط دار الثقافة العربية.
- ٨٢) تاريخ الدول القسم الثاني للدكتور زكى غيث وآخرين. دار الطباعة المحمدية ١٣٧٨هـ-١٩٥٨م.
- ٨٣) تاريخ الإسلام السياسي للدكتور حسن إبراهيم. النهضة المصرية ج٣- ١٩٦٥م، ج٤- ١٩٦٧م.
- ٨٤) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي. السعادة ١٣٤٩هـ-١٩٣١م.
- ٨٥) تاريخ اللغات السامية للدكتور إسرائيل ولفسون. الاعتماد ١٣٤٨هـ-١٩٢٩م.
- ٨٦) تاريخ الموصل للقس سليمان صائغ ج١ ط السلفية بمصر ١٣٤٢هـ-١٩٢٣م، ج٢ بيروت ١٩٢٨م.

- (٨٧) التبيان فى تصنيف الأسماء للدكتور أحمد كحيل . السعادة . الطبعة الأولى .
- (٨٨) تنمة اليتيمة للثعالبي . طهران ١٣٥٣هـ .
- (٨٩) تشقيف اللسان لابن مكى الصقلی . لجنة إحياء التراث الإسلامى ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م .
- (٩٠) التجويد والأصوات للدكتور إبراهيم نجما . ط السعادة .
- (٩١) تجويد القرآن الكريم من منظور علم الأصوات الحديث للدكتور عبد الغفار هلال . ط . الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م ، الناشر دار الفكر العربى .
- (٩٢) تحقيق النصوص ونشرها للأستاذ عبد السلام هارون . لجنة التأليف ١٣٧٤هـ - ١٩٥٤م .
- (٩٣) التصحيف والتحريف لأبى أحمد العسكرى . مطبعة الظاهر ١٣٢٦هـ - ١٩٠٨م .
- (٩٤) التصريف الملوکى لابن جنس . ط أوروبا (ليبيج) ١٨٨٥ ، ط مصر (شركة التمدن الصناعية) ١٣٣١هـ - ١٩١٣م .
- (٩٥) التطور اللغوى التاريخى للدكتور إبراهيم السامرائى . دار الرائد . القاهرة ١٩٦٦م .
- (٩٦) التطور النحوى للأستاذ برجسترا سر ١٩٢٩م .
- (٩٧) تفسير أرجوزة أبى نواس لابن جنس . دمشق ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م .
- (٩٨) تفسير القرطبي . ط الشعب .
- (٩٩) تفسير القاضى ناصر الدين البيضاوى . جدة المكرمة ١٣٥٨هـ .
- (١٠٠) التمام فى تفسير أشعار هذيل . بغداد ١٣٨١هـ - ١٩٦٢م .
- (١٠١) تهذيب اللغة للأزهري . الدار المصرية للتأليف والترجمة . مطابع سجل العرب .
- (١٠٢) الجوهرة لابن دريد . مطبعة المعارف بحيدرآباد . الطبعة الأولى ١٣٤٤هـ .
- (١٠٣) حاشية الخضرى على شرح ابن عقيل . المطبعة الأزهريه ١٣٥٠هـ - ١٩٣٢م .
- (١٠٤) حاشية السجاعى على شرح ابن عقيل . المطبعة العامرية ١٣٠٧هـ .
- (١٠٥) الحجة لأبى على الفارسى . الجزء الأول . ط دار الكتاب العربى .
- (١٠٦) الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى للأستاذ آدم متر . ترجمة الأستاذ (محمد عبد الهادى أبو ريده) ط لجنة التأليف ١٣٧٧هـ - ١٩٥٧م .

- (١٠٧) الحيوان للمجاط. ط مصطفى الحلبي ١٣٥٦هـ - ١٩٣٨م.
- (١٠٨) خزانة الادب لابن عمر البغدادي. الطبعة الاولى بيولاى ١٢٩٩هـ، ط دار الكتاب العربى ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م، بتحقيق وشرح الأستاذ عبد السلام هارون.
- (١٠٩) الخصائص لابن جنى. ط. دار الكتب ١٣٧١هـ - ١٣٧٦هـ (١٩٥٢ - ١٩٥٦م) مع مقدمة محققه الشيخ محمد على النجار.
- (١١٠) خصائص العربية ومنهجها الاصيل فى التجديد والتوليد للدكتور محمد المبارك. ط ١٩٦٠م
- (١١١) الخطط للمقرئى. دار الطباعة المصرية بيولاى ١٢٧٠هـ.
- (١١٢) دائرة المعارف الإسلامية ترجمة الأستاذ محمد ثابت الفندى وآخرين ١٣٥٢هـ - ١٩٣٣م.
- (١١٣) دراسات فى التاريخ الإسلامى للدكتور جاد رمضان. دار الطباعة المحمدية - ١٣٨١هـ. ١٩٦٢م.
- (١١٤) دراسات فى العربية وتاريخها للإمام . هـ الخضر حسين. ط دمشق ١٣٨٠هـ، ١٩٦٠م.
- (١١٥) دراسات فى علم الصرف للدكتور عبد الله درويش. الطباعة القومية ١٩٦٢م.
- (١١٦) دراسات فى فقه اللغة للدكتور صبحى الصالح. ط بيروت ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م.
- (١١٧) دراسات فى اللغة للدكتور إبراهيم السامرائى. بغداد ١٩٦١م.
- (١١٨) دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجانى. المطبعة العربية ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م.
- (١١٩) دلالة الألفاظ للدكتور إبراهيم أنيس. الأنجلو المصرية ١٩٥٨م.
- (١٢٠) دلالة الألفاظ العربية وتطورها للدكتور مراد كامل ١٩٦٣م.
- (١٢١) دور الكلمة فى اللغة لاستيفن أولمان ترجمة الدكتور كمال بشر ١٩٦٢م.
- (١٢٢) دول الإسلام للمحافظ الذهبى. دار المعارف بحيدرآباد ١٣٣٧هـ.
- (١٢٣) ديوان أبى تمام. ط. بيروت ١٣٨٧هـ - ١٩٦٨م.
- (١٢٤) ديوان ابن الرومى. القاهرة ١٣٤٢هـ - ١٩٢٤م.
- (١٢٥) ديوان البحتري. دار المعارف ١٩٦٣م.

- (١٢٦) ديوان الشريف الرضى. بيروت ١٣٨٠هـ - ١٩٦١م.
- (١٢٧) ديوان صفى الدين الحلى. المطبعة العلمية ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م.
- (١٢٨) ديوان الهذليين. دار الكتب ١٣٦٤هـ - ١٣٦٩هـ (١٩٤٥م - ١٩٥٠م).
- (١٢٩) رأى فى بعض الأصول اللغوية والنحوية للأستاذ عباس حسن. مطبعة العالم العربى ١٣٧١هـ - ١٩٥١م.
- (١٣٠) الرد على النحاة لابن مضاء الاندلسى. لجنة التأليف ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م.
- (١٣١) الرسالة للإمام الشافعى. ط ١٣١٠هـ، ط ١٣٥٨هـ.
- (١٣٢) الزينة فى الكلمات الإسلامية والعربية لأبى حاتم الرازى (ط ٢) ١٩٥٧م.
- (١٣٣) سر صناعة الإعراب لابن جنى الجزء الأول. ط ١٣٧٤هـ - ١٩٥٤م.
- (١٣٤) سر الفصاحة لابن سنان الخفاجى. ط. صبيح ١٣٧٢هـ - ١٩٥٣م.
- (١٣٥) سر الليال فى القلب والإبدال لأحمد فارس الشدياق. الأستانة ١٢٨٤هـ.
- (١٣٦) سفر التكوين (الترجمة العربية) جمعية التوراة البريطانية والأمريكية بالقاهرة.
- (١٣٧) سيويه إمام النحاة للأستاذ على النجدى ناصف. لجنة البيان العربى - ١٣٧٢هـ - ١٩٥٣م.
- (١٣٨) شذرات الذهب لابن العماد. مكتبة القدسى ١٣٥٠هـ.
- (١٣٩) شرح أشعار الهذليين صنعة أبى سعيد السكرى. ليدن ١٨٥٤م.
- (١٤٠) شرح أشعار الهذليين صنعة أبى سعيد السكرى بتحقيق الأستاذ عبد الستار فراج. مطبعة المدنى.
- (١٤١) شرح التصريح للشيخ خالدة الأزهري. ط. دار إحياء الكتب العربية، المطبعة الأزهريّة ١٣٢٥هـ.
- (١٤٢) شرح ديوان الحماسة للمرووقى. لجنة التأليف ١٩٦٧، ١٩٦٨م.
- (١٤٣) شرح ديوان الحماسة للتبريزى. ط. حجازى بتحقيق الشيخ محمد محبى الدين عبد الحميد.
- (١٤٤) شرح ديوان المتنبي للواحدى. برلين ١٢٧٦هـ - ١٨٦٠م.



(١٤٥) شرح الشافية للرضى. ط. صبيح ١٣٤٥هـ و ط. حجازى بتحقيق الأستاذ محمد نور الحسن وآخرين، ولعبد الله الحسينى والفاضل العصام. ط. دار إحياء الكتب العربية.

(١٤٦) شرح شذور الذهب لابن هشام. ط. صبيح ١٣٨٠هـ - ١٩٦١م.

(١٤٧) شرح المفصل لابن يعيش. ط. المنيرية.

(١٤٨) الشعر والشعراء لابن قتيبة. دار المعارف ١٩٦٦م.

(١٤٩) الصاحبى لابن فارس. المؤيد ١٣٢٨هـ - ١٩١٠م، ويبروت ١٣٨٢هـ - ١٩٦٤م.

(١٥٠) شفاء الغليل فيما فى كلام العرب من الدخيل لشهاب الدين الخفاجى. ط ١٢٨٢هـ.

(١٥١) صبح الاعشى لأبى العباس أحمد القلقشندى. الاميرية ١٣٣١هـ - ١٩١٣م.

(١٥٢) الصبح المنبى عن حثية المتنبى. دار المعارف ١٩٦٣م.

(١٥٣) صحيح البخارى. ط الشعب ومع شرح بدر الدين العيني. ط المنيرية.

(١٥٤) صحيح مسلم بشرح النووى. المطبعة المصرية ١٣٤٧هـ - ١٩٢٩م.

(١٥٥) صفة جزيرة العرب للهمداني. لندن ١٨٨٤م.

(١٥٦) الفرائد وما يسوغ للشاعر دون الناثر للسيد محمود شكرى الألوسى. ط السلفية ١٣٤١هـ.

(١٥٧) طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحى. دار المعارف ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م.

(١٥٨) الطبقات الكبرى لابن سعد. بيروت ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.

(١٥٩) طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م.

(١٦٠) طرق تنمية الالفاظ فى اللغة للدكتور إبراهيم أنيس. النهضة الجديدة ١٩٦٦م - ١٩٦٧م.

(١٦١) ظهر الإسلام للأستاذ أحمد أمين الجزء الثانى. لجنة التأليف ١٩٥٢م.

(١٦٢) العربية ليوهان فك ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار. دار الكتاب العربى ١٣٧٠هـ - ١٩٥١م.

- (١٦٣) العربية: خصائصها وسماتها للدكتور عبد الغفار هلال. الطبعة الخامسة ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، الناشر مكتبة وهبة.
- (١٦٤) عقود الهمز وخواص أمثلة الفعل لابن جنى مع رسالتين أخريين له هما (المقتضب وما يحتاج إليه الكاتب) بالمطبعة المصرية بمصر ١٣٤٢هـ - ١٩٢٣م.
- (١٦٥) علم الدلالة اللغوية للدكتور عبد الغفار هلال. ط ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- (١٦٦) علم اللغة للدكتور على عبد الواحد وافي. ط السلفية ١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م، نهضة مصر ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م.
- (١٦٧) علم اللغة للدكتور محمود السمران. دار المعارف ١٩٦٢م.
- (١٦٨) علم اللغة بين القديم والحديث للدكتور عبد الغفار هلال. الطبعة الرابعة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
- (١٦٩) العمدة لابن رشيقي. السعادة ١٣٢٥هـ - ١٩٠٧م، حجازي ١٣٥٣هـ - ١٩٣٤م.
- (١٧٠) العين للخليل بن أحمد الفراهيدي الجزء الأول. ط بغداد ١٣٨٦هـ - ١٩٦٧م.
- (١٧١) غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجوزي. السعادة ١٣٥١هـ - ١٩٣٢م.
- (١٧٢) فقه اللغة للدكتور إبراهيم نجا السعادة ج ٣ - ١٩٦٥، ج ٤ ١٩٦١ وطبعة أخرى جديدة.
- (١٧٣) فقه اللغة للأستاذ أحمد الإسكندري. مطبعة القاهرة ١٣٤٥هـ - ١٩٢٦م.
- (١٧٤) فقه اللغة للدكتور عبد الله العزاري. دار الطباعة المحمدية ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.
- (١٧٥) فقه اللغة للدكتور وافي. لجنة البيان العربي ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م، ١٣٨١هـ - ١٩٦٢م.
- (١٧٦) فقه اللغة للدكتور محمد المبارك. ط جامعة دمشق ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م.
- (١٧٧) فقه اللغة للدكتور طه عبد الحميد. دار التأليف ١٩٦٨ - ١٩٦٩م.
- (١٧٨) فلسفة اللغة للأستاذ كمال يوسف الحاج. بيروت ١٩٥٦م.
- (١٧٩) فلسفة اللغة العربية للدكتور عثمان أمين. الدار القومية للتأليف والترجمة ١٩٦٥م.
- (١٨٠) فلسفة اللغة العربية وتطورها للأستاذ جبر ضومط. مطبعة المقتطف ١٩٢٩م.

- (١٨١) الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية للأستاذ جورجى زيدان. دار الهلال ١٩٢٣م.
- (١٨٢) الفهرست لابن النديم. المطبعة الرحمانية ١٣٤٨هـ.
- (١٨٣) فوات الوفيات لابن شاکر الکتبی. ط بولاق ١٢٨٣هـ، ط السعادة ١٩٥١م.
- (١٨٤) فی الأدب الجاهلی للدكتور طه حسین. مطبعة الاعتماد ١٣٤٥هـ-١٩٢٧م.
- (١٨٥) فی أصول اللغة (مجموعة القرارات التي أصدرها المجمع اللغوى عن الدورة التاسعة والعشرين إلى الدورة الرابعة والثلاثين فی أقیسة اللغة وأوضاعها العامة) ط ١٣٨٨هـ-١٩٦٩م.
- (١٨٦) فی اللهجات العربية للدكتور إبراهيم أنیس (ط٢) لجنة البیان العربی ١٩٥٢م، ط (٣) المطبعة الفنية الحديثة ١٩٦٥م.
- (١٨٧) فی النحو العربی للدكتور مهدی المخزومی. ط. مصطفى الحلبي ١٣٨٦هـ-١٩٦٦م.
- (١٨٨) القاموس المحيط. ط ١٢٧٢هـ، وبولاق ١٢٨٩هـ، الحسينية ١٣٣٠هـ والسعادة ١٣٣٢هـ - ١٩١٣م.
- (١٨٩) القراءات القرآنية فی ضوء علم اللغة الحديث للدكتور عبد الصبور شاهين. دار القلم ١٩٦٦م.
- (١٩٠) القراءات واللهجات من منظور علم الأصوات الحديث للدكتور عبد الغفار هلال. الطبعة الثانية ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، الناشر دار الفكر العربی.
- (١٩١) قضايا لغوية للدكتور كمال بشر ١٩٦٢م.
- (١٩٢) قضية الأدب بین اللفظ والمعنى للأستاذ أحمد عنبر. دار الكتاب العربی ١٩٥٤م.
- (١٩٣) القياس فی اللغة العربية للإمام محمد الخضر حسین. السلفية ١٣٥٣هـ.
- (١٩٤) الكامل لابن الاثير. ط الأهرية ١٣٠٦هـ. وط المنيرية ١٣٥٣هـ.
- (١٩٥) الكامل فی اللغة والأدب للمبرد. ط ١٣٥٦هـ-١٩٣٧م.
- (١٩٦) الكتاب لسيويه. ط بولاق ١٩١٦م، ١٩١٧م وبتحقيق الأستاذ عبد السلام هارون ج١ ط دار القلم ١٣٨٥هـ-١٩٦٦م، ج٢ ط دار الكتاب العربی ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م.

- (١٩٧) الكشف للزمخشري. ط بولاق ١٢٨١هـ، ١٣٨٥هـ-١٩٦٦م.
- (١٩٨) كشف اصطلاحات الفنون للتهانوي. ط. بيروت.
- (١٩٩) كشف الظنون للعالم عبد الله الشهير بحاجي خليفة ط ١٣١٠هـ، ١٣٦٠هـ - ١٩٤١م.
- (٢٠٠) اللباب في تهذيب الانساب لابن الاثير. مكتبة القدسي ١٣٥٧هـ.
- (٢٠١) لسان العرب لابن منظور. ط. بولاق ١٣٠٠هـ-١٣٠٧هـ، ط. بيروت ١٣٧٥هـ-١٩٥٦م.
- (٢٠٢) اللغة للأستاذ فنديرس تعريب الأستاذين عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص. لجنة البيان العربي ١٣٧٠هـ-١٩٥٠م.
- (٢٠٣) اللغة بين المعيارية والوصفية للدكتور تمام حسان. الانجلو المصرية ١٩٥٨م.
- (٢٠٤) اللغة والتجدد للأستاذ عبد القادر الكرمانى. المطبعة العلمية بحلب ١٣٥٧هـ-١٩٣٨م.
- (٢٠٥) اللغة الشاعرة للأستاذ عباس العقاد. مطبعة مخيمر ١٩٦٠م.
- (٢٠٦) اللغة العربية كائن حي للأستاذ جورجى زيدان. دار الهلال.
- (٢٠٧) اللغة العربية فى ماضيها وحاضرها ومستقبلها للأستاذ جورجى الكفورى. ط. بيروت ١٩٤٨م.
- (٢٠٨) اللغة والفكر للأستاذ عبد العزيز القوصى وآخرين. الاميرية ١٩٤٨م.
- (٢٠٩) اللغة والمجتمع للدكتور وافي. دار إحياء الكتب العربية ١٣٦٤هـ-١٩٤٥م.
- (٢١٠) اللغة والنحو للدكتور حسن عون. الانجلو المصرية ١٩٥٢م.
- (٢١١) اللغة والنحو بين القديم والحديث للأستاذ عباس حسن. دار المعارف ١٩٦٦م.
- (٢١٢) اللهجات العربية للدكتور نجا. السعادة.
- (٢١٣) اللهجات العربية فى القراءات القرآنية للدكتور عبده الراجحي. دار المعارف ١٩٦٩م.
- (٢١٤) اللهجات العربية نشأة وتطوراً للدكتور عبد الغفار هلال. ط ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م. الناشر دار الفكر العربى.

- (٢١٥) ليس فى كلام العرب لابن خالويه. الطبعة الاولى بالمطبعة المحمودية التجارية.
- (٢١٦) المبهج فى تفسير أسماء شعراء ديوان الحماسة لابن جنى. دمشق ١٣٤٨هـ.
- (٢١٧) المثل السائر لابن الاثير. ط. حجازى ١٣٥٤هـ - ١٩٣٥م، ط. نهضة مصر بتحقيق الدكتور أحمد الحوفى وبدوى طبانة.
- (٢١٨) مجلة الأزهر عدد شوال سنة ١٣٨٠هـ - مارس ١٩٦١م.
- (٢١٩) مجلة الأزهر عدد جمادى الآخرة ١٣٨٢هـ - نوفمبر ١٩٦٢م.
- (٢٢٠) مجلة الأزهر عدد رجب ١٣٨٢هـ - ديسمبر ١٩٦٢م.
- (٢٢١) مجلة الأزهر عدد شوال سنة ١٣٨٦هـ - يناير ١٩٦٧م.
- (٢٢٢) مجلة كلية اللغة العربية فى الرياض (بحوث ودراسات فى اللغة العربية وآدابها). الجزء الاول ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- (٢٢٣) مجلة المجمع اللغوى ١-٤ ط ١٣٥٣ - ١٣٥٨هـ. (١٩٣٥ - ١٩٣٩م)، ج ٧ ط ١٩٥٣م.
- (٢٢٤) مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق المجلدات ٢٤، ٢٥ ط ١٣٦٨هـ - ١٣٦٩هـ.
- (١٩٤٩م - ١٩٥٠م)، ٣٠ - ٣٢ ط ١٣٧٤ - ١٣٧٦هـ (١٩٥٥ - ١٩٥٧م).
- (٢٢٥) مجلة منبر الإسلام العدد ٧ السنة ١٨ ديسمبر سنة ١٩٦٠م.
- (٢٢٦) مجمع الامثال للميدانى. السعادة ١٣٧٩هـ - ١٩٥٩م.
- (٢٢٧) مجيب الندا بشرح قطر الندى للفاكهى. دار الكتب العربية الكبرى (مصطفى الحلى).
- (٢٢٨) محاضرات فى فقه اللغة ألقاها أستاذنا الدكتور محمد قناوى على طلبة الصف الثالث بكلية اللغة العربية عام ١٩٦٣م.
- (٢٢٩) محاضرات فى النحو المقارن ألقاها الدكتور يعقوب بكر على طلبة الشهادة العالية بكلية اللغة العربية عام ١٩٦٤م.
- (٢٣٠) محاضرات فى اللهجات وأسلوب دراستها للدكتور أنيس فريحة ١٩٥٥م.
- (٢٣١) محاضرات مؤتمر المجمع اللغوى الدوريتين (١٥، ١٦) ١٩٤٨م - ١٩٥٠م.
- (٢٣٢) المحتسب لابن جنى. دار التحرير ١٣٨٦هـ - ١٣٨٩هـ.



- (٢٣٣) المحكم والمحيط الأعظم فى اللغة لابن سيده. ط مصطفى الحلبي ١٣٧٧هـ-  
١٩٥٨م.
- (٢٣٤) مختصر الإمام سعد الدين التفتازانى على متن التلخيص. المطبعة الخيرية  
١٣٢٩هـ.
- (٢٣٥) المختصر فى أخبار البشر لأبى الفدا. الطبعة الأولى بالمطبعة الحسينية المصرية.
- (٢٣٦) مختصر المنتهى الاصولى لابن الحاجب الأسنوى. القاهرة ١٣٢٦هـ.
- (٢٣٧) المخصص لابن سيده. ط الاميرية ببولاق ١٣٢٠هـ، ط بيروت.
- (٢٣٨) المدخل إلى دراسة النحو العربى على ضوء اللغات السامية للأستاذ عبد المجيد  
عابدين. الطبعة الأولى ١٩٥١م.
- (٢٣٩) مدرسة الكوفة ومنهجها فى دراسة اللغة والنحو للدكتور مهدى الخزومى. ط.  
مصطفى الحلبي ١٣٧٧هـ- ١٩٥٨م.
- (٢٤٠) المذاهب الإسلامية فى تفسير القرآن للمستشرق (جولد تسيهر) ترجمة الدكتور  
على حسين عبد القادر. ط ١٣٦٣هـ- ١٩٤٤م.
- (٢٤١) مرآة الجنان وعبرة اليقظان لليافعى اليمنى. دار المعارف بحيدر آباد ١٣٣٩هـ.
- (٢٤٢) مراجعات فى الآداب والفنون للأستاذ العقاد. نشر إلياس أنطون إلياس صاحب  
المطبعة المصرية.
- (٢٤٣) المرجع فى تعريب المصطلحات للمهندس حسين فهمى. النهضة المصرية،  
١٩٥٨م.
- (٢٤٤) مروج الذهب للمسعودى. ط. الرجاء ١٣٥٧هـ- ١٩٣٨م.
- (٢٤٥) المزهرة للسيوطى. المطبعة السنية ١٢٨٢هـ، ط صيخ.
- (٢٤٦) المستصطفى من علم الأصول للإمام أبى حامد الغزالى. ط بولاق ١٣٢٢هـ.
- (٢٤٧) المسلك اللغوى ومهاراته للأستاذ (محمد أبو العزم) مطبعة مصر ١٣٧٢هـ-  
١٩٥٣م.
- (٢٤٨) المشتبه فى الرجال أسمائهم وأنسابهم لابن قايماز الذهبى. دار إحياء الكتب  
العربية ١٩٦٢م.

- (٢٤٩) مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية للدكتور ناصر الدين الأسد. دار المعارف ١٩٦٦ م.
- (٢٥٠) المعاجم اللغوية للدكتور نجما. ط السعادة ١٣٨١ هـ - ١٩٦٢ م.
- (٢٥١) معجم الأدباء لياقوت الحموي. ط دار المأمون ١٣٥٥ هـ - ١٩٣٦ م.
- (٢٥٢) معجم البلدان لياقوت الحموي. ط ليبزج ١٨٦٦ ، ١٨٦٧ م.
- (٢٥٣) معجمات عربية سامية للأب مرمجي الدومنيكي. مطبعة المرسلين اللبنانيين ١٩٥٠ م.
- (٢٥٤) المعجمية العربية على ضوء الثنائية والالسانية السامية (للأب مرمجي) مطبعة الآباء الفرنسيس في القدس ١٩٣٧ م.
- (٢٥٥) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. وضع الأستاذ محمد عبد الباقي. ط الشعب ١٣٧٨ هـ.
- (٢٥٦) العرب للجواليقي مع مقدمته للأستاذ أحمد شاکر والدكتور عبد الوهاب عزام. ط دار الكتب ١٣٦١ هـ والطبعة المعادة عليها بالافست في طهران ١٩٦٦ م.
- (٢٥٧) المغنى في تصريف الأفعال للدكتور محمد عزيمة. ط العهد الجديد ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م.
- (٢٥٨) مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام. المطبعة الأزهرية ١٣٤٧ هـ - ١٩٢٨ م وط المدني بتحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد.
- (٢٥٩) مفاتيح الغيب وبهامشه تفسير أبي السعود. المطبعة الخيرية ١٣٠٧ هـ.
- (٢٦٠) مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده. مطبعة الاستقلال الكبرى.
- (٢٦١) مفتاح العلوم للسكاكي. الطبعة الأولى ١٣١٧ هـ.
- (٢٦٢) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني. ط مصطفى الحلبي ١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م.
- (٢٦٣) المفضليات للضبي. دار المعارف ١٣٦١ هـ.
- (٢٦٤) مقاييس اللغة لابن فارس ومقدمة محققه الأستاذ عبد السلام هارون. دار إحياء الكتب العربية ١٣٦٦ هـ.

- (٢٦٥) المقتضب لابن جنى. ط ليبزج بألمانيا ١٩٠٤م وطبع مصر مع رسالتين أخريين (انظر عقود الهمز).
- (٢٦٦) المقتطف ج ٣، ٢٨ رمضان ١٣٦٦هـ - ١٥ أغسطس ١٩٤٧م.
- (٢٦٧) مقدمة ابن خلدون ج ١ ط بولاق ١٢٨٤هـ، ج ٤ ط لجنة البيان العربى ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م.
- (٢٦٨) مقدمة لدرس لغة العرب للأستاذ عبد الله العلايلي. المطبعة المصرية.
- (٢٦٩) مميزات لغة العرب للأستاذ حنفى ناصف. السعادة ١٣٣٠هـ.
- (٢٧٠) من أسرار اللغة للدكتور إبراهيم أنيس. الأنجلو المصرية. ط الاولى ١٩٥١م، الثالثة ١٩٦٦م.
- (٢٧١) مناهج البحث فى اللغة للدكتور تمام حسان. ط الرسالة ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م.
- (٢٧٢) مناهج البحث فى اللغة والمعجم للدكتور عبد الغفار هلال، ط. الاولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
- (٢٧٣) ما ورد فى القرآن الكريم من لغات القبائل لأبى عبيد القاسم بن سلام. دار القلم (مع تفسير الجلالين) ١٩٦٦م.
- (٢٧٤) ما يحتاج إليه الكاتب لابن جنى (انظر عقود الهمز).
- (٢٧٥) المنتظم لابن الجوزى. دار المعارف. حيدرآباد ١٣٥٨هـ.
- (٢٧٦) منجد المقرئين لابن الجزرى. ط القدسي ١٣٥٠هـ.
- (٢٧٧) المنصف لابن جنى. ط مصطفى الحلبي ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م.
- (٢٧٨) الموسوعة العربية الميسرة بإشراف محمد شفيق غربال. دار القلم ١٩٦٥م.
- (٢٧٩) الثر الفنى فى القرن الرابع للدكتور زكى مبارك. السعادة (ط ٢).
- (٢٨٠) النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى. دار الكتب المصرية ج ٣ - ١٣٥١هـ - ١٩٣٢م، ج ١٠ - ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م.
- (٢٨١) نزهة الألباء لعبد الرحمن بن محمد الأنبارى. ط ١٢٩٤هـ.
- (٢٨٢) نشأة الفعل الرباعى فى اللغات السامية الحية للدكتور مراد كامل. ط المعهد العلمى الفرنسى ١٩٦٣م.

- ٢٨٣) نشأة اللغة عند الإنسان والطفل للدكتور على عبد الواحد وافى (ط١) - ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م.
- ٢٨٤) نشأة اللغات للأستاذ محمود النشوى. الطبعة الأولى.
- ٢٨٥) نشأة النحو للشيخ محمد الطنطاوى. مطبعة وادى الملوك ١٣٧٤هـ - ١٩٥٤م.
- ٢٨٦) نشوء اللغة العربية ونموها واكتمالها للأب أنستاس مارى الكرملى. المطبعة العصرية ١٩٣٨م.
- ٢٨٧) النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى. ط مصطفى الحلبي بتحقيق الشيخ الضباع.
- ٢٨٨) نهاية الارب لأبى العباس أحمد القلقشندى. العربية للطباعة والنشر ١٣٧٨هـ - ١٩٥٩م.
- ٢٨٩) نهاية القول المفيد فى علم التجويد للشيخ محمد مكى نصر. مطبعة مصطفى الحلبي ١٣٤٩هـ.
- ٢٩٠) النوادر لأبى زيد الأنصارى. بيروت ١٨٩٤م.
- ٢٩١) همع الهوامع شرح جمع الجوامع للسيوطى. ط. السعادة ١٣٢٧هـ.
- ٢٩٢) الوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضى الجرجانى. الطبعة الثالثة. دار إحياء الكتب العربية.
- ٢٩٣) وفيات الأعيان لابن خلكان. السعادة ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م.
- ٢٩٤) يتيمة الدهر للثعالبي. ط الصاوى ١٣٥٢هـ - ١٩٣٤م، ط حجازى ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م.
- ٢٩٥) يوميات للأستاذ العقاد. ط. دار المعارف ١٩٦٤م.

## الأعلام(\*)

### (i)

- آدم (عليه السلام): ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩٢، ٣١٧، ٧٨٥.

- آدم ميتز: ٢٨، ٧٩، ٢٦٦.

- آدم سميث: ٢٩١.

- إبراهيم (عليه السلام): ١٣٣، ٩٥٩.

- د. إبراهيم نجيا: ٩، ١٢٥، ١٣٣، ١٤١، ١٤٢، ١٤٨، ١٨١، ٢٨٣، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٥، ٢٩٧، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٩، ٣١٠، ٣٤٨، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٦٨، ٣٧٦، ٣٨١، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٩، ٤١٤، ٤١٥، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٤، ٥١٤، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤٧، ٥٥٩، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٧٣، ٥٧٧، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨٨، ٦٠٢، ٦٠٥، ٦٠٩، ٦١٨، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٣٤، ٦٧٧، ٦٨٤، ٦٩٨، ٧٣١، ٧٣٨، ٧٤٧، ٧٨٠، ٧٨٦، ٧٨٧، ٨٢٤، ٨٣١، ٨٣٩، ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٥٠، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٧٣، ٨٧٧، ٨٨٠، ٨٨٢، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٩٩، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٦، ٩٤٧، ٩٥٥، ٩٥٩، ٩٦٦، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧٣، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨، ٩٨٤، ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩١، ٩٩٢، ١٠٠٠، ١٠٠٢.

- د. إبراهيم أنيس: ٢٨٤، ٢٩٢، ٢٩٥، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣١٦، ٣٤٥، ٣٥١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٩٤، ٤٠٣، ٤٠٥، ٥٧٩، ٥٨٨، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٨، ٦٠١، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٣٨، ٦٤٠، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٨٢، ٦٩٦، ٧١٧.

(\*) لم نلاحظ (ال - أبو عند ترتيب الأعلام.



\_\_\_\_\_

1

\_\_\_\_\_

\_\_\_\_\_

- ٧٣٤ ، ٧٧٨ ، ٧٨٠ ، ٧٨٩ ، ٧٩١ ، ٨١٧ ، ٨٣١ ، ٨٤٧ ، ٨٦٢ ، ٨٦٣ ، ٨٦٤ ،  
 ٨٧٤ ، ٨٧٥ ، ٩٣٦ ، ٩٣٨ ، ٩٣٩ ، ٩٧٣ ، ٩٨٧ ، ٩٨٩ ، ١٠٠٠ ، ١٠٠١ .
- د . إبراهيم أبو الخشب : ٢٩ ، ٥١ .
- إبراهيم بن أحمد الطبرى = أبو إسحاق : ٢٥٢ .
- إبراهيم بن أحمد القرميسينى = أبو إسحاق : ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٢٠٩ .
- د . إبراهيم السامرائى : ٣١٢ ، ٤٢٤ ، ٤٨١ ، ٦٢٥ ، ٦٢٦ ، ٦٤١ ، ٩٢٥ .
- إبراهيم بن محمد بن السرى = أبو إسحاق الزجاج : ٣٤ ، ٥١ ، ٥٨ ، ٨٩ ،  
 ١٠٢ ، ١٣٦ ، ٣٢٥ ، ٤٨٤ ، ٨٢٧ ، ٨٤٨ .
- إبراهيم بن ناصر الدولة = أبو طاهر : ٢٦ ، ٧٧ .
- ابن الاثير (صاحب الكامل فى التاريخ) : ٣٢ ، ٣٩ ، ٤٣ ، ٤٥ ، ٦٢ ، ١٧٢ ،  
 ٧٠٤ .
- أبى بن كعب : ١١٨ ، ١٥٠ ، ١٥١ .
- د . أحمد أمين : ٤٣٩ .
- أحمد الإسكندرى : ٣١٦ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٥٢٣ ، ٩٠١ ، ٩١٠ ، ٩١٢ ، ٩٣٨ ،  
 ٩٤٠ ، ٩٤١ ، ٩٥٥ ، ٩٦٣ .
- أحمد بن بكر العبدى = أبو طالب : ٣٤ .
- أحمد بن موسى بن مجاهد = أبو بكر : ٥٦ ، ٨٩ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٥٢ ،  
 ١٥٤ ، ١٥٦ ، ١٦١ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٣٨٣ ، ٧٣٥ .
- أحمد حسن الزيات : ٥١ ، ٤٦٤ .
- أحمد بن الحسن = أبو المعالى : ٢٤٧ .
- أحمد الزين : ٢٣٣ .

- أحمد شاکر: ٩٤٤، ٩٤٩، ٩٥١، ٩٥٣، ٩٥٦، ٩٥٨، ٩٦٠.
- أحمد شوقی: ٤٢٥.
- أحمد بن علی الرازی (الخصاص): ٦٥، ١٢١، ١٢٢.
- أحمد بن علی بن معقل الأزدي = المهلبی.
- أحمد بن عیسی بن الشیخ: ٥٧.
- أحمد بن فارس: ١٢٧، ١٢٩، ١٣٠، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٦، ٣٨١، ٤٩٦، ٧٨٣، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٣٢، ٨٣٤، ٨٤٩، ٨٥٢، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٤، ٨٩٥، ٩٥٦، ٩٦٦، ٩٧٠، ٩٧٧، ٩٨٨، ٩٨٩.
- أحمد فارس الشدياق: ٣٠٢.
- أحمد بن محمد الإشيلى: ٢٣٥، ٢٣٧.
- أحمد بن محمد الحلوانی = أبو یکر: ٢٣٢، ٢٣٣.
- أحمد بن محمد بن زياد القطان: ٥٦.
- أحمد بن محمد الموصلى الشافعى = أبو العباس = الأخفش: ٥٦.
- أحمد الميدانى: ٢٧٤.
- أحمد بن يحيى = ثعلب: ٤٩، ٥٦، ١٠٢، ٢٣٨، ٣٩٨، ٧١٢، ٨٩٣، ٨٩٥، ٩٧٩، ٩٨٨، ٩٨٩.
- ابن أحمد الباهلى: ١٧٥.
- الأخفش = أبو الحسن سعيد بن مسعدة.
- إدجار ستير تفنت: ٣٤٨.
- إدجار برويستر: ٢٥٦.
- أدی شیر: ٩٤٦.

- الأزهرى = محمد بن أزهر: ٦٧، ١٢٦، ١٥٣، ٣٤٤، ٣٤٦، ٣٧٧، ٤١٥، ٩٦٠.
- أسامة بن الحارث: ٢٣٢.
- أبو إسحاق الشيرازى: ٢٦٤.
- أبو إسحاق الصابى: ٧٨، ٨٥.
- ابن أبى إسحاق: ٣٧٨، ٣٩٠.
- أبو بكر الصديق (رضى الله عنه): ٧٤٦.
- إسرائيل ولفنسون: ٣٥٣، ٥٣٦، ٥٣٧، ٨١٥.
- أسعد بن نصر العبرتى: ٢٤٧.
- أسعد بن المعالى بن إبراهيم الكاتب: ٢٣٢.
- الإسكندر: ٢٨، ٩٤٦.
- إسماعيل (عليه السلام): ١٣٣.
- إسماعيل بن عمر المرقى: ٣٧٦.
- إسماعيل بن يسار: ٥٢.
- أبو الاسود الدؤلى: ٤٢٨، ٤٣٥، ٥٣٧.
- الأشمونى: ١٠٨، ١٤١، ١٨٠، ٢٠٤، ٣٤١، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠٣، ٤٠٩، ٤٢٦، ٤٥٥، ٤٨١، ٥٢٩، ٥٥٩، ٦٠٩، ٦٤٥، ٦٤٩، ٦٧٠، ٦٧٨، ٦٨٠، ٦٨٥، ٦٩٧، ٧١٨، ٧٢٣، ٧٢٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٥٦، ٧٥٧، ٨١٤.
- ٩١٣، ٩١٥، ٩١٧، ٩١٩، ٩٣٠.
- الأشنادانى: ٤٧١.

- الأصمعي = أبو سعيد: ١٢٣، ١٢٤، ١٢٧، ١٤٥، ١٨٠، ٢١٣، ٢١٤، ٢٣١، ٢٣٣، ٣٧٨، ٤١٥، ٤٢٠، ٥١٩، ٦٢٥، ٦٤٠، ٦٨٥، ٦٩٩، ٧٠٦، ٨٢٧، ٩٧٠، ٩٨٦.
- ابن الأعرابي: ١٢٧، ١٤٣، ١٨٥، ٦٨٦، ٦٩٣، ٧٥٧، ٧٦٧، ٧٦٨، ٩٧٩، ٩٨٩.
- الأعشى: ١٨٨، ٢١٣، ٦٤٤.
- الأعلم الشتمري: ٣٤٦، ٧١٢.
- الأعمش: ١٧٠.
- الأغر بن حاتم: ٤١٥.
- الأغر بن مطر: ٢٧.
- أفلاطون: ٢٨٣.
- الأمدى: ٤٣٨.
- امرؤ القيس: ١٨٦، ٢٤٣، ٧١٣، ٧٨٩.
- الأمين: ١٨٢.
- ابن الأنباري = عبد الرحمن بن محمد: ٤١، ٤٢، ١٣٥، ٣٢١، ٨٠٨، ٩٧٣، ٩٧٤.
- ابن الأنباري = محمد بن القاسم: ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٦.
- أنس (رضي الله عنه): ١١٨، ٧٦٦.
- أنستاس الكرملي (الآب): ٨٧٩، ٨٩٥.
- د. أنيس فريجة: ٣٤٩، ٣٥٢.
- ابن أوس: ٩٥٧.



- أبو أيوب الأنصاري: ١٥١.

(ب)

- الباخرى: ١٧١.

- بنت الشاطئ = عائشة عبد الرحمن: ١٢.

- البحترى: ٧٨٩، ٩٤٤.

- البخارى: ١٥٠.

- بختيار بن معز الدولة: ٢٥، ٢٦.

- برجستراسر: ٢٥٠، ٥٥٨، ٥٩٧، ٦٠٢، ٦٠٥، ٦٧٥، ٦٧٨، ٧١٤.

- بروكلمان: ٣٨، ٤٣، ٤٥، ٦٢، ٧٥، ١٢٢، ٢٢٤، ٢٢٩، ٢٣٤، ٢٣٧،

٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٦، ٢٥١، ٢٥٣، ٢٥٥.

- بريال: ٢٩٨، ٧٨٠.

- البريق بن عياض: ١٨٨.

- بشر بن هارون = أبو نصر: ٤١.

- بشار بن برد: ٤٢١، ٧٨٨، ٧٨٩، ٩٣٧.

- البعيث: ٤١٥.

- البغدادي = ابن عمر: ٢١١، ٢٣٤، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٩، ٤٢٨.

- البكرى: ٩٣٧.

- أبو بكر بن داود: ٧٨٣.

- بندار بن عبد الحميد الكرخي: ٥٨.

- بهاء الدولة بن بويه: ٢١، ٢٦، ٢٧، ٨٤، ١١٧، ٢٣٥.

(ت)

- تأبط شرا: ١٤٢، ٢٠٥، ٢٠٦، ٤٥٨، ٦٨٧.
- التبريزي (شارح الحماسة): ١٩١، ٢٠٢، ٢٠٣.
- ترنش: ٩٩٨.
- تشوسر: ٩٢٨.
- أبو تغلب = فضل الله المعروف بالغضنفر: ٢٥، ٢٦.
- تغلب بن داود = أبو وائل: ١٩٥.
- أبو تمام: ٥٤، ٧٣، ١٨٣، ٢٠٢، ٢٠٦، ٤٢٤، ٤٢٥، ٥٧١.
- د. تمام حسان: ٣٤١، ٣٤٣، ٤٢٢، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٤، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٩، ٥٧٢، ٥٧٦، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٦، ٥٩٨، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٤، ٩٣٩، ٩٥٩.

(ث)

- ثابت بن محمد الجرجاني: ٢٤٥، ٢٦٥.
- الثعالبي: ٣٢، ٧٢، ١٧١، ٨٠٥.
- الثمانيني = أبو القاسم: ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٦٥.

(ج)

- د. جاد رمضان: ٢٠.
- الجار بردى: ٢٧٤.
- جاردنر: ٣٤٢، ٣٤٣.
- جارسيا جوميز: ٧٨٩.
- جاستن باري: ٣٥١.

- جبریل (علیه السلام): ۱۵۰.
- جبر ضومط: ۸۹۶.
- الجبائی = محمد بن عبد الوهاب = أبو علی: ۷۸۶.
- الجحدری: ۳۹۰.
- الجرمی = أبو عمر صالح بن إسحاق.
- ابن جریر: ۹۵۸، ۹۵۶.
- جریر: ۴۲۰، ۴۲۱، ۶۶۰، ۷۸۹.
- ابن الجـزری: ۱۵۰، ۱۵۵، ۴۵۷، ۴۵۸، ۵۷۷، ۵۸۲، ۵۸۴، ۶۰۷، ۶۰۸.
- جز بن ضرار: ۲۴۲.
- جبرسن: ۳۰۰، ۳۰۷، ۳۰۸، ۳۰۹، ۳۱۰، ۳۴۸، ۶۲۹، ۸۷۴.
- أبو جعفر = یزید بن القعقاع: ۱۶۷، ۱۶۸، ۳۸۲، ۳۹۰.
- أبو جعفر الرستمی: ۷۶۱.
- جولدتسیهر: ۱۵۱.
- جورجی زیدان: ۱۲۴، ۳۲۳، ۶۴۰، ۸۷۸، ۸۸۱، ۸۸۲، ۹۲۶، ۹۲۷.
- جود فری کور کارتن: ۲۳۲، ۳۰۳.
- ابن الجوزی: ۹۶۰.
- الجوهري = إسماعیل بن حماد: ۱۱۷، ۲۱۵، ۴۱۵.
- جوهان شمیدت: ۳۵۱.
- الجوالیقی = أبو منصور: ۳۰، ۴۶، ۹۶۰.

(ج)

- أبو حاتم: ٣٧٢، ٣٨٧، ٤٢١، ٤٧٤، ٦٢٥.
- الحاتمي: ٨٣٦، ٨٣٨، ٨٤٩، ٨٥٣.
- ابن الحاجب: ٢٧٤، ٦٨٦.
- حاجي خليفة: ٢٣٤، ٢٣٧.
- الحاجب بن يوسف الثقفي: ٥٣٧.
- الحسن = أبو سعيد (قارئ): ١٥٨، ٣٨٦، ٣٩٠.
- الحسن بن أحمد بن عبد الغفار = أبو علي الفارسي: ٨، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٤، ٤٣، ٤٤، ٤٨، ٥١، ٥٦، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٧١، ٧٢، ٧٩، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٦، ٨٩، ٩١، ٩٢، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٨، ١١٢، ١١٣، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٦، ١٢٨، ١٣٠، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٦، ١٣٩، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٥، ١٤٧، ١٤٩، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٥، ١٦٦، ١٨٢، ١٨٥، ١٩٠، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٥، ٢٢٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٧، ٢٤٣، ٢٤٥، ٢٦٤، ٢٨٣، ٢٩١، ٣١١، ٣١٧، ٣٢٠، ٣٢٧، ٤٠٦، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٤٤، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٥٣، ٤٥٨، ٤٦٥، ٤٦٦، ٥٤٠، ٥٥٢، ٥٥٥، ٦٨٥، ٦٩٠، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٩، ٧٨٦، ٨٢٨، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٤٩، ٩٠٨، ٩٣٢، ٩٤٦، ٩٦٦، ٩٦٨، ٩٧٠، ٩٧٧، ٩٧٩، ٩٨٧.
- أبو الحسن الأخفش: ٩٨، ١٠١، ١٠٢، ١٢٧، ١٣٢، ٢٠٩، ٢٣٦، ٢٥٤، ٢٥٥، ٣٢٠، ٣٧٨، ٥٩٤، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٦٤، ٨٢٧.
- أبو الحسن الأشعري: ٢٨٣، ٢٨٤.
- أبو الحسن الرماني = علي بن عيسى.

- الحسن بن الحسين السكري = أبو سعيد.
- أبو الحسن السمسى: ٢٦٥.
- الحسن بن على (رضى الله عنه): ٢٣.
- د. حسن عون: ٣٠٥.
- الحسن بن المسيب: ٢٦.
- الحسن بن هانئ = أبو نواس.
- حسن والى: ٨٣١، ٨٣٧، ٨٣٩.
- حسيل بن سجيح الضبي: ٢٤٢.
- أبو الحسين القمي: ٤٧، ٤٨، ٨٥.
- الحسين بن على: ٢٣، ١١٧.
- الحسين بن ناصر الدولة: ٢٦، ٣٢.
- الحسيني: ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨٢، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٩١، ٤٩٣، ٥٠٤، ٦٦١.
- الخطيئة: ٧٨٩.
- حفص (قارئ): ٥٦١، ٥٦٥.
- حماد (الراوي): ٥٧، ٢٣١، ٦٤١.
- حمدان بن ناصر الدولة: ٢٦.
- حمزة بن حبيب الزيات (قارئ): ١٥٢، ١٥٣.
- أبو الحنان الهذلي: ١٨٥.
- أبو حنيفة الدينوري: ١٢٤، ٢١٢.
- أبو حنيفة النعمان: ٦٤، ١٢١، ١٢٣.



- أبو حيان (صاحب البحر): ٣٩٧، ٤٠٧، ٦٥٨.

- أبو حيان التوحيدى: ٣٠، ١٩٠.

(خ)

- خالد الأزهرى: ٢٣٧، ٤٨٩، ٤٩٣، ٥٠٢، ٥٠٤.

- خالد بن الوليد: ٣٥.

- الخارجى: ١٩٥.

- ابن خالويه: ٣١، ١٥٣، ٦٢٤، ٨١٩، ٨٢٧، ٩٨٧، ٩٩٢، ١٠٠١.

- الخضرى: ٤٥، ١٠٦.

- الخضر اوى: ٤٩٤.

- أبو الخطاب: ٨٠٣.

- الخطيب البغدادي (صاحب تاريخ بغداد): ٢٥٥.

- ابن خلدون: ٥٠، ٤١٤، ٤١٥.

- خلف الأحمر: ٣٧٨، ٦٤١.

- ابن خلكان: ٣٢، ٤١، ٦٢، ٦٣، ٧٥، ٧٧، ٢٢٤، ٢٢٧، ٢٣٤، ٢٤٣.

٢٥١، ٢٥٦، ٢٦٢.

- الخليل بن أحمد: ٣٣، ٦٧، ٩٨، ١٠٨، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٣٧، ١٣٨،

١٣٩، ١٧٧، ٣٠٢، ٣٧٨، ٤٣٤، ٤٤٣، ٤٦٥، ٤٧٠، ٥١٥، ٥١٦، ٥٢٣،

٥٢٤، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٢، ٥٥٨، ٥٦٩، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩،

٥٨٠، ٥٨٥، ٦٤٠، ٧٤٣، ٧٦٠، ٧٧١، ٨٣٧، ٨٤٩، ٨٦٣، ٩٣٧، ٩٧٠.

- الخليل بن أسد النوشجاني: ٣٠، ٥٧.

- أبو خيرة: ٣٧٢.

(د)

- داروين: ٣٠١.
- دانيال جونز: ٥٦١، ٥٦٥، ٥٩٨، ٥٩٩.
- داود بن الجراح = أبو عبد الله بن محمد: ٢١.
- دجلد ستیوارت: ٢٩١.
- أبو الدرداء: ١١٨، ١١٩، ١٥١.
- ابن درستويه: ٤٩، ١٣٢، ٩٦٩، ٩٧٥، ٩٧٦، ٩٨٨.
- ابن دريد: ٨٩، ١٢٦، ١٢٧، ٢١٩، ٣٤٤، ٣٧٧، ٥٨٠، ٨٢٧، ٨٢٨، ٩٧٨، ٩٧٦، ٨٣٧.
- دی بروس: ٨٧٥.
- ديموكریت: ٢٩١.
- ديونالد: ٢٨٣.

(ذ)

- ذو الرمة: ٧٦٨، ٩٨٦.
- أبو ذؤيب: ٢٣٢.

(ر)

- الخليفة الراضي = أحمد بن المقتدر بالله: ٢٥.
- الراعي: ٩٩٦.
- الراغب الأصفهاني: ٣٤٦.
- رؤية: ١٨٢، ٤٣٧، ٦٨٦، ٩٣٥، ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٤٤، ٩٤٦.

- ربيعة الرقي: ٤١٥.
- أبو رجاء: ٣٨٦.
- الرشيد: ١٨٢.
- ابن رشيق: ٩٠١.
- رضى الدين الاسترابادى: ٢٧٤، ٣٧٧، ٤٦٩، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨٤، ٤٨٥، ٥٠٤، ٦٨٦.
- ابن الرقاع: ٩١٢.
- روسلو: ٦٣٠.
- رويشد الطائى: ٢٤٢.
- ابن الرومى: ٥٢.
- ريد: ٢٩١.
- رينان (الفرنسى): ٣٠٤.

#### (ز)

- الزبيدى: ٤٥، ٤٩، ٥٦، ٥٧، ٨٩، ٩٨.
- ابن الزبير: ١١٨، ١١٩، ١٢٣، ١٢٤.
- الزجاج = إبراهيم بن محمد بن السرى.
- زر بن حبيش: ١١٨.
- الزركلى: ١٧١، ٢٣٩.
- الزمخشري: ٤٢٤، ٥٨٢، ٦٠٥، ٦٠٧، ٩٠٨، ٩١١، ٩٢١.
- ابن الزمكدم: ٣٩.

- الزهري: ١١٣، ١٦٩، ٣٩٠، ٦٥٢.
  - أبو زياد الكلابي: ٣٨٧، ٣٥٩.
  - زهير بن أبي سلمى: ٧١٢، ٧٨٩.
  - أبو زيد الأنصاري: ٨٩، ١٢٣، ١٢٧، ١٤٣، ٢٠٩، ٢١٤، ٢١٨، ٣٧٨، ٣٨٧، ٦٤٠، ٦٦٤، ٧٠٢، ٧٠٣، ٩٤٦، ٩٧٠، ٩٧٧.
  - زيد بن ثابت: ٧٣٥.
  - الزوزني = محمد بن الحسن = أبو سهل.
- (س)

- سابير: ٣٠٥، ٣٤٨.
- ساعدة بن جؤية: ٢٣٢.
- سان توماس الاكويني: ٨٧٥.
- سينسر: ٣٠٢.
- السجاعي: ١٠٦، ٤٢٦.
- سحيم عبد بنى الحساس: ٦٩٦، ٧١٧.
- السري بن أحمد السري الكندي الرفاء الموصلی: ٣٦.
- سعد بن قرط: ٣٩٨.
- ابن سعد: ١٥١، ٧٣٥.
- سعد الدين التفتازاني: ٨٩٨، ٨٩٩.
- سعد بن هاشم بن رعدة = أبو عثمان: ٣٦.
- سعيد بن جبیر: ٧٣٢.

- سعيد بن حمدان: ٢٤.
- أبو سعيد السكري = الحسن بن الحسين: ١٨٣، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٦٠.
- أبو سعيد السيرافي: ٣٠، ٣١، ٣٤، ٣٢٥، ٤٨٩، ٥٣٣، ٥٨٠، ٥٩٤.
- سعيد بن المبارك الدهان: ٢٤٧.
- السفاح = أبو العباس: ١٩.
- السكاكي: ٨٤٩.
- ابن السكيت = يعقوب: ٨٩، ١٢٤، ١٢٧، ٢١٤، ٢٣٦، ٢٦٤، ٦١٢، ٦٢٤، ٩٧٧.
- ابن سلام الجمحي: ٤٣٥، ٦٤٠.
- السليل بن أحمد بن عيسى بن الشيخ = أبو صالح: ٥٧.
- سليمان بن صائغ (القس): ١٧٢.
- سليمان بن فهد: ٣٩، ٤٠.
- سليمان (عليه السلام): ٣٣٩.
- أبو السمال (قارئ): ٣٨٢.
- ابن سنان الخفاجي: ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢٩.
- سهل بن محمد السجستاني = أبو حاتم: ٥٧، ٨٩.
- سودة بنت عمرو = أم فاطمة: ٨٢٨.
- ابن سوار الكاتب = أبو علي: ٣٣.
- سويد بن أبي كاهل العبدى: ٩١٨.

- ابن سينا: ٣٢.

- سيبويه: ٤٨، ٥١، ٨٩، ٩٨، ٩٩، ١٠١، ١٠٨، ١٣٢، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٢، ١٤٣، ١٦١، ١٦٤، ١٧٧، ٢١٠، ٢١٢، ٢٢٥، ٢٦٤، ٣٣٨، ٣٦٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٨١، ٤٢٦، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣٤، ٤٤٤، ٤٤٨، ٤٥٠، ٤٥٢، ٤٦٥، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٨٠، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٦، ٥١٥، ٥٢٤، ٥٢٨، ٥٣١، ٥٥١، ٥٥٥، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٦٩، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨٤، ٥٨٦، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٤٦، ٦٧٧، ٧٣١، ٧٣٩، ٧٤٣، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦٧، ٧٧١، ٨٢٩، ٨٤٩، ٨٦٣، ٨٩٢، ٨٩٤، ٩٦٦، ٩٧٠، ٩٨٧.

- ابن سيده = علي بن إسماعيل: ٢١٥، ٢٦٦، ٢٦٨، ٢٦٩، ٣١٢، ٦١٨، ٦٤٩، ٦٦١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧١٠، ٧١١، ٧٥١، ٩٧٣.

- السيد مرتضى الزبيدي: ٤١٤.

- سيس: ٢٩٨.

- سيف الدولة: ٢٥، ٢٨، ٣١، ٣٢، ٣٩، ٧٥، ٧٦، ١٢٦، ١٨٥.

- ابن سينا: ٥١٤.

- أبو السعود: ٢٨٩.

- السيوطي: ٤٣، ١٢٨، ١٧١، ٢٢٦، ٢٣٤، ٢٣٦، ٢٤٨، ٢٧٤، ٢٨٣، ٢٨٦، ٣٧٧، ٤٦٠، ٥٥٧، ٦٢٤، ٦٤١، ٧٤٩، ٨٠٩، ٨٣٧، ٨٣٩، ٨٤٤، ٨٦٤، ٩٠٨، ٩٦١، ٩٦٨، ٩٧٣، ٩٧٦، ٩٨٠، ٩٩٠.

(ش)

- الشافعي = محمد بن إدريس (رضي الله عنه): ٥٦، ١٠٦، ١٢٣، ٥٧٠، ٧٨٣، ٩٣٣، ٩٣٤، ٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٦، ٩٥٧.



- شرف الدولة : ٢٠ ، ٢٦ ، ٨٤ .
- الشريف الرضى : ٢١ ، ٣٣ ، ٥٥ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ١٨٢ ، ٢٢٩ ، ٢٦٥ .
- الشريف المرتضى : ٧٩ ، ١٩٠ .
- شريف = أبو المعالى : ٢٨ .
- شكبير : ٩٢٨ .
- الشماخ : ٧٢٩ .
- ابن شنبوذ = أحمد بن محمد : ١٥٢ ، ١٥٦ .
- الشهاب الخفاجى : ٩٤٦ .
- الشهاب القاسمى : ٢٠٤ .
- شهيد على : ٢٣٧ .

#### (ص)

- صاحب بن عباد : ٣٢ ، ٧٧ .
- صالح بن إسحاق = الجرمى : ٩٨ ، ١٠١ ، ١٢٤ ، ٥٧٠ .
- الصبان : ١٤١ ، ١٨٠ ، ٣٦٧ ، ٤٠٠ ، ٤٠٩ ، ٤٥٥ ، ٥٢٩ ، ٥٥٩ ، ٦٠٩ ، ٦٤٥ ، ٦٧٠ ، ٧٣٩ ، ٩١٣ ، ٩١٥ ، ٩١٧ ، ٩١٩ .
- د. صبحى الصالح : ٤١٤ ، ٤١٥ ، ٤١٧ ، ٥٧٦ ، ٥٧٨ ، ٦٢٠ ، ٦٢٢ ، ٦٤٠ ، ٦٨٥ ، ٧٤٩ ، ٨٣١ ، ٨٣٩ ، ٨٤٦ ، ٨٥٠ ، ٨٨٠ ، ٨٩٠ ، ٨٩٤ ، ٩٧٣ .
- الصديق = أبو بكر (رضى الله عنه) .
- صفى الدين الحللى : ٣٤٤ .
- الصناعى : ٩٧٧ .

- صلاح الدين المنجد: ٣٧٦.

- صمصام الدولة = أبو كاليجار: ٢٠، ٤٧، ٨٤، ٨٥.

#### (ف)

- ضياء الدين أبو الفتح نصر الله بن محمد الموصلى الشافعى المعروف بابن الأثير  
= نصر الله محمد.

#### (ط)

- الطائع لله: ٢١.

- طاش كبرى زاده: ٢٣٧، ٢٤٨.

- الطاهر الجزرى: ٤٠.

- طرفة: ٧١٩.

- الطرماح: ٤٢٠، ٧٢٩.

- طفيل: ٩١٦.

- أبو الطفيل: ٣٩٠.

- د. طه عبد الحميد: ٢٩٢.

- أبو الطيب اللغوى: ٣٤٤، ٥١٧، ٦٠٩، ٦١١، ٦١٦، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥.

#### (ع)

- عاصم بن أبى النجود (قارئ): ١٥٤.

- عال بن عثمان بن جنى: ٤٥، ٤٦، ٢٦٥.

- العاملى: ٣١٣، ٣١٦.

- أبو عبيد = القاسم بن سلام.

- أبو عبيدة: ١٢٣.
- د. عبد الرحمن أيوب: ٤٣١، ٥٢١، ٥٦٤، ٥٩٨، ٥٩٩.
- عبد الرحمن الناصر: ٢٠.
- عبد الستار فراج: ٢٣٢، ٢٣٤.
- عبد السلام البصري: ٢٥٤.
- عبد السلام هارون: ١٤١، ١٨٣، ٣٧٧، ٤٢٦، ٥٢٤، ٦٠٤، ٨٢٧.
- د. عبد الصبور شاهين: ٦٢١، ٦٥٠، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٥٧، ٩٤٦، ٩٥٤.
- د. عبد الفتاح شلبي: ٦٦، ١١٢، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٨، ٤٠٣، ٤٠٦.
- عبد القادر المغربي: ٨٠٤، ٨٢٠، ٨٣٩، ٩٦٠.
- عبد القاهر الجرجاني: ١٧٧، ٧٩٢، ٧٩٣، ٩٠١.
- د. عبد الكريم شعبان: ١٠٦، ١٠٨، ١١٢، ١٣٤، ١٤١.
- عبد اللطيف بن يوسف البغدادي = موفق الدين: ٢٣٥.
- عبد الله أمين: ٣٨، ٤٢، ٦٦، ٢٦٣، ٨١٥، ٨١٧، ٨٢٠، ٨٣١، ٨٣٩، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٩٢.
- عبد الله بن الحسين العكبري: ٢٤٧.
- عبد الله بن حمدان = أبو الهيجاء: ٢٣، ٢٤.
- د. عبد الله درويش: ٨١٥، ٨١٦.
- عبد الله بن عامر (قارئ): ١٥٢.
- عبد الله بن عبد الرحمن الأصفهاني = أبو القاسم: ١٩٠.

- د. عبد الله العزاري: ٤٩٧، ٥٢٤، ٥٣١، ٥٣٩، ٥٩٨، ٦٣٦، ٧٨٠،  
٨٦١، ٨٨٥، ٩٠٠، ٩٦٦، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٨،  
٩٨٤، ١٠٠٢.

- عبد الله بن كثير (قارئ): ١٥٢.

- عبد الله العلايلي: ٣٥٠، ٣٧٥، ٤٧٨، ٤٨١، ٤٨٢، ٥٠٠، ٥٠٣، ٥٠٥،  
٥٠٦، ٧٧٠، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٤٧، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٩٥.

- عبد الله بن مسلم (قارئ): ١٦٨.

- أبو عبد الله بن ناصر الدولة: ٢٦.

- عبد المجيد عابدين: ٤١٣، ٤١٤.

- عبد المسيح بن عسلة: ٣٤٦.

- عبد الملك بن مروان: ٣٥٦، ٥٣٧.

- د. عبده الراجحي: ٣٧٤، ٣٨٤.

- عبد الواحد البزار = أبو طاهر: ١٥٣.

- عبد الواحد بن عرس الأزدي = أبو بكر: ٤٠.

- د. عبد الوهاب عزام: ٩٤٩، ٩٥١.

- عباد بن سليمان الصيمري: ٨٦٤.

- عبادة بن الصامت: ١٥١.

- العباس (رضي الله عنه): ١٦٢.

- ابن عباس (رضي الله عنهما): ١١٨، ١١٩، ٢٨٣، ٣٨٥، ٩٥٨.

- عباس حسن: ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٥٩، ٤٦١، ٨٩٦،  
٩٤١.

- العباس بن الحسن : ٢١ .
- عباس العقاد : ٣٨ ، ٥٥ ، ٥٣٢ ، ٥٣٥ ، ٧٨٠ ، ٧٨١ ، ٧٨٢ ، ٧٩٢ ، ٧٩٣ ، ٨٠٠ ، ٨٠١ ، ٨٠٢ ، ٨٧٦ .
- عثمان أمين : ٧٩٨ ، ٧٩٩ ، ٩٨١ .
- عثمان بن سعيد الداني = أبو عمرو : ١٥٣ ، ٢٦٣ .
- عثمان بن عفان (رضي الله عنه) :
- العجاج : ١٨٢ ، ٩٣٧ .
- العجير السلولى : ٢١٨ .
- عروة بن الزبير : ١١٩ ، ٤٥٨ .
- العزيز بالله : ٣٢ ، ٣٣ .
- العسكري : ٦٣٩ .
- العصام : ٦٦١ .
- عضد الدولة بن بويه : ٢٠ ، ٢٦ ، ٢٨ ، ٣١ ، ٣٣ ، ٥٥ ، ٦١ ، ٦٥ ، ٧٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ١٢٦ ، ٢٣٧ .
- ابن عقيل : ١٠٦ ، ٤٢٦ .
- عكرمة : ١٠٣ ، ٣٩٧ ، ٩٥٨ .
- علاء بن عثمان بن جنى : ٤٥ ، ٢٦٥ .
- أبو العلاء = المعرى .
- ابن علان : ٤٣٨ ، ٤٤٠ .
- علقمة بن عبدة التميمي : ٧٠٤ .

- على بن أبى طالب (رضى الله عنه): ٢٣، ١١٧، ١١٨، ١١٩، ٤٢٨.
- على بن إسماعيل = ابن سيده.
- د. على البطشة: ٨١٤، ٨١٥، ٨٤٣.
- على الجارم: ٩٨٤، ٩٨٧، ٩٩٤، ١٠٠٣.
- على بن الجهم: ٥٤.
- أبو على الجوانى: ٢٥٤.
- على بن عبد العزيز الجرجانى: ١٩٠.
- على بن زيد القاشانى: ٢٦٥.
- أبو على الفارسى = الحسن بن أحمد بن عبد الغفار.
- على بن محمد بن الفرات = أبو الحسن: ٢١.
- د. على عبد الواحد وافى: ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٩، ٢٩١، ٢٩٥، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣١٤، ٣٢٢، ٣٢٤، ٥٣٦، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٩، ٦٣١، ٦٣٧، ٦٣٨، ٧٧٧، ٧٨١، ٨٣١، ٨٣٧، ٨٣٩، ٨٤٦، ٨٥٠، ٨٧٦، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٦، ٩٠٧، ٩٠٩، ٩١٠، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٥٠، ٩٥٩، ٩٦٢، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٩، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٨٤، ٩٩١، ٩٩٢.
- على بن عثمان بن جنى: ٤٥، ٢٦٥.
- على بن عيسى (الوزير): ٢١، ٤٦.
- على بن عيسى الربيعى: ٦١، ٧٩، ١٠٦، ١٩٠.
- على بن عيسى الرمانى: ٣٤، ٨٢٧.
- على بن عيسى بن على النحوى = أبو الحسن: ٢٣٢، ٢٣٣.
- على بن المسيب: ٢٦.



- ابن العماد: ٤١، ٧٥، ٢٢٤، ٢٢٧.
- عمارة الكلبي: ١٤٥، ٩٩٣.
- عمر بن إبراهيم الكوفي = أبو البركات: ٢٤٧.
- عمر بن أبي ربيعة: ٣٩٨.
- عمرو بن إلياس: ٦٦٥.
- عمر بن الخطاب (رضي الله عنه): ١٥١، ٣٨٩، ٤٢٨.
- أبو عمرو الشيباني: ١٨٢، ٧٢٩.
- عمرو بن عبيد: ٦٦٤.
- أبو عمرو بن العلاء (قارئ): ١-٣، ١٥٢، ٢١٢، ٣٧٢، ٣٧٨، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٥، ٤٢٠، ٥١٩، ٥٨٨، ٦٤٠، ٧-٢، ٧١١، ٧١٢، ٧٤١.
- ابن العميد: ١٩٨.
- عنبر: ٧٩٢، ٧٩٣.
- أبو العنيس: ٩٣٧.
- عترة: ١٨٦.
- عيسى بن علي (الوزير): ٤٦.
- عيسى بن عمر: ٣٧٨.
- العيني: ٢٦٢، ٤٢٦، ٦٩٧.

(غ)

- أبو غالب بن بشران النحوي الواسطي: ٢٥٤.
- غصن ابن عم محمد بن العساف الشجري (من الأعراب الفصحاء): ٥٥.

- غلاق بن مروان: ٢٠٢.

- الغمراوي: ٢١٤.

#### (ف)

- الفاكهي: ٥٥١.

- أبو الفدا: ٤٣، ٤٤.

- الفراء = أبو زكريا: ٨٩، ٣٧٦، ٣٨٥، ٥٧٠، ٦٤٧، ٧٢٨، ٧٦٧، ٨١١، ٨٩١.

- أبو فراس الحمداني: ٣٢.

- فاطمة (رضي الله عنها): ٢٣، ١١٧.

- الفخر الرازي: ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٦، ٢٨٨، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤.

- أبو الفرج الأصفهاني: ٥٦، ٩٣٧.

- الفرزدق: ٤٢٠، ٤٢١، ٧٦٤.

- الفضل بن الربيع: ١٨٢.

- أبو الفضل الرياشي: ٧٥٤.

- ابن فضل الله العمري: ٦٠.

- فلهاوزن: ٢٣٣.

- فندريس: ٢٩٥، ٢٩٦، ٣٣٣، ٣٤٢، ٣٤٣، ٤٢٤، ٥٢١، ٥٢٣، ٦٢٨، ٨٥٥.

- الفيروزآبادي: ٣٤٦، ٧٢١.

- الفند الزماني: ٢٤٠.

- فهد بن أحمد الأردى: ٣٩.

- ابن فورجة = محمد بن أحمد.

- فونت: ٧٨٠.

### (ق)

- القاسم بن أحمد الأندلسي = أبو محمد.

- القاسم بن معن: ٧٣٥.

- أبو القاسم الزجاجي: ٣٣، ٣٢١، ٣٢٥، ٨٠٨.

- القاسم بن سلام = أبو عبيد: ٣٧٦، ٦٤٠، ٦٧٥، ٧٦٠، ٩٦٠.

- القاضي أبو بكر بن العربي: ٩٥٦، ٩٨٧.

- القاضي الجرجاني: ٩٣٣.

- ابن قاضي شهبة: ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٧٥، ٢١٢، ٢٢٣.

٢٢٤، ٢٣٨، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٨، ٢٥٠، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٦٢، ٢٦٣.

- القالي = أبو علي: ١٢٤، ٦٢٤، ٦٢٥.

- قتادة: ١١٨.

- ابن قتيبة: ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٤، ٧٠٤، ٧٩٢.

- القرطبي: ٩١٣.

- قرواش بن المقلد: ٢٦، ٢٧، ٣٩، ٤٠.

- قسطنطين بن الدمستق: ٢٨.

- أم قصي = فاطمة بنت سهل بن حمالة: ٨٢٨.

- قطرب = محمد بن المستنير.

- القفطي: ٤٥، ٨٤.

- القلقشندي: ٣٩٧، ٣٩٩.

(ك)

- كافور الاخشيدى: ٧٠، ٧٥، ٧٦.
- كانت (الفيلسوف الالماني): ٢٩٢.
- كانتينو: ٥٢٦.
- ابن كثير (صاحب البداية والنهاية): ٤١.
- كثير عزة: ١٤١.
- كروس: ٧٨٠.
- الكسائى: ١٠٣، ١٤٩، ١٥٢، ٢١٢، ٢١٣، ٣٦٤، ٦٤٧، ٨٩١، ٩١٦.
- الكفورى: ٩٤٤، ٩٤٩.
- د. كمال بشر: ٣٠٥، ٥٧٧، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٩٠.
- الكميت: ٤٢٠.
- الكندى = زيد بن الحسن النحوى اللغوى المحدث الحافظ: ١٩١.
- كوردى جبلان: ٨٧٥.

(ل)

- اللاحقى: ٤٢٦.
- لييد: ٧٦٣، ٧٨١.
- لوى ماسينيون: ٣٨، ٧٩٩.
- الليث بن المظفر: ٥٣٩، ٧٣٢.

(م)

- ابن مأكولا: ٣٨، ٤٦، ١٧٢، ١٧٦.
- المأمون: ١٩.

- المازني = أبو عثمان: ٨٩، ٩٨، ١٠١، ١٠٢، ١٠٤، ١٠٨، ١٢٤، ٢١١، ٢١٨، ٢٣١، ٢٥٧، ٢٥٨، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٥٥، ٤٦٥، ٦٦٤، ٧٤٣.

- الملقى: ٤٩٣.

- الإمام مالك (رضي الله عنه): ٢٣.

- ابن مالك (صاحب الألفية): ٢٧٤، ٣٧٧، ٩٣٠.

- المبرد = أبو العباس محمد بن يزيد: ٦٠، ٦٥، ٩٨، ٩٩، ١٠١، ١٤٥، ٥٢٤، ٥٢٥، ٦٤٧، ٦٦٤، ٧٧١، ٨٢٧، ٩٣٦، ٩٦٦، ٩٩٣.

- ميرمان = أبو بكر: ٥٩.

- المتقى لله: ٢١.

- المتنبى = أبو الطيب: ٣٧، ٤٢، ٥٥، ٦١، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٩، ٨١، ١٧٣، ١٧٥، ١٨١، ١٨٤، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٦، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠٢، ٢١٢، ٢٢٧، ٢٢٩، ٢٢١، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٧٨٩.

- المتنخل: ٢٣٢.

- المتوكل: ١٩، ٩٧٣.

- مجاهد: ٣٨٦، ٩٥٨.

- محمد بن أحمد بن منصور الخياط = أبو بكر: ٣٤، ٥٩.

- محمد بن إدريس الشافعي = الشافعي.

- محمد بن أزهر = الأزهرى.

- د. محمد أسعد طلس: ٣١، ٣٨، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٧٩، ٨٥، ١٠٨، ١١٢، ١١٦، ١٢٥، ١٣٣، ١٣٤، ١٧٧، ٢٢٧، ٢٢٩، ٢٣١، ٢٣٩، ٢٥٤، ٢٥٧.

- محمد بن أحمد = ابن فورجة: ١٩٠، ١٩١، ١٩٤، ١٩٥، ٢١٢.
- محمد بن إلياس: ٢٠.
- أبو محمد البطليوسي = ابن السيد: ٦٢٤، ٦٢٦.
- محمد بهجة الأثرى: ٢٢٧.
- محمد بن الحسن الأنصارى: ١٥٣.
- محمد بن الحسن الزوزنى = أبو سهل: ١٩٠، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩.
- محمد بن الحسن بن زياد النقاش: ٣٦.
- محمد بن الحسن الشيباني: ١٢٠، ١٢١، ١٢٢.
- محمد بن الحسن بن مقسم = أبو بكر: ٥٦، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٦، ٧١٠، ٩٧٩.
- أبو محمد بن الحشاب: ٣٠.
- الإمام محمد بن الخضر حنين: ٢١٤، ٤٣٩، ٤٤١، ٤٥٦، ٤٦٣، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩٢٤، ٩٢٥.
- أبو محمد = ابن درستويه.
- محمد (رسول الله ﷺ): ٥، ٤٧، ٥٠، ١١٧، ١١٩، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٨، ١٦٢، ١٨٢، ٢٠٩، ٢١٨، ٢٨٤، ٣٣٦، ٤٢٨، ٥٧٧، ٧٢٢، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٥، ٧٥٩، ٧٦٦، ٧٩٢، ٩٠١، ٩٣٤، ٩٥٩، ٩٦٢، ٩٦٩، ٩٩١.
- محمد بن السرى السراج = أبو بكر: ٥٩، ٩٨، ١٠٨، ١٢٧، ١٢٨، ١٣٠، ١٤١، ١٤٢، ١٥٣، ٣٢٥، ٤٦٦، ٥٢٥، ٦٨٥، ٧٣٨، ٨٢٧.
- محمد بن سليمان بن فهد = أبو عبد الله: ٣٩.
- محمد بن السميع: ١٦٩.



- محمد الطاهر: ٩٨٠.
- محمد بن طنج الاخشيدي: ٢٠.
- محمد بن العباس اليزيدي = أبو عبد الله: ٥٧.
- محمد بن عبدان = أبو الحسن: ٢١.
- محمد بن العساف الشجري: ٥٥، ٦٩، ١٨٨، ٣٨٧، ٤٠٧، ٤٢١، ٩١٦.
- محمد عبد الجواد: ٩٨٦.
- محمد بن عبد الله بن شاهويه: ٢٦٤.
- د. محمد عزيمة: ٣٦١.
- محمد على النجار: ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤٢، ٤٨، ٨٦، ١١٧، ١٢١، ١٤٨، ١٧٢، ١٧٦، ١٨١، ٢١٠، ٢١١، ٢٢٧، ٢٣١، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٤٤، ٢٤٥.
- ٢٥٤، ٢٥٧، ٢٦٣، ٢٧٠، ٢٧٢، ٣١٢، ٩٠٢.
- د. محمد قناوي عبد الله: ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٩، ٢٩٠.
- ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٣، ٣٠٦، ٣٤٦، ٣٤٩، ٨٣٨.
- محمد بن كعب: ١١٨.
- د. محمد المبارك: ١٣٠، ٣٠٥، ٣١٣، ٣١٥، ٥٧٦، ٥٩٧، ٦١٠، ٦٢٦.
- ٦٣١، ٦٣٢، ٧٧٩، ٧٨٢، ٨٠٧، ٨١٨، ٨٢٥، ٨٣١، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦.
- ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٥٦، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٥، ٨٧٣، ٨٧٦، ٨٧٧.
- ٨٧٨، ٨٨٢، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٩٦، ٨٩٧.
- د. محمد محمد المدني: ٢٨٨.
- محمد محي الدين: ٨٠٨.
- محمد بن المستنير قطرب = أبو علي: ٨٩، ١٢٤، ٥٧٠، ٧٨٦، ٨٢٧.
- ٩٧٧.

- محمد بن المسيب: ٢٦.
- محمد سعيد بن مصطفى النعسان: ٢٢٤.
- محمد بن هارون الروياني = أبو بكر: ٥٧، ٢٠٩.
- محمد بن هاشم بن رعدة = أبو بكر: ٣٦.
- محمد بن هلال بن المحسن = أبو الحسن: ٤٧، ٨٥.
- محمد بن يزيد بن ريان: ٥٧.
- محمود أبو الوفا: ٢٣٣.
- محمود بن حسين بن السندی الرملي الموصلی = أبو الفتح كشاجم: ٣٦.
- د. محمود السعمران: ٣٤٨، ٣٤٩، ٥١٤، ٥١٦، ٦٠٠، ٨٩٧، ٩٤٢، ٩٦٣.
- محمود محمد شاکر: ٢٣٤.
- ابن محيصة: ٣٩٠.
- المختار بن أبي عبيد: ٥٧.
- المرزوقي = أبو علي: ١٨٣، ١٩١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٣٩، ٤٥٨.
- د. مراد كامل: ٧٧٨، ٨٨٤.
- ابن مروان (قارئ): ١٠١.
- مرمجى الدومنيكى (الاب): ٨٧٩.
- المستكنى بالله: ٢١.
- ابن مسعود: ١١٨، ١١٩، ١٧٠، ٣٨٩، ٧٣٢.
- المسعودى: ٩٣٧.

- مسلم: ١٥٠.
- مصطفى صادق الرافعي: ٣١٦، ٨٣٧، ٨٩٨، ٩٠١، ٩٠٧.
- ابن مضاء: ١٠٦.
- ابن مطر: ٢٤.
- المطيع: ٢١.
- معاذ بن جبل (رضي الله عنه): ١٥١.
- معاوية بن أبي سفيان: ٢٣، ١١٧.
- ابن المعتز: ٧٨٩.
- المعري = أبو العلاء: ١٩٠، ١٩١، ٤٢٤.
- معز الدولة بن بويه: ٢٠، ٢٣، ٢٥، ٦٢، ١١٧.
- معمر بن المثنى = أبو عبيدة: ٩٥٦، ٩٧٠، ٩٧٧.
- المفضل بن سلمة بن عاصم: ٨٢٧.
- المقتدر بالله: ٢١، ٢٤.
- المقلد بن المسيب: ٢٦.
- ابن مقلة = أبو علي: ٥٦، ١٥٢.
- المكتفي بالله: ٢١، ٢٣.
- مكس مولر: ٣٠٣، ٣٠٦.
- مكى بن أبي طالب: ١٥٣.
- ابن ملكون: ٢٠٧، ٢٤٠.
- المنصور (الخليفة): ١٩.

- أبو منصور الديلمي: ٤١، ٤٢.
- منصور بن مسلم الحلبي = أبو نصر: ٢٣٩.
- منظور بن حبة الاسدي: ٧١٧.
- ابن منظور (صاحب اللسان): ١٤٨، ٢١٥، ٢٦٩، ٥٣٨، ٦٥٨، ٦٧٨، ٦٩٣، ٧٠٣.
- المهدي (ال خليفة): ١٨٢.
- د. مهدي المخزومي: ١٢٥، ٣٠٢.
- المهلبى = أحمد بن على بن معقل الاردي: ١١٧، ١٩١، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١.
- موسى (عليه السلام): ٧٣٢.
- أبو ميرة: ٩٥٨.
- ميه: ٣٤٢.

### (ن)

- النابغة الذبياني: ٣٥٩.
- ناصر الدولة = الحسن بن عبد الله بن حمدان: ٢٤، ٢٥، ٢٧.
- د. ناصر الدين الأسد: ٢١٤.
- ناصر الدين البيضاوي: ٧٣١، ٩١٣.
- نافع بن عبد الرحمن: ١٥٢، ٢١٣، ٥٠٢.
- أبو النجم (العجلي): ١٨٢، ٧٦٩.
- ابن النحاس: ٤٢٦، ٨٢٧.
- ابن النديم: ٤٣، ١٥٢، ٢٢٩، ٢٤٤، ٢٦٣.

- النسائي: ١٥٠.
- نصر بن أحمد الساماني: ٢٠.
- أبو نصر الباهلي: ٨٢٧.
- نصر بن حمدان: ٢٤.
- نصر بن عاصم الليثي: ٥٣٧.
- نصر بن هرمز: ٢٨.
- أبو نصر القاسم بن محمد الواسطي: ٤١، ٤٢، ٢٤٧.
- نصر الله بن محمد الموصلي الشافعي المعروف بابن الأثير = أبو الفتح: ٢٧٢، ٧٩٢، ٧٩٣، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٨.
- النعمان: ٥٧.
- نوح (عليه السلام): ٦٤٨.
- نوح بن نصر الساماني: ٣٢.
- أبو نواس = الحسن بن هاني: ٨٢، ١٨٢، ١٨٧، ٢٠٩، ٢٢٧، ٤٢١، ٤٢٣، ٧٨٩.

#### (هـ)

- الهادي (الخليفة): ١٨٢.
- هارون الواثق بالله: ١٩.
- أبو هاشم الجبائي: ٢٩١.
- ابن هاني (الشاعر الأندلسي): ٧٨٨.
- هذيل بن مدركة بن إلياس: ١٨٣.
- أبو الهيثم: ٧٦٥.

- ابن هرمة : ٥٤٤ .
- هرمان بول : ٦٣٠ .
- الهمذاني : ١٢٤ .
- أبو هريرة (رضي الله عنه) : ١١٨ .
- هشام بن عبد الملك : ٦٦٠ .
- ابن هشام (النحوي) : ٤٩٣ ، ٩١٣ .
- أبو هلال العسكري : ٧٩٢ .
- هفتر : ٥٩٨ ، ٥٩٩ .
- هبلت : ٨٧٥ .
- هنري فليش : ٦٥٠ ، ٦٥١ ، ٦٥٢ ، ٦٥٣ ، ٦٥٤ .
- هويرج : ٢٢٤ .
- هيراكليت : ٢٨٣ .
- هيردار : ٢٩٢ .

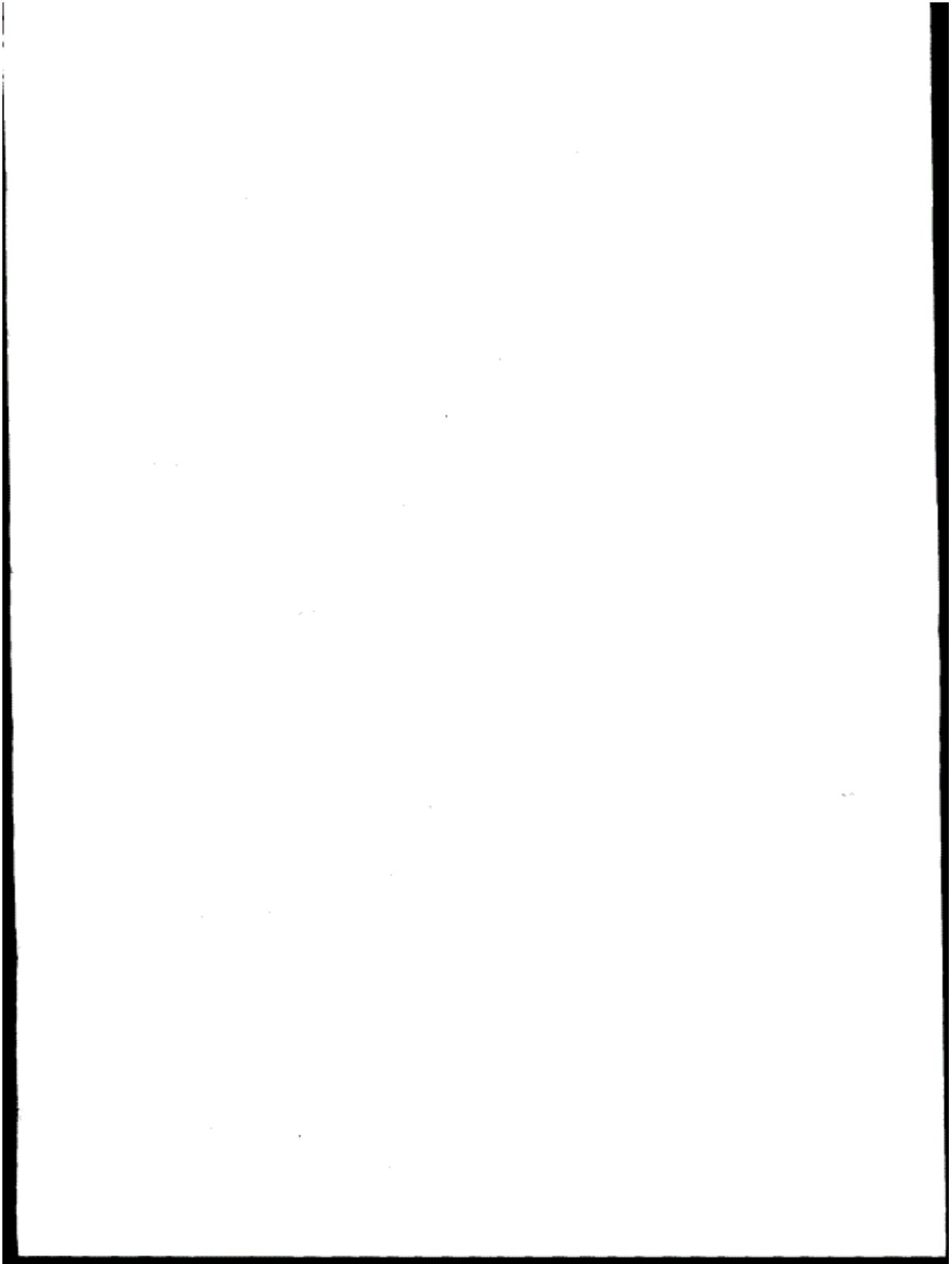
#### (و)

- الواحدى = أبو الحسن على بن أحمد : ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٨ ، ١٩٩ .
- وتنى : ٣٠٢ ، ٧٨٠ .
- وجدى : ٢١٤ .
- وجيه كيلانى : ٢٥٦ .
- ابن وكيع : ١٩٠ ، ٢٦٢ .



(٥)

- ياقوت: ٣٠، ٤٢، ٤٣، ٥٥، ٧٦، ٨٥، ١٧١، ٢٢٩، ٢٣٧، ٢٤٤، ٢٥٢، ٢٥٤، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٦٢، ٢٦٣.
- يحيى بن يعمر العدواني: ٥٣٧.
- يزيد بن الحكم: ١٨٧.
- يزيد بن أبي سفيان: ١٥١.
- يزيد سليم: ٤١٥.
- يزيد بن القعقاع = أبو جعفر.
- يس: ٢٠٤، ٤٠٩، ٩١٣، ٩١٥، ٩١٦، ٩٢٠، ٩٢٢.
- يعقوب بن إسحاق الحضرمي (قاري): ١٥٢.
- د. يعقوب بكر: ٧٤٠.
- أبو يعلى الموصلي: ٤٦.
- ابن يعيش: ٢٢٦، ٢٧٤، ٥٢٦، ٦١٨، ٦١٩.
- اليمنى الشافعي: ٥٨.
- يوسف (عليه السلام): ٣٨٥، ٩٦١، ٩٦٢.
- أبو يوسف (صاحب الإمام أبي حنيفة): ١٢٠، ١٢١.
- يوسف هل (الألماني): ٢٣٢.
- يونس بن حبيب: ١٣٩، ٢١٠، ٣٧٦، ٣٧٨، ٩٣٥.
- يوهان فك: ١٩٦.



## الموضوعات

الموضوع	صفحة
المقدمة	(١٣-٥)
<b>القسم الأول</b>	
حياة ابن جنى واتجاهاته وآثاره	(٢٧٥-١٥)
<b>الباب الأول</b>	
حياته	(١٧-٨-١)
نبذة عن عصره	١٩
الجانب السياسى والاجتماعى	١٩
( أ ) الخلافة العامة	١٩
(ب) إمارة الموصل	٢٣
الجانب الثقافى والفكرى	٢٩
<b>التعريف به</b>	
نسبه	٣٧
عوره	٤٠
ولادته ووفاته وموطنهما	٤٣
أولاده	٤٥
أخلاقه	٤٦
نظرة للعرب	٥٠
صلاته العلمية والاجتماعية وأثرها فى تكوين ثقافته	٥٥
أساتذته	٥٦
( أ ) أساتذته بوجه عام	٥٦
(ب) أستاذه الأول أبو على الفارسى	٥٩
التعريف به	٥٩

٦٢	صلة ابن جنى به وتلمذته عليه .....
٦٧	صلاته بالأعراب .....
٧٠	أصدقاؤه .....
٧٠	(١) المتنبي .....
٧٧	(٢) الشريف الرضى .....
٨١	صلاته بالحكام .....
٨٨	هل كان ابن جنى مقلداً أو مجدداً؟ .....
	<b>الباب الثانى</b>
(٢١٩-١٠٩)	<b>اتجاهاته</b>
١١١	<b>اتجاهه الدينى</b>
١١١	(١) اعتزاله .....
١٢٠	(٢) مذهبه فى الفقه .....
١٢٣	<b>اتجاهه اللغوى والنحوى</b>
١٢٣	مقدمة تاريخية .....
١٣٠	منهجه .....
١٤٩	<b>اتجاهه فى الاحتجاج للقراءات</b>
١٤٩	لمحة تاريخية .....
١٦٠	منهجه .....
١٧١	<b>اتجاهه الأدبى</b>
١٧١	شعره .....
١٧٦	نثره العلمى والفنى .....
١٨١	شرحه للشعر ومنهجه فيه .....
١٨٩	المآخذ عليه .....
١٩١	أولاً: نقد الواحدى .....
١٩٧	ثانياً: نقد الزوزنى .....

١٩٩	..... ثالثاً: نقد المهلبى
٢٠٢	..... رابعاً: نقد المرزوقى
٢٠٧	..... ملاحظات على النقود
٢٠٨	..... أمانته العلمية فى رواية اللغة والأدب وموقفه من الرواة
٢١٤	..... لغوياته التى رواها

### الباب الثالث

(٢٧٥-٢٢١)

#### آثاره

٢٢٣	..... آثاره العلمية
٢٦٤	..... تأثير العلماء به

### القسم الثانى

(٢٧٧-١٠١٠)

#### جهوده اللغوية وقيمتها العلمية

### الباب الرابع

(٣٢٨-٢٧٩)

#### اللغة توقيف أم اصطلاح؟

٢٨١	..... تمهيد
٢٨٣	..... مذاهب العلماء فى نشأة اللغة
٢٨٣	..... ١- المذهب التوقيفى
٢٨٣	..... تفسير التوقيف
٢٨٤	..... أدلة هذا المذهب
٢٩٠	..... ٢- المذهب الوضعى
٢٩١	..... طريقة المواضع
٢٩١	..... أدلة هذا المذهب
٢٩٥	..... ٣- المذهب الاجتماعى
٢٩٥	..... تصوير هذه النظرية
٢٩٥	..... أدلة هذا المذهب

٢٩٦	٤- مذهب الغريزة الكلامية .....
٢٩٦	معنى الغريزة الكلامية .....
٢٩٧	دليل هذا المذهب .....
٢٩٩	٥- المذهب الطبيعي .....
٢٩٩	(أ) صدور اللغة عن أصوات الانفعالات الإنسانية .....
٣٠١	(ب) صدور اللغة عن المؤثرات الخارجية .....
٣٠٢	(ج) صدور اللغة عن محاكاة الأصوات .....
٣٠٧	٦- رأى جبرسن .....
٣٠٧	طبيعة هذا الرأى .....
٣٠٨	أدلته .....
٣١٠	رأى ابن جنى نتيجة لما تقدم .....
٣١٣	موقفنا من هذه الآراء .....
٣١٧	أى الاجناس أسبق الأسماء أو الأفعال أو الحروف؟ .....
٣٢٦	نتائج البحث .....

#### الباب الخامس

#### اللهجات وتنوعها

(٣٢٩-٤٠٩)

٣٣١	مقدمة ومنهج .....
٣٣٢	الكلام والقول واللغة واللهجة .....
٣٣٢	الكلام والقول .....
٣٤٣	اللغة واللهجة .....
٣٤٣	اللغة وتاريخها .....
٣٤٥	اشتقاقها وتصريفها .....
٣٥٠	اشتقاق اللهجة وخصائصها .....
٣٥٢	كيف وجدت اللهجات العربية؟ .....
٣٥٢	عوامل نشأتها .....



٣٥٩	..... اختلاط القبائل وأثره فى اللهجات
٣٥٩	١- تمسك العربى بلهجته الأصلية .....
٣٦٠	٢- انتقال لسانه .....
٣٦٠	٣- اجتماع لهجته مع لهجة غيره .....
٣٦٠	تركب اللغات .....
٣٦٠	التداخل فى الأبنية .....
٣٦٢	( أ ) فى الأفعال .....
٣٦٦	( ب ) فى الأسماء .....
٣٦٨	التداخل فى الألفاظ .....
٣٧٦	آثار لغوية لاختلاف اللهجات ودراسة ابن جنى لها .....
٣٧٩	أولاً: الصوائت .....
٣٧٩	( أ ) تغيير الصوائت .....
٣٨٣	( ب ) حذف الصوائت .....
٣٨٥	( ج ) اجتماع التغيير والحذف فى تفرعات بنى تميم .....
٣٨٧	ثانياً: الصوامت .....
٣٨٨	المظهر الأول: الإبدال .....
٣٨٩	المظهر الثانى: تأثير الأصوات بعضها ببعض .....
٣٨٩	١- الإدغام .....
٣٩٤	٢- التقريب بما يحقق الانسجام الصوتى .....
٣٩٧	٣- المخالفة .....
٣٩٩	٤- الإمالة .....
٤٠٤	المظهر الثالث: السكون والحركة فى الصوامت الحلقية .....
٤٠٨	نتائج البحث .....

#### الباب السادس

##### القياس اللغوي

(٤٦٦-٤١١)

- ٤١٣ ..... العرب الذين يحاكون  
٤٢٨ ..... كيف درس العلماء اللغة؟ وكيف نشأت فكرة القياس؟  
٤٣٨ ..... آراء العلماء فى القياس  
٤٣٨ ..... حقيقة القياس  
٤٤٢ ..... رأى البصريين والكوفيين  
٤٤٣ ..... رأى ابن جنى وموافقيه  
٤٤٥ ..... أساس القياس عند ابن جنى  
٤٥١ ..... أقسام القياس عند ابن جنى  
٤٦٥ ..... نتائج البحث

#### الباب السابع

##### البناء اللغوي وفلسفته

(٥٠٧-٤٦٧)

- ٤٦٩ ..... تمهيد  
٤٧٠ ..... أولاً: ائتلاف الحروف  
٤٨٠ ..... ثانياً: سكون الحروف وحركتها  
٤٩٤ ..... ثالثاً: عدد الحروف المكون منها البناء  
٤٩٩ ..... رابعاً: تطور المعلات وهدفه اللغوي  
٥٠٧ ..... نتائج البحث

#### الباب الثامن

##### الأصوات وتبدلها

(٧٧٣-٥١١)

##### الأصوات

(٦٠٨-٥١٣)

- ٥١٣ ..... تمهيد  
٥١٨ ..... الصوت والحرف والفرق بينهما  
٥١٨ ..... اشتقاق الصوت والحرف

٥١٩	الصوت والحرف فى اصطلاح علماء الاصوات .....
٥٢٤	عدد الحروف فى الأبجدية العربية وترتيبها .....
٥٢٤	عدد الحروف .....
٥٣٠	الحروف المستحسنة .....
٥٣٢	الحروف المستقبحة .....
٥٣٦	ترتيب حروف المعجم .....
٥٤١	أصوات اللين .....
٥٤١	رأى القدماء .....
٥٦٠	رأى المحدثين .....
٥٦٥	تطبيق نظرية دانيال جونز على أصوات اللين فى العربية .....
٥٦٦	أشباه أصوات اللين .....
٥٦٨	الاصوات الساكنة .....
٥٦٩	مخارج الحروف كما وصفها ابن جنى وغيره من القدماء .....
٥٨١	حديث ابن جنى عن صفات الحروف .....
٥٨٥	موقف المحدثين من هذه الآراء عن المخارج والصفات .....
٥٩٠	بين القديم والحديث .....
٥٩٧	ما اختلف فيه الاقدمون والمحدثون من الحروف وسبب الخلاف .....
٥٩٧	الهمزة .....
٥٩٩	القاف .....
٦٠١	الجيم .....
٦٠٣	الطاء .....
٦٠٤	الضاد .....
٦٠٦	ل - ن - م - ر - ع - أ - و - ي .....
٦٠٨	خاتمة .....

٦٠٩	تعريفه
٦١٠	أهمية الإبدال
٦١٢	رأى ابن جنى فى الإبدال وموقف العلماء منه
٦١٢	رأى ابن جنى
٦١٨	موقف العلماء من هذا رأى
٦٢٧	أسباب الإبدال
٦٢٧	أولاً: اختلاف اللهجات
٦٢٨	ثانياً: التطور الصوتى
٦٣٥	ثالثاً: دواع لغوية
٦٣٥	١- تفاعل الأصوات
٦٣٧	٢- الاشتقاق
٦٣٧	٣- تغير المعنى
٦٣٩	٤- التصحيف والتحريف
٦٤٠	٥- صنع الألفاظ واختلاقتها
٦٤٢	نظرات حول دراسة ابن جنى التطبيقية لظاهرة الإبدال
٦٤٤	باب الهمزة
٦٦٦	باب الباء
٦٧١	باب التاء
٦٨٠	باب الثاء
٦٨٤	باب الجيم
٦٨٦	باب الحاء
٦٨٧	باب الخاء
٦٨٩	باب الدال
٦٩٠	باب الذال

٦٩٢	باب الرء
٦٩٤	باب الزاى
٦٩٥	باب السين
٦٩٧	باب الشين
٦٩٩	باب الصاد
٧٠١	باب الضاد
٧٠٣	باب الطاء
٧٠٥	باب الظاء
٧٠٦	باب العين
٧٠٩	باب الغين
٧١٢	باب الفاء
٧١٥	باب القاف
٧١٦	باب الكاف
٧١٧	باب اللام
٧١٨	باب الميم
٧٢٥	باب النون
٧٣٠	باب الهاء
٧٤٢	باب الواو
٧٤٥	باب الالف
٧٤٧	باب الياء
٧٧١	نتائج البحث

#### الباب التاسع

(١٠١٠-٧٧٥)

#### الدلالة ومظاهرها

٧٧٧

#### نشأة علم الدلالة اللغوى

٧٧٧

#### أنواع التطور الدلالى

٧٧٩	علم الدلالة عند العرب وأهميته .....
٧٨٨	عناية العرب بالألفاظ والمعاني .....
٨٠٢	<b>الاشتقاق اللغوي</b>
٨٠٢	لغة العرب بين الجمود والاشتقاق .....
٨٠٥	مفهوم الاشتقاق عند العلماء .....
٨٠٦	أصل المشتقات .....
٨٠٧	١- رأى النحويين والصرفيين .....
٨١٥	٢- رأى أصحاب المعاجم وبعض المحدثين .....
٨١٧	٣- رأى اللغويين .....
٨٢٣	أهمية الاشتقاق اللغوي وأقسامه والباحثون فيه .....
٨٢٣	أهمية الاشتقاق اللغوي وأقسامه .....
٨٢٧	الباحثون فيه .....
٨٣٠	ابن جني بين التقليد والتجديد في الاشتقاق .....
٨٣١	الاشتقاق الصغير .....
٨٣٦	الاشتقاق الكبير .....
٨٤٩	الاشتقاق الأكبر .....
٨٥٥	النتائج التي توصل إليها .....
٨٥٦	١- دوران المادة حول معنى واحد .....
٨٦٢	٢- الصلات بين الألفاظ ومدلولاتها .....
٨٧٧	٣- إلقاء الضوء على ثنائية اللغة منذ نشأتها .....
٨٨٥	الاشتقاق الكبّار .....
٨٨٧	أولاً: النحت السماعي .....
٨٨٨	ثانياً: النحت فيما راد على ثلاثة أحرف .....
٨٩٥	ثالثاً: النحت بين السماع والقياس .....
٨٩٦	تعقيب .....



٨٩٨	<b>المجاز اللغوي</b>
٨٩٨	الحقيقة والمجاز .....
٩٠٣	نقد ابن الاثير لابن جنى والرد عليه .....
٩٠٦	اللغة حقيقة أم مجاز؟ .....
٩٠٦	١- إنكار المجاز في اللغة .....
٩٠٧	٢- المجاز واقع في اللغة إلا أنه مقصور على العرب .....
٩٠٨	٣- أكثر اللغة مجاز .....
٩١٠	٤- أكثر اللغة مجاز دون تعسف .....
٩١٢	التضمن اللغوي .....
٩١٥	آراء العلماء فيه .....
٩١٥	١- رأى الكوفيين .....
٩١٧	٢- رأى البصريين وابن جنى .....
٩١٩	مبنى هذا الرأى .....
٩٢١	٣- رأى البيانين .....
٩٢٢	٤- رأى المتأخرين من النحاة والبلاغيين .....
٩٢٣	٥- رأى المجمع اللغوي .....
٩٢٣	هل التضمن قياسى على هذه الآراء؟ .....
٩٢٤	رأى المحدثين .....
٩٢٤	(١) رأى الإمام محمد الحضر .....
٩٢٥	(٢) رأى الدكتور السامرائى .....
٩٢٦	(٣) رأى بعض المحدثين كالاستاذ جورجى زيدان .....
٩٢٧	تعقيب .....
٩٢٨	<b>الارتجال</b>
٩٢٨	تمهيد: اللغة كائن اجتماعى متطور .....
٩٢٩	حقيقة الارتجال .....

٩٢٩	وجوده فى اللغات .....
٩٢٩	(١) رأى ابن جنى وغيره من القدماء .....
٩٣٨	(٢) رأى المحدثين .....
٩٣٨	١ - المؤيدون ودليلهم .....
٩٤٠	ب- المانعون ودليلهم .....
٩٤١	تعقيب .....
٩٤٢	<b>التعريب</b>
٩٤٢	دواعيه وتاريخه .....
٩٤٥	طرائقه .....
٩٤٧	كيف يعرف الاجنبى من الاصيل ؟ .....
٩٥٦	هل يقع الاعجمى فى القرآن ؟ .....
٩٥٦	رأى المنكرين .....
٩٥٨	رأى المثبتين .....
٩٥٩	التوفيق بين الرايين .....
٩٦١	رأى ابن جنى .....
٩٦٢	هل يباح استعمال العرب فى شئون اللغة العربية ؟ .....
٩٦٤	تعقيب .....
٩٦٦	خصائص العربية فى استعمال المشترك والمتضاد والمترادف .....
٩٦٦	المشترك .....
٩٦٦	معناه .....
٩٦٧	فائدته .....
٩٦٧	اسبابه .....
٩٦٧	١ - اختلاف اللغات واللهجات .....
٩٦٨	٢ - المجاز .....
٩٦٨	٣ - تطور المعنى .....

٩٦٩	٤- اختلاف الاشتقاق .....
٩٦٩	٥- التطور الصوتي .....
٩٦٩	٦- حدوث الاشتراك من الواضع الواحد .....
٩٦٩	آراء العلماء فيه .....
٩٦٩	١- رأى المنكرين .....
٩٧٠	٢- رأى المثبتين .....
٩٧٠	٣- رأى ابن جنى .....
٩٧٣	المتضاد .....
٩٧٣	معناه .....
٩٧٤	فائدته .....
٩٧٤	أسبابه .....
٩٧٤	١- اختلاف اللهجات .....
٩٧٤	٢- المجاز .....
٩٧٤	٣- التطور الصوتي .....
٩٧٥	٤- من عوارض تصريفية .....
٩٧٥	٥- رجوع الكلمة إلى أصلين .....
٩٧٥	آراء العلماء فيه .....
٩٧٥	١- رأى المنكرين .....
٩٧٦	٢- رأى المؤيدين .....
٩٧٧	٣- رأى ابن جنى .....
٩٧٨	المترادف .....
٩٧٨	معناه .....
٩٧٩	علام يطلق لفظ المترادف؟ .....
٩٨١	أثره اللغوى .....
٩٨٣	أسبابه .....

٩٨٣	١- اختلاف اللغات واللهجات
٩٨٤	٢- المجاز
٩٨٤	٣- تناسى الصفات والفروق
٩٨٦	٤- التغير الصوتي
٩٨٧	آراء العلماء فيه
٩٨٧	١- رأى المنكرين
٩٩٢	٢- رأى المثبتين
٩٩٣	٣- رأى ابن جنى
٩٩٩	منشأ خلاف العلماء فيه
١٠٠٠	شروط المحدثين للترادف
١٠٠٢	تعقيب
١٠٠٥	نتائج البحث
١٠٠٨	نهاية وخاتمة
(١٠٨٠-١٠١١)	الفهارس
١٠١٣	١- المصادر
١٠٣٩	٢- الاعلام
١٠٦٧	٣- الموضوعات

رقم الإيداع ١٨٤٧٢ / ٢٠٠٥